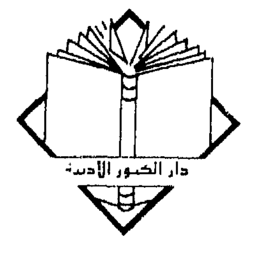
د. علي كريم سعيد

عراق ٨ شباط ١٩٦٣

من حوار المفاهيم
إلى حوار الدم

مراجعات في ذاكرة

طالب الشبيب



عراق ٨ شباط ١٩٦٣

من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

مراجعات في ذاكرة

طالب الشبيب

- د. علي كريم سعيد
- عراق ٨ شباط ١٩٦٣ ـــ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم
  مراجعات في ذاكرة طالب الشـــبيب
- الطبعة الأولى ١٩٩٩

- دار الكنوز الأدبية
- ص . ب : ٧٢٢٦ ـــ ١١ ـــ بيروت ـــ لبنان
  هاتف / فاكس : ٧٣٩٦٩٦

تصميم الغلاف والإشراف الفني : طالب الداوود

ISBN 1900700077

Dr. Ali Karim Said Abdullah

Iraq of 8th February 1963

From The Dialogue of Conceptions To The Dialogue of Blood

Reviews in Talib Ash – Shibib's Memory

Dar Al Konoz Al – Adabiah
1999
ISBN 1900700077

إلى جميع الذين دخلوا حوار الدم والنار بنيّة
ودوافع وطنية سليمة، مخطئين كانوا أم محقين،
قتلى أم موتى أو ما زالوا يتابعون
مشهد الاغتصاب والإخفاق في العراق

المحتوى

تقديم

عندما تقف أمام المرآة، تشاهد من مستوي وزاويـــة معينـــه، صــورة منعكسة عليها، تتغير ملامحها إذا ما أتيت بحركة بسيطة أو طرفت عينـــاك. وتستطيع انطلاقاً من مستويات وزوايا أخرى أن تحصل على ما لا نـــهاية من الصور المختلفة لنفس الشكل وأمام نفس المرآة. وتتضاعف الاحتمـــالات بتغير الناظر بسبب العدد اللانـــهائي من المســتويات والزوايـــا والفروقـــات الهائلة بين ناظر وآخر عقلا وخلفية ومنطلقاً.

لذلك اتفقنا أنا والمرحوم طالب شبيب أن يحافظ كل منا على حقه في رؤية خاصة بشرط الصدق والقناعة بما نكتب. وهو منـــهج يساعدنا على استيعاب وجهات النظر الناقدة والمخالفة على أساس نسبية الحقيقة وتمـــايز صورهـــا ومقاطعها، وإدراك عدم قدرة الآخر على ادعاء امتلاكها كاملة.

وقد خالَفَتْ الأيديولوجيات النسقية الشمولية والعقائد غير الصبـــورة هـــذه القاعدة، فطالبت معتنقيها أن يتجمد نظرهم عند رؤية صورة واحدة أو مقطـــع واحد من الصورة ورفعها إلى مستوى المقدس فتتشجع روح الرعاع والقطيـــع الكامنة، وتنتعش الأوهام التي سبق أن هيمنت على أذهان الوطنيين والقوميين فأسكرتـــهم وأنستـــهم مدنيتـــهم العريقة والصداقة والتراحم والحقوق. وحـــق عليهم القول الكريم "كل حزب بما لديهم فرحون". الاية.......

ووسط تلك المساورة بين الأيديولوجيات والعقائد المنفصلـــة عـــن الواقـــع والتجاذب أو التنابذ بين مفاهيم مجردة ترعرع طالب حسين الشبيب وتميز عن كثيرين من أقرانـــه بميله الشديد للقراءة والعقلانية، لكـــن شـــدة دورة دولاب النار كانت أقوى من الإرادات، فجرفت الجميع لينخرطـــوا فـــي صراعـــات مريرة تحت شعارات رومانسية كبرى، بررت للمناضل أن يسحق كـــل مـــن يعتقد أنـــه يقف في وجه تحقيقها.

ونأمل هنا أن نعالج مقطعاً واحداً من واقع تلك الصراعات فنعطي صورة متميزة تضاف إلى ما كتب حول حركة ٨ شباط[١] فنسهم في تراكم الصور والوقائع لعل ذلك يساعد مؤرخاً لبيباً أن يستكمل مستقبلاً صورة ما حدث في العراق في ١٤ رمضان ١٩٦٣ وبما يسهم مع جهود أخرى في تفسير سر ارتباك العراق منذ الاستقلال الوطني ١٩٢١ وحتى اليوم لنأخذ العبر ونتجنب الأسباب الحقيقية لذلك ولنحقق رجاءنا في منع المخطئين أياً كانوا من احتقار ضحاياهم والإفلات من عقاب التاريخ المعنوي.

ومبكراً أدرك طالب الشبيب أن السلطة في العراق لا تقوم بواجبها كحامية للقانون بل تستخدم، هي نفسها، وسائل غير مشروعة كالمعتقلات السرية والاغتيال والتعذيب، فحاول مرة من داخل المؤسسة وأخرى من خارجها الاختلاف والتصويت ضد القرارات الكيفية وطَالَب المجلس الوطني لقيادة الثورة بتطبيق القانون والخضوع له، والتوقف عن التدبير السري لشؤون الدولة، وجعل أحد أبنية الحكومة مقراً للقيادة القطرية الحاكمة، وبسبب معرفته عمق الأخطاء تقبل شبيب نقد المقربين ولوم غير المتفهمين وأولئك الذين لا يجيدون غير كيل التهم والشكوك.

الذاكرة

بعد انصرام ٣٥ عاماً على تجربة ٨ شباط ٦٣ توقعت منه أن يتحدث عنها ببرود خالٍ من العواطف المشحونة. لكنه تكشّف عن عاطفة مكنونة فيرتعش وتطفر دموعه وهو يستعيد المشهد ويكرر (قررت أن لا أقول ولا افعل إلا ما أعتقد أنه صحيح وحقيقي فلا أكذب مهما كان الثمن والتبعات).

---

١ – من أجل تجاوز الجدل النظري والسياسي حول تسمية حركة أو ثورة أو انتفاضة، فسنطلق كما فعل أستاذنا الدكتور علي الوردي على ١٤ تموز اسم "ثورة" وعلى ما سواها "حركة"، لأن جميع العراقيين تقريباً، عرباً وكرداً، أحزاباً وجمعيات، ومذاهب وأديان، هبوا دون تردد لتأييدها، بدون انتظار، كما يفعل الرعاع الذين ينتظرون هبوب العاصفة فيركبون الموجة، في حين ينقسم الشعب وتنقسم الآراء حول بقية الحركات، ولا يعادل ثورة تموز في الإجماع عليها غير ثورة العشرين لكنها تقع خارج مجال بحثنا. كما أن ثوار ٨ شباط لم يطلقوا على تحركهم في البداية اسم ثورة بل أسموه "انتفاضة" هدفها استعادة روح ثورة ١٤ تموز. وفي كل الأحوال فإن المسميات مجرد اصطلاحات لا تنطبق بالضرورة على المفاهيم الحقيقية للأشياء، لأن المفاهيم السياسية غالباً ما تكتسب مضامينها من النسق الفكري والسياسي لمن يطلقها.

ومن الجدير ذكره إن صورة ٨ شباط لا تستكمل إذا لم تدون شهادة أربعة أشخاص: علي صالح السعدي أمين سر الحزب ونائب رئيس الوزراء ووزير الإرشاد، وحازم جواد وزير الداخلية ووزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية، وطالب شبيب وزير الخارجية وعضو القيادتين، واحمد حسن البكر رئيس الوزراء (رئيس الجمهورية لاحقا)، لأن الأربعة المذكورين عاشوا أكثر من غيرهم مراحل وأعداد التجمع القومي المعارض الذي ضمّ البعث والحركة الناصرية وبقية حلفائهم المتضررين وتنفيذ الحركة التي انتهت بمقتل الزعيم عبد الكريم قاسم وعدد من أتباعه ومن كوادر الحزب الشيوعي، وتولوا أهم مناصب الدولة، ثم أسسوا بانقسامهم جناحي أزمة السلطة وعلى أيديهم تفجرت وتناثرت، ليتربع على أنقاضها الرئيس عبد السلام عارف الذي وفر لجميع أطراف الخلاف السياسي فرصة نادرة للمراجعة والتفكير داخل السجون.

وبعد غياب السعدي والبكر واعتزال حازم جواد بقي طالب شبيب وقد راقبْته عن كثب في مناسبات وأوضاع مختلفة، فأدركت تدهور صحته وقرب رحيله، ففاجأته بقليل من الدبلوماسية وكثير من الجرأة قائلاً: ستموت وأنت مصنف في صف اليمين المتسلط أو الانتهازي، في وقت وجدتك متمرداً بجيوب خالية ورأس مليئة، متوقد الذكاء، طلق اليدين ونظيف السريرة وعشت أيامك الأخيرة على مساعدة ابنك وأقربائك، ولن يفيد المرء "أن يدلي بشهادته للدود". فلماذا لا تدافع عن نفسك؟

بدأنا التسجيل الصوتي ولم يكن الأمر سهلاً بسبب ظروفه النفسية والصحية ونوبات الشعور بعدم الجدوى التي تنتابه بين فينة وأخرى فاستنقذنا من ذاكرته بعض ما علق بها على شكل فُرص نقتنصها كلما كان ذلك ممكناً. تطلب الأمر وقتاً طويلاً وجهداً شاقاً لإنجاز هذا العمل الذي نضعه بين أيدي القراء والذي، كما سيشاهده القارئ مكون من قسمين:

أولاً: المتن ويحتوي ذاكرة الشبيب الشفهية المفرغة من آلة التسجيل ولم أتدخل فيها إلا تصنيفاً وتحويل الجملة المحكية إلى مكتوبة مع المحافظة على أكثر ألفاظه كما وردت.

ثانياً: الهوامش وكتبتها جميعاً، استكمالاً وتوثيقاً وإضاءةً ونقداً فجاءت

كثيرة لان التسجيل الشفهي تفوتــه أشياء وتفاصيل عديدة، وتعمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش لنترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنـــا وعواطفنا.

وفي كل الأحوال فان ما سنضعه بين يدي القارئ ليس مذكرات بل ذاكـــرة اخطر تسعة اشهر في تاريخ العراق السياسي الحديـــث والمعـــاصر لأنـــــها سترسم الخط البياني الهابط على مدى عقود قادمة وتضع الملامح التمهيديـــة لصورة الهجوم المتواصل بلا رحمة ضد خميرة البلاد الكامنة في مدنيتـــه.

والأستاذ شبيب الذي نعرض لذاكرتـــه سيدافع بإصرار ودبلوماسية معقولة عن النية الحسنة للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٦٣، لكنـــه لا يدافع عن الفعل السياسي السيئ الذي رافق الصراع الداخلي. والذي كان البعث والناصريون والحركيون والشيوعيون أطرافاً أساسية فيـــه. ولـــن ننقل كل شيء تستعيده الذاكرة لكي لا يكون ما نكتبـــه تأريخاً للتشوه والقسوة، لكن الضمير يمنعنا أيضاً من التغليس عن كل شيء والمنطق يريد من التاريخ أن يكون عبرة الحاضر والمستقبل، فكيف نميز بين الخـــير والشـــر وكيـــف نَعْتَبِـــر إذا ما غلّسنا؟.

الوحدة الوطنية بين المثقف والسياسي

لعل أهم دافع لعرض وقائع ٨ شباط هو الرغبة في لفت النظر إلى وهميـــة وضيق مبررات النـــزاعات الوطنية(العراقية-العراقية) سياســـياً واجتماعيـــاً (بين أحزاب وأيديولوجيات). ومذهبياً (الطائفية). وقومياً (بين عرب وأكـــراد وأقليات).

فهي وهمية: لتسرب مفاهيم أيديولوجية بمضامين مدرسية جاهزة إلى الحياة السياسية العراقية مما جعل الحوار يدور بين مفاهيم غير قادرة على اســتيعاب التناقض القائم بين شكل السلطة الذي صممه المستعمر ورغبة المجتمع فـــي توسيع شراكتـــه السياسية وتحقيق حاجاتـــه الضرورية الملموســـة، وبســـبب تجاوب المستفيدين ومعارضة المتضررين صـــار التنـــوع انقســـاماً واخفـــق المثقفون في طرح مشروع طوعي للوحدة الوطنية فاستعان السياسيون بـــالقوة

لتامين وحدة مرتبكة.

وهي ضيقة: لنجاح أهل الحكم دفاعاً عن مصالح ذاتية في ترسيخ واصطناع صراعات وهمية ما كان لها أن تكون، فمنذ الاستقلال الوطني حتى عام ١٩٥٨ تم توظيف آليات أيديولوجية لإدامة الهيمنة غير الشرعية وتبرير منع المجتمع من الارتقاءِ إلى الحياة البرلمانية الحرة بوصفها أرقى مرتبة في سلم المدنية السياسية بدلاً عن بدائية السلطة المطلقة المنحسرة. ومنذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٨ جاءت زعامات تسعى إلى إشراك الشعب ولكن بما يخدم أيديولوجياً مصالح السلطة التي رفعت عالياً شعار (وحدة الموقف والرأي) وهو شعار الديكتاتورية الأساسي في كل زمان ومكان، وقد استفادت السلطات المتعاقبة من مشاركة المعارضة غير المقصودة لها في تسفيه الديمقراطية البرلمانية. وتشجيع المواجهات العبثية ضد التقاليد الاجتماعية المحلية والمشاعر الدينية. وفي تبني مفاهيم فلسفية حادة داخل مجتمع لا ينقسم أبناؤه بشدة إلى فقراء وأغنياء، بل يعيش غالبيتهم فوق خط الفقر والمتوسط، ولم تصل حالتهم حدود الأزمة الثورية ليختاروا الاحتراق بالثورة على حياتهم القائمة. ولذلك كانت نزعة الوطنية والاستقلال والتضامن العربي عندهم أقوى من حاجات الغذاء والكساء والسكن، فلم يُسيِّسوا في النصف الأول من القرن العشرين معاناتهم من المرض والقحط وكان ذلك قبل أن يصل تأثير الأيدلوجيات.

ومنذ عام ١٩٦٨ دشن العراق لأول مرة في تاريخه الحديث والمعاصر سلطة الحزب الواحد، الذي يدعي تمثيل الشعب والذي توسعت عضويته من بضع مئات إلى مئات الآلاف، مسلحين ببنادق ومفاهيم منحرفة، وتسخيرهم كعيون وأزلام متحمسين، تكفي أعدادهم لحراسة هيمنة السلطة على كل شيء من زاخو إلى الفاو.

لكن كل تلك الإجراءات والاحتياطات لم تجعل العراقيين يتنازلون عن اعتدادهم الذي يستمدونه من حضارتهم العتيقة، ومن الأثر العظيم والمثير الذي تركه فيهم رموز الحضارة العربية والإسلامية. وفي مواجهة تلك الممانعة الشعبية العراقية التي تحولت إلى ميل عام مشترك، اتخذت السلطة

الشمولية القائمة دفاعا عن مصالح ضيقة، من القتل والاستبداد وسيلة لحل مشكلاتها مع الناس، بل ونشرت الموت تحت شعارات ديماغوجية مثيرة لشغف الأنصار.

وعلى طول الخط الواهم، حاول زعماء وسياسيون صغار اكتساب شرعية القتل والتأديب الجماعي انطلاقاً من مقولات السيادة والوحدة والتقدمية والصالح العام...الخ، وصادروا الحريات وعاملوا شركاءهم في الوطن كأنهم مرتدين وكفرة، وشنوا حروباً عبثية داخلية وخارجية ولا ندري اية قضية مميزة تصدت لها أو حققتها الانقلابات العسكرية التالية لثورة ١٤ تموز حتى تجيز لنفسها القتل والتشريد وتهديم العمران وتجريم من يخالفها الرأي.

إن اتخاذ الموت وسيلة أولى للمعالجة آثار دهشة المهتمين الاجتماعيين في الوطن العربي وفي العالم وصار يحلو لهم وصم تاريخ العراق القديم والوسيط والحديث بالتعسف والدموية. ودفعهم إلى التنقيب المغرض في الماضي بحثاً عن أعمال وشؤون متفرقة مماثلة لقياسها على ما تقترفه الزعامة السياسية المعاصرة التي لم تشوه الواقع الراهن فقط بل ألحقت الضرر بسمعة الماضي أيضا، فإذا قلت عن فلان انه صنو سعد بن أبي وقاص، فلن ترسم لسعد غير صورة الوحش، وتشوه صورته الحقيقية كفاتح وهادٍ لدين جديد نشر الحضارة والتسامح بقوة العقيدة والقدوة الحسنة قبل السيف.

الدافع الآخر لاهتمامنا بذاكرة ٨ شباط هو محاولة إصلاح الضرر التربوي الذي تركته في الأبناء الرواية المغرضة لأحداث التاريخ. وليس غريباً إذا قلت أن اكبر مكتبة في العراق كانت بحوزة مديرية التحريات الجنائية لطول قوائم الممنوعات والممنوعين وكثرة الكتب المصادرة. ولا أبالغ إذا قلت أن أقسام التوجيه التابعة لأجهزة الأمن ومؤسسات الرقابة قد نجحت في كتابة جوانب من تاريخ العراق السياسي المعاصر مباشرةً أو تحت ضغطها المتواصل. فاستمعنا إلى محاضرين وكتاب ومؤرخين وصحافيين من مواقع الهيمنة الحكومية، يجرّمون ويغيّرون الأوصاف ويلفقون ويستنتجون بسماجة ويتناولون الأحداث بالجملة، ويتجاوزون معاناة

الشعب العراقي والمنافي والمشانق وأدب السجون وأولئك الذين غيبوا عن الحياة وكانوا مازالوا يرفلون بها، وبعد ذلك فعلى الجميع التصديق والابتلاع.

فلم يبق أمام الكتاب الرافضين غير الانزواء وتغيير حرفتهم أو الكتابة بما لا يتعارض مع الخط الواحد، وعندما غادر بعضهم إلى الأقطار العربية المجاورة واجهوا وسطاً متأثراً بالإعلام الرسمي فترددت على مسامعهم ذات الاسطوانة التي تضع المخططين محل حماة الوطنية والقومية وتضع الضحايا في موقع المشاكسين. ووصل الأمر حد تزوير الوثائق التاريخية فقد نشر د. فاضل البراك مدير المخابرات العامة السابق برقيتين قال أن السفارة البريطانية في بغداد أرسلتهما إلى لندن، وتؤكد صيغتهما على عمالة الزعيم بكر صدقي للمخابرات البريطانية. مدعياً من موقعه كمسؤول أن حكومته عثرت على البرقيتين بوسائلها الخاصة. وعند قراءتهما نجدهما تخالفان أسلوب التخاطب المعروف، فالسفارات لا تكشف في مراسلاتها الخبرية العادية أسماء العملاء خصوصاً إذا كانوا رؤساء حكومات أو زعماء كما هو حال بكر صدقي الذي كان قد بادل الإنكليز الكراهية وقاد انقلاباً ضدهم وتحالف مع الزعيمين الوطنيين جعفر أبو التمن وكامل الجادرجي. لكن البراك من اجل تشويه امتداد خط بكر صدقي في الحاضر لم يتورع عن التلفيق والتزوير على الماضي مستغلاً منصبه الحكومي الخاص.

وكتابنا ذاكرة ١٤ رمضان / ٨ شباط، نوع من كشف التجربة المرة ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية. فقد عشنا تجربة الحكومات المتعاقبة في تزوير وقائع التاريخ الحديث والمعاصر، لكن ذلك أوصلها وأوصل العراق برمته إلى طريق مسدود، غير أن المقدمات المزيفة برهنت بأن ما يخفيه الساكتون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً مدمراً عندما تحين أول فرصة للانفلات فيدور دولاب الدم ليدمر ما تم بناءه خلال سنوات الاستقرار الشكلي الفاصلة بين انتفاضة وأخرى، فتتجدد الأهوال وتنتعش السجون وأرصفة المنافي وتتوسع المقابر.

القلق الواعي أم الترحال حتى الموت

وإذا كان لكل فرد شيء ما بداخله يميِزه، ففي أعماق طالب الشبيب، اختلطت بقوة خصالُ التمرد بالعقلانية، تمرّد أحاطه بعقلانية مبكرة وبثوابت قومية. ورغم هيمنة أجواء الدبلوماسية الرتيبة الباردة على محيطه، حافظ بداخله على منظومة مزدهرة من القلق الواعي الذي يعود لإحساسه بفراغ يمسك بدواخل كل عراقي في المنفى. ذلك الفراغ الذي لا يمتلئ قبل عودتهم أعزاء إلى الوطن. ولذلك ظلت بغداد تئن وتخفق في أعماقه، فلا يكف عن ترديد قول الجواهري:

حييت سفحك عن بعد فحييني   يا دجلة الخير يا أم البساتين

وقد أدى امتناع العيش الكريم داخل الوطن بأعداد كبيرة من العراقيين إلى الهجرة، لكن ترحال الشبيب استمر حتى الموت، عاكس به تيار الاستسلام ومنطق الرتابة. فلم يخضع، بل ظل ممسكاً بزمام نفسه، مستعداً للتضحية بكل شيء من اجل الخلاص الوطني الشامل، مانعاً فرديته أن تطغى، فوجد في تجنب الخلاص الشخصي الحل الأقل عاراً!! ورفض أن ينام ملء جفونه مسترخياً في غرف منافي بلاد الظلام البعيدة والباردة ورفض ترك الأشياء وراءه لدورة الزمن الطويلة. ولم يقدم نفسه كشكل أو دمية داخل بدلة غالية الثمن بل أراد أن يعرفه الناس من خلال آرائه وقدرته العقلية ليكتشفوا تدريجياً انهم إزاء رجل ممتلئ، ومن جانبه اهتم بالأشخاص بالقياس إلى صدقهم وكيفية تفكيرهم، وليس مظهرهم أو مناصبهم وأرقام حساباتهم.

شيء واحد كان يسرق الشبيب من نسقه السياسي الإنساني، لصالح عقلانية باردة هو عندما يُحاط بشعارات مثيرة وبراقة يتغلب فيها العام على الخاص أو يتغلب فيها عقل الجماعة الذي يتميز بروح انفعالية، تتوتر بشدة وتوافق على قرارات قاسية عند الأزمات على حساسية العقل الفردي الحر المتنافس، ولذلك نجده عندما تتطلب السياسة يندفع متجاوزاً ومضحياً بكل ما يقف بوجه الخطة السياسية العامة. وكنت عندما تنتابه هذه المشاعر أحذره من وجود رواسب باقية عنده من الروح الشمولية العاصفة السابقة، فهي لا تضمحل في الذهن بسرعة اضمحلال آثارها المادية.

أحلام تسبق الرحيل

أسوأ معاناتـــه كانت عندما فوجئ بتغير اللعبة السياســـية الدوليـــة تجـــاه العراق والتي استـــهدفت إخراج القرار العراقي من أيدي أبنائه لصالح القـوى العظمى بعد أن غامرت بــه الحكومة العراقية. فأصبحت المكانة السياسـية لا تتحقق لأسباب منطقية أو نتيجة تاريخ وجهد مبذول، بل صناعة تخصصـــت بـــها المطابخ السياسية بين لندن وواشنطن. فيرتفع شأن هـــذا ويضغـــط ذاك بمساعدة المال والإعلام والهيمنة في حين يرزح الشعب المظلوم يائساً تسـحقه أجهزة متخلفة ونتيجة لذلك اكتشف طالب أنـــه وشـــخصيات كثـــيرة غـــيره أصبحوا غير مطلوبين !!، فلم يعد يسعى إليه سوى نفر من بقايا المنـــاضلين "اللاجئين". واكتفى بعض أصدقائه القدامى بالسؤال وإلقاء التحية كلما تجشـــم هو ومرّ بمنافيهم البعيدة في حين قضى قبل ذلك حياة مترعة، ســـعى للقائـــه خلالها المهتمون بالمنطقة من عراقيين وعرب وشخصيات إقليمية وعالميـــة، خصوصاً عند اشتداد الأزمات.... وكان شبيب يعرف ما يريـــدون!! وبكـــرم مقصود يعطي تصوراتـــه الغنية بالتنبؤات وسعة الإطلاع، وبالحرارة التـــي يستقيها عادة من حواره في الظل مع أصدقائه المناضلين الميدانيين، لتمـيُّزِهمْ بالصدق، فيتزود من خارج الصالونات الكلاسيكية برأي واقعي يستعين بــــه لليوم التالي.

ورغم ذلك التطور الداعي لليأس، عرف شبيب بخبرتـــــه كيـــف يصـــبر "ويكسر الاتجاه" ليتجاوز الإحباط بأقل قدر من الخسائر وما كانت سفرتـــــه الأخيرة إلا محاولة جديدة لكسر اليأس، حالماً بتحقيق هدفين أحدهمـــا أربَكَـــهُ وأتعب روحه وهو سعيه لتأسيس حركة سياسية وسط بين تطرف آخر، ولكن برجال ليسوا وسطاً!! ولا يعتنون سوى بـــهمومهم الشخصية وليس بمصـــالح كل الشعب، فكان سعياً عبثياً بل مستحيل.

وأما حلمه الثاني فكان تأسيس مركز عراقي للدراسات الإستراتيجية. بعـــد أن تخلفت الحكومة والمعارضة عن إنشائه. المركز الذي ســـيقدم استشـــارة مدروسة للمعارضة العراقية والجمعيات الشعبية، وللدولة إذا رغبت إدارتـــها في الاستماع، في اختياراتـــهم المستقبلية. كانت رغبتـــه عظيمة فـــي إقامـــة

"رف ثالث" غير متأثر بالعصبيات ففكر بالتفاصيل والأسماء والطريقة، ووضعنا معاً خريطة للاهتمامات الاستراتيجية للدولة العراقية، بدراسة القوى التي تحمي النظام القائم، ومعرفة مكامن قوة المعارضة وعقلانيتها لإبرازها وبحث إمكانيات التعايش السياسي والاجتماعي في العراق بدراسة تركيبة المجتمع وميوله التاريخية.

إرادة البيت المفتوح

تمتع الشبيب بأدب مدني جم، وكان سياسياً من الطراز الأول تجتمع فيه خصال كثيرة، ثائراً مأزوماً، غير هياب، شديد الذكاء، لا يعتني كثيراً بالمظاهر والمال، إلا بما يجعل حياته تستمر ويُديم بيته المفتوح. قال عنه الدبلوماسي المعروف مشتاق طالب بمذكراته (عندما قابلته وجدته أحسن بعثي سلوكاً وأوفرهم أدباً وأكرمهم خلقاً) وكان عبد الناصر قد امتدحه وعبّر عن إعجابه بحماسه وتفهمه في الرسالة التي بعث بها إلى المشير عامر في اليمن فوراً بعد حركة ٨ شباط، ونشرها هيكل في سنوات الغليان ويقول فيها: "وطالب شبيب وزير خارجية وذكي لبق متحدث وقد استرحت إليه".

غلّب شبيب الشأن العام فلم يعطِ فرصه لكتابة مذكرات شخصية عن نفسه متروياً وعقلانياً في السياسة متطرفاً ومتمرداً في حياته الخاصة بل جبار على نفسه وصحته. حافظ الشبيب على تماسك عقلي فائق فلم يصب بعدمية أو مجانية سياسية وكان يقول أن من يريد أن يكون قائداً عليه أن يفتح داره ويتحمل مسؤولية ذلك. وبين عامي ١٩٦٢ و١٩٦٣ تحولت داره الخاصة إلى ما يشبه مقراً للقيادة العراقية لحزب البعث العربي الاشتراكي واختفى بها علي صالح السعدي وحازم جواد وفيصل حبيب الخيزران لفترات طويلة واشتبه بعض المؤرخين بأنها كانت مركزاً حزبياً ولم تكن كذلك. كان في أواخر أيامه يعتقد أن صحته ستساعده فذهب معي إلى طبيبي الخاص وتحاور معه حول مشاكلي التي تشبه مشاكله الصحية وبعد خروجنا قال لا تخف فنحن أقوياء. لكنه بعد مغادرة دمشق اكتأب وتشاءم وتساءل أكثر من مرة " من أين يأتي الإنسان بملكة الموت؟ إنها شجاعة لا امتلكها" ولم

يرتكب طالب المرارة لأسباب شخصية إنما فرضها عليه الهم العراقي العام وحاجته في شوط عمره الأخير إلى الاستقرار ولكن بكرامة. ولم يكن تفضيله للإقامة بدمشق خلال سنواته الأخيرة سوى اختيار لطريق الكفاح وعدم التورط باللعبة التي اكتظت بها الساحات الأخرى، رغم أن جميع فرسانها سعوا إليه وعرضوا عليه إقامة تجعله أوسع حالاً وأكثر ثراء.

أقام شبيب أيامه الأخيرة بمنزلي في لايدن. كان عصبياً ومحبطاً. أراد من الموت أن يأتي ولم يجد القوة في أن يذهب إليه بنفسه.

ودعته خائفاً، فأرسلت ولدي فراس لمرافقته في رحلته الأخيرة إلى لندن، وفي أيلول ١٩٧٧ جاء نبأ رحيله.

لم ابك الشبيب بل افتقده، لم ابكه لأني حدثته طويلاً عن الموت وموتنا المحتمل، فكان يفهمه وينتظره، لكن ليس قبل العودة إلى العراق.

كنت أحاول تقديم هذا الكتاب قبل هذا الوقت، لكن مشاكل صحية عارضة حالت دون ذلك، وبعد انجاز مسودته الأصلية ساعدني على وضع اللمسات الفنية الأخيرة كل من الدكتور محمود أمين شمسة، محمد رشاد الشيخ راضي، أبو أيوب، الدكتور أحمد الموسوي، رضوان الكليدار، محمد مظلوم، طالب الداوود وأخي فراس كريم سعيد، فلهم من الشكر والتقدير

علي كريم سعيد

دمشق ١٩٩٨/٩/٢٢

محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية

في نـــهاية عام ١٩٥٨ قرر الأمين القطري لحزب البعث في العراق الأستاذ فؤاد الركـــابي تعويض نقص أعضاء القيادة القطرية المعتقلين والهاربين والمتوقفين عن العمل، وبعد الحصول على موافقة الأمين العام للحزب ميشيل عفلق تمّ إضافة كل من أياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيـــم جمعة وأنا (طالب شبيب) إلى عضوية القيادة القطرية. وكانت الاجتماعات تنعقد في دار فـــؤاد الركابي عندما كان وزيراً للإعمار. وحين ذاك علِمنا إن العقيد عبد الوهاب الشواف يتـــهيأ للقيام بثورة انطلاقاً من الموصل، يؤازره فيها الضباط القوميون في بغداد وعلى رأسهم رفعـــت الحاج سري وعبد الكريم فرحان وناظم الطبقجلي وآخرين لم تعد الذاكرة تحصيهم.

آنذاك كنت تلميذاً في دورة ضباط الاحتياط ومسؤولاً عن تنظيمات البعث في الكلية، كمـا أصبحت ممثلاً للحزب في احتماعات الجبـــهة القومية التي سميت "التجمع القومـــي" الـــذي تأسس مباشرةً إثر طغيان الشيوعيين على الشارع العراقي بعد عزل عبد السلام محمد عـــارف وغلق صحيفة الجمهورية التي كانت قلماً للقوميين والبعثيين، وإثر اتساع موجـــة الاعتـــداءات العشوائية ضد منتسبي التيار القومي.

حصل ذلك تحت سمع وبصر حكومة عبد الكريم قاسم، مما دفع ممثلي الحركات القوميـــة إلى عدم التفريق بين الشيوعيين وممثلي السلطة وعلى رأسهم رئيس الحكومة.

ووسط تلك الأجواء غير المؤاتية فرض حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه كقوة مواجهـــة تتميز عن بقية القوي القومية بالحماس والانضباط التنظيمي والسياسي الشديد. في حين أخـــذت الأوضاع تميل تدريجياً نحو المواجهة المصيرية، خصوصاً بعد أن سيطر على القومـــيين والبعـــثيين شعور بعدم وجود مكان لهم في تلك المنافسة التي انحازت السلطة فيها إلى جانب التيار الشيوعي المعارض للوحدة وللسياسة القومية في العراق. ولذلك لجأ حزب البعث إلى سياسة تجميع القوى فنجح في إقناع الأطراف القومية الأخرى بتأسيس "التجمع القومي" ، وكعضـــــو في القيـــادة القطرية كلفني فؤاد الركابي تمثيل حزب البعث فيه، وكان يحضر اجتماعاتـــه كل من :

الدكتور محمد صديق شنشل	عن حزب الاستقلال
الدكتور هشام الشاوي	عن الرابطة القومية
حامد الجبوري	عن حركة القوميين العرب
طالب حسين الشبيب	عن حزب البعث العربي الاشتراكي

شكري صالح زكي	عن المحامين
الدكتور عزت مصطفى	عن الأطباء
الدكتور احمد عبد الستار الجواري	عن الأساتذة والمعلمين
ناجي طالب	عن الضباط القوميين المستقلين
عدنان الراوي	يحضر أحياناً عن الرابطة القومية

وللأمانة هنـاك آخرون لا أتـذكر أسماؤهم ، وقد عقـد التجمع ثلاثـة اجتمـاعات بكامل أعضائه.

وبعد تزايد ضغط وإرهاب "المقاومة الشعبية" وهي ميليشيا شيوعية ، بدأ عدد المشاركين في اجتماعات "التجمع القومي" يتناقص. وتدريجياً تعذرت إمكانية عقدها دورياً ، لعدم وجـود البيت الآمن وعدم استعداد ممثلي الحركات للمغامرة. وأستطيع القـول إن التجمـع القومـي انتـهى عملياً كـكيان وكجبـهة بعد نشأتـه بأشهر واقتصرت أعماله على لقاءات مختصرة أو ثنائية. وغالباً ما كان يلتقي فيها فؤاد الركابي وناجي طالب وشكري صالح زكي . وكـان شكري على اتصال بنجيب الربيعي ومن خلاله بأحمد صالح العبدي الذي تمـيَّز بطاعة رئيسـه رغم عدم مشاركتـه أفكاره . فلم يرغب العبدي بسياسة الاعتماد على الشـيوعيين وكـان يشارك القوميين في الخوف من تسلطهم ، لكنـه لم يكن وحدوياً على طريقتنا : أي الوحـدة الاندماجية الفورية مع مصر (الجمهورية العربية المتحدة) . وبالمقابل يتصل فؤاد الركابي بالضباط مثل صالح مهدي عماش وحسن مصطفى النقيب وآخرين.

وقد انحصر جهد التجمع القومي في المرحلة الأولى على إخراج استقالة الوزراء القوميين مـن حكومة عبد الكريم قاسم بصورة موحدة ومثيرة. وبالفعل نجحنا وأعلنت استقالة الوزراء محمـد صديق شنشل وناجي طالب وفؤاد الركابي إضافة للوزير الكردي بابا علي ، كما استقال عضو مجلس السيادة خالد النقشـبندي ، أما نجيب الربيعي فأبلغناه بالواسطة رغبتنـا أن يسـتمر في منصبـه حتى لا يحصل فراغ سياسي في حالة وقوع انقلاب مفاجئ أو اغتيال فردي ضد عبـد الكريم قاسم ، إذ ستؤول السلطة دستورياً إلى نجيب الربيعي بسبب وجوده على رأس مجلـس السيادة.

ثورة الشواف ـــ ١٩٥٩

كنت قد أصبحت ضابطاً لركن القسم الفني للقاعدة الجوية في بغداد ، عندما حدثت الثورة في الموصل . وقد علمنا في القيادة القطرية أن عبد الوهاب الشواف سيتحرك بين لحظة وأخرى، ولم نكن مهيئين للقيام بأي عمل يفيده عند إعلان ثورتـه . وكان رد فعلنا الوحيد هو نقـل إقامة فؤاد الركابي إلى وكر سري قريب من منطقة البتاويين في الرصافة . وأصدرنا بياناً نؤيد فيه

ثورة الشواف ووزِع في بغداد وفي مناطق أخرى من البلاد وأشرف على التوزيع خالد علي الصالح باعتباره مسؤول العلاقات مع الألوية (المحافظات) .

حين ذاك كانت بغداد منطقة إرهاب لكل قومي وخصوصاً البعثيين، وتضج محكمة المهداوي كل ليلة بهتافات معادية لنا ، وبالشتيمة لجمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة . وترتفع الشعارات الشيوعية المطالبة بالسحل والإعدام ، وشعارات كثيرة أخرى مثل "اللي ما يصفق عفلقي" وغيرها . وكنا نعيش حالة من الذعر والخوف وأصبحت اجتماعاتنا الحزبية مخاطرة كبيرة، وتوزيع المنشور السياسي يجلب تهمة شنيعة للقارئ والموزع . ويستطيع كل من عاش تلك المرحلة أن يتصور الحالة النفسية المتوترة التي سادت الشارع السياسي العراقي حينذاك . وقد لعبت منظمات "صيانة الجمهورية" التي أسسها الحزب الشيوعي كمنظمات "أنصار السلام" و "الشبيبة الديمقراطية" و "المقاومة الشعبية" دوراً في تصعيد التوتر والخوف بإعطاء نفسها حق تفتيش الناس والبيوت واعتقال المواطنين بصورة كيفية وغير قانونية .

وحُرِم القوميون والبعثيون من السند القانوني لرد اعتداءات الشيوعيين عليهم . وكان التلفزيون العراقي منبراً ضد كل شأن قومي وبعثي ، بل ويغذي ويحرض على الإرهاب .

وبعد أيام قليلة من فشل الشواف بدأت محاكمة الضباط الطيارين الذين ساهموا بقصف وزارة الدفاع . وأذكر أن أوامر صدرت لجلب الضباط وبشكل خاص ذوي الميول القومية للتفرج على عملية الإعدام . وكانت تلك هي المرة الأولى في حياتي التي أشاهد فيها تنفيذ إعدام حقيقي ومباشر بضباط كنا نعرف أسماءهم عن بعد. لكننا الآن نشاهدهم بملابس حمراء خاصة، وقد انزلوا من سيارات الإسعاف محمولين لأن أحداً منهم لم يكن قادراً على السير ، فشدوا إلى الأعمدة و لم تكن أرجلهم تحملهم . وكنا وسط جمهرة كبيرة من الضباط والجنود يهتفون "إعدم، إعدم !!" وهو شعار رفعه الحزب الشيوعي مطالباً عبد الكريم قاسم بتصفية كل الرموز الباقية من التيار القومي في الجيش . وهكذا شاهدنا عملية الإعدام البشعة[1].

خطة الاغتيال

كان شعورنا مزيجاً من الخوف والاشمئزاز ، وأصبحنا لا نفرق بين البقاء على قيد الحياة أو

---

١ ـــ نفذت سلطات قاسم إثر محاولة الشواف، حكم الإعدام بكل من: العقيد عبد الله ناجي، النقيب قاسم العزاوي، الملازم أحمد عاشور، الملازم فاضل ناصر، المقدم علي توفيق، المقدم يوسف كشمولة، النقيب هاني الدبوني، النقيب محمد سعيد قاسم، النقيب صديق علي، الملازم حازم خطاب، المقدم إسماعيل هرمز، الرائد مجيد الجلبي، فاضل الشكرة، نافع داوود، محمد أمين، سالم حسين، مظفر صالح، محسن إسماعيل، العميد الركن ناظم الطبقجلي، العقيد احتياط رفعت الحاج سري، الرائد داوود سيد خليل وعزيز شهاب.

وكان تنفيذ الحكم في ناظم ورفعت وداوود وعزيز في أم الطبول قد تم بقرار لم ينل إجماع القضاة.

الموت في مثل ذلك الجو من الخوف والإرهاب ، و لم تعد الحياة ثمينة ولذلك عندما دعا المرحوم فؤاد الركابي لاجتماع القيادة القطرية واقترح خطة لاغتيال عبد الكريم قاسم وافق عليها أكثرية أعضاء القيادة الحاضرين . وكنا خمسة : فؤاد الركابي وخالد علي الصالح وأياد سعيد ثابت ومدحت إبراهيم جمعة وأنا، وحضر معنا عبد الله الركابي . و لم اكن اعلم هل كان عبد الله على وجه التحديد مجرد مرافق لفؤاد بوصفه ابن خالته والأمين على أسراره وإقامته ومعيشته، أم كان عضواً في القيادة . فلم ارغب بالسؤال، إلاإن الأمر اتضح لي نسبياً عندما لاحظت عدم مشاركته بالتصويت ، فكنا اثنين رافضين (أنا ومدحت) مقابل ثلاثة موافقين على خطة الاغتيال فؤاد وخالد وأياد.

وقد اعتبر فؤاد الركابي ذلك التصويت كافياً لاكتساب خطته الشرعية الحزبية ، لأن القيادة القومية لم تكن حينذاك سوى ميشيل عفلق . ولذلك اعتقد فؤاد الركابي إن اخذ رأيها ليس له أهمية خصوصاً وان الأمر يتعلق بسر خطير مثل محاولة اغتيال شخص سيؤدي موته إلى تقويض النظام القائم برمته . لقد ناقشنا أمر الاغتيال في بداية عام ١٩٥٩ أي بعيد فشل ثورة الشواف واشتداد المضايقات لمنتسبي التيار القومي[1].

كانت خطة الركابي بسيطة وترتكز على ما يلي : أن يتم نصب كمين محكم لسيارة عبد الكريم قاسم في وسط شارع الرشيد وبالذات منطقة "رأس القرية" حيث يمكن الهرب من هناك بعد تنفيذ العملية عبر الأزقة إلى شارع الجمهورية . وفوراً بعد مقتله يتحرك بعض الضباط القوميين الموجودين في الخدمة وخصوصاً في مقر وزارة الدفاع لاحتلالها بعملية مباغتة وسريعة بعد تجريد بعض الضباط الأمراء من أسلحتهم ويتولى الفريق نجيب الربيعي رئيس مجلس

---

١ ـــ كانت قيادة البعث القومية شبه غائبة بعد إقدام ميشيل على حلّ تنظيم الحزب في القطر العربي السوري وظل هو يدير أعمال القيادة القومية منفرداً . وكانت تلك فترة إحباط للتنظيم القومي بكامله . أما اجتماع القيادة القطرية الذي أتخِذ فيه القرار (محاولة الاغتيال) فقد تغيب عنه عضوا القيادة صالح شعبان وسعدون حمادي اللذان فرّا إلى سورية دون موافقة القطرية العراقية على سفرهما ومن هناك سافر حمادي إلى بيروت . كما كان علي صالح السعدي منذ عام ١٩٥٨ وكذلك حازم جواد مسجونين، واعتاد شمس الدين كاظم التغيب عن حضور اجتماعات القيادة ، ولم يبقَ عملياً غير فؤاد وخالد لذا جاء إلحاق طالب ومدحت وأياد كمحاولة لإعادة هيكلتها.
وكان طالب حينذاك ضابط ركن الجناح الفني في قاعدة بغداد الجوية برتبة ملازم ثاني (ضابط احتياط) ، وقد حصل على ميزة البقاء في بغداد بفضل المقدم الطيار الركن خلف الجنابي آمر كلية الطيران العراقية. الذي تمكن من تثبيته في ذلك المركز بفضل صداقته مع فاضل عباس حلمي آمر معسكر الرشيد . وعندما التحق وجد أمامه صديقَي دراسته المهندس الملازم هشام صفوت وكان عضواً في الحزب الشيوعي ، وصباح محمد علي (بعثي) ، وكلاهما يعمل في الجناح الفني. وكان الثلاثة خريجي انكلترة ويعرفون هوية بعضهم السياسية. ويقول شبيب أن هشام صفوت الذي قتل في ١٥ رمضان ١٩٦٣ لم يشِ به رغم معرفته اليقينية بأن شبيب بعثي ومعارض لنظام قاسم ، وظل على صداقته معه حتى لحظة مغادرة شبيب المعسكر.

السيادة وحسب القانون (بصورة أوتوماتيكية) السلطة مؤقتاً ، بالتنسيق مع الحاكم العسكري العام اللواء الركن احمد صالح العبدي .

وأكد لنا فؤاد الركابي أنّ نجيب الربيعي مُطلِع على خطتنا وسيشارك فيها، وأضاف أن هناك عدداً من الضباط الأصغر رتبة وسناً سيقودهم صالح مهدي عماش في محاولة للسيطرة على بعض معسكرات بغداد . وتكلفت أنا بإبلاغ محمد صديق شنشل بتفاصيل الخطة ، وبدوره ابلغ حركة القوميين العرب كي يتأهبوا وقد ساهمت بالتحضيرات رغم تصويتي أنا ومدحت إبراهيم جمعة ضدها ، وحينها أكدنا للبقية بأن الحزب الشيوعي أوسع تنظيماً وأكثر قدرةً واستعداداً، وسيكون أسرع منّا لاحتلال المواقع الهامة داخل وزارة الدفاع وفي قطعات الجيش[1].

رأينا ذلك لمعرفتنا الجيدة بميول الشارع العراقي المؤيد لعبد الكريم قاسم و حلفائه، و لم نكن حتى ذلك الحين مشبوهين من قبل أجهزة السلطة فامتلكنا القدرة على الاحتكاك بالناس دون

---

١ ـ كانت الخطة بسيطة ولكنها محكمة ، فقد تقرر أن يقف شابان في طرفي شارع الرشيد أحدهما مقابل وزارة الدفاع في باب المعظم والثاني في الباب الشرقي وكل منهما يعتبر نقطة إنذار مبكرة ، يُنبه تلفونياً عن مرور الزعيم إلى شارع الرشيد ، ويذهب الإتصال إلى شقة حارم البكري في رأس القرية . وحينها يستعد فريق الاغتيال المتكون من سليم عيسى الزيبق وسمير النجم وحاتم حمدان العزاوي وعبد الوهاب الغريري وعبد الكريم الشيخلي واحمد طه العزور وصدام التكريتي إلى غلق الشارع وإمطار سيارة الزعيم بالرصاص والقنابل اليدوية ، ثم الاسحاب عبر الأزقة الضيقة (عكد النصارى) إلى شارع الجمهورية حيث تنتظرهم سيارة علي حسون لنقلهم إلى وكر حزبي في العلوية. وتمّ فعلاً تنفيذ العملية في ٧ تشرين الأول أي بعد ثلاثة أسابيع من إعدام الضباط القوميين في أم الطبول . وقد حصل خطأً فني أدى إلى مقتل الغريري وجرح النجم وصدام في حين قتل سائق الزعيم وجرح هو ومرافقه قاسم الجنابي . ولم يكن عبد الكريم قاسم يتنقل بموكب من السيارات لحمايته . وبعد بضعة أيام أُلقيَ القبض على الموجودين في الوكر، في حين تمكن آخرون من العبور إلى سورية . وذكر د. تحسين معله إن قيادة الحزب "أبلغت منظمة الأطباء البعثيين أن تهيء فرقة للإسعافات لكن الأمر أُلغي بعد إلقاء قاسم خطابه في كنيسة مار يوسف . لكن العملية نفذت فجأة وفوراً بعد إعدام رفعت وناظم . وفي صباح اليوم التالي جاء أياد ثابت واصطحبني إلى وكر العلوية الذي أعرفه جيداً ، فقد بنى الدار المهندس فؤاد الركابي ، ومالكه الأسبق أخي فاضل معلة واستأجرها الحزب من مالكها الجديد" . وجد الدكتور معلة في الدار سمير النجم يعاني من بقية نزف خفيف من جرح في كتفه الأيسر واستقرت الرصاصة في الرئة فضلاً عن إصابته بخدوش عديدة من طلقات في الرقبة . وبعد تضميد النجم ،عَلِم معله بوجود مصاب آخر ، ويقول "وجدت شاباً اصفر الوجه نحيف يرتدي دشداشة بيضاء فسألته ما بك ؟ قال : عندي طلقة في رجلي . وبعد فحصه وجدت جرحاً على الساق لم يصل إلى العظم ، واخبرني انه أخرجها بموسى الحلاقة في الليل وكان هذا الشاب هو صدام التكريتي ، فضمدت جرحه وذهبت لجلب لقاح وجرّاح" . وذهب د.تحسين معله إلى د.خلدون درويش لطفي (بعثي) وكان رئيس الأطباء المقيمين وطلب منه اللقاح فتخوف وعاتبه ورفض المساعدة. فذهب معلة إلى د.عزت مصطفى وحصل منه على حقنتين ضد الكزاز حقنهما لسمير وصدام ثم انصرف باحثاً عن د.عبد اللطيف البدري (جراح بعثي) فوجده مختفياً في دار أخته في المأمون الذي رافقه إلى الوكر لكنه قرر صعوبة إجراء العملية . هنا ترك د.معلة المكان وكان فيه أياد وغانم عبد الجليل وحاتم حمدان والشيخلي والزيبق وآخرين . وعندما أُلقيّ القبض على معلة أنكر كل شيء فأُفرِجَ عنه بعد عشرة أيام بكفالة ، وبعد عشرة أخرى اعتقل لمواجهة سمير النجم الذي قد اعترف عليه[1].

معرفتـــهم بتوجهاتنا السياسية.

وفي هذه الأثناء جرى تسريحي من الجيش ، و استدعاني آمـــر الجنـــاح الفـــني وقـــال لي: سيسحلونك إذا بقيت هنا والمحرضون كثيرون!! وفي اليوم التالي نشر أمر تسريحي وإلقاء القبض عليّ. وعندما ذهبت إلى الدار وجدتـــها محاصرة وتعاني من مضايقة الشيوعيين المنتشرين في كل مكان.

آنذاك بدأنا نبحث جدياً في التنفيذ المستعجل لخطة الاغتيال، ورغم معارضتنا فـــأن القـــرار الذي حصل على أكثرية ثلاثة مقابل اثين اكتسب الشرعية وأصبح علينـــا الالـــتزام والعمـــل بإخلاص لتنفيذه[1].

---

١ ـــ لم تكن محاولة اغتيال الزعيم في رأس القرية أول وآخر محاولة يتعرض لها وتستـــهدف حياتـــه فقـــد سبقتـــها وتلتـــها محاولات ومشاريع محاولات كثيرة أهمها:

أولاً: مشروع لاغتياله عند زيارتـــه مدينة كربلاء المقدسة بمناسبة إحتفالات ١٤ تموز، وتمّ بالتنســـيق مـــع المكتـــب العسكري للبعث على أن تتحرك بعد اغتياله قوة لاحتلال وزارة الدفاع من الداخل، والاستيلاء على السلطة، وألغيـــت الخطة لكثرة الجماهير التي أحاطت بـــه خلال الزيارة.

ثانياً: محاولة اغتياله عند زيارتـــه مدينة الصويرة خلال إفتتاحه مشاريع عمرانية وتعليمية فيها لكنـــها ألغيـــت لنفـــس السبب السابق.

ثالثاً: مشروع لاغتياله من قبل البعث في ١٩٦٢/١١/٢٣ عند إفتتاح سد دربندخان جنوب مدينة حلبجـــــة، ينفـــذه الطياران الملازم واثق عبد الله والملازم خالد محمد نوري بإشراف حردان التكريتي، و لم تنفذ لمصادفات غريبة تتعلق بصلة القربى الوثيقة بين سائق طائرة قاسم والطيار المكلف بإسقاطها، في حين ذكر الفكيكي إن العملية لو تمـــــت لأدت إلى تدمير سد دربندخان[2].

رابعاً: وضع حزب البعث خطة لاغتياله خلال لقائه بالرئيس السوري ناظم القدسي في منطقة (الرطبـــــة) الحدوديـــة، وأستـــهدف قصف طائرتـــه عند هبوطها بمطار (اج٣) قرب الحدود السورية، لكن العملية تأجلت بعـــد حســـابات احتمالات النجاح والفشل. ويقول منذر الونداوي انـــه كان صاحب الفكرة، وتكفل بتنفيذها بالتنسيق مع الضبـــاط القوميين في قاعدة الحبانية الجوية وبينـــهم عارف عبد الرزاق الذي اشترط على منذر موافقة عبد الكريم فرحان وعنـــد الاتصال بفرحان اشترط بالمقابل حضور عارف عبد الرزاق إلى داره وإعلان موافقتـــه الشـــخصية. وحينـــذاك أدرك الونداوي بأن كليهما لايرغبان بالمساهمة أو التعاون ولذلك تحجج كل منـــهما بموافقة الآخر شرطاً لموافقتـــه، فتأجلت العملية[3].

خامساً: محاولة اغتياله عند زيارتـــه لمعمل الأحذية الشعبية في الكوفة، في سياق زيارتـــه لمدينة النجف الأشرف في ١٦ تموز ١٩٦٢ ، على أن تتبعها تحركات في بغداد، و لم تنفذ لوصول معلومات عنـــها إلى أجهزة السلطة.

سادساً: مشاريع فردية كثيرة بينـــها مشروع لاغتياله من قبل مدحت الحاج سري، لكن الأخير هرب إلى سوريا بعـــد محاولة الاغتيال في رأس القرية وورود إسمه في التحقيقات وبعد سنتين من هربـــه كلف عبد الكريم قاسم أخيه اللـــواء فائق الحاج سري بالسفر إلى دمشق واعادة مدحت، فسافر وعاد برفقتـــه إلى بغداد. وهناك أعمال ومصادمات كثـــيرة جرت بينـــها اعمال فردية قامت بـــها منظمات البعث في بغداد وبعض المدن الرئيسية كالموصل والناصريـــة والحلـــة والنجف، إنتقم فيها بعثيون من شيوعيين بضربـــهم بأسلحة غير نارية، الهدف منـــها الردع والانتقام من التحريـــض والمحاصرة الاجتماعية[4].

وكان فؤاد الركابي رحمه الله صريحا وصادقا في كل شئ ولا يخفي عنا خططه،وأخبرنا بأدق تفاصيل الخطة التي اعتمدت على رصد عبد الكريم قاسم وحساب خروجه وعودته إلى الوزارة، وخاصة عند مغادرته إلى داره في الكرادة الشرقية بين الخامسة والسادسة عصرا. وعلى الطريق في منتصف شارع الرشيد كانت هناك شقة للمحامي حازم البكري استخدمناها مركزا لمراقبة عبد الكريم قاسم ، ويتواجد فيها الفريق الذي سينفذ العمليه، وتم اختيار أفراده وأعدادهم من قبل عضو القيادة القطرية خالد علي الصالح وساعده مدحت إبراهيم جمعة خصوصا في نقل السلاح إلى الشقة المذكورة .

التنفيذ بأسلحة مصرية

ناقشنا في القيادة القطرية أسماء مرشحي تنفيذ عملية اغتيال قاسم واحداً واحداً، وليس صحيحا إن فؤاد الركابي انفرد في اتخاذ القرارات . أما إذا قصد بفرديته عدم إبلاغ القيادة القومية، فهي لم تكن موجودة عمليا . وقد قال لي حين سافرت إلى دمشق ثم بيروت ، قبيل العملية بأيام: يا طالب أرجو أن لا تخبر أحدا ، آمرك أن لا تخبر أحدا ، فإذا نجحنا في التنفيذ والاغتيال فسيكون السر معك ، وإذا فشلنا فسيموت السر معك . وأضاف: انه لم يبلغ الجمهورية العربية المتحدة بموعد العملية رغم معرفتها بنيتنا القريبة . وحينذاك لم يكن مسموحا لأحد منا ـــ أعضاء القيادة القطرية ـــ الاتصال بمصر إلا عبر فؤاد الركابي.

وللأمانة أذكر إن بعض الأسلحة التي قدمتها مصر لعبد الوهاب الشواف ، استلمها حزب البعث بطريقة أو أخرى وأوصلها إلى بغداد . وكانت هي أسلحة التنفيذ في محاولة الاغتيال . وقد جاءت إلى الشواف ضمن أسلحة أخرى ومحطة إذاعة سرية من مصر عبر الأراضي السورية في بداية عام ١٩٥٩ بإشراف مباشر من عبد الحميد السراج وتم تنسيق الأمر مع السفارة المصرية من قبل فؤاد الركابي للحصول على بعض ذلك السلاح ، وكانت السفارة تعلم علم اليقين بما نخطط له .

كما علمت إن هناك مبلغ عشرين ألف دينار أو جنيه مصري قد استلمها الحزب لتمويل وإدامة نشاطه وأعمال التحضير للعملية ، خصوصا وان حاصل جمع الاشتراكات الحزبية كان غير كاف ويتم بطريقة عسيرة في ذلك الجو الإرهابي الذي كنا نعيشه. فقد كان مجرد الاتصال أو عقد الاجتماعات الحزبية أمراً في منتهى الخطورة.

آثار المحاولة

وصلت بيروت وكنت اعلم علم اليقين أن المحاولة ستنفذ في رأس القرية بشارع الرشيد. وأن

عملية أخرى ستجري بعد اغتيال قاسم للسيطرة على وزارة الدفاع من الداخل، يتعاون فيها الضباط البعثيون المبلّغون مع الضباط القوميين ويتجاوب معهم الفريق نجيب الربيعي الذي سيحل مباشرةً وبصورة روتينية محل عبد الكريم قاسم.

صممت أن لا اخبر القيادة القومية ولا المؤتمر القومي الثالث المنعقد في بيروت ولا حتى القيادات الجديدة التي سينتخبها المؤتمر بما يُحَضِّر له الحزب في العراق. وقد انتخبني المؤتمر عضواً في القيادة القومية، مسؤولاً عن شؤون أمانة السر، وهو منصب يعني المسؤولية عن جميع صلات الحزب بفروعه في الأقطار العربية والأوربية، ويعادل ما اتفق على تسميته فيما بعد بمكتب التنظيم والاتصال القومي، وأصبح المرحوم خالد اليشرطي مسؤولاً مالياً . كما انتخب لعضوية القيادة القومية الجديدة مدحت إبراهيم جمعة وفؤاد الركابي وفيصل حبيب الخيزران . وبقينا أنا وفيصل في بيروت في حين سافر فؤاد ومدحت إلى القاهرة.

حينها بدأت تتسرب تفاصيل عن محاولة الاغتيال الفاشلة وورود اسمي في محكمة المهداوي فأصرت القيادة القومية أن أبقى في بيروت ريثما تتكشف الأوضاع ، ويتقرر ما يمكن فعله على المستوى التنظيمي في العراق . وكان فؤاد الركابي قد استقر في القاهرة في حين لجأ عدد كبير من قيادة الحزب إلى سورية بعد أن ساعد وجود جثة عبد الوهاب الغريري التي خلفها الهجوم ضد قاسم وراءه على كشف هوية الفاعلين[1].

استدعاني ميشيل عفلق وكنت حينها معاونه الأول بوصفي مسؤولاً عن مكتب الأمانة

١ـ أحيل ٥٧ متهماً إلى محكمة المهداوي التي انعقدت في ١٩٥٩/١٢/٢٦ ، حوكم منهم ٢١ متهماً غيابياً وصدرت بحقهم أحكام بالإعدام والسجن ، وبينهم اياد سعيد ثابت واحمد طه العزوز وسليم عيسى الزيبق وعبد الكريم الشيخلي وحاتم حمدان العزاوي وطه ياسين وصدام التكريتي وياسين عبد الجبار السامرائي وفاضل عبد الغفور وخالد علي الصالح وعلي حسون وتحسين معله وكريم شنتاف وحازم البكري وعبدالله الركابي وجاسم قره علي واحمد مرعي ويسرى سعيد ثابت، وصدرت الأحكام بتاريخ ٣١ اذار ١٩٥٩. وتنازل عبد الكريم قاسم عن حقه في تنفيذ الأحكام الصادرة، فجاء بعده بسنوات صدام التكريتي لينفذ قرار الموت بشركائه فقتل قائد المحاولة فؤاد الركابي بعد اتهامه بالتجسس لصالح امريكا، وقتل سعدون البيرماني في حادث سيارة أودى بحياة جميع افراد عائلته، ومات الزيبق بظروف غامضة، ويعتقد بالثاليوم، وأغتيل عبد الكريم الشيخلي ونجا سمير عزيز النجم من محاولة قتل مؤكدة عندما أُسقطت طائرته التي مات فيها عضو القيادة القومية السوداني محمد سليمان . وتمكن خالد علي الصالح من النفاذ بجلده والعيش بقية عمره متغرباً في القاهرة واقطار عربية اخرى. ونجا د.تحسين معلة من عملية تفجير سيارته في الكويت ويعيش الآن منفياً . وقضى احمد طه العزوز جلّ سنوات عمره بين السجن والخوف من غضب رفيقه وقتل غانم عبد الجليل برصاص رفاقه واقاربه وقضى طالب الشبيب سنوات طويلة حتى الموت في الغربة ، ويعيش عبد الله الركابي منذ أكثر من ربع قرن لاجئاً سياسياً . ويذكر ان صدام حسين أُلحِقَ متأخراً في العملية بسبب تغيب أحد المكلفين بالتنفيذ، وكان حينها نصيراً لم يكتسب عضوية الحزب العاملة.

وفي مقابل انتقام صدام من شركائه في العملية ، كان عبد الكريم قاسم قد تنازل عن حقه وابقى عليهم الحق العام فقط متجاوزاً على نفسه وعلى سائقه المغدور، وعلى مرافقه قاسم الجنابي بعد ان قدم الاعتذار للجنابي ولعائلة السائق.

في الحزب، وسأل: هل تعلم شيئاً عن محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم؟ قلت: نعم، وأعلمته بالخطة كاملة وبأسماء المنفذين والمدبرين ودور الضباط البعثيين والقوميين المحتمل في حالة نجاح المحاولة. وأبلغته بمشاركتي في بعض أعمال الأعداد للعملية رغم معارضتي لها، وقلت له: إن احتفاظي بالسر كان بسبب تعليمات مشددة من القيادة القطرية العراقية، وقد كنا مقتنعين بضرورة عدم إبلاغ أحد لخطورة الأمر ولغياب وجود القيادة القومية عملياً.

لقد صدقت أسوأ ظنوني، فبعد ضرب عبد الكريم قاسم في رأس القرية ، لم يذهب الضباط البعثيون والقوميون إلى وزارة الدفاع ، بل ذهب إليها الشيوعيون والقاسميون وسيطروا على كل شيء . ولم يتحرك الفريق نجيب الربيعي ولا اللواء الركن احمد صالح العبدي وإنما ظهرت صورة عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون من المستشفى وخطب منـدداً بالمحاولة وأَشْعَرَ العراقيين بأنه لو سقط لقاد المتآمرون البلاد إلى دمار شامل وتحولت إلى "شذر مذر" ، وحيى الشعب وشكر الجماهير على ردة فعلها المؤيدة له . تلك الجماهير التي خرجت فغطت شوارع بغداد والأحياء والمدن ، وتحول الأمر من نصر لنا إلى شكل احتفالي بالنسبة للنظام ومؤيديه ، وفرصة للملاحقات والاعتقالات والتسريحات من الجيش ودوائر الدولة لكل المشتبه في تعاونهم مع حزب البعث ، وإلقاء القبض على أكثرية كوادره في بغداد اثر اعترافات مجانية صدرت من "شاكر حليوة" الذي أطلق عليه العقيد فاضل عباس المهداوي اسم "مستيقظ الضميرا" [١].

---

١ ـــ انعكست محاولة اغتيال قاسم في ٧/ ١٠/ ١٩٥٩على الشيوعيين ايضاً فوقفوا مدهوشين من امكانية سقوط قاسم المفاجئة باغتيال أو انقلاب عسكري أو محاولة للسيطرة على السلطة من داخل المؤسسة الحكومية المعادية لهم . يقول ثابت حبيب العاني : "شعر المكتب السياسي بالحاجة إلى تنشيط اللجنة العسكرية واعاد الاتصال بنا بعد ان اهمَلَنا خلال الفترة السابقة ، فقمنا بتطهير صفوف التنظيم العسكري (الشيوعي) من الانتهازين والوصوليين والقاسميين من الضباط . ومع استمرار التداعيات الناجمة عن الحملة السياسية والاعلامية ضد الشيوعيين برزت فكرة السيطرة على السلطة" ، واضاف يقول "وكان من ابرز الداعين إلى ذلك الزعيم جلال الاوقاتي الذي قامت خطته على فكرة الاستيلاء على وزارة الدفاع ، فالذي يستولي عليها يستولي على السلطة " ، واضاف العاني ان جلال الاوقاتي قال : "لو أصبح عبد الكريم قاسم سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي ، لازم نـزيحه لانه سوف يدمرنا ويدمر نفسه" وقال الاوقاتي "لدينا القوة الجوية ويتطلب الامر لواء مشاة " فأجبته "لدينا لواء ٢٧ الموجود في الوشاش، وكان آمره الزعيم الركن حميد امين (شقيق المدعي العسكري العام ماجد محمد امين) وهو قاسمي، ولكن هناك رفاق على رأس الافواج مثل العقيد الركن عبد الرضا عبيد آمر الفوج الأول والعقيد إبراهيم الجبوري آمر الفوج الثاني والمقدم غازي دخيل آمر الفوج الثالث والمقدم الركن علي خالد ضابط ركن اللواء . . " وعلق الاوقاتي "مطلوب حركة جماهيرية أو اضرابات أو مسيرة نقوم خلالها بأعتقال قاسم ونجبره على التوقيع على التنازل ثم نرسله إلى احدى الدول الاشتراكية"[5].
وحينها قدّم العاني تقريراً للمكتب السياسي للحزب الشيوعي قال فيه يوجد لدينا في الجيش العراقي "خمسة آلاف ضابط منهم خمسمائة ضابط بين ملازم وزعيم منتظم في الخلايا واللجان الحزبية ، والف ومائتي ضابط اصدقاء يدفعون تبرعاً شهرياً" وتضمن التقرير وجود ثلاثة آلاف جندي اعضاء في الحزب الشيوعي[6]. لكن المكتب السياسي انتقد تقرير اللجنة العسكرية لانها لم تُقدِر انّ حكم عبد الكريم قاسم وطني ووصف التقرير اللجنة العسكرية بالمغامرة التي تستهين بالجماهير.

تأثر جهازنا الحزبي بمحاولة الاغتيال سلباً وإيجاباً : سلباً على شكل اعتقالات وتسريحات وهرب إلى الخارج . و لم يكن الأثر الإيجابي محسوباً ، فقد فوجئنا بأن فشل العملية كان أكثر أهمية لنا من نجاحها ، لأنها لو نجحت لاستلم الشيوعيون السلطة بصورة تلقائية ، إذ لا يوجد بديل عنهم لكن الفشل أبقي على حياة عبد الكريم قاسم فترة من الزمن كانت كافية ليحصل تغير خلالها في مزاج الشارع العراقي ، وليستعيد القوميون نشاطهم ، تدفعهم في ذلك مشاعر الاستفزاز والتحدي خصوصاً بعد أن وقفت مجموعة من شباب البعث بصلابة في قاعة محكمة الشعب مثل أياد سعيد ثابت وأخته يسرى وخالد علي الصالح وسليم عيسى الزيبق ، مما استثار النخوة والشجاعة وروح التحدي لدى البعثيين وأدى إلى انعطافة لم يسبق لها مثيل بالنسبة إلى حركة سياسية صغيرة عددياً وعمرها قصير نسبياً كمنظمة البعث في العراق، فازداد تعاطف التيار القومي واحترامه للبعث وقيادته ووثقوا بقدرته على المبادرة ومواجهة نظام قاسم[1].

---

١ ـ استغل البعثيون شد الاعصاب فضربوا في رأس القرية قبل تسلل التراخي إلى جسد حزبهم . لكن المحاولة اتضحت بعد فشلها انها كانت من نوع "اضرب واهرب" و لم تكن مشفوعة باعمال تهدف إلى السيطرة على السلطة. مما دعا القيادة القومية للحزب إلى ادانة قيادة (فؤاد الركابي–خالد علي الصالح) . وفي آب ١٩٦٠ انعقد المؤتمر القطري لحزب البعث وقرر بالإجماع ما يلي "ان المؤتمر القطري يعلن عن شجبه للاغتيال السياسي ويقرُّ ان محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم من قبل القيادة القطرية السابقة ، انما هو خرق لعقيدة الحزب ، وانحراف عن اسلوبه الانقلابي الشعبي ، والمؤتمر يؤيد كل ما جاء في بيان القيادة القومية حول الموضوع".

لكن الجرأة التي اظهرها شباب البعث داخل محكمة الشعب اوضحت بصدق تمسكهم بعقيدتهم الحزبية السياسية ، واظهرت البعثيين أمام الرأي العام العراقي بمظهر الشبان الشجعان المخلصين لأفكارهم وشعاراتهم حول الوحدة العربية واستعادة امجاد ومكانة الدولة العربية الاسلامية . وانهم طراز خاص من المتهمين الذين لم تعهدهم محكمة المهداوي ، لأن جميع مَن حاكمتهم سابقاً نفوا التهم الموجهة اليهم أو اعلنوا ندمهم على الانخراط في المؤامرات . لكن هؤلاء دافعوا بثقة عن عقيدتهم وانتمائهم ، وتحدث بعضهم عن واجبه القومي في توحيد الامة العربية ، وتحولت المحاكمة إلى نزال استطاع من خلاله البعثيون ولأول مرة ان يعلنوا على الملأ آراءهم ، فلم يظهروا كطلاب سلطة بل اصحاب موقف ومبادئ . وقد عاملهم المهداوي باحترام وباسلوب مختلف عن طريقته المهينة التي تعامل بها مع رجال العهد الملكي أو المتآمرين على حكم قاسم أو أولئك الذين ارتكبوا جرائم ضد سجناء سياسيين . واستطاع البعثيون ان يتميزوا عن الشيوعيين باهتماماتهم القومية وبشعارات الامة الخالدة ، وعن القوميين العرب والناصريين بطرحهم فكرة التلازم بين الفكر القومي والاشتراكي ، واعطوا، نظرياً، حق المواطنة لكل ساكن على الارض العربية ومخلص لوحدتها وقوتها . وربما يكون ظهورهم الشديد اكسبهم عداوة الملايين من محبي عبد الكريم قاسم لكنه اعطاهم مئات المعجبين الاشداء الذين انتموا للحزب وهم يعرفون انه مدرسة شجاعة ومقاتلة ، فكانوا القوة التي انتصروا بها فيما بعد . فقد كانوا فئة قليلة لكنها متماسكة وبأمكانها التغلب على كتل بشرية كبيرة فاقدة للاتجاه وبقيادة مرتبكة. لكن محاولة الاغتيال علمت البعث بأن القوة وحدها لاتكفي وان النصر يتطلب التخطيط والعمل داخل القوات المسلحة، وهو ما ستركز عليه قيادة السعدي الجديدة . ويذكر ان القيادة القومية للبعث اصدرت بياناً في ١٩٦٠/١/١٣ ورد فيه "ان تمادي قاسم في اغتيال قادة الشعب والجيش والشباب العقائدي في العراق عن طريق السحل في الشوارع دون اتهام أو محاكمة . . . هو الذي دفع قسم من الشباب الوطني للدفاع عن النفس بهذا الاسلوب"[7].

ورغم الشقوق التي ظهرت في الجدار القومي بسبب الخلاف بين عبد الناصر وحزب البعث فقد استعدت قوى التيار القومي في العراق لوضع البعث في طليعتها في المعركة المصيرية ضد النظام وضد الشيوعيين العراقيين في الشارع وفي قاعة محكمة الشعب علناً وبإرادة ذاتية عراقية لا تعتمد في اختياراتها الأساسية على اية جهة خارجية.

ومن حسن الحظ كان علي صالح السعدي وحازم جواد خلال الإعداد للمحاولة معتقلين، وقد أطلق سراحهما قبيل تنفيذها ، فلم يتمكنا من الاشتراك بها أو حتى الاتصال بالحزب ، وبالتالي لم يرد إسماهما في التحقيقات والاعترافات الواسعة . فتمكنا من عبور الحدود إلى سوريا ثم العودة إلى العراق والانكباب على إعادة بناء تنظيم الحزب بعد أن تهدمت هيكليته وتحول الجميع بين هارب أو معتقل أو مختفٍ.

لكن عبد الكريم قاسم قدّم إلينا بتراجعه عن تنفيذ أحكام الإعدام بالفريق الذي حاول اغتياله فرصة ذهبية جديدة. فقد فهم مؤيدو حزبنا تراجعه ذاك ضعفاً له وقوةً لنا ، وبدورنا استثمرنا تلك الفرصة إلى ابعد الحدود[1].

---

١ ـ بعد منتصف ليلة ١٣/٣/١٩٦٠ القى قاسم خطاباً قال فيه: "ان تمسكنا بالوحدة الوطنية يخدم الجمهورية ويعزز مكانتها بين الدول ويجعلها سنداً للدول العربية" وقال " لايحيى العرب والاكراد والتركمان الا بالتكاتف مع بعضهم وبالدفاع عن كيان الوحدة العراقية الصادقة . اتركوا الطيش ويجب ان تسيروا وراء التفكير العميق" وتساءل "ارأيتم أولئك الذين تصدوا لي في الطريق ؟ هل كانوا يسيرون بأسس يقبلها ضميركم ؟" وذكر مرافقه : "ان الله حفظه فهو شاب اشترك معي بأخلاص ليلة الثورة" . واعتذر لعائلة سائقه المقتول كاظم عارف قائلاً "الله يرحمه ويقتص من اجله . . لقد اعتدوا هؤلاء علينا بوابل من الرصاص والنيران وارادوا ان يجعلوا هذا الشعب يتقاتل مع بعضه فتسيل البرك من الدماء" وقال "ان القانون يحفظ مصلحة الجميع . . انكم عندي سواء . وان هؤلاء الذين إعتدوا عليّ ، ايها الاخوان ، قد اخبرت رئيس المحكمة العسكرية انني عفوت عن حقي الشخصي ، وليكن حسابهم عن الحق العام وعن قتلهم السائق، ولتكن الرحمة فوق العدل كما اخبرت . ولذلك صدر الامر الوزاري لتنفيذ الأحكام في الساعة الرابعة من هذا اليوم بحقهم وكانوا خمسة وهم: احمد طه العزوز وسليم عيسى واياد سعيد وحميد مرعي وشخص آخر وقد عفوت وخففت عن شخصين لندمهما ولأنني وجدت أسباباً تستدعي الرأفة وكان احدهما قد تصدى لي ورماني ، وربما كان سبباً في مقتل السائق وهو سمير، قد خففت حكمه إلى خمس عشر سنة وخفضت حكم الآخر إلى خمس سنوات بعد ان كان محكوماً بالمؤبد مرتين وهذا محكوماً عليه بالإعدام. كما صدر مرسوم جمهوري رقم ٢٠١ في يوم ٢٦ كذلك لتنفيذ حكم الإعدام بمجرم آخر هو منذر أبو العيس (شيوعي) الذي اعتدى على أحد المواطنين وسبب قتله بصورة وحشية بين جمهرة من الناس" . وقال "بعد ساعتين ونصف تقريباً ستنفذ أحكام الإعدام وانني اقول : ان الشخص الصالح هو الذي لا يعتدي على الآخرين ولكني ايتها الاخوات وايها الاخوان وجدت أن هذه الحادثة كانت موجهه اليّ بالذات وانني فرد منكم واسعى من اجل مصلحتكم واعطف عليكم واعطف على جميع ابناء الشعب ووجدت ان هذا اليوم هو آخر يوم من ايام العيد، وهذا اليوم هو اليوم الذي يلي العيد وهو يوم الخميس ، وهذا اليوم هو ليلة الجمعة والايام لدينا مقدسة ، فعليه قررت في هذه اللحظة ان أأتمر بأمر الباري عز وجل {اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} فقررت تأجيل تنفيذ حكم الإعدام حتى اشعار آخر ، وقد تكون هذه عبرة لمن اعتبر والسلام عليكم ايها الاخوان وارجو الله ان يوفقكم ويكلل جمهوريتنا وينصرها بعز من عنده والله يوفق والسلام عليكم".

الركابي بين ناصر وعفلق

وقف الركابي حائراً بين عبد الناصر وميشيل عفلق ، لكن المسافة التي كانت تفصله عن ناصر اقرب بكثير منها بينه وبين عفلق . ورغم الظروف السيئة المحيطة بحزب البعث في العراق إلا أن الوجود العراقي في جسم الحزب القومي كان قوياً ومؤثراً خصوصاً وان الحزب في سورية مازال منحلاً بإرادة عفلق وربما عبد الناصر . وكان ذلك في عام ١٩٥٩ وهو نفس عام محاولة اغتيال قاسم وكان اكرم الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ومصطفى حمدون وعبد الغني قنوت وصلاح الدين البيطار وزراء ، وكان الرئيس الأسد هناك في القاهرة ضمن القيادة العربية المشتركة، لكن حزب البعث (شريك عبد الناصر في الوحدة) ظل معزولاً عن اية ممارسة فعلية للسلطة وربما كان ذلك بسبب انعدام الود بين ناصر وعفلق ، وأعتقد أن ناصر حرص لهذا السبب في مباحثات الوحدة أن يقول لعفلق : أنني لم أعرفك و لم أرك من قبل و لم أتعاط إلا مع اكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار ، فأنت يا ميشيل أين كنت ؟

وعلى العكس من ذلك اندفع عبد الناصر متجاوباً مع البعث في العراق ، يعطيه كل دعم ومؤازرة ويظهر له الود التام . واعتقد أن ذلك كان السبب وراء النفور الذي سيطر على العلاقة بين الركابي وعفلق .

وفي ما يخص شخصية فؤاد الركابي الذي يعرف القارئ انه اغتيل فيما بعد في السجن بعد أن حكمت عليه سلطة (البكر-صدام) بثلاث سنوات حكماً جزافاً . وبعد أن قضاها وحان وقت إطلاق سراحه دسوا له شخصاً قاتلاً ليقطع وريده بسكين ويُترَك ينزف بدون إسعافٍ لمدة نصف ساعة كانت كافية لكي يفارق الحياة .

كان الركابي، رحمه الله، دمثاً ودوداً صريحاً ومثالاً في رباطة الجأش وفي تشجيع المناضلين على مواصلة المسيرة مهما كانت الصعوبات.

وبغض النظر عن اختلاف مسيرتنا في ما يخص بقائي في حزب البعث في حين أسس هو تنظيماً بديلاً بإسم الوحدويين الاشتراكيين ، فإني بقيت وما أزال أكن له محبة واحتراماً وأقرُّ انه كان قدوة في الشجاعة بين قادة البعث ، وهذا الأمر يصدق على علي صالح السعدي وحازم جواد .

كان الركابي، كما علي وحازم، عقلانياً ومؤمناً بالحزب ، يعتني ويدافع عن حياة كل عضو فيه و لم يطلب من أي حزبي القيام بعمل لا يكون هو مستعداً للقيام به . وهكذا كانت المسيرة البعثية التي تميز بها تنظيمنا في العراق .

وكان الركابي ضد قرار حل الحزب في سورية مَثَلُهُ في ذلك مثل ٩٩٪ من البعثيين العراقيين وفي ذلك يكمن سر عدم ودهم لميشيل عفلق . وتلك العداوة انعكست على واقع التنظيم الحزبي

في العراق ، وجعلت تدخلات عفلق فيه سلبية خصوصاً في تلك المرحلة التي لجأ فيـــها عـــدد كبيـــر من البعثيين العراقيين إلى سورية، إثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في ١٩٥٩[1]. تلـك التدخلات التي ستؤدي في النـــهاية إلى ميل عفلق وتشجيعه إلى نوع من البعثيين سيســـلكون مستقبلاً مسيرة سوداء بمباركتـــه وستكون نـــهايتـــها المنطقية والعملية أن يقع الحزب فريســـة بين يدي صدام حسين ويضطر عفلق إلى الاستسلام له والعيش بكنفه والتخلي عن رغبة الهيمنة التي طالما حرص على التمسك بـــها.

---

١ ـــ كان عضو القطرية مدحت إبراهيم جمعة، وهو مشارك ومُخَطِط للعملية ، أول الواصلين إلى ســـوريا[8] وبعـــده بأيام وصل عبد الكريم الشيخلي وكان تلميذاً في الكلية الطبية ومشاركاً في العملية ، ثم فيصل حبيب الخيزران وعبـــد الستار الدوري وشفيق الكمالي وفالح المحول وفؤاد الركابي وعلي السعدي وحازم وجواد وعبد الله الركابي وشـــكري الحديثي واحمد العزاوي وفاضل الشاهر وفاتك الصافي وصدام التكريتي وهاني الفكيكي ، وكان شبيب قد ذهـــب إلى دمشق قبل التنفيذ بأيام لحضور المؤتمر القومي الثالث . ورغم كل شيء لم تؤد محاولة الاغتيـــال إلى حملـــة شـــاملة تستـــهدف كل منتسبي البعث ، بل اقتصرت على المساهمين الفعليين وعلى من ترد اسماؤهم في التحقيق سواء كـــانوا مشتركين ام غير مشتركين في المحاولة ، لكنـــها لم تتحول إلى ذريعة لتصفية حزب البعث أو إلى اعلان حله . ويذكـــر ان مكتباً بإسم "مكتب العراق" تأسس بدمشق برئاسة السعدي وعضوية شبيب والخيزران[9]. وقد سبق محاولة الاغتيال إرسال عدد من المنفذين إلى خارج العراق بينـــهم عبد الكريم الشيخلي لغرض التدريب على استخدام السلاح وتدريـــب آخرين في مكان ناءٍ من منطقة الفرات الأوسط.

مراجع:

[1] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق ١٩٩٥.
[2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، تجربتي في حزب البعث في العراق، دار الريس للنشر، لندن وقبرص،١٩٩٣، ص ٢١٥.
[3] صالح الجبوري، ثورة رمضان ١٩٦٣ في العراق، صفحة ١٢٨. وعبد الكريم فرحان، حصاد ثــــورة، دار البراق ١٩٩٣، لندن، ودمشق.
[4] عارف عبد الرزاق، مقابلة، لندن ١٩٩٨.
[٥] طالب عيسى القابجي، مقابلة، ميونيخ، ١٩٩٠.
[6] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد الثامن سنة ١٩٩٥، ص ٢٠.
[7] ثابت العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠.
[8] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، ص ٣٦.
[9] هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ١٤٠.
[10] حنا بطاطو، العراق، الجزء الثالث ــ الشيوعيون والبعثيون، مؤسسة الأبحاث العربية، بــــيروت ١٩٩٢، ص ٢٨١.

المؤتمر القومي الثالث

قدمت نفسي للآمر بعد أداء التحية العسكرية بكل النشاط المعهود لضباط الاحتياط ، فـرد التحية العسكرية وطلب إليّ الجلوس قائلاً : انك ستكون مسؤولاً عن أربعين فنياً من بـراد إلى حداد وقادح ، وجميعهم درس في احسن الثكنات والمعاهد البريطانية ، وستستعرضهم صبـاح كل يوم بالإضافة إلى سرية جنود ومراتب ، ومسؤولي مخازن وستكون مسؤولاً عـن صيانـة وإدامة طائرات الفيوري Fury والسبايت فاير Spit Fire (قاذفات اللهب) . فارتبكت وقلت: لم أرَّ في حياتي طائرات من هذا النوع ، وسألتـه : كم طائرة لدينا من الفيوري ؟ فأجـاب : صفر . فسألت: وكم من السبايت فاير ؟ أجاب : صفر . فقلت : ماذا سأعمل إذن ؟ قـال: سأعطيك عمل لثلاثة اشهر وبعدها تأتينا لعمل آخر ، فأذهب الآن لاستعراض جنود السَـرية والفنيين صباح كل يوم وقم بالإجراءات العسكرية الروتينية كالتثبت من الحضور وأداء السـلام العسكري وإبلاغ النائب الضابط المسؤول عن المستودعات ، وهي كثيرة ، أن يعيـد جـرد موجوداتـها ويوزع السَرية حسب ما هو موكل إليها في حالة إعادة الجرد الاعتيادية، وقـم بجولة معهم ثم عُدْ إلى مكتبك لتستلم منـهم تقريراً يومياً وأسبوعياً حول أعمال الجرد.

وهكذا بدأت دوامة العمل في المعسكر تدور. وعلى بعد ستمائة متر من مقرنا كان هنـاك حاجز وأسلاك شائكة تقف خلفها أول دفعة من طائرات الميغ الروسية التي كنا ننظر إليها مـن بعيد بإعجاب وفرح ولكن لم يكن لأحد منا حق الاقتراب منـها، بمـا في ذلـك الفنيـون، وحينذاك فقط فهمت سر المسؤوليات الوهمية التمويهية التي أسندت إليّ.

الهرب سبباً لحضور المؤتمر

بعد حركة الشواف وأحداث الموصل نُصِّبتُ عضواً في القيادة القطرية وأعطـاني الحـزب واحدة من السيارات الثلاثة التي كان يملكها للتنقل وأداء المهمات مستغلاً بدلتي العسكرية الـتي تمنح إلى حماية والصيانة.

ولم يمضِ وقت طويل حتى فوجئت باستدعائي من قبل الآمر الذي سألني: هل لديك سيارة؟ قلت نعم قال خذها وغادر المعسكر حالاً فقد وصلنا أمراً بتسريحك وسيعلق بعد نصف سـاعة على لوحة الإعلانات وسيقرأه الجنود ، قلت سيدي لدي راتب وملابس وإجراءات تسليم قال انج بنفسك وانس كل شيء قبل أن يستلموك ويسحلوك.

غادرت المكان فوراً إلى الدار وهناك غيرت ملابسي العسكرية وانطلقت إلى فؤاد الركـــابي الذي اخبرني بعدم وجود مكان آمن لحمايتي وان الحزب كله يتعرض بعـــد انـــــهيار محاولـــة الشواف للمطاردة. وأشار عليَّ بضرورة الخروج إلى سورية أو لبنان. وكان ذلك ممكناً بسهولة لحصولي في وقت سابق على ختم موافقة سفر عسكرية مع عائلتي إلى بيروت للدخول والخروج لمدة عام كامل، بسبب حالة زوجتي الصحية التي تتطلب علاجاً في الخارج وكـــانت تحمـــل جنسية بريطانية، وذلك يعفيني من مراجعة دائرة الجوازات، ولا تستدعي غير قطع تذكرة السفر والصعود إلى الطائرة، وحصل ذلك فعلاً ورافقني ثلاث ضباط من بينـــهم العقيد الجنابي لكـــي يجنبوني المضايقة والتفتيش.

قال لي فؤاد : ستكون فرصة لحضور المؤتمر القومي الثالث المزمع انعقاده في بيروت وليـــس لدينا القدرة المالية لإرسال مندوبين، وتستطيع الاحتفاظ بمبلغ الاشتراكات الموجـــودة لديـــك (وكانت ١٢٧ ديناراً) فهي كافية للنقل وتكاليف إقامة مؤقتة ورفاقنا في بيروت سيتولون أمرك بعد ذلك، وافضل أن تخرج بالطريقة التي تراها مناسبة، ولو كانت لدي مبالغ أكثر لأعطيتك.

وطلب مني عهداً أن لا اخبر أي شخص، مهما كان، بقرار الحزب اغتيال عبد الكريم قاسم. وقال سيكون مرشحي الحزب لعضوية القيادة القومية أنت ومن يختاره ويرشحه الآخـــرون، وإذا تمكنا من الحضور سنتفاهم حول كل الأمور.

وحينذاك علمت من أقاربي بصدور أمر الانضباط العسكري بإلقاء القبض علــــيّ بصفـــتي ضابطاً، ومرةً أخرى استعنت بالمقدم خلف الجنابي وهو صديق لجلال الأوقاتي الـــذي أمَّـــن لي خروجاً سليماً إذ نجح بتأخير وصول أمر القبض عليّ للمطار إلى ما بعد إقلاع الطائرة، وكـــان أمر إلقاء القبض مبرقـــاً إلى جميع الوحدات العسكرية بوصفي ضابطا في الجيش.

انعقاد المؤتمر والاستقالة من الوحدة

انعقد المؤتمر القومي الثالث للبعث العربي الاشتراكي في بيروت في أجواء تتجاذبـــها قضيتان متعاندتان. الأولى الرغبة في إعادة الاعتبار التنظيمي للحزب عن طريق دعوة مندوبين من كافـــة فروع الحزب القطرية والشعب والفرق المنتشرة داخل وخارج الوطن العربي (عـــدا ســـورية)، والخروج بقيادة قومية قادرة على إقامة علاقات فعالة مع كافة فـــروع الحـــزب وقياداتـــــه. والثانية: الخروج بموقف يساعد على حفظ قدرة الحزب وبنفس الوقت لا يؤدي إلى إغضـــاب جمال عبد الناصر، فقد سجلت تلك المرحلة احتكاكاً شديداً بين عبد الناصر وقيـــادة البعـــث القومية خصوصاً حول المشكلة التنظيمية في سوريا. وكانت مباحث عبد الناصر قد حـــاولت كسب العديد من فروع الحزب ورجاله بوسائل مختلفة، وفي المقابل سجل اشتراك ميشيل عفلق في المؤتمر القومي استثنـــاءاً أو تحدياً لقرار حل الحزب في سوريا، وكان هناك عدة تيـــارات في

النظر لهذه المسألة داخل المؤتمر، الأول: يرى أن حل الحزب كان خطأً تاريخياً لأنه عمود الوحدة الفقري والفكري والتنظيمي وهذا ما كانت تميل إليه أكثرية قواعد الحزب في كل أنحاء الوطن العربي والمنظمات البعثية المقيمة في أوربا. والغريب أن ميشيل عفلق الذي بدأ بقرار حل الحزب انتهى إلى الميل لهذا التيار وحرض على أهمية إعادة التنظيم باية طريقة كانت. الاتجاه الثاني: ويقوده فؤاد الركابي وعبد الله الريماوي مسؤول الحزب في الأردن ويرى أن قيام الوحدة العربية تستدعي حل حزب البعث والأحزاب المماثلة في كل مكان من الوطن العربي يلتحق بالجمهورية العربية المتحدة.

وكان هناك اتجاه ثالث يقف رافضاً لكلا الاتجاهين وبين مريديه بهجة أبو غربية الذي قال: "ليس علينا حل الحزب ولا ندخل في خصام مع عبد الناصر" لكنه لم يقدم اية فكرة عن كيفية معالجة الموقف، ووقف منيف الرزاز مع بهجة أبو غربية في حين وقف العراقيون جميعهم عدا فؤاد الركابي ضد حل الحزب واكتسبنا في هذا المجال وضوحاً كاملاً وأُطلق علينا اسم "الكتلة العراقية" رغم مساندة أردنيين وفلسطينيين ولبنانيين لنا[1].

وارى ان المشكلة برمتها كانت مفتعلة من قبل ميشيل عفلق لأنه اتضح فيما بعد بأنه كان صاحب فكرة حل الحزب أو منفذها المقتنع بها. ولو لم يكن مقتنعاً لأمكن التوصل مع عبد الناصر إلى حل وسط لهذه المسألة يضمن قيام الوحدة وبقاء الهيكل التنظيمي للحزب بشكل من الأشكال بعد الاتفاق عليه. وكانت تلك الأفكار والأطروحات التي قسمت البعثيين إلى أجنحة غير واضحة و لم يكن حامليها متأكدين أو واثقين من نهاياتها. ولكن المؤتمر وبسبب تلك الاختلافات وحفاظاً على رضى عبد الناصر وجد في عدم إعادة بناء التنظيم في سوريا بادرةً للتخفيف من أزمة الحزب المتصاعدة معه رغم رغبة أكثرية كوادره في استعادة التنظيم.

---

١ ـ تميز فؤاد الركابي بنفوذ ممتاز وسمعة طيبة وكان أول قائد للبعث في العراق وأول وزير بعثي فيه لكنه مال إلى جمال عبد الناصر فنسق مع الريماوي واختلف مع ميشيل عفلق حول طبيعة العلاقات مع العربية المتحدة. وكانت لغة الركابي قومية عامة بطابع عراقي في حين سادت بعد رحيله لغة ومفردات أخرى سيطرت عليها نكهة أيديولوجية تستمد تحليلاتها ومفاهيمها النظرية من شموليات قومية متمرسة منشأها الأيديولوجيا القومية السائدة بين مفكري سوريا ولبنان. وكان الركابي قد جرّ الحزب إلى محاولة اغتيال قاسم متناغماً مع إرادة الإدارة والمباحث المصرية، وليس معروفاً لحد الآن بدقة دور العسكريين البعثيين والقوميين في تشجيعه لتنفيذ تلك العملية. ومهما يكن فان حزب البعث اتخذ بعد فترة من المناقشات موقفاً واصدر بياناً يحرم فيه الاغتيال السياسي ويؤكد سعيه لتحقيق أهدافه بالنشاط بين الجماهير. لكن خطوة الركابي المرفوضة مبدئياً وبغض النظر عن مضمونها، أدت إلى توسع غير معهود في قاعدة الحزب. وربما كان ذلك بسبب المحاكمات العلنية التي أتاحتها محكمة المهداوي وظهر فيها البعثيون وهم يدافعون عن أنفسهم بأسلوب سياسي جماعي متكافل، وتحدثوا بعض الشيء عن مبادئهم في تحقيق الوحدة العربية ورفضوا إدانة أهدافهم حتى عندما اعترفوا بفعلتهم أو ندمهم على سلوكهم اسلوب الاغتيال.

لكن إجراءنا لم يوقف الاتصالات والمشاورات الجانبية بين البعثيين السوريين بشان اختيار انسب الطرق لاستعادة الهيكل التنظيمي للحزب وقد كسب هؤلاء الرأي العام البعثي داخل سوريا وخارجها، رغم وجود بعض الكوادر المؤيدة للانضواء تحت القيادة الكاملة لجمال عبد الناصر.

وإلى حد ذلك التاريخ لم يحتفظ حزب البعث باية تنظيمات مدنية داخل سوريا عدا المنظمات الحزبية الوافدة والتي تكونت من اللاجئين والطلبة العرب الدارسين في جامعة دمشق ومعاهدها وبينهم عراقيون كثيرون. ورغم عدم خرق البعثيين للشرط الناصري فان الخوف لازمهم من احتمال أن تعتبر أجهزة عبد الناصر الأمنية وجود التنظيمات الحزبية اللاجئة والوافدة إخلالاً أو تآمراً لإسقاط الوحدة . . وقد تحلى البعثيون، رغم عدم قناعتهم بمبدأ حل الحزب، بضبط النفس والصبر حتى لا يقال عنهم انهم أثاروا الصعوبات بوجه نظام الوحدة العربية. و لم يقرروا العمل المباشر لإعادة بناء الحزب في سوريا إلا بعد حلول الانفصال وسقوط الشرط الأول لحل التنظيم. و لم ينفع صبر البعث في سوريا من عدم إلحاق الضرر بالعلاقة مع ناصر وذلك بسبب توقيع الأستاذين اكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار على ما سمي فيما بعد بوثيقة الانفصال، تلك الوثيقة التي كان لها وقع صاعق على كل مواطن عربي وعراقي وبشكل خاص البعثيين، وأدت إلى خلافات وانشقاقات في صفوف الحزب فخرج فؤاد الركابي وشكل تنظيماً ناصرياً بإسم "الوحدويين الاشتراكيين". في حين وقف الريماوي وكان لاجئاً في القاهرة ضد إعادة التنظيم في سوريا وضد استقالة الحوراني (نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة) والوزراء البعثيين الثلاثة.

وفسر حزب البعث استقالة وزرائه بأنها كانت أشبه بصافرة إنذار للحكم الوحدوي الذي ضم مصر وسوريا كي ينتبه إلى خطر السقوط ويصحح مسيرته، وساعده في ذلك أن بعض القوى القومية كحركة القوميين العرب قد اتخذت موقفاً مماثلاً، وعلى سبيل المثال: أذكر أن الأستاذين جورج حبش وهاني الهندي جاءا إلى بيروت للاجتماع بالقيادة القومية لحزب البعث وخلال اللقاء فوجئنا أن موقفهم اشد حدةً من موقفنا. وقد اعتقدنا حينها أن موقف الحركيين يعود إلى معارضتهم لسلوك المباحث المصرية وللبرنامج الناصري للتطبيقات الاشتراكية في مصر ثم نسخه على علاته وتطبيقه في سوريا. وفي حقيقة الأمر لم تكن تلك التطبيقات "الاشتراكية" سوى تعزيز لرأسمالية الدولة بمعزل عن تفاعل الفئات الشعبية والمنظمات السياسية.

ولا ادري من كان صحيحاً بطرحه النظري ؟ ولكن المؤكد انه لا يمكن تحقيق الاشتراكية ولا تحقيق الوحدة بغير الوحدويين، وان تسلط المباحث المصرية والمكتب الثاني السوري الذي أصبح عبد الحميد السراج رمزاً له، لا يصلح درباً لوحدة عربية راسخة.

استبعاد الضباط البعثيين

كان إرسال الضباط البعثيين القادة وبينـــهم الرئيس السوري حافظ الأســـد في مـــهمات شكلية بمثابة إبعاد قسري اثّر بشدة على تماسك سلطة الوحدة وعلى مشاعر أعضـــاء حـــزب البعث وسبب لهم خيبة أمل كبيرة.

وقد علمنا فيما بعد أن الضباط البعثيين المبعدين إلى القاهرة كـــانوا يعقـــدون اجتماعـــات وينظمون أنفسهم ومناصريهم خارج وداخل سوريا .ووضعوا لأنفسهم هدفاً رئيسياً هو الدفاع عن الوحدة كلما تسنى لهم ذلك، خصوصاً إثر تحسسهم بوجود تحركات ومشـــاورات بـــين بعض ضباط الجيش السوري للقيام بحركة انقلابية انفصالية، فقرروا تأسيس"اللجنة العســكرية" لتكون أداة التصدي القادرة على إسقاط وقلب اية حركة انقلابية ضد نظام الوحدة العربية.

ونأى الضباط (مؤسسو اللجنة العسكرية) بـــها عن إشراف وأساليب القيادة القومية الـــتي رأوا أنـــها مسؤولة عن تردي مشروع الوحدة بسبب إذعانـــها لفكرة حل الحزب في ســـوريا. لقد أصبحت القيادة بالنسبة لهم مسؤولة عن إظهار الحزب والوحدة كأنـــهما نقيضان لا يمكن أن يعيش أحدهما بوجود الآخر.

وكان هذا في نظرهم خطأً تاريخياً كبيراً وغير ضروري لكي يضطر الحزب إلى التورط بـــه وتحمل مسؤوليتـــه. بل أن ما جرى يؤكد أن المتفاوضين من اجل إقامة الوحدة لم يعطوا أهميـــة كبيرة إلى مبدأ توفير مستلزمات البقاء لها بعد قيامها، وذلك عزز فقدان الثقة في إمكانية ميشيل عفلق وطاقمه على تجاوز أزمة الحزب المفتعلة، في وقت أثارت استقالة الوزراء البعثيـــين مـــن حكومة الوحدة نوبة شك جديدة بين الطرفين.

و لم يقتصر الشعور بالإحباط من إدارة ميشيل عفلق لقيادة الحزب على العسكريين وحدهـــم بل هناك المئات من المدنيين الناقمين على قرار حل التنظيم، لكن ما كان يعرفه الســـوريون لم تطلع عليه جيداً منظمات الحزب في الأقطار العربية الأخرى التي تمسكت بأسماء بعض رمـــوز القيادة التاريخية وتم رفع بعضهم عند كثيرين إلى مستوى القديسين، رغم تخلفهم وبطئـــهم في التعامل مع المتغيرات.

وفعلاً فقد كنا نحن العراقيين نحتاج إلى بعض الوقت لكي نفهم أن القوة الضاربة في الحـــزب وهم الضباط، ويتعاطف معهم مدنيون كثيرون، لم يكونوا مقتنعين بـــإدارة ميشـــيل أو بخطـــه ومسيرتـــه.

وأساء للوضع أكثر إقدام اكرم الحوراني على دعم الحركة الانفصالية وجرَّ معـــه صـــلاح الدين البيطار ليوقع على وثيقة سيئة مع زعماء الانفصال، تلك الوثيقة التي كـــادت أن تلحـــق بسبب توقيعهما ابلغ الضرر بسمعة البعث، لولا ردة الفعل السريعة من قبل منظمات الحـــزب

وإصدارها بيانات ضد حركة الانفصال وتأييداً لجمال عبد الناصر وقد فعلت قيادة قطر العـراق ذلك فوراً[1].

و لم ينفع اكرم الحوراني بعد يوم واحد من وضع توقيعه على الوثيقة حينما اخذ يبكي بكـاء النساء في مأتم. وقد أطلق عبد الناصر عليها اسم "وثيقة الانفصال عن الوحدة".

إن عملية الاستقالة من الوزارة ومن منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كـانت بمثابة المسمار الذي دق في نعش الوحدة. وعندما قابلنا جمال عبد الناصر أنا وميشيل عفلـق في وقت مبكر من شهر نيسان ١٩٦٣ قبيل محادثات الوحدة الثلاثية قال لنا بصراحة : لا اعتـبر أنكم استقلتم من الوزارة بل استقلتم من الوحدة.

أجواء المؤتمر وبعض نتائجه

كان المؤتمر الثالث وكذلك الرابع قريبين زمنياً من بعضهما وبحثا نفس القضايـا ويعتـبران مرحلة فاصلة في تاريخ حزب البعث وفي علاقتـه بعبد الناصر. وكان ميشـيل عفلـق هـو السوري الوحيد الذي حضر المؤتمرين متحدياً بذلك قرار حل الحزب في القطر العربي السـوري. ومن جانب آخر فقد انعقد المؤتمران في ظل أجواء غاية في الأهمية للمنطقـة والعـالم، تمـيزت بحساسية العلاقة بين عبد الناصر والاتحاد السوفيتي والأحزاب الشيوعية العربيـة خصوصـاً في أعقاب حركة الشواف والمد الأحمر المدعوم من قبل قاسم والسوفيت. وكان جمال عبد النـاصر قد خطب في دمشق وتحدى خروتشيف قائلاً : نحن في العالم العربي لا نخضع للقرار السـوفيتي. وأطلق مقولتـه الشهيرة في وصف عبد الكريم "بقاسم العراق" . فقابل قاسم ذلـك بتوجيـه

---

١ ـــ أصدرت قيادة قطر العراق لحزب البعث في ١٩٦٢/٩/٢٩ بياناً تحت عنوان "لترتفع عالياً راية الجمهورية العربيـة المتحدة ولتقبر مؤامرات الانفصاليين عملاء الاستعمار والرجعية"، ونصه: "كشف التمرد العسكري في الإقليم الشـمالي عن هويتـه الرجعية الانفصالية وارتباطاتـه بمخططات مشبوهة هي أوسع من واقع الإقليم الشمالي الداخلـي ومـن طبيعة الحكم في الجمهورية العربية المتحدة. فبالرغم من تشبث بيانات الانقلاب بأن التمرد جاء انتفاضة على الأوضـاع الدكتاتورية وسياسة التسلط في الجمهورية العربية المتحدة وبالرغم من تلويح بيانات الانقـلاب للشـعب بالحريـة والديمقراطية فإن العناصر العربية المؤمنة وعلى رأسها حزبنا المناضل تعي أن أخطاء الحكم ونقائصه لا يمكن اصلاحها بما يحقق مصلحة الشعب إلا ضمن الإلتزام بالمفهوم القومي الإشتراكي الديمقراطي التقدمي الذي يضع صيانة وحدة إقليمي الجمهورية العربية المتحدة والدفاع عنـها ضد المؤامرات الرجعية والاستعمارية والشعوبية في أوليات مهامه النضالية. إن معالجة أخطاء الحكم في الجمهورية العربية المتحدة لا تتم إلا ضمن الوحدة نفسها وضمن مسؤولية الدفاع عن كيـان هذه الوحدة. لقد عبر الشعب العربي في سوريا عام ١٩٥٨ بإجماع تاريخي عن رغبتـه العارمة بالوحدة وعن إيمانـه بـها واستعداده للنضال في سبيلها. وإن ما حدث من أخطاء اقترفها حكام الجمهورية العربية المتحدة خـلال حكـم الوحدة لم تغير من إيمان الشعب العربي بالوحدة وتمسكه بـها بل انـها كشفت عجز حكام الجمهورية العربية المتحدة عن استيعاب المضمون التقدمي للوحدة وعن حقيقة القوى الشعبية المؤمنة بـها .."

المهداوي وماجد أمين بكيل النعوت إلى مصر بدءاً من "المشير الفطير، والحشاشين" ثم مهاجمة عبد الناصر ومعاونيه بأسمائهم. هذا وسادت الأجواء العربية كلها شيء من الغموض وفقدان الاتجاه فالجميع يستعد للصراع دون أن يمتلك خطة أو هدفاً محدداً.

وحينذاك كان البعث مثخناً بالجراح بعد فشل الشواف ، وسادت أجواء من عدم الثقة بينه وبين القوميين بسبب تصرفات غير مسؤولة، في وقت كان في أمس الحاجة إلى علاقات طيبة معهم، وليس من شك أن ذلك يعود إلى تعثر العلاقة بين ممثلي البعث في حكومة الوحدة والأجهزة المصرية خصوصاً رجلها المعتمد في سوريا عبد الحميد السراج الذي كان يشرف بنفس الوقت على سياسة عبد الناصر "العراقية" وعلى العلاقة بين مصر والأحزاب القومية في العراق بما في ذلك مع البعث رغم الخصومة بينهما. وزرع ذلك عدم الثقة رغم الاحترام الذي نكنه لعبد الناصر فقد كنا نذهب إلى السجن ونحن نهتف بحياته.

في مثل هذه الأجواء التقيت بميشيل عفلق وكنت مثل كل بعثي في الوطن العربي احمل له في قلبي إعجاباً كبيراً فيه نوع من التأليه، لكن لقائي الأول معه حمل نوعاً من خيبة الأمل فلم يتمكن من بعث النار في صدري و لم يحرض فيَّ ما جئت احمله من آمال وآلام ثورية إلا إننا كنا مدربين على انتظار النبوءة فاعتقدت مؤقتاً أن في صمته شيء من الحكمة.

لقد نجحنا نحن العراقيين في إقناع المؤتمر القومي الثالث بأن **نجاح البعث في العراق في استلام السلطة سيساهم في إنقاذ الوحدة واستعادة التوازن العقائدي والجغرافي إليها، ذلك التوازن الذي كان مفقوداً بين سوريا ومصر ، فلم يكن رجال سوريا في وحدة ١٩٥٨ شركاء في القرار السياسي الذي هيمن عليه المصريون تماماً. وبهذا يكون المؤتمر الثالث قد مهد للقرار التاريخي الذي اقره المؤتمر الرابع والذي شكل الأساس الشرعي للاستعداد لإقامة دولة البعث في سوريا والعراق ولاستقلال حزب البعث عن خط عبد الناصر مع استمرار الارتباط بالعربية المتحدة** باعتبارها الأداة الوحيدة القائمة والمتاحة لتحقيق الوحدة العربية المنشودة ولتحقيق التقدم السياسي العربي[1].

---

١ ــ لم يستطع عفلق خلال المؤتمر القومي الثالث التغلب على الركابي فخطط لإضعافه بفصل حليفه عبد الله الريماوي بحجة ابتعاده عن الحزب واقترابه الشديد من عبد الناصر وقد نجح في ذلك. وكمقدمة لحشد القوى للمؤتمر الرابع الذي انعقد في صيف ١٩٦٠ هيأ لإحضار الوفود من الأقطار العربية ومن المنظمات الحزبية الوافدة، وجاء من العراق علي السعدي وعبد الستار الدوري وتحسين معلة وحازم جواد وطالب شبيب وحبيب الدوري وهاني الفكيكي وحبيب الخيزران وسعدون حمادي وحسن وادي، وغيرهم ، وجاء من بريطانيا عبد الجبار الشطب وعضو احتياط (بهاء شبيب) وحضر من لبنان جبران مجدلاني وعبد الوهاب شميطلي وخالد يشرطي ومن الأردن سليمان حديدي وبهجة أبو غربية وكمال ناصر وغيرهم كثيرون . وكان المؤتمر على درجة كبيرة من التنظيم والتعبئة وبسببه تمكن عفلق من تجميد فؤاد الركابي الذي ترك وراءه فراغاً قيادياً رغم عدم تمكنه من كسب البعثيين بعد خروجه من الحزب. و لم يتمكن عفلق من هزيمة الركابي إلا بعد فشل محاولة اغتيال قاسم التي أظهرت الركابي مرتبكاً، وبعد تمكنه من فصل ←

وكان من نتائج المؤتمر الثالث أيضاً انتخاب قيادة قومية جديدة وجعل بيروت مقراً لها، بعيداً عن تسلط رجال المكتب الثاني في دمشق. وأصبحت، لأول مرة، عضواً في القيادة القومية مع كل من فؤاد الركابي ومدحت إبراهيم جمعة وفيصل حبيب الخيزران. ولم يكن اختيارهم لي بسبب مواهبي الشخصية وإنما بحكم عضويتي في القيادة القطرية العراقية، ولان القيادة القومية الجديدة أجمعت على إن مفتاح البعث هو العراق، ولم يكن شأني سيرتفع بهذه السرعة لولا اختيار فؤاد الركابي لي لتمثيل العراق في المؤتمر الذي انعقد في تموز أو حزيران ١٩٥٩ في بيروت. وهكذا وجدت نفسي فجأةً مسؤولاً عن تنظيمات الأقطار العربية والمنظمات الحزبية في أوربا وأصبحت صلتي بميشيل عفلق يومية بوصفه أمين السر العام.

حليفه الريماوي. وكان البعثيون قد انشغلوا في المؤتمر في البحث عن طريق خاص بهم للوحدة العربية، يتميز عن أسلوب وسياسة جمال عبد الناصر، وكان ظاهراً تأثر حوار البعثيين داخل المؤتمر بمثقفي سوريا ولبنان الذين تميزت ثقافتهم عن الثقافة الناصرية لكنهم لم يتناقضوا معها. وخلال انعقاد المؤتمر الرابع حضر صلاح الدين البيطار إلى بيروت واقام دعوة لأعضائه في بحمدون دون ان يجرؤ على حضوره، وحذّر أعضاءه من رغبة عفلق بفصل فؤاد الركابي ولم يعتبر ان السير في ركاب عبد الناصر جريمة تستحق الفصل من الحزب وقال ليس إعداد الكوادر أمراً سهلاً ليجري فصلهم بسهولة. وتحدث عن أهمية المحافظة على الديمقراطية داخل الحزب. لكن عفلق كان قد احكم خطته ونفذ ما عقد العزم عليه. وكنا نحن الدماء الجديدة التي صوتت وحققت له رغباته.

التهيئة لثورة رمضان
صوت صادق ويد قوية

ازدادت قوة البعث في العراق بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في رأس القرية بشارع الرشيد في بغداد عام ١٩٥٩. واقتنعت قيادة حزب البعث المدنية أن العسكريين القوميين والبعثيين، سيستمرون في ترددهم وتذبذبهم السياسي إذا هي لم تبادر بوضع خطة إسقاط النظام وتنفيذها. ورغم الوعي بضرورة تجنب المحاولات الفردية، فقد بحثنا عدة مشروعات للتخلص من قاسم بينها إسقاط الطائرة التي سيستقلها لافتتاح سد دربندخان أو إلى الرطبة، أو اغتياله في كربلاء خلال حضوره احتفال ديني، ويكون مقدمة لتدبير عسكري في بغداد.

أُقترحت المشاريع كلها من قبل عبد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عماش في المكتب العسكري وكان السعدي يأتي بها إلى القيادة القطرية، نحللها ونناقش احتمالات النجاح والفشل بما في ذلك الجوانب العسكرية الفنية، فنرفض أو نوافق. ولكي يكون عملنا أكثر نضجاً، قال السعدي: أنا لا أستطيع إقناع العسكر بأن رفاقهم المدنيين قادرون على معالجة كل الجوانب الفنية المطروحة. فَلِمَ لا نضيف نصف المكتب السياسي إلى عضوية المكتب العسكري لتوسيعه وجعله مؤسسة عسكرية وسياسية وكانت تلك نقلة ذكية وحضارية في عملنا. وهكذا أُبلغ المكتب العسكري بإضافة حازم جواد وأنا إلى عضويته بالإضافة إلى رئيسه السعدي. كما ابلغ بموافقة القيادتين القطرية والقومية على القيام بثورة بشرط موافقتها على الشكل النهائي للعمل. وبذلك لم يعد قرار الثورة فنياً مرهوناً بإرادة العسكريين بل أصبح مدنياً ثم عسكرياً. ورغم إن المدنيين لم تكن لديهم معرفة بوسائل القتال العسكرية لكن إرادتهم كفيلة بإيجاد الدور والوسائل المفيدة والرافدة للعمل العسكري. فقيادة الحزب المدنية هي التي قررت أن تكون كتيبة الدبابات الرابعة نقطة انطلاق حركتها القادمة.

كل شيء في سبيل الأعداد للثورة

وعلى مدى سنتين بُذِلت جهود كثيرة لنقل ضباط الدروع البعثيين الشباب إلى الكتيبة الرابعة. وجاء اختيارها دون غيرها بسبب قربها من مرسلات البث الإذاعي ومن مخازن العتاد

والوقود، ولان قائدها المقدم خالد مكي الهاشمي ضابط بعثي[1].

ولقلة عدد ضباط الصف والجنود المنتظمين في صفوف حزب البعث، كان يجب حشد اكبر عدد من الضباط الموالين، المتقاعدين والعاملين في قطعات أخرى يوم إعلان الثورة إلى مقر الكتيبة الرابعة، ليصبح عددهم كافياً للقيادة والرماية والسياقة داخل الدبابات . وكان استبعاد ضباط الصف عن قيادة الدبابات أكثر ضمانة لنا.

وكانت القيادة القطرية وحدها التي تعين الضباط أو تضيفهم إلى مجلس الثورة المزمع إعلانه، و لم يكن ذياب العلكاوي عضواً في مجلس الثورة إلا بعد نجاحها ، وربما يكون قد حضر بعض اللقاءات هنا أو هناك ، لكن ما كتبه برسالته إلى العميد خليل إبراهيم ليس كله صحيحاً[2]. فمن الناحية العملية لم يكن هناك أي مجلس لقيادة الثورة بل كان مجرد فكرة في أذهاننا، وأولئك الذين حضروا معنا اجتماعاً واحداً أو اجتماعين قبل ٨ شباط رشحوا لعضوية المجلس فيما بعد . وكل شيء كان تحت إمرة القيادة القطرية، بشكل خاص علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وكريم شنتاف. وكان حمدي عبد المجيد منتدباً للعمل في سوريا ، ومحسن الشيخ راضي معتقلاً منذ فترة طويلة ، وحميد خلخال استبعدناه لكي يقوم ببناء وتجديد نشاط الحزب في حال فشل الثورة. وصباح يوم الثورة وبينما كان الجميع يتصورون أشخاصاً كثيرين في عضوية مجلس قيادة الثورة ، في حين كنا أنا وحازم جواد عضوي القيادة القطرية الوحيدين الموجودين عملياً في قيادة الثورة ، وعندما نذيع التعليمات والتوجيهات من مرسلات البث الإذاعي تأخذ طريقها للتنفيذ بلا نقاش ، لأنه لم يكن هناك أحد يشاركنا القرار السياسي قبل إطلاق سراح علي ومحسن وكريم والتحاقهم بنا . أما الآخرون بمن فيهم احمد حسن البكر فكانوا قادة تنفيذيين . وحتى في داخل المكتب العسكري للبعث فقد كنا نحن الثلاثة علي وحازم وأنا أعضاء فيه وقيادة له في نفس الوقت ، لنا أن نوافق أو نرفض اقتراحاته. وفي المجال السياسي كان لابد أن نقوم بخطوة تعبوية إلى جانب التعبئة العسكرية ، فقد لعبت قيادة حزب البعث الدور الحاسم في إقامة نوع من الجبهة القومية أو "التجمع القومي"[3] وحضرت اجتماعاته ممثلاً للبعث وحضر عن القوميين محمد صديق شنشل الذي

---

١ ـ ضباط كتيبة الدبابات الرابعة البعثيون غداة الحركة هم: صلاح الطبقجلي (رائد) والملازمون سعدون فليح العاني ، وجدي ناجي، هاشم عبد الجبار، سعدي طعمة الجبوري، عدنان دحام العزاوي، طارق صادق، كامل نعمة، هاشم إسماعيل، رياض قدو، نعمة فارس، محمد الويس وغيرهم.

٢ ـ ذياب العلكاوي . رسالة شخصية إلى العميد خليل إبراهيم حسين . موسوعة ١٤ تموز - عبد الكريم قاسم ، السقوط.

٣ ـ سماها الشيوعيون بجبهة "أعداء الشيوعية" وقال عنها سلام عادل السكرتير الأول للحزب الشيوعي قبل عام ١٩٦٣ متوهماً انها ضعيفة : "ان الوضع العام يتميز بتفكك جبهة أعداء الشيوعية التي قامت من أكثر من ثلاث سنوات . ." ويذكر ان هذه الجبهة كانت نظرية و لم يرافقها على الأرض أعمال مشتركة بقيادتها ، لكنها
←

ربطتني بـــه علاقة صداقة خاصة ، واستمعت باستمرار إلى نصائحه الصادقة الصادرة عن دراية وحصافة.

المدني يقود العسكري !

أكدت نجاحاتـــنا في إقامة "التجمع القومي" كغطـــاء سياســـي ، وفي تشـــكيلة المكتـــب العسكري الجديدة وفي قيادة إضراب السيارات وتعطيل حركة المرور ثم تعطيل الدراسة رغـــم اعتقال العشرات من الطلبة البعثيين ومؤيديهم وغيرها من النشـــاطات ، بـــأن المـــدني يقـــود العسكري وأصبحت قيادة حزب البعث المدنية قوة يخشاها ويحترمها قادة الوحدات العســـكرية بل ويوافقون على الخضوع لها[1].

كانت ضرورية لتوحيد رأي وكلمة القوميين بمختلف اتجاهاتـــهم ضد الشيوعيين وضد عبد الكريم قاسم. واســـتمرت الجبـــهة قائمة شكلياً حتى ٨ شباط ، رغم حروج حركة القوميين العرب منـــها بسبب اســـتقالة الـــوزراء البعثيـــين السوريين من وزارة دولة الوحدة وغضب عبد الناصر منـــهم.

١ ـــ تكونت تشكيلة المكتب العسكري الجديدة من علي السعدي رئيساً وعضوية حازم جواد وطالب شبيب ، احمـــد حسن البكر ، صالح مهدي عماش ، عبد الستار عبد اللطيف ، وخالد مكي الهـــاشمي ومنـــذر الونـــداوي وحـــردان التكريتي. وفي نـــهاية عام ١٩٦٢ أضيف العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والعقيد ذياب العلكاوي لتعزيز المكتـــب برتب كبيرة، وأيضاً بسبب تغيب حردان لوجوده في كركوك وخالد الهاشمي الذي انـــهار أمام عبد الكريم قاســـم . وستتحول تشكيلة المكتب الأخيرة بعد نجاح الثورة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد إضافة هاني الفكيكي ومحســـن الشيخ راضي وعبد السلام عارف وسعدون حمادي وعبد الغني الراوي وطاهر يحيى التكريتي وكريم شنتاف وحمـــدي عبد المجيد، ويحق حضور اثنين من أعضاء قيادة فرع بغداد بحسب الحاجة والاختصاص فضلاً عن الرئيس الأول أنـــور عبد القادر الحديثي بصفته سكرتير المجلس . أما المكتب العسكري الأصلي السابق على التشكيلة الجديدة فاعضاؤه هـــم علي السعدي رئيساً وعضوية صالح مهدي عماش وعلاء الدين الجنابي ومنذر الونداوي. ودخل سامي سلطان محل محمد علي السباهي الذي خرج بسبب ميله لفؤاد الركابي وجمال عبد الناصر ، وفي الغالب كان الفكيكي يحضر الاجتماعـات معاوناً لعلي السعدي . واتبع هذا المكتب طرقاً تنظيمية وأخلاقية شديدة الانضباط، وهو القـــائد الحقيقـــي للتنظيـــم العسكري البعثي. وجاء المكتب الجديد كخطوة تنفيذية متقدمة كانت بمثابة لجنة تنفيذ التحرك العسكري والسياســـي وقد وضعت تحت تصرفها كل إمكانات الحزب العسكرية والسياسية. ويرى طالب الشبيب[I]: إن هناك قيادة واحـــدة للثورة تعمل سراً وتتكون من علي وحازم وطالب يقودون الحزب المدني والعسكري ويتعاونون مع البكر لإقامة علاقات طيبة من ضباط برتب عالية وتحضيرهم للمساهمة بالثورة عندما يتطلب الأمر كالعقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد عبـــد الغني الراوي والعقيد رشيد مصلح والمقدم الجوي عارف عبد الرزاق والمقدم عبد اللطيف الحديثي والمقدم سعيد صليـبي والمقدم حسن النقيب والعقيد عبد الكريم نصرت والمقدم خالد الهاشمي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف وأنور عبد القادر الحديثي . وكان حزب البعث منذ المؤتمر القومي الثالث قد ركز نشاطه اللاحق كله ليخدم هدفاً واحداً فقط هو إسقاط واستلام السلطة ، وحتى لا يحصل ما حصل إثناء محاولة اغتيال قاسم من تناقض بين القطرية والقوميـــة فقـــد حـــرص البعثيون في العراق على عرض مشروعهم على المؤتمر القومي الرابع الذي انتخب مندوبيه للمؤتمر الخامس وكانوا : علـي وحازم وطالب ومحسن وحمدي وشنتاف والخيزران والفكيكي وخلخال وصدقي أبو طبيخ وحسن ذهـــب وبـــهاء شبيب وحسن وادي وهؤلاء عرضوا مشروعهم للاستيلاء على السلطة فوافق عليه المؤتمر.

إن أهم ما أعطته تلك النجاحات للعسكريين هو الاطمئنان إلى قدرة وإمكانية المدنيين البعثيين في مواجهة وعرقلة تنظيمات الحزب الشيوعي التي يحتمل أن تتصدى للثورة دفاعاً عن نظام قاسم . كما أكدت أن البعثيين ليسوا مجرد فرق اغتيال وإنما هم مؤسسة قوية عسكرية ومدنية فعالة ومبادرة.

وفي أول اجتماع للمكتب العسكري بتشكيلته التنفيذية نوقشت أفكار اشمل من الاغتيال الفردي لشخص الزعيم عبد الكريم. وقد فرض وجود المدنيين فيه بحث الشأن السياسي فيه أيضاً. فتسائل عبد الستار عبد اللطيف : لماذا لا نغتاله بدبابة بدلاً من بندقية؟ وتأسيساً على هذه الملاحظة توسعنا بأفكارنا وتحضيراتنا لنصل إلى الشكل النهائي الذي وصلنا إليه .

وفي أجواء التحضير للثورة جاءني الأستاذ محمد صديق شنشل وسيطاً وقال: اقترحوا لنا ثلاثة وزراء بعثيين وسيعينهم عبد الكريم قاسم فوراً. ورجاني ان اخبر قيادة الحزب ان الاقتراح صادر عن قاسم مباشرة، فأجبناه : يا أستاذ صدّيق ان هذا الاقتراح لم يحصل إلا تحت ضغط إضراب الطلبة المحرج للحكومة. ثم إنّ بياناتنا وصحافتنا الحزبية السرية تدعو بشكل متواصل إلى إسقاط حكومة قاسم ، فكيف تطلب ان ندخل الوزارة ونحن على أبواب ثورة . نرجو منك ومن كل أعضاء التيار القومي ان تعلموا إننا صوت صادق ويد قوية. وسنطيح بالنظام وليس بيننا وبينه أي حوار . ونرجو أن لا ندع مثل هذه المبادرات تنسينا أمرنا وأنفسنا فقد حكمنا على نظام قاسم بالانتهاء[1].

كنا نثق تماماً بإرادتنا على إزاحة عبد الكريم قاسم . وكان يهمنا جداً ان لا تتعاون معه اية جهة قومية ، خوفاً من تمييع المعركة ، ومن حرماننا من مساعدة القوميين عند إعلان الثورة . فقد كنا في معركة مصيرية ولا بديل عن الذهاب في الصراع حتى نهايته.

وكان إبرام أول قرار حزبي قطري لبدء العمل على إسقاط الحكومة القاسمية قد حصل في اجتماع القيادة القطرية بشباط ١٩٦٢. وتقرر فيه ان يكون البكر رئيساً للوزراء وصالح مهدي عماش وزيراً للدفاع والإبقاء على مجلس السيادة (نجيب الربيعي ومحمد مهدي كبة ، وخالد

---

١ ـ تركزت خلافات الضباط القوميين مع قاسم حول الشعور بالغبن فيما يتعلق بحصصهم من المناصب الحكومية السامية . في حين ميَّز البعثيون أنفسهم عن بقية القوميين كدعاة فكرة اجتماعية ، ووحدويون عرب يتحدثون عن الاشتراكية والمساواة ، فكسبوا للتيار القومي شباباً ووجوهاً لم تكن من حصته الكلاسيكية . وبلغ إيمان البعثيين بأفكارهم حد الرومانسية وذروة التحدي إلى الدرجة التي لم تستطع فيها محكمة المهداوي وجلاّس قاعتها ان يفرضوا عليهم جو السخرية المعتاد . ففرضوا أنفسهم كمتهمين سياسيين وأصحاب رأي . وباستثناء سعيد قزاز لم تواجه محكمة الشعب ، قبل البعثيين ، غير متهمين متملقين ونادمين بما في ذلك عبد السلام ورشيد عالي وغيرهم . فقد مزج البعثيون بين المنظمة السرية ورومانسية الفكرة القومية الشاملة ليضفوا على أفكارهم نوع من القدسية والالتزام وعلى أنفسهم شعوراً بامتلاك القوة التاريخية الغائية المندفعة نحو تحقيق "الرسالة الخالدة" .

النقشبندي) ، وان لا تشترك قيادة الحزب القطرية في الوزارة عدا حميد خلخال وذلك تعبيراً عن رغبة البعث في قيادة السلطة دون الغوص في تفاصيل مشاكلها، وكي لا تنحرف تحت ضغط مغرياتها الكثيرة . وتقرر الاعتماد في التغيير على ضباط البعث الموجودين في وحدات فعالة قرب بغداد، وعلى القادرين على الالتحاق بوحدات قريبة . وأوصى الاجتماع ان تعتمد القيادة في التنفيذ بالدرجة الأولى على البعثيين بجناحيهم المدني والعسكري.

وسأقول لك بأني اشعر بالسخرية من أولئك الذين ينسبون قرار الثورة إلى هذه الجهة أو تلك . واعلم ان القرار اتخذته قيادة البعث القطرية العراقية ووافق عليه المؤتمر القطري الثالث ثم المؤتمر القومي الخامس . ولم يعلم عبد الناصر ولا القيادة القومية بتفاصيل أو موعد إعلان الثورة. وان أهم رجال الخطة قراراً وتحضيراً وتنفيذاً هم علي وحازم وطالب والبكر وعماش وعبد اللطيف والونداوي وقيادة فرع بغداد . وكما قلت سابقاً كان محسن مسجوناً وحمدي بسوريا وحميد مستبعداً وحردان بعيداً والهاشمي منهاراً .

وفي مرحلة من مراحل الصراع والتحضير فوجئنا بمحاولات للتطبيع من قبل مصر مع حكومة عبد الكريم قاسم تحت شعار التضامن العربي وأدركنا أن ذلك سيكون على حساب التيار القومي في العراق وذلك يعني أيضاً أن عبد الناصر قد بدأ يقتنع بنهاية الجمهورية العربية المتحدة كأداة للوحدة ويتقبل قاسماً حاكماً للعراق.

ورغم تمكن عبد الكريم قاسم من تحقيق اجتماع في الرطبة مع الرئيس السوري ناظم القدسي، وانعقاد الاجتماع الوزاري لجامعة الدول العربية ببغداد بدعوة من وزير الخارجية هاشم جواد ومشاركة مصر فيه، فقد دفعت مشاعر التحدي أغلبنا إلى نقيض ما كان يسير عليه التيار الحكومي العربي.

وفي ذلك الظرف تجاذبنا خطان: أن نمضي قدماً في الهجوم أو نأخذ دور المدافع، فقررنا المبادرة والهجوم، وجاءت الفرصة عند زيارة أحمد بن بيلا لبغداد، وكان قاسم يرغب عن طريقه في التقرب للحصول على دعم وفك الحصار العربي عنه، وأعتقد أن عبد الناصر شجع بن بيلا على زيارة العراق. وتصرفت قيادة قطر العراق دون العودة إلى القيادة القومية، وقلبت السحر على الساحر، وأحبطت أشياء كثيرة في آن واحد، وذلك بعد أن تمكنت من قيادة التظاهرة الكبرى التي خرجت برغبة شعبية عامة وتهيئة بعثية منضبطة، فغطت مظاهر الاستقبال التي حملت شعارات معارضة للحكومة على الزيارة الرسمية وكان أهم شعار مطروح فيها هو "بن بيلا أهلاً بيك حزب البعث يحييك" ورفع فيها علم حزب البعث الذي هو علم فلسطين المحتلة.

وحينها لم يمتلك الحزب الشيوعي الشجاعة للتصدي للمظاهرة العفوية التي تمكّنا من قيادتها وكتبت صحيفة Economist عن تلك المظاهرة قائلة "رايات البعث تغطي استقبال بن بيلا" وأشرفنا كقيادة قطرية على المظاهرة عن كثب (من الرصيف) واعتبرناها تمريناً على

قدرتنا في الحشد والاندفاع، وامتحاناً لقدرة خصومنا في مواجهة إصرارنا، وقد تأكدنا من ضعف أجهزة الدولة في حالة مبادرتنا بعمل مفاجئ ضد الحكومة.

وعندما اقتربنا من إعداد قوانا واشتد نشاطنا، وشى بنا الشيوعيون وأشاروا بصحافتهم إلى قلب قوتنا "كتيبة الدبابات الرابعة" ، باعتبارها مركز التحرك "المعادي" ، وكان ما كان من إرسال قاسم على آمر الكتيبة خالد الهاشمي وتحذيره، وبدوره اعترف لقاسم بوجود ثلاثة آلاف قطعة سلاح خفيفة من رشاش ومسدس وقنابل يدوية، كانت الكتيبة تحتفظ بها وأعادها فوراً إلى مخازن وزارة الدفاع (ولم يكن قاسم يعلم بوجودها)، ووعده بإفراغ الدبابات من الماء والوقود[1].

من نكسة الهاشمي إلى اعتقال السعدي

قطعنا شوطاً كبيراً في التهيؤ لمعركة فاصلة، وكنا كلما اقتربنا من التنفيذ نشعر أننا مقبلون على مواجهة ضميرية قاطعة. فإما ان يكون انقلاباً بعثياً أو لا نكون. وبدأنا نتجاوز كبوة الهاشمي بالاتصال الجانبي بضباط كتيبته. وقام علي صالح السعدي بتلك المهمة وكان يعرفهم جميعاً، ولم يمر وقت طويل حتى أقنعهم بالارتباط به، وكان أداؤه متميزاً وشجاعاً ، ومفخرة

---

١ ـ هناك أدلة كثيرة على ضعف خالد مكي الهاشمي وبينها، أولاً: ان الضابط عبد الجبار السعدي أخبر حزب البعث ان الهاشمي إنهار عند مقابلته قاسم، ووعده بتغييرات داخل الكتيبة وسلمه قائمة بأسماء ضباط بعثيين ، وعلى ضوئها أُعتقِل عماش ، وبدأ قاسم يتهيأ ويجمع معلومات لإحالة عدد كبير من الضباط على التقاعد لكنه فوجئ بالحركة . ورغم ذلك لم يعاقب البعث الهاشمي بسبب علاقته الطيبة بالسعدي وقربه من عماش . لكن السعدي ظل أرقاً وسأل الزعيم قاسم قبل إعدامه فيما إذا كان الذي اخبره بالحركة موجوداً بين القادة البعثيين داخل القاعة؟ وكان واضحاً شك السعدي بأن المخبر هو أحد قياديي الصف الأول . ولو استعرضنا أسماءهم لما عثرنا على شخص آخر غير الهاشمي تدور حوله الشبهة . ثانياً : لم يلتحق الهاشمي بالحركة بعد إعلانها إلا بعد الساعة الثانية عشرة ظهراً ، أي بعد اتضاح حظوظ نجاحها، رغم ان عبد الستار عبد اللطيف ابلغه في يوم ٧ شباط بموعدها، وقد فسّر تأخره بالغضب من عدم إبلاغه مبكراً . ثالثاً: يقول عبد الكريم فرحان : "زارني في داري خالد مكي الهاشمي وكانت زيارته مفاجئة لم أتوقعها وحرت في معرفة أهدافها ، لكني قررت التزام الحذر ، وبعد حديث قصير أبدى استعداده للعمل معنا. قلت : أنت تعرف شروطنا ، فهل أنت موافق عليها ؟ أجاب بالإيجاب ثم اقسم على القرآن وبعد قليل خرج . عجبت للأمر إذ كان بعثياً متحمساً خصوصاً بعد ان أصبح مرشحاً لتولي منصب رئيس أركان الجيش . ومهما يكن فإني لَم أره مرة ثانية ولم يسعَ إلى لقائي وظهر لي بعد ذلك عدم جديته أو التزامه ولعله أتى لمعرفة أي الفريقين أقوى واهم واقرب للوصول إلى الهدف"[2]. أما خالد مكي نفسه فيبرر ذلك بقوله "كنت آنذاك آمر كتيبة الدبابات الرابعة وقد استدعيت من قبل عبد الكريم قاسم لمقابلته ، حيث وردت إليه معلومات تفيد بأن هناك تحركاً لحزب البعث العربي الاشتراكي في الكتيبة وبإشرافي ، واخذ يهددني ويتوعدني وحذرني من إقامة أي نشاط حزبي داخل الكتيبة. ولهذا لم استطع إقامة أي اتصال مع الحزب ، وكان أمر عبد الكريم يقضي بتفريغ دبابات الكتيبة من الماء والكازولين بعد انتهاء كل تدريب"[3]. ولذلك لم يشارك الهاشمي في اجتماعات المكتب العسكري الجديد ولا تلك التي سبقت ٨ شباط بأيام .

للجناح المدني الذي اثبت قدرتـــه على إنجاز المهمات الاقتحامية. وعن طريق السعدي تـــأكد الضباط ان البعثيين المدنيين ليسوا اقل كفاءةً من إخوانـــهم العسكريين، فزاد ذلك من ثقة قيادة الحزب بقدرتـــها على التحدي والإنجاز[1].

بدأنا أول تمرينات الخطة بترتيبات للتغلب على مشكلة مياه الدبابات التي اتفق قاســـم مـــع الهاشمي على إفراغها منـــه بعد كل تدريب. فنجحنا، اعتماداً على ولاء البعثيين والقوميين مـــن ضباط وضباط صف، بتفريغ جزء من مياهها على الرمل، وبمجرد مغادرة المفتش، يتم إغـــلاق الصنبور وبـــهذا يصبح بمقدورهم الاعتذار في حالة التفتيش بأنـــهم تصوروا إنـــها فرغـــت. وكان علينا في يوم الثورة ان نتوقع فراغ راديترات بعض الدبابات من الماء وعدم قدرتـــها على الوصول إلى مخازن العتاد، إذ لم يكن ممكناً إبلاغ جميع المشرفين على الدبابات بخطتنا.

المهم كنا نجرب كل جزء من الخطة عملياً وبطريقة من الطرق ، وعملنا بلا كلل ألحقنا الليل بالنـــهار ، لنفاجئ قاسم بالثورة عليه . ومن جانبـــه اجتـــهد ونشط ليضع يده على مؤامرة ،

---

١ ـــ تعددت نشاطات الجناح المدني للبعث وتمكن من إحراج حكومة عبد الكريم قاسم وفضح عدم قدرتـــها علـــى إنـــهاء إضراب الطلبة الذي بدأ في ١٩٦٢/١٢/٢٩ واستمر حتى ٨ شباط ١٩٦٣. لكن قاسم لم يستخدم أســـاليب تعسفية تماثل ما أصبحت تفعله الحكومات اللاحقة . غير ان الشيوعيين أدركوا ان الإضراب سيلحق الضرر بمعنويـــات أنصارهم وانصار قاسم فشكلوا لجنة عليا لكسره أو التفاهم مع المشرفين عليه ، ورعى اجتماعها الأول ســـلام عـــادل شخصياً عندما اجتمع بطلاب شيوعيين جاءوا من مختلف مدارس ومعاهد وكليات بغداد في بيت حزبي ظاهره محلـــج كبير للقطن ، وتحدث فيه عن ضرورة كسر الإضراب أو إقناع البعثيين ان يتعاونوا مع الشيوعيين على تطويره والاتفاق على أهدافه وحدوده السياسية[4]. وفي نفس الإطار التقى مظفر النواب (شيوعي) مع محيي الخطيب (بعثي) وطرح عليه إعلان إضراب مشترك في الكاظمية وهي المدينة التي لم ينجح فيها إضراب الطلبة البعثيين ، والاتفاق على شعارات مثل تعميم الديمقراطية والانتخابات الحرة وتشكيل حكومة إئتلافية[5]. لكن حزب البعث كان حين ذاك قد أصبح في مـدى المعركة ويسابق الزمن لمفاجأة الجميع ، ومقابل التنسيق مع الشيوعيين على خطوات جزئية ، ثقـــف أعضـــاءه بـــأن الإضراب يجب ان يصمد لأنـــه حلقة في سلسلة من النشاطات التحضيرية لإسقاط الحكومة. ومن اجل عـــدم تســـلل التردد إلى صفوفهم كتبت جريدة الاشتراكي السرية الناطقة بلسان البعث مقالاً أكد على ان اليد الـــتي تتعـــامل مـــع الشيوعيين تقطع!! وكان البعث، تمهيداً للتعبئة المستمرة المتصاعدة، قد نجح في توسيع نشاطه في أوساط العمال ودفعـــهم لدعم الطلبة واصدر جريدة بإسم "وعي العمال" وخاض بنجاح انتخابات نقابات المعلمين والاقتصاديين والمهندســـين واشرك القوميين في كل نشاطاتـــه الشعبية وخسر وإياهم في سبيل ذلك عدداً من الشهداء والسجناء . ولأهمية إضراب الطلبة أشرفت القطرية مباشرةً على توجيهه فقد كان المشرف على الإضراب ومسؤول مكتب الطلبـــة عبـــد الســـتار الدوري يزور يومياً دار طالب الشبيب لبحث الأمر مع القيادة[6] واهم ما حققه الإضراب هو ان منظمـــات الحـــزب تمكنت من اختيار النشيطين لتشكيل "لجان الإنذار" وتدريبـــها على السلاح نظرياً وعملياً ، وعلى سبيل المثال اتخـــذ بعضهم من خان الحاج محسن بمنطقة الصرافية بعد الجسر الحديد ، مركزاً للتدريب العملي وتدربت فيه عدة مجموعـــات من شباب البعث بينـــها مجموعة إبراهيم غانم وأياد علاوي وفوزي الراوي وطارق الراوي. وتم تقســـيم اللحـــان إلى مجموعات صغيرة كل واحدة أربعة أو خمسة ، وهؤلاء نـــزلوا إلى شوارع بغداد ونفذوا مهماتـــهم وأصبـــح اسمـــهم قوات الحرس القومي .

يمتلك مؤشرات كافية عن وجودها ، لكنه لا يعرف بالضبط أين يضرب ؟ لتكون ضربته حاسمة. وكان سباقاً لم نكن مرئيين فيه، وكان قاسم مكشوفاً يقود دولة بلا أسرار، ويعمل في مؤسساته الحساسة المدنية والعسكرية موظفون وضباط ينتمون إلى مختلف الاتجاهات السياسية في البلاد .

وفي ٤ شباط ١٩٦٣ اجتمع المكتب السياسي للبعث ، علي السعدي وحازم جواد وأنا وكريم شنتاف في داري فوضعنا اللمسات النهائية للخطة وإقراراً أخيراً للتشكيلات التنفيذية كالمجلس الوطني لقيادة الثورة ، ومجلس الوزراء والقيادة العامة لقوات الحرس القومي وغيرها . وبعد إتمام الخطة والمصادقة عليها ، ودراسة كافة التعديلات المقترحة من المكتب العسكري وقيادة فرع بغداد ، وتثبيت يوم ٨ شباط موعداً لإعلان الثورة، شعرنا بالرغبة للاحتفال ، فذهبت بسيارتي لشراء الويسكي وبعض اللوازم ، وذهب حازم إلى حيث تنتظره قيادة فرع بغداد بناءً على موعد سابق لإبلاغهم بآخر نسخة من واجباتهم المتسقة مع حركة الوحدات العسكرية. ولم يكن معنا في ذلك الاجتماع أي ضابط ، لكن اجتماعاً آخر تقرر في اليوم التالي ٥ شباط في منزلي أيضاً وسيحضره كل أعضاء المكتب العسكري بمن فيهم الضباط المقترحون لعضوية المجلس الوطني كالعلكاوي ونصرت. وكنت انتظر مساء اليوم نفسه عودة بهاء من اجتماع لجان الإنذار في الأعظمية وأخي الملازم عماد الشبيب.

وعند عودتي بلوازم الاحتفال وبعد عبور جسر العطيفية ، رأيت سلالم خشبية موضوعة على جدران منزلنا المحاط بعدد من الانضباط العسكري . وبتلقائية بادرت لإطفاء محرك سيارتي ونورها وصففتها وراء السيارات الواقفة على الجانب الآخر من الشارع ، فأشكل الأمر على اثنين من الانضباط العسكري الذين تابعا بدراجتيهما الناريتين سيارة أخرى سبقتني في الدخول إلى الشارع .وللتجربة اتصلت من تلفون خارجي ، قلت للمتحدث أريد ان أتكلم مع (طالب الشبيب) فأجابني انه موجود في الحمام وسيكلمك . وحينذاك أدركت استيلاءهم على الدار (الرجال والسلاح) . فقلت يا ابن الـ(....) أنا طالب شبيب وأنت "قواد"، واعلم إذا أنت أو غيرك مسستم شعرة واحدة من المعتقلين فسنعاقبكم انتم وعوائلكم وأطفالكم وأنت شخصياً تحت مراقبتنا ، نحن نعرفكم جميعاً، ثم أغلقت السماعة[1]. وأظنهم استجابوا للتهديد ولم

---

١ ــ يقول بهاء الشبيب : عدت في مساء ٤ شباط إلى دارنا بعد اجتماع مطول في الأعظمية لترتيب مهمات الإنذار التي شُكِّلَت قبل ٨ شباط بثمانية اشهر وضمت العشرات من أعضاء وانصار الحزب وعسكريين متقاعدين توزعت مهماتهم بين السيطرة على الجسور ومداهمة بيوت الضباط القادة واعتقال الضباط غير المبلغين بكلمة السر ، وابلغنا الجميع ان يتأهبوا وحملت معي ورقة تضم الاسم الأول لكل عضو والمهمات والسلاح المطلوب . وما إن دخلت حديقة دارنا حتى هب بوجهي حوالي عشرين رجل أمن من الجانبين وقادوني للداخل . ففوجئتُ بعلي السعدي وشنتاف معتقلين ، وفوراً اختلقت شجاراً مع أحد الضباط ومنعته من تفتيشي لاني ضابط فأشار إلى وجود انضباط عسكري معهم وهمّ بضربي فهاجمته أختي (أدبية) التي فَهِمَت ما اقصده وتشاجرنا أنا وهي معهم بالأيدي ، وتظاهرت بالإغماء ←

يمسوا أحداً بسوء .وقد تملكني وأنا أتحدث على الهاتف مع رجل الأمن شعور المقــاتل وسـط الميدان بل وحضر في أعماقي الجواهري الكبير:

أنا حتفهم ألج البيوت عليهم   أغري الوليد بشتمهم والحاجبا

تركز هدفي على إنقاذ حازم جواد والاتصال بأحمد حسن البكر لمنــع أعضـاء المكتـب العسكري من الحضور غداً إلى داري . . . كان حازم جواد مسؤول فــرع بغـداد ويجتمـع بقيادتـه الآن و لم اكن اعلم أين يجتمعون لكني اعلم انــه لم يذهب بعيداً وسيعود قريبــاً لأن سيارتــه مازالت واقفة أمام منــزلي. وفجأةً وقع نظري على سعد قاسم حمودي ماشياً صـوب داري التي لم تكن وكراً حزبياً سرياً، و لم نتفق على إشارة خاصة مع أكثر القادمين إليها ، بــل كانت منــزلاً عائلياً وكنا نفترض بكل القادمين إليها الاعتماد على حسهم الأمني وحذرهــم الخاص ، وكانت أشبــه بمضافة مفتوحة للبعثيين القياديين ، وللأقارب القادمين مــن الفـرات الأوسط الذين طالما أثقلوا ميزانيتي الشحيحة أصلاً .

أخبرت سعد بما حصل وسألتــه فأشار إلى بيت قريب هو بيت صباح محمد علي (عضــو قيادة فرع بغداد) وقال ان حازم موجود هناك . طرقت الباب فخرج صباح وأنكر معرفتــه بحازم جواد . قلت : أنا طالب شبيب عضو القيادة القطرية وحازم جواد مسؤولكم، وقد داهم

فدفعتني إلى الحمام فابتلعت نصف الورقة ورمت هي النصف الآخر في المرحاض . وكانت (أديبة) قد فعلت الأمر نفسه مع السعدي وعاونتــه في التخلص من أوراق خطيرة فيها أسماء مجلس الوزراء ومجلس الثورة والتعيينات العســكرية في اليوم الأول للثورة والقيادة العامة للحرس القومي . وحينــها قام السعدي وقال يا رجال الأمن والاستخبارات بإســم قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي أحذركم من الإساءة والاعتداء ومَن يسيء سيحاسب هو وعائلتــه حســاباً عسيراً إلا إننا سنتسامح مع من ينفذ واجبــه حسب الأصول وبأدب . فهدأه الضابط المسؤول .وإثنــاء الانتظــار رن التلفون وطلب المتحدث طالب شبيب فقالوا له انتظر ان طالب شبيب في الحمام . وحينــها سمعنا بوضوح صــوت طالب يهددهم من الاعتداء على عائلتــه ورفاقه ، فارتحنا واطمأن علي السعدي . ثم نقلونا مع عشرات من صنــاديق الأسلحة والقنابل والمنشورات التي عثروا عليها في بيتنا إلى مديرية أمن الكرخ للتحقيق الأولي وهناك فوجئنا بدخــول أخي عماد معتقلاً وهو ضابط في القوة الجوية وقع في الكمين المنصوب بدارنا. والحقوه بنا بملابســه العســكرية . وفي منتصف الليل نقلونا إلى مديرية الأمن العامة في السعدون وتبادلنا النظرات متعاهدين على الصمود . وكأخ اكبر شعرت بمسؤولية تجاه عماد فحدثتــه عن الصمود . وفي الصباح نُقلنا وقابلنا في وزارة الدفاع آمر الانضباط العسكري عبــد الكريم الجدة فحدثنا عن وساطة قريبنا العقيد المتقاعد خلف الجنابي وقال نحن نعرف انكم بريئون من التآمر على سـيادة الزعيم ونطلب مساعدتكم بتزويدنا بالمكان المحتمل لاخيكم المجرم طالب الشبيب وأسماء قادة المؤامرة العسكريين وساعة التنفيذ . فأجبتــه بأن طالب سافر لعلاج زوجتــه في الخارج والضباط كلهم يحبون سيادة الزعيم ولا اعتقد بوجــود مؤامرة . فانــهال علينا بسيل من الشتائم واخذنا مساعدوه وأوسعونا ركلاً وضرباً. وفي صباح اليوم التالي أخذونا إلى عبد الكريم الجدة ثانيةً فسألني فأنكرت فضربني بالعصا التي يحملها الضباط الأمراء ، فنــزفت عيني ونقلت إلى الطبابة ثم إلى السجن رقم واحد بمعسكر الرشيد وكانت قاعتــه تعج بالمعتقلين القوميين والبعثيين والإسلاميين ، وبالآلاف مــن الشيوعيين والأكراد وقابلت هناك عادل عبد المهدي المنتفجي ود. مسارع الراوي ود. عبد العزيز الدوري.

الأمن الآن داري وجئت لأحذر حازم من العودة إليها ، فخرج حازم .

اعتُقِل في تلك العملية علي السعدي وكريم شنتاف وعماد شبيب وبهاء شبيب ، وتمكن السعدي ببراعته المعروفة من التخلص من ورقة سجل عليها بعض الأسماء بينها ضباط "الصدمة الأولى" الذين سيقودون أرتال الدبابات إلى الدفاع والإذاعة والمرسلات ومعسكر الرشيد ، وفعل ذلك أخي بهاء . لكن السعدي اخذ معه إلى المعتقل "كلمة السر" التي تربط القيادة بكتيبة الدبابات الرابعة ، ولم يكن أحد غيره يعرفها وذلك توخياً للسرية المطلقة ، وهذه الكتيبة تمثل مركز وقلب الحركة وبدونها لا يكون هناك عمل . وشر البلية ما يضحك، فقد همست حينذاك لنفسي قائلاً : لقد عدنا بالويسكي وفقدنا كلمة السر وأمين السر[1]. وكنا بدون كلمة السر عاجزين عن الاتصال بضباط الحركة والمنفذين الأساسيين . ولم يبق من القيادة القطرية غير اثنين فقط ، حازم جواد وأنا ، ولا يفصلنا عن موعد إعلان الثورة غير ثلاثة أيام . ووسط ذلك الحرج ومشاعر اليأس تذكرنا اسم أحد الضباط وأظنه "قاسم" ويسكن الجعيفر ، وبعد بحث واستفسارات مضنية وصلنا له . قال : انه لم يسمع بشخص اسمه علي السعدي ولا يدري عن ماذا نتكلم . فطلبنا إليه مرافقتنا إلى مركز شرطة الجعيفر القريب ليرى بنفسه سيارة السعدي تقف هناك ويتأكد انه معتقل . جاء وشاهد واقتنع ، وسلّمنا كلمة السر فانتقَلَتْ صلاحيات ومهمات علي التنفيذية إلى حازم جواد.

وقد كنت ، وأنا أحوم حول داري وقبل ان أرى سعد قاسم حمودي وأصِلْ إلى حازم ، قد تمكنت من الاتصال هاتفياً بأحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف وأخبرتهما بما حدث وبأهمية ان لا يناما بمنزلهما لأن رقمي هاتفيهما موجودان في منزلي تحت اسمي "هيثم" و"أبو صلاح" . وقلت لهما : سأتصل بكما في وقت متأخر من هذه الليلة لنتفق على موعد ومكان آخر لاجتماع يوم الغد . وكانت ملاحظتي الأخيرة توحي بنوع من الإرادة والعزم اللاشعوري على الاستمرار في تنفيذ الخطة.

وفي اليوم التالي ٥ شباط اجتمعنا وقررنا مواصلة العمل ، لأن الأمن بدأ جدياً بملاحقتنا وسيتابع ذلك وستكون النتيجة واحدة إذا أقدمنا أو امسكنا . كما قررنا مواصلة الاجتماعات

---

١ ـ حار البعثيون وتساءلوا في سرهم : مَنْ يا ترى اخبر جهاز الأمن ؟ وهل كانت الدار مراقبة منذ فترة ؟ لكنهم علموا فيما بعد ان مهندساً اسمه "عدنان البدراوي" صديق بهاء الشبيب وجارهم هو الواشي . واراد مقابل ذلك ان يحصل على قرار بنقله من البصرة إلى بغداد ليكون قريباً من خطيبته. وعُثر على وشايته في دفتر صغير داخل مفكرة الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدي عند إلقاء القبض عليه وتفتيشه ، وورد فيها ان البدراوي اخبر عبد الجبار حمزة صديق عبد الكريم قاسم قائلاً : إذا أردتم مسك قيادة البعث فاذهبوا إلى بيت طالب شبيب . وبعد نجاح الحركة جيء به إلى مكتب حازم جواد الذي اقترح إعدامه . ثم تقرر الإعفاء عنه لان أخواته الثلاث بعثيات ومن عائلة صديقة للحزب ، وقد تزوج منذر الونداوي من احداهن فيما بعد .

كل يوم حتى التنفيذ . وكنا نثق ان علي السعدي لن يعترف ولا الآخرين فاستمرت الخطة وكأنه لم يعتقل ، ورغم عدم الخوف قمنا ببعض الترتيبات توخياً للحذر والاحتياط ، فطلبنا من كل الضباط الذين لهم اتصال مباشر بعلي السعدي تغيير محلات إقامتهم مؤقتاً ، ومن جانب آخر كنا مقتنعين ان جهاز الأمن الذي حصل من داري على آلاف الأوراق والبيانات والوثائق، لن يفلح في جردها وقراءتها وتصنيفها وفك رموزها قبل مرور أسابيع ، خصوصاً وانه جهاز بيروقراطي غير متحمس ولا تربط بين أعضائه وقيادة الدولة رابطة الحزب الواحد أو الأيديولوجيا الواحدة ، فضلاً عن عدم امتلاكه الصلاحية والحرية التامة ليفعل ما يراه مناسباً. لذا لم نعتبر عامل الزمن خطراً فورياً داهماً ضدنا و لم نرتبك بل كنا نعرف إننا سنفاجئهم قبل ان يتمكنوا من معرفة أي شيء . انهم جاءونا الاثنين وسنرد عليهم الجمعة وسيكون هدفنا النظام بكامله.

سؤال : كيف لم يؤدِ اعتقال نصف القيادة إلى تأجيل الحركة ؟

طالب شبيب : أول شيء ، لم نعتبر اعتقال صالح مهدي عماش نكسة بل استفدنا منه بتخويف احمد حسن البكر بأن اعتراف عماش المحتمل سيعني إعدامنا جميعاً . وكان البكر يخضع للتخويف ولهذا فقد أدى اعتقال عماش إلى غياب الأفكار المترددة والمثبطة عن اجتماعاتنا . وكان عماش قد نجح أكثر من مرة، بسبب تردده، بتأجيل إعلان الثورة .

أما علي السعدي فكان اعتقاله ضربة على الرأس ، بقينا تحت تأثيرها حتى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً ، أي حتى تحقيق الاتصال بضباط الكتيبة الرابعة والاتفاق معهم على كلمة سر جديدة وموعد للاجتماع يوم ٥ شباط وإبلاغهم بضرورة عدم مبيت المكلفين بقيادة الدبابات الأولى في منازلهم أو مراكزهم ، وان لا يغادروا مكامنهم الجديدة إلا يوم ٨ شباط صباحاً إلى مقر الكتيبة ، وبهذا تكون قوتنا الضاربة بين أيدينا وفي منأى عن عيون السلطة . كما تمكنا من إعادة الاتصال بلجان الإنذار في منطقة الأعظمية وبفرقتها الحزبية ، وكان مسؤولها بهاء شبيب وهي مكلفة بمهام خطيرة كاغتيال المهداوي وجلال جعفر الأوقاتي وسعيد مطر عند خروجهم من منازلهم[1]. وحققنا الاتصال بجميع المنظمات التي كانت مرتبطة

---

١ ـ كان تنظيم الاعظمية بمستوى شعبة حزبية وقيادتها: حازم سعيد ، بهاء الشبيب ، ضياء الفلكي ، يعقوب الحمداني ونجاد الصافي . وتتكون من فرقتين الأولى: فرقة الأعظمية ومسؤولها بهاء الشبيب وأعضاء قيادتها : صلاح صالح وسعد قاسم حمودي ووليد الغزالي وزهير الدوري و (........ التكريتي) وضياء الحلي . والثانية فرقة راغبة خاتون ومسؤولها ضياء الفلكي وأعضاء قيادتها : أديب خليل وسعاد أديب ومازن المفتي وغسان مرهون ، وكل واحد من هؤلاء يرتبط بخلية أعضاء . وعلى سبيل المثال يستذكر المفتي حلقته المتكونة من مظهر حبيب الخيزران ومسلم الجبوري وسعدون شاكر. وتنشط في منطقة الفحامة والكريعات[7]. أما فرق الانذار فكانت كثيرة بينها على سبيل المثال زمرة بقيادة صلاح صالح مهمتها مهاجمة دار عبد الكريم الجدة . وزمرة أخرى مهمتها مهاجمة دار
←

بالمعتقلين ووضعنا آلية جديدة لتحركها، وحددنا موعداً للاجتماع بمسؤولي لجان الإنذار في الساعة الثامنة من صباح ٥ شباط . ورغم ثقتنا بأن بهاء لن يعترف فقد طلبنا منهم تغيير محلات إقامتهم ما أمكن ذلك مع اخذ الحذر والترقب . وكان على تلك اللجان ان تقوم بأعمال كبيرة واحتلال منائر المساجد على الطريق الرابطة بين الدفاع وأبو غريب واحتلال نادي الأولمبي ومفارق الطرق والجسور المؤدية لوزارة الدفاع وإلى معسكر الرشيد لمنع الضباط من الالتحاق بوحداتهم وعدم السماح لأحد بالمرور إلا بتعليمات وموافقات خاصة ، وعرقلة محاولات محتملة سيقوم بها الشيوعيون والقاسميون للتظاهر. وفعلاً تمكنوا صباح ٨ شباط من إرباك الدولة وتفكيك تماسكها واعتقال عشرات الضباط، وإعطاء القيادات العسكرية والمدنية الحكومية انطباعاً بأن ما يجري على الأرض هو عمل كبير وشامل يَحسِبُ لكل شيء حسابه.

وبعد ان قمنا بكل ذلك ذهبنا إلى دار حازم جواد في حي المعلمين بكرخ بغداد ، ويقع في منطقة خلفية من كرادة مريم وهو حي جديد بني بعد ثورة ١٤ تموز لنرتاح قليلاً استعداداً لغد متوتر مليء بالمواعيد من الفجر حتى منتصف الليل .

وفي آخر اجتماع مهم للمكتب السياسي مع المكتب العسكري وبعض الضباط المنفذين في بيت المقدم عبد اللطيف الحديثي ، تمّ توزيع الواجبات والضباط المساهمين على زمر صغيرة ، حوالي خمسة ضباط في كل زمرة ، تنام كل واحدة في بيت أحد أعضاءها . ثم يخرجون في الموعد المحدد صباحاً بملابسهم المدنية وأسلحتهم البسيطة بسياراتهم الخاصة إلى مركز

سعيد مطر بمنطقة الفحامة . وكلّف نجاد الصافي وهاشم قدوري وسعدون العزاوي وبهاء شبيب بمهمات أخرى . وكان هاني الفكيكي قد تكلف بتنظيم الاعظمية لفترة من الزمن . وهناك في مناطق أخرى من بغداد مجموعات من فرق الإنذار تقوم بأعمال مماثلة كالمجموعة التي احتلت مركز شرطة المأمون وحولته إلى مقر للحرس القومي وسمحت بإذاعة بيان الحركة قبل اعلانها بدقائق وتشكلت من: قحطان السامرائي وحمود العزاوي وجاسم قره علي وعصام الراوي وفائز ضياء وفرات الزهاوي وحاتم قدوري وأكرم العاني. ومجموعة أخرى أدارتها سعاد أديب، وتكونت من صلاح مكي وحسن غافل ومهدي نجم، بُلّغت يوم ١٣ رمضان بضرورة حضور اجتماع حزبي في السابعة من صباح ١٤ رمضان في دار طارق عزيز في الكرادة خارج فوجدوا هناك آخرين مثل أحمد كرنتينة وعباس أحمد، وصار العدد حوالي خمسة عشر شخصاً، فوجئوا في الساعة الثامنة والنصف بأحمد العزاوي يطرح أمامهم كيساً كبيراً من السلاح ثم يخرج مسرعاً، وحينها وقف أحدهم وصاح: يا رفاق اليوم هو يوم الثورة، ثورة الحزب، فقبّلوا بعضهم وتعانقوا وبعد سماع البيان رقم ١ خرجوا على شكل مجموعات، كل مجموعة من أربعة أشخاص، وكان طارق عزيز دليل المجموعة التي تضم صلاح مكي وحسن غافل وحسين علي ومهدي نجم إلى دار العقيد فاضل عباس المهداوي حيث حصلت مواجهة مع حراسه فاضطرت المجموعة إلى اللجوء إلى حديقة الدار المجاورة واستطاع المهداوي الخروج والذهاب إلى وزارة الدفاع، فانسحبت المجموعة لتأمين مهام أخرى في ساحة التحرير[8]. وفي الكرخ حيث توجد الفرقة الحزبية الأولى المتكونة من قحطان العاني ومحمود ناصر تركي ومهدي العبيدي وخلف عبد الأخوة وسامي مهدي ودرع ظاهر السعد، ومسؤولها صباح المدني، وقد أبلغها بضرورة إخفاء المستندات من البيوت والبقاء في يوم الجمعة ٨ شباط قرب الراديو وكان قحطان العاني يعرف أن الحزب سيستلم السلطة لأنه كان عضواً في قيادة الإضراب الطلابي.

انطلاق العملية العسكرية وكانت كلمة السر قد وضعت في اجتماع ٤ شباط بحضور السعدي وهي "رمضان" وجوابها "مبارك" . وحضر الاجتماع الأخير : حازم جواد ، طالب شبيب، احمد حسن البكر ، عبد الستار عبد اللطيف ، منذر الونداوي ، عبد الكريم مصطفى نصرت، ذياب العلكاوي ، أنور عبد القادر الحديثي وآخرون ، وتقرر ان يكون أنور سكرتيراً للمجلس الوطني لقيادة الثورة وتكون وظيفته بمثابة عضوية في المجلس المذكور . وحينما همَّ عبد اللطيف الحديثي بالخروج سمح له البكر بالبقاء والحضور بشرط عدم المشاركة في الحديث لأنه ضابط منفذ وليس قياديا.

وفي ٧ شباط اجتمعنا لإنجاز آخر المهام وكانت : إبلاغ التنظيمات الحزبية في بعض المحافظات بكلمة السر ويوم الثورة ، كما وزعت المهام داخل بغداد وتهيئة الأسلحة لتوزيعها من قبل قيادة فرع بغداد على المدنيين وعلى الضباط المتقاعدين الذين سينطلقون إلى مقر كتيبة الدبابات الرابعة . ومن اجل الحفاظ على السرية جرى إهمال تبليغ عدد كبير من البعثيين وجميع القوميين عدا عبد الغني الراوي وفهد السعدون وقلة قليلة منهم ، كما تكلف حامد جواد إبلاغ عارف عبد الرزاق بنبأ الثورة فوراً بعد إعلانها ومرافقته إلى قاعدة الحبانية . واتفقنا على استنفار المدنيين ليستمعوا للإذاعة ويترصدوا الأجواء كل يوم جمعة ليهبوا فور سماع البيان رقم واحد أو مشاهدة طائرة منذر تحلق في الجو ، وحينها يقومون بإبلاغ غيرهم ممن كانوا في حالة إنذار واستعداد للطوارئ لكنهم لم يبلّغوا أساساً بالثورة . كما يذهب المهندس عدنان القصاب فوراً بعد إعلان الثورة إلى دار عبد السلام عارف لإبلاغه ومرافقته إلى معسكر أبو غريب.

وناقشنا في ذلك الاجتماع مرة أخرى إمكانية التأجيل أو المضي قدماً . وكان الجواب الحاسم على هذا الاختيار الخطير يتوقف على سؤال حاسم وجهه احمد حسن البكر إلى رائد الجو منذر الونداوي، قائلا : ترى إذا كان الجو غير ملائم ، هل ستنفذ واجبك ؟

أجاب منذر : "ان الرعد والزوابع لن تثنيني عن التنفيذ ، أبو هيثم كن على يقين أني سأكون في تمام التاسعة في الجو وعندما تنظر إلى الساعة ستجدني في تلك اللحظة قد انطلقت ."

ووقع عليّ وعلى حازم جواد دور احتلال مرسلات أبو غريب ويكون الملازم رياض القدو مرافقاً لنا ، وسترافقنا ثلاث دبابات للحماية والاصطدام (لأنها غير مسلحة) ويقودها عبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهداوي وجميل صبري . وفي نهاية الاجتماع قال لطيف الحديثي بعد ان سلمني بدلته العسكرية:

أجمعوا أمرهم عشاءً فلما — أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

اثر فينا هذا البيت فتصافحنا وتعانقنا وتعاهدنا ان نموت أو ننتصر .

سؤال : ما زلت انظر باستغراب إلى عدم تأجيل الحركة ، ما الذي شجعكم على الاستمرار ؟

طالب شبيب : كانت خطة الثورة قد وُضِعت بشكلها الكامل عام ١٩٦٢ ومنذ ذلك الحين أجرينا إنذارات أسبوعية للجهازين المدني والعسكري للتدريب على الخطة ككل وعلى جزئياتها ، فضلاً عن تعيين مواعيد حقيقية لإعلان الثورة وتأجيلها أكثر من مرة . وكانت الإنذارات والتهيئة بمثابة تمرين نادر وتدقيق وتقويم للخطة . فبعد كل إنذار تصلنا اقتراحات وتعديلات من الجهازين العسكري والمدني فنناقشها ونصوب ما نراه مناسباً. وفي كل مرة يتحسن الأداء . وفي الحقيقة كان كل إنذار يمكن ان يكون يوماً للتنفيذ أي إنها لم تكن إنذارات تطبيقية "مدرسية" ، وإنما كان كل بعثي ومنذ مدة طويلة يجلس كل يوم جمعة قريباً من المذياع متأهباً ، ينتظر سماع البيان الأول للثورة وأعصابه مشدودة ، يراجع ما يجب عليه القيام به[1].

كما درسنا مع المكتب العسكري عدة مرات كل الإمكانات العسكرية المحيطة بمدينة بغداد . وتأكدنا من قدرتنا في كل الأحوال على هزيمة النظام وحسبنا كل شيء بدقة . وكمثال على تدريباتنا ابلغ علي السعدي أحد الضباط بأن بعض الرفاق سيزورونه أثناء إشرافه على تدريب وحدته ليتأكدوا من إمكانيته على ضبطها وتحريكها كما يشاء وكان الضابط هو حميد

---

١ ـ تكررت إنذارات البعث ومواعيد قيامه بحركة ، وتكرر معها إنذار الشيوعيين لمنظماتهم، الأول يستنفر استعداداً للتغيير والثاني لمقاومة التغيير . البعث يؤجل ويكتشف في كل مرة ضعفاً في خطته فيُقَوِّمها والشيوعي يشعر بحرج أمام عبد الكريم قاسم وأجهزته لأنه اعتاد تحذيرهم من خطر بدا وهمياً . ومع تكرر الأمر وعدم حصوله فَقَدَ قاسم ثقته بمصادر المعلومات ، وربما فقد ثقته أيضاً بخصومه البعثيين الذين يقولون ما لا يفعلون . فلم يكترث كثيرا خصوصاً وهو يلمس ويرى كل يوم التأييد الشعبي الثابت له عندما يمر بشوارع بغداد أو يزور إحدى المدن والأحياء البغدادية باستثناء القليل منها ، فيزداد ثقة بنفسه . تلك الثقة التي استمد الكثير منها في حياته المهنية المترعة بالنجاحات والتي تُوجت بوصوله إلى حكم العراق . فتوقع الشغب لكنه لم يتوقع نجاح عمل يؤدي إلى إسقاطه . وربما استناداً إلى الوقائع التي فكر بها عبد الكريم قاسم كان صالح مهدي عماش متحوفاً من إمكانيات النجاح ، وكان عبد الستار الدوري يرى ان الظروف الذاتية للعراق والبعث غير ناضجة لتسمح بقيام ثورة أو إدارة السلطة، ووقف مثل هذا الموقف عدد قليل من البعثيين بينهم قحطان العاني[9].
واعتقد ان تسامح قاسم وعدم استخدامه التعذيب الوحشي والقسوة ومعاقبة الزوجة والأطفال والأخوان ... الخ مما مارسته الحكومات التالية ، ساعد البعثيين في تنفيذ خطتهم ضده . فلم يكن قاسم وحده يعرف بوجود حركة يُخَطَطُ لها ضد نظامه بل علم بذلك مجلس الوزراء بكامله وعدد من المهتمين . فقد حدثتني الدكتورة مي الاوقاتي ان خالها هاشم جواد (وزير خارجية قاسم) اخبرهم ان بمجلس الوزراء بحضور قاسم أُعْلِم أكثر من مرة بمحاولة سيقوم بها البعثيون[10]. و لم يكن صعباً على السلطة جمع مائة بعثي في بغداد وتعذيبهم وقتل من لا يعترف منهم لتصل إلى النتائج التي تريدها . لكن حكومة قاسم لم تكن تفكر بمثل تلك الأعمال تحت اية ظروف أو ضغوط ، لأن أكثر أعضائها سياسيون أحرار غير مقيدين بأيديولوجيا تقول لهم : ان إرادة الكون والتاريخ تقف معهم ، وان عليهم من اجل سعادة الملايين التضحية بمئات الأشخاص .

عبد الله التكريتي ، فذهبنا لنفاجأ انـــه قام بإخراج وحدتـــه إلى شارع فرعي وجعلها تـــروح وتجيء بما في ذلك الدبابات التي صعدت أثناء حركتـــها قليلاً إلى الشارع العام . وكان بتصرفه يرغب ان يقول لنا انـــه يثق بجنوده وضباط صفه ويستطيع ان يحركهم كما يرغـــب . ومـــن جانبنا أرضينا رغبتنا في التأكد من قدرة ضباطنا وإمكانيتـــهم .

مراجع:

[1] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
[2] عبد الكريم فرحان . حصاد ثورة ، مرحع سابق، صفحة ٦١.
[3] مقابلة مع خالد مكي الهاشمي في ٨٥/٣/٥ ، راحع صالح الجبوري ثورة ٨ شباط ١٩٦٣. ص ١٧٤
[4] مقابلة مع هاشم المشاط في ألمانيا ١٩٩٧
[5] مقابلة مع مظفر النواب ١٩٩٨ - لايدن هولندا
[6] رسالة من بـــهاء شبيب بتاريخ ٩٨/٣/٢٩
[7] رسالة من بـــهاء شبيب . م . س .
[8] مقابلة مع د. مي الأوقاتي ود. جميل منير العاني ، فيردن ، هولندا ١٩٩٦. البحث عن مجموعـــة اغتيـــال الأوقاتي.
[9] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.

الاغتيال بالدبابة

لم يكن في صباح ٨ شباط عام ١٩٦٣ ما يميزه عن بقية أيام ذلك الشهر في بغداد. أشعة الشمس هادئة، والرياح نسمات تطوف الأجواء. كان يوم جمعة (العطلة الأسبوعية) حيث حركة العربات والبشر بطيئة مقارنة مع بقية أيام الأسبوع، فضلاً عن مصادفته في شهر رمضان (١٤ منه). ومعظم أهالي بغداد الصائمون وغير الصائمين يسهرون الليالي ويتأخرون في الاستيقاظ صباحاً، ووسط ذلك الهدوء كانت أعداد السيارات المتجهة إلى "أبو غريب" المنطلقة من عند معسكر الوشاش (الزوراء حالياً) أكثر نسبياً من أي يوم جمعة رمضاني آخر. وبحكم العادة فإن الناظر يتصور إنها متجهة إلى الحبانية لقضاء العطلة والتمتع بالسماء الصافية على ضفاف البحيرة. غير أن بعض السيارات وعلى غير العادة كانت تتوقف عند منعطفٍ إلى يمين الطريق العام لتدخله إلى موقع عسكري هو كتيبة الدبابات الرابعة في معسكر "أبو غريب" وكانت سيارتنا إحدى تلك السيارات المنعطفة إلى تلك الطريق الفرعية بنفس الوقت الذي دخلته سيارات خاصة تقل حوالي ثلاثين من رفاقنا المكلفين. وهناك على باب الكتيبة وقف أربعة ضباط يفسحون المجال للسيارات بالدخول بعد الاستماع إلى كلمة السر "رمضان مبارك"، وكنت أقود سيارة فيات وعلى يميني جلس الملازم رياض قدو وفي يده "غدارة" وفي الخلف حازم جواد مسلحاً بمسدس وحملت على جانبي مسدساً فضياً نوع "برنو" لم استلمه إلا ذلك الصباح. ووصلنا إلى المعسكر في التاسعة صباحاً بالضبط، ولم نكن أول الواصلين ولا آخرهم[1].

---

١ ـــ في نفس وقت انطلاق سيارة طالب إلى مقر الكتيبة، انطلقت من امكنة مختلفة سيارات أخرى قاصدة مقر الكتيبة، بينها سيارة المقدم عبد اللطيف الحديثي انطلاقاً من دار العقيد ذياب العلكاوي في حي دراغ، وجلس إلى جانب الحديثي العقيد طاهر يحيى التكريتي والعقيد العلكاوي، وفي المقعد الخلفي جلس العقيد رشيد مصلح التكريتي وإبراهيم عباس الدليمي ويتوسطهم العقيد احمد حسن البكر، كما جاء سامي سلطان ونصيف جاسم العاني ومجموعتهم بسيارة سامي. وانور عبد القادر الحديثي بسيارته يصحبه عدنان العزاوي والملازم وجدي ناجي والملازم سعدي طعمة الجبوري والمقدم علي عريم. وجاء بسيارته كل من العقيد عبد الكريم مصطفى نصرت والمقدم سعيد صليبي والمقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهداوي والرئيس أول جميل صبري البياتي والنقيب الركن سعد وهيب السامرائي والنقيب احمد عبد الجبار الجبوري وعلاء الدين الجنابي والملازمين عدنان خير الله طلفاح وعدنان شريف التكريتي وصلاح الطبقجلي وعدنان دحام الجبوري وطارق صادق وكامل نعمة وحميد عبد الله التكريتي ومظفر يونس الدبوني ومحمد إسماعيل الويس وفليح عبد الجبار الخربيط ووليد محمود سيرت وفارس حسين وجاسم شبوط وفاضل جاسم وعزيز الخطيب العاني وسليم الإمامي ونعمة فارس وسعدون فليح العاني وهاشم إسماعيل. ونام بعض ←

بدأنا في السابعة من صباح ذلك اليوم ١٩٦٣/٢/٨ (١٤ رمضان) بتناول فطـور بسـيط أعدتـه الحاجة والدة حازم جواد ثم ارتدى كل منا بدلة عسكرية للضباط وكـانت بدلـتي مستعارة من المقدم عبد اللطيف الحديثي وهو أطول مني ببضع سنتيمترات مما جعلني لا أبـدو بالقيافة العسكرية المطلوبة من الضباط داخل الجيش العراقي، وما أقلقني قليلاً هو الخرق الـذي حصل فيها عندما نـزعت عنـها التاج وأبقيت نجمة واحدة لكي تتلاءم مع عمري ووضعـي الذي لم يكن مناسباً لرتبة المقدم، إذ لم أتجاوز حينذاك الثامنة والعشرين. أما بدلة حازم جـواد فكانت مناسبة ومزينة بنجمتين . وعلى اية حال لم يكن أمر القيافة أهم ما يعنيني بل السـلاح حيث لم تكن لدينا سوى غدارة لم نجربـها ومسدس حمله حازم جواد وأصبحت الرشاشة من نصيبي. وفي تمام الساعة الثامنة وحسب موعد مسبق جاء إلى الدار الملازم الأول رياض قـدو ومعه مسدسه الفضي الذي أشرت إليه وأصبح من نصيبي فيما بعد. وكان الملازم قـدو يظـن إنـه سيصحب حازم جواد في جولة يزورون خلالها رفاقهم في أبو غريب والكتيبـة الرابعـة. تلك الكتيبة التي تقرر منذ زمن طويل أن تكون نقطة انطلاق الثورة التي قرر حـزب البعـث العربي الاشتراكي- قيادة قطر العراق - القيام بـها ضد حكومة عبد الكريم قاسم.

سأل رياض قدو ،حازم جواد بعد تناول الشاي : ما هو برنامج اليـوم ؟ وأي الوحـدات ترغب أن ترى وتزور ؟.. فسمع الأستاذ حازم يقول له بنبرة مختلفة : "يا رياض اليوم هو يـوم

الضباط الشباب في الكتيبة لتـهيئة الوضع لرفاقهم في صباح اليوم التالي، كما جاء بقية الضباط من وحدات أخـرى وكذلك آخرون متقاعدون، حيث جاء أكثرهم بملابسهم المدنية لكي لا يلفتوا النظر واستبدلوها بملابس عسكرية فـور وصولهم وبعضهم غيرها داخل السيارة ثم اندفعوا فوراً نحو الدبابات.

وفي الحبانية تمكن ضباط بعثيون، على رأسهم المقدم داوود الجنابي من الاستيلاء على اللواء الثامن إنتظاراً لوصول العقيد عبد الغني الراوي لاستلام قيادتـه.

وعلى مستوى القوة الجوية ذهب رائد الجو منذر الونداوي إلى قاعدة الحبانية في ٧ شباط مساءاً بعد منتصـف الليـل للسيطرة عليها يعاونـه ضباط بعثيون : حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق ووائق عبد الله ويونس صالح وعمانوئيل سليمان وصباح سالم واسامة وهبي وفهد السعدون (ليس بعثياً)، وقد عمل الونداوي منذ ١٩٦١، انطلاقاً من قـاعدة الحبانية والسرب السادس بالذات، على بناء منظمة حزبية ممتازة في القاعدة.

ومن قيادة الحزب وصل إلى أبو غريب حازم وطالب وهاني والدوري للإشراف على الإذاعة وإصدار التعليمات الحزبية وإذاعة إشارات متفق عليها سلفاً مع البعثيين إلى جميع أنحاء القطر. كما وصل عدنان القصاب وعبد السلام عـارف. وهؤلاء جميعاً إضافة إلى قيادة فرع بغداد وبعض كوادره كانوا المساهمين المبلغين الاوائل. ويستثنى حردان التكريتي الذي فضل ان تكون مساهمتـه كدفعة ثانية وخالد الهاشمي المبلغ لكنـه تأخر حتى منتصف النـهار، وضباط آخـرون في وحدات معسكر الرشيد مثل محمد علي سعيد وفليح الساعدي وجبار السوداني وطه الشكرجي وطاهر التكريتي وثـامر الونداوي، فضلاً عن المخطط والمدبر رقم واحد: علي صالح السعدي وكذلك كريم شنتاف وصالح عمـاش وبـهاء وعماد الشبيب. ولم يتم تبليغ القوميين لأن البعث وحد ان جناحيه المدني والعسكري يكفيان وكذلك حرصـاً علـى السرية. ولم يُبلغ بعض البعثيين لعدم وجودهم بمراكز قريبة أو لأن ظروفهم لاتسمح باشتراكهم. وابلغ بعض الضبـاط صباح يوم الحركة كطاهر يحيى ورياض القدو، وكان عدد الضباط المبلغين قبل صباح ٨ شباط ٢٦ ضابطاً فقط.

الجد". وبعد أن أستوعب المفاجأة، رد رياض بشيء من الدهشة والاستغراب وربما بقليل من الاستنكار قائلا : "كيف لم تبلغني بذلك ؟ فأنا الآن لا أحمل من السلاح إلا هذا المسدس".. وأستمر متسائلا .. ماذا لديكم من أسلحة ؟ واتجهت عيناه صوب غدارتي .

الغدارة بيدي أنفع

كان هذا اللقاء هو الأول بيننا (أنا ورياض) لكن الألفة تمت في نفس لحظة التعارف، وسارت الأمور بيننا فيما بعد وكأننا زملاء عمل وسلاح منذ زمن طويل. فقال لي : يا طالب هل جربت استعمال الغدارة؟ أجبته بالنفي ،فأضاف :"أنني طبعا سأكون مكلفا بحمايتكم ومرافقتكم ولذلك أرجو أن تأخذ مسدسي وتعطيني الغدارة لأنها بيدي أنفع ، خصوصا وأن مهمتكم ستكون بالتأكيد أعمالا أخرى". وافقت على كلامه فورا وحصل ارتياح لأنني كنت قد تدربت على استعمال المسدس في مناسبات اجتماعية عديدة ، بينما لم أستعمل الغدارة طوال حياتي ، و لم أكن أعرف على وجه التحديد كيف سيكون أداؤها لو احتجت إلى استعمالها. أبلَغَنا رياض قدو إن مهمتنا ستبدأ بعد زمن يكفي لأن نصل في تمام الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم إلى مقر كتيبة الدبابات الرابعة . وكانت المسافة محسوبة بدقة بحيث نصل في الوقت المحدد. وحسبناها بسياقة السيارة بسرعة معقولة تجنبا للإثارة ولفت الأنظار. ومن هناك سنتجه بسيارتنا ومعنا جهاز تسجيل وأشرطة وأناشيد وطنية إلى مرسلات البث الإذاعي المباشر في أبو غريب. ولا تبتعد المرسلات عن الكتيبة سوى مائتي متر. وتقع في طريقنا إلى الكتيبة. وان الأمور مرتبة بشكل دقيق وسيكون باستقبالنا آمر سرية المرسلات وهو ضابط بعثي مبلغ بساعة الصفر، ليرشدنا فوراً إلى أستوديو احتياطي معد أساساً من قبل إدارة عبد الكريم قاسم لاستخدامه في التسجيل والإذاعة الاضطرارية فيما لو حصل طارئ أو أي خلل آخر. وكان أعداد هذا الأستوديو قد تم منذ إنشاء المرسلات و لم يستخدم إلا نادراً، كما وستصحبنا إلى محطة البث ثلاث دبابات من الكتيبة الرابعة يقودها كل من المقدم عبد الستار عبد اللطيف والمقدم محمد المهداوي والرئيس أول جميل صبري، ولكن لن يكون في هذه الدبابات أي عتاد – خفيف أو ثقيل– كما إنها معرضة للعطل: لأن واحدة منها أو جميعها ربما تكون مفرغة من ماء التبريد فقد تصل أو لاتصل. لكننا نحن الثلاثة أنا وحازم ورياض يجب أن نصل للمرسلات حتى لو سرنا على الأقدام، مهما كانت الظروف لنذيع البيان الأول وما يتبعه من بيانات وتوجيهات أخرى لإذاعتها إلى أن يتم الاستيلاء على إذاعة بغداد الرئيسية في الصالحية. وآنذاك تعود مرسلات أبو غريب إلى واجباتها الأصلية وهي استلام الإشارات من إذاعة بغداد وبثها إلى كافة أنحاء العراق.

و لم تدم احتجاجات رياض قدو طويلاً بعد أن علم أن الأمر قد حزم بصورة لا عودة فيها، وان كل المكلفين بمهمات سينطلقون لتنفيذها في الساعة التاسعة صباح هذا اليوم دون مراجعة

القيادة، وليس هناك وسيلة اتصال بين أطراف العمل للمراجعة أو التوقف عن التنفيذ المتشعب والمعقد والمتباعد. وليس بالوسع الآن غير الإلزام والتنفيذ حرفياً بما متفق عليه، وفي الحقيقة فان القدو استدرك وركز اعتراضه بأنه لو ابلغ مسبقاً لاستطاع ان يجلب أسلحة أكثر كفاءة وهي متوفرة لديه.وهكذا عندما أزفَ الوقت خرجنا نحن الثلاثة من دار حازم جواد ، وكانت الحاجة والدته تقف على باب الدار رافعة المصحف ، مررنا من تحته وقبلناه. وطلب مني الأستاذ حازم قيادة السيارة بالسرعة المتفق عليها. وفي ذات الوقت كان يفترض برفاقنا الذين ناموا داخل الكتيبة ان يكونوا قد رصدوا بعيون مفتوحة أي طارئ، وقام واحد منهم على الأقل منذ الساعة السادسة صباحا باستطلاع مستمر لمعسكر أبو غريب لملاحظة ما إذا كان هناك أمر غير عادي، كما يقومون مبكرا باعتقال الموالين للحزب الشيوعي ولقاسم ليصبح أمر الكتيبة مأمونا.

وفور وصولنا مقر الكتيبة ترجلنا فوجدنا رئيس عرفاء طويل القامة (وكنت على معرفة سابقة به) بيده رشاشة ينتصب أمامنا واقفاً برجولة وهمة تبعث على الثقة أطلق صفارة إنذار أدت حالا إلى انتعاش غريب في نفوسنا . فما أن انطلقت الصفارة حتى فتحت أبواب الردهات وخرج الضباط والجنود وضباط الصف ، وركض كل منهم نحو دبابته يزيح عنها الغطاء، وساهمنا معهم بأيدينا بسحب تلك الأغطية تشجيعا لهم ، وبعد لحظات كانت الدبابات جاهزة للتحرك بمن فيها الثلاث الأولى الأقرب إلى الباب والتي سترافقنا بقيادة عبد الستار والمهداوي وصبري ، وبالفعل كانت هي وسيارتنا الفيات أول الآليات التي تحركت إلى يسار الطريق نحو أبو غريب .

أما بقية الدبابات فتحركت على يمين الطريق باتجاه الحبانية وهدفها السيطرة على مخازن العتاد لأن جميع الدبابات، كما أشرنا، بلا سلاح ولا يستطيع قادتها إطلاق النار سوى من أسلحتهم الشخصية. وكان على رأسها دبابة يمتطيها احمد حسن البكر، تتبعه عن قرب دبابة فيها العقيد طاهر يحيى التكريتي ودبابات أخرى يقودها ضباط معظمهم متقاعدون أو ممن مازالوا في الخدمة بكتائب أخرى، لكنهم مبلغون بساعة الصفر ومكان الانطلاق[1].

---

١ ـــ سميت الدبابات الأولى التي توجهت لتنفيذ مهماتها بارتال (الصدمة الأولى) وكانت على الشكل التالي : رتل الإذاعة : ثلاث دبابات يقودها : العقيد ذياب العلكاوي، الرائد عبد اللطيف الحديثي، والنقيب احمد عبد الجبار الجبوري والملازم حميد عبد الله التكريتي والملازم إبراهيم عباس الدليمي.ورتل المرسلات بقيادة حازم وطالب : ثلاث دبابات يقودها عبد الستار عبد اللطيف ومحمد المهداوي وجميل صبري والنقيب سعد وهيب السامرائي والملازم رياض القدو. ورتل وزارة الدفاع: بقيادة العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت والملازم وحدي ناجي والملازم شبوط حاسم والملازم طارق صادق والرائد سعيد صليبي وعدنان شريف التكريتي وغيرهم وتكونت من ثماني دبابات على دفعتين. ورتل معسكر الرشيد : العقيد طاهر يحيى والمقدم انور الحديثي والمقدم رشيد مصلح التكريتي والملازم عدنان خير الله وغيرهم وتتكون من ثلاث دبابات.

يَرُونَ صورتـه في السماء :

وما كادت سيارتنا مع الدبابات الثلاث تقطع نصف المسافة أي حوالي مائة متر حتى شاهدنا الدخان يتصاعد من ماكنة دبابة محمد المهداوي، ولم نفاجأ بذلك إذ علمنا مسبقاً ان بعضها خال من ماء التبريد، وظل أملنا ان تصل الدبابتان الأخريتان إلى باب مرسلات الإذاعة سالمة لتتمكنا من أداء دورهما وهو قطع الطريق والتصادم دونما عتاد مع اية مدرعة قد تأتي لمهاجمتنا، وحرفها عن الطريق ثم استخدام الرشاشات الشخصية لمقاومة من هم على ظهرها. ومهما يكن فقد كنا مصممين بما معنا من وسائل أن نصل ونتمم واجبنا بتشغيل الإذاعة. كما كانت ثقتنا غير محدودة بقدرة الرتل الذي يقوده البكر على النجاح في التزود بالعتاد والعودة إلى بغداد، وربما يعود إلى تلك الثقة وإلى ذلك التصميم عدم التفكير بوضع خطة طوارئ للهرب في حالة الفشل.

وصلنا إلى باب المرسلات وترجل كل من ستار وصبري من دبابتيهما وجاء محمد المهداوي ماشياً على قدميه، وكان هناك عدد من جنود الحراسة يقفون على الباب الرئيسي. نظرنا حولنا فلم نر صاحبنا آمر السرية الضابط البعثي المبلغ بالحركة والذي وعد باستقبالنا وإرشادنا فوراً للاستوديو الخاص الاحتياطي. إلا ان بدلاتنا العسكرية، رغم بدلتي غير المناسبة، جعلت الجنود يقابلوننا بالتحية العسكرية. وقد ساعدنا كثيراً استرشادنا بنصيحة المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف الذي قال لنا قبل الوصول للمرسلات: يجب ان تحافظوا على صور عبد الكريم قاسم وعلى شعارات حكومته مرفوعة خارج البناء (في البداية على الأقل) لأن الجنود يحبونه ويرون صورته في السماء. أما الضابط البعثي آمر سرية المرسلات فقد اعتذر فيما بعد عن تأخره في المساهمة بالثورة بإصابته بإسهال شديد، ولم يكن ذلك المرض الشائع عند العراقيين يمنعهم عن أعمالهم الاعتيادية فكيف في مثل هذا الأمر الهام؟

دخلنا أنا وحازم ورياض شاهرين مسدساتنا وبندقية يتيمة، وفوراً صرخنا نحن الثلاثة بصوت واحد " أوقفوا الإرسال حالاً" وفوجئنا بوجود ما يقرب من عشرين فنياً يعملون في القاعة أمام أجهزتهم المختلفة، ويضع بعضهم السماعات على آذانه. نظروا إلينا بدهشة وكأننا أناس نزلوا من القمر، لكنهم وبحركة سريعة وعفوية لا تصدر إلا عن موظفين لم يتعودوا على الحرية والممانعة، ذهبوا إلى حيث توجد أجهزة الإيقاف الكهربائي-السويجات- فأوقفوا البث ورأينا المؤشرات التي تدل على الإرسال تتحرك وتميل إلى الصفر. حصل ذلك في التاسعة وبضع دقائق. وحينها طلبنا إلى الفنيين إرشادنا إلى استوديو الإذاعة الاحتياطي الخاص، فانبرى أحدهم قائلاً بلهجة الصادق الواثق " يا أستاذ لقد سُحِبَ الاستوديو قبل أسبوع واحد، ان معلوماتكم عن وجود استوديو — إذاعة مؤقتة- دقيقة، لكنه سُحِبْ!

وقع حديثه علينا وقع الصاعقة، فلو صح ما يقول فانه سيعني إصابة الحركة بكاملها بمقتل،

إذ ان بث البيان الأول يُعد أهم جانب في العملية الثورية، وبمثابة إشارة لكل الطيارين ان يطيروا ويباشروا قصف وحماية مواقع محددة ومرسومة، وإلى أعداد هائلة من البعثيين ممن تم تبليغهم ان يستمعوا لإذاعة بغداد كل يوم جمعة ليكونوا جاهزين للانطلاق لتنفيذ واجباتهم المرسومة سلفاً بمجرد سماع البيان الأول، فضلاً عن توقع التحاق أعداد هائلة من الأنصار ومن الضباط القوميين بالحركة. وإذا لم نذع البيان الأول فستكون العواقب وخيمة وسيؤدي الأمر إلى ارتباك خطير جداً.

تملكني أنا وحازم هدوء غريب. وهناك مقولة تقول : عندما يقابل الإنسان الموت سيكون ذهنه أكثر صفاءً من أي وقت مضى في حياته. وفي تلك اللحظات شعرت بهدوء وبصفاء وتركيز، وأهم من ذلك تملكني استعداد للقيام بأي شيء يمكن ان يؤدي إلى إنقاذ الموقف. صحيح أني لم أتذكر حينها هذه المقولة، لكني تأكدت من صحتها وانطباقها على موقفنا أنا وحازم، فيما بعد، عندما راجعت في ذهني تلك اللحظات الحرجة. إلا أن الملازم رياض توتر وسحب أقسام رشاشته مهدداً، وحدث ما لم يكن في الحسبان إذ انخرطت الرصاصات وبدلاً من ان تستقر في سبطانة رشاشته، انزلقت ساقطة على الأرض الواحدة تلو الأخرى، فاكتشفنا باهتين بأن الأسلحة التي خبأها الحزب لمدة تصل إلى ثلاث سنوات هي أسلحة غير مجربة، وتمنينا ان يكون حظ الآخرين ممن يحملوا مثل أسلحتنا أفضل من حظنا. ولم تترتب على ذلك اية نتائج سلبية لأننا لم نواجه أي نوع من المقاومة وان المسدسين كانا كافيين للتهديد وتنفيذ المهمة.

وهنا تطوع أحد الفنيين مخاطباً " أستاذ ليس هناك من فائدة لتخويف الفنيين لأن الاستوديو قد سحب من قبل مجموعة من ضباط الانضباط العسكري قبل أسبوع واحد، وفي يوم الجمعة الماضي على وجه التحديد، صُعِقنا أكثر وأُصبنا بوجوم غريب . لكننا تصرفنا بهدوء لإدراكنا بان احتلال المرسلات والبث منها هو اخطر فصل في الحركة، ولابد ان يكون تصرفنا متناسباً مع أهمية الهدف رغم إحاطة أسباب الإحباط من كل جانب . فدباباتنا بلا سلاح وآمر سرية الحراسة لم يكن موجودا والإذاعة غير موجودة والأسوأ من ذلك ان الدبابات التي ستتوجه إلى بغداد تحتاج لحماية الطائرات وهي لن تطير قبل ان يستمع طياروها للبيان الأول للثورة، كما ان هناك سرباً من طائرات الميغ ١٧ موجود في معسكر الرشيد ومهيأ للإقلاع بمجرد صدور الأوامر من عبد الكريم قاسم أو من قيادة القوة الجوية أو حتى بمبادرة من الضباط الشيوعيين، وكنا نعلم ان معظم الضباط في ذلك السرب شيوعيون ومؤيدون لقاسم وسينفذون دون تردد فيما لو صدرت إليهم الأوامر. وعلى اية حال فقد وضع المكتب العسكري خططاً لعرقلة تحرك اللواء التاسع عشر وطائرات الرشيد بإبلاغ ضباطنا الطيارين وغيرهم بالبقاء أيام الجمع داخل المعسكر، ولكننا نشك بأنهم سيتصرفون جيداً قبل الإستماع إلى بيان الثورة الأول، ولم يدر

بحسباننا إطلاقاً إننا سنصل للمرسلات ولا نجد الإذاعة خصوصاً وان المعلومات التي وردتنا حتى أيام تؤكد وجود وجاهزية جهاز الإذاعة الخاص.

مرت علينا هواجس ثقيلة وشريط رهيب من التوقعات قبل ان يواصل المهندس الفني حديثه ليفاجئنا بما يشبه البشارة التي تسبب الصدمة قائلا: " ليس هناك ستوديو ولكن بإمكانكم ان تذيعوا ما تريدون إذاعته دون ان تتوفر لكم الأمور الفنية للبث الموسيقي الأوتوماتيكي ، ولا محسنات الأداء وذلك بربط ميكروفونا على البث مباشرة بحيث يمكنكم الكلام في هذا الميكروفون ، أما الأناشيد أو الموسيقى فبإمكانكم استخدام جهاز التسجيل الذي بحوزتكم" وأضاف "لكن الوضوح لن يكون بالشكل الكامل المطلوب، إلا ان الناس سيسمعون!!".

كانت تلك كلمات سحرية وقعت منا موقع الإنباء بمعجزة . وفعلا انطلق المهندس المذكور وجلب ميكروفونا وربطه في أرضية إحدى الغرف ، وأتم كل شئ بسرعة فائقة واستعد حازم أمام اللاقطة، ووقفت عند الباب شاهراً مسدسي حماية له، ووقف رياض في القاعة لمراقبة الفنيين الذين أمرتهم أن يبدأوا البث. وفوراً انطلق صوت حازم بقراءة البيان[1]!

---

١ ــ نص البيان رقم (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم،

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة التي سخرت موارد البلاد لتطمين شهواتها وتأمين مصالحها ، فصادرت الحريات وداست الكرامات وخانت الأمانة وعطلت واضطهدت المواطنين.

أبناء الشعب الكرام

قامت ثورة الرابع عشر من تموز لتحرير وطننا من الأوضاع الاستعمارية المتمثلة بالحكم الملكي وسيطرة الإقطاع وسياسة التبعية ولتحقيق أوضاع ديمقراطية ينعم فيها الشعب بحياة كريمة، ولكن عدو الله وعدوكم المجرم الخداع استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الإجرامية لإقامة حكمه الأسود الذي أفقر البلاد وصدع الوحدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة وطعن أماني شعبنا القومية.

أيها المواطنون

إن حرصنا على سلامة وطننا ووحدة شعبنا ومستقبل أجيالنا وإيماننا بأهداف ثورة تموز العظيمة وقد حملنا مسؤولية القضاء على الطغمة الفاسدة التي تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها وعطلت انطلاقها وقد تم ذلك بمؤازرة كافة القوات المسلحة الوطنية، وتأييد جماهير الشعب.

أبناء الشعب الكرام

إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة تموز المجيدة لا بد، من إنجاز هدفين: الأول تحقيق وحدة الشعب الوطنية، والثاني تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإدارته ولا بد لإنجاز هذين الهدفين من إطلاق الحريات، وتعزيز مبدأ سيادة القانون. إن قيادة الثورة المتمثلة بالمجلس الوطني لقيادة الثورة إذ تؤمن بهذا وتعمل على تحقيقه تؤمن كذلك بما يزخر به هذا الشعب من روح وطنية وثابة وما يتجلى فيه من عزم ثوري وما يتصف به من وعي عميق، لهذا نأمل أن يترفع المواطنون في هذا اليوم المبارك عن الضغائن والأحقاد وأن
←

وفي الوقت الذي كان البيان يبث حلقت طائرة من نوع هوكر هنتر البريطانية الصنع من مطار الحبانية العسكري يقودها الرائد منذر الونداوي. واقلعت بعدها بدقائق طائرتان من نوع ميغ ١٧ يقودها الملازمان فهد السعدون ووائق عبد الله، ومرتا فوق المرسلات واحنتا جناحيهما مرتين تحية لنا[١].

يعملوا جميعاً على ترسيخ وحدتهم الوطنية وتقوية التفافهم حول أهداف ثورة تموز المجيدة، وأن لا يدعوا منفذاً لعميل أو مضر أو مأجور يسعى فيه بالتفرقة.

أيها المواطنون

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يعمل على إقامة حكومة وطنية من المخلصين من أبناء الشعب ومن المخلصين من أبناء هذا الوطن، وستكون سياسة حكومة الثورة وفقاً لأهداف ثورة تموز المجيدة، لذا فان الحكومة ستعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون، وتحقيق وحدة الشعب الوطنية لما يتطلب لها من تعزيز الأخوة العربية الكردية بما يضمن مصالحها ويقوي نضالها المشترك ضد الاستعمار واحترام حقوق الأقليات وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية، كما أنها تتمسك بمبدأ الأمم المتحدة ، والالتزام بالعهود والمواثيق والمساهمة لتدعيم السلام العالمي ومكافحة الاستعمار لانتهاج سياسة عدم الانحياز، والالتزام بمقررات مؤتمر باندونغ وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار وتأييدها، كما أن قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية وتحقيق وحدة كفاح عربي ضد الاستعمار والأوضاع الاستعمارية في الوطن العربي والعمل على استرجاع فلسطين المحتلة ، وستحافظ على المكتسبات التقدمية للجماهير وفي مقدمتها الإصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب وإقامة اقتصاد وطني يهدف إلى تصنيع البلد وزيادة إمكانياته المادية والثقافية ، كما سيؤمن تدفق البترول إلى الخارج.

١ ــ يصر البغداديون وخاصة أبناء حي الكريمات، عند تذكرهم القصف الجوي صباح يوم ٨ شباط إن منذر الونداوي أقدم في طريق عودته السريعة إلى الحبانية للتزود بالوقود والعتاد لمعاودة القصف، على إطلاق رصاص رشاش طائرته على بعض أبناء الكريمات الذين تسلقوا تلة صغيرة من احجار البناء المتراكمة والمغطاة بغرين نهر دحلة المترسب لمتابعة مايحصل عبر النهر في وزارة الدفاع، بعد سماعهم اصوات القصف ولم يكونوا في حالة تظاهر، وأدى القصف إلى وفاة "احمد عليوي الناصر–١٨ سنة" وجرح احمد بن شوقي وفاضل محمود المعموري "نجار". والكريمات حي شعبي في كرخ بغداد يقابل رأس القرية من الرصافة ويسيطر على ابنائه توجه اجتماعي يساري ويميلون لقاسم الذي قدم لهم بعض المكتسبات ووعدهم "بمستقبل زاهر" وكان النجار الجريح المعموري موعوداً من قبل قاسم بتطوير مشغله إلى مصنع عند زيارة الأخير للحي، والمعموري هو الفنان الذي نفذ خشبيات دار توفيق السويدي التي حولتها الدولة عام ١٩٨٢ إلى دار الكتب، وهدمت الحي كله ماعدا بيته وبيت المسز بل الذي يستخدم الآن مقراً لحراسة الاذاعة، وبيت الظاهر الذي تحول إلى متحف ودار احمد الجلبي(عضو جبهة الاتحاد الوطني) وبيت الملك فيصل الأول الذي هدم فيما بعد ليتحول إلى فندق ميديا المنصور. وفي الكريمات تداخلت شعبية قاسم مع شعبية الشيوعيين رغم محاولات قاسم في مناسبات عديدة تمييز نفسه ونظامه عن الشيوعية. وربما تكون ضربة الحي المذكور بالطائرة هي المرة الأولى التي يستخدم فيها الجيش العراقي في العهد الجمهوري وبسلاح استراتيجي (الطائرة) لضرب منطقة مدنية. وحملت الضربة في طياتها آثار الايديولوجيا السياسية لتؤسس مكاناً وسيعاً للشحناء والقطيعة، رغم ان منفذيها وطنيون يدفعهم الحماس لقناعاتهم وآرائهم. ولم يكن بالإمكان حينذاك تفسير ما أقدم عليه الونداوي وهو الضابط الحر، اليساري الهوى والإنتماء، فإذا كان قصفه لمعسكر الرشيد ومدرجات قاعدته الجوية دون موافقة حزبه مفهوماً، فلم يكن رشه لمتفرجين مدنيين برصاص قاتل دون توجيه سابق من قيادته الحزبية بمفهوم إطلاقاً.

وقد استفاد الشيوعيون منها وضخموها فأقنعت جماهير واسعة بأن السلطة الجديدة قاسية ومستعدة لإستخدام الجيش

←

وحينذاك كان رتل من اربعين دبابة تقريباً يقترب من معسكرات العتاد، ولكنه ظل الطريق و لم يتوقف عندها، فوقعت مشادة بين احمد حسن البكر (قائد الرتل) وطاهر يحيى التكريتي، فقال طاهر للبكر : "ان المجنون هو الذي يتبعك في ثورة، قل أين وجهتنا؟" ولحسن

ضد الشعب، مما اضعف الحكم الجديد سياسياً، حتى ان جرحى القصف هربوا فوراً بعد حصولهم على الإسعافات الأولية من المستشفى، خوفاً من ان تتحول جروحهم إلى دليل إتهام ضدهم. ويذكر ان هذا الحي نفسه تعرض في عام ١٩٩١ إلى قصف امريكي بسبب وجود منشآت عسكرية حكومية قريبة منه وليست فيه. ولكن وبعد التحقيق والتدقيق تبين ان إتهام الونداوي بذلك العمل لايقوم على أساس من الصحة، لأن البغداديين يؤكدون ان الطائرة القاصفة كانت روسية من نوع ميغ، في حين طار منذر بهوكرهنتر، وذلك يعني ان واحداً من إثنين قصف الحي الشعبي، إما واثق عبد الله أو فهد السعدون. وإذا علمنا ان فهد قد صرح أكثر من مرة بأنه شارك في الحركة لكي ينتقم من الشيوعيين!! فسنرجح ان الذي فعلها هو فهد السعدون والله أعلم.

وعلمنا ايضاً ان قصفاً مماثلاً لحي شعبي في الزعفرانية المجاورة لمعهد التكنولوجيا (جامعة الحكمة سابقاً) ولمخيمين فلسطينيين بناهما قاسم، وتوفيت في ذلك القصف فتاة عمرها ١٧ سنة وطفل عمره ٩ سنين. وعندما سألنا مصدر الخبر أجاب ان الطائرة القاصفة كانت من نوع ميغ ايضاً وان القصف قد حصل قبل الظهر أي قبل تدخل طائرات كثيرة أخرى بإدارة آمر القاعدة عارف عبد الرزاق، ويذكر ان منذر وواثق وفهد جاؤوا من خارج قاعدة الحبانية و لم يطر كل منهم غير مرتين فقط[1] ويجرنا هذا الحديث المؤلم إلى المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي منذ تأسيسه في معارك مدنية داخلية. وفي هذا الشأن يقول د. حسان عاكف حمودي أن الجيش العراقي استخدم منذ تأسيسه حتى ثورة ١٤ تموز١٩٥٨ ضد المدنيين حوالي٤٥ مرة ، في مواجهة مظاهرات جماهيرية وتحركات فلاحية وعشائرية واضرابات عمالية وانتفاضات وحركات كردية، واستعان احيانا بسلاح الجو البريطاني[2].

ومن امثلة استخدام الجيش :

١٩٢١ استخدم برسي كوكس الجيش العراقي لأول مرة ضد الاكراد العراقيين. وكان ذلك قبل التتويج. فالجيش العراقي تاسس قبل تاسيس الدولة العراقية بقليل ، من قبل مؤتمر المستعمرات البريطاني المنعقد في القاهرة .

١٩٣٣ استخدم الجيش ضد الاثوريين بقيادة بكر صدقي وأوامر حكمت سليمان ورشيد عالي الكيلاني[3].

١٩٣٥ بامر من ياسين الهاشمي (رئيس الحكومة) ضرب الجيش مدن وقصبات الفرات الاوسط. وفي نفس العام اعاد الجيش ضرب الرميثة بقسوة بأمر من رشيد عالي الكيلاني، وبعد اتمام الضربة قال رشيد عالي " الآن اقدر ان افخر بالجيش العراقي". فأجابه بكر صدقي الذي نفذ الضربة والأوامر : " على العكس أنا لا أفخر بجيش قتل ابناء شعبه"[4].

١٩٥٢ بقيادة نور الدين محمود ضرب الجيش المحتجين في بغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والناصرية والبصرة وعموم ارياف الفرات الاوسط وقصباتها، على سلوك السلطة وتفريطها بالسيادة الوطنية، وحينها وقف الشعب مهموماً ومستغرباً ومستاءً من غرابة وقسوة جيشه الوطني.

١٩٥٨ قتل الرتل المدني الذي خرج مع الملك فيصل الثاني مستسلماً للثورة.

١٩٧٦ ضرب المسيرة السنوية التقليدية في اربعينية الحسين بن علي (ع) واعتقال وإعدام المساهمين، وكان تصرف الوحدات العسكرية أسوأ من الشرطة السيارة.

١٩٨٠-١٩٩٠ استخدم الجيش ضد الشعب في الاهوار وكردستان، فتحول الجيش إلى آلة طيعة وفقد حياديته.

١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار/شعبان مستخدماً كلمة الاعداء ضد سكان المدن العراقية.

وهكذا نجد ان اتجاهين تجاذبا الجيش منذ تأسيسه، أحدهما ما انفك يزجه بحروب داخلية لا تنتهي، وآخر يراه وطنياً ويأمل بابعاده عن التكتلات السياسية ويريده حامياً للحدود والدستور.

الحظ اكتشفوا الخطأ بسرعة وعادت الدبابات إلى المخازن، وكان آمر سرية الحراسة ذلك اليوم ملازم مهندس (بعثي) وقد نجح في استبدال خفارتـه التي كانت يوم الاربعاء إلى يوم الجمعة مع ضابط آخر، وهو امر ممكن ومعتاد حينذاك، حيث يتعاون الضباط بينهم في تبادل الخفارات حسب ظروفهم وحاجاتهم. فكان الامر سهلاً على الضابط الخفر، لكنه شديد الخطورة بالنسبة لخطة الثورة بكاملها. إذ بدونه لن ننجح في الحصول على العتاد، وهو عنصر حيوي واساسي في عملنا ذلك اليوم.

بين الزعيم والعقيد!

ومن أبواب المرسلات تطلعنا إلى عودة الدبابات بعد أن تزودت بالعتاد وتجاوزت الوقت المقرر، وكنا قد وضعنا ٤٥ دقيقة لذهابها وعودتها، لكنها تأخرت ساعة ونصف . ولم نعرف سبب التأخر ولكننا لم نقلق خصوصا بعد بدء الطائرات بالعمل ونجاح مهمتنا في إذاعة البيان الأول بصوت حازم مرة وبصوتي أخرى واستمرارنا بإذاعة البيانات بصورة حققت أثرا سلبيا على قادة الجيش الذين تصوروا أن الأمر استتب لنا فاستسلم أكثرهم للأمر الواقع وتصرفوا بسلبية ولازموا بيوتهم وتهربوا من الأوامر التي وصلتهم من قاسم شخصيا بواسطة الهاتف . ولم يستفد الشيوعيون من توجيهاتنا العلنية لأنهم كانوا مباغتين . وأستطيع القول بأننا حتى تلك اللحظة كنا قد أنجزنا المرحلة الأولى والهامة من الخطة .

وفي الساعة العاشرة والنصف بدأت الدبابات العائدة من مخازن الذخيرة تظهر في الأفق وقدرنا أنها أصبحت محملة بالعتاد، وتبادلنا التحية بالإشارات مع ضباط الدبابات الأربع الأولى ، وكنا نعرفهم وهم ضباط الكتيبة الشباب الذين كان ينتظرهم مصير مأساوي عند بوابة الدفاع بعد اقل من ساعة . وتتالت الدبابات بنفس الاتجاه ، وكنا نراقب بالتناوب الطريق العام لمعرفة ما يجري على الأرض . وحينها اخبرونا أن الدبابات الثلاث المرافقة لنا أصبحت مسلحة بالكامل وان قدرة الدفاع أصبحت جاهزة . وفي المقابل بدأنا ببث الموسيقى والمارشات العسكرية وبعض الأناشيد القومية المصرية ونشيد "الله اكبر".

وفي غرفة مجاورة لنا، غرفة الضابط المتغيب المسؤول عن الحراسة، كان يوجد خط تلفوني سري(خاص)، ولم نكن نعرف بوجوده. وفجأة رن الجرس فيه فتقدمت إلى تلك الغرفة وكان الجهاز موضوعا على مكتب آمر السرية ، رفعت سماعة الهاتف ليأتي من الطرف الآخر صوت عبد الكريم قاسم قال: أنا الزعيم عبد الكريم!! من المتكلم؟ ماذا يحدث؟ وكنت اغلق الجهاز فورا، لكنه يبدأ بالرنين بعد اقل من دقيقة واحدة، وبعد مكالمات عديدة دون أن أرد عليه قررت قطع الخط بسحب أشرطته من الحائط وذلك بعد ما يزيد على نصف ساعة من الرنين المستمر. فانقطعت صلته بنا. أقدمت على ذلك تقديرا مني بأننا ابلغنا عبد الكريم قاسم

برسالتنا بإعلان الثورة عليه بواسطة المذياع، و لم يكن لدينا ما نقوله، ولا نحن على استعداد لسماع ما يمكن أن يقوله.

وفي الساعة الحادية عشرة تقريباً وصلت سيارة مدنية فسمح لها بالمرور وكان يقودها المهندس عدنان القصاب وإلى جانبه يجلس العقيد الركن عبد السلام عارف ببدلته العسكرية الكاملة القيافة، واتجهت به السيارة بعد أن تبادلنا التحية (وكنا نعرف بعضنا)، إلى مقر الكتيبة الرابعة. وبعد دقائق توجهت ماشياً إلى هناك فوجدت احمد حسن البكر فتمشينا وسط عاصفة ترابية أثارتها خمس دبابات كانت تلف وتدور حوله والغبار يعلو وجهه وهو يتحدث مع عبد السلام عارف.

عبد السلام يشارك في التوجيه

سألت أحمد البكر: أبا هيثم ما شأن هذه الدبابات؟ أجاب: أن الخطة تقتضي أن نرسل ثماني دبابات إلى بغداد وقد أرسلت الثمانية. وهنا تدخل عبد السلام قائلاً: يجب تعزيز كل دبابة أرسلت بأعداد تتناسب مع المهمة المعهودة إليها، فلا بأس من ارسال أربع أخرى إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكريم قاسم، ودبابة أخرى إلى الصالحية لأهمية الإذاعة. وتعزيز دبابات معسكر الرشيد التي يقودها طاهر يحيى وانور عبد القادر. وكان هذا أول تدخل ومساهمة من عبد السلام في تنفيذ خطة الثورة التي لم يكن يعلم عنها شيئاً إلا بعد أن وصل المهندس القصاب إلى داره وابلغه أن يرتدي بدلته العسكرية ومرافقته إلى معسكر "أبو غريب"، فالثورة اندلعت منذ عشر دقائق فقط !! وكان القصاب قد وصل إلى دار عارف في التاسعة وعشر دقائق و لم يكن يعرف أننا تأخرنا قليلاً في إذاعة البيان.

وصل مباشرةً بعد عارف والقصاب كل من الأستاذين هاني الفكيكي وعبد الستار الدوري عضوا قيادة فرع بغداد لحزب البعث واستقبلناهما أنا وحازم على الباب وتعانقنا وقلنا لهما أن يستلما مهمة إدارة الإذاعة والبث ريثما يتم تشغيل الإذاعة في الصالحية وأرشدناهما إلى الغرفة التي استخدمناها للبث ثم توجهنا حازم وأنا إلى مقر الكتيبة حيث تم تجهيز ناقلة جنود تسلق إلى ظهرها كل من احمد حسن البكر وعبد السلام عارف وحازم وأنا. ورافقتنا ثلة من الجنود الذين أتى بهم احمد حسن البكر لحراستنا. واتجهت ناقلتنا نحو دار الإذاعة في الصالحية.

وعلى الطريق بالقرب من معسكر الوشاش "الزوراء" رأينا شخصاً يكال له الضرب، فأوقفنا الناقلة وسألنا عن السبب فقيل انه كان يهتف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم فأمرنا بتركه وشأنه، وواصلنا السير و لم نصادف في بقية الطريق سوى عدد قليل من الناس المتفرجين الذين قابلونا بالتصفيق، وأظن انهم قدروا أو عرفوا أن ركاب الناقلة هم -قيادة الثورة-. وإلى حد

تلك اللحظة لم يكن هناك أي تظاهر أو تجمع مؤيد أو مناهض للثورة في منطقة الكرخ بكاملها. وعند اقترابنا من مدخل الإذاعة (إذاعة الصالحية) ترحلنا وكان في استقبالنا المقدم عبد اللطيف الحديثي حاملاً غدارتــه التي أطلقها في الهواء تحية، وقادنا إلى دار الإذاعة التي سيصبح مكتب مديرها العام مقراً لقيادة الثورة[1].

ولم يكن الأمر حتى تلك اللحظة قد سار بلا حوادث مثيرة . فعندما كنا أمام كتيبة الدبابات الرابعة نــهمُّ بالسير مجموعتين واحدة نحو مخازن الأسلحة وأخرى إلى المرسلات صادفنا علــى جانبي الطريق العام رتلا من الفوج الآلي الثاني وكان متجها إلى شمال العــراق للاشــتراك في العمليات العسكرية ضد الثوار الأكراد . وكانت السيارة الأولى التي تتقدم الفوج تقــل آمــره المقدم داود مجيد ، فأشار له احمد حسن البكر ومجموعة الضباط المتحلقــين حولــه بــالوقوف وأمروه بالنــزول ، وخاطبــه البكر" ولدي لقد قررنا القيام بثورة وأمامك حــلان، إمــا أن تنضم إلينا وإما أن تعتقل". وبعد برهة قليلة من التفكير أجاب المقدم داود أنني على استعداد يــا سيدي أن اشارككم بالثورة، وأعلن قراره ذلك لضباط الفوج . ولاحظنا الفرح العارم الــذي اجتاح جنود ومراتب الفوج بعد أن عرفوا أن مساهمتــهم ستكون بمثابة العدول عن إرســالهم إلى شمال البلاد والقتال ضد أبناء وطنــهم، وتعريض حياتــهم للخطر. فــانضموا لصفــوف الثورة حيث لا خيار، ولكنــهم فرحوا لأنــهم اختزلوا شعارها إلى إسقاط الدكتاتور الــذي أراد دفعهم إلى الموت في جبال كردستان. وكان هذا في الواقع نصرا معنويا لنا، إذا أن خطــة الثورة لم تكن تمتلك على الأرض غير الدبابات، وعملية الاستيلاء على بغداد تحتاج أيضــا إلى مشاة[2]. ولم يكن في بغداد قوة مشاة غير اللواء العشرين–لواء عبد الكريم قاسم– الذي دخــل بــه إليها عام ١٩٥٨ بعد أن اكمل عبد السلام مهمتــه في الاستيلاء على الإذاعــة وقصــر الرحاب ومقتل العائلة المالكة. وكان هذا اللواء مدللا من قبل الزعيم عبد الكريم ، يتبجح بــه

---

١ ــ ليس ما يقوله شبيب من أن الكرخ كله حتى وصولهم للإذاعة لم تكن قد حصلت فيه مقاومة تذكر، ربما الصحيح هو أن الطريق بين الإذاعة وأبو غريب قد أصبحت سالكة. لان ذياب العلكاوي والحديثي وحميد التكريتي وجدوا قرب الإذاعة مظاهرات وتجمعات معارضة، وحصل بينــهم ما يشبــه الاشتباك إذ أطلق حميد عبد الله التكريتي من دبابتــه التي شاركه فيها العلكاوي رصاصا إلى الأعلى لتفريقهم .

٢ ــ يقول العقيد ذياب العلكاوي في رسالة إلى خليل إبراهيم حسين: "أتذكر أن المرحوم البكر كان قد وجه قبل ليلة من التنفيذ سؤالاً إلى حازم جواد قائلاً "ترى من سيرافق أبي قيس (العلكاوي) مثلاً وهو ذاهب للإذاعة مــن المشــاة؟" فأجابــه حازم جواد: " ليصطحب معه سيارتين لوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع الــيرموك إلى مخفــر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة أبي قيس".

لكن التحاق الفوج الآلي الثاني سمح للدبابات بالمرافقة من قبل مصفحتين من الفوج المذكور، حملتا حوالي ثلاثين جندياً، وواجهت القوة فعلاً في ساحة كرادة مريم على بعد أمتار من مدخل الإذاعة مظاهرة شارك فيها شيوعيون وقــاسميون جاءوا من الشاكرية والشواكة يهتفون بتضامن الجيش مع الشعب ، وأحاطوا بالدبابات ولما فتحت الدبابات النار فوق الرؤوس تمكنت من المرور رغم استمرار التظاهر[5].

دائما ويغدق عليه بكثير من وسائل العناية والترفيه والرواتب الإضافية. ورغم وجود عدد من الضباط البعثيين والقوميين فيه إلا إن إمكانية السيطرة عليه معدومة إطلاقاً، وما كنا نأمله من ضباطنا الموجودين فيه أن يجندوا إخوانهم من القوميين والمناصرين لعرقلة ومنع اللواء المذكور من التحرك ، وقد وضعنا خطة لذلك[1].

الاستفادة من عبد الغني الراوي بعد دراسة شخصيته :

وبعد الفوج الآلي الثاني توجهت أنظارنا إلى الحبانية حيث كان لدينا أمل غير مؤكد في السيطرة على اللواء الثامن الموجود في الحبانية ، وكنا قد اتفقنا مع ضباطه البعثيين وعلى رأسهم المقدم داود الجنابي أن يرتبوا أمرهم على استلام الخفارات في صباح يوم ٨ شباط ، وبالفعل نجحوا بذلك ، ولكن قيادة اللواء بالكامل كانت تتطلب قائدا عسكريا برتبة أعلى .

ودبّرت قيادة الحزب الأمر مع البكر للاستفادة من عبد الغني الراوي الذي كان من أكثر الضباط الأحرار حماسا للقيام بعمل فوري في فترة التحضير ووضع الخطط للإطاحة بالنظام الملكي، ورغم حماسه واستعداده للمقامرة، وعمله المستمر على شحذ همم الآخرين ضد نظام قاسم ، لكن مخاوفنا منه تأتي من زاوية أخرى . فقد كنا نحذر منه لصراحته في الحديث بصورة تؤدي للكشف عن نواياه وخططه، ولأنه يأتمن الكثيرين ممن لا يجب أن يكونوا موضع الاهتمام والائتمان على الأسرار، فضلاً عن تسرعه المعروف في وضع الخطط وتنفيذها دون دراستها ودون أداء و إتقان كامل أو مشورة في وقت يكون فيه التشاور والنقاش العميق

---

١ ـ دخل عامل جديد ، غير متوقع ، لصالح خطة الحركة في السيطرة على معسكر الرشيد. فقد تمكن بعض الضباط من إطلاق سراح السجناء البعثيين في السجن رقم ١ وبينهم بهاء الشبيب وعماد الشبيب وصالح مهدي عماش و د. مسارع الراوي وعبد العزيز الدوري وعادل عبد المهدي المنتفكي وآخرون. وهؤلاء بحثوا الأمر واتفقوا على فتح أبواب السجن كلها وإطلاق جميع السجناء وجرهم إلى مسيرة على شكل تظاهره كبيرة تدخل إلى مقر اللواء التاسع عشر، وحصل ذلك بالفعل فدخل عماش ومعه عدد من الضباط مقر اللواء قبل وصول دبابات يحيى وانور، وتم تجريد ضباطه من أسلحتهم، واخبر طه الشكرجي عبد الكريم قاسم تلفونياً بأن لواءه قد انضم إلى الثورة. ثم ذهب بهاء الشبيب والملازم عماد الشبيب والطيار جبار السوداني بدبابة خالية من العتاد إلى القاعدة الجوية، وأدى وصول الدبابة ووقوفها في مدخل القاعدة إلى رفع معنويات شباب البعث جنوداً وضباطاً فأستولوا على مدخل القاعدة واعتقلوا جميع الضباط الطيارين الملتحقين بالقاعدة من الخارج. وكان بين ضباط القاعدة البعثيين طاهر التكريتي وثامر الونداوي.
ومن اجل السيطرة على القاعدة الجوية وبهو الضباط فيها، ذهب طاهر التكريتي وبهاء الشبيب إلى الضابط المسؤول عن كلية ضباط الاحتياط الذي منحهم السلاح، والتحق بهم بعض طلبتها من القوميين والبعثيين. فتمكنوا من تطويق بهو الضباط وأحبطوا بمساعدة الضابط البعثي فليح الساعدي محاولة أحد الضباط الشيوعيين (خيري حميد) الإقلاع بطائرة ميغ ثم استقبلهم المقدم عزيز أمين آمر القاعدة الجوية معلناً عدم تصديه للثوار[6]. وفي هذه الأجواء دخل رتل طاهر يحيى وانور الحديثي ليبسط السيطرة التامة على المعسكر، ولابد من الإشارة إلى أن هذه النتيجة لم تكن لتتحقق لولا القصف الجوي الذي قام به منذر الونداوي.

ضرورياً لمعرفة نقاط الضعف وحقيقة الموقف، وتأكيد نقاط القوة واستخدامها. وقد أحيل عبد الغني الراوي على التقاعد كغيره من الضباط القوميين، لكنه ظل على صلة بحزب البعث عن طريق احمد حسن البكر وعلى صلة بتنظيمات الضباط القوميين الذين كنا نأمل التحاقهم فور إعلان الثورة.

استغل البكر عفويته وتدينه فكون معه علاقة صداقة وثيقة، وهو يعلم انه ضابط جريء، يستطيع إنجاز المهمة التي سيكلف بها مهما كانت التضحية المطلوبة منه. وأقام البكر صلة فردية معه بناء على توصية بشأن حدود التعامل معه صادرة من المكتب العسكري للحزب للاستفادة منه في ساعة الصفر فقط، وعدم إخباره بالخطة إلا في اللحظة الأخيرة. وان لا يبلغ إلا بالمهمة المعهودة إليه، وهذا ما حصل فعلاً. ففي مساء السابع من شباط ١٩٦٣ حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، أي قبيل السحور توجه البكر والعلكاوي إلى دار عبد الغني الراوي، بعد أن تأكدوا من وجوده فيها. وهناك قضوا وقتاً كافياً لإبلاغه بأن صباح الغد سيكون موعد اندلاع الثورة، وطلبوا إليه تهيئة نفسه للانطلاق بسيارته إلى الحبانية وهناك سيجد ضباط خفر اللواء الثامن بانتظاره على باب المعسكر. وأعطي كلمة السر للمرور، وتكلف باستلام قيادة اللواء والزحف به نحو بغداد، كما اعلموه ان داوود الجنابي وبقية الضباط سيكونون عند وصوله قد اعتقلوا آمر اللواء، وذلك رغم معرفة البكر ان آمر اللواء المذكور وبقية الضباط سيكونون في إجازة وغير موجودين (في الجمعة). لأن الضباط غير المبلغين والذين ليست لديهم خفارة يفضلون المبيت في منازلهم أيام الجمع، عندما تكون وحداتهم قريبة كالحبانية والمحاويل والرشيد وأبو غريب، مما يعني إن أكثر الضباط الشيوعيون والمؤيدين لقاسم ستصطادهم سيطرات الحرس القومي عند التحاقهم صباحاً بوحداتهم. وأغلب الظن ان البكر اخبر الراوي باعتقال آمر اللواء لتشجيعه على الالتزام والذهاب والإيحاء بان كل شيء يجري بدقة محسوبة. وكانت آخر توصية ابلغها البكر للراوي هي التزام الحذر كل الحذر وان لا يتصل بأي شخص حتى لحظة وصوله الحبانية.

ولأهمية اللواء الثامن أردنا التأكد من ان الراوي سينفذ تلك المهمة، وانه سيحرص على سرية الحركة، فلا يلجأ على سبيل المثال إلى كتابة وصية يوثقها من قبل رجل دين أو شاهد عدل!! ولذلك اخترنا وقتاً متأخراً جداً لإبلاغه، ولم يتركه البكر إلا بعد تناول السحور معه واقتراب الوقت من الثالثة صباحاً. وزيادة على ذلك كلفنا أحد الشبان البعثيين ان يكون موجوداً في الساحة القريبة من متنزه الزوراء (معسكر الوشاش) لمراقبة السيارات القادمة من الجسر والمتجهة إلى أبو غريب للتعرف على سيارة الراوي بعد ان وصفنا له لونها ونوعها وشكل سائقها الذي سيكون ضابطاً ببزته العسكرية.

وعاد الشخص ليخبرنا انه شاهد في الساعة الثامنة وعشرين دقيقة سيارة بنفس المواصفات

تسير بسرعة مذهلة لدرجة ان سائقها لم يستطع الاستدارة إلى طريق الحبانية، فأضطر ان يلف الساحة دورة أخرى ثم انطلق باتجاه الفلوجة (فالحبانية). وعلمنا فيما بعد انه وصل واستتب له الأمر بمعية الضباط البعثيين، وباشروا فوراً باستدعاء من يعتمدون عليهم ويثقون بهم من الضباط للالتحاق بهم ولاستكمال أعمال إعداد اللواء وتجهيزه للزحف على مدينة بغداد، فوصلوا إليها في الساعة الثانية والنصف عصر يوم ٨ شباط، وبذلك أصبح لدينا قوة أرضية لايستهان بها، تتكون من دبابات الكتيبة الرابعة والفوج الآلي الثاني واللواء الثامن وقوات صغيرة أخرى إضافة إلى قوات الحرس القومي[١].

الحدث الآخر الذي سبب لنا إرباكاً في لحظات عملنا الأولى تمثل في انقطاع التيار الكهربائي المفاجئ عن منطقة أبو غريب، بينما كنا نبث بيانات الثورة الأولى ونتيجة لذلك انقطع البث خمس دقائق عانينا خلالها الكثير من القلق لما يمكن ان يجلبه أمر انقطاع البث للقوات المسلحة العراقية بكاملها وإلى الوحدات العسكرية المتحركة نحو بغداد، وإلى جماهير الحزب والقوميين وأنصارهم من تصور بأن الثورة قد انهارت، وفي الحقيقة لم نكن نخشى شيئاً في بغداد بعد تأمين العتاد واقتراب الدبابات من قلب المدينة فضلاً عن قوات الفوج الثاني الذي بدأت فوراً بممارسة أعمال المرافقة والحماية وحراسة مراكز القيادات، كما ان القوة الجوية تسيطر على أجواء بغداد انطلاقاً من الحبانية بصورة كاملة بعد قيام منذر خلافاً لخطة الحزب بضرب قاعدة الرشيد الجوية. وكان البكر قد أصر على عدم تدمير الطائرات الجاثمة لما يسببه ذلك من خسارة للجيش والبلاد. ولكن الونداوي أدرك ان الهوكر هنتر لا تصمد بوجه طائرات الميغ ١٧ و ١٩ التي يقودها طيارون شيوعيون أو موالون لقاسم وهي فوق ذلك تفوق طائرات الحبانية عدداً وتسليحاً. وعلى الرغم من أننا حشدنا وأنذرنا ضباطنا العاملين في معسكر الرشيد بالتواجد هناك يوم الجمعة لمنع الضباط الشيوعيين من الإقلاع بطائراتهم، لكن الونداوي (وكان محقاً) عندما وجد ان ذلك ليس بكاف، بل رآها مقامرة لايستطيع هو ان يقبل بها، وصدق ظنه إذ خف الطيارون الشيوعيون والقاسميون فور سماعهم البيان رقم واحد إلى ارتداء

---

١ ـ في هذا السياق يقول عارف عبد الرزاق في لقاء خاص مع د. علي عبد الكريم في لندن عام ١٩٩٨ بأنه مع داوود الجنابي وبقية الضباط البعثيين والقوميين قد هيأوا اللواء الثامن قبل وصول عبد الغني الراوي. وان الطيار حامد الضاحي أبلغه بأن قائد الفرقة الرابعة المدرعة عبد الجبار السعدي يبحث عنه فكلمه هاتفياً وقال له "ان آمن مكان له أن يأتي عنده" فجاء وطلب إليه ان يأمر بفتح المخازن، وقد فعل فحصلنا على اسلحة. واضاف عارف عبد الرزاق: "أمرت داوود الجنابي بغلق الباب وخط الهاتف وان لايفتحا إلا بأمره. وطلبت من منذر ان يذهب مؤقتاً ليشغل وظيفة آمر الانضباط العسكري لكي يمكننا التحكم بكل شيء. وبوجودي وقبل وصول غني الراوي أعلنا تعيين محمد يوسف طه وأمين شاهين وعبد الجبار علي الحسين أمراء لأفواج اللواء الثامن، وعندما لم يحضر أمين شاهين (غير مبلّغ) أمَرنا الرائد مزهر جواد الذي جاء بملابسه المدنية. رتبنا كل شيء بحماس و لم يكن أحد منا يستهدف عبد الكريم قاسم شخصياً فلم يكن هو خصمنا بل الحزب الشيوعي كان هدفنا.

قبعاتهم وبدلات الطيران استعداداً للإقلاع. إلا انهم وقبل ان يصبحوا جاهزين فوجئوا بطائرة منذر الونداوي تقصف المدرج والطائرات ليتعطل السرب بكامله ويصبح المدرج غير صالح للإقلاع والهبوط. واسترجاعاً لما حصل حينذاك أرى ان ما قام به منذر كان درساً عسكرياً ممتازاً لو ترجم على المستوى الفني الاستراتيجي العربي والاستفادة منه في المواجهة مع إسرائيل حيث حصل العكس إذ قامت الطائرات الإسرائيلية بتوجيه الضربة الأولى للطائرات العربية وهي جاثمة على مدارجها. وكان منذر الونداوي في آخر اجتماع للمكتب العسكري قبل الثورة قد قال لنا : دعوا القوة الجوية عليَّ، وفعلاً تسابق مع الزمن لضمان وجود الضباط في القاعدة يوم الثورة، ورتب دخول الطيارين غير المنتسبين لقاعدة الحبانية إليها ودخل معهم بعد منتصف ليلة ٧/٨ شباط ٦٣، لأن منذر نفسه كان منقولاً منها.

وبمساعدة الضباط وضباط الصف البعثيين مثل حامد جواد وعبد اللطيف عبد الرزاق الاعظمي ويونس العاني وواثق عبد الله وتحسين محمد علي وأسامة أيوب صبري ومحمد علي حمزة وفهد السعدون وكلهم ملازمين عدا الرائد يونس محمد صالح وهو آمر سرب، سيطر الونداوي على القاعدة دون علم آمرها المقدم عارف عبد الرزاق ليس لعدم الثقة به، بل لضمان السرية التامة. وكانت طائرة منذر الهوكرهنتر أول طائرة تحلق فوق رؤوسنا في أبو غريب ثم تلتها طائرتا الميغ يقودهما فهد السعدون وواثق عبد الله[1].

---

١ ـ استطلع الضباط المشاركون في حركة ٨ شباط أدوارهم على الأرض ومن السماء كلما أتيحت لهم الفرصة منذ عام ١٩٦٢ . وحفظوا عن ظهر قلب واجباتهم ، وتحسسوا إمكانيات الخطأ ، وبادروا إلى تقويم خططهم . وفعل ذلك منذر الونداوي بطائرته أكثر من مرة خلال التدريب محلقا فوق الدفاع ومعسكر الرشيد . ولذلك ذهب إلى أهدافه مباشرة . وكان اخطر عمل قام به هو قصف قاعدة الرشيد وتمكنه من منع الطيارين فيها من الإقلاع وكان الطيار خالد سارة وخيري حميد قد امتطيا طائرتيهما استعداد للإقلاع وقد استفادت الخطة من ضعف آمر القاعدة الضابط عزيز أمين الذي انتهز أول فرصة للاتصال بالونداوي وإبلاغه استعداده للتعاون، فطلب إليه منذر غلق المدرجات بعجلات الوقود الضخمة وقد فعل. وفي ذلك اليوم تلقى عبد الكريم قاسم أكثر من أربعين طلعة جوية تركزت أكثرها على مقره وعلى ارتال الانضباط العسكري والآليات الملحقة بوزارة الدفاع. ولم تسقط غير طائرة واحدة، يقول قائدها فهد السعدون انه سقط على أرضية إسطبلات المنصور بعد انفصاله عن كرسي الطائرة وفتح المظلة التي أعاقتها أسلاك التليفون، وبعد استعادته لوعيه الذي فقده لثوان انتبه إلى "أصوات صراخ وعويل من مجموعة من الناس تعدوا باتجاهي بهراوات ويصرخون اقتلوا المجرم." فأطلق ثلاث رصاصات لإيقافهم، وفي تلك اللحظة انتشلته سيارة اوبل ونقلته إلى جامع دراغ وبعد تفتيشه وجدوا في جيبه ورقة وزعها عليهم منذر الونداوي كتب عليها كلمة السر "رمضان مبارك" وكانت كافية للوثوق به. ويذكر أن المسؤول المباشر عن أسر السعدون كان صباح عبد القادر وهو الذي أعاده إلى الحبانية. ويضيف: "وعندما عدت إلى الحبانية وجدت ان عدد المشاركين قد ازداد وكان الجميع يتصوروني ميتاً، إما بسبب سقوط طائرتي أو بتصفيتي من قبل الأحياء الشعبية (الغوغاء) ". وحينذاك أشرف المقدم عارف عبد الرزاق على العمليات وارسل برقيتين الأولى تأييداً لمجلس قيادة الثورة والثانية إلى كافة القواعد الجوية يأمرهم بمنع الطيران مهما كانت الأسباب، والمخالف يعاقب بالإعدام.

ويذكر ان طائرات الحبانية تكونت من سربين أحدهما من ١٥ طائرة هنتر والثاني من ١٤ طائرة ميغ ١٧، اما قاعدة

←

دام انقطاع التيار الكهربائي خمس دقائق، وكنا نخشى ان تكون قوة الانضباط التي تمتلك حوالي ٤٠ عربة مدرعة وألفي عسكري بقيادة العميد عبد الكريم الجدة ومقرها وزارة الدفاع وهي القوة الوحيدة المتبقية بين يدي عبد الكريم قاسم، قد بادرت إلى السيطرة على محطة كهرباء الدورة وقطعت التيار الكهربائي والبث عنا.

وكانت خطة الثورة قد تحسبت لمثل هذا الأمر فعهدت إلى الملازم بهاء شبيب ومعه عدد من المهندسين والفنيين البعثيين في محطة كهرباء الدورة السيطرة عليها ومقاومة اية محاولة لقطع التيار الكهربائي عن منطقة أبو غريب حيث المرسلات، إلا ان اعتقال بهاء الشبيب مع علي السعدي وشنتاف وعماد الشبيب قبل أربعة أيام جعلنا عاجزين عن الاتصال بمجموعته وعن ملء الفراغ واخذ الاحتياطات اللازمة. فلم نتمكن من إبلاغ المكلفين[1].

فوجئنا بعد خمس دقائق بعودة التيار الكهربائي، وكانت المفاجأة أكثر طرافة عندما علمنا ان أوامر روتينية سابقة صادرة عن السلطة إلى جنود ومراتب سرية الحراسة ان يبادروا أوتوماتيكياً وفوراً ودون انتظار اية أوامر إلى تشغيل المولد الكهربائي الاحتياطي الموجود في قبو المبنى بمجرد انقطاع التيار الكهربائي، وهو أمر يحصل عادة في بغداد، وبادر الجنود فعلاً دون ان يدركوا أهمية مايقومون به بالنسبة لنا، إلى تشغيل المولد الاحتياطي الذي لم نكن نعلم بوجوده، فعاد التيار وعدنا للبث. وأخبرونا فيما بعد ان الدبابة التي يقودها سعيد صليبي اصطدمت بأحد أعمدة الكهرباء في طريقها نحو وزارة الدفاع، فأدى الاصطدام إلى قطع التيار عن اجزاء من الصالحية وجانب من منطقة أبو غريب.

الرشيد فتضم طائرات ميغ ١٧ و ١٩ وطائرات اليوشن. ومنذ الساعة الثانية عشرة ظهراً بدأت مساهمة حردان التكريتي الذي أرسل خمس طائرات من قاعدة كركوك الجوية، وارسل معها طائرة شحن محملة بصواريخ لدعم تسليح الطائرات القاصفة. وحول مساهمة عارف عبد الرزاق سألته بواسطة الأستاذ احمد الحبوبي في القاهره، فأجاب " ساهمت في احداث ١٤ رمضان ٦٣، وكنت آمراً لقاعدة الحبانية ورغم عدم تبليغي لكنني كنت اعلم بنية الانقلاب، فتواجدت في القاعدة وطيرت ٤٤ طلعة لقصف مقر قاسم بوزارة الدفاع" ويقول الأستاذ الحبوبي : " ان البعثيين لم يستثنوا فقط عارف عبد الرزاق من التبليغ وإنما كل القوميين، حتى ينفردوا بالسلطة. وكان تبليغ الراوي بسبب حاجتهم الماسة للواء الثامن. " ويضيف " إن القائمين على ١٤ رمضان لم يبلغوا القوميين لارادتهم في الانفراد بالسلطة، وقد وشى عماش قبل ذلك إلى قاسم عن نية القوميين بالقيام بانقلاب، وكان هدفه ان لايسبق القوميون البعثيين بحركتهم، وقد رأس البعثيون عبد السلام لكسب تأييد عبد الناصر والضباط القوميين[7].

١ ــ كان ضابط الاحتياط بهاء الشبيب منسب كمهندس مناوب في مصلحة الكهرباء فتكلف بمتابعة ومسؤولية إدامة محطات الكهرباء، وعلى سبيل المثال تم تكليفه مع هاشم قدوري واثنين من رفاقهما من شعبة الكرادة بواجب السيطرة على محطة كهرباء بغداد في معسكر الرشيد، وكانت مهمة بهاء تسهيل مهمة دخول رفاقه إلى المحطة للسيطرة عليها وعلى مركز الشرطة، والاستيلاء على السلاح وتوزيعه على بعض عمال الكهرباء البعثيين والقوميين، ثم الانطلاق إلى دار الحاكم العسكري العام احمد صالح العبدي لاعتقاله أو قتله، وتقع في منطقة المعسكر خلف محطة الكهرباء[8].

إذاعة الصالحية مقراً جديداً لقيادة الثورة

قادنا المقدم عبد اللطيف الحديثي بعد استقباله لنا عند مدخل الاذاعة بالصالحية، إلى غرفة المدير العام للاذاعة والتلفزيون التي أصبحت مقراً للحركات ولقيادة الثورة. وكنا أمرنا بنشر عربات وجنود من الفوج الآلي الثاني حول المنطقة. كما وصلت دبابات أخرى إلينا للدفاع عن هذه المؤسسة الحساسة. واخبرنا عبد اللطيف الحديثي ان عبد الكريم قاسم كان قد اعد شريطاً مسجلاً جاء بـه للاذاعة جاسم العزاوي، وحاول اجبار الموظفين على بثه، وبينما كان يتجادل معهم وصل الحديثي إلى مشارف مبنى الاذاعة فأخبره احد الشباب البعثيين المتواجدين هناك بوجود شخص من قبل قاسم معه الشريط الذي يحمل نداء قاسم إلى الشعب. فأطلق الحديثي إطلاقة من دبابته في الهواء، سمعها الجميع بما في ذلك مندوب قاسم، فغادر فوراً ووقع الشريط بحوزتنا، وسمعنا نصه بعد نجاح الثورة.

وفي الحقيقة لم اسمع نداءً دموياً يدعو ويحرض على القتل الشامل والمحْق والإهلاك مثلما دعا إليه صوت قاسم في ذلك الشريط[1]. واعتقد ان النسخة الأصلية مازالت محفوظة في دار

---

١ ـ ارسل عبد الكريم قاسم كاسيتين سجل عليهما نداءين موجهين إلى الشعب العراقي، احدهما بيد المقدم جاسم العزاوي (أو ربما بيد مرافقه حافظ علوان) لإذاعته من اذاعة بغداد في الصالحية ونصه: "السلام عليكم ايها الضباط، السلام عليكم يا أبناء الشعب. ايها الضباط يا أبناء الشعب، ان نفراً من اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكريين من اذنابه يحاولون الانقضاض على جمهوريتنا ولكن شعبنا المظفر، شعب ١٤ تموز، واقف لإنزال الضربات الخاطفة بهم، بأذناب العهد المباد والخونة. ابناء الشعب، ان النصر معنا واننا صممنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا تلتفتوا إلى الخونة الغادرين، فإن الله معكم، وسيعلم الدساسون، سوف يعلمون عندما نوجه لهم الضربات الخاطفة اليهم وقد بادرنا لتوجيهها اليهم. . . ان الله ينصركم ابناء الخير الغيارى.
ايها الضباط، اسحقوا الخونة والغادرين، اسحقوهم، انني الزعيم عبد الكريم قاسم أقوى واشد عزما في سبيل الفقراء والنصر لشعب العراق المظفر."
اما النداء الثاني فقد سجله الزعيم وسلمه، كما اخبرنا يونس الطائي[9] إلى الرائد سعيد الدوري كاتب حطاباته، لإذاعته من مرسلات الحرية في سلمان باك. وهذا النص مأخوذ مباشرة من صوت الزعيم على الكاسيت: "من الزعيم عبد الكريم قاسم إلى ابناء الشعب الكرام وإلى ابناء الجيش المظفر، ان اذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرون والمفسدون الذين يحركهم الاستعمار لسحق جمهوريتنا، الذين يحاولون بحركات طائشة النيل من جمهوريتنا ولتقويض كيانها. ان الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لاتنسحق وانها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن، نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة. وتقوية كيان البلاد. فنحن لانقهر وان الله معنا. ابناء الجيش في مختلف القطعات والكتائب والافراد، ايها الجنود البررة مزقوا الخونة اقتلوهم، اسحقوهم انهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر. وإنما النصر من عند الله وان الله معنا. كونوا اشداء اسقطوا الخونة والغادرين. ابناء الشعب في كل مكان، اسقطوا الخونة والغادرين وقاتلوهم في كل منعطف وفي كل زاوية. انهم خونة، انهم اذناب الاستعمار، والله ينصرنا على الغادرين. والله ينصرنا على الاستعمار وعلى اذنابه واعوانه. (الساعة الثانية بعد الظهر يوم ١٩٦٣/٢/٨)".
واختلفت الآراء حول مصير الكاسيتين، ولكن كما يبدو ان الأول تركه حامله في اذاعة الصالحية، والثاني لم يصل إلى
←

الاذاعة. وارى ان مجادلة موظفي الاذاعة وعدم استجابتهم لجاسم العزاوي أو ربما (حافظ علوان) لبث نداء قاسم كان سببه النداء الذي اذعناه من مرسلات أبو غريب، وطلبنا من المشرفين على اذاعة وتلفزيون بغداد عدم بث أي شيء قبل وصول أوامر الثورة الجديدة اليهم، وذلك لان تلفزيون بغداد استمر ببرامجه الاعتيادية صباح يوم الجمعة رغم ايقافنا للبث الاذاعي من الصالحية[1].

وفي طريقنا إلى الصالحية على ظهر الناقلة اقترحت على حازم جواد ان نستدعي مذيعين محترفين، اصواتهم معروفة وأليفة للناس، إلى مقر الاذاعة ليباشروا بأنفسهم اذاعة الأوامر والبيانات الصادرة عن "المجلس الوطني لقيادة الثورة"، والذي بدأت البيانات تذاع بأسمه. وكان مبرر الاقتراح هو ان استخدام مذيعين رسميين سيُطمئِن المواطنين ويحسسهم بأمتلاكنا زمام الامور بأقتدار تام، وان مقاليد السلطة بأيدينا فعلاً.

وحينذاك كانت تصلنا آلاف البرقيات على شكل رزم فعهدنا إلى احد الضباط مسؤولية استلامها وقراءتها. وان لايسمح ببث أي منها قبل ان يعرضها علي شخصياً، أي عدم اذاعة البرقيات كما تأتي والهدف هو اخراج صوت الثورة أكثر اتزاناً وتوازناً والتزاماً. وفي حينه دبجنا برقيات كثيرة بأنفسنا واذعناها من مرسلات أبو غريب واذاعة الصالحية بدعوى انها وصلت من قادة وأمراء الوحدات العسكرية. لكن الامر تغير بعد انصرام ساعات النهار الأولى حيث بدأت تصل برقيات حقيقية من شباب بعثيين وقوميين من مختلف أحياء بغداد ومدن العراق. وكان شعار الوحدة والحرية والاشتراكية وأمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة، هي العلامة المميزة لأكثر البرقيات الواصلة. ولذلك اتفقنا ان نجري عليها تعديلات بسيطة لكنها ضرورية لابراز الطابع الوطني وغير الحزبي للثورة، وتجنبنا انفراد المنحى العربي الذي قد يثير حساسية الاخوة الاكراد.

أكدنا استمرار اهداف ثورة ١٤ تموز لصيانة الوحدة الوطنية ودعم الاخوة العربية الكردية واحترام حقوق الأقليات والتقيد بسياسة عدم الانحياز. وقد راعينا هذه الامور ايضاً في نص البيان الأول الذي كتب قي البداية على صورة معينة ثم عدل من قبل فيصل حبيب الخيزران عندما كان مازال عضواً في القيادة القطرية، لجعل طابعه وطنياً وقومياً شاملاً، والابتعاد عن

سلمان باك، لكنه ظهر لدى الثوار فيما بعد مما يؤكد ان الدوري لم يكن بدرجة المسؤلية التي تصورها قاسم، فقرر عدم المغادرة".. اما سكرتير قاسم (جاسم العزاوي) فقد اتصل الزعيم بمنزله، وبعد محادثة قصيرة اغلق قاسم السماعة بوجه العزاوي، واستدار قائلاً: "ان جاسم خائن"[10]. وقد سمعت من ابناء المهداوي منوّر وفراس بأن والدهم حذر قاسم مراراً منه وكان يراه خائناً.

١ ـــ نص نداء التحذير هو " إلى جميع موظفي ومستخدمي اذاعة البث بتلفزيون بغداد، اقطعوا البث حالاً بأمر من هذه القيادة وسيحاسب المسؤولين عن مخالفة هذا الامر.".

التركيز على بعثية السلطة، لئلا تتحسس أي من الجهات المكونة للموزائيك الوطني والقومي والاجتماعي العراقي. لهذا اخذ الضابط المكلف يعرض عليَّ البرقيات قبل اذاعتها، فأستَبْعِدُ الكلمات المثيرة للحساسيات، فحذفت كلمة الوحدة من بعضها والاشتراكية من اخرى، وابقيت بعضها على حالها كما جاءت، واحياناً حذفنا " امة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة". اما البرقيات الواصلة من الشباب الناصري القومي فكنا نذيعها مباشرة.

انهمر سيل البرقيات بلا انقطاع ذلك اليوم، وفي الساعات الاخيرة منه، وصلت برقيات حقيقية ومباشرة من أمراء الوحدات العسكرية ومن ضباط متقاعدين عرف عن الكثير منهم ولاؤهم لعبد الكريم قاسم أو حيادهم. ومن البرقيات التي وردت وأثارت ضحكاً كثيراً وابتسامات ذات دلالة على وجوه الحاضرين، برقية من اللواء صالح زكي توفيق الذي عرف بتزلفه وتشيعه لقاسم وللحزب الشيوعي، وترديده فيما يكتب ويقول للشعارات السياسية الشيوعية واشادته بلاحدود بعبد الكريم قاسم زعيماً أوحداً عبقرياً على رأس جمهورية عراقية خالدة.

قيادة الجيش والسلطة بيد البعث

توافد على مبنى الإذاعة ذلك النهار عدد كبير من الضباط حضروا ببدلاتهم العسكرية مستعدين تماماً للقيام باية مهمة تعهد إليهم. وكان اغلبهم من البعثيين والقوميين الذين لم يبلغوا بساعة الصفر. ولم تكن لدينا خطة متكاملة لاستيعاب هذا العدد الكبير من الضباط والاستفادة منهم، مع إننا قمنا بتكليف وإسناد مهام قيادية، كل حسب اختصاصه، لجميع الضباط الذين التحقوا بنا صباحاً في أبو غريب. لكن الوضع هنا مختلف فقد غصت دار الإذاعة وضاقت بأعدادهم الكبيرة[1]. وكنا مجتمعين في غرفة القيادة عبد السلام والبكر وحازم وأنا،

---

١ ــ بعد ساعات من انتقال القيادة إلى الإذاعة واتخاذها مقراً لقيادة الثورة، اكتظ المبنى بالضباط الملتحقين بملابسهم العسكرية رغم ان بعضهم متقاعدين وجميعهم غير مبلغين. ووصل عددهم حوالي ٩٠ ضابطاً بينهم عشرين بعثياً، وتجمع بين الآخرين الميول القومية على اختلافها.

واخبرنا الأستاذ **علاء الحيدري**[11] بأن العدد الأكبر من الضباط القوميين الشباب كانوا منظمين في كتلة العميد عبد الهادي الراوي[12] الذي حافظ حتى ما بعد ثورة ١٤ تموز على نشاطه الكتلوي مع ضباط ارتبطوا بتوجهاته القومية الإسلامية. وقد أثار كثرة عدد الضباط القوميين في دار الإذاعة بعض الاحلام والأفكار لدى أنصار الراوي، اتصلوا به قائلين مادمنا الأكثرية، فلماذا لا نعتقل البعثيين بمن فيهم البكر وعبد السلام وحازم وطالب والآخرين ونستولي على السلطة ونعلن الوحدة مع العربية المتحدة.

لكن الراوي رفض قائلاً: لقد زارني البكر قبل أسبوعين وكان معي العميد عبد المنعم المصرف والمقدم جابر حسن حداد ومعه عماش وعبد الستار عبد اللطيف، واكد لي ما نصه: "سيعمل كل منا على دعم الطرف الآخر إذا ما قام بحركة"
←

وكان الحديثي يدخل علينا بين حين وآخر لإبلاغنا ما يدور حولنا وما يصلــه مـن أخبـار الوحدات المتحركة. وفي مواجهة كثرة الضباط الملتحقين تحرك عبد السلام ليقوم بأول دور لـه بعد إعلانـه رئيساً للجمهورية. فقال والابتسامة تعلو وجهه: اتركوا لي الأمر وسأقوم بتوزيـع الضباط على القطعات.

وما كان غير معروف لعبد السلام هو ان خطة حزب البعث لأحكام سيطرتـه المطلقة على السلطة اقتضت إبلاغ الضباط البعثيين الذين سيسيطرون على الوحدات بصورة سرية ان يلـتزم كل منـهم بدوره المناط بـه، وينفذه بحذافيره. ولا يستمع لاية أوامر مهما كان مصدرها، الا إذا جاءت من احمد حسن البكر أو من القيادة القطرية. وحصل ذلك فعلاً، و لم تفلح تدخـلات عبد السلام الذي اقترح توزيع بعض قطعات اللواء الثامن وسرايا وفصائل من الفوج الآلي الثاني على مواقع مختلفة من حيث درجة أهميتـها، وتكليف بعض الضباط القوميين الذين حضـروا مبنى الإذاعة بالتوجه لإمرتـها. وبرر اقتراحه لضمان ان تكون جميع الوحـدات الموجـودة في بغداد موالية تماماً[1]. فوافقنا على اقتراحه وأذيعت أسماء الضباط المعينين من الإذاعـة مباشـرة وتفرقوا لاستلام مناصبـهم.

وأضاف " وستكون علاقتنا كعلاقة الشيخين أبو بكر وعمر." ويقصد بذلك ما حصل في سقيفة بني ساعدة من مؤازرة عمر لأبي بكر، ووفاء أبا بكر بتوريثها لعمر وتسميتـه خليفة قبل موتـه.

ويُعتَقَد ان العهد البكري كان بمجرد مخدر، اقتنع بـه الراوي فأمر ضباطه بالانتظار وقال لهم:" يجب إعطـاء البعثيـين الفرصة لتحقيق الأهداف القومية المشتركة". وبعد ثلاثة اشهر وجد الراوي نفسه معتقلاً بقصر النـهاية ومحاصراً بلـوم أنصاره الذين ماانفكوا يذكرونـه بموقفه الأخلاقي غير المناسب !! وكان معتقلاً معه سبعين من القوميين بينـهم ٥ مدنيين منـهم عبد الله الركابي وعلاء الحيدري (اصولهما بعثية) ومن الضباط العميد عبد المنعم المصرف وجابر حسـن حداد وجميل السعودي ومبدر الويس (الذي فر من قصر النـهاية) وعامر خالد حمدان وعماد نعمة عزيز. ويذكـر ان البكر كرر إعطاء العهود وخانـها عشرات المرات كوعده للنايف والـداوود وخيانتـهما، ثم لحـردان التكريـتي وسكوتـه عن مقتله، ومع نعمة كاظم الرماحي وهو بعثي من الفرات الأوسط نقض عهده معه عندما أراد إضعافـه، ووعد مكرم الطالباني قبل ١٧ تموز بمشاركة الحزب الشيوعي بكل شيء إذا وصل إلى القصر الجمهوري وبعد اسـتلامه السلطة حمّل المشاركة شرطاً تعجيزياً، وبـه تـهرب من الالتزام.
ورغم احتياطات البعثيين فقد حصل القوميين يوم ٨ شباط على مراكز مهمة فأصبح عارف عبد الرزاق قـائداً للقـوة الجوية ثم استقال لعدم تنصيبـه عضواً في مجلس الثورة. وصار صبحي عبد الحميد مديراً للحركات العسكرية، ومحمـد مجيد معاوناً لرئيس أركان الجيش وعبد الكريم فرحان قائداً لموقع بغداد ثم للفرقة الأولى، وشكري صالح زكي ونـاجي طالب وزيرين وغيرهم.
١ ــ توزعت أفواج اللواء الثامن على الشكل التالي: الأول إلى وزارة الدفاع بقيادة محمد يوسف طه لمسـاندة قـوة الدبابات التي تحاصر الوزارة. والفوج الثاني بقيادة عبد الجبار علي الحسين. والثالث بقيادة الرائد الركن مزهر جواد، إلى الكاظمية، ويقود اللواء المذكور العقيد عبد الغني الراوي.
وتوزعت سرايا الفوج الآلي الثاني بين مفاصل حيوية عديدة في بغداد، كما زودت قيادة الثورة بالحراسات الخاصة، أي انـها لعبت دور المشاة وبعض المهمات الضرورية.

لكننا كنا نعرف ان دلك لن يحصل، وما جرى على ارض الواقع هو غير ما أراده عبد السلام. فقد استمرت الوحدات مرتبطة بآمريها الذين عينتهم قيادة الحزب قبل تنفيذ الثورة، و لم يكونوا ليستقبلوا أي قائد جديد إلا إذا صدرت لهم أوامر موثقة من قيادة الحزب أو من احمد حسن البكر مباشرة، ولذلك لم يستلم أي من الضباط الذين عينهم عبد السلام عارف إمرة الوحدات الجديدة.وحينذاك وصلتنا أنباء جديدة طيبة تؤكد ان طاهر يحيى وانور عبد القادر دخلا معسكر الرشيد واستوليا عليه بالكامل. وقبلها سمعنا بتحييد قاعدة الرشيد الجوية إثر ضربها من قبل طائرة الونداوي. وأصبحت بعد دخول يحيى وانور تحت سيطرة الضباط البعثيين والقوميين المنتسبين إليها.أما اللواء التاسع عشر، وهو لواء عبد الكريم قاسم، فقد أُمِرَ أفراده بإيداع أسلحتهم إلى المشاجب، وقد عمل الضباط البعثيون والمعتقلون الذين خرجوا من سجن رقم واحد على إرباك الأجواء داخل مقر قيادة اللواء قبل وصول يحيى وانور، وكان بينهم الضابطان محمد علي السباهي وحميد السراج اللذان سعيا تدريجياً للسيطرة على اللواء.

الرعب في خدمة الثورة

وعلى المدخل الرئيسي للمعسكر قام انور عبد القادر الحديثي بعمل مرعب، لا أعرف ماذا ستكون نتائجه علينا، لكنه اثر كثيراً على معنويات الجنود والضباط داخل المعسكر. فقد تجمهر أمام بوابة معسكر الرشيد الرئيسية حشد من الجنود وضباط الصف وبعض الضباط والمدنيين يهتفون " ماكو زعيم إلا كريم" و "عاشت الجمهورية العراقية الخالدة"، وآنذاك نادى انور الحديثي على أحد الهتافين وطلب منه اعادة هتافه، ولما أعاده أطلق عليه انور من مسدسه الذي صوبه نحو رأس الجندي مباشرة فسقط على الفور ميتاً. وفرغت الساحة من كل المتظاهرين بسبب ما سببته العملية من رعب وذعر[1].

علمنا كل ذلك من طاهر يحيى الذي كلمنا تلفونيا وابلغنا نجاحه ، وقال ان عبد الكريم قاسم كلمه بالتلفون من وزارة الدفاع متسائلا عن مطالب الثوار ، فأجابه يحيى إننا نريد رأسك في حين يظل قاسم يلح على المفاوضة والتفاهم ، وقال في إحدى مكالماته. . ." أرجو معاملتي

---

١ ـ تعاون البعثيون من منظمة الكرادة مع الدبابات الذاهبة إلى معسكر الرشيد، فحاصروا مداخل المعسكر، واحتلوا محطة الكهرباء ومنعوا الضباط القاسميين الملتحقين من دخوله، وجاءت الدبابات لتستغل حالة الصدمة والفوضى التي تتخبط فيها قوات وصنوف المعسكر. فدخل يحيى ومرافقيه مقر اللواء ١٩ وسيطروا عليه مستغلين ضعف آمره فاضل عباس حلمي الذي حضر متخاذلاً مسالماً. وتعاون معهم الضابط طه الشكرجي والملازم عزيز الخطيب، وقاد الأخير إحدى الدبابات وتوجه للسجن رقم واحد، وساهم بإخرج المعتقلين الذين ساهموا في السيطرة على القاعدة الجوية ومفاجأتهم النقيب الخفر عبد القادر الشكاكي، فسلمهم مفاتيح المشاجب وقادهم إلى حيث بهو الطيارين فتم اعتقالهم، وعرقلة الضباط الذين حاولوا امتطاء طائراتهم. وبعدها قطعوا اتصالات المعسكر بالعالم الخارجي ماعدا خط واحد استخدمه يحيى وانور وانتهت العملية.

كما عاملت سوريا النحلاوي عندما أطيح بـه في انقلاب، وامنح طائرة اذهب فيها إلى بلـد اختاره، أو أي بلد تختارونـه انتم"... وكان يحيى يكرر عليه ان رأسه هو المطلوب.

ماكو زعيم الا كريم

نعود لوزارة الدفاع حيث تقدمت الدبابات الأربع الأولى بقيادة ضباط الكتيبة الرابعة الشبان فعبرت في حوالي الساعة الحادية عشرة نـهر دجلة من الغرب باتجاه وزارة الدفاع، لتجد نفسها وسط تظاهرة كبيرة أعدها الحزب الشيوعي بعد صدور بيان الثورة الأول . وكـانت لـدى القيادة الشيوعية الميدانية فترة لا تزيد على الساعة والنصف بين إذاعة البيان ووصول الدبابـات إلى الدفاع. وكما يبدو كان هذا وقتاً كافياً لتعبئة مجموعة كبيرة للتجمع والتظـاهر. وزاد في حماس المتظاهرين واستعدادهم للحضور ان إنذاراً جزئياً كان الحزب الشـيوعي قـد وجهـه لأعضائه ليلة السابع من شباط، كما ان خروج قاسم من داره متجهاً لمقره تحف بـه الجماهير هاتفة "ماكو زعيم إلا كريم" فوصل الوزارة محيياً الناس وهو بكامل صحتـه وعافيتـه.

كان ذلك بعد إذاعتنا انـه قتل على أيدي بعض الضباط القوميين، وهذا كله ألهب حمـاس مؤيديه وتفاؤلهم وعلى رأسهم الشيوعيون الذين تصوروا ان ما يحدث لا يتعدى حركـة تمـرد صغيرة في معسكر من المعسكرات، وان الزعيم حي يرزق محاط بالانضباط العسكري وبمعاونيه المقربين الذين يأتمنـهم[1].

كان شعور المتظاهرين حول مبنى الدفاع، حسب ما أرى، مزيجاً من النشوة بنصـر قـادم وتطلع من قبل الشيوعيين بالذات لاسترداد واستعادة ما أخذ منـهم على مستوى السنة الماضية من مواقع ونفوذ في السلطة. وأعتقد وحسب ما سمعت من كثيرين إن تصرف المتظاهرين أوحى وعبر عن وحشية ما سيعقب هزيمة الحركة الجديدة.

أحاط المتظاهرون بالدبابات الأربع الأولى وصعدوا فوقها، وفتحـوا أغطيتـها واخرجـوا قادتـها من الضباط وقتلوهم بالخناجر والسكاكين وسحبوا جثثهم وقطعوها إرباً. ولم يكـن ممكناً فيما بعد جمع الجثث إلا قطعاً في توابيت مغلقة كشهداء اغتسلوا بدمائهم[2].

---

١ ــ في الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة صباح ٨ شباط أذيع ما يلي : يا أبناء شعبنا البواسل يا قطعات جيشـنا الباسلة، إليكم هذا النبأ السار: بعد ان دك أبطالنا نسور الجو وكر المجرم الخائن، وبعد ان تحركـت جميـع قطعاتنـا العسكرية، معلنة الثورة ضده، عازمة على ان تدك صرحه، وان تقضي على كل مفاسده، وخياناتـه، هـب إخواننـا جنود وضباط وزارة الدفاع، وأردوا المجرم العميل قتيلاً، فسقط صريع جرمه وخيانتـه وتنكره لهذا الشعب ولهذا الجيش البطل. انتـهى".

٢ ــ هاجمت الدبابات الاربعة الأولى فور وصولها مدخل وزارة الدفاع، فتمكن الجنود والجماهير من حرق دبـابتين، قتل فيها الملازم وجدي ناجي والملازم طارق صادق والملازم شبوط جاسم واصيب آخرين، وكان الأخير أول ضـابط بعثي يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.
←

بعد تلك الحادثة وصل رتل آخر من الدبابات يقوده العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، الذي اخبرني قائلاً: "أدخلت دبابتي وسط جموع تهتف بحياة عبد الكريم قاسم، ورغم ان واجبي هو مهاجمة وزارة الدفاع، الا اني وجدت نفسي ودبابتي وكل الرتل اسرى وسط تلك الجموع، وسيكون مصيري القتل إذا ما وجهت مدفعي لمهاجمة وزارة الدفاع ولذلك فتحت بوابة الدبابة وخرجت محيياً الجماهير ورددت معهم نداؤهم المعروف " ماكو زعيم الا كريم" وبذلك مررت بدبابتي، تتبعني دبابات أخرى كرر قادتها مافعلته. وما ان وصلنا على مقربة من النادي الأولمبي حتى استدرنا ثانية بصورة مفاجئة نحو مبنى وزارة الدفاع. وبدأنا حالما اقتربنا من المتظاهرين بإطلاق النار فوق الرؤوس".

وكان ذلك بطبيعة الحال كفيلاً بتفريقهم خصوصاً وان أوامر منع التجول باستثناء افراد الحرس القومي – الذي اعلن تشكيله تواً – كانت تتكرر وتمتص أعداد الناس من الشوارع ليتقلص عددهم ويختفي مع مرور الوقت أي اثر لهم، بينما استمرت الدبابات بالوصول فضلاً عن وصول طلائع اللواء الثامن وسرايا من الفوج الآلي الثاني لتضرب طوقاً كاملاً حول وزارة الدفاع.

قتال شديد والضحايا أقل من التوقعات

دار داخل الدفاع قتال عنيف وشرس بين القوات المهاجمة والمدافعين من قوات الانضباط العسكري. وعلمنا ان كلاً من آمر الانضباط العسكري العميد عبد الكريم الجدة والمرافق الاقدم لعبد الكريم قاسم العقيد وصفي طاهر، قد ابديا بسالة كبيرة للتصدي للهجوم. وبقي عبد الكريم الجدة يقاتل خلف النافورة الامامية أمام البوابة الداخلية للوزارة حتى اصيب بطلق ناري. وجيء صباح اليوم التالي بجثته وجثة وصفي طاهر إلى دار الاذاعة ووضعتا في الحديقة الامامية.

أصابت وصفي طاهر رصاصتان بصدره، واحدة اخترقت القلب تماماً. وبسبب شدة المعارك وارتفاع صوت النار كانت تقديراتنا للقتلى والدمار تفوق الواقع، لان ضحايا الجانبين بعد

يقتل في ٨ شباط ١٩٦٣.

أما أول ضابط قتل في ٨ شباط فكان عميد الجو الركن جلال جعفر الأوقاتي في حوالي الساعة الثامنة والنصف (وحسب الوثائق البريطانية السرية ان القتل تم في الثامنة وعشر دقائق). ونفذ عملية قتل الأوقاتي كل من : ماهر الجعفري وغسان عبد القادر وعدنان داود القيسي واكرم عبد الكريم اسود ومجيد رجب حمدان. ويقول أقرباء جلال الأوقاتي ان محمد ثامر (لاعب كرة القدم وحامي هدف فريق المصلحة ومنتخب العراق) كان شريكهم ودليلهم إلى بيت جاره جلال جعفر الأوقاتي[13].

انفضاض المعركة كانت قليلة جداً[1]. ويذكر ان أعداداً كبيرة من افراد الانضباط العسكري قد استسلمت لنا في الحادية عشرة مساء يوم ثمانية شباط، ويبدو ان قائدها عبد الكريم الجدة قد قتل قبل ذلك بقليل فأصبحت بلا قائد فأستسلم أكثريتها واقتيدت إلى معسكر خارج بغداد بعد تجريد افرادها من اسلحتهم، و لم يحصل لأحدهم بعد ذلك أي أذى.

الهاتف يرن مرة اخرى

تلك الليلة كانت حافلة بالتلفونات من قاسم، وكان قادراً ان يتصل بنا في أي مكان يشاء، لأننا لم نقرر ضمن الخطة الرئيسية السيطرة على شبكة الهاتف لسبب بسيط هو ان قاسم كان في كل الاحوال سيظل قادراً على الاتصال بأمراء الوحدات والضباط والقادة والمعسكرات ومقرات القوات باللاسلكي أو التلفونات السرية الخاصة. وكنا بحاجة ماسة لقواتنا القليلة في مكانات أكثر اهمية، ولذلك اهملنا هذا الموضوع وبقي عبد الكريم حراً يتصل بمن يشاء. اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها وبدار الاذاعة وإستنجد بكافة الوحدات البعيدة عن العاصمة بعد ان يئس من استثارة أو تحريك اية قوة داخل بغداد. وكان جواب القادة الاعتذار لعدم القدرة على القيام باية مهمة أو تحرك، وبعضهم امروا بدالة وحداتهم الاعتذار وإبلاغ قاسم بعدم وجودهم. وهكذا انصرم النهار وحل المساء وادرك قاسم يقيناً انه فقد الامل في استلام نجدة أو ناجد، بعد ان اتصل بالمرسلات ثم بمعسكر الرشيد وغيره من معسكرات بغداد ومحيطها، وكان قاسم حينها مضطراً إلى التنقل بين سراديب وزارة الدفاع وبين محكمة الشعب الملاصقة لوزارة الدفاع، بعد ان ترك مكتبه في الطابق الاعلى الذي اصيب اصابة مباشرة بصاروخ.

لا أريدها حرباً اهلية

اعاب كثيرون على قاسم عدم استغلال القوة التي كانت معه في وزارة الدفاع والمؤلفة من ٤٥ مدرعة وألفي جندي، ليخرج بها ويفاجئ الثوار مهاجماً . لكننا حسبنا حساب ذلك، فكانت مهمة الدبابات الثلاثة التي رافقتنا إلى المرسلات ان تسد الطريق بوجه أي هجوم عسكري سيستغل فراغ ذهاب الدبابات إلى مخازن الاسلحة وعودتها. كما ان شبابنا المزروعين على طول الطريق الضروري التي ستقطعه مدرعات قاسم إلى معسكر أبو غريب

---

١ ـــ نضع مجموع اسماء قتلى صبيحة ٨ شباط

– يقول عارف عبد الرزاق ان الضابط الطيار محمد حسام الجبوري تمكن بضربة واحدة من قتل جميع جنود رتل من السيارات وخلف وراءه ١٩٨ جثة من جنود الانضباط العسكري بوزارة الدفاع.

سيهاجمونـــها انطلاقاً من الجوامع والمباني التي احتلوها[1]. يضاف إلى ذلك القوة الجوية الـــتي ستضرب اية قوة أو رتل يتحرك بأتجاهنا.

وتلك كانت ضمانات كافية لعرقلة القوة التي يفترض خروجها من الدفـــاع، وحينـــها سنكسب الوقت الكافي لعودة الدبابات التي يقودها البكر مزودة بالعتاد والوقود والماء. ولذلـك لم نشعر بالخوف رغم ان عماش حاول زرعه فينا، وكان يتوقع ان يخرج في مواجهتنا عشـرون الف شيوعي مسلح، وستكون مقاومتـــهم ضارية. وكان يرى ان الدبابات غير قـادرة علـى دحر الجماهيرالذين سيقتلون ضباطها. ولكن الواقع ان الشيوعيين لم يتمكنوا من حشد أكثر من خمسمائة شخص، و لم يحملوا غير عدد قليل من الاسلحة الخفيفـــة نصـــف الآليـــة وكـانت معنوياتـــهم متدنية، لان عدداً كبيراً منـــهم انتمى في فترة المد الشيوعي، ولن يصمد في مثـــل المعركة التي فرضناها عليهم غير العقائديين، ولان قاسم تخلـــى ورفـــض تســـليمهم الســـلاح للمقاومة[2].

بقي مع عبد الكريم قاسم حتى ذلك الحين كل من العميد طه الشيخ احمد مدير الحركـــات العسكرية بوزارة الدفاع والعقيد فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصـــة التي عرفت بمحكمة الشعب والمقدم قاسم الجنابي والنقيب كنعان خليل. اما بقية الضباط فقـــد انسحب أكثرهم وتسللوا تحت جنح الليل هرباً عبر نـــهر دجلة، بينـــهم اللواء احمـــد صـــالح العبدي الحاكم العسكري العام والعميد سعدون المدفعي ورئيس الاستخبارات العسكرية العميد محسن الرفيعي وسكرتير قاسم المقدم جاسم العزاوي وغيرهم، وبقي عدد آخر من الضباط داخل الوزارة متخفين وغير متحمسين للقتال، وإنما انصب جهدهم على حماية انفسهم[3].

---

١ ـــ يذكر ان بعض المدنيين البعثيين اعلنوا عن الحركة من مكبرات صوت الجوامع، قبل اذاعتـــها من مرسلات الاذاعة في أبو غريب[14].

٢ ـــ يقول قاسم الجنابي " اقولها للتاريخ، تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك مخزن في الـــوزارة للأســـلحة، وطالبوا بالسلاح ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلاح وقال: "انا لا اريدها حرباً اهلية سنعالجها."[15]. كمـــا اتصل متي الشيخ (ع م س للحزب الشيوعي) من ساحة التحرير بوزارة الدفاع وتحدث مع وصفي طـــاهر، وكـــان حاضراً معه رشدي العامل والشاعر مظفر النواب، اتصل متي من بناية مرحان وقال: " نحن موجودون بساحة التحريـــر نحتاج إلى سلاح واثنين من الضباط لقيادتنا إلى معسكر الرشيد." واكد له امكانية ضبط معسكر الرشيد وكان معـــهم جنود كثيرون في الساحة لكن وصفي طاهر اكد ان الزعيم لايوافق ويرى ان الحركة ستفشل[16]. وقال يونس الطائي: " ان العميد سعيد مطر بقي في ٨ شباط في وزارة الدفاع حتى الساعة الرابعة عصراً، وبعده لم أره، وكان منـــزعجاً من عبد الكريم قاسم. وقبل ان يختفي أو يغادر الوزارة متسللاً، قال لي: "لايعطي السلاح للشعب، مشيراً لعبد الكريم قاسم" وأضاف الطائي " أظن ان وصفي طاهر كان يعاني مثل سعيد مطر، لكنـــهما لم يرغبا معارضتـــه أو تكديره مباشرة". ويذكر ان سعيد مطر كان قد تسلل متخفياً إلى كردستان العراق ليبدأ من هناك تأسيس مقاومة شيوعية.

٣ ـــ ما تقدم في الصفحات الماضية يمثل شرحاً لخطة الحركة التي يمكن ان نعطيها عنوان (عضة السبع) الذي يبـــاغت ضحية اكبر منـــه حجماً بجرأة وسرعة مستغلاً استرخائها، فيعض اضعف واخطر منطقة في جسمها (جـــوزة الرقـــة) ←

مطبقاً فكيه دون فكاك ومهما حصل. هي عضة تجعل رأس الضحية وبقية جسمها محايدين في معركة تخصهما أساساً فيتركز جهد الضحية في سباق عبثي محموم للخلاص من الفكين المطبقين، وتدريجياً تفقد المبادرة وترتبط أسيرةً بالعضة وبالفكين المطبقين. ويصبح حالها حال من يدور حول نفسه عبثاً ليرى حلمة أذنه.

وهكذا تعجز الضحية عن استخدام قواها الأخرى، ويخرج جسمها الكبير من الصراع، بل ويعجز بقية النوع (القطيع) المواكب لها عن المعاونة والاقتراب حيث فكّا السبع المنطبقان بإرادة وقوة على عضو رهيف، يتضرر بسرعة وتتوقف عليه الحياة.

وهكذا كانت خطة البعث، فقبيل دخول قاسم مبنى وزارة الدفاع (القفص، المصيدة)، تمكن المدنيون البعثيون في يوم عطلة رمضاني من مفاجأة وإعاقة عدد هائل من الضباط على مداخل الجسور ومفارق الطرق المؤدية إلى وزارة الدفاع وأبو غريب، ومعسكر الرشيد ومدخل مدينة الضباط. ومنع الضباط الشيوعيون والقاسميون من الالتحاق بوحداتهم بعد سماع بيان الحركة الأول، واحتجازهم، داخل الجوامع وفي مكانات أخرى، وإعادة الضباط غير المسيسين إلى بيوتهم. ففقد عبد الكريم قاسم المئات من مناصريه ضباطاً ومواطنين. وتمكن عدد قليل جداً من الشباب من حاملي البنادق والمسدسات التمركز في مناطق استراتيجية من منع مؤيدي قاسم من أبناء الثورة والكاظمية والشعلة والقاهرة والحرية والزعفرانية الكرادة والبياع ومناطق الإسكان الشعبي الجديدة وغيرها من الوصول حيث يحاصَرُ الزعيم لمد يد العون له. وجميع هؤلاء تفرجوا من بعيد على الطائرات القاصفة تذهب وتعود واستمعوا لأصوات المدفعية والرماية ، مجردين من السلاح لا يملكون غير العواطف التي لا يمكن توظيفها لمصلحة المحاصَرين الذين يضيق حولهم الخناق ويتعزز الحصار بمدرعات ودبابات وطائرات تحوم وتضرب ، وملتحقين جُدد فيكسب المحاصِرون قوة وزمنا ضروريا ، في حين يخسر المحاصَرون وتضعف معنويات الجنود والضباط داخل المعسكرات الأخرى فيلتزمون الحياد أو يبحثون عن الخلاص بتأييد الحركة . ولم يقدم العون غير سكان الأحياء المحيطة بوزارة الدفاع على شكل مظاهرات في شارع الرشيد وباب المعظم، وهؤلاء امتصها نظام منع التجول ، ورماية الدبابات والمدرعات ونشاط الحرس القومي ، ليتلاشى وجودهم بعد فترة قصيرة خصوصا بعد ان رفض عبد الكريم قاسم تزويدهم بالسلاح لكي لا يتسبب بحرب أهلية أو لكي لا تتكرر أعمال شبيهة بأحداث الموصل . وهكذا كانت وزارة الدفاع تماثل رأس الضحية، ومعسكرات الجيش القريبة والبعيدة وسكان المناطق والأحياء والمدن تمثل أطراف وجسد الضحية . والطرق الرابطة بينها وبين وزارة الدفاع تماثل الرقبة الواصلة بين الرأس والجسد ، وهي التي أطبق عليها وامسك بها المهاجمون بقوة . وكلما مر الوقت كانت نيران الطائرات ومدافع الدبابات تآكل الرأس المحاصر في مبنى الدفاع في حين تبقى الوحدات والأحياء الأخرى مرتبكة وبلا قيادة.

ولابد ان عوامل كثيرة تدخلت وساعدت على إنجاح خطة المهاجمين وكانت:

أولاً: بقاء الشيوعيين وحدهم تقريباً في ميدان الدفاع عن النظام، بسبب طريقتهم الاستفزازية السابقة في النشاط السياسي التي تدفع عن الميدان اية قوة أو هيئة تؤيد نظام قاسم ومستقلة عنهم.

ثانياً: امتناع قاسم عن تشكيل الحزب السياسي الوسط ليقف بين الحركات المتطرفة، وليدافع أعضاؤه عنه بمسؤولية والتزام وعصبية، كما يفعل منتسبو الأحزاب دفاعاً عن سلامة سياسة أحزابهم وقادتها. وكما اخبرني يونس الطائي انه وآخرون اقترحوا على قاسم أكثر من مرة تأسيس ذلك الحزب، فكان رده: " الشعب كله حزبي، وإذا أسست حزباً ستتحول إلى دكتاتورية"[17] ومعلوم ان هناك فرقاً جوهرياً بين ديكتاتور وديكتاتورية.

ثالثاً: افقد التصادم بين قاسم والشيوعيين رغبة الأخيرين وحماسهم له، وكسر التحالف الاضطراري بينه وبينهم، فقاسم أراد تمييز نفسه والاستقلال عنهم. والشيوعيون أرادوا المحافظة على نفوذهم ودفع الخطر الداهم عن أنفسهم.

رابعاً: فقدان بعض قادة القوات المسلحة معنوياتهم ورغبوا في عدم التورط بسبب توسع حركات الشمال.

خامساً: فقدان المرجعيتين الإسلاميتين الشيعية والسنية لحماسهما للسلطة، بل وإعلان عداوة المرجعية السنية علناً للنظام بسبب التعديلات التي أدخلت على قانون الأحوال الشخصية[18].

←

أما النقيب كنعان خليل حداد فأمر انضمامه إلى عبد الكريم قاسم والبقاء معه حتى الموت فيه شيء من الغرابة، فلم يعرف لحد الآن ماذا كان يربطه بقاسم؟ فقد كان كما دلت محتويات جيوبه بعد استسلامه وتفتيشه على انه كان ذاهباً إلى موعد غرامي، يقضيه في يوم عطلة. وخلال سيره على الطريق بسيارة مكشوفة سمع بنبأ الحركة فقرر تحويل وجهته إلى وزارة الدفاع، لكنه اصطدم بالضابط إبراهيم التكريتي فقتله برشاش كان معه في السيارة، ثم التقى بحاملة جنود تابعة للفوج الآلي الثاني وكان ركابها يهتفون بسقوط قاسم، فأوقفهم واطلق عليهم فقتل وجرح الجنود التسعة الذين كانوا فوقها. ولم يكن هناك أي دليل على ان ما قام به كان دفاعاً عن النفس، كما لم يكن عملاً حاسماً في مسيرة ما كان يجري في بغداد واجوائها يومذاك، وربما كان احساسه بالتورط جعله يقاتل حتى الموت ودون تردد[1].

سادساً: سن القانون رقم ٨٠ وتأسيس شركة النفط الوطنية.

وبشكل عام كانت خطة ٨ شباط ١٩٦٣ ذكية استثمرت بنجاح عدداً قليلاً من الضباط وبضع مئات من المدنيين البعثيين لتتمكن بسرعة خاطفة من إطاحة نظام شعبي بكل مقاييس العالم الثالث والشرق الاوسط، فأنتصرت على قوة تملك أعداداً من الضباط والموالين تفوق عشرات المرات ما لديها. وقد وضع الخطة عبد الستار عبد اللطيف وعماش بتكليف من السعدي ودرسها واقرها المكتب السياسي المؤلف من علي وحازم وطالب وكريم. ولم يحضر محسن وحميد وحمدي.

١ ـــ أخبرني هاشم الياسري ان كنعان خليل حداد كان شيوعياً غير مكشوف، وابن اخت العميد عبد الكريم الجدة قائد الانضباط العسكري والمريد المخلص لعبد الكريم. ويرى الياسري ان هذه أسباب كافية لحماس كنعان حداد لعبد الكريم قاسم ووقوفه معه ضد ثوار رمضان[19].

ملحق رقم ١

المرات التي استخدم فيها الجيش العراقي ضد الشعب

تجاذب الجيش، منذ تأسيسه خطان، أحدهما يراه وطنياً يمثل وحدة البلاد، ويأمل بابتعاده عن التكتلات السياسية الداخلية ليظل حامياً للحدود وللدستور. وآخر ما انفك يزجه بحروب داخلية "واستخدم الجيش العراقي قرابة ٤٥ مرة ضد المظاهرات الجماهيرية والتحركات الفلاحية والعشائرية وإضرابات العمال والثورات الكردية وغيرها. وفي مناسبات عدة جرى الاستعانة بسلاح الجو البريطاني... "[1].

ومنذ ما بعد ثورة العشرين وحتى الآن يحاول الجيش دون جدوى، السيطرة على الأوضاع الأمنية الداخلية ، وربما يعود السبب إلى تركيبة الجيش الغريبة عن نسيج المجتمع في بداية تأسيسه، ثم إلى القيادات السياسية والعسكرية التي امتلكت طموحات مناقضة لطموحات أغلبية المجتمع بعد الثورة.

ويمكن بسهولة ملاحظة أن العراق لم يستطع طوال عشرات السنين من الاستقلال الوطني الحصول على خمس سنين متواصلة ومستقرة. ومما يؤسف له أن أكثر المهتمين يخشون من وقفة نقدية ومن إعطاء رأي شجاع يساهم في حل الأزمة جذرياً وإراحة النفس والمجتمع من أزمة دورية تقضي على الاستقرار السياسي والاجتماعي. وبسبب عجز الجيش من امتلاك حريته والتوافق مع تنوع المجتمع، عجز المجتمع كله من التمتع بثروات العراق الكبيرة، وذلك يفرض أهمية دراسة الظاهرة دراسة معمقة.

ونأخذ هنا نماذج لاستخدامات الجيش في شؤون داخلية:

أولا: على الجبهة الكردية زجت الحكومة المركزية الجيش بصورة مستمرة، خلق قاعدة مؤسفة وثابتة في ذهن الكرد، وهي أن عليهم قبل المطالبة بشيء ما لأنفسهم، أعداد العدة العسكرية والتفكير حتماً بالتمرد ونتائجه مثل الصعود للجبل. فلم تُبقِ السلطات لهم سوى أحد خيارين، إما التمرد أو الطاعة الذليلة التامة. وكان أول استخدام للجيش العراقي ضدهم حصل في ٣١ آب ١٩٢١ بأمر من برسي كوكس، لإخماد بعض مظاهر الرفض وكان ذلك قبل تتويج الملك فيصل الأول، لأن الجيش العراقي تأسس بقرار من مؤتمر المستعمرات المنعقد في القاهرة قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة بقليل.

ثانيا: في ١٩٣٣ لإخماد حركة النساطرة تنفيذاً لقرار حكومة ياسين الهاشمي ذات التوجه "القومي" وكان عبد القادر الكيلاني وزيراً للدفاع واتخذ قراره بالتنسيق مع رئيس الوزراء ياسين الهاشمي ووزير الداخلية حكمت سليمان ، ونفذه القائد العسكري بكر صدقي، وتمت الضربة على مرحلتين. الأولى في

---

١ ـــ د. حسان عاكف حمودي ـــ واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز، الثقافة الجديدة، عدد ٢٧٤ شباط ١٩٩٧ .

١٩٣٣/٨/١١ وقتل فيها أكثر من ستمائة شخص. وفي المرة الثانية زحف الجيش وحصد منهم المئات بعد تجريدهم من أسلحتهم الشخصية، فقتلوا عُزّلاً وسُميت العملية بـ"عين الأرانب"[١].

وفي الحقيقة لم تكن حركة الآشوريين تمثل خطراً يتطلب قراراً بالإبادة، فهي تمثل أقلية لم تتجاوز حينذاك الآلاف، ويجدر ملاحظة أنه رغم عمق المأساة، فقد مجد الشعب بأغلبيته خطوة الجيش، ربما لاختزانه ذكرى مؤلمة عن استخدام الإنكليز للآشوريين جنوداً في قمع الثورات العراقية، خصوصاً ثورة العشرين. وأغلب الظن أن شعوراً هستيرياً بوحدة الوطن وضد تقسيمه قد اجتاح العراقيين بعد أن رفع الآشوريين شعارات تطالب بوطن مستقل.

ثالثاً: في عام ١٩٣٥ وبقرار من ياسين الهاشمي تدخل الجيش ضد سكان الفرات الأوسط لقمع انتفاضتهم، وبدأت العمليات في ١١ أيار حتى ٩ تموز ١٩٣٥ ، بمساندة طائرات القوى الجوية التي أسقطت القنابل على رؤوس الفلاحين وأحرقت القرى في مناطق العشائر في الدغارة والرميثة والحمزة وغماس وعفك وكذلك عشائر سوق الشيوخ، وبعد انتصاره على الانتفاضة فرض الغرامات عليها.

وفي نفس العام أمر وزير الدفاع رشيد عالي الكيلاني القائد العسكري بكر صدقي بضرب وإخضاع مدينة الرميثة وبعد إخماد ثورتها، قال الكيلاني لصدقي "الآن أقدر أن أفخر بالجيش العراقي". فأجابه صدقي " على العكس أنا لا أفخر بجيش يقتل أبناء شعبه"، ويروي ذلك الزعيم فؤاد عارف الذي رافق الاثنين في جولتهما الحربية إلى الرميثة[٢] ويذكر أن انتفاضة الرميثة وسوق الشيوخ وغيرها من مدن الوسط والجنوب لم تكن حينذاك موجهة ضد وزارة ياسين الهاشمي أو الكيلاني، بل ضد السياسة الإنكليزية في العراق.

رابعاً: وفي ١٩٥٢/١١/٢٣ شكل الفريق الركن نور الدين محمود وزارة عسكرية، شغل فيها هو منصب رئيس الوزراء ووزير الدفاع والداخلية، فضلاً عن رئاسته لأركان الجيش. وبأمر مباشر منه إلى قائد موقع بغداد "طلب تفريق كافة الاجتماعات والمظاهرات بعد إنذارهم بالرمي" وعمم قائد الموقع ذلك الأمر على الوحدات بعد أن ذيله بتوقيعه: الزعيم الركن عبد المطلب أمين قائد القوات في ١٩٥٢/١١/٢٤. وبذلك اتجهت القوات لضرب انتفاضة تشرين الثاني في بغداد والنجف وكربلاء والحلة والديوانية والبصرة... الخ، وفيها وقف العراقيون مدهوشين لا يجدون تفسيراً لتصرف دولتهم المشين.

ويذكر أن نور الدين محمود كان قائداً للقوات العراقية عندما وقع الجيش المصري في حصار الفالوجة، فأحجم عن مساعدته مستخدماً شتى الذرائع، وكان عبد الكريم قاسم أحد أمراء الألوية الذين أصروا على التدخل لفك الحصار عن الجيش المصري، وبعد رفض نور الدين محمود، رتب قاسم أمره وأعد لوائه سراً للتحرك ليلاً لمساعدة الجيش المصري خلافاً لأوامر قيادته العسكرية، لكنه فوجئ عشية التحرك

---

١ ـــ ستافورد، مأساة الآشوريين، ص ١٧٤ – ١٧٥ عن سمير خليل (كنعان مكية) جمهورية الخوف، بالعربية، ص ٢٦٤ .

٢ ـــ حامد سالم الزيادي: التوجيه المعنوي في الجيش العراقي، مصدر سابق. عن كتاب عبد الغني الملاح ـــ تطور الحركة الديمقراطية في العراق، ص ١٣٤ .

بتحقق اتفاق بين القيادتين العربية والإسرائيلية لفك الحصار[1].

خامساً: في عام ١٩٥٦ أرسل نوري السعيد فوجاً عسكرياً بقيادة عبد الوهاب الشواف لمساندة شرطة " القوة السيارة" لإخماد انتفاضة النجف التي أعلنت ضد الإنكليز بسبب تحالفهم مع فرنسا وإسرائيل وعملائهم لضرب مصر ونظام جمال عبد الناصر، فيما سمي بالعدوان الثلاثي. ومن حسن الحظ أن المقدم عبد الوهاب الشواف كان وطنياً وتصرف بود ولم ينجر لضرب المواطنين ، بل وقف بوجه ألاعيب الأمن والشرطة ومنع تطور الاضطرابات، وأوقف أعمال القتل والثأر بين الشرطة السيارة وأبناء المدينة، وذلك أكسبه سمعة طيبة وكانت تلك واحدة من الأسباب التي رفعت اسم وسمعة الجيش في نظر الشعب، بل ساعد في تحول الجيش إلى ملاذ يلجأ إليه الشعب من عدوان حكومة نوري السعيد وذراعها "القوة السيارة" وارتفعت شعبيته أكثر بإعلان ثورة ١٤ تموز.

سادساً: في عام ١٩٥٨ قتل ضباط برتب عالية العائلة المالكة ومرافقيها، كما تلقت العائلة المذكورة رماية من مدرعة تابعة إلى رتل يقوده عبد الرحمن عارف (رئيس الجمهوري لاحقاً) رغم تلويح الرتل الملكي براية بيضاء واتفاقه على التسليم قبل الخروج من مخبئه، تلك المأساة سجلت تحولاً وبداية لتسلق ضباط شباب "متريفين" انفتحت شهيتهم للسلطة السياسية، فجرفوا الجيش العراقي وحولوه من قوة تقليدية تستخدم في توطيد الأمن الداخلي إلى قوة تقوم بحماية مشاريع سياسية وأيديولوجية يقودها زعماء من الدرجة الثانية، ويحكمون مستندين إلى شرعية القوة بعد سيطرتهم على الجيش العراقي بمؤامرة عسكرية لعب فيها بعض الضباط دوراً يؤكد استعدادهم للخروج على القانون. وعندما استتب لهم الأمر نقلوا الجيش من قوة لكل الشعب، تقف " فوق الميول والاتجاهات" إلى قوة فرض عليها الالتزام بإرادة معينة ضد بقية الإرادات المتضمنة في التنوع العراقي الكبير. وأصبح ذلك الوضع المستحدث أشد خطورة منذ عام ١٩٦٨ .

سابعاً: في حزيران ١٩٦٣ قام الزعيم صديق مصطفى بضرب المدنيين في مركز مدينة السليمانية وقد قتل العشرات من المواطنين الأكراد العُزّل، وحصلت أعمال مماثلة بنفس التوقيت في مدينة كركوك، وقبلها استخدم الطيار فهد السعدون طائرته في قصف تجمعات مدنية في حي الكريمات والزعفرانية ومخيمين فلسطينيين (بناهما قاسم) في مدينة بغداد، وحملت تلك الضربة في طياتها آثار السياسة والإيديولوجيا ، واستعمل الجيش مرة أخرى في ١٨ تشرين الثاني عندما أمر عبد السلام عارف القوات المسلحة بضرب قوات الحرس القومي ومكاتب حزب البعث ومنظماته الشعبية خصوصاً في بغداد والموصل والرمادي ومناطق أخرى، ومهما يكن فقد كان الحرس القومي قوة محلية بأسلحة شخصية يدوية، ولم يكن هناك مبرر لاستخدام الدبابات والأسلحة العسكرية الاستراتيجية ضده. غير أن استخدام الجيش أصبح أمراً يسيراً لدى قياداته السياسية والعسكرية وأصبح الحاكم لا يخجل من احتمائه به من الشعب.

ثامناً: في عام ١٩٦٤ استخدم الجيش ضد منتسبي الحركة الكردية قنابل حارقة محرمة دولياً وقد لقي ذلك احتجاجات الشعب العراقي بأكمله.

---

١ ـــ راجع خليل إبراهيم، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم.

تاسعاً: في عام ١٩٧٧ بأمر من قيادة ــ البكر، صدام ــ استخدم الجيش في ضرب المسيرة الدينية السنوية الراجلة من النجف إلى كربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين (ع) بما فيها من تحدٍ للتقاليد والمشاعر. وأمرت بإيقاف المسيرة التي تشكل جزءاً هاماً من الحياة الروحية للمجتمع. وبسبب إصرار السلطة، تظاهر المشاة في الصحراء رافضين العودة قبل إتمام مسيرتهم المسالمة، ففوجئوا باللواء المدرع السادس من الفرقة الثالثة المدرعة ومقره المسيب واللواء الثامن الآلي من الرمادي يطوقان تجمع (الزوار – المشاة) الاعتيادي في منطقة خان النص ليباشرا القمع والتفريق وإلقاء القبض على العشرات منهم، وعقدت محكمة خاصة ، حكمت بالإعدام على مجموعة منهم بعد اتهامهم بالعمالة والجاسوسية!!

عاشراً: ومنذ عام ١٩٦٤ حتى ١٩٨٠ أصبحت مهمة الجيش داخلية فقط عدا محاولات اضطرارية فجائية باهتة.

حادي عشر: السنوات اللاحقة منذ عام ١٩٨٠ وحتى الآن تحول الجيش العراقي إلى وسيلة بيد نظام عدو للشعب، وتغيرت تركيبته القيادية، ليفسح الفنيون والمتفوقون إلى ضباط يتمتعون بميزة التبعية للسلطة مهما كانت نوع الأوامر التي تصدرها، ومهما كانت رغباتها وأوامرها. فنفذت أبشع الجرائم كحلبجة والأنفال ومذابح الأهوار.

ثاني عشر: إدخاله في لعبة دولية لا تخدم مصلحة العراق والأمة العربية.

ثالث عشر: ١٩٩١ ضرب انتفاضة آذار / شعبان إثر فشل السلطة والجيش في مواجهةٍ خططوا لها بعد احتلال الكويت، فاستدار على الشعب وقصف المدن بصواريخ بعيدة المدى، واستخدم ضد المواطنين مصطلح "الأعداء"[1] وخاض ضدهم حرباً بكل معنى الكلمة.

هذا فضلاً عن بناء السلطات العراقية المتعاقبة، منذ أكثر من ٧٥ عاماً ، أجهزة أمنية واستخبارية مهمتها الدائمة كبح الشعب والوطنيين بشكل خاص، موفرة كل وسائل المراقبة والتعذيب بلا حدود.

كما جرت محاولات استخدام الجيش في الصراعات بين البلدان العربية كسوريا ولبنان بدفع من رجال العهد الملكي في عهد نوري السعيد وتوفيق السويدي الذي كتب إلى سفير بريطانيا ببغداد في ٥ حزيران ١٩٥٨ متحججاً لضرب سوريا والكويت يقول: "إن الخطر الشيوعي أصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت"[2].

وواضح أن السياسيين وقفوا دائماً وراء زج الجيش في أعمال الشغب وتلاعبوا بأمزجة وتوجهات ضباطه، فلم يخضع الجيش يوماً لرغبة ضباطه بل كانت تدخلاته العنيفة في كثير من الأحيان مثار استياء بين الضباط. ولذلك من الخطأ نسب عملية ضرب منطقة الفرات الأوسط إلى بكر صدقي كضابط بل يتحملها ياسين الهاشمي رئيس الوزراء ووزير دفاعه الذي اتخذ القرار وأملاه على صدقي.

ومن غير المستبعد أن تكون تلك الأوامروغيرها سبباً في الانقلاب العسكري الذي قاده بكر صدقي بمساندة أبو التمن والجادرجي. ولأن الحس الشعبي الفطري من الصعوبة أن يخطئ، نرى المواطنين رغم

---

١ ــ حسن العلوي ــ دولة الاستعارة القومية، ص ١٨٤ .

٢ ــ د. حسان عاكف حمودي ــ ثقافة جديدة ــ مصدر سابق

تدخلات الجيش ظلوا ينظرون إليه حتى نـهاية الستينات نظرة احترام، ولكنـهم لم يكنوا وداً للقيـادات السياسية الحاكمة ولا حتى لقيادات الجيش المسيسة أو المؤدلجة أو المتعصبة.

ويمكننا أن نستنتج من الأرقام أن الجيش لم يستخدم ضد الشعب في فترتين فقط. أولا: عـهد الملـك فيصل الأول منذ ١٩٢١ حتى ١٩٣٣ ، وعهد عبد الكريم قاسم من ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣.

لقد انبـهر العسكريون بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فسعوا جميعاً إلى تكرارها رغم أن الأولى جاءت مـن أجل الاستقلال وترحيل الإنكليز عن البلاد، وكانت الانقلابات الأخرى مجرد خـروج علـى القـانون وتوظيف القوات المسلحة لمصالح حزبية سياسية وأحياناً من أجل مكاسـب شـخصية، وأدى ذلـك إلى جرجرة الجيش والمجتمع على مدى أكثر من ربع قرن إلى مآزق وحروب أوصلت البلاد إلى الحضيض.

فقد تحولت مهمة الجيش داخلية فقط ، عدا محاولات اضطرارية باهتة وفجائية، ليس مخططاً لهـا. أمـا مهمتـه الأساسية فحُصِرَتْ في حماية النظام وقتال الكرد في شمال العراق. ولم تكن مساهمتـه في حـرب تشرين تتناسب مع قدرتـه أو عقيدتـه التي يدرسها الضابط في الكلية العسكرية، حيث يدرس المواجهـة مع العدو الصهيوني والجغرافية الواصلة بين فلسطين وبغداد ... الخ. وعندما حصلـت الحـرب في عـام ١٩٧٣، وجد العسكريون العراقيون أنفسهم بلا ناقلات دبابات ولا ايـة وسـائط سـريعة ومتطـورة تمكنـهم من الانتقال لمواجهة عدوان إسرائيل ضد سوريا ومصر أو نصرة شعب فلسـطين، وهـذا مـا حصل في إيلول عام ١٩٧٠، فبمجرد اشتعال المعركة وجد الجيش العراقي نفسه غير قادر علـى تنفيـذ وعده بنصرة الفلسطينيين أو على الأقل حمايتـهم بسبب عدم صدور الأوامر من القيادة السياسية[1] .

---

١ ـــ حسن النقيب مقابلة، كردستان العراق ١٩٨٢ .

مراجع:

[1] خليل إبراهيم حسين- موسوعة ١٤ تموز صفحة ٣٤٢، وصالح حسين الجبوري صفحة ١٧٥. ومقابلة مع عارف عبد الرزاق لندن في ٩٨/٥/١٧ .

[2] د. حسان عاكف حمودي - واقع النظام الملكي وثورة ١٤ تموز - الثقافة الجديدة شباط — العدد ٢٧٤ — ١٩٩٧.

[3] د. سمير الخليل (كنعان مكية) — جمهورية الخوف، دار الزوراء، بيروت، صفحة ٢٤٦

[4] عبد الغني الملاح - تطور الحركة الديمقراطية في العراق صفحة ١٣٤ - وراجع العقيد الركن حامد سالم الزيادي أو أحمد الزيادي) — البناء المعنوي للقوات المسلحة العراقية، دار الروضة، بيروت، ١٩٩٠

[5] صالح حسين الجبوري - ثورة ٨ شباط صفحة ١٤٩ - وراجع خليل إبراهيم حسين - موسوعة ١٤ تموز، السقود. رسالة من ذياب العلكاوي لخليل إبراهيم صفحة ٣٤٤.

[6] رسالة من بهاء الشبيب في ١٠-٤-١٩٩٨.

[7] رسالة من أحمد الحبوبي في ١٩٩٦/٣/٥.

[8] رسالة من بهاء الشبيب في ١٩٩٨/٤/١٠.

[9] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.

[10] يونس الطائي مقابلة ١٩٩٥.

[11] علاء الحيدري من التيار القومي العربي (عضو مكتب سياسي) مقابلة عام ١٩٩٤.

[12] ضابط حر، عضو هيئة محكمة الشعب، رفض توقيع وثيقة إعدام رفعت وناظم و لم تكن كتلته تنتمي لحركة القوميين العرب أو للعربي الاشتراكي لكنها تتفق معهما، وقريبة من قيادة الحركة

[13] مقابلة مي الاوقاتي وجميل منير، فيردن — هولندا، ١٩٩٦.

[14] فتى الاعظمية - دار الطليعة بيروت ١٩٧٩.

15]] عبد الكريم قاسم، موسوعة ١٤ تموز، - السقوط، صفحة ٤٠٢.

[16] مقابلة مع مظفر النواب، برلين، ١٩٩٤.

[17] مقابلة يونس الطائي - دمشق ١٩٩٥.

[18] موقف الشيخ عبد العزيز البدري، والشيخ الزهاوي وتحالفاتهم وتدخلاتهم السياسية ضد السلطة بعد ان اشتهروا بعدم التدخل.

[19] لقاء مع هاشم الياسري، دمشق، تموز ١٩٩٧.

استسلام عبد الكريم قاسم وإعدامه

بدأ التلفون الموجود في غرفة آمر سرية حراسة مرسلات "أبو غريب" يرن بصورة مستمرة مباشرة بعد إذاعة بيان الثورة الأول. وتناوبتُ وحازم جواد على رفع السماعة، وكان المتكلم يصيح بصوت عال: أنا الزعيم عبد الكريم قاسم. من المتكلم؟ فنغلق السماعة دون إجابته. تكررت اتصالاته عده مرات بينما نواصل بث ما بحوزتنا من بيانات وتوجيهات وكنا نخشى أن يرفع السماعة أحد الإداريين أو الفنيين أو الجنود خلال انشغالنا ليفاجأ بصوت عبد الكريم قاسم حيا، وقد أذعنا قبلها بقليل خبر مقتله في وزاره الدفاع على أيدي ضباط مؤيدين للثورة. ولو حصل ذلك فسنواجه مشكلة جديدة، إذ ربما يصدق العاملون هناك بأنه مازال حيا وقادرا، وعلى الجميع طاعته، مما سينفي مصداقية بياناتنا وادعاءاتنا. فلم يكن من بد غير قطع الاتصال نهائيا. فقطعته بنفسي باقتلاع الأسلاك من الجدار مباشرة. وفي واقع الحال لم تكن لدينا نية للاتصال بعبد الكريم قاسم تلفونيا. و لم نكن بحاجة ماسة إلى التلفون كوسيلة للاتصال. وتعمدنا عدم وضع مركز تلفونات بغداد ضمن قائمة الأهداف الأولى التي يجب السيطرة عليها، اقتصادا للجهد والقوة. وهو ما جعل قاسم قادراً على الاتصال برجالنا في أي مكان يشاء، مستخدما التلفونات العامة والسرية، واستمر على ذلك الحال حتى استسلامه.

سبق قاسم دباباتنا في الوصول إلى وزارة الدفاع[1]، بعد أن مر بشوارع بغداد محيياً الجمهور الذي بدا يحتشد هناك. وقد تألف القسم الأكبر من التجمع الشعبي أمام وزارة الدفاع من أعضاء الحزب الشيوعي ومؤيديه الذين تصرفوا مقتنعين بان الحركة ليست سوى تمرد عسكري بسيط على الرغم من مباشرة الطائرات قصف مقر قاسم.

حصل الاتصال الثاني بيننا وبين عبد الكريم قاسم حينما هاتفنا في محطة إذاعة بغداد محاولا التحدث مباشرة إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة، الذي انتقل إلى هناك، وبعد فشله سعى

---

١ ــ خرج قاسم من داره متجها إلى معسكر الرشيد حيث القوة الأرضية الضاربة ولواؤه التاسع عشر وقاعدة الرشيد الجوية ومركز أنصاره ضباطا وجنودا. فاستوقفه العميد طه الشيخ احمد ونصحه بالذهاب إلى وزارة الدفاع لقيادة المعركة من هناك فدخل الاثنان ومعهم رئيس الأركان احمد صالح العبدي والعميد عبد الكريم الجدة والعقيد وصفي طاهر في المصيدة، ثم التحق بهم الزعيم فاضل عباس المهداوي وعدد كبير من الضباط القادة، ليضعوا أنفسهم تحت حصار لا فكاك منه[1].

للاتصال بمعسكر الرشيد الذي سيطر عليه الثوار وعلى قاعدتي بغداد وكركوك الجويتين[1]. فتحدث إلى العقيد الركن طاهر يحيى التكريتي طالبا السماح له بترك بغداد والاتفاق على المكان الذي يرغب أو نرغب أن يسافر إليه مع معاونيه. وكان جواب طاهر يحيى باستمرار هو: إننا غير مستعدين للتفاوض. ويجب عليك أن تستسلم دون قيد أو شرط، وإننا نريد رأسك. وكرر يحيى ذلك على مسامع عبد الكريم قاسم في جميع مكالماته[2].

يونس الطائي وسيطاً

وفي الساعة الثانية ليلاً أرسل عبد الكريم قاسم يونس الطائي للتفاوض. وكان رئيساً لتحرير جريدة الثورة، وصديقاً شخصياً مقرباً منه. فجلبته إحدى المدرعات إلى دار الإذاعة بعد ان أعطيناه الأمان. ومازلت أتذكر يونس الطائي لحظة دخوله علينا بوجهه الشاحب المضطرب غاية الاضطراب وقد غطى شعر رأسه وبدلته تراب ابيض نتيجة لاحتكاكه "ببياض" الجدران، مما يعطي انطباعاً عن حالة عبد الكريم قاسم وجماعته المحاصرين في سرداب الوزارة تحت الرماية والقصف المستمرين. فتساءلت مع نفسي : إذا كانت حالة من قضى في السرداب ساعة واحدة بهذا الشكل، فكيف ستكون حالة الآخرين؟ وأيقنت ان القضية برمتها قد

---

١ ـــ في كركوك قام حردان التكريتي وهو عضو في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري للبعث، باعتقال قائد الفرقة الثانية، ومباغتة الضباط الشيوعيين واعتقالهم، والسيطرة على المواقع المهمة وعلى القاعدة الجوية. ثم ابرق في حدود الساعة الثانية عشرة ظهر ٨ شباط يخبر القيادة بسيطرته على كركوك ويعلن تأييده لها.

٢ ـــ يقول طاهر يحيى : اخبرني يونس الطائي ان عبد الكريم قاسم سيتصل بيّ. وعندما رنّ جرس التلفون قال عبد الكريم قاسم : لا أريد مساعدة من غيرك، أرجو أن تحاول مساعدتي للخروج من العراق مع جماعتي الذين هم معي في وزارة الدفاع. فقلت : وكيف يكون ذلك؟ أجاب : " أن تكلم الجماعة وأنا واثق من انك ستؤثر عليهم وتحصل الموافقة." فقلت له : على ما يظهر انك لا تدري ماذا عملت بتصرفاتك، أنا حاضر لمساعدتك وأنا واثق من ان الجماعة الآخرين سيوافقون على مساعدتك أيضاً، لكن علي شرط ان تجلب معك رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي. فقال : هذا طلب مستحيل فأجبته طلبك مستحيل أيضاً. وهناك محكمة عادلة على ما أظن ستشكل لمحاكمتك. فقال شكراً ومع السلامة وهكذا انتهت المكالمة".

أما يونس الطائي الذي نقله من وزارة الدفاع إلى معسكر الرشيد النقيب الركن احمد الحديثي فيرى ان من المستحيل ان يجرؤ طاهر يحيى التحدث مع قاسم تلفونياً أو مباشرة كما ادعى ذلك أمام شبيب ومجلس الثورة . لأن يحيى قضى درس الكلية العسكرية تحت إمرة قاسم وقضى بقية حياته المهنية كضابط تلميذاً ومريداً له وعضواً في منظمته للضباط الأحرار. ولا يمكن ان يتصرف مثل هذا التصرف خصوصاً وانه يمتلك بعض الأصول والحدود. كما أني قابلته في معسكر الرشيد في نفس اليوم ولم افهم منه ما يؤكد ادعاءه أمام قيادة الثورة، أمام علي وحازم وطالب والبكر وعبد السلام ومحسن وعماش، بل سمح لي ان أعاتب ضباط قاسم المعتقلين عنده، عندما قلت لهم أمامه: خنتم زعيمكم الذي أحببتموه. ولم أتصرف كذلك إلا لمعرفتي بما يكنه طاهر يحيى لعبد الكريم قاسم من احترام. أما ما قاله للمجلس فيأتي في سياق الردح بعد إسدال الستارة وغياب عبد الكريم قاسم نهائياً.

انتـــهت، سواء بقي قاسم على وجه الحياة أم انتحر.

كانت مطالب يونس الطائي هي نفسها مطالب عبد الكريم التي رددها على أسماعنا بواسطة الهاتف. والفارق الوحيد هو محاولة الطائي استدرار عطفنا وبشكل خاص عطف عبد الســـلام عارف حين خاطبـــه قائلاً: ان الرجل انتـــهى وبالإمكان إبداء الرحمة والعطف والسماح لـــه بالخروج بالطريقة التي ترتأونـــها، وإلى المكان الذي تريدون[1]. ولم يكن يونس الطائي يعرف ان قراراً بالتصفية الجسدية قد اتخذ فعلاً. إذ لم يدر بخاطرنا ان ندعه يترك العراق بأي شكل من الأشكال وذلك لأسباب كثيرة منـــها ما هو سياسي وعدلي، ومنـــها ما هو احترازي وأمـــني. لأن خروجه سيثير إذا ما أقام في إحدى الدول الاشتراكية مشاكل نحن في غنى عنـــها.

وفي الحقيقة لم نحسب إننا سنقع في مثل هذا الإشكال أو هـــذه المســـاومة والمفاوضـــات، لاعتقادنا السابق بأن قاسم لن يستسلم، وسيقتل إما بالهجوم أو بالانتحار. خصوصاً وانـــه قاتل حتى آخر لحظة، وقَتَلَ وهو يقاتل من داخل وزارة الدفاع فلابد وانـــه يعـــرف نـــهايتـــه ويقتدي بالتقليد العسكري ويضع حداً لحياتـــه بدلاً من الاستسلام. وكنا نتصور ان الرجـــل لديه من الشجاعة ما يدفعه لذلك. ومن الإدراك بان ما فعله بالعراق وبثورة ١٤ تموز بـــالذات، وإعدامه لرفاقه وزملائه، وما سببـــه من مذابح في الموصل وكركوك لا يمكن ان يســـمح لـــه بالخروج سالماً.

---

١ ـــ يقول يونس الطائي[3]: إن أهم ما كان يشغل بال الزعيم بعد يأسه من النجدة هو مصير مناصريه الذين بقوا معه في وزارة الدفاع، وكان يعتقد إن الانقلابيين يريدونـــه هو دون غيره، وربما سيكون استسلامه فِدْية لهم أو على الأقـــل يضمن فيه عدم قتلهم.
وهناك أكثر من شاهد يؤكد ما ذهب إليه يونس الطائي في إن قاسم أراد حقن الدماء بعد قناعتـــه بنـــهاية سلطتـــه. منـــها انـــه رفض تسليم الجماهير المؤيدة له سلاحا تدافع بـــه عنـــه، خصوصا وإنـــها تمكنت بســـلاحها الخـــاص الخفيف من تدمير دبابات الدفعة الأولى. وكان واضحا إنـــها إذا امتلكت سلاح البازوكا والمضادات الأخرى ستخلق أزمة كبيرة للثوار. ثانيا: طالَبَ في تلفوناتـــه مع الإذاعة ومعسكر الرشيد وعبر يونس الطائي بحماية أصحابـــه وعاتب عبد السلام عارف قبل دقائق من إعدامه على عدم التزامه بوعده بعدم إيذاء جماعتـــه مشيرا إلى المهداوي المدمّى. ثالثا: لم يمنع زملاءه من التسرب هربا واحدا بعد الآخر بل نصح بعضهم باستغلال الظلام وذلك يشمل رئيس الأركان احمـــد صالح العبدي الذي خرج بعد أن نصحه قاسم بذلك، فتسلل عبر نـــهر دجلة إلى جهة الكرخ راغباً في الوصـــول إلى بستانـــه على طريق بعقوبة، وكان العبدي عندما سمع بخبر الحركة قد سارع ملتحقاً بزعيمه في وزارة الدفاع، وكـــان الأفضل لو ذهب قبل التحاقه إلى بغداد الجديدة لاستخدام كتيبتي الدبابات الموجودتين هناك، ولم ينسحب العبدي مـــن وزارة الدفاع بإرادتـــه بل نصحه عبد الكريم قاسم. رابعا: ويمكن أن يكون قاسم قد طمع بمحاكمة علنية يكسبـــها من الثوار خصوصاً بعد ان وعدوه "بمحكمة عادلة ستشكل وتنظر بأمره". تلك مؤشرات تؤكد ان رغبـــة قاســـم في الاستسلام لم تكن ضعفاً صدر عنـــه في اللحظات الأخيرة، بل تؤكد انـــه سعى لإنقاذ جماعتـــه وهو أمـــر اقـــرب لشخصيتـــه التي لم يعرف عنـــها غير الشجاعة والإقدام كما أشارت كل تقارير رؤسائه ونجاحاتـــه الحربية العريضـــة في كل المهمات التي كلف بـــها، فلا يعقل ان حالماً مثله يوافق ان يضرب أمام جنوده أو يبصق على وجهه.

لذلك كله ابلغنا يونس الطائي قرارنا بالرفض، واعدناه إلى وزارة الدفاع حيث عبد الكــريم قاسم وجماعتــه. لكن الطائي عاد إلينا ثانية بعد مقابلتــه لقاسم، ليواصل المفاوضات دون ان يكون لديه شيء جديد. و لم يكن لدينا نحن أيضاً أي شيء نعطيه له. كما لم ننتدب شــخصاً بعينــه لإدارة تلك المفاوضات. بل كان الطائي يأتي ليجلس بيننا وكأنــه أحدنا فنتحدث إليــه بصورة جماعية، و لم نعتبرها مفاوضات. لقد أدرنا الأمور وتعاملنا مع القضايا بصورة جماعيـــة، وحسمنا أموراً كثيرة بصورة مباشرة وفورية ولذلك قلنا للطائي ان مهمتــه انتــهت[1].

---

١ ـــ قال يونس الطائي[4]: " بدأت رحلتي كوسيط بين قاسم ومجلس الثورة عندما تحدثت هاتفياً مع طاهر يحــيى في معسكر الرشيد. وكنت في قاعة الشعب مع الزعيم والعبدي وكنعان حداد. فقال يحيى تعال إلى معسكر الرشيد وأهــلاً وسهلاً، وأرسل سيارة لتأخذني. قابلت يحيى وكان أنور عبد القادر الحديثي يلازمه ولا يتركنا لوحدنا. قــال يحــيى: سأرسلك إلى الإذاعة ولكن قبل ذلك أريدك ان ترى الضباط الذين اعتمد عليهم الزعيم وهم أسرى خائفون. فبصقــت وقلت لهم ألستم عسكراً، فلماذا لم تدافعوا عن زعيمكم؟". وقال وصلت للإذاعة مفاوضاً. وفي مدخلها امسكني عماش قائلاً: حجي الخزينة فارغة ؟ وأعادها ثلاث مرات. . . تأسفت لذلك لأنني شعرت بأن أول عمل قام بــه عماش هــو تفتيش الخزينة والبحث عن المال. استقبلني عبد السلام يحيط بــه حازم جواد وطالب شبيب اللذان منعاني من الانفــراد بعارف وكانت علاقتي بــه طيبة. قلت: ان إيقاف القتال سينقذ خمسمائة شخص على الأقل. رد عارف : يروحــــوا ألف شخص. وأستدرك: ان قاسم سيخرج بعد فترة ومن اجل خاطرك سوف لا نعتدي عليه. قلت لعبــــد الســلام : طلبت مني بعرفات وأنا وعدتك، ان أتوسط بينك وبين قاسم لتصفية القلوب، فرفعت يديك أمام حشد مـــن النــاس كانوا يتفرجون داعياً إلى مساندة الثورة والزعيم. لكني أدركت ان الآخرين لن يمكنونني من الانفراد بعارف بل تأكد لي من تصرفات السعدي وحازم وطالب ان عبد السلام لم يكن مؤثراً. وعند توديعهم لي أمر السعدي بتفتيشي فوجـــدوا مسدسي الذهبي فأخذه مني وأعطاه لعبد السلام. وعند البوابة اتفقنا على الاستسلام لكن السعدي أضاف شــرطاً : ان ينــزع الزعيم نجماتــه وجاكيتتــه ويضعها على متنــه، فاتفقنا. ركبت مع عبد الكريم نصرت إلى الدفاع وكـــانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، على ان يتم الاستسلام في السابعة صباحاً يوم ٩ شباط: اخرج أنا أولاً ماشياً أمام رتل فيه قاسم والآخرون. مقابل ذلك وعدوني بالالتزام بشرط قاسم بعدم قتل أي من رجاله وبالموافقة على تسفير الزعيــم للخارج بعد مرور فترة، أي عندما تــهدأ الأمور. وكنت قد طلبت مغادرتــه فوراً لكن عارف طمأنني. عـــدت إلى الزعيم عبر سياج الوزارة الحديدي راكباً على متن سيارة كنعان حداد وقلت للزعيم بحضور العبدي وآخرين: وافقـــوا على وقف النار والتسليم بشرط نــزع النجمات. فلم يوافق، فرفعت السماعة على عبد السلام، فقال له الزعيم لمـــاذا نــزع النجمات؟ لكن قاسم اقتنع بعد فترة فذهبت قبل السابعة إلى موقع بغداد حيث عبد الكريم فرحان للإشـــراف على التنفيذ وكي ابلغهم بموافقة الزعيم حتى لا ينفذوا تــهديدهم بتدمير بناء محكمة الشعب. ويقول الطائي لم اكــن مترباً عندما وصلت للإذاعة بل كنت بكامل قيافتي. و لم يكن الزعيم في السرداب بل كنا بقاعة محكمة الشعب المفروشة جيداً. و لم ينــزل للسرداب غير مرة واحدة في نــهار ١٩٦٣/٢/٨ لفترة قصيرة حين ألقى آخر خطاب لـــه علـى الموجودين فيه. ويذكر قاسم الجنابي[5] ان قاسم لم يكن في الملجأ وإنما في اللوج بقاعة الشعب ومنــــها استسلم. وحسب الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا وهو شاهد عيان ان قاسم انتقل إلى آمرية الانضباط في مدخل الـــوزارة وبقي هناك حتى استسلامه[6] في حين تركز القصف على المبنى الرئيسي للوزارة. ويقول الطائي: اثر شتم طه الشكرجي لقاسم على الهاتف أمر قاسم بإحضار سيارتــه ركبناها أنا وهو للذهاب لمعسكر الرشيد وفي باب الوزارة ترجـــل ثم دخل غرفة آمر الانضباط ووضع صوبة (مدفأة) علاء الدين أمامه جالساً على كرسيه ومسنداً رأسه، ونام من الســـاعة الواحدة حتى الثانية والنصف بعد الظهر وكأن شيئاً لم يكن ثم عاد إلى قاعة المحكمة.

الخطأ القاتل

انقطعت المفاوضات بالواسطة بيننا، فلجأ قاسم مرة أخرى إلى التلفون وكان يجيبه ضابط أوكلنا إليه الرد على مكالماته، فيقول له : ان الوضع قد تغير وعليه الاستسلام دون قيد أو شرط.

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف تلك الليلة اخذ مني الإعياء مأخذه لأني لم انم خلال ليلتين ويومين سوى ثلاث ساعات. فذهبت إلى غرفة كبيرة، وكانت اكبر غرف الإذاعة وتتوسطها طاولة جلس حولها عدد من الضباط القوميين وغيرهم من ذوي الرتب والنياشين الكبيرة، كل أتى بقيافته كاملة ليحصل على شرف المساهمة ويضمن وظيفة افضل في الحكومة الجديدة القادمة التي ستكون لديها مئات الوظائف الكبيرة الشاغرة بعد تغيير الطاقم القاسمي.

طلبت منهم ترك الطاولة ونمت فوقها حتى الخامسة صباحاً. وحينما استيقظت لم ألحظ ان شيئاً قد حصل غير ورود أنباء عن تعزيز السيطرة على بغداد ومواقعها العسكرية، خصوصاً وان كتائب الدبابات الأربعة الوحيدة الموجودة في بغداد قد أعلن أمرتها لضباط بعثيين موثوق بجرأتهم وإخلاصهم، وكذلك السيطرة على المرافق الحيوية كمحطات توليد الطاقة الكهربائية والاتصالات الهاتفية. وبدأت القيادة تشعر بارتياح اكبر وتهتم ببعض الأمور العامة كالطلب من الخبازين وأصحاب الأفران الالتحاق بمصالحهم والجنود والضباط لثكناتهم واستثناءهم من قرار منع التجول العام، والنظر في الطلبات الواردة للسماح للفنيين والعمال المشرفين على بعض المرافق الحيوية لاستمرار الحياة في مدينة بغداد.

كان إطلاق الرصاص حتى صباح ٩ شباط مستمراً بين القوة الكبيرة التي تحاصر وزارة الدفاع والقبو الذي تحصن فيه عبد الكريم قاسم مع بعض ضباطه. وفي الحادية عشرة من صباح نفس اليوم اتصل قاسم وقال : نريد الاستسلام!! ولم يذكر أي شرط عدا ما اتفقنا عليه ووعدنا به يونس الطائي سابقاً.

سرى في أجواء مجلسنا شعور غريب. وعن نفسي فقد شعرت بمزيج من الغرابة والحيرة. إذ كنت أعرف بالضبط ما ينتظر هذا الرجل إذا ما وافق ان يأتي مستسلماً. ولابد ان يكون قد قرر مصيره النهائي وما قد يتعرض له من إذلال وتعذيب. وفكرت بأني لو كنت بمحله، وقد وضعت نفسي بنفس الموضع عندما ذهبت للاستيلاء على المرسلات فتعاهدت مع حازم جواد بأن لا نستسلم إذا ما تعرضنا لهجوم في أي حال من الأحوال، وسيبقي كل منا رصاصة واحدة في مسدسه ليطلقها على نفسه، وإنْ ضَعُفَ أحد منا عن فعل ذلك يقوم رفيقه بتنفيذ الأمر ليتولى بعدها مصير نفسه.

فعلنا ذلك لأننا نعرف يقيناً ما سنلاقيه في حالة الفشل من إهانات وتعذيب وما سنجبر عليه من اعترافات. وان مصيرنا سيكون الموت في كل الأحوال ودون أدنى شك. و لم استطع ان افهم كيف يسلم الرجل نفسه. فهل هو حب الإنسان للحياة؟ أم أملاً في شفاعة عبد السلام عارف؟ أم توقع نجدةٍ في آخر لحظة تنقذ الموقف؟ و لم تكن الهواجس ان وجدت سوى تعبير عن شدة تمسك الإنسان بالحياة عندما تحين لحظاته الأخيرة.

واستجابةً لطلب الاستسلام أعلنّا تعيين الرائد محمد علوان، الذي كانت هناك نية لتعيينه معاوناً لرئيس الاستخبارات العسكرية، ليذهب ويشرف على عملية الاستسلام. وابلغنا عبد الكريم قاسم تلفونيا بان الضابط المذكور سيتقدم نحوه، غير مسلح ويحمل علما ابيض. وطلبنا منه التهيؤ لاستقباله خلال خمس دقائق . وفعلا دخل الرائد علوان المبنى وتوجه نحو البناء الداخلي وحينما صار على بعد اقل من عشرة أمتار عن المدخل أطلقت عليه عدة رصاصات من أحد الموجودين في الداخل فسقط قتيلا .

أثرت تلك الحادثة على نفوسنا، فأصدرنا أمراً فورياً إلى القوات وهي كثيرة لتقتحم المكان ، وتجلب قاسم بالقوة لأنه خان العهد الذي قطعه بالاستسلام دون مقاومة ، وقتل ضابطاً غير مسلح . وعلمنا بان أحواء الضباط المحيطين بالدفاع أصبحت مشحونة واستيقظت فيهم الأحقاد والحميات ، والكل يرغب في الانتقام من تلك المجموعة التي لم نستطع حتى بعد استسلامها ان نعرف منها هل كان قاتل الضابط المغدور هو عبد الكريم قاسم أم المهداوي أم طه الشيخ احمد . واغلب الظن انه كنعان خليل حداد لأنه يعرف ان مصيره الموت حتما ، بسبب تورطه بقتل ثمانية جنود وضابط هو الرائد إبراهيم التكريتي وهو في طريقه للالتحاق بوزارة الدفاع. كما اعتقد ان كنعان كان ارعن.

ومن ناحيتنا فلم تلعب الأسباب الشخصية للثأر دوراً في تقرير مصير قاسم وجماعته ولا عند عبد السلام عارف أو البكر . ولكن حادث الضابط المغدور حسم الأمر ورجح قرار التصفية . وكان ذلك الضابط مؤتمناً وساهم في الثورة منذ بدايتها ، ونفذ جميع المهمات التي كلف بها ، ووافق على المغامرة والذهاب إلى حيث يتحصن المحاصرون . فكان شجاعاً ومضحياً وأخاً لزملائه الضباط . وفي الواقع ان كل واحد منا اعتبر في تلك اللحظة نفسه أخاً للآخر. وتلك الرابطة تعززت أكثر برابطة الكفاح والقتال المشترك التي تنغرس عادة عند رفاق الثورات والحروب[1].

---

١ ــ أفادت الرسائل والملاحظات الكثيرة التي تركها أو كتبها الضباط الذين ظلوا حتى آخر لحظة في وزارة الدفاع ان حرس وزارة الدفاع هم الذين أطلقوا النار على الرائد محمد علوان وأردوه قتيلا. وكان السبب هو عدم إبلاغهم بصيغة الاتفاق، و لم يصدر لهم أي أمر بالرمي.

ويقول يونس الطائي: بعد الاتفاق على التسليم جاء فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد، فاخبرهم الزعيم عبد ←

الهجوم الأخير: الاستسلام

هاجمت القوات الكبيرة قبو وزارة الدفاع بنار كثيفة من الرشاشات، وبعد فـــترة قصـــيرة ظهرت يد تلوح بمنديل ابيض. فتقدمت نحوها قوة قادرة على ابادة أي شيء يتحرك، في حالـــة انطلاق اية إشارة بعدم الالتزام[1]. و لم يحصل شيء من ذلك، وتمت عملية الاستسلام وأخبرتنا القوة المهاجمة بأن عبد الكريم قاسم وطه الشيخ احمد والمهداوي وغيرهم أصبحوا بين يديـــها. فطلبنا تأمين سلامتـــهم وجلبـــهم إلى الإذاعة دون تعريضهم لأية إهانات أو إصابات مـــن أي كان. وتم نقلهم بسيارات مدرعة إلى الصالحية حيث مقر القيادة المؤقت الذي كـــان يغـــص بالرجال العاملين وبحشد من الضباط القوميين وبعض البعثيين واغلبـــهم كانوا ما يزالـــون دون تكليف عسكري، فسعى أكثرهم من اجل الحصول على منصب مناسب إلى المبالغـــة بـــالتودد وإلفات النظر. ورغم التصرفات المتملقة الممجوجة، لم نجد المبرر المقبول والمعقول لخذلان هؤلاء الضباط بصرفهم إلى بيوتـــهم، كما لم تكن لدينا مهمات محددة لتكليفهم بـــها، لانشـــغالنا بأمور أهم وأدق.

مرت لحظة ترقب غريبة ومشحونة بانتظار وصول الأسرى. وقد ضاعف مقتل الضابط محمـــد علوان غدراً من مشاعر الانتقام وألهَبَ الأجواء بنيران من الحقد والكراهية، واخرج روح الرعـــاع عند بعضهم من مكمنـــها. وكنت اقف في مدخل الإذاعة ومعي عدد من الأشخاص بينـــــهم صبحي عبد الحميد (أصبح وزيراً للخارجية)، عندما وقفت المدرعة الأولى أمام الباب الخـــارجي فترجل منـــها راكبوها. وكان أول من تبرع بالضرب والشتم على عبد الكريم قاسم ومن معـــه هم الجنود وضباط الصف وبعض الضباط، فتدخلنا لحمايتـــهم، وتحملنا أنا وصبحـــي ضربـــات كثيرة وبصاق من أشخاص عديدين. وتمادى بعضهم محاولاً إلحاق الأذى الشديد بـــهم[2].

خاطبتـــهم بصوت عال قائلاً: أيها الجبناء، قبل يوم واحد كان سيدكم، تبوســـون يديـــه

الكريم بأنـــه أرسلني لوضع ترتيبات التسليم، فعارضا ذلك قائلين: كيف ذلك، انـــهم سيعدموننا في كل الأحوال؟ قال قاسم: إذا كانوا سيعدموننا لا نستسلم. واستمر الجدل بينـــهم حتى آخر لحظة حول التسليم أو عدمه. وبسبب عـــدم قناعة ضباط الحرس بفكرة التسليم أهملوا، وربما دون قصد القتل، إبلاغ الجنود عن حضور ضابط للإشراف على عملية التسليم، وليس هناك من مبرر لدى قاسم أو المهداوي والشيخ احمد لقتل الرائد علوان.

١ ـــ بدأت عملية تطهير وزارة الدفاع بتحاشي الهجوم من الباب الرئيسي لتفادي الخسائر. وتسللت القوات من الباب الجنوبي أي من بناية الحسابات العسكرية. وكانت القوات قد هاجمت هذا المدخل في الليل الماضي، فتقـــابل الجنـــود وتقاتلوا تحت ظلام دامس، رافقتـــه نداءات تحرض حنود الحرس على التسليم ووعدهم بحفظ حياتـــهم. وكانت تخرج بين حين وآخر من نفس الباب مجموعات من الجنود تحمل (شراشف) بيضاء علامة على الاستسلام، لكن القتال الشديد استمر طوال الليل من غرفة لأخرى.

٢ ـــ قال المقدم عبد المنعم حميد وهو شاهد عيان ان الضابط عزيز شهاب لطم عبد الكريم قاســـم في بـــاب الإذاعـــة فوقعت سدارتـــه، مما حدا بالرائد صبحي عبد الحميد منعه من الاستمرار بعمله وناول قاسم سدارتـــه[8].

وأرجله والآن تريدون إهانتـه بعد ان انـهزم في معركة لم يكن فيها متخاذلاً، عيب عليكـم!! ووضعنا أنا وصبحي عبد الحميد أيدينا وأجسادنا لتغطية مرورهم ودخولهم إلى المبنى، وسـاعدنا في ذلك آخرون.

اقتيد عبد الكريم ورفاقه إلى إحدى غرف الإذاعة، وأظنـها غرفة الموسيقى الشرقية حيـث وقف قاسم وإلى جانبـه كنعان وطه ثم المهداوي. كانوا أربعة. ووقفنا نحن بمواجهتـهم علـي السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر وعبـد السلام عارف وعبد الستار الدوري وصالح مهدي عماش، ولا أتذكر وجود محسـن وهـاني وشنتاف.

دار بيننا حديث غير منظم، سادتـه حالة من التوتر. ولم يكن هنـاك أي شـيء يمكـن تسميتـه بمحاكمة. وكل كلام قيل أو يقال عن إنشاء هيئة حاكمتـهم إنما هو نـوع مـن "التسفيط" والتخيل (الخيال) !! ومن الممكن ان يكون قد تدخل علينا رجال يحثون على موقف معين مثل خالد مكي الهاشمي، وكلهم يحثون على الإعدام أو الإسراع بـه. لكننا لم نستمع إلى أي من هؤلاء، ولم يكن لديهم علينا حق التقرير أو الاقتراح، بل الطاعة والتنفيذ، إذا لم تنسجم توتراتـهم ومطالباتـهم مع ما كنا قد قررناه أصلاً، أو مع ما سنقرره.

تصرف علي صالح السعدي مع عبد الكريم قاسم والآخرين بحدة، وساق له الإهانات وشتمه وسأله عن اسم الشخص الذي ابلغه بسر ثورة رمضان. فرفض قاسم الإجابة، فكرر السـعدي متسائلاً: فيما إذا كان الواشي موجوداً الآن بيننا في هذه القاعة؟ فرد قاسم بالنفي.

وفي تلك المواجهة الخطيرة كان كل ما يهم عبد السلام عارف هو استغلال ظرف قاسـم للحصول منـه على اعتراف بدوره في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . إذ أخرج مصحفا صغيرا مـن جيبـه وظل يلح طوال الوقت القصير محلفا قاسم ليعترف بان عارف وليس قاسم هو كـاتب البيان الأول لثورة ١٤ تموز وهو واضع خطة الثورة ومنفذها.

كان عارف يتوقع ان يفوز باعتراف مناسب يصدر عن عبد الكريم قاسم في لحظة ضعـف أخيرة ، ليوظفه فيما بعد تاريخيا . ولكنـه لم يحصل على شيء وظل قاسم صامتا أو يطـالب بمحاكمة كالتي أجراها لعارف وغيره . وفي النـهاية تدخلت جزعاً وقلت لعبد السلام : لقـد كان بيان ١٤ تموز رقم واحد بسيطا، ويستطيع أي شخص ان يكتب مثله، فلماذا أنت مشغول بالأمر وما هي قيمة وعبقرية ذلك البيان؟ دعنا من هذا كله!.

وما ان اضطر عبد السلام للسكوت حتى انـهالت على قاسم أسئلة كثيرة مثل: لماذا أعلنت ضم الكويت دون تنفيذ الأمر أو الاستعداد العملي له؟ ولماذا لم تستعد القوات وتتحرك فعليـاً لاحتلالها واكتفيت فقط بالإنذار، في حين أمرت القوات ان تأخذ مواقع دفاعية؟ ولماذا لم يطلع

وزير خارجيتك (هاشم جواد) على الأمر، وتركتــه يفاجأ بسماع الخبر من الإذاعة؟ بــل ان الحاضرين حاسبوا قاسم عن تفاصيل شخصية غير هامة وعيَّرَه عبــد الســتار عبــد اللطيــف بــهزيمتــه أمام الدبابات رغم شعبيتــه(١).

كنا نتكلم جميعاً في آن واحد وبصورة متوترة. وتختلط الأسئلة مع بعضها ومــع همــهمات وإجابات أسرانا. و لم يرد قاسم إلا بأنني أريد محاكمة.

---

١ ـــ وفيما يتعلق بالسخرية من شعبية قاسم، يقول المقدم قاسم الجنابي (المرافق الأقدم لعبد الكريم) وهو شاهد عيــان داخل الدفاع وخلال حوار الإذاعة الذي وجه فيه عبد الستار عبد اللطيف كلامه إلى عبد الكريم قاسم قائلاً: "إنــك مسيطر والشعب معك، دبابة واحدة أسقطتك"[9]. (راجع في نــهاية الفصل الملحق رقم واحد تحت عنــوان قاســم الجنابي يتكلم.

ان السخرية من قاسم بسبب شعبيتــه يجدها البعض نقطة لمصلحة قاسم. ويراها آخرون دليلاً على مسايرتــه للفئــات البسيطة الجاهلة أو غير المتعلمة التي تتأثر بالمظاهر، وتشكل نسبة عالية منــها رعاع تصفق وتتراكص دون تَفَكُــر أو تَعَقُل. ورغم ذلك لابد ان نشير إلى ظاهرة تستحق النظر وهي ان الجمهور العراقي العريض ظل منذ رحيل قاسم ولحــد اللحظة الراهنة حذر من تأييد كل الحكومات التالية. وظلت ذاكرة عهد عبد الكريم قاسم مثيرة للاهتمام أكــثر مــن غيرها، وطيبة في أذهان كثيرين. بل ان قاسم ظل يضيق على كل الحكام اللاحقين بســبب إدمــان الشــعب علــى مقارنتــهم بــه.

وبعد قاسم لم تأت سلطة تمتلك نفس الشعبية والبساطة، بل عاشت السلطات اللاحقة عزلة حقيقية خصوصاً بين أبنــاء الأحياء الفقيرة وفي أوساط الفئة المثقفة والمدنية من بغداد وحواضر وأرياف العراق الأخرى. وان العدل يفرض ملاحظة اضطرار الحكومات المتعاقبة وأبرزها الحالية، إلى اللجوء لوسائل قهرية قاسية لتنظيم الشباب والناس في مؤسساتــــها، والاختفاء وراء شعاري الوحدة العربية والقضية الفلسطينية، وكأنــها تسعى لبث الحذر من هذين الشعارين بين أوساط الفئات الاجتماعية المتضررة من الممارسات الحكومية القاسية.

وبسبب شعبيتــه حرصت القيادة الجديدة، بعد مقتله وجماعتــه، على عرض جثه على شاشة تلفزيون بغداد كي تتيــح لكل مواطن ان يتحقق من وفاتــه. لعل ذلك يساهم في ان يفقد مؤيديه بعض وساوسهم وآمالهم، ويتوقفــون عــن مقاومة لا طائل منــها. لكن ما رافق العرض التلفزيوني كان أمراً مؤسفاً، المحفر في ذاكرة الغالبية الساحقة من العراقيين عندما نفذ أحد الجنود أوامر صدرت إليه من القيادة بشد شعر الزعيم عبد الكريم قاسم "الميت!" ورفعه ثم البصق بفــم ممتلئ في وسط وجهه أمام شعب جلس كله متسمراً يشاهد تلك الشاشة البائسة. و لم يعرف القادة الجدد انــهم بمــا فعله الجندي، قد ظهروا وكأنــهم يرسلون رسالة رعب لشعب ادعوا أنــهم ثاروا من احله. فجاءت تلــك، رســالة استفزاز همجية لا تنتمي إلى حضارة إنسانية عمرها سبعة آلاف عام. وكأنــها رسالة تقول: ان الحكومــة الجديــدة قاسية. كما إنها تعني بأن الثوار أذعنوا لفكرة: ان لهم الدبابة ولخصومهم التعاطف الشعبي.
كان ذلك المشهد التلفزيوني أسوأ اللقطات المسجلة في تاريخ العراق المعاصر، فلم يكن قاسم أسوأ العراقيين حتى يُمــيَّز بــهذه المعاملة عن غيره؟ بل ربما كان صراعاً لعب فيه قاسم دور أكثر المتصارعين وداعة وتسامحاً واقلــهم همجيــة، واقلهم أدلجة وتشريعاً للقتل، فقد سن عملياً قاعدة "عفا الله عما سلف" وكان فيها اقرب إلى عقلية العراقيين البســطاء قبل عصبية الأيديولوجيا الواردة. وقال عنــه محمد حديد انــه كان اقرب أقرانــه العســكريين إلى روح التســامح وفكرة الديمقراطية، فقد ظلت مناصب الدولة في عهده موزعة على الجميع وليس على تيار سياسي واحد[10].

سألناه لماذا قتلت زملاءك في الثورة مثل رفعت الحاج سري وناظم الطبقجلي وآخرين، وقد ساهموا معك في التنظيم والثورة؟ رد : أنا حاكمتـــهم علناً واطلب لنفسي محاكمة.

وعندما استمعت إلى الندوة التي نظمها وأذاعها د. نجم عبد الكـــريم، لم اسـتطع سـوى تشخيص صوتي في حالات نادرة. و لم يكن هناك شيء مفهوم، ولا أريد ان أؤكد أو انفي أيـاً من الأشياء التي لم اعد أتذكرها، أما ما سجلتـه هنا فمازلت أتذكره شاخصاً أمامي.

شهادة مختلفة ومهداوي آخر

كان قاسم مصفراً ومشدوهاً، عيونـه زائغة ورأسه وبدلتـه مكسوة بالغبار. واعتقـد ان صورتـه تلك كانت طبيعية لأي شخص يوضع في مكانـه. فقد انقلب المشهد في كل شيء، الوجوه والأحداث. لكني لم الحظ اية حركة أو بادرة قد صدرت عنـه تؤكد على تصـرف متخاذل أو مهين رغم ان أكثر كلامنا وأنظارنا كانت مركزة وموجهه إليه، ورغم انـه أحس بنيتنا على قتله فوراً.

أما طه الشيخ احمد فتصرف هو الآخر بذهول واندهاش. وعندما سألناه عن دوره كان يرد: أنا ضابط وعبد الكريم قاسم هو قائدي المباشر، وامرني أن أبقى معه في وزارة الدفاع، فبقيـت معه ونفذت أوامره بحكم كونـه القائد. وربما كان طه الشيخ احمد احسن الأربعة حالاً.

وكان فاضل عباس المهداوي رابط الجأش رغم الاعتداء عليه ونـزيفه الغزير، ورغم محاولة عبد الستار الدوري وهو أحد القادة الكبار التحرش بـه وتذكيره بمحكمة الشعب ممرراً نطاقاً عسكرياً على وجهه (خده)، لكن المهداوي لم يتحرك و لم يقل شيئاً. فسحبتُ الدوري وقلـت له: عيب، إذا كانوا قد مارسوا التعذيب فلا يجب أن نفعل مثلهم[1].

رفض الرجال الأربعة أن تعصب أعينـهم عندما أعلمناهم بقرار الإعدام. وخرجنا جميعاً من القاعة وبقي الرماة، وتم الرمي وحينـها علمت من الرماة فور خروجهم، إن قاسم هتف بشيء لم يميزوه لكن الوحيد الذي ميزوا ما قاله هو المهداوي الذي هتف بصـوت عـال : "عـاش

---

١ ـــ سألت الأستاذ عبد الستار الدوري، فتردد، ثم كتب لي رسالة فيها جملة واحدة بخط يده قال فيها : "أنا شاهد ما شافش حاجة!!".

لكن الدوري عاد في لقاء شخصي بلندن عام ١٩٩٨ فأكد لِّي على صحة ما قاله طالب شبيب حول موقف المـهداوي المتماسك في الإذاعة كما أكد حصول سوء فهم والتباس بينـه وبين شبيب ففي حين اعتقد شبيب ان الدوري أساء إلى المهداوي، يقول الدوري انـه كان يمسح الدم عن وجه المهداوي مستخدماً سدارتـه وليس نطاقه"، و لم يحصل شـيء غير هذا[11].

الشعْب. . .؟" ولم يكملها[1]. (حول المهداوي يمكن مراجعة الملحق رقم اثنين في نهاية هذا الفصل).

لقد تحدث كثيرون حول مشهد محاكمة ومقتل قاسم. والحقيقة فان أياً من القادة السياسيين والعسكريين (عدا الرماة) لم يكن موجوداً داخل القاعة عند تنفيذ القرار. ولم يكن معنا خلال الحوار الذي أسميناه (محاكمة) غير الرماة. وكانت الغرفة صغيرة جداً والبقاء فيها أثناء التنفيذ ضرب من الجنون، ويشكل خطورة كبيرة بسبب احتمال ارتداد الرصاص. غير ان حازم جواد احتفظ بالشريط الذي سجل الحدث بكامله، فاستمعت إليه واستنسخته، وهو يختلف تماماً عن الكاسيت الذي تمتلكه السيدة التي أهدته لإذاعة نجم عبد الكريم.

وان كل من يدعي غير ما قلت إنما يبالغ أو يروي ما سمع به من آخرين، علماً إنه لم تكن هناك اية فرصة للتفرج على ما جرى في تلك الغرفة من "محاكمة" وتنفيذ، لعدم وجود شبابيك زجاجية تطل على ما بداخلها.

أما التركيز على عبد الغني الراوي باعتباره رئيساً للمحكمة واتهامه أو تسجيل ملاحظات عليه، فهو أمر ليس بدقيق. لأن المحكمة التي رئيسها الراوي لم تكن موجودة عندما اعدم قاسم، بل تشكلت على الورق لإخراج أمر إعدامهم قانونياً[2]. ولم تكن المحاكمة غير الحوار الذي

---

١ ـــ أشرف على تنفيذ الإعدام بقاسم ورفاقه النقيب المظلي منعم حميد والملازم نعمة فارس المحياوي، وعرضت الجثث بالتلفزيون بهدف تدمير معنويات المقاومة التي كانت مازالت بعض فلولها مستمرة ببعض أحياء بغداد والكاظمية.
وعندما كان طالب شبيب يحدثني في هذا الأمر تدخل حسن الحاج وداي العطية (وكان جالساً وهو من الجيل الأول للبعثيين العراقيين) قائلاً: "مساء نفس يوم إعدام عبد الكريم قاسم دهبت للإذاعة فوجدت احمد حسن البكر ومعه عبد الستار عبد اللطيف. فوجدته مهموماً، ولا يتوقف عن لف السجائر وتدخينها. قال لي عبد الستار عبد اللطيف: تعال أريك أين قتلنا عبد الكريم قاسم. فصاح به البكر: ألا تتحمل؟ فرد لطيف: لا، لا أتحمل. فدخلنا إلى غرفة تقع مباشرة بعد مدخل مبنى الإذاعة على اليسار وكانت صغيرة وفيها طاولة صغيرة عليها بعض "السفرطاسات". فرأينا آثار دماء في الزاوية وعلى الحائط. قال: لطيف هنا قتلنا قاسم وكنا نريد محاكمته، ونأخذ منه اعترافاً بأنه لم يكن المُخَطِط الوحيد لثورة ١٤ تموز، ولم يكن كل شيء فيها، ونأخذ منه اعترافاً بدور وحقوق الآخرين، كي نذيعه على الملأ. لكن علي السعدي جاء وقطع علينا رغبتنا، وقال لعبد الكريم قاسم : "أنا كنت اعمل تحت السرداب (تنظيم سري)، ولكني الآن نصف الدولة" .. وتابع عبد الستار عبد اللطيف معلقاً على كلام السعدي بانفعال وكأنه يؤسس للخلاف الذي عصف بحكومة حزب البعث بسرعة فيما بعد، قال بانفعال: لعد إحنا اللي طلعناهم من السجن وسويناهم نص دولة، إحنا شنو كرخنجية؟ "

ويقول وداي العطية: كان عبد اللطيف منفعلاً ولم ينم منذ ثلاثة أيام.

٢ ـــ نص البيان الذي أذاعته إذاعة بغداد يوم ٩ شباط ١٩٦٣ : " لقد تم الفاء القبض على عدو الشعب عبد الكريم قاسم، ومعه فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد من قبل القوات المسلحة وقد تشكل مجلس عرفي عسكري لمحاكمتهم، وقد اصدر المجلس العرفي العسكري الحكم عليهم بالإعدام رمياً بالرصاص، ونفذ فيهم
←

أجرته قيادة الثورة لبضع دقائق معهم. فضلاً عن إن العقيد عبد الغني الراوي لم يكن شخصاً هاماً ولا عضواً في مجلس قيادة الثورة حتى تلك اللحظة ليجري تحميله تلك المسؤولية. بل كان ضابطاً ينفذ ما ترتأيه القيادة القطرية. وكلّف برئاسة محكمة لم تنعقد و لم تحاكم الرجال الذين تشكلت من أجلهم، و لم يحضر أي من زملائه أعضاء الهيئة أي اجتماع. و لم يشمل ذلك الراوي فقط، بل لم يستطع أي من المساهمين معنا أن يتدخل في القرارات التي كانت تتخذها جهة واحدة فقط هي القيادة القطرية التي كانت تجتمع في الأيام الثلاثة الأولى اجتماعات "طيارة" داخل مبنى الإذاعة في وسط الاكتظاظ، فيتفق أعضاؤها بسرعة ويعلن علي السعدي، رأي القيادة فينفذه الجميع إلى درجة صار معها مفهوماً بالنسبة للآخرين بأن أي رأي يقوله علي السعدي أو حازم جواد إنما يمثل رأي قيادة الحزب، وكان المتواجدين من القيادة حينذاك علي السعدي وحازم جواد وطالب شبيب ومحسن الشيخ راضي وكريم شنتاف وحمدي عبد المجيد وينسقون مع احمد حسن البكر الذي يحضر معهم أحياناً ليس كعضو في القطرية وإنما كضابط بعثي معتمد ممثل للمكتب العسكري.

القيادة القطرية فقط كانت تمسك بيدها كل الخيوط، خصوصا بعد تعيين ضباط بعثيين على رأس الوحدات الفعالة في بغداد ومحيطها، وهؤلاء لا يمتثلون إلا بتعليماتهم المباشرة أو بواسطة احمد حسن البكر وهو أمر قررناه قبل الثورة.

و لم نكن حتى ذلك الوقت قد شكلنا قيادة عسكرية، وشارك العسكريون في الحدث السياسي من خلال وجود البكر وعماش وعبد الستار عبد اللطيف وحردان التكريتي ومنذر الونداوي في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري.

ولابد من الإشارة إلى أن سيارة أخرى جاءت مع المدرعتين وضمت اثنين من معاوني عبد الكريم قاسم العسكريين وقد حوصرا في مكان آخر من وزارة الدفاع. وهذان بالإضافة إلى قاسم الجنابي جيء بهم مع عبد الكريم قاسم إلى نفس الغرفة وكانوا متربين مغبرين، يرتعدون من الخوف، وسرعان ما تم نقلهم إلى غرفة مقابلة في حركة اعتبرت إنقاذا لهم من الإعدام وفعلا تم فيما بعد صرفهم إلى بيوتهم[1]. و لم يكونوا ليصدقوا ذلك خصوصا بعد سماعهم بنبأ إعدام

الحكم رمياً بالرصاص في الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم. " .

التوقيع :
رشيد مصلح التكريتي
الحاكم العسكري العام

ويذكر ان رشيد مصلح نفذ به حكم الإعدام بعد اقل من عشرين عاماً من قبل حكومة البكر- صدام باعتباره جاسوساً أمريكياً.

١ ـــ يقول يونس الطائي: إن قاسم الجنابي اخبره بعد انصرام فترة قصيرة عن ٨ شباط بأن الذي أنقذه من الإعدام ونقله من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وجدي (ضابط ناصري يعيش الآن لاجئا ←

عبد الكريم ورفاقه[١]. فضلا عن عرض تلفزيون بغداد لجثثهم.

في تلك الفترة كانت تجري في بغداد تحركات عسكرية مكثفة، بينما استمر إطلاق النار على القطعات المتحركة، والتظاهرات المعادية كما في الكاظمية والشيخ عمر والكريمات والشواكة وأحياء أخرى. مما اضطرنا إلى إصدار البيان الشهير والحازم الذي اخذ اسم (رقم ١٣)، وسمى الشيوعيين لأول مرة بالمقاومين للثورة والمدافعين عن الفردية والديكتاتورية العسكرية، وتوعد مَنْ سيتعرض إلى أفراد القوات المسلحة بأشد العقوبات، وتنفيذها فوراً ودون رحمة.

و لم يصدر البيان المذكور، ولا صدر لغرض إباحة الدماء وسفكها، وإنما سعياً لإيقاف الاقتتال وحقن دماء أفراد لا ضرورة لهدرها، سواء من الشيوعيين أو من القوات المسلحة. فقد كانت مقاومتهم انطلاقاً من بنايات مدنية وحارات شعبية ضيقة في الجمهورية والكفاح والكاظمية، غير مجدية، وكان بإمكاننا إصدار أوامر فورية للمدرعات بتدمير المقاومة وإسكات نيرانها. لكن ذلك كان سيتسبب بكارثة لسكان تلك المناطق. خصوصاً وان المشاة يصعب عليهم دون المدرعات احتلالها. وكان الرمي يأتي من الأسطح والنوافذ العلوية الصغيرة، وسيؤدي استخدام القوة والسلاح الثقيل إلى هدم البيوت على ساكنيها وموت العشرات. وهذا ما كنا في غنى عنه. فكل شيء انتهى والمقاومة الباقية لا تستحق أي بطش[٢].

من الغرفة التي كان فيها عبد الكريم قاسم هو المقدم عرفان عبد القادر وجدي (ضابط ناصري يعيش الآن لاجئا سياسيا في القاهرة)، وغير معروف بدقة مع مَنْ مِنْ أعضاء مجلس الثورة تحدث لكنه ساعدني وانتشلني مما كان فيه عبد الكريم قاسم وأصحابه.

١ ــ سأل الأستاذ عبد المنعم الخطيب وهو دبلوماسي عراقي يقيم حاليا في لندن الرئيس العراقي الأسبق عبد السلام محمد عارف في الطائرة التي نقلتهما معا إلى نيودلهي لمقابلة جواهر لال نهرو. وكان الخطيب مترجما لعبد السلام، سأله: "هل كان ضرورياً عرض جثة الزعيم عبد الكريم قاسم على شاشة التلفزيون العراقي. وأي مكسب حققته الثورة من ذلك سوى استياء الناس واشمئزازهم؟ " . . .

أجاب عبد السلام عارف: " لو لم نعرض الجثة هذه في التلفزيون لما صَدَّقَنا الشعب بأننا انتصرنا، وان قاسم لم يعد حياً."[12].

٢ ــ كان الشيوعيون نصف مستعدين لاستقبال ٨ شباط، لكنهم فوجئوا بدقته، وتراءى لهم ان حجمه اكبر من حقيقته بكثير. ولأنهم كانوا يتوقعون انقلاباً عسكرياً، حذر مكتبهم السياسي في أواخر عام ١٩٦٢ فرع حزبهم بكردستان وطلب منه تنظيم فرق مسلحة في الريف والمدن وقيادتها بالتعاون مع المكتب العسكري الذي يقوده تللو ويشرف عليه سلام عادل، استعداداً لمقاومة اية محاولة انقلابية. وسعى بمختلف الطرق إلى تحذير قاسم من البعثيين.

وعندما اقتنع قاسم بوجهة نظرهم لم يسمح بضربة شاملة لتنظيم البعث، بل بادر بضربات استكشافية كاعتقال عماش وجابر حسن حداد ومداهمة بيت طالب شبيب واعتقال السعدي وبعض الضباط، بهدف معرفة حقيقة ما كان يجري، لتوجيه ضربة رئيسية واعتقال المدبرين. وكان ما يجري سباقاً مع الزمن، الشيوعيون وقاسم يرغبون معرفة أين يضربون؟ والبعثيون يستعجلون استعداداتهم ليضربوا قبل فوات الأوان. واستجابة لتحذير الشيوعيين استدعى عبد الكريم، خالد مكي الهاشمي آمر كتيبة الدبابات الرابعة وصارحه بالأمر، فأنهار الأخير وقرر تسليم السلاح الخفيف ←

ذلك دون غيره كان السبب وراء إصدار بيان رقم (١٣) الذي آثرنا إذاعتـــــه في ســـاعة متأخرة من الليل، بعد الإعلان عن تشكيل الحكومة ووصول اعترافات الدول بــــها، وبشــــكل خاص برقية الرئيس جمال عبد الناصر القوية والمشجعة والمباركة.

ورغم ان ما ذكرتـــه يمثل حقيقة وسبب صدور بيان رقم ١٣ إلا ان الشيوعيين اعتبروه بياناً مشئوماً أباح سفك الدماء. وأستطيع التأكيد ان أحداً من الجنود المنتشرين في بغداد لم يقتل بعد إذاعة هذا البيان الرادع، وسكت الرصاص الذي كان يطلق عشوائياً على الجنود بعد اقل مـــن ساعة من إذاعتـــه.

ومن ناحية أخرى فإن قيادة الثورة لم تكن هي المبادرة في إصدار بيان رقم ١٣، بل جـــاء

وتفريغ مياه الدبابات حتى لا يمكن استخدامها. ولأن الشيوعيين نصف مستعدين فقد جاءت مقاومتـــهم غير منظمـــة وعلى شكل محاولات جزئية لا صلة أو ترابط بينـــها، فقد احتلوا مدينة الكاظمية و لم يفعلوا بعد احتلالها شـــيئاً، و لم يقدموا أي جهد للمحاصَرين في الدفاع والمناطق الأخرى. كما تظاهر مئات منـــهم أمام وزارة الدفاع وفي الرشـــيد وساحة التحرير بلا خطة أو نظام، ورغم تمكنـــهم من تدمير دبابتين من الدبابات الأربعة التي شكلت الصدمـــة الأولى كما سيطروا على الشواكة وبعض المناطق والطرق، لكنـــهم لم يُحضِروا لذلك و لم يتفقوا مع قاسم لتزويدهم بالسلاح، فكانوا عندما يريدون مطالبتـــه بشيء، يعبرون عنـــه بالمظاهرات ويضعونـــه على شكل شعارات جماهيرية فوضويـــة تتحدى الدولة التي يدافعون عنـــها. ولذلك ما ان حضر ذياب العلكاوي ولطيف الحديثي إلى الصالحيـــة حـــتى أمـــرا جنودهما بالرمي للأعلى، وضرب الملازم حميد التكريتي إطلاقة من دبابتـــه فتفرق الجمع أو لجأ إلى حارات الشـــواكة الضيقة، وذلك لم يزعج مؤقتاً قيادة الحركة و لم يعقها عن تنفيذ خطتـــها. وقاموا بمظاهرات كبيرة في مدينة الثورة الـــتي بناها قاسم وسكنـــها قادمون من جنوب البلاد باحثين عن عمل في العاصمة. لكنـــها كانت تظاهرات فقط وليســـت فعلاً منظماً ضد حركة قائمة وتتقدم بتنفيذ خطتـــها. واستمرت المظاهرات انتظاراً للسلطة الجديدة كي تردعها كمـــا هي العادة، وفعلاً ذهب الرائد سعدون غيدان (أصبح نائب رئيس وزراء ووزير داخلية) انطلاقاً من معسكر الرشيد على رأس مجموعة من الدبابات لتفريقهم وقد نجح.

وعلى مستوى المعسكرات قام الشيوعيون بمحاولات فردية، رغم كثرة عددهم، و لم ينجحوا في إثارة مقاومـــة جـــادة تستطيع ان تصمد زمناً كافياً لتصل إلى قادة الوحدات الأخرى لعلها تمنعهم من التسليم بالوضع الجديد.

فتحرك بمعسكر الوشاش بعض الضباط والجنود وقامت مجموعة منـــهم بمهاجمة مقر كتيبة الدبابات الرابعة التي انطلقـــت منـــها دبابات الحركة الأولى، وكانوا يتصورون ان قيادة الحركة ومركز اتصالاتـــها كان ما يزال موجـــوداً في تلـــك الكتيبة. وثاروا في مناطق كثيرة، لكن جميع محاولاتـــهم ظلت غير مترابطة ببعضها، وعندما تفشل تنتـــهي وتســـحق، وعندما تنجح فنجاحها يبقى محليا ومقطوعا ولا يعني شيئا مهما. (حول المقاومة في بغداد وبعض المعســـكرات يمكـــن مراجعة ملحق رقم ثلاثة في نـــهاية هذا الفصل).

أما البيان رقم ١٣ فكان نصه هو: "نظرا لقيام الشيوعيين العملاء شركاء عبد الكريم قاسم في جرائمه بمحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع إلى الأوامر والتعليمات الرسمية، فعليه يخـــول آمـــرو القطعـــات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي بإبادة كل من يتصدى للإخلال بالأمن. وإننا ندعو جميـــع أبنـــاء الشـــعب المخلصين للتعاون مع السلطة الوطنية بالإخبار عن هؤلاء المجرمين والقضاء عليهم"[13].

وبعد صدور بيان رقم ١٣ خفت صوت النار وكان ظهر يوم ١٠ شباط هو آخر يوم تسمع فيه إطلاقـــات رصـــاص متفرقة في بغداد، ويعتقد أن تلك كانت آخر جيوب المقاومة.

تلبية للطلبات الملحة التي تلقتها من قادة الوحدات العسكرية التي كانت تقوم بالحراسة والحماية وأعمال الدورية لحفظ قرار منع التجول، وقد استأذنوا القيادة باستخدام الأسلحة الثقيلة لهدم الأماكن التي تصدر عنها إطلاقات نارية معادية وقاتلة أحيانا. و لم نكن لنسمح بذلك، بل أذعنا بدلا منه البيان الشديد الشهير، تخويفا وردعا لمن يريد ان يستمر بمقاومة لا طائل من ورائها.

مصير شعبية عبد الكريم قاسم

سؤال : عندما قررتم تصفية قاسم جسدياً، هل أخذتم بنظر الاعتبار شعبيته خارج مؤسسات الدولة؟ ألم تشعروا ان قتله سيعزز دورة دولاب الدم الذي سيسيل لمدة طويلة في وداي الرافدين؟

طالب الشبيب: قررنا ان كريم قاسم لديه تعاطف من بعض الأوساط الشعبية، في المناطق الأكثر جهلاً والأقل تماساً بالتيارات السياسية العامة. وكانت تلك الأوساط تصدق ما يدعيه من انه أبو الفقراء . . . . الخ، وهذا بالضبط كان السبب الذي جعلنا نمهد لثورتنا بعمل شعبي معارض للنظام هو أوسع ما مر على الساحة العراقية. فقمنا بإضراب طلابي دام أكثر من أسبوعين (أي حتى سقوط النظام) وأغلقنا نتيجته جامعة بغداد وعدد كبير من ثانوياتها ومتوسطاتها. كما قمنا بتظاهرتين كبيرتين الأولى دعت لتأميم حصة فرنسا من البترول العراقي نصرة للثورة الجزائرية وحكومتها الفتية الثورية الجديدة وكانت المظاهرة بعثية مائة بالمائة، وشهدت انطلاقتها بعيني رغم عدم السماح لي بالمشاركة فيها باعتباري عضواً في القيادة القطرية. لذا سرت على الرصيف متفرجاً، راغباً ان أرى مباشرةً مدى دقة التقارير الحزبية التي كانت تؤكد قدرة الحزب على تجنيد أعداد كبيرة وتسييرها، وتوفير المستلزمات من شعارات ولافتات وحماية . وقمنا بتظاهرة شعبية حاشدة ساهم فيها حوالي مائة ألف نسمة جاءوا لاستقبال احمد بن بيلا والوفد المرافق له في الساحة المقابلة للمطار القديم (المثنى)، و لم يجرؤ الحزب الشيوعي على منعنا أو التحرش بنا، و لم تجرؤ قوات الأمن ولا الشرطة ولا الانضباط العسكري على منعنا.

لقد تمكنا من تحويل مظاهرة عفوية عظيمة فضلاً عن استقبال قيادة الثورة الجزائرية، إلى التأثير على معنويات خصومنا السياسيين. فتصرفنا بنجاح وذكاء واستثمرنا تعاطف الجمهور المحتشد في المطار مع ثورة الجزائر فارتفعت شعاراتنا مع إننا حزب سري. وقد عنى ذلك لنا وجود إمكانية واقعية لتحجيم شعبية عبد الكريم قاسم بعد إسقاطه عسكرياً، خصوصاً إذا أمكننا تحييد قوة الحزب الشيوعي المنظمة والكبيرة. وفي حال نجاح ذلك سيبقى تأثير قاسم محصوراً بين أوساط شعبية غير منظمة وغير قادرة على الارتداد العفوي المعاكس. و لم تكن لدينا

خشية من أي حي من أحياء بغداد لأننا لم نتوقع ان يبرز الشيوعيون بهذه الحدة والحماسة للدفاع عن عبد الكريم قاسم بالسلاح والأرواح مما سبب ردود فعل انتقامية لم تكن موضوعة ضمن خطة الثورة. لم نكن راغبين بالانتقام، فقد أطلقنا سراح الجميع حتى مرافقي عبد الكريم قاسم، وأطلقنا سراح من حمل بيان قاسم الذي طالب بقتلنا وسحلنا إلى الإذاعة. لكن قتل الزعيم عبد الكريم قاسم كان قراراً ضمنياً سابقاً إذ كنا نتصوره ميتاً إما في الهجوم أو ان ينتحر.

لم نكن نرغب بإقامة عهد من الدماء، وحتى الأربعة لم نكن راغبين في إعدامهم جميعاً، فما عدا قاسم والمهداوي كان يمكن ان يخرج منها سالماً كل من طه الشيخ احمد وكنعان خليل حداد، لكن الأخير تورط وقتل عدد من الجنود والضباط دون مبرر، والأربعة قتلوا الضابط الذي سار باتجاههم رافعاً يافطة بيضاء.

يرتبط اسم المهداوي بثارات وأحقاد، وإذا لم نقتله فليس هناك سجن يحميه من طالبي الثأر منه. وعبد الكريم قاسم أنهى نفسه كلياً بإعدام ناظم ورفعت في لحظة غير موفقة إذ لم يكن لعمله اية ضرورة، فقد تم التنفيذ بعد مضي أكثر من سنة على اتهامهما. كما حاكم ٣٩ شخصاً وحكم عليهم بالإعدام وأكثرهم ضباط من مدينتي الموصل وكركوك.

ورغم ان قاسم بدأ بعد ذلك بتخفيف هجومه ضد القوميين ومنع اعتداءات الشيوعيين ضدهم. لكن ذلك كله لم ينفع أو يفيد في غفران دم هؤلاء. فقد كنا لا نجد ما نقوله لعوائلهم إذا تركناه يغادر العراق بطائرة إلى اية منطقة في العالم حياً يرزق.

والحقيقة ان الثورات العراقية كلها اصطبغت بالدم، بكر صدقي صفى غيره وتمت تصفيته، وجماعة صلاح الدين الصباغ حاولوا تصفية غيرهم فتمكن الوصي من تصفيتهم. وقاسم صفى العائلة المالكة وقتل قزاز وبهجت العطية ثم قتل داخل قاعة صغيرة في إذاعة بغداد بعد حوار مرتبك حضره علي السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وصالح عماش واحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الغني الراوي وستار الدوري وخالد مكي الهاشمي.

وأتذكر إني قلت: إذا حاكمنا قاسم كما يطلب، فلن تكون محكمة منتظمة وربما تصبح مهزلة كمحاكمات المهداوي. وليس لائقاً تعذيبهم أو إذلالهم ولذلك افترض تنفيذ امرنا بإعدامهم بسرعة رحمة بهم.

ورغم انه لم يصدر من عبد الكريم قاسم ما يدلل على انه تصرف مهين، فقد كان شعوري شخصياً اتجاهه هو الاحتقار لأنه سلم نفسه و لم ينتحر!!.

عبد الكريم قاسم، ماله وما عليه

كان قاسم وطنياً وراعياً لمصالح الفقراء. و لم تكن مشاريعه لمصلحتهم بهدف الدعاية والادعاء، وإنما آمن بها ونفذها بحماس. لكنه كان دكتاتوراً فردياً، ظلت البلاد طيلة فترة حكمه تحت دستور مؤقت. فنظر للسياسة نظرة عسكري محترف، فأساء لعلاقته مع جميع الأحزاب، اصطدم بالقوميين وانتهى بعلاقة ليست طيبة مع الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين، بعد ان ترك للشيوعيين فرصة الهيمنة على الشارع السياسي العراقي والإساءة حتى لأقرب أنصاره وحلفاءه[1].

---

١ ـــ وعلى سبيل المثال معاملتهم لكل من صديقَيْ قاسم وعضوي الوطني الديمقراطي محمد حديد وهديب الحاج حمود. يقول محمد حديد : كان الشيوعيون يتظاهرون بين فترة وأخرى أمام وزارتي اعتقاداً منهم بأن الثورة ما زالت لم تصل إليها بعد، فقد احتجوا على وزارة المالية دون ان يكون لهم اهتمام بشؤون المال والأعمال . وقال : أرى ان عبد الكريم قاسم قرب الشيوعيين بسبب ضغط القوميين عليه رغم انه كان وحدوياً بلا اندفاع[14].
أما هديب الحاج حمود فتصدوا له خلال وجوده في الوزارة وخارجها ورفعوا ضده شعارات مثل : "هديب إقطاعي شلون تأمِنْ بيه اسمع يا كريِّم !!"
وحاولوا الإيحاء بأن الإصلاح الزراعي في خطر بسبب وجود هديب على رأس الوزارة ، رغم انه كان رمزاً لجماعتهم (قبل الثورة) في الشامية ، اخذوا منه تبرعات ووضعوا له موقعاً خاص بينهم وكان سلام عادل يزوره ويلجأ إليه أيام العهد الملكي عندما كان أحد قادة تنظيم الفرات الأوسط. لكنهم نسوا بسرعة ان هديب جلب للمنطقة أول مضخة ماء وأول حاصدة شلب وأسس مدرسة بجانب مضيف آل الحاج حمود ، وأوقف (في العهد الملكي) سياسة ضرب الفلاحين عند تقصيرهم ومقابل ذلك سن نظام الغرامة على المقصرين بحيث تذهب لمنفعة الفلاحين المجتهدين ، لأنه كان يرى ان الفلاح حق ينتج يجب ان لا يهان . ومنع العطاء على "الأخضر" حيث أمكن ذلك وقام بإعطاء الفلاحين ٦٠% من إنتاج الأرض وتسليم موارد الفلاحين لهم على دفعات حتى لا يصرف الفلاح كل موارده في الأشهر الأولى ويلجأ بعدها للمرابين ، وفكر بإقامة مشروع بسيط للإسالة يدفع هو ثلثي تكاليفه والفلاح الثلث الآخر . وكان يساعد الشيوعيين فيلجئون إلى مضيفه في الإيشان فيحميهم من الشرطة التي لا تذهب لاعتقال أحد قبل ان يأذن لها صاحب المضيف وفي إحدى المرات تَدَخّل قائد الفرقة مزهر الشاوي والمتصرف عباس البلداوي لدى هديب من اجل تسليم بعض المطلوبين لاشتراكهم بمظاهرة سياسية وبينهم إنعام العبايجي ومدحت إبراهيم جمعة وصالح العبيدي ومجيد الحاج حمود ، واتفق الجانبان على التسليم مساءً وإطلاق سراحهم صباح اليوم التالي. ومرةً قامت سلطة نوري السعيد بإيقاف هديب بتهمة غريبة هي "العيش بدون مكسب واضح" فتحول السراي إلى مضافة له ، ودافع عنه حين ذاك توفيق منير وناجي يوسف وعدد من المحامين الوطنيين . فكان معارضاً لحكومة نوري السعيد واستقطب أبناء المنطقة إلى الدرجة التي جعلت الحاج رايح العطية يتضايق من شعبيته فأرسل من يقول له : ان الوصي يعرض عليك النيابة أو يجعلك عيناً إذا أردت ذلك . فرفض هديب العرض بأدب لاحترامه الكبير للحاج رايح . واستمر في التحدي مشاركاً في الانتخابات ممثلاً للجبهة الوطنية في الفرات الأوسط فاضطرت السلطة للتزوير خصوصاً بعدما انسحب منافسه عبد الشهيد الياسري[15]. وفي عهد الثورة عندما تم تعيينه وزيراً للمعارف بالوكالة أصدر قراراً بإعطاء الذين كانوا مطاردين في عهد حكومة نوري السعيد حق الأولوية في القبول بمن فيهم خريجي السنوات السابقة واستفاد من ذلك الشيوعيون أكثر من غيرهم.
كل ذلك التاريخ والود مع الشيوعيين لم تجعل هديب ينجو من العصبية التي تَغلّبَ بسببها رعاعهم على عقلائهم ويذكر ان هديب الذي كان تلميذاً وصديقاً لعبد الكريم قاسم منذ أن كان الأخير معلماً في مدينة الشامية كان قد
←

كان عليه ان يستفتي الشعب على دستور دائم وان يفسح المجال لحرية الأحزاب، ولانتخابات ديمقراطية حقيقية. وأنا واثق انه كان سيفوز رئيساً للجمهورية دون منازع لو قام بتلك الخطوات، فشعبيته كانت عظيمة، و لم يكن بحاجة للديكتاتورية مع الشعبية التي حظي به.

الخطأ الثاني هو اصطدامه بشعار الوحدة العربية الاندماجية الفورية. وكان بإمكانه ان يترك حماس أنصارها واختلافهم حول أشكالها للبرلمان أو الاستفتاء عليها وتركها للمؤسسات الديمقراطية حيث سيتحمل داخلها كل طرف سياسي أمام المجتمع نتائج موقفه. ومن يدري لو ان قاسم فعل ذلك، لربما يكون قد ساهم في تطوير الوحدة المصرية السورية التي كانت تعاني من هيمنة طرف على آخر ومن ممارسات جهاز حكومي غير ديمقراطي، فيساعد على تغيير شكل إدارتها مع بقائها، أي بتحويلها إلى كونفيدرالية أو فيدرالية، وحينذاك لا أحد يستطيع وضعه في خانة أعداء الوحدة أو يحمله مسؤولية عدم تحققها.

بين مسيلمة وأبو رغال !!

لم التق بعبد الكريم قاسم قبل جلبه إلى محطة الإذاعة وإعدامه غير مرة واحدة، فلم اكن في مركز وظيفي أو شعبي يسمح بمقابلته. وقد نظرت إليه إمّا سجاناً أو شخصاً معادياً، شذ عن الخط القومي وانحرف بثورة ١٤ تموز. وعند تخرجي من كلية ضباط الاحتياط، وقف قاسم خطيباً لمدة ساعة ونصف، وصف خلالها عبد الناصر بمتآمر وسماه "بمسيلمة الكذاب"[١]، فـأثر

استقال من حكومة قاسم تنفيذاً لرغبة الجادرجي الذي اختاره للوزارة ممثلاً للحزب الوطني الديمقراطي ، في حين استمر محمد حديد رغم رغبة الجادرجي باستقالته.

١ ـــ كانت هناك في بغداد ساحة رئيسية اسمها ساحة جمال عبد الناصر (كرادة مريم، قرب الإذاعة) فعدل نظام (البكر - صدام — عماش) اسم الساحة فأصبح ساحة جمال عبد الناصر (أبو رغال) . وأثار ذلك اشمئزاز كل العراقيين رغم ان بعضهم يشعر بأسف شديد من تدخلات عبد الناصر غير الموفقة في الشأن العراقي. ولا نبالغ إذا قلنا ان عبد الناصر خلال سنوات حكمه الأولى كان سريع التدخل والتورط بمشكلات خارج الأراضي المصرية، مستنداً إلى مصدر وحيد هو تقارير المباحث المصرية. وفي العراق استعجل العداوة مع عبد الكريم قاسم فبحث مع عبد السلام عارف بدمشق مصير عبد الكريم قاسم، ولم تكن ثورة تموز قد مضى على قيامها خمسة أيام فقط. وسمع قاسم بذلك و لم يضمرها، بل عاتب عارف ونصحه بعدم تكرار الأمر، لكنه لم ينس ونظر لذلك على انه استعداد للغدر والتآمر وضرب تحت الحزام. كما ان ناصر أرسل إلى ضباط الموصل وعلى رأسهم الشواف إذاعة سرية وسلاحاً تم تهريبه عن طريق الأراضي السورية، وجاء إلى دمشق زائراً وأطال سفرته انتظاراً للعملية المبيّتة، ولم يكن قد فات على الثورة عام واحد. ورغم ان قاسم قام اتجاه مصر بخطوات إيجابية وودية لم تقم بمثلها جميع الأنظمة العربية تجاه بعضها لحد الآن. تلك السياسة الناصرية المتسرعة في التدخل حذرت قاسم من تسليم العراق لناصر، بل ان البعثيين في سوريا كانوا نادمين لأنهم شاركوا بتسليم سوريا لناصر الذي منح إدارتها للمباحث. هذا ولم تكن الشعارات المرفوعة ضد قاسم تحمل مصداقية منطقية كافية. فلم تكن مصر نفسها أقامت أي نوع من الانتخابات ولا ادعت إنها تومن بها، بل ان
←

ذلك المشهد في نفسي وتميزت غيظاً وشاركني عدد من الضباط الاحتياط البعثيين لأن وصفـــه المذكور سيعطي للشيوعيين مادة جديدة للهرج والسخرية. وبالنسبة لي كان وصفه ذاك لعبـــد الناصر نقطة افتراق لم أر قاسم بعدها قبل حضوره للإذاعة معتقلاً.

ولم امتلك الفرصة لفحص الرجل ودراسة شخصيتـــه. وقد قال لي السفير الهندي وكـــان صديقاً لقاسم ويزوره بمقره: ان ثورتكم خلصتني من ليالي السهر الطويلة وغير المجدية لان قاسم كان يدعوني باستمرار لزيارتـــه بعد الساعة الثانية عشر ليلاً، واضطر للبقاء معه حتى الثالثة بعد منتصف الليل ويقرأ لي أحياناً خطاباتـــه بالعربية وأنا لا افهمها جيداً، وأحياناً يقدمها لي هدية.

وكان قاسم يأمل في بناء علاقات طيبة مع الهند وبعض الدول البارزة في كتلة عدم الانحيـــاز ليحتل مكاناً مناسباً فيها، في حين كان لعبد الناصر يداً بارعة فيها، وطريق قاسم إليها مسدودة، لأن حركة القومية العربية خارج العراق كانت في عنفوانـــها والعالم كله ينظر إلى عبد النـــاصر ممثلاً لها وناطقاً باسمها. ولم يكن حتى حزب البعث قادراً على الخروج على عبد الناصر في هـــذا المجال، بل كان يمكن له العمل بجانبـــه أو التحالف معه باعتباره شخصية مثيرة عربياً وعالمياً.

وفي الأخير فقد كان من الصعب علينا وصف قاسم بأوصـــاف تدينـــــه غـــير الفرديـــة والديكتاتورية، لأننا وبعد هزيمتـــه وجدنا ان ركنـــه الخاص في وزارة الدفاع يتكون من غرفـــة نوم واحدة. وحمام جيد بمستوى أوربي، وغرفة جلوس صغيرة جداً، وكان عفيف اليد وليـــس عفيف اللسان. وكانت عينـــه شبعانة فلم يطمع وهو حاكم العراق الوحيد ببستان أو قطعـــة ارض، في حين سعى كل حكام العراق الذين سبقوه والذين خلفوه للكسب والاستيلاء وسرقة المال العام، خصوصاً كتلة صدام حسين وخير الله طلفاح والحيتان من أنجالهم وأصدقاء أنجـــالهم الذين امتصوا العراق تراثاً وثروة حتى وهو يرزح تحت حصار مزدوج ظالم، واتجهت عيونـــهم باستمرار إلى بيوت الآخرين وبساتينـــهم، يطمعون بكل شـــيء وأي شـــيء رغـــم عظيـــم ثروتـــهم!!

وفي كل الأحوال فقد كان قاسم لا يستحق المصير الذي آل إليه ولا ندري بأي شيء تأمّل

ناصر سخر في محادثات الوحدة من البرلمان ومن مبدأ الديمقراطية وفصل السلطات، لكنـــه طالب قاسم بمنح العـــراق الديمقراطية رغم ان الثورة العراقية كسرت سابقتـــها ولما يمر عليها غير اشهر ولابد من وقت لترتيب وبناء مؤسساتـــها الجديدة. لكن ناصر لم يكف منذ البداية عن إرسال السلاح والقنابل ووسائل الدعاية السرية وكل شـــيء يســـتجلب العداوة عن بعد. فلم يلتق الرجلان حتى يختصما، ولابد ان الوسطاء لعبوا دوراً في تأجيج الصراع وكان ناصر أسرع في الاستجابة حتى من محكمة المهداوي، فقد سبقها إلى الهجوم ورفع شعارات عجز نظامه ومجموع الأنظمة العربية حـــتى الآن عن تحقيقها. ولا بد انـــه لو اختار طريق المصالحة بدلاً من الاستجابة لطرف دون آخر لوفر للعراق فرصة ذهبيـــة للاندماج مع جيرانـــه العرب بصورة إيجابية ومفيدة.

أو فكّر وهو يستعد لتلقي رصاصات سيطلقها تلاميذ مدرسته الوطنية العسكريين[1]، الذين تمثلوا فورا بعد قتله بطريقته في الحكم، لكنهم فشلوا ان يصيبوا ما أصاب من عفوية وشعبية.

سؤال: ما نوع المقاومة المدنية التي واجهتكم في بغداد، وهل قسمتم المدينة إلى أحياء مؤيدة وأخرى معادية؟

طالب شبيب: لم نعتبر أن هناك مناطق عدوة لنا في بغداد، ولم نتصور أن الشيوعيين

---

١ — لابد ان أسئلة وتوقعات كثيرة جدا مرت بذهن قاسم وهو يترقب خروج الطلقات من فوهات البنادق الموجهة إلى صدره. وربما تساءل: هل يستحق ما اقترفه أو ما قام به من أعمال ان يقتل بهذه الطريقة؟ ولابد ان شريطا قد مر بذهنه وأمام مخيلته منذ ان كان ملازما، عندما فاجأ تلاميذه بالكلية العسكرية وكان بينهم عبد السلام عارف والبكر وعبد الرحمن عارف وطاهر يحيى ومحيي محمود والدراجي وطاهر وفاضل عباس المهداوي وغيرهم، فاجأهم بحديث ولغة غير معهودة داخل الجيش، وكان أول ضابط يقوم بذلك، حدثهم عن الوطنية والاستعمار البريطاني ووعدهم بيوم يتمكنون فيه من طرد العسكريين الأجانب من البلاد.
لابد ان يكون قد تذكر إضافة لذلك معارك كردستان ثم حرب فلسطين وتحريره لقلعة كيشر والبيارات وإبداعه في نقل القوات خلال المواجهة مع الإسرائيليين، ومخالفته للقيادة العسكرية العربية عندما خطط سرا لفك الحصار عن الجيش المصري المحاصر بالفالوحة، وتنسيقه مع عفيف البزري رئيس أركان الجيش السوري وعبد الحميد السراج في (المفرق) على مساعدة سوريا في حال تعرضها للاحتلال من قبل الجيش العراقي الذي كان بإمرة الإنكليز، وإنقاذه لبغداد من الفيضان ١٩٥٤ وتأسيسه لحركة الضباط الأحرار التي وصل عدد منتسبيها إلى حوالي مائتي ضابط مختلفي الاتجاهات بما في ذلك خلية بغداد المهمة التي قادها رفيق دربه رفعت الحاج سري، ثم قيادته ثورة تموز، ومشاريعه في خدمة الفقراء التي تركزت على بناء المدارس وإيصال الكهرباء للريف والأحياء الفقيرة وبناء المساكن الشعبية والمعامل وإيجاد مناصب العمل ومشاريع الري وتوزيع الأراضي على مئات الآلاف من الفلاحين وتعويض صرائف بغداد بمساكن شعبية، وتوسيع الجامعة والمعاهد وصار الدخول لها بواسطة الاجتهاد والعلامات وليس المحسوبية والقبول الخاص أو الاستثنائي). وسن قانون رقم ٨٠ الذي أمم أكثر من ٩٩,٥٪ من الأراضي العراقية وجلب أساتذة مصريين لسد نقص المعلمين بعد توسيع المقبولين في المدارس. وسلّم مصر جميع الوثائق التي عُثِر عليها في الخارجية العراقية وتخص مصر وسورية خصوصاً التي تتعلق بحلف بغداد والقواعد الصاروخية النووية في باكستان وتركية. وأسس جيش التحرير الفلسطيني. وباقتراح من حكومته تأسست منظمة الأوبك. وأسس صناعة الصلب والأسمنت والكيماوية. وتضاعف دخل العراق واشتدت حركة السوق والبيع والشراء. وابعد الطابع الأسري والطائفي، الذي اعتمده الإنكليز، عن السلطة. واخرج العراق من منطقة الإسترليني محررا الاقتصاد العراقي من التبعية والهيمنة وبدلا من ذلك جعل غطاء العملة العراقية ذهبا يعادلها تماما، فلم يطبع أوراقاً ولم ينتفع ولم يدع غيره ينتفع بصورة غير مشروعة من أموال الوطن. ولم يخض حروبا بالنيابة، وغير ذلك كثير وكثير. مما يؤكد ان خصومه لم يعترضوا عليه لأسباب تتعلق بالسلوك بقدر ما كان صراعا على توزيع المراكز في السلطة، فاستعانوا بجهات إقليمية ودولية لها مصالح في العراق لإسقاطه، فتتالت عليه الضربات والمشكلات المرتبة والتي انتهت بسقوطه، إلى درجة ان السفير البريطاني في العراق وصف حالة عبد الكريم قاسم بذكاء قائلا عنه انه "فقد القابلية للتغلب على مشاكله"[16].
ويذكر ان وزراء عبد الكريم قاسم أودعوا معتقل معسكر الرشيد وتم التحقيق معهم فورا، فتبين انهم لم يرتكبوا اية مخالفات شخصية، دخلوا وزاراتهم وخرجوا منها دون اية مكاسب شخصية أو تجاوزا ت قانونية.

سيدافعون بشدة عن نظام قاسم خصوصاً بعد أن وجه لهم ضربة قاسية، وبعد خروجهم من معركتهم مع السيد محسن الحكيم متعبين، وتأثير ذلك على مؤيديهم في الأوساط الشعبية حيث تقلصت قدرتهم في الحديث عن أحياء أو مدن شيوعية، وكان الشيوعيون قد ارتكبوا خطأً جسيماً عندما لم يتوقفوا عن معركتهم ضد المرجعية بل تصرفوا باستعلاء وعجرفة معتقدين أن مَنْ يختلف معهم في العراق سيخسر حتماً وبذلك خسروا أصدقاء مقربين لهم.

وأعتقد أن قسوة قوات المشاة وخصوصاً خلال عملها في مدينة الكاظمية يعود إلى شدة قائدها عبد الغني الراوي وبعض التصرفات الفردية لضباطها، ولا أعتقد أن عبد الغني الراوي يتحمل كل ما حصل، وفي كل الأحوال فلم يقتل في الكاظمية أكثر من ستة أشخاص، وفي المواجهة في وزارة الدفاع لم يتجاوز العدد عشرين قتيلاً، وعدد آخر في مناطق متفرقة أخرى.

ملحق رقم ١

قاسم الجنابي .. يتكلم !

[كان المقدم الركن قاسم أمين الجنابي قد كتب تقريراً في ٥/ ٤ / ١٩٦٥ (في عهد عبد السلام محمد عارف) رفعه إلى الجهات الرسمية]

أنهى مجلس الوزراء جلسته المنعقدة في ٧ شباط الموافق لـ ١٣ رمضان في الساعة الثانية والنصف عند منتصف الليل، وبعدها رافقت عبد الكريم قاسم في جولته العادية الليلية التي كان يكررها كل ليلة تقريباً. وفي هذه الليلة اتجهنا إلى بيت يحيى الجدة في الأعظمية والذي كان صديقه وكثيراً ما كان يزوره ويتصل به هاتفياً . كانت دار يحيى الجدة تقع مقابل دار عبد السلام ولكننا لم نر اية حركة تلفت النظر. طلب مني عبد الكريم أن أذهب إلى دار مصطفى علي وزير العدل السابق في بغداد الجديدة، ولم أكن أعرف موقعه ولكنه رسم لي مخططاً ودلّني على بيته وكانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

أخذت سيارة الحرس المرافقة التي كان فيها ٣ – ٤ حراس بعد أن طلبت منهم ترك السيارة والبقاء لحراسة عبد الكريم قاسم ، وصلت الدار وبلّغته برغبة الزعيم بمقابلته ولكنه قال أنه سيأتي إلى دار الزعيم عبد الكريم في السعدون، وعدت راجعاً إلى دار يحيى الجدة وأبلغت الزعيم النتيجة. بلغت الساعة الثالثة والنصف ولما سمع عبد الكريم قاسم ما قلته له غادر الدار وذهب إلى داره في السعدون. دخل الزعيم داره، أما أنا فبقيت في الدار المجاورة والمستأجرة لمبيت فصيل الحماية وهو نفسه فصيل الدفاع والواجبات للواء (١٩) قديماً والذي دخل بغداد مع اللواء صبيحة ١٤ تموز وكان يقوده النقيب حافظ علوان الذي تعين بعد الثورة مرافقاً للقائد العام للقوات المسلحة، وكان الفصيل يقسم إلى وجبتين نصف يرتاح ونصف آخر يقوم بالحراسة. كنت نائماً عندما أيقظني العريف قائلاً: سيدي الإذاعة تذيع بيانات خلي نحضر الفصيل للدفاع. ذهبت إلى دار الزعيم ووجدته لا زال يفطر وهو يعلم بما حدث وقال لي : سنذهب إلى معسكر الرشيد وطلب مني أن أتصل باللواء التاسع عشر الذي يقوده العميد الركن فاضل عباس حلمي. اتصلت هاتفياً حسب الأمر، وكان المتكلم مقدم اللواء الرائد الركن عزيز جعفر الصندوق، الذي طلب منه عبد الكريم قاسم بعد أن عرفه بنفسه تهيئة سرية في باب المعسكر وكرر عليه أنا جاي .... أنا جاي.

وبينما كان الزعيم يهم بمغادرة داره وإذا بالزعيم الركن طه الشيخ أحمد يصل، حيث كانت داره قريبة من دار الزعيم لا تبعد سوى حوالي ٥٠٠ متر (حوالي أربعة بيوت) فاقترح علي الزعيم أن نذهب إلى وزارة الدفاع، وقال هؤلاء قلة بعثيين، ولم يرد عليه عبد الكريم قاسم، والتحق كذلك النقيب حافظ

علوان لتبديلي إذ أن خفارتي قد انتـــهت.

خرج عبد الكريم قاسم وسار بسيارتـــه وتبعتـــه سيارة الحرس باتجاه وزارة الدفـــاع عـــبر البـــاب الشرقي ووصلنا شارع الجمهورية وكان الوضع عادياً وكان يحيّ الناس والناس تحييه ودخلنا وزارة الدفاع وصعد عبد الكريم قاسم إلى مقره، وفي هذه الأثناء التحق عبد الكريم الجدة بنا.

اقترح طه الشيخ أحمد تطبيق خطة أمن بغداد لإنـــهاء الحركة. أخذ مقر عبد الكريم قاســـم يتصـــل بآمري الوحدات ويعطي الأوامر الشفهية لتطبيق الخطة. وكان الجواب أنـــهم مســـتعدون وســـينفذون الأوامر ولكن أحداً لم يتحرك ولم ينفذ أي أمر انتظاراً لتطور الموقف.

كان هناك كتيبة دبابات في ملعب الشعب اتصلوا بـــها هاتفياً وبُلغت وكان الجواب: نعم ، ولكـــن لم تتحرك. أقولها للتاريخ. تجمع الناس في باب وزارة الدفاع وكان هناك في الوزارة مخزن للأسلحة، وطـــالبوا بالسلاح، ولكن عبد الكريم قاسم رفض توزيع السلاح وقال: أنا لا أريدها حرباً أهلية، سنعالجها.

اتصل عبد الكريم قاسم هاتفياً باللواء التاسع عشر وكان المتكلم المقدم الركن طه الشـــكرجي الـــذي شتم عبد الكريم قاسم ، فألقى عبد الكريم قاسم بسماعة الهاتف قائلاً: اصبر أنا جايك . وركب سيارتـــه واتجه إلى باب وزارة الدفاع ولحقناه أنا وحافظ والطائرات تقصف الوزارة، وعند وصوله بـــاب الـــوزارة أوقفه عبد الكريم الجدة وأمسك بسيارتـــه وأصرّ على عدم خروجه من الوزارة.

اتصل عبد الكريم قاسم بالإذاعة وكان التلفزيون يشتغل فقط، وظهرت صورتـــه بـــالتلفزيون وقـــال أنـــه سيأتي لإذاعة بيان، وهمّ بالخروج ولكن طه الشيخ أحمد منعه من الذهاب واقترح أن يسجل خطابـــاً ويرسله مع السكرتير الشخصي. وكان مسؤولو الإذاعة يعتقدون أن عبد الكريم مقتول حســـب إذاعـــة الثوار من أبي غريب، واصطدموا بالواقع وأخرجوا صورة الزعيم بالتلفزيون. كان في وزارة الدفاع فـــوج واجبـــه الدفاع عنـــها وعن عبد الكريم قاسم، أرسل عبد الكريم قاسم حافظ علوان ليبلغ آمره بإعطـــاء الأوامر لفك الحصار عن وزارة الدفاع وقتال المحاصرين ولكنـــه لم ينفذ. وأرسله ثانية لتبليغـــه بـــالحضور لمقابلتـــه ولكنـــه لم ينفذ.

لقد قاتل الجنود وضباط الصف بدون قيادة ضابط. لم تطوق وزارة الدفاع في الساعات الأولى ولكـــن مع مرور الوقت كلما أرسلت مفرزة من الانضباط العسكري لمنع وصول الثوار لتطويق وزارة الدفـــاع لم تعد المفرزة.. وتذوب كالملح، وما أن خيم الظلام إلا وكان صوت الثورة هو الأقوى ومركزهـــا الأمنـــع وأخذ المترددون ينضمون إلى الثوار.

وكان عبد الكريم قاسم يعتقد أن الضباط سينفذون أوامره، وكان كلما تكلم مع ضابطٍ على انفـــراد أبدى استعداده وقال نعم، سنخرج وسننفذ الأمر، ولكن ما أن يقفل عبد الكريم سماعـــة الهـــاتف، فـــإن أوامره لم تنفذ.

جاء تبديل الموقف، ووضع عبد الكريم قاسم بموقف حرج، عندما خرج الرائد عبد الله مريوش أحـــد آمري سرايا الدفاع بحجة تخليص الزعيم (الحرب خدعة) من وزارة الدفاع غير أنـــه طـــوّق الـــوزارة ووجه بنادق سريّتـــه نحو الوزارة. بدأ الثوار يتوافدون ويحيطون بـــهم، والقطعات التي كان يقاتل بـــها عبد الكريم قاسم أخذت تخرج دون عودة أو تصوب أسلحتـــها ضده أو انـــهزمت تاركـــة وحداتـــها

لدرجة أننا لم نتمكن من الوصول إلى مكتب وزير الدفاع (مقر عبد الكريم قاسم) بعد أن طوقنا الثوار في بناية الانضباط العسكري التي كانت قرب الباب الرئيسي للوزارة، وخيم الظلام وأرسل فصيل ضد الدرع بقيادة الملازم ابن أخ عبد المجيد جليل مدير الأمن العام، وقد سحب هذا الفصيل من الفرقة الخامسة قبل فترة قصيرة وأضيف إلى فوج الدفاع ولم يكن ملاكه كاملاً. وبما أن يوم الثورة كان يوم جمعة وهو عطلة ، فإن أكثر مراتبه كانوا عند أهاليهم.

وصلت قطعات المظليين وقطعات من الفوج الآلي وقوات أخرى وتمكنوا من احتلال باب وزارة الدفاع ومنطقة فوج الدفاع، حيث تمكنت وحدات الفوج الآلي الذي يقوده المقدم داود عبد المجيد أن تدخل منطقة الهندسة وتتقدم إلى الطريق الرئيسي، ويفصل بين الانضباط ومقر الوزارة، ولم يبق إلا الطريق. في هذه الأثناء اقترح أحدهم أن ننتقل إلى قاعة الشعب التي كان موقعها في ظهر الوزارة لأن المنطقة طوقت بأجمعها واقترحت أن نخرج على طريق المستشفى علّنا نصل إلى منطقة الثورة أو نموت.

أخذ الرصاص ينهمر بغزارة وأخذت المقاومة تنهار، وساحة المناورة تضيق، ولم يعد هناك أمل، وعندها اقترح عبد الكريم قاسم على اللواء أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام أن يخرج بنفسه إلى الطريق حتى ينجو من الموت المحتم من جرّاء شدة النيران، وفعلاً خرج وسلم نفسه إلى الثوار.

أجرى عبد الكريم قاسم عدة مكالمات هاتفية مع عبد السلام عارف وطاهر يحيى، كما أجرى مكالمات هاتفية معهما السيد يونس الطائي صديق عبد الكريم قاسم وصاحب جريدة الثورة الذي جاء إلى وزارة الدفاع متطوعاً. قال الطائي لعبد الكريم قاسم: الثوار إخوانك وأنا سأفاوضهم، رفع راية بيضاء وخرج من الدفاع وذهب إلى دار الإذاعة.

وفي صبيحة اليوم الثاني حلق عبد الكريم قاسم ذقنه وكان صائماً.. وليس هناك أي أمل، ومع هذا قرر أن يقاوم حتى يموت ولن يستسلم. حاول الطائي إقناعه بعد أن عاد من مفاوضة الثوار، وقال: حقناً للدماء عليه أن يسلم . وأنه وعد أن محاكمة عادلة ستجرى له، ولم يرد عبد الكريم قاسم.

وضع عبد الكريم قاسم كميناً من الرشاشات في قاعة الشعب، فلما دخل المهاجمون القاعة لم يطلب فتح النار على المهاجمين وقرر التسليم. استلمنا العقيد الركن محمد مجيد، ولما كان النقيب حافظ قد أرسله عبد الكريم قاسم لاستصحاب آمر فوج الدفاع الذي رفض المجيء وبذلك تأخر عن الالتحاق لشدة الرمي، وركب الزعيم مدرعة ومعه طه الشيخ أحمد وأنا والمهداوي، ركبنا مدرعة ثانية واستلمنا هادي حماس ، واعتذر لي شخصياً وقال: أنا متأسف، أنا قمت بواجبي لأنه صديقي، كان الحديث في أثناء الطريق، ولكني قلت له : انك أديت واجبك.. فرد قائلاً: إن عرفان وجدي في دار الإذاعة وأنا كلمته هاتفياً وقال أن قاسم لا يمسه أذى أو سوء وعلاقتي معه منذ الطفولة حيث كان صديقي وكنا في محلة واحدة ومدرسة واحدة. نسيت أن أقول أنه في وزارة الدفاع جردونا من الرتب العسكرية.

وصلنا دار الإذاعة وترجلنا من المدرعات وضرب المهداوي ضرباً مبرحاً وحتى بالأحذية منذ نزوله من المدرعة حتى دخوله القاعة، وعندما دخل عبد الكريم قاسم الباب خيم على الجنود السكون وحاول رفع يده، ولكنه منع من بقية الضباط ولما تقابل مع صالح عماش في الممر هنأه بالثورة وأدخلنا في قاعة من القاعات ودخل علينا كل من السادة: أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وعبد الستار عبد اللطيف وعلي صالح السعدي وعدد من الضباط الآخرين، وحدثت مشادة كلامية بين علي صالح السعدي والمهداوي. قال علي صالح السعدي إلى المهداوي: ولك ماذا فعلت بالبلد.. (إش سويت بالبلد).

فرد عليه المهداوي: إطلع .. أنا أحكي مع عبد السلام. فرد علي صالح السعدي: أنجب وإلا قتلتك.

قال أحمد حسن البكر بعد أن وقف بجانبي: إشجلبت بهذا الشخص (يقصد عبد الكريم قاسم) وأنت شخص ممتاز وطيب. فقلت له: أنا خدمت بلدي ولم أخدم شخصاً، وعندئذ قال عبد السلام إلى عبد الكريم قاسم: كيف تخلي قاسم الجنابي يفتح باب ويسد باب وهو الرجل الثائر الشجاع؟

وجه عبد الستار عبد اللطيف كلمات قاسية إلى طه الشيخ أحمد، فرد عليه طه الشيخ أحمد: أنا أستاذك، لا تنسى كنت تلميذي.

وجه علي صالح السعدي سؤالاً إلى الزعيم عبد الكريم قائلاً: حاولنا أن نقوم بمحاولة انقلاب قبل ١٤ رمضان وانكشفت من قبلك، فمن الذي أخبرك بها؟ لا بد وأنه أخبرك بها شخص يشك بوجوده هنا. فأقسم عبد الكريم قاسم، ولأول مرة أسمعه يقسم بشرفه، قائلاً: إن الذي أخبرنا غير موجود الآن في القاعة، فرد أحدهم قائلاً: هذا من أين له الشرف ؟.. فرد قاسم : لك شرفك ، ولي شرف أعتز به. وقال عبد السلام: أخوان هذه الأسلحة التي اشتريت يجب أن لا توجه لبعضنا البعض، ولكنها يجب أن توجه لصدور الأعداء.

صف جماعة عبد الكريم قاسم بصف واحد، وأنا اصطفيت معهم ، فانتبه عبد السلام وقال: قاسم أنت وين ؟ أخرج من الصف، وفي هذه الأثناء دخل عليّ عرفان وجدي وعبد المنعم حميد وغيرهم من الضباط وأخذوني إلى خارج القاعة.

جاء علي صالح السعدي وأوصى بي خيراً لعلاقتي العائلية وعيشنا منذ الطفولة فقال: أكيد أنت ما متريك (لم تتناول فطورك) وطلب لي ماعون تشريب فأكلته.

دخل عبد الستار عبد اللطيف وقال لي : قاسم أنت رجل شهم، بس أريد أن أفهم، أنا في إنكلترا حكيت حكاية أمام الملحق العسكري وعادل جلال، فمن الذي وشى بها وأوصلها إلى الزعيم كريم، فقلت له أن هذه الحكاية لم تصل من شخص وإنما وصلت من مصادر عديدة أخرى.

وفي هذه الأثناء دخل حازم جواد أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (وزير الداخلية) وقال لي: إني أنقل لك رأي الحزب بك وهو رأي جيد وممتاز ولذلك عفا عنك الحزب وعفونا عنك، فقلت له شكراً وهذا دين في رقبتي لا أنساه.. ثم دخل حردان وقال أنا سأرسلك إلى ثكنة الخيالة ستبقى كم يوم والأمور تهدأ وتذهب إلى البيت، وأخذني ضابط إلى الثكنة مقابل البلاط القديم وبقيت ثلاثة أشهر وبعدها انتقلت إلى سجن رقم (١) وأحلت إلى المحكمة العسكرية التي يتولى رئاستها المقدم (اللواء) السيد هاشم السامرائي وأفرج عني. (انتهى تقرير قاسم الجنابي).

ملحق رقم ٢

مهداوي آخر

تشترط الريادة، شجاعة مستقرة، وقدرة على استيعاب حذر الآخرين من الجديد الذي يخترق حكم العادة المفروضة. ويبدو ان الدفاع عن شخصية فاضل عباس المهداوي يتطلب تحقق هذين الشرطين. فقد استحلى كثيرون الهجوم عليه دون تدقيق. وكتبوا عنه تحت سقف سلطات تعاقب حتى الموت من ينصفه. وطالب الشبيب يخرج عن هذه القاعدة ويروي بعيدا عن ضغط ذلك السقف، ودون تملق أو خوف من "العادة"، موقف المهداوي في لحظاته الأخيرة.

اشترك المهداوي في حركة رشيد عالي الكيلاني وأسره الإنكليز في الحبانية. ومنذ حرب فلسطين ١٩٤٨ التي شارك فيها، ظل موقفه السياسي محسوما ضد النظام القديم، وارتبط مبكرا بفكرة عبد الكريم قاسم الانقلابية للتخلص من الوجود الإنكليزي وتعزيز الاستقلال الوطني، والتحق بحركة الضباط الأحرار التي تأسست بقيادة عبد الكريم قاسم في نهاية الأربعينات على ارض فلسطين من طه الشيخ احمد ورفعت الحاج سري وفاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وطاهر يحيى ومحيي عبد الحميد والدراجي وخليل إبراهيم والرفيعي وآخرين.

وتمكن المهداوي مع رفاقه صباح ١٤ تموز من تنفيذ واحدة من أهم واخطر أجزاء خطة الثورة بالسيطرة على اللواء الأول (لواء الأمن) واعتقال العميد الركن وفيق عارف (أخو رئيس الأركان رفيق عارف) وكانت مهمة لواء الأمن حماية بغداد ومواجهة أي تمرد قد يقع ضد حكومة نوري السعيد. وعينت الثورة المهداوي آمرا للواء لدوره ومكانته في الحركة وليس لأقدميته كما يقرر جزافاً صبحي عبد الحميد[17] لأنه لم يكن اقدم ضباط اللواء، ولان قيادة الثورة وعبد الكريم قاسم بنفسه أرسل في ليلة ١٣ تموز ١٩٥٨ المقدم احمد حسن البكر وعبد الرحيم الراوي إلى المسيب لإبلاغ المهداوي وليس غيره بساعة التنفيذ كي يقوم بتنظيم أمر السيطرة على اللواء صباح اليوم التالي. وقال له العميد الركن وفيق عارف عند اعتقاله:" يا فاضل أنت ذهبت بدرب المؤامرة، وعين الإنكليز ليست غافلة والمشنقة ستلتف حول عنقك وليس عنقي..."[18].

وفي ١٨ تموز عين رئيسا للمحكمة العسكرية العليا الخاصة التي أطلق عليها الناس اسم "محكمة الشعب"، تلك المحكمة الفوضوية التي اعتادت ان تقوم بكل أعمالها في جلسات علنية منقولة بالبث المباشر على شاشة التلفزيون. فتستجوب المتهمين وتسخر منهم وتعبر عن ما تتصوره بطريقة بالسة ومقرفة أحياناً، ولكنها تترك للمتهمين هامشا واسعاً للرد والمناقشة والتعبير. وتستخدم مستشارين قانونين ويتطارح بداخلها الادعاء العام ومحامو الدفاع، وتُبرِئ وتدين وتحكم بعقوبات مختلفة مرصودة من قبل صحافة تمتلك حرية نسبية وتمتلكها أحزاب وتيارات. وتعبر المجموعات السياسية والشعبية عن موقفها

من القضايا التي تعالجها المحكمة على شكل تظاهرات وشعارات مرفوعة حتى قبل ان تصدر المحكمة أحكامها. وتمتلئ قاعتها بمتفرجين ومهرجين وأهازيج وأشعار . . . الخ.

لكن تلك المحكمة الفوضوية ظلت حتى هذه اللحظة تتحدى كل السلطات التالية في ان تقيم مثلها أو افضل أو أكثر حرية منها. فلقد أحَلّوا محلها الاغتيال السياسي، وبدلاً من العلنية المهداوية الساخرة، نشأت المحاكم السرية والقتل السري والتعذيب وتهديد الشرف بصورة تتجاوز وتفوق ما سمع به الإنسان منذ تأسيس حضاراته الأولى ولحد الآن. ولم يستطع نقاد المهداوي التمثل بقول الشاعر:

إذا عبت أمراً فلا تأته فذو اللب مجتنب ما يعيب

وإذا أوردنا إحصاءات حقيقية فسنجد ان محكمة الشعب كانت اقل المحاكم السياسية العراقية قسوة، فلم تصدر فيها أحكام سوى بحق رجال حملوا السلاح بوجه السلطة القائمة (بغض النظر عن صحة أو عدم صحة مواقفهم). وربما تكون أخطأت بحق ناظم ورفعت وعدد آخر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة من زملائهم (رغم ان رفعت احتفظ بجهاز إرسال يربط مديرية الاستخبارات العسكرية العراقية بالسفارة المصرية ورغم اعترافات صريحة عن اتفاقه مع ناظم والشواف)، لكن الاثنين كانا يستحقان العفو لتاريخهما، فرفعت الحاج سري الذي رافق قاسم في حرب فلسطين وكان أحد مساعديه الذين يثق بهم، وواحد من أهم الناشطين في حركة الضباط الأحرار خصوصاً مسؤوليته الأولية عن منظمة بغداد العسكرية، كان يجب معاملته على أنه رجل مبادئ، والشواف لم يكن يستحق السب أبداً.

لكن المحاكم التالية لمحكمة الشعب أصدرت ودون ان يرف لرؤسائها جفن عشرات الآلاف من أحكام الإعدام والمؤبد ضد العراقيين، وصادقت على عشرات قوائم القتل التي تسبق المحاكمة، وعلى الآلاف من قتلى التعذيب فتركت آثاراً غائرة في كل بيت، تلك الآثار التي تعكس نفسها بفوضوية نادرة كلما تضعف السلطة أو يحصل فلتان أمني في البلاد. بل ان قاعة الشعب التابعة للمحكمة تحولت بعد سقوط قاسم إلى مسلخ بشري، قتل فيها خلال شهر واحد أضعاف ما حكمت به محكمة المهداوي خلال أربع سنوات ونصف تشكل عمر حكومة قاسم. ومما يؤسف له ان بعض السياسيين مازالوا يحصرون الاستبداد والكيفية والديكتاتورية بعهد قاسم و بمحكمة المهداوي دون غيرهما، ويرون العدالة في أشكال الحكومات الأخرى التي سمعنا قضاتها يحكمون بالشكل التالي: " وزعوا خمسمائة عام على هؤلاء!! " في إشارة إلى حشد من المتهمين السياسيين داخل قفص الاتهام.

وفي هذا السياق يقول الشاعر العراقي كاظم السماوي :" حاكم المهداوي أساطين العهد المباد على جرائم محددة ارتكبوها، وسخر منهم، ولم يحصل في محكمته ما يخدش كبرياء القوميين، لكن الحزب الشيوعي، والأجواء الحماسية الرعاعية أحياناً، شجعت في تحويل المحكمة إلى (هوسه)، واعتقد ان المهداوي كان يتصور بأن الجمهور الذي يحضر قاعة المحكمة يمثل التنوع الشعبي كاملاً، لذلك حاول إشراكهم في المحاكمة والقرار، وهو ما جعل المحكمة تقفز فوق الأصول القانونية أثناء جريان جلساتها، لكن تلك المظاهر لم تؤثر على الصيغة القانونية لأحكامها"[19].

وكانت الصدمة الأولى التي وجهت للمحكمة وأشعرتها بالحرج والحذر، عندما استضافت نوعاً جديداً من المتهمين، كانوا شباب حزب البعث اثر محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم، فاستمعت لأول مرة إلى رجال غير آسفين على ما قاموا به، بل أكدوا ان عملهم لم يكن شخصياً أو لمنفعة خاصة. بل هم أعضاء في تيار يناضل من اجل توحيد الأمة العربية في دولة واحدة قوية. وحولوا المحاكمة إلى مناسبة

للتعريف بحزبهم وبصورة غير مباشرة بأفكارهم، كما تركوا انطباعاً عند أنصارهم وأعدائهم على حد سواء بأنهم شجعان ولا يتلقون الضربات بل ويردونها. وهناك أدلة كثيرة بأن المهداوي عامل البعثيين كمتهمين (وطنيين) فلم يصفهم بالعمالة واحترمهم بل زار أكثر من مرة عائلة سليم عيسى الزيبق وقدّم لها مساعدة[20].

وفي كل الأحوال فقد شكلت محكمة المهداوي رغم سخريتها وتملقها، تحدياً صريحاً، ومازالت تتحدى كل المحاكم التي أنشأتها الحكومات والأحزاب منذ سقوطها حتى الآن، بعلنيتها وبحرية المتهم في ان يقول شيئاً في بث تلفزيوني مباشر[21]

ويشهد متهمون كالدكتور تحسين معلة وغيرهم بأن التحقيق الذي سبق المحاكمة جرى دون ضغط أو تعذيب جسدي لكن السلطات بعد محكمة الشعب قتلت عشرات آلاف السياسيين بسبب الرأي واشتغلت بالتهريب والقتل والسموم وتذويب رجال الفكر والإعلام والسياسة بأحواض الأسيد.

في وزارة الدفاع

ويشهد كل شهود العيان الذين وردت شهاداتهم في رسائل ومذكرات منشورة داخل وخارج العراق ان المهداوي وقف في ٨ شباط داخل وزارة الدفاع ضد الاستسلام، ومع القتال حتى الموت. وبأنه كان حراً بداره عندما اتصل به ممثلو الحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد طالبين إليه مرافقتهم إلى كردستان للخلاص بنفسه وبعائلته، وكان حينها قد سمع البيان رقم ٥ الذي يطالبه بالتسليم. "عفط" وقال: "سنقود المقاومة" فردت زوجته "ان الأكراد سيغادرون إلى الشمال فلماذا لا نذهب معهم". فنهرها قائلا:" لن اهرب ولن يقول أحد عني جبان"، واتجه صوب الدفاع مع ابنه النائب ضابط صادق وأخيه النائب ضابط عبد الجبار إلى حيث يحاصر قاسم، فدخل الحصار بإرادته، وقاتل وقتل هو وابنه وأخوه في معركة كان بإمكانه الانسحاب أو الهرب منها كأحمد صالح العبدي وسعيد مطر ومحسن الرفيعي والعزاوي وعشرات غيرهم ويقول يونس الطائي "لم تكن معنويات المهداوي خلال حصار وزارة الدفاع ضعيفة وكان قاسم قد صالحنا أنا وهو وكانت بيننا خصومة، كما لم تبدُ على عبد الكريم قاسم ولا على أي من رجاله مظاهر الخوف". ويقول ابنه منوَّر المهداوي ان والده كان يعرف انه مقتول وانه سيترك عائلته بلا معيل وان "دار سكننا لم تكن ملك لوالدي بل ورثتها أمي عن زوجها السابق. ولم نرث منه غير مكتبة كبيرة متميزة ومتنوعة فكان محبا للأدب وصديقا للجواهري الكبير ولعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وكاظم السماوي". وقال "أذكر ان محمود البريكان جاءنا بعد مقتل والدي وطلب إعارته بعض الكتب النادرة"[22].

وأكد الشاعران كاظم السماوي ومظفر النواب ان المهداوي كان ابن بلد يعكس بتصرفاته روح ابن المحلة أكثر مما يعكس روح المسؤول العسكري.

ورغم ذلك لقبه غونتر في كتابه (العرب) قائلا "لقد استحق المهداوي لقب جزار بغداد" وسماه آخر بالغبي الجبان وكرر أياد ثابت وغيره نفس الأوصاف، في حين وصف أياد ثابت صداماً بمناسبة قمعه الانتفاضة آذار/شعبان ١٩٩١ بأنه "عادل وديمقراطي".

أما موقفه في الإذاعة فيضيف المقدم قاسم الجنابي الذي اقتيد معه في مدرعة هادي خماس إلى الإذاعة وحضر معه الحوار الذي سميّ محاكمة قائلا:" دخل علينا السادة احمد حسن البكر وعبد السلام عارف

وعبد الستار عبد اللطيف وعلي السعدي وعدد من الضباط (بينهم حازم وطالب بزي الضباط) وحدثت مشادة كلامية بين السعدي والمهداوي، قال السعدي للمهداوي: ولك اشسويت بالبلد. أجابه المهداوي: إطْلَعْ ..آني احكي مع عبد السلام. فرد السعدي: إنچب (إخرسْ) وإلا قتلتك[23]. وكانت تلك كما هو واضح مشادة وليس تخضعا.

وبعد كل ذلك كتب كثيرون عن مقتل قاسم وسيرة سلطته تحت سقف سلطة معادية لنظامه، فخاضوا في تفاصيل ليس لها وجود، وأضاف بعضهم مشاهد درامية انفردوا بها دون غيرهم، وسعوا في رواياتهم لاستكمال التشويق لعلمهم انهم يتحدثون عن شخصيات مثيرة سيتوارث الناس ذكراها لفترة طويلة. وبلغت الجرأة عند بعضهم مثل محمود شيت خطاب الذي لم يكن موجودا في مشهد الحوار الأخير ان يدعي كذباً انه شاهد عيان وينفرد بتفاصيل مسيئة وغير صحيحة وهو يعرف إنها غير صحيحة!! وفعل مثله كثيرون من المتملقين والضعفاء. وقد تأكدت بعد تنقيب وبحث أن جميع الذين كتبوا لحد الآن عن مشهد محاكمة قاسم وجماعته الأخير، لم يكونوا حاضرين في ذلك المشهد، بل نقل أحدهم عن الآخر دون تدقيق وقال عن نفسه أنه شاهد عيان. لكن التاريخ كعادته دار دورته وبدأ التنقيب المحايد. وأستطيع ان أؤكد ان الكُتّاب في هذه القضية كانوا حتى فترة قصيرة شهود اتهام متحيزون، عدا حسن العلوي من العراقيين، ونسبياً حنا بطاطو من خارجهم.

ملحق رقم ٣
المقاومة المدنية والعسكرية

يبدو أن الأرقام التي يعطيها شبيب تخص فقط معركة وزارة الدفاع لأن استعراضاً بسيطاً للأسماء والصدامات التي دارت في بغداد وضواحيها تؤكد سقوط ضحايا من الطرفين أكثر بكثير. وإذا أخذنا "الكاظمية" نموذجاً، واستناداً إلى ستار الباير وعمرو آل ياسين وإبراهيم الموسوي وهاشم الياسري وعدد من الشيوعيين الذين عاشوا تجربتها سنجد بأن النتائج مختلفة... .

فالبعث قرر قبل ٨ شباط تنشيط تنظيماته بأعمال الإضراب وتوزيع البيانات وغيرها من النشاطات لإحراج وإرباك نظام قاسم وإظهاره غير قادر على ضبط الوضع، وأيضاً لإبقاء تنظيمه في حالة تأهب وجاهزية يقظة استعداداً للمساهمة بخطة إسقاط النظام. وقد غذت جريدة الحزب السرية "وعي الطليعة" المعنويات وحثت على تحضير المستلزمات كالسيارات والدراجات والأسلحة الخفيفة. وتبلغ الأعضاء الحزبيين بالتواجد كل يوم جمعة قرب المذياع أو في أمكنة محددة تسمح بمساهمتهم الفعالة حال سماع نبأ هام، وكانت ساحة الزهراء التي تعتبر مفتاح المدينة أحد أمكنة التجمع التي يحضر إليها بعض البعثيين صباح كل جمعة.

ولم يكن تنظيم حزب البعث في "الكاظمية" ضعيفاً، بل ضم حوالي ٦٠ عضواً ونصيراً، يحف بهم عدد كبير من المؤيدين ، ويقف على رأسه حمزة الباهلي الذي منحته الحركة رتبة ملازم، لكنه جرح صباح ٨ شباط ونقل إلى البيت في العطيفية لعلاجه، لعله بيت صباح محمد علي أو بيت هاشم زيدان. وكان من بين أعضاء الحزب الذين حضروا: مدحت محمد جميل ومعز الخطيب وعبد الرزاق لفته ومحي الخطيب وإبراهيم الموسوي وسهيل السهيل وعمرو آل ياسين وعبد الحسين مسلم وهادي الرياحي وستار الباير وسعدي أصلان وأحمد شبوط وزهير الدوري وهاشم الياسري وحسين ونوري الزكم وإبراهيم التميمي ورياض القيسي وهاشم زيدان وسمير الكتبي ووليد الخشالي وحكمت الطائي وعدنان الإدلبي وسعيد العبد الله وسعدي طعمة الجبوري (ملازم متقاعد) وعبدو الخالصي وصباح رحيم وقاسم حسن وعبد الرضا القصاب. ومع توسط النهار تزايد عدد الملتحقين والمستعدين لحمل السلاح.

ورغم ذلك كله كان عدد الشيوعيين أكبر بما لا يقاس، إذ طبعوا المدينة بطابعهم إلى درجة أن مفارزهم في مناطق أخرى من بغداد كانت تطلق سراح المشتبه بهم إذا صرحوا أنهم من أبناء "الكاظمية"، فكل "كظماوي وطني أو ديمقراطي!!" . ولم تكن حركة ٨ شباط مفاجئة جداً للشيوعيين لذلك تمكنوا من تنظيم صفوفهم بسرعة بقيادة عضو سكرتارية الحزب هادي هاشم الأعظمي والمقدم المتقاعد عضو اللجنة العسكرية خزعل علي السعدي وحمدي أيوب العاني عضو منظمة بغداد، فبسطوا سيطرتهم على مركز القضاء بكاملة وأغلقوا مداخل المدينة ومخارجها القريبة والبعيدة كجهة مفرق معسكر الوشاش عند منطقة مطار المثنى المدني، بعد أن احتلوا مديرية الشرطة والقائمقامية وشرطة النجدة وأمانة العاصمة وكافة

المؤسسات، حتى المساجد اتخذت كمراكز لبلاغاتـــهم وندائاتـــهم، ووزعوا الأسلحة الخفيفـــة، وظـــهر رجالهم يربطون على أذرعهم قطعة قماش بيضاء كتب عليها (م ش ـــ أي مقاومة شـــعبية) ومســـلحين ببنادق ومحاريث وحديد وخشب وسكاكين وبينـــهم نساء عرفن بحماسهن مثل بنات الجرجفجي وزهـــرة الوردي التي صعدت إلى منارة جامع " الدروازة" وأخذت تحرض الجمهور وتدعو للمقاومة، وغيرهن.

ودارت بينـــهم وبين الشرطة معارك أهمها معركة النجدة التي استمرت أربع ساعات وانتـــهت بقتلـى بينـــهم ثلاثة شرطة وأربعين جريحاً واحتراق جميع مكاتب وآليات المركز، لذلك كافأت قيـــادة الحركـــة قائد شرطة الكاظمية محمد أمين محمود على مقاومتـــه بترفيعه إلى رتبة عميد وتعيينـــــه مديـــراً عامـــاً لشرطة العراق.

أما البعثيون فقد احتلوا مركز شرطة الباغات في العطيفية والذي تحول إلى مقـــر للحـــرس القومـــي، ومنـــه سيّروا دوريات للرصد ولحراسة الجسر الحديدي الرابط بين كرخ ورصافة بغداد. كمـــا رافقـــوا القطعات العسكرية كأدلاء هدفهم التقليل من خسائر الجيش والمدنيين واضطروا أكثر من مرة إلى إفـــهام الضباط المغيرين بأن "الكاظمية مدينة عربية مقدسة، فيها شيوعيون كثيرون وبعثيون وقوميون وإســـلاميون من جماعة الخالصي وغيرهم ولذلك يجب التمييز بين المعادين للثورة وبين المواطنين الآخرين".

ومنذ فجر ٩ شباط توجه الرتل العسكري المؤلف من دبابات ومدرعات من اللواء الثامن بقيـادة داود الجنابي وتألف من الكتيبتين الأولى والثانية عدا سرية واحدة ذهبت للمســـاهمة في حراســـة الإذاعـــة في الصالحية (مقر قيادة الثورة)، والكتيبة الثالثة التي بقيت مع القوات التي تحـــاصر وزارة الدفـــاع. توجـــه الرتل إلى ساحة عبد المحسن الكاظمي فوجدها خالية يتصاعد الدخان من أبنيتـــها لا سيما مركز النجـــدة ولم تكن هناك مقاومة غير إطلاقات متفرقة صدرت عن بعض المنازل. بعدها تحـــرك إلى ســـاحة الزهـــراء فكانت خالية أيضاً إلا من إطلاقات متفرقة تصدر عن مقاومين من بعض أسطح المنازل، فاتخذت القـــوات مواقعها ووجهت مدافعها باتجاه مداخل أحياء المدينة السكنية وانتشر الجنود المدججون بالســـلاح علـــى أسطح الأبنية للساحة الرئيسية، في حين انسحب الشيوعيون ليتحصنوا في الأعدادية وفي مركز الشـــرطة ، وقد قرروا القتال رغم التحذيرات المتكررة الصادرة عن آمر القوة العسكرية بواسطة المايكروفون ، تلـــك التحذيرات التي اختلطت مع نداءات إذاعة بغداد وأصوات القصف المدفعي والجوي الآتيـــة مـــن وزارة الدفاع القريبة.

وقد أثبتت التحقيقات فيما بعد أن عدداً من المقاومين انسحبوا إلى حيث يـــأمنون، لكـــن الأكثريـــة دخلـــوا في مواجهة غير متكافئة كان مسرحها مدرسة الأعدادية ومركز الشرطة، ومصلحة نقل الركـــاب (الأمانة) وتقابل المتقاتلين أحياناً وجهاً لوجه، وسرعان ما فرضت نوعية الأســـلحة والدبابـــات نفســـها لتنتـــهي المعركة بمقتل أكثر من عشرة شيوعيين عند " تانكي " الماء كما سقط من القوة المهاجمة داخـــل ساحة المدرسة رئيس عرفاء وعدد من الجرحى بينـــهم الملازم" ثابت الآلوسي" فضلاً عن قتلـــى مدنيـــين محايدين مثل الحاج صادق القهوجي وإمرأة عمياء لم تكن قادرة على تصور طبيعة ما يحدث.

وعلى إثر ذلك انسحب الشيوعيون إلى الأحياء الشعبية القديمة كالفضوة والبحية والقطانة والمحيط وأم النومي التي كانت أساساً معاقل قوية لهم. وبالمقابل تقدم الجيش إلى "باب الدروازة" ليقترب منـــهم ويوجه

مدافعه وهاوناتـــه إلى معاقلهم، وقد ردّ فعلاً على إطلاقات الكلاشنكوف بقذائف من مدافعه ممـا أدى إلى سقوط قتلى وخسائر أخرى، وذلك أدى إلى اعتراض البعثيين المرافقين على ضـرب الأحيـاء لاحتمـال سقوط أبرياء.

وكان رد الضباط : " والله نحن عسكريين وننفذ الأوامر بحذافيرها" . وفي هذا السياق حصلت مشـادة كلامية حادة بين مدحت محمد جميل وأحد الضباط (وربما كان المقدم صدّيق عبد العزيز) عندمـا أبلغـه قائلاً: "نحن مبلغون بالرد على الكلاشنكوف بقذائف المدفعية". فأصر مدحت على موقفه وأقنع قائد القـوة بأهمية عدم تعريض المدنيين للإصابة ، فأمر بوقف قصف المناطق الشعبية المكتظة.

وفي اليوم التالي توغلت القوات داخل الأحياء الشعبية حيث رفعت الأعلام البيضاء، وجرت اعتقالات غير منظمة للمواطنين أثبت التحقيق عدم صلتـهم بالمقاومة وأطلق سراحهم ولكن بعد قضاء فترة طويلـة ينتظرون دورهم في التحقيق، كما ارتكبت القوة خطأً كبيراً عندما أقـامت محاكمـات صوريـة فوريـة فحكمت بالموت على عدد من المقاومين بينـهم أحد الزعماء الشعبيين " سعيد متروك" الذي نفذ بـه الحكم عند سياج أعدادية الشعب في المحيط، وكان هذا الرجل يمتلك جاذبية وشعبية وشـجاعة اضطـر بسببـها إلى المساهمة في المقاومة متصوراً أنـه يدافع عن أهله ومدينتـه ولم يكن شـيوعياً بـل قاسميـاً متعاطفاً.

سقط في تلك المعارك عدد من الشيوعيين المحليين مثل عبد الأمير الحائك وإبراهيـم الحكـاك ونـاظم جودي وعلي عبد الله الذي كان قائداً لفيلق المقاومة الشعبية، ومحمد الوردي، وقتل رئيس نقابة المعلمـين في باب مركز الباغات بإطلاق الرصاص عليه ودامت المقاومة ثلاثة أيام وثلاث ليال ولم يهدأ الوضع حـتى صباح ١١ شباط ، لكن الاعتقالات استمرت وتحول نادي قريش إلى مركز مشهورٍ للتحقيق يثـير أسمـه الرعب في قلوب الناس.

وعندما انصرمت الأيام الأولى العصيبة عاد الشبان البعثيون مرهقين من السهر والتوتـر إلى منـازلهم ليواجهوا عبئاً مريراً من أولياء أمورهم الذين ينظرون إلى تلك المصادمات على أنـها ستؤدي إلى إضعـاف المجتمع المدني العراقي. أما الشيوعيون فقد قاتلوا خلالها وكأنـهم يدافعون عن مطلق وجودهم وعن آخـر أيامهم!!

وفي هذا السياق اتـهم الشيوعيون والقاسميون جماعة الخالصي بالتعاون مع السلطة الجديدة ضد أهالي المدينة، فرد الشيخ مهدي الخالصي قائلاً: " في ٨ شباط ركز الشيوعيون على الكاظمية لمنع حركة القوات القادمة من التاجي تجاه وزارة الدفاع" وقال" قتل الشيوعيون من جماعتنا بينـهم عبـاس حـاج حنظـل وحسن السعدي، مما اضطر الشيخ محمد الخالصي إلى الخروج إلى الصحن الشريف واحتلاله".

مراجع :

[1] مقابلة مع يوس الطائي ١٩٩٥ دمشق- السيدة زيب، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
[2] رسالة مں طاهر يحيى التكريتي إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط.
[3] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥، دمشق، بحضور الدكتور أحمد الموسوي.
[4] يونس الطائي، مقابلة، مصدر سابق .
[5] قاسم الجنابي رسالة لخليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، مصدر سابق، ص ٤٠٦ .
[6] رسالة من الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا إلى خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، (السقوط) ص٤١١.
[7] مقابلة مع يونس الطائي دمشق ١٩٩٥.
[8] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص٤١٤
[9] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز اللغز المحير، السقوط ص٤٠٨
[10] محمد حديد، مقابلة، ١٩٩٨، بريطانيا.
[11] عبد الستار الدوري، مقابلة، لندن، ١٩٩٨، في دار الأستاذ نوري البحراني.
[12] أورد الأستاذ عبد المنعم الخطيب هذه المحادثة ليدلل على قلة ثقة الشعب العراقي بحكوماته وبياناتها، وقد أجرى الحوار بينه وبين عبد السلام عارف خلال زيارة الأخير رسمياً إلى الهند.
[13] جريدة الوقائع العراقية ١٥ شباط ١٩٦٣.
[14] محمد حديد، مقابلة، لندن، ١٩٩٨.
[15] مقابلة مع مجيد الحاج حمود في لندن ١٩٩٨.
[16] د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد، لندن، ١٩٩٦.
[17] صبحي عبد الحميد، ص١٩١.
[18] منور المهداوي، مقابلة، ١٩٩٣، برلين.
[19] كاظم السماوي، مدير الإذاعة والتلفزيون في عهد قاسم، مقابلة بدمشق ١٩٩٥.
[20] منور المهداوي، مقابلة، برلين ١٩٩٣.
[21] مقابلة مع تحسين معلة دمشق ١٩٩٥.
[22] مقابلة مع منور المهداوي، برلين، ١٩٩٣ .
[23] قاسم الجنابي، رسالة إلى خليل إبراهيم حسين – موسوعة ١٤ تموز –عبد الكريم قاسم، السقوط ص٤٠٦.

بين رغبة التعددية وسلطة الحزب الواحد

سؤال : ما هو شكل نظام الحكم البديل، أو شكل الممارسة السياسية الذي كنتم قد هيأتم لبنائه بعد وصولكم إلى السلطة؟

طالب الشبيب: لم يتبادر إلى ذهن قيادة حزب البعث في العراق، قبل استلام السلطة، أن نفرد في الحكم. بل اتجه التفكير باستمرار إلى أهمية مشاركة القوى الوطنية التي لم تدخل معنا صراع جذري في الإدارة والحكم. وأعطينا الموافقة مباشرةً فور الفوز بالسلطة لكل صحفي تيار سياسي تقدم بطلب نظامي لإصدار جريدة. فقد جاءنا في اليوم الثالث للثورة وزير إرشاد الدكتور مسارع الراوي يحمل ثلاثين طلباً لإصدار صحف، فناقشنا الأمر في مجلس يادة الثورة وقررنا ان كل صحيفة لا تعادي الثورة تجاز. فصدرت ثلاثين صحيفة متعددة لتوجهات والانتماءات في بغداد.

ومنذ البداية حاولنا إشراك جميع الأحزاب السياسية في كافة المجالات، فتمثل في الوزارة لحزب الوطني الديمقراطي بشخص الأستاذ حسين جميل، وعن الحزب الديمقراطي الكردستاني ابا علي وفؤاد عارف، ومن القوميين شكري صالح زكي وناجي طالب.

وجميع هؤلاء تعاونوا معنا، وصاغ حسين جميل بقلمه وبتكليف من حازم جواد قانون المجلس الوطني لقيادة الثورة بعد أن وضعنا خطوطه العامة واقره المجلس الوطني بعد خمسة أيام من الثورة، وساعدنا حسين جميل في المفاوضات مع الملا مصطفى البرزاني. كما أشركنا ممثلي الأحزاب المذكورين حتى قبل المفاوضات مع الهيئات التي يمثلونها. وتم تعيين شخصيات كثيرة غير بعثية في اخطر مناصب الدولة. وتقدمت شخصياً باقتراح تأسيس أحزاب للمعارضة تجاز علناً، وأيدني كثيرون وكانت حجتنا هي ضرورة إخراج الأحزاب من حياتها السياسية السرية إلى العلنية والانفتاح للتخلص من أمراض العمل السري الذي غالباً ما يشكل غطاءً لارتكاب المعاصي والأخطاء ويجعل نمو الشخصيات ممتنعاً.

ومنذ البداية حرصنا على ضم الأشخاص المنتمين لجمعيات وأحزاب أخرى إلى التشكيلات الحكومية، وضمهم للوفود الرسمية والشعبية، وبين أولئك ممثلي الحزب الديمقراطي الكردستاني

وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب والنقابيين المعروفين بغض النظر عن انتماءاتهم، وكان الأمل يحدونا لإقامة جبهة داخلية متينة وعريضة.

وفي الشهر الأول للثورة ظهرت فكرة ممتازة كادت أن تؤدي إلى إعلان تأسيس مجلس استشاري لعموم البلاد، يكون فيه لحزب البعث دور مميز، دون الحاجة لجعل البعثيين أغلبية مطلقة فيه. ويساهم في المجلس جميع شرائح المجتمع، المثقفون والعلماء والفنيون وممثلو المنظمات الشعبية والمهنية. وان تعرض على أعضائه الذين يجتمعون دورياً مشاريع القوانين والميزانية قبل تحويلها إلى المجلس الوطني لإقرارها.

وفعلاً وضعنا قوائم بأسماء ٢٠٠ شخصية معروفة، تضمنت ابرز الأشخاص وأكثرهم شهرة في مجالاتهم الخاصة وبين الأوساط الاجتماعية والثقافية.

إن الدافع الحقيقي وراء فكرة توسيع المشاركة السياسية، هو مبدأ سابق اتفقنا عليه قبل الثورة وهو تجنب خطأ السلطة القاتل في اللجوء إلى الفردية. وبدلاً منه العودة إلى المجتمع بطريقة مناسبة لظروفنا واستشارته في نوع وطريقة إنجاز المشاريع الوطنية والقومية. لكن هذه الفكرة لم ترَ النور بسبب ترجيح أصحاب الجملة الثورية المزايدة لفكرة الانفراد الكلي بالسلطة بحجة الحاجة إلى وقت يكفي لتهيئة البلاد للدخول بمشاريع توسيع المشاركة السياسية سواء كان مجلساً استشارياً مدنياً أم برلماناً.

وقد أدى قرار الانفراد بالسلطة إلى تأخر حزب البعث قومياً عن القيام بأية تجربة ائتلافية أو ديمقراطية دستورية حتى قيام حركة ١٦ تشرين الثاني بسوريا حينما تأسست جبهة وطنية ومجلساً للشعب وشكل من أشكال المجالس المحلية أو البلدية.

لكنني أؤكد إننا كبعثيين لم نفكر منذ البداية بإقامة حكم الحزب الواحد أو بحرمان الناس حرياتهم، ولا بفكرة مسبقة معادية لبقية الحركات أو لإلغائها، لكن ذلك لم يمنع التأثير الكبير الزاحف إلى جسد الحزب من الموجة الاشتراكية العالمية على شكل إجراءات ظهرت لأول مرة عملياً داخل الحزب والدولة العراقية بعد تغيير منصب علي صالح السعدي من وزارة الداخلية إلى وزارة الإرشاد، فقرر بصورة مفاجئة ودون إخطار القيادة تقليص حرية الصحافة، وطلب من جميع أصحاب الصحف تقديم طلبات جديدة لإصدار صحفهم، ولم يوافق إلا على ثلاث منها، اثنتين حكوميتين وواحدة مدعومة من الحكومة وهي جريدة العراق ويصدرها

(الفكيكي). ومنذ تلك اللحظة بدأت المسيرة الرسمية للدكتاتورية وحاول كثيرون الترويج لها[1].

وأذكر مرة طرحت على مجلس قيادة الثورة أهمية خروج الحزب للعلن، خصوصاً وان كوادره وقادته يمارسون السلطة ويتقلدون المناصب الرسمية. فعارضني الجميع ما عدا حازم جواد، ولا ادري إذا كان حازم جواد قد فعل ذلك مداراة أم بقناعة.

قلت حينها ان العراق يحكمه تشريعياً مجلس قيادة الثورة وهو مؤسسة سرية أعضاءها غير معلنين وغير منتخبين، وتوجهه قيادة حزبية أعضاؤها أيضاً غير معلنين ويقودون حزباً سرياً، كما ان بعض كوادرنا يطالبون مجلس الثورة بسن قوانين سرية خاصة. و لم يبقَ سوى ان ننصب خيمة نغطي بها العراق كله ونعتبره بلداً سرياً بكل معالمه[2].

---

١ ــ يأتي حديث شبيب هذا صحيحاً من الناحية النظرية، وربما يعكس في بعض جوانبه رغبة السيد شبيب الشخصية في إقامة نظام مدني. لكننا لا نملك دليلاً على أن أعضاء الكتلة المنافسة لعلي صالح السعدي، عسكريين ومدنيين، كانت تزعجهم فكرة الانفراد بالسلطة. فلم تكن أحزاب البعث والشيوعي أو الحركة تعطي للبرلمان أهمية. فجميع القوى كانت حينذاك ترى انها قادرة على إنجاز آمال الأمة العربية والعراق دون الحاجة إلى البرلمان. ورغم انها كانت تدفع رجالها للمساهمة في الانتخابات البرلمانية أينما أتيحت الفرصة، لكنها لم تفكر إطلاقاً في تنفيذ خططها الكبرى بواسطة البرلمان، وإنما بحسم معركتهم بانقلاب يتم بسرعة ووضع السلطة تحت تصرفهم لتحقيق أمانيهم الثورية.
أما رغبة شبيب في التعددية فتعود لرأيه الشخصي، وقد عبر عنها السفير البريطاني في بغداد في برقية أرسلها إلى دولته بعد أيام من ٨ شباط ٦٣ يقول فيها :"وزير الشؤون الخارجية (طالب شبيب)، رجل شاب في حوالي الثلاثين، ويتكلم إنكليزية رائعة، حصل على شهادة الهندسة من جامعة لندن، واخبرني انه متزوج من زوجة إنكليزية. وكان مضطرباً ولكن ودياً. في جوابه على أسئلتي أوضح ان الوزارة ورئيس الجمهورية كليهما مسؤولان أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة. وان هذا المجلس يتكون من مجموعة من الضباط والمدنيين، وسوف يكون موجوداً إلى أن يستبدل بأسرع ما يمكن بمجموعة تشريعية منتخبة كما ينبغي. وقد أكد على انها ليس (اكرر ليس) مجلساً عسكرياً . . . وان أهمية كلمة مؤقت في عنوان رئيس الجمهورية، لإظهار انه لن تكون هناك دكتاتورية رجل واحد، ومن المفترض انه عنى بأن تعيين عارف رهن بتأكيد نهائي. . . "[1].

٢ ــ كان البعثيون في العراق وهم على رأس السلطة في ١٩٦٣، ثواراً يحكمون، وليسوا حكاماً ثائرين، وفي ذلك يكمن سر توترهم، وسر شدة ردود أفعالهم وعدم رويتهم حتى في تناول خلافاتهم. وكل واحد منهم نار ثائرة يتصور ان العالم سيتغير على يديه. ولذلك طرح محمد زكي يونس رئيس مكتب العمال القطري وهو من فلسطينيي العراق اقتراحاً للمؤتمر القطري الرابع المنعقد بأيلول ٦٣ فكرة تبني قانون سري يمنح العمال والفلاحين حصانة ضد القوانين المرعية. فوقف حسن الحاج وادي العطية وهو حقوقي وقال: ان أحد أركان القانون هو نشره حتى يصبح حجة على المخالف[2].

وعندما طالب أحدهم مناقشة الاقتراح أو الاقتراع عليه، رد عليه آخرون بأن العمال والفلاحين هم أكثرية أبناء الشعب وإذا اكتسبوا حصانة فلماذا نحتاج إلى قوانين. ورغم ان اقتراح سن قوانين سرية في ١٩٦٣ يعدُّ أمراً شاذاً، لكنه لم يطو إلى الأبد، بل يعرف كل المطلعين ان الحكومة العراقية الحاضرة يجري تسييرها بقوانين علنية وأخرى سرية تسوزع على مستوى معين من المسؤولين على شكل "تعليمات" لا يعرفها الا الأتباع والمقربون، لتجعل تصرف مستوى معين من الموظفين الحزبيين متماثلاً إلى درجة مخيفة بالنسبة لكل شخص موجود خارج منظمة السلطة السرية. ويحدثنا كنعان
←

وكانت لرغبة السرية أسباب كثيرة منـــها حاجة الأقلية السياسية للاستـــمرار في الحكـــم. ولابد إذن من علل وأسباب تساعدها في تبرير استمرارها على رأس السلطة، منـــــها التعلـــل بوجود أعداء داخليين وخارجيين يتآمرون على سلامة الثورة، وأخرى تتعلق بـــــبريق الموجـــة الثورية اليسارية العالمية التي بدأت تزحف على المنطقة وهي بدورها تنظر إلى البرلمان على انـــــه أسلوب غير ثوري في ممارسة الحرية والتقدم.

وفي وسط تلك الدوامة والقصور الشديد واجهت قيادة الحزب مهمات خطيرة مثل محادثات الوحدة الثلاثية، وظهور خلافات غير متوقعة مع قيادة جمال عبد الناصر الذي رفع شـــعارات ثورية مستمدة من طريقة الحكم الديكتاتورية التي تمارسها مجموعة الدول الاشتراكية. فتصـــاعد الجدل النظري بين البعث وعبد الناصر حول شكل الممارسة الديمقراطية للبلاد في المســـتقبل، ثم الحوارات البعثية – البعثية بين سوريا والعراق.

تلك المشاكل أبرزت صعوبات كبيرة، تضخمت أكثر خلال ممارسة السلطة، وترتبت عليـها انقسامات داخلية وأشكال التحالفات القادمة. ولأسباب كثيرة تمكن أحد طرفي النـــزاع مـــن كسب الصراع داخل المؤتمر القطري وانتخاب ممثلين يؤيدون تيار علي صالح السعدي إلى المؤتمر القومي السادس الذي سيعقد قريباً. وعند انعقاد المؤتمر التقى العراقيون بمجموعة سورية علـــى رأسها صلاح جديد فتعاونا على دفع المؤتمر لتبني أفكار جديدة لم تنص عليها لوائـــح الحـــزب ودستوره السابق.

خرج المؤتمر بصيغة فكرية جديدة تختلف تماماً عن الأفكار التي نشأنا عليها. فقد انتمينـــا إلى حزب يأمل في إقامة حياة سياسية برلمانية حرة، ويؤمن بحق الملكية الخاصـــة وبحريـــة التجمـــع والرأي والنشر وتعدد الأحزاب. ففوجئنا بتغيير دستور الحزب في ظرف أيام وبدون مقدمات.

استيقظنا فجأة لنجد أنفسنا أمام مهمة جديدة هي تثقيف الجهاز الحزبي فوراً لنظرية حكـــم الحزب الواحد ولكن تحت شعار مستعار من الأدب السياسي الســـــوفيتي هـــو (الديمقراطيـــة الشعبية). وخطورة الأمر انـــه لم يكن تنظيراً جديداً وتغييراً على مستوى الأفكار وحسب، بل أفكار للتطبيق لأن الحزب كان حاكماً في اخطر بلدين عربيين هما سوريا والعـــراق. وبســـبب

مكية[3] في جمهورية الخوف بأن " قيادة الحزب الحاكم في العراق أصدرت عام ١٩٧٧ قانوناً يعطيها الحق في اصـــدار قوانين سرية. ويمكن في هذا الشأن العودة للقانون ٧٨ سنة ١٩٧٧ رقم ٢٧ الصادر في ٦ تموز بجريدة الوقائع العراقيـــة العدد ١٩٧٩/١٤ . لكن مكية يقول: ان هذا العدد من الوقائع لا يمكن الحصول عليه للأشخاص العـــاديين بســـبب سرية القرارات المنشورة فيه، إذ ظل مقتصراً على الإدارات الخاصة.

ذلك دخلنا في خلافات حول مسائل لم نكن قد هيأنا أنفسنا وجهازنا لها، و لم نخطط أو ننفـــذ أي شيء عملي في سبيلها.

كان عبد الناصر أيضاً يقول ويتبنى نفس الأفكار التي اقرها المؤتمر السادس. وكان الأجدر ان نطور مفاهيمنا الخاصة للديمقراطية والمشاركة السياسية ونقدم نموذجاً مفيداً لنا وملفتاً لنظر عبـد الناصر لكي لا يذهب بعيداً في فرديتـــه المتنامية. وهكذا عكسنا الأمر وبدلاً من الديمقراطيــــة ظهرنا وكأننا نخطط للدكتاتورية رغم أننا كنا خارجين تواً من صراع دمـــــوي ضـد نظــام اتـــهمناه بالدكتاتورية، وملأنا الدنيا صراخاً حول حرية الرأي وحرية الصحافة والأحــــزاب. وكان من السهل على المواطن البسيط ان يقارن بين فعلنا الحاضر، وما كنا نتحدث بــه قبـــل اشهر أو أسابيع، أيام عبد الكريم قاسم.

لقد تنبـــهنا لخطورة هذا الأمر، رغم ان موجة الرفض اليساري العاصفة اجتاحت حينـــذاك كل شيء، وتحولت بتشجيع من بعض القادة إلى مجرد مزايدة فوضوية ومضرة. فبقلـــم ياســين الحافظ كتب دستور جديد اقره المؤتمر وكان دستوراً للمعارضة وليس للحكم والقيادة والتنميـة والبناء، وشكل غطاء للسرية وللشخصيات القاصرة التي لا تمتلك مؤهلات للتعامل المباشر مـــع الجماهير. وتلك الغوامض لعبت دوراً أكثر سلبية وأكثر سوءً مع نظام (البكر – صدام) منذ عام ١٩٦٨ والتي تجسدت بوجود منظمات سرية يقودها قادة الدولة ووزراؤها لقتـــل وملاحقــة الخصوم السياسيين في الحارات والطرقات وليس داخل المؤسسات الشرعية والمحاكم، فحكمـــوا بلاداً لم يعرف شعبـــها لحد الآن آلية تكوين القرار السياسي في بلادهم، رغم معرفتـــهم بآلية تطبيقه التي غالباً ما تتم سراً بكواتم الصوت والاغتيال والغدر المتنوع الأشكال.

وهكذا وبين ليلة وضحاها أصبح دستور الحزب يقنن عقائدياً لسلطة الحزب الواحد. وبدأنا نسمع حرفياً الصيغة الستالينية الواردة من الاتحاد السوفيتي، وهي صيغة سياسية تخفي نـــزوعاً شديداً للديكتاتورية والفردية. وحينذاك كان الجميع، بعثيون وشيوعيون وناصريون مـــأخوذين بالشعارات المتطرفة وبدعاية النجاحات المظهرية السوفيتية المزعومة. فكانت موجة متحمســة لم تعط لنفسها الفرصة لرؤية وتقدير قوة الرأسمالية العالمية كنظام اقتصادي قوي ومتجدد.

لقد لعب ياسين الحافظ وعلي صالح السعدي وصلاح جديد وآخرون، كـــل بطريقتـــه الخاصة، دوراً في بث تطرف وحماس غامض، وأرادوا تلقين القواعد الحزبية مفاهيم جديـــدة لم يسبق ان تعرفوا عليها، فكانوا يقرأون الشيء ويحاولون تقنينـــه وتطبيقه بواسطة السلطة الـــتي يمسكون بـــها في اليوم التالي، فوصلت الهواجس اليسارية عند بعضهم ان فســـروا الانقلابيـــة الواردة بدستور الحزب بأنـــها دعوة للانقلاب السياسي العنيف وغير التدريجي، رغم انـــه يعني

الانقلاب على الذات من اجل خلق إنسان جديد قادر على تحمل مسؤوليات التغيير الواقعي الذي سيحقق عبر المؤسسات الشعبية والدستورية الشرعية[1].

---

١ ـ هذا الأمر الذي يتحدث عنه شبيب لم يدم طويلاً إذ حصل انشقاق أساسي في الحزب مباشرة بعد المؤتمر القومي السادس ، وتم إخراج طرفي التطرف من الحزب اليمين واليسار، وبعد ذلك استعاض الحزب عن التدخل في الدستور وتغييره كلما تطلبت السياسة، بجعل مقررات الحزب القومية تلعب دوراً تنظيرياً بنفس درجة أهمية دستور الحزب، وقد لبى ذلك وبطريقة أكثر نجاعة الحاجات الفكرية لمواجهة المتغيرات المتسارعة بصورة افضل من الحالات السابقة وصار بإمكان البعثيين وبطريقة أكثر واقعية مراجعة أفكارهم بين مؤتمر وآخر. فما يبقى منها بغير مراجعة يعدُّ تراثاً ومرجعية، وما يجري أضافته وتعديله يُعدُّ حياة وحيوية جديدة مضافة. وبهذه الصورة تم إيجاد نهج يختلف عن العفلقية التي تخندقت وراء الدستور القديم مرعوبة من رياح التغيير، كما تم تجاوز الأفكار غير الناضجة للمعجبين باليسارية اللفظية.

هذا و لم تكن الخلافات داخل البعث في العراق تنظيمية وشكلية فقط، بل وحصلت مشاكل ذات طابع فكري أيضاً، لكن المواجهة بين الحرس القومي والجيش كانت قد غطت على صراعات كثيرة أخرى، وعلى سبيل المثال فقد عانى الحزب منذ نهاية ١٩٦١ من خلاف تجسد في تبلور خط يساري متطرف تحت اسم " الكادحين العرب" وذلك نتيجة لفصل عبد الاله البياتي وصفاء صادق وعبد الأمير الشريفي ومحمد الزيدي من الحزب وتجميد ١١ عضواً وفصل عدد من الأنصار ومعاقبة قحطان خلف الذي أظهر تأييداً لهذه المجموعة، بتهم مختلفة مثل : تخبطات ماركسية، ويسارية لفظية.

وكان قرار الفصل وراء تشكل مجموعات ليست قليلة من كوادر الحزب التي أخذت تتداول بطريقة سرية أفكاراً متطرفة قياساً بأطروحات البعث والحركات القومية الأخرى. ثم تدريجياً تطور أمرها ليصبح بعد استلام الحزب للسلطة في ٨ شباط ١٩٦٣ شكلاً تنظيمياً سرياً وقف على رأسه قيس السامرائي ووثاب السعدي ومحمد حسين رؤوف وحبيب الدوري وسعيد الرهيمي وطارق الدليمي (أبو زياد) وعبد الإله البياتي ومحي جاسم السامرائي وهناء الشيباني وعبد الجبار محسن وفالح عبد الجبار. وشنت حملة اعتقالات ضده في أيار ١٩٦٣ إثر اعتقال فالح عبد الجبار وجبار محسن ومعهما نشرة للتنظيم موقعة باسم " لفيف من اليساريين" وأدى ذلك إلى اعتقال قيس ووثاب ورؤوف والدوري والبياتي ومحي السامرائي من قبل قيادة الحرس القومي. وتضمنت النشرة نقد النظام فيما يتعلق بسياسة الملاحقة والتعذيب والسياسة الخارجية المتصادمة مع المعسكر الاشتراكي ونقد برنامج العمل الشعبي الذي ورد فيه "إن العمال والفلاحين حلفاء للثورة" فاعتبروا ذلك دليل على أن سلطة ٨ شباط ليست للعمال والفلاحين.

واستمرت فترة إنشاء تنظيم مستقل عن البعث حتى بعد سقوط سلطته في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وحينذاك تحول "الكادحين العرب" إلى "المنظمة العمالية الثورية" وانتمى إليها ونهض بها إضافة للسابقين: درع ظاهر السعد ومحمد عبد الطائي (الشهيد أبو يوسف) وعبد الحمداني (مسؤول البصرة، وقتل في عهد صدام حسين) ومحمود حياوي ومجيد السعيد وكامل مدحت وعبد الأمير معلة.

بعدها ذابت المنظمة العمالية تدريجياً في صفوف الحزب الشيوعي العراقي بصورة مقصودة واستوعبت القيادة المركزية أكثريتهم وبينهم فالح ووثاب وحازم النعيمي وصباح نعمو وحميد جمعة وسعيد الرهيمي، وتركهم محمد عبد الطائي إلى حزب البعث الذي لم يكن قد ابتعد عنه أساساً، بل كانت المرحلة نفسها قلقة بحث خلالها البعثيون عن سبيل لاستعادة رص صفوفهم بعد شعورهم بخيانة البكر وعماش وبعض كبار القادة العسكريين لمصلحة عبد السلام عارف.

وكان أكثر جماعة الكادحين قد جاؤوا من تنظيمات بغداد وتأثروا بقراءات ماركسية وتروتسكية، وبشكل خاص بآراء ميشيل بابلو الذي زار العراق وكان سكرتيراً للأممية الرابعة ومقرها في باريس .

مراجع:

[1] د. حامد البياتي، الوثائق السرية البريطانية، مرجع سابق.
[2] حسن وداي، مقابلة دمشق، صيف ١٩٩٥ .
[3] د. سمير الخليل (كنعان مكية)، جمهورية الخوف، بيروت لبنان ١٩٩٠.

من الداخلية إلى الإرشاد

تخلى علي صالح السعدي عن وزارة الداخلية فأضاف أعباؤها إلى جملة المهام الحكومية والحزبية التي اضطلع بها حازم جواد. وكان لذلك نتائج إيجابية محدودة، وأخرى سلبية كثيرة، كنا غافلين عنها، ولم ننتبه لها إلا بعد وقوعها.

واهم الجوانب الإيجابية كانت إيقاف منهج السعدي في إدارة متصرفيات الألوية، وتمكين حازم جواد الذي حل محله وزيراً للداخلية، من تعيين متصرفين جدد، تميزوا بقدرتهم على ضبط الشؤون الإدارية وإقامة علاقات معقولة بين السلطة والشعب.

أما الجوانب السلبية فكثيرة أهمها: إشغال حازم بمهام الداخلية، مما قلل من تركيزه على وزارته الأخرى، الأكثر خطورة " وزارة شؤون رئاسة الجمهورية" والتي كان يرصد ويوجه ويضبط من خلالها تصرفات وقرارات الرئيس عبد السلام محمد عارف، والحد من طموحه في مجالات كثيرة. كما اشغله عن دوره كأمين سر للحزب، ولم يكن أكثر البعثيين يعرفون حتى ذلك الحين أن حازم كان يدير اضافة لمهماته الوزارية، أمانة سر الحزب[1].

والسلبية الثانية: هي حصول السعدي بخروجه من الداخلية إلى وزارة الإرشاد على فرصة وفراغ اكبر خصصه للحرس القومي، لتمكينه من أن يحل بصورة شبه تامة محل منظمات الحزب.

والسلبية الثالثة: وتتعلق بتصورنا الخاطئ عن هامشية وزارة الإرشاد، فقدرنا أن إعطاءها للسعدي إضعافاً له. لكنه اخذ الفرصة ليفعل ما يشاء. ولم نتابع ما كان يجري في وزارته من ترتيبات وتدبيرات، ولا إلى ما يقوله ويفعله مع خاصته. وأصبحنا نسمع من الإذاعة والصحف أخبار زياراته للمحافظات وتصريحاته المثيرة، بعد أن يكون الأذى قد حصل

---

١ ــ كان هناك اتفاق داخل القيادة القطرية قبل حركة ٨ شباط ١٩٦٣ وهو إن كل قائد حزبي بدرجة عضو قيادة قطرية أو قومية، يتسلم منصباً وزارياً أو إدارياً رئيسياً في الدولة، عليه أن يتخلى عن مسؤولياته الحزبية الرئيسية، دون آن يتخلى عن عضويته في القيادة. وبما إن أمانة سر الحزب أعباؤها كثيرة، وان علي السعدي أصبح نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، فقد تخلى عنها إلى حازم جواد لقربه منه، وباعتباره العقل التنظيمي الثاني في مسيرة الحزب التنظيمية بعد سجن محسن الشيخ راضي، وبسبب ظروف ما بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. لكن علي السعدي ظل يتصرف بل ويمارس دور أمين سر الحزب. ولم يكن حازم عندما أسندت إليه سوى واحد من أهم اذرع علي صالح السعدي.

وبلغ مداه. وكنت كوزير للخارجية أتلقى شكاوى من دول عديدة بسبب تصريحاتـه العدائية غير المسؤولة ضدها. وذروة السوء حصلت عندما أطلق جمال عبد الناصر في خطابـه بمناسبة ٢٣ تموز ١٩٦٣ "عيد الوحدة المصرية السورية" علي صالح السعدي اسم (رجل الملذات)[١].

حينـها حاولنا التخفيف من غضب المصريين وغلواء علي السعدي، فطلبنا عـن طريق السفارة المصرية تخفيف الهجوم الإعلامي ضده. وانبريت أنا، بتشجيع من حازم جواد للدفـاع عنـه. فأرسلت على طارق عزيز الذي بدأ يكتب في جريدة الجمهورية مقالاً أسبوعياً بصفحة كاملة بإسم حديث الأربعاء، يحاكي فيه مقالة هيكل الأسبوعية الشهيرة (بصراحة) في الأهرام، ويعكس فيها وجهة نظر قيادة حزب البعث والحكومة العراقية في أحداث الساعة، وأمليت عليه مقالة بصفحة كاملة دفاعاً عن السعدي، ونفي ما أشيع أو نسب إليه من سلوك مبتذل والإشادة بتاريخه القيادي ودوره النضالي.

نشر المقال في اليوم التالي وأذيع نصه بالراديو، ولم يعلم السعدي إلا بعد أن قرأه، وقيل له إن طالب شبيب أملاه على طارق عزيز، فأتصل تلفونياً شاكراً وممتناً. ولابد أن أذكر إن ما دفعني لكتابة المقال هو الرغبة في منع السعدي من الدفاع عن نفسه بنفسـه، لأن دفاعـه حينـذاك سيتحول إلى هجوم، وسيذهب فيه بعيداً إلى عداوة اشد واكبر. ولكل فعل رد فعل اشد منـه،

---

١ ــ قيل الكثير عن تصرفات علي السعدي خلال زيارتـه مع عماش وطالب إلى القاهرة وزياراتـه الأخرى خـلال مباحثات الوحدة، وفي الحقيقـة، لم يكن في تصرفاتـه ما يستدعي مثل ذلك النقد. فقد كرر في القاهرة ما كان يقوم بمثله في بغداد. فيستغل كل الفرص الممكنة ليتخلص من الالتزامات الرسمية ويذهب للاجتماع بأصدقائه مـن الطلبـة العراقيين والعرب الدارسين في جامعة القاهرة ومجالستـهم في أماكنـهم ومرافقتـهم أحياناً إلى الهلتون أو الشـفيلد، ويدخل معهم في مناقشات مكشوفة يذيع خلالها ما يعتبره البعض أسراراً حكومية، ويستشهد بآراء عبد الناصر الواردة في المفاوضات المغلقة. خصوصاً آراءه المتعلقة بسياستـه تجاه الاتحاد السوفيتي وحركة القوميين العـرب والشـيوعيين ومستقبل العلاقات العراقية المصرية. وكانت المباحث المصرية تنقل لعبد الناصر يومياً آراء ومناقشات السعدي. لكـن ذلك لم يكن شائناً، أو مجالاً للابتزاز، ولا يصح بسببـه وصف السعدي بالتـهتك والزقاقية. واعتقد بأن وصف ناصر له برجل الملذات استـهدف حرقه سياسياً بين صفوف البعثيين والقوميين العرب، وكان بمثابة إشارة حضراء لمن يرغب استبعاده عن السلطة. واعتقد إن معركة سوريا والعراق بالنسبة لعبد الناصر تجيز له استخدام تلك الوسائل، لأنـها معركة لا حدود لخطرها، فأجاز استخدام وسائل غير مقبولة في معركة ليست عادية. أما علي السعدي نفسه فلم يكن رجل ملذات، بل شاب حيوي لا يجد حرجاً في ارتياد أماكن لم يعتد ارتيادها المسؤولون الحكوميون. وعندما تعرفـت شخصياً على الشبيب والفكيكي والعزاوي والشيخ راضي والدوري وغيرهم، لم أجدهم يختلفون عن السعدي كثـيراً. وفوق ذلك فقد تميز بحس اجتماعي طبقي خاص، دفعه إلى الظهور بمظهر "ابن البلد البسيط والشجاع، الذي يتصـرف بلا عقد"[1].

ويذكر إن ناصر قال عنـه قبل الخلافات في رسالة كتبـها إلى المشير عامر في اليمن ويقول فيها: " السعدي أمين عـام حزب البعث ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو صريح ومغرور، كان في السجن وقت قيام الثورة، وأظن انـك لاحظت انـه لم يذكر في خطابـه اسم عبد السلام عارف بل تجاهله كلياً، كمـا تجاهلـه في المحادثـات، ولكـن انطباعي عنـه انـه وطني مخلص"[2}.

وهكذا سنضع مسيرة النضال العربية في مهب رياح التصريحات المصرية وردود علي الفوضوية.

السلبية الرابعة: وكانت خسارة الدولة للجهاز الإعلامي بكامله بسبب إهمال علـــي التــام لوزارتـــه.

وعلى سبيل المثال: في أحد الأيام وقبل ذهابي لاجتماع مجلس قيادة الثورة شاهدت التلفزيون يعرض فيلماً عن الحرب الكورية ويعكس وجهة النظر الأمريكية. وعند الاستعلام فهمت انــــه واحد من سلسلة أفلام تصل إلى المديرية العامة للإذاعة والتلفزيـــون كهديـــة مـــن مصلحـــة الاستعلامات الأمريكية ويبثها تلفزيون بغداد بصورة منتظمة دون تدقيق أو رقابة.

وحسب تقديري فإن أحداً لم ير تلك الأفلام، لا الوزير ولا المدير العام للإذاعة والتلفزيون. وعند التئام مجلس قيادة الثورة في نفس اليوم، وكان السعدي حاضراً، سألتـــه عمـــا إذا كـــان مطلعا على ما يبثه تلفزيون بغداد؟ وما إذا كنا نقبض ثمناً مقابل ما نذيعه من دعايـــة لمصلحـــة مكتب الاستعلامات الأمريكي؟ فسألني باستغراب: وماذا رأيت؟ قلت: دعاية أمريكية رسميـــة تبرر حربـــها ضد كوريا، وتـــهاجم الصين التي أيدت نظامنا الجديد. كما ليس لدينـــا ايـــة مشاكل مع كوريا الشمالية التي لديها تمثيل قنصلي في العراق، ولسنا بحاجة لمشكلات.

فقال السعدي : لا علم لي بذلك. فأجبتـــه: إذا كنت وزيراً للإرشاد ومديرك العام عبـــد الستار الدوري وهو من قياديي الصف الأول في الحزب وعضو قيادة فرع بغداد، ومرت عليكم هذه الأمور الخطيرة، فذلك يعني إننا فاقدين لجهاز الإعلام وهو اخطر أجهزة الدولة. وتمثلـــت بقول الشاعر :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة　　　وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

لذلك اكرر إن نقل علي من الداخلية ضيع علينا الإعلام، وأعطاه الحرية الكاملة، وحرره من الواجهات الرسمية. ولم يكن يرغب بأكثر من ذلك[1].

كان يقضي نصف وقتـــه في سوريا، والنصف الآخر في العراق، وقلما تجده في وزارتـــــه عندما تسعى إليه. ولا يمكن إن تلتقيه إلا محاطاً بثلة من زملاء الصف، يترددون عليه ويقضـــي وقتـــه معهم في المجالس والأمكنة العامة، يتناقشون بأصوات عالية في شؤون الدولة في مجـــالس مفتوحة يستطيع كل شخص أن يلتحق بـــها ليستمع إلى أدق الأسرار.

---

١ ــ وفي لندن عام ١٩٩٨ عندما سألت الأستاذ عبد الستار الدوري الذي كان حينـــــها مديـــراً عامـــاً للإذاعـــة والتلفزيون عن الأمر. أجاب: بأن عرض تلك الأفلام في تلفزيون بغداد كان تقصيراً وإهمالاً، وإذا كنـــا نبحـــث عـــن المسؤول فأن وزير الخارجية طالب شبيب هو أول من يتحمل تلك المسؤولية، لأن السفارات لا ترسل كما هو معروف هداياها أو إرسالياتـــها إلى دوائر الدولة إلا عبر وزارة الخارجية، التي تطلع عليها ثم تأمر بتوزيعها على الدوائر المحليـــة كل بحسب اختصاصه[3].

طريقة خذ ولا تسأل !!

وكما قلنا ينشغل السعدي بخاصتـه أكثر من اجتماعات القيادة القطرية للحزب ومجلس الثورة. أما اجتماعات مجلس الوزراء فكان إذا حضر يتدخل بشؤون الوزارات، ويعطي رأيه بما يعنيه وبما لا يعنيه. وبما يعرف وما لا يعرف عنـه شيئاً، إلى درجة أن الوزراء بدأوا يتساءلون بعد كل جلسة، فيما إذا كان ما يقوله السعدي هو أوامر وقرارات صادرة عن القيادة القطرية أم هو رأيه الشخصي؟ ويلحون بأسئلتـهم أكثر عندما يكون حديثه أو تدخله أكثر بعداً عن الواقع والمنطق وعن قابلية التنفيذ.

ولذلك لم تكن المشكلة التي عانينا منـها في ١٩٦٣ تعبيراً عن خلافات رأي بين مجموعة "حازم وطالب" من جهة، وعلي السعدي ومن إلتف حوله فيما بعد من جهة أخرى، و لم تكن تلك صورة حقيقية لما حصل في أروقة السلطة.

المشكلة كانت باختصار أزمة علي في السلطة !! وظهرت منذ الأيام الأولى لنجاح الثورة عندما تصور كثيرون انـه الرجل الوحيد القوي في الدولة والسلطة، مما عزز شعوره بالقوة ودفعه إلى التصرف بعدم تحرز، وعدم التشاور عندما يتخذ قرارات مهمة، رغم إن المكتب السياسي للحزب كان يجتمع كل يوم في مقر المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي كان سابقاً مقراً لمجلس السيادة و (قصر الرحاب) أو القصر الملكي.

وكنا بين حين وآخر نسمع من الإذاعة أو من آخرين صدور أوامر منـه، تتعلق بإطلاق سراح أو اعتقالات وتعيينات هامة جداً في وزارتـه، دون عرضها على القيادة أو مجلس الوزراء، وعموماً فقد كان ما يقوم بـه خارج دوامه الرسمي لا يبعث على الرضا ولا يليق بمكانتـه الحزبية والحكومية، و لم يكن تصرفه يمت إلى فكر سياسي معين أو إيديولوجيا خاصة، وإنما سلوك خاص وتصرفات أثبتت لكل الذين شاركوا في السلطة، بعثيين وغير بعثيين، فوضويتـه غير المحدودة. حتى الأستاذ ناجي طالب وكان إنسان اً مطلعاً، دمثاً وحريصاً، قد تحسس من حالتـه ونصحنا أن لا تكون هذه هي الطريقة التي سيستقر الحزب على انتـهاجها مستقبلاً في حكمه. لأنـها ستـهدد البلاد والحزب بنتائج خطيرة جداً ومن الواجب الحد من التصرفات الشخصية. و لم يكن ناجي طالب متحاملاً ضد علي السعدي، كما لم يعرف عنـه التحامل على أحد.

ربما يعتقد من يسمعني : اني متحامل، ورغم ذلك لا أستطيع أن امنع نفسي من القول إن علي تمتع بسمات انفعالية وعاطفية حادة تجعله لا يصلح للسلطة ولا يحترمـها ولا يقدر المسؤوليات التي تنجم عن كل تصرف أو تصريح يصدر عن المسؤول. فكان وهو في السلطة اقل إلتزاماً ومسؤولية منـه قبل استلامها. وهذه كانت مفاجأة مأساوية ستؤدي إلى نـهاية ثورة رمضان.

فوق ذلك لم يكف عن توجيه الإهانات المباشرة وغير المباشرة لبعض المسؤولين وكبار العسكريين، كوزير الدفاع صالح مهدي عماش الذي يصفه بالجبان المثير للإحباط، ويقول له بوجهه: "أن الثورة ما كانت ستنجح لولا دخولك السجن" . وقد حصلت يوماً مشادة شخصية بين علي وعماش في مكتب حازم جواد كادت أن تصل إلى الضرب بالأيدي عندما قال علي لصالح عماش: أنت جبان ومتقاعس وان الثورة أنعمت عليك بمنصب وزير للدفاع ورتبة فريق بعد ان كنت مقدماً، وأنت لا تستحق ذلك.

كان يوجه الإهانات بدرجة اقل إلى رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف، ويقول انه شخص ليس بذي قيمة، وانه (أي السعدي) الذي اختاره وفضله على ناجي طالب رئيساً شكلياً للجمهورية. ويظل يردد : ان عبد الكريم قاسم سرق من عبد السلام ثورته ولن نسمح له بسرقة ثورتنا. وذلك كله يصل إلى أسماع المسؤولين وعبد السلام عارف نفسه.

أوجدت تصرفاته حاجزاً بيننا. ودون اتفاق مسبق جمع بيننا أنا وحازم نفس الرأي في سلوك علي الذي لا يليق بمسؤول حكومي كبير. و لم يتدخل في وحدة موقفنا أي شأن شخصي. فقد كنت أكِنُ للسعدي حباً واحتراماً كبيراً، ونظر إليه حازم نفس النظرة. وحاولنا نصحه لكنه لم يتوقف، وظل يسافر إلى الألوية دون إخطار القيادة. فتبث خطاباته ونفاجأ بها من الإذاعة. وأذكر مرة في خطاب ألقاه في مدينة الموصل انه طالب الجماهير ان تزحف لسحق ذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء. وغير تلك من الصيحات الغوغائية التي تنطلق عادة من أشخاص لا يريدون إقامة الدولة، وإنما من معارضة تريد إسقاطها.

ومن مكتب حازم جواد اتصلنا به فوراً بالموصل. وتحدث إليه حازم وبعد اخذ ورد أخذت السماعة وقلت له : يا علي إذا أردت ان تبطش بذوي الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء فعليك ان تبدأ بنفسك، لأنك الوحيد في قيادة البعث وجهك احمر وكرشك منتفخ ما شاء الله. يا علي أنت نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وعضو بارز في قيادة الحزب ومجلس قيادة الثورة. وبإمكانك إصدار الأوامر إلى الأجهزة المختصة لاتخاذ اية إجراءات تجدها مناسبة وضرورية دون الحاجة إلى تكليف الجماهير وتحريضها لتحقق لك رغباتك. وانتبه إلى انك جزء من قيادة الثورة، ولست قائدها. وكررت عليه : انك جزء من قيادة الثورة ولست المسؤول الوحيد فيها، و لم تعد أميناً للسر. وقلت : إذا كنت ترى أهمية أي أمر فعليك أن تحضر الاجتماعات لنتشاور ونتفق ونتصرف بعدها حسب خطة مدروسة وليست فوضوية. وسألته: من هم أصحاب الكروش المنتفخة والوجوه الحمراء الذين تود القضاء عليهم ؟ حدد أسماءهم وأماكنهم وأخطارهم لنفتح لائحة بهم ونقرر رسمياً شيئاً بحقهم حسب القوانين، لأننا لسنا معارضة، بل حكام للدولة. وختمت حديثي قائلاً له : انك تبوأت منصباً لا تستحقه

وان تصرفك هو تصرف غوغائي. فأجاب بصوت هادئ : أرجوك يا طالب لا تكن قاسياً عليّ، فهذه تجربة جديدة علينا جميعاً، وكل إنسان يخطئ[1].

وترادف خطاب السعدي في الموصل مع استفهامات وردتنا من معظم متصرفي الألوية (المحافظات) حول برقية أرسلها كوزير للداخلية يطلب فيها من جميع المتصرفين عدم استقبال الوجهاء في مكاتبهم، وحثهم على وضعهم بالسجون والمواقف بدلاً من معاملتهم باحترام.

وشكا المتصرفون بأن تلك التعليمات ستدفع العامة والعمال والفلاحين إلى الاعتداء على الناس. وقالوا بأنهم يشعرون بالحيرة عندما يأتيهم شخص معتدى عليه مشتكياً، فهل يسعفونه وينصفونه أم يضعونه بالسجن لأنه وجيه ؟. واستفهم آخرون بسخرية مريرة: كيف سنميز بين الوجيه وغيره ؟ . وكان جميع المتصرفين بعثيين معروفين ويتصلون بحازم جواد باعتباره أميناً للسر.

أما احمد حسن البكر فقد شعر أن علي السعدي رفعه ووضعه على الرف، فقد كان رئيساً للوزراء في حين يصرح السعدي بأسم الحكومة ويقرر أشياء كثيرة دون علمه ومعرفته، لذلك فقد هدد بالاستقالة مرات عديدة مبرراً ذلك بأنه لا يستطيع تحمل مسؤولية الفوضى والتجاوزات أمام ضميره وأمام الناس. وقد قال مرةً وبالحرف الواحد، وسمعت ذلك منه مباشرةً : في الأيام الأولى للثورة كان الناس يحيوني بما فيهم جلاّس المقاهي والمارة. أما الآن فإنهم ينظرون إلي بكراهية وتجهم حيث صرت أتفادى نظراتهم واكره الخروج بسيارة رئاسة مجلس الوزراء المعروفة من رقمها الخاص.

مشاكل خارج البعث

لم نكن وحدنا نشتكي من السعدي، بل اشتكى منه عضوا القيادة محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد، فضلاً عن أعضاء في القيادة القومية عند زيارتهم للعراق. فقد نصحونا بعدم التصرف كمعارضة، بل كرجال دولة، وبالابتعاد – جهد الإمكان– عن المنتديات الصاخبة.

---

١ ــ أكد ذلك أيضاً اللواء الركن عبد الكريم فرحان في كتابه حصاد ثورة قائلاً ما معناه إن علي صالح السعدي بعد استقباله في مطار الموصل من قبله وبقية المسؤولين ورؤساء الدوائر والزعماء الأكراد والشيوخ والوجهاء، تركهم وذهب إلى حيث حَمَلَهُ أفراد الحرس القومي على أكتافهم وانطلقوا به باتجاه المدينة. وكان السرور بادياً على وجهه وهو يردد معهم شعارات حزب البعث. وأضاف عبد الكريم فرحان في نفس الصفحة من كتابه : " وقد علمت بإلقاء الوزير (السعدي) كلمة مرتجلة في الجماهير هاجم فيها الرجعية والإقطاع وأعداء الثورة، وطالب بسحقهم حتى العظام"[4].

وبدلاً من ان يلتزم السعدي بذلك فقد تجاوز في إهاناتـــه حدود البعث إلى ممثلي الفئـــات السياسية الأخرى، لاسيما القوميين الذين اتـــهمهم بالجبن، في الوقت الذي كنا فيـــه نبـــذل جهوداً لجمعهم حولنا في إطار سياسي أوسع من إطار الحزب، مثلما كنا قد جمعناهم بنجاح في فترة سابقة قبل الثورة في (التجمع القومي) الذي ضم حزب البعث وحزب الاستقلال وحركـة القوميين العرب وغيرهم. لكن السعدي لم يحسب للقوميين حساباً و لم يعطهم اعتباراً، واعتقـــدَ بعدم إمكانيتـــهم على منافسة البعث.

وفي الحقيقة فقد كان لجميع البعثيين وهم خارج السلطة أسلوب يتسم بالتعبير عـــن الثقـة بالنفس والاستعداد للمنافسة. غير ان هناك فارقاً كبيراً بين طريقة تفكير الحزب وهو في المعارضة وطريقة تفكيره وهو على رأس هرم السلطة وقيادتـــها. لذلك فقد كان تسفيه أعضاء أساسـيين في التيار القومي ليس في مصلحة الحزب. واعتقد انـــه كان من الأفضل للسعدي أن يُقصّر نقده للقوميين على موقفهم التآمري ضد سلطة البعث بدلاً من الشتيمة والاســـتخفاف، خصوصـــاً انـــه كان يقود حزباً حاكماً يأمل في توحيد القوى القومية وبناء تيارها القوي القادر على إقامة الوحدة المنشودة.

لم يقتصر الأمر على التدخلات الإدارية ومشاكسة القوميين، بل لجأ السعدي إلى الصحافـــة فقد كان يملأها بتصريحات حول الشؤون السياسية الدولية. ويحاور مـــن خلالهـــا الماركســـية والشيوعية المحلية والعالمية. كما كان يتكلم عن كمال جنبلاط وأمور أخرى كثيرة بطريقة (خذ ولا تسأل!!)، وكأنني الآن أتخيله قد قضى حياتـــه في نضال سري بين الأوكـــار والمعتقـــلات صامتاً وفمه مغلقاً، وفجأةً وجد نفسه حراً وقد زالت كل القيود، فتحول مثل طفل صغير وسط مخزن العاب كبير، لا يدري اية لعبة يختار ويلعب! .

كما أثار إشكاليات كثيرة منـــها أنـــه أعاب على الوزراء لأنـــهم كـــانوا قـــد سمحـــوا لسائقيهم أن يفتحوا لهم أبواب سياراتـــهم. حيث كانت العادة الرسمية أن يجري إبلاغ السائق والبواب بخروج الوزير ليكون متأهباً وباب سيارتـــه مفتوحاً استعداداً للانطلاق. أما الســـعدي فكان يهين السائق ويشتمه إذا ما همَّ وفتح له الباب. وكان يعتبر ذلك غير داخل ضمن وظيفة السائق. وكان يرى ان منع السائق من ذلك العمل هو سمة من سمـــــات تواضـــع المســـؤولين وثوريتـــهم وشعبيتـــهم. وقد أثار ذلك سواق السيارات أنفسهم، فاشتكوا لأنـــهم ما عـــادوا يعرفون ما هو واجبـــهم.

ولذلك اكرر ان الأزمة كانت أزمة علي في السلطة. و لم يكن خلافنا معه عقائدياً، بل كان أزمة أسلوب وسلوك يتنافس فيهما العقلاني مع العاطفي. و لم يكن بين حازم وعلي أي تنـــافس على مستوى الخصال وتبادل الأدوار. وكل ما في الأمر ان حازم جواد كان يعرف جيداً ويفهم

دوافع ونقائص السعدي، ولم يشأ ان يأخذ أياً منـــها له فقد كان يبذل جهداً كبيراً لبناء علـــي وجعله متماسكاً. وكنا جميعاً نفعل ذلك ونقوم بالتعويض عنـــه وبناء دوره طوال فترة العمـــل السري. وكل من يعرف الأوضاع الداخلية لقيادة الحزب وأعمالها يعـــرف ان علـــي صـــالح السعدي تغيب طوال الأشهر الثلاثة التي سبقت الثورة، ولم يقم إلا بتلك الأعمال التي طُلِـــبَ منـــه القيام بـــها بسبب انشغاله بشؤون خطبتـــه وزواجه[1].

سؤال: زار السعدي النجف وكربلاء والكاظمية ومناطق عراقية كثيرة ولم يصدر عنـــه ما يوحي بعصبية مرضية أو مذهبية معينة. ولم يظـــهر منـــه ما يدل على موقف منحاز من المظاهر الاجتماعيـــة أو الدينيـــة لأسباب تتعلق بمصالح سياسية ضيقة. فلماذا فجرتم بوجهه ما أوحـــى برغبتـــه في منع طقوس إسلامية شعبية؟

طالب شبيب : ان اخطر مبادرات علي السعدي الفردية كان عقده مؤتمراً لمتصرفي الألويـــة المختصة وإبلاغهم أوامره بمنع الطقوس الإسلامية السنوية التي يمارسها المواطنون في عاشـــوراء بمناسبة مقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أو بمناسبات دينيـــة أخـــرى. وإجازتـــه استخدام القوة ضد ما اسماه (بالرجعية). فقد كان ذلك قراراً غير مدروس وغـــير مستوعب ويضر بالتقاليد كما يضر بعلاقة السلطة بالمجتمع، إضافةً إلى انـــه أمـــر لا يدخـــل ضمـــن اختصاصات وزارتـــه.

---

١ ـــ ربما يحق لشبيب ان يقول ذلك عن الأيام القليلة السابقة لحركة ٨ شباط، أي المرحلة التنفيذية الأخيرة من الحركة. غير ان السعدي كان قد ساهم في بناء تلك القوة والروحية العالية التي خططت ونفذت ١٤ رمضان، حيث انـــه لم يكن كأي عضوٍ في القيادة بل كان رائداً ومبادراً وقائداً أولاً ومباشراً في كل شيء. فقد أعطى بطريقتـــه المحببة شبـــه الفوضوية شعوراً بالثقة والقوة، وامتلك أسلوباً خاصاً في كسب الأصدقاء وإدخالهم في الحزب، ولاشك ان شجاعتـــه كانت أول خصاله. وبشيء من التدقيق نجد انـــه قد استلم أمانة سر الحزب بعد تمزقه شبـــه التام الذي تـــلا محاولـــة اغتيال عبد الكريم قاسم، فقد كان الحزب موزعاً بين سجين ومختفٍ وهارب إلى سوريا، فقاد فريقاً قيادياً متكوناً منـــه وحازم ومحسن وطالب وكريم والخيزران وحميد، ولم يكن في تلك القيادة الشابة منافس له. فقد أعاد هؤلاء بناء الحزب وثبتوا أقدامه عسكرياً ومدنياً وفاجأوا العراقيين والعرب بنجاحهم.
كان السعدي هو البادئ في بناء نواة المكتب العسكري، وهو الذي أوعز لعلاء الدين الجنابي بالمشاركة في ثـــورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تحت قيادة عبد الكريم قاسم. ثم طور المكتب العسكري وأصبح مسؤوله المباشر حتى إسقاط النظام. وهـــو الذي اقترح حضور طالب وحازم اجتماعاتـــه ليعطيه الصفة السياسية والعسكرية. وهو الذي قام بكسب أهم الضبـــط مثل البكر عندما أمضى معه فترة في السجن ومعلوم انـــه لا يمكن تخيل نجاح الحلف الذي اسقط قاسم بدون شـــخصية البكر. وكان السعدي حتى يوم ٤ شباط (حينما اعتقل) المسؤول المباشر عن كتيبة الدبابات الرابعة وتنظيم القوة الجوية، وهو الذي خطط لاختراق الكتيبة الرابعة واقترحها مركزاً لعملية الحزب العسكرية. وكان القائد الفعلي (الرمز) لفـــرع بغداد الذي قاد إضراب البنـــزين والطلبة ومسيرة استقبال بن بلة. وظلت قيادة الفرع مخلصة له حتى بعد تفجر الخلاف البعثي ـــ البعثي.

وأستطيع التأكيد ان السعدي لم يكن يقصد بموقفه هذا الإساءة إلى طائفة أو مذهب إسلامي بعينـــه، ولم يصدر عن خلفية طائفية، بل كان قد فكر بطريقة (ثوروية) متسرعة. ولم يكـــن السعدي وحده يفكر حينذاك بـــهذه الطريقة، بل يجاريه أكثر السياسيين العراقيـــين المتـــأثرين بموجة (ثورية) عالمية طاغية.

لكن ذلك لا يبرر موقفه في أمر يُعدُّ من اخطر شؤون الدولة العليا، ولا يحق لوزير أو ايـــة وزارة معينة التصرف بـــه، بل لا يحق ذلك لأي مسؤول بمفرده، مهما كان مركـــزه. وقـــد فوجئنا بذلك وتوترت أعصابنا خصوصاً واننا اكتشفنا الأمر بمحض الصدفة[1]. ولم يكن ذلـــك من الأمور التي يمكن السكوت عليها أو التي نستطيع التسامح فيها. لان اللعب بمثل هذه القضية يعادل التآمر على وحدة الشعب كله.

ولو كنا متآمرين على السعدي وجماعتـــه، كما يرى البعض، لتركناهم ينفذون قراراتـــه المسيئة واللاامبالية التي كانت ستسبب حتماً أحداثاً ومذابح يعلم الله وحده نتائجها، ولأعطـــى ذلك الفرصة الأكيدة لإقصائه نـــهائياً بحيث لا تقوم له قائمة. وفي الحقيقة فقد كنا قادرين بكل بساطة حتى بدون ذلك ان نعالج أمر طرده من كل مناصبـــه الحكومية بدلاً من إبعـــاده عـــن وزارة الداخلية فقط. لكننا لم نكن نرغب في التسامح معه لان تعليماتـــه بشأن عاشوراء كانت (القشة التي قصمت ظهر البعير) والتي نَفَدَ معها صبرنا وصبر الكثير من القيـــادات العســـكرية وقيادات الحركات السياسية المشاركة لنا في المسؤولية. وكان إصرارنا على معاقبتـــه يتـــأكد

---

١ ـــ لواء كربلاء يضم كلاً من مدينة كربلاء والنجف والكوفة وفيها مراقد الإمام الحسين والإمام علي ومســـلم بـــن عقيل عليهم السلام. وقد روى لي حسن وداي متصرف (محافظ) اللواء المذكور انـــه ذهب بعد انفضاض الاجتمـــاع إلى مكتب حازم جواد بمقره القديم كوزير دولة لشؤون الرئاسة في قصر الرحاب لإخباره برغبتـــه بالسفر إلى لبنـــان. وعندما قال له حازم: كيف ذلك وشهر محرم على الأبواب ؟ ولا يمكن ترك لواء كربلاء في مثل هذه الأيام، أجـــاب: ان أيام النضال انتـــهت، واشعر بالتعب.

اتصل حازم بطالب فحضر، وتحدثا مع وداي الذي اعترف بما دار في اجتماع متصرفي الألوية مـــع وزيـــر الداخليـــة (السعدي). وقال وداي: بدلا من عودتي لكربلاء لتنفيذ التعليمات الجديدة، قررت عدم العودة والاستقالة لعدم قـــدرتي على تنفيذ ما تقرر بحضور السعدي ومدير الأمن العام جميل صبري البياتي ومدير الشرطة العام احمد أمين محمود (وكان ضابط شرطة صغيراً رفع إلى رتبة زعيم) ومدير الداخلية العام علاء الدين البكري (وكان محققاً عدلياً بسيطاً). وهـــؤلاء هم الذين قرروا منع ممارسة الطقوس الدينية المعتادة في عاشوراء ومنع العزوات، وقد أبلغونا ان نقوم بإخبار علماء الدين والخطباء ان يقوموا بمدح الدولة كلما صعدوا المنابر الحسينية والقوا خطباً. وبدوري أرى ان هذا مستحيل ولا أســـتطيع تنفيذه. فوقف شبيب وقال سأذهب للبكر للتداول، ثم انتقل الثلاثة حيث البكر. وبعد التداول اتفق حـــازم والبكـــر وطالب على ان قرار المنع هذا ليس من صلاحية وزارة الداخلية ولا يبت فيه إلا من قبل مجلس قيادة الثورة. ثم اخـــبروا حسن وداي ان ينتظر في بغداد إلى اليوم التالي. ومساء نفس اليوم تم إقصاء السعدي من وزارة الداخلية. وأُخـــبِرَ وداي تلفونياً من قبل طالب بأنـــه يستطيع الآن السفر إلى كربلاء![5].

بشكل خاص عندما نتخيل الهيجان الشعبي الذي لم نكن مهيئين لمواجهتـــه !!.

ان أمر تنظيم الطقوس وممارستـــها يحتاج إلى هيئة اكبر بكثير من ان يذهب علـــي صـــالح السعدي إلى بيت صديقه علاء الدين البكري المعين مديراً عاماً لديوان وزارة الداخلية، فيخـــرج منـــه بأمر لا يعرف نتائجه، في حالة تطبيقه، إلا مَنْ عاش في مدن النجف وكربـــلاء والحلـــة والديوانية والناصرية والبصرة والعمارة وسائر مدن وقصبات وسط العراق وجنوبـــه.

سؤال : هل كان علي السعدي متأثراً بموجة اليسار التي اكتســـحت العالم، فسعى منسجماً معها ومع ميوله الخاصة المتطرفـــة ليقلـــل مـــن التزامه بطقوس الدولة الرسمية وشكلياتـــها ؟ وهل كان ذلـــك ســـبباً لعدم هضمه أو تمثله لشخصية وهندام الموظف الحكومي التي لم يرغـــب بـــها، وفي قضائه أوقاتاً طويلة مع أصدقائه في الأحياء الشعبية حيـــث كان يجالس أصنافاً ومستويات من الناس مختلفة وأحياناً ارتياد المطـــاعم الشعبية الليلية ؟ رغم إني، كمتتبع لحياة السعدي، لا أرى ان ســـلوكه كان مبتذلاً، بل انـــه كان قد أنجز أعمالاً مهمة باستمرار بما في ذلـــك الجوانب الأساسية من عناصر خطة رمضان ١٩٦٣.

طالب شبيب : ربما ولكن ليس إلى الحد الذي ذهب هو إليه. فقد كان كاســـترو يخطـــب بالجماهير ست ساعات ويجبر مواطنيه على سماعه، كما يقوم بأشياء كثيرة متطرفة أخرى، غـــير انـــه لا يذهب إلى خمارات هافانا ليقضي فيها لياليه، بل يركز اهتمامه على قضايـــا وشـــؤون دولتـــه.

لذلك أقول اعطني أي مسؤول آخر غير علي صالح السعدي تقع السلطة كلها بين يديـــــه، لكنـــه يخرج منـــها ويحاول قيادتـــها من خارجها. فليس هناك أسوأ من سلوك خروتشـــيف عندما ضرب بحذائه منصة الأمم المتحدة. وقد أخرجه ذاك من قيادة دولتـــه لعـــدم لياقتـــــه. وصارت تلك الحادثة أمثولة، بل أضحوكة !! . فلماذا أساساً نحتذي بما هو سلبي وفوضوي من تصرفات القادة المتمردين؟ .

سؤال : هل كان ميشيل عفلق يفضل سقوط حكم الحزب في العـــراق على ان يستمر علي صالح السعدي على رأسه ؟

طالب شبيب : لا أظن ذلك، أو لم يرد ذلك ولم يبحث. وحسب ما أرى فانـــه لم يرد في ذهن عفلق مثل هذا الأمر. حتى ان تغيير أمانة السر من علي إلى حازم لم نُستشر بـــه القيـــادة

القومية، بل كان تدبيراً حزبياً داخلياً، اتفقنا عليه قبل سنتين من الثورة. وكانت خلفيتـــه تستند إلى تجربة فؤاد الركابي الذي كان انشط أمين للسر، لكنـــه فقد فعاليتـــه عندما عيّن وزيـــراً في حكومة عبد الكريم قاسم الأولى اثر ثورة تموز ١٩٥٨، فأنشغل وقصر في أدائه الحزبي، فقررنـــا تجنب تكرار تلك التجربة.

مراجع:

[1] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ١٠٨.
[2] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٨.
[3] مقابلة مع عبد الستار الدوري في لندن ١٩٩٨.
[4] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٨٣.
[5] مقابلة مع حسن الحاج وداي، دمشق، ١٩٩٥.

الخلاف ينتقل داخل الحزب

لم تكن الخلافات بحد ذاتـــها امراً خطيراً. إذ غالباً ما يحصل تباين في آراء السياسيين، حـــتى داخل الحزب أو الهيئة الواحدة. لكن اخطر ظاهرة واجهتنا هي وجود جيشين متقابلين في دولـــة واحدة، هما قوات الحرس القومي والجيش النظامي وكل طرف يقف بجاهزية مادية واســـتعداد نفسي تام، ضد الطرف الآخر.

وفي سياق البحث عن حلٍ يمنع حصول ازمة أو مواجهة، اعتقدنا انّ بقاء بعـــض أعضـــاء القيادة القطرية والملحقين بـــها دون مناصب حكومية هو الذي يقف وراء التجاوزات المعرقلـــة لاعمال الدولة والتي بدأت منذ اليوم الأول للثورة. فاقترحنا تسمية جميع اعضاء القطرية اعضاءً في المجلس الوطني لقيادة الثورة، رغم معارضة عبد السلام عارف واحمد حسن البكـــر وعبـــد الستار عبد اللطيف وصالح مهدي عماش الشديدة، لكن معارضتـــهم لم تكن لها اهميـــة أمـــام رأي الحزب. فدخل المجلس محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد وكـــريم شـــنتاف وهـــاني الفكيكي وسعدون حمادي، مع حق استدعاء من نشاء من قيادة فرع بغداد حســـب الحاجـــة والاختصاص، واتذكر انّ بينـــهم كان د. فائق البزاز. لكن هذا الاجراء لم يغير واقع الحال.

سهولة ادارة الفوضى

أدت الفوضى إلى انشقاق في القوة . . فوجدنا انفسنا أنا وحازم جواد وسط مركزٍ ومحـــور يلتف حوله الضباط البعثيون تعبيراً عن استيائهم وفقدان ثقتـــهم بعلي صالح الســـعديّ الـــذيّ سبق وان كانت لهم علاقة طيبة بـــه. وقد تسرب فقدان الثقة حتى إلى الضباط المحبين له، الذين رأوا فيه بطلهم.

قام هذا التكتل وصار واقعياً دون رغبتنا ليقف مقابل الكتلة الآخرى التي تكونت منذ اشهر. وانظم إلينا فضلاً عن الضباط، كوادر حزبيون مدنيون، وموظفون كبار في الدولة، تمحـــوروا حولنا بصورة تلقائية ودون اتفاق مسبق، تعبيراً عن ردة فعلهم على التحريض الذي يقوم بـــه علي السعدي ضد مؤسسات الدولة والسلطة. وكان ذلك مبرراً كافياً لقيام اتحاد عريض غـــير

معلن، يرفض الممارسات الفوضوية. وعندما فوجئ السعدي بوجود جبهة قوية تتصدى لنزعاته، لا سيما في صفوف الجيش والشرطة، لم يرعو بل استمر يهاجم القادة الحكوميين ويهدد النظام من جذوره.

وأخذت جماعة السعدي تضم إلى صفوفها كل الحزبيين الراغبين في الحصول على مراكز في السلطة. في حين إختار هو مؤسسة الحرس القومي لتكون اداته لتحقيق توزيع السلطة الجديد. وحلت اللقاءات في مقرات الحرس القومي محل الاجتماعات والندوات الحزبية الرسمية.

وقبل هذا التطور، كنا على درجة من الثقة بالنفس تكفي لأن نتجاهل الدعوات الصريحة للتكتل والتحريض، ولنستبعد فكرة تشكيل تكتل مضاد آخر. لكن تكرر التجاوزات والفضائح جعلنا محوراً يلتف حوله أكثر الكوادر العقلانية وجميع المتضررين من الممارسات العشوائية.

وبعد اتضاح ملامح الانشقاق، عُقِدَ في داري اجتماع للقيادة القطرية حضره علي السعدي وحازم جواد ومحسن الشيخ راضي وحميد خلخال وكريم شنتاف وانا. وكان العضو الوحيد المتغيب هو حمدي عبد المجيد المنتدب إلى العمل الحزبي في سوريا. ولم يكن احمد حسن البكر حتى ذلك الوقت عضواً في القيادة القطرية للبعث.

في ذلك الاجتماع قلنا : ان مصدر جميع الخلافات يعود إلى ازدواجية السلطة. وهو امر يمكن دراسته، ووضع الحلول القانونية له. خصوصاً وان السلطة بكاملها بين ايدينا، ولا ينازعنا فيها احد. فسيطرتنا على مجلس قيادة الثورة وهو السلطة التشريعية كاملة، لايقرر مجلس الوزراء شيئاً قبل ان يأخذ رأي قيادة الحزب وهو سلطة البلاد التنفيذية. اما الجيش فمازال لا يأخذ أوامره من غير قياداته الحزبية، حتى لو كانت صادرة من مجلس الثورة أو رئاسة الجمهورية. فالقوات المسلحة (جيش وسلطة واستخبارات) ملتزمة ومنضبطة، ويسيطر ضباط بعثيون على كل مرافقها العامة. فضلاً عن وجود جهاز شعبي شبه عسكري ينضوي بكامله في مؤسسة الحرس القومي وكل المؤسسات التي ذكرناها مطيعة بصورة مطلقة، فيما لو كانت القيادة القطرية متفقة.

وقلنا ان سيطرة الحزب مطلقة ولاتوجد قيادة للحزب غيرنا فلماذا لانقضي على الازدواجية الخطيرة بجعل جيش البلاد واحداً، وبمنع الحرس القومي من القيام بدور الشرطة. وإذا نجحنا في ذلك فستكون لدينا سياسة واحدة ورأي واحد، يصدر عن القيادة الحزبية ويشرعه مجلس الثورة، وينفذه مجلس الوزراء ومتصرفو الألوية. وبذلك تنتهي الفوضى والفوضوية التي تشل الآن مرافق الدولة.

ومنذ البداية تحدث علي صالح السعدي قائلاً : قبل الثورة كنا نلتقي هنا في بيت طالب

شبيب كل امسية تقريباً، نقرر كل شيء ونحل كل المشاكل، ومنذ وصولنا للسلطة أصبحت لقاءاتنا الشخصية قليلة وأصبحنا لا نلتقي إلا في اجتماعات نصطدم فيها احياناً بسبب تناقض آرائنا الشخصية حول بعض القرارات، وأرى ان نعيد الحياة إلى تلك اللقاءات.

اجبته: اننا الآن على رأس دولة مهمة، ولها متطلبات كثيرة وخطيرة. وان المشكلة اكبر بكثير، وتوجد خطوط من الخلاف، ويجب علينا القيام بإجراءات متوازنة، تتناسب مع الرغبة في إزالة عوامل التناقض. فالقضية ليست محبة وود شخصي ومزاج وجلسات ولقاءات بل شيء آخر أكثر اهمية رغم إقرارنا بأهمية الصداقة والمحبة التي ما زالت تملأ قلبي ولا اعتقد انها زالت من قلوب الآخرين.

وقلت : إذا لم نتمكن من القضاء على الإزدواجية، فالامر الوحيد المتبقي هو الاحتكام ديمقراطياً إلى رأي الحزب بدعوة مؤتمره القطري قبل موعده. وطالبت بدعوة المؤتمر القطري للإجتماع في مدة اقصاها شهر واحد فوافق الجميع على الاقتراح.

تغيير الامين القطري للحزب

وقبل نهاية الاجتماع إلتفت علي صالح السعدي وقال : يا طالب، قبل الثورة كنت انت مِنْ المصرين على أن أمين السر يجب ان لايتولى وزارة تنفيذية هامة. وبحكم الواقع يقوم حازم جواد بمهام وزارتين هما الداخلية ووزارة الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية وكلاهما وزارة مهمة وخطيرة . وهناك تناقض في موقفك عندما يحتفظ حازم بأمانة السر والوزارتين. فأجبته : أنت على حق ويجب ان نختار أميناً قطرياً جديداً للفترة المتبقية، حتى إنعقاد المؤتمر . ولم يكن بيننا عضواً بلا وزارة أو غير متفرغ لأعمال مهمة غير حمدي عبد المجيد، فوافقنا عليه واستدعيناه من سوريا ليشغل منصبه الجديد.

وفي الواقع لم يقم حمدي بأي دور ، ولم ينعقد في فترة أمانته للسر التي دامت شهراً واحداً أي إجتماع . أما بيانه أمام المؤتمر القطري فلم يتعد نصف صفحة. قال فيه : انه لم يستلم أمانة سر الحزب إلا إسماً، ولم يفعل ولم يعلم شيئاً عن ما كان يجري فعلياً داخل الحزب، لانه كان متفرغاً لشؤون الحزب في القطر العربي السوري .

ولم يكن حازم جواد راضياً على تلك النتيجة، فعاتبني إلى حد التأنيب بعد نهاية الاجتماع. فقلت : لم يكن بأمكاني أن أكون بمنطقين .

سؤال : لكن الأغلبية الساحقة من كوادر وقواعد حزب البعث مالت مع خط علي السعدي، واتهمتكم بالتواطؤ مع كبار الضباط والموظفين ضد التوجه اليساري، وقد كنت واحداً من أولئك الشباب المتحمسين، فهل كان ذلك بسبب تركيزكم آنت وحازم والبكر على العلاقات الفوقية، أي على كل ما يتعلق بالدولة وشؤونها الأمنية وتحالفاتها.. الخ في حين ركز علي السعدي ورفاقه على البناء التحتي أو على الشارع والمنظمات الشعبية والحزبية القاعدية والحرس القومي؟ فمن كان منكم أكثر نضجاً، وأكثر وعياً لخطورة مايجري ويهيئ أو يُحضّر لمستقبل العراق؟

طالب الشبيب: بإمكانك أن تلاحظ إنّ إدارة السلطة السياسية في بلد غني ومهم مثل العراق، وإدارته بصورة فوضوية من قبل سلطة حزبية غير مستقرة وغير خاضعة لبرلمان سيؤدي إلى صراع شديد حول مكاسبها. وهذا الأمر برز في أوضح صورة في عام ١٩٦٣ عندما أضحت أجهزة الدولة العراقية بين يدي مجموعات تقرر ما تشاء بصورة غير منضبطة. وأصبح كل واحد يتمسك بسطوته ومكاسبه وطموحاته التي اعطتها له السلطة. ولم يكن بقدرة اية جهة، ومهما بلغت امكانياتها القيادية والعقلية، بل حتى لو امتلكت عقل نبي عقائدي مقدس، من ايقاف تلك الموجة المتطلعة والمتحدية. فلقد وجد البسطاء المحرومون المنتمين إلى الحزب والحرس القومي سهولة في ادارة الفوضى والتحلل من المسؤوليات في وقت كانت الدولة تحتاج إلى الانضباط والمسؤولية واحترام القوانين والاعراف والمؤسسات، وإرضاء الشعب وتوسيع قاعدة مشاركته بحيث لايبقى في السلطة أي شيء غير خاضع للقانون.

وعلى نفس المنوال تصور السعدي وهو في اعلى مراكز السلطة، أنه يقود جناحاً معارضاً وقد ساعده على ذلك نشأة الجهاز الحزبي ذاته الذي تربى على عقلية المعارضة، فلم تتوفر الفرصة الكافية لتوعيته على أُسس تناسب الوضع الجديد حيث الحزب يقود السلطة، أو تدريبه على آليات ادارة الدولة. بل كانت ثقافة الحزب وأدبياته بما فيها تلك التي كتبها ميشيل عفلق ممتلئة بذم السلطة والحكم وتنأى بالبعثيين عن شؤون السلطة..لكنهم فوجئوا بتربعهم على رأس حكومة العراق المتعدد الاديان والقوميات والمذاهب والثروات والمتنوع بتياراته السياسية، بل أن الموجة الفوضوية جادلت في كل شيء ماعدا تطوير جهاز الدولة والتخطيط الاقتصادي[1].

١ـ ليس صحيحاً أن الحرس القومي وجهاز حزب البعث كان وحده مقصراً فيما يتعلق بالتخطيط الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، بل ان اية دراسة متأنية ستؤكد إن أياً من جناحي السلطة لم يفكر قبل الوصول إليها ببرنامج للتطبيق.

←

وأعتقد أن نجد الافضل هو الاعتراف بذلك النقص بدلاً من تعليقه على الآخرين. لانا نستطيع دائماً أن بجد لكل فشل تبرير ولذلك تفرض سنة الحياة على الفاشلين أن يفسحوا الطريق لغيرهم بأرادتـــهم أم بغيرها، وتستمر الحياة ويزول الافراد، مهما كانت مشاعرهم ومبرراتـــهم؟ولن يُخلّدْ أحداً إذا لم يترك آثاراً مادية أو معنوية بين الناس، لتستقر مرمزة في التراث وتتناقلها الاجيال .

وعند التحري نجد أن حكومة ٨ شباط، لم تقدم ولم يكن بين يديها أي برنامج مؤقت أو ثابت لتقديمه. ولم تعلن ايـــة آلية تطبيقية متميزة، لكي يقال، في حال الاخفاق ، إن الظروف كانت أقوى من إمكانية التطبيق . فلم تفعل ســـوى تسيير المؤسسات الموروثة من العهد القاسمي، أو ربما قامت أحياناً بردود فعل طارئة ومفروضة. علماً بأن من يـــأتي إلى السلطة بلا خطط سياسية وأقتصادية واجتماعية مسبقة، يجب أن يكون قد فكَّرَ بتسليم السلطة إلى برلمان حـــر، كـــي توضع تلك الخطط تحت سقفه. أما إذا كان الطاقم الحاكم يفكر بشمولية سياسية تتطلب بقائه منفرداً في السلطة فـــتره طويلة، فمن الخطر أن يأتيها صفر اليدين، فيبدأ بوضع خططه وهو متربع على عرشها، لانـــه سيواجه ضغط أحـــداث متسارعة تأخذ منـــه المبادرة، وتجعل كل أفعاله ردوداً على أفعال الاخرين وهو ماحصل عام ١٩٦٣.

ومايثير العجب أن جميع قادة تلك المرحلة أخبرونا، مباشرة أو عبر قنوات مختلفة، انـــهم لم يفكروا بغير اسقاط نظـــام قاسم. ولم تكن لديهم اية فكرة عن شكل البناء السياسي الاقتصادي القادم ولاعن شكل التعاون العربي، أهو وحـــدة إندماجية شاملة وفورية كما تحدثت شعاراتـــهم المرفوعة بوجه قاسم، أم إتحاد فيدرالي عربي كما أراده الشـيوعيون، أم تضامن وتنسيق عربي يسبق الوحدة كما أراد عبد الكريم قاسم وكثيرون غيره.

حتى بيان حكومة البكر ١٩٦٣ كتبـــه مثقفون بعثيون لم يعيشوا بالعراق كمنيف الرزاز وعبد الله عبد الدائم، وكـــان اقرب إلى الانشاء السياسي المدرسي، ويحتوي شعارات عامة، دون آلية تنفيذية[1] وسيكون مفيداً مقارنة حكومـــة ٨ شباط بحكومة ١٤ تموز ١٩٥٨ ،لان الأولى جاءت رداً على الثانية، ولان كلتا الحكومتين عانتا من ضغـــوط متماثلـــة لاهوادة فيها ومن متآمرين من داخل البلاد وخارجها. فلقد تعهدت حكومة قاسم في بيانـــها أن تعطي الأولوية للتنمية ورفع مستوى الفقراء وتعزيز الاستقلال. وأرجعت إخفاق الملكية إلى عدم التخطيط والمحسوبية وعبث الاقطاع. فأعلنت إلغاء الامتيازات الاقطاعية وألغت قانون العشائر وحررت الاقتصاد من الاسترليني وتدخلت مالياً لمصلحة الفقراء فبنـــت المساكن الشعبية والمشافي والمدارس ووفرت المواد الضرورية ووزعت الاراضي على الفلاحين دون المساس قانونياً بحـــق الملكية الخاصة والشخصية وساعدت بكرم حركات التحرر العربية وأسست لأول مـــرة جيـــش التحريرالفســـطيني، وبأقتراح منـــها قامت منظمة الاوبك، وسنت قانون رقم ٨٠ وأنشأت شركة النفط الوطنية، ووضعت ميزانية لثـــلاث سنوات (٣٩٢ مليون ديناراً) خصصت ٤٩٪ منـــها للمباني العامة والاسكان الشعبي و ٢٦ ٪ للنقل العام والمواصـــلات وحصة كبيرة للصناعة على حساب الزراعة[2]. وبذلك تكون قد برَّت بوعودها، وميزت نفسها عن سلفها التي ثارت عليها. ويمكن لكل من عاش تلك المرحلة أن يشهد بأن مشاريع حكومة قاسم كانت وعوداً تتحقق .

أما حكومة شباط فلم تعط الجوانب الفنية والاقتصادية أهمية وإهتماماً. بل جاءت مثقلة بـــهموم قوميـــة ورومانســـية كبرى، فقد دخلت في صراعات جانبية وانـــهارت حتى قبل أن تلامس أياً من أحلامها القومية والتنموية. فخـــاضت صراعاً ضد الشيوعيين والقاسميين ومع عبد الناصر والناصرية المحلية، ثم إشتد الصراع البعثي- البعثي . وبعد هدنة مؤقتة إشتعلت حرب ضروس ضد الاكراد التي إحتلت الأولوية في الانفاق الحكومي. هذا فضلاً عن نشر القلق بسبب وجـــود ميلشيا تجوب الشوارع وتفتش مفارق الطرق على مدار الساعة فيتحول البعثيون بسببـــها من مناضلين أشداء إلى شرطة مراقبة ومراقبي تموين .. الخ.

ولم تنجح السلطة سوى بتغيير بعض الموظفين القاسميين وبعض الهياكل الادارية، وتغيير بنية الجيش (الضباط) حيـــث تمّ طرد أكثر من الفي ضابط منـــه، خلال أقل من ثلاثة أشهر ثم تابعها عبد السلام فطرد مايقارب ٥٠٠ ضابط آخر مـــن ←

وأعطيك مثالاً: أرادت مديرية الأمن العامة العراقية توظيف عدد من البعثيين برتبة معاون أو موظف أمن. وصدر تعميم حزبي يشجع على التقدم للحصول على تلك الوظيفة. وكانت النتيجة أن أياً من البعثيين لم يتقدم للعمل في أمن الدولة رغم أن الوظائف المعروضة كانت توفر رواتب ومكانة مغرية. وهكذا كان الحزبيون ينظرون إلى جهاز الأمن باعتباره مؤسسة دنيئة ومعادية، رغم أن حزبهم هو قائد الدولة، وذلك صَعّبَ عملية الانتقال من المعارضة إلى السلطة. وكان علي السعدي من هذا النوع من البعثيين، لم تتغير عقليته واستمر بنفس المنهج، بل حاول هو وعدد كبير من المتطرفين عدم استلام مناصب حكومية ذات طبيعة إدارية،رغم اجتهادهم للاحتفاظ بمكانة سياسية وحزبية قيادية. فكانوا مرتاحين إلى عقلهم المعارض لدولتهم. أما أنا وحازم جواد وعدد من أعضاء مجلس الثورة؛ يساندنا عدد غير قليل من كوادر الصف الأول الذين تسلموا مناصب حكومية رفيعة وأدركوا معنى المسؤولية والتضحيات المطلوبة جراء حملها، فقد تولينا مهمة قيادة الحزب قبل الثورة، ونفذنا خطتها وعملياتها مباشرة، وتقلدنا مناصب حكومية خطيرة أبعدتنا عن العمل الحزبي التنظيمي والقاعدي المباشر. وينطبق هذا الأمر عليّ بصورة خاصة لان منصب وزير الخارجية وعضوية القيادة القومية يجعل أكثر وقتي ينقضي خارج البلاد.

تلك المسؤوليات أبعدتنا وربما أضعفتنا شعبياً وسياسياً بين الأوساط الحزبية البسيطة والشابة التي تصرّفت على أساس تقسيم الحزب إلى حكام ومعارضين. وكنا نرى ونلمس هذه الظاهرة. ونحث على تغيير العقلية التي تؤدي إليها. لكن الأمر يحتاج إلى تعاون بين المكلفين بمسؤولية الدولة وأولئك المكلفين بإدارة الحزب والمنظمات، وليس التنافس بينهم(1).

البعثيين والمعارضين الاخرين. وبهذا تكون سمة السلطة العامة في ٨ شباط هي فقدان الاتجاه. وعلى سبيل المثال فقد بلغت الاراضي المزروعة حنطة وشعير ٨،٢مليون هكتار وتعطي ٥،٢ مليون طن،في حين تمّ في ١٩٦٣ زراعة ٣ ملايين هكتار أعطت ٤،١ مليون طن. كما إنخفضت قيمة الانتاج الزراعي الاجمالي في عام ١٩٦٣ بالقياس للاعوام ١٩٥٣، ١٩٥٩، ١٩٦٠، ١٩٦١، ١٩٦٢[3].

١ـ سألت نفسي وعدداً غير قليل من أعضاء حزب البعث ممن شهدوا تلك المرحلة، وخصوصاً كوادره الوسطية، عن سر شعبية خط السعدي، فحصلت على اجابات متباينة من حيث الشكل ومتفقة من حيث الجوهر. وكانت اجابة محمد رشاد الشيخ راضي مختصرة وجامعة لاغلب تلك الاراء حينما قال: " إن تنظيم الحزب أصبح عملياً بعد ٨ شباط بإدارة محسن الشيخ راضي، وهو أحد رواد الجناح اليساري. وكما تعلم فان من بيده التنظيم يستطيع ابراز اسماء معينة وانزال اخرى، والتهيئة لمن يشاء ولاية فكرة خصوصاً بين المنظمات القاعدية. وكانت آراء محسن مخالفة بشدة لافكار عبد السلام وطاهر يحيى ورشيد مصلح. ومن ناحية أخرى كان خط السعدي موجوداً بقوة داخل السلطة ويستطيع ان يقدم خدمات كبيرة لانصاره من خلال قيادته مباشرةً لأطرافها، لكنه ايضاً موجود خارج السلطة عبر منظمات الحزب والحرس القومي والمنظمات الشعبية. اضافة إلى ذلك ان شخصية السعدي الواضحة والصريحة بذاتها كانت مقبولة ومثيرة وميّالة بطبيعتها للسلوك المنفتح العريض، في حين إتسمت شخصية حازم جواد بالحدة والجدية، فضلا عن تركيزه على إدارة الدولة ومراقبة الرئاسة وكافة الجوانب التنظيمية.

←

ان ضعف الشعبية بين الحزبين لم يطلني وحدي كوزير للخارجية، بل تأثر بــه كــل مــن إستلم منصباً حكومياً مهماً، وأدرك خطورة وظيفتــه. لكننا وبمرارة وجدنا أنفسنا، بعد حــين تحت ضغط لايرحم من رفاقنا، فلم تسلم اية خطوة نخطوها من نقد العقل المعــارض. وذلــك وضعنا في منتصف الطريق بين السلطة وأهميتــها ومتطلباتــها، وبين تنظيم الحزب الذي تمــاهى كليةً في الحرس القومي، معارضاً السلطة بتشجيع من علي صالح السعدي الــذي تقلــد أهــم المناصب الحكومية.

إنعقاد المؤتمر القطري

في آخر إجتماع للقطرية قررنا تقديم موعد عقد المؤتمر القطري لمناقشة إختلاف مفاهيمنــا حول كيفية ممارسة السلطة. وأعطينا الضوء الأخضر للبدء مباشرة بعقد المؤتمــرات القاعديــة التمهيدية للفرق والشُعب والفروع لانتخاب قياداتــها المحلية ومندوبيها للمؤتمرات الأعلى، و لم نفكر إطلاقاً بأن رفاقنا الذين إختلفنا معهم في الرأي والأسلوب، سيستغلون تلك التحضــيرات لاستمالة القاعدة الحزبية ضدنا.

وكان بأمكان أي مراقب أن يلاحظ السرعة العجيبة التي وصلنا بــها إلى حدود التصــادم، وإلى سيطرة الشعور بعجز محاولات الاصلاح، وإلى شلل أجهزة الدولة التي يتوقف عليها تلبيــة حاجات المجتمع. كما وشاعت بين قواعد الحزب وقياداتــه الوسيطة أنباء الخلافات، وذلــك سيؤدي تدريجياً إلى انقسام مندوبي المؤتمر القطري الاعتيادي المزمع عقده في ١٣ أيلــول ١٩٦٣ انقساماً عمودياً.

وسط تلك الاجواء الداخلية المتوترة والحرجة، اضطررنا إلى تلبية دعوة وجهها لنا جمال عبد الناصر لزيارة القاهرة من اجل تنقية العلاقات العراقية المصرية. وقد لبيناها ــ عبد السلام عارف وحازم جواد وأناــ وإستغرقت الزيارة عشرة ايام. وبعد عودتنا بيومين أو ثلاثة، انعقد المؤتمــر القطري الذي جرى اعتماد مندوبيه في غيابنا. وقد سمعنا فور وصولنا شكاوى عــن حــالات تزوير وتجاوزات قد حصلت[1]، وأخبرني أخي بــهاء شبيب الذي فاز بعضوية المؤتمر القطــري

وقد ساعد على اندفاع السعدي نحو القاعدة الحزبية، مشاعر الكراهية التي كان يلحظها على وجوه بعض رجال السلطة بسبب اقترابــه من بسطاء الناس ، فأخذ يجذر افكاره وسلوكه إلى الحد الذي اثار مخاوف البعض بإمكانيتــه قلــب السلطة وتغيير نمطها، وفي ذلك تكمن دوافع الخوف التي اصابت اصدقاءه من الضباط منــه، فاخذوا يبحثون عن محــور آخر يضمن عدم التغيير الجذري للسلطة، خصوصا وان شبح المخاوف التي اثارها فيهم عبد الكريم قاســم وانصــاره مازالت ماثلة.. "[4].

١ــ ينعقد المؤتمر القطري الاعتيادي بعد عقد مؤتمرات الفرق التي يحضرها الاعضاء العاملون وقيادة الفرقة، فينتخبــون ←

رغم محاولة اسقاطه، بأن ادارة المؤتمرات الفرعية كانت منحازة، واستحدثت شيئاً جديداً سمـــيّ ـــ المؤتمر العام ـــ ، كما جرت تنقلات وانتدابات بين الفرق قبيل انعقاد مؤتمراتـــها وذلـــــك مخالف للنظام الداخلي. اضافةً إلى عدم اجراء انتخابات بين صفوف العسكريين البعثيين بالرغم من كثرة عددهم واهمية دورهم في انجاح الثورة و حماية السلطة. و لم يكن ذلك قراراً صحيحاً، لا من الناحية المبدئية ولا من الناحية التكتيكية. اذ ليس عدلاً إعطاء العسكريين مناصب قياديـــة حساسة في الدولة والجيش دون ان يكون لهم رأي في السياسة.

وكان أوضح مثال على التلاعب هو حرمان عزت مصطفى (وزير الصحة) ومسارع الراوي (وزير دولة ورئيس مكتب المعلمين القطري) وأحمد عبد الستار الجواري (وزير) من حضـــــور المؤتمر، رغم مسئوليتـــهم عن مكاتب ونقابات قطرية، وهم جميعاً يؤيدون خطنا "أنا وحازم"، في حين دعي للحضور محمد زكي يونس "رئيس مكتب العمال القطري"وصدام التكريتي عـــن مكتب الفلاحين القطري، دون تقديم أي مبرر منطقي. علماً بأن مكتب المعلمين القطري هـــو أهم مكاتب الحزب المهنية، ويعرف جميع البعثيين الدورالقيادي والنضالي الذي لعبـه المعلمـون في حياة ومسيرة الحزب، وفي وقت لم يعمل في مكتب الفلاحين القطري الذي تأســس بعــد الثورة غير صدام التكريتي واربعة فلاحين جاءوا بــهم من تكريت لضمان عضوية صدام حسين الموالي لكتلة البكر التكريتية داخل المؤتمر.

والمظهر الآخر المفضوح للتلاعب، كان في احضار نجاد الصافي مندوباً اصيلاً، دون مـبرر أو سبب، وأذكر إن أحد المندوبين وقف وإتـــهم المشرفين على الانتخابات الفرعية بســوء الادارة والتزوير. وفي الحقيقة فإن التزوير دبر ليلاً وفي غياب ممثلي تيار حزبي بكامله، مما أدى إلى فـــوز هاني الفكيكي بعضوية القيادة القطرية بدلاً مني بفارق صوت واحد. فقد حصل الفكيكي على عشرين صوتاً، وحصلت أنا ٢٢ صوتاً، وكان الحد الادنى للفوز على ٢٣ صوتاً، أي نصـــف

قيادة جديدة للفرقة ومندوبين لمؤتمر الشعبة الذي يتكون منـــهم ومن مندوبي بقية الفِرق ومن قيادة الشعبة لينتخب قيادة جديدة ومندوبين لمؤتمر الفرع الذي ينعقد بمندوبي الشعب واعضاء قيادة الفرع، لينتخب قيادة فرع جديدة ومندوبـــين للمؤتمر القطري وهكذا بقية الفروع. أما الذي جرى وسميّ مؤتمراً عاماً او"تأسيسياً" فقد انتخب مندوبوه مباشرةً مـــن مؤتمرات الفرق القاعدية، ظناً من المشرفين انـــهم يتجاوزون بذلك القيادات الاعلى ويمنعونـــها من حجـــز مقـــاعد مضمونة في المؤتمرات الاعلى. فالكل يعود إلى مؤتمر الفرقة وينتخب، ومن يسقط في انتخاباتـــها لايبقى له حظ آخـــر. واعتقد ان فكرة المؤتمر العام جاءت للتدليل على"شعبوية دمقراطية زائدة" باجبار القيادات على النـــــزول للقواعـــد والخضوع لأسئلة الحزبيين الشباب، وربما اراد "خط السعدي" بذلك التدليل على شعبيتـــه الحزبية واســـتغلال تلـــك الشعبية لانتخاب مندوبين موالين له. و لم يكن في ذلك خيانة للنظام الداخلي بل هو لائحة داخلية جديدة وافقت عليـها القيادة القطرية، بغياب حازم وطالب، وأخذتـــها على مسؤوليتـــها أمام المؤتمر القطري ثم القيادة القومية وقـــد أقـــر المؤتمر والقيادة القومية تلك اللائحة لمرة واحدة، وأصبحت شرعية.

اعضاء المؤتمر البالغ عددهم ٤٥ مندوباً. ولذلك أُعيد التصويت على اسمينا أنا وهاني، فحصل هاني على ٢٣ صوتاً.

وقد رأيت بنفسي علي صالح السعدي يتنقل ويمارس الضغط على اثنين من الاعضاء الذين لم يصوتا لهاني في الجولة الأولى، ثم انتقل ليجلس بجوار خالد مكي الهاشمي (معاون رئيس اركان الجيش) وقد عَلمَ أنه انتخبني في المرة الأولى واجبره على انتخاب الفكيكي بعد ان بدأ بكتابة الحرف الأول من أسمي على ورقته الانتخابية ، فمسك بيد الهاشمي الممسكة بالقلم وبشيء من القوة والميانة الودودة والمزاح، أدارعلي السعدي يد الرجل الممسكة بالقلم قائلاً بصوت مسموع "هاني"! ليتحول حرف الطاء إلى هاء ويكمل بقية الاسم. وبذلك أمنّ لهاني ثلاثة اصوات كانت كافية لفوزه. لكنه يعني ايضاً بان المؤتمر بقيّ رغم التلاعب والتحريض نصفه معنا.

ومن جانبه اعترف المرحوم علي السعدي لي بما جرى داخل المؤتمر القطري قبل وفاته عندما التقينا وتذاكرنا بعد سنين، حول تأريخ تفريطنا بسلطة الحزب بسبب خلافات ليست جوهرية. ويستطيع كل من يشك بروايتي ان يستوضح الامر من خالد مكي الهاشمي وهو حي يرزق وبإمكانه وحده ان ينفي أو يؤكد هذه الحادثة. فلقد استغل علي السعدي موقعه وهيبته الحزبية وقوة تأثيره، ثم استغل ان صديقه خالد مكي الهاشمي كان متهماً بالتضامن معنا ضده أو ضد محسن وهاني وحمدي، فاحرجه وجعله يرضخ لضغطه عليه. ولم يكن الهاشمي يتوقع ان جرة القلم تلك ستؤدي بمسار الازمة إلى الاسوأ[1].

١ــ الشخص المقصود الذي اعترض على طريقة إدارة المؤتمر هو حسن الحاج وادي العطية، الذي وقف وسط القاعة وقال : "ان الحزب الذي لايعطي لاعضائه الديمقراطية، لايمكنه إعطائها للشعب، فضجت القاعة. وفي عام ١٩٩٥ التقيت بالسيد وادي العطية بدمشق فقال: كنا نناقش مع بدء إنعقاد المؤتمر إحدى النقاط التي لم تعجب رئيس المؤتمر (هاني الفكيكي) فأحال النقطة فوراً على التصويت وأقفل المناقشة. فطلبت نقطة نظام، فلم يوافق بحجة انتهاء المذاكرة. فوقفت قائلاً: أتعرفون أين نجلس الان؟ فألتفت الجميع مذهولين. قلت: نحن في مبنى المجلس الوطني الذي بناه نوري السعيد و لم يستطع الجلوس فيه، وهذه الثريا الجميلة التي "تتدندل" فوق رؤوسنا، لسنا نحن الدين أتينا بها، بل هي من مخلفات العهدين السعدي والقاسمي. ولازم تعرفون ان سبب سقوط الحكم الملكي هو عدم إعطائه الحرية الكاملة للشعب، ولان مجلس النواب لم يكن يمارس حرية حقيقية وكان جلاوزة نوري يضيقون ذرعاً بالنواب الوطنيين على قلتهم، ويلجأون من أجل سد الطريق عليهم إلى غلق باب النقاش، ونحن إذا سلكنا نفس السلوك سيكون مصيرنا اسود. فهاج أكثر المندوبين بوجهي مستنكرين تشبيههم بنواب نوري السعيد وطالبني محسن الشيخ راضي بسحب كلامي فقلت لاافعل"[5].

وحول عدم شرعية حضور بعض المندوبين للمؤتمر القطري قال الدكتور تحسين معلة:"ان شيئين غير شرعيين حصلا، الأول مخالفة النظام الداخلي في طريقة عقد المؤتمر وفي اختيار ممثليه، استحداث (المؤتمر العام)، وقد اعترضت شخصياً على ذلك، فرد عليّ حسن العامري (وزير في حكومة البكر وصدام) قائلاً: هذه قضية تعب عليها الجماعة كثيراً، فكيف تعترض عليها؟ والنقطة الثانية هي عدم تقديم القيادة القطرية تقريراً موحداً عن اعمالها كما هي العادة، بل وقف بعض اعضائها وقدموا تقارير شخصية، وكان اثنان من اعضاء القيادة الحاضرين غير منتخبين هما هاني الفكيكي ←

سؤال: هل صحيح انّ ميشيل عفلق ومحمد عمران وصـــلاح جديـــد وامين الحافظ الذين شكلوا وفد الوساطة السوري لحل الازمـــة قـــد همسوا في آذان طرفي النـــزاع الحزبي العراقي، كل على حدة، قبـــل انفجار الازمة بأشهر، بأن الامن السوري لديه معلومات بوجود مؤامرة امريكية للاستيلاء على السلطة بالتعاون مع احد الطرفين المختلفين ضد الاخر. مما ادى إلى زرع الشك والقطيعة بينكما،وإلى قطع اية امكانيـــة في حل الخلاف؟

طالب شبيب: لم يحصل ذلك إطلاقاً. ولكنني اتذكر ان الاستاذ ميشيل الذي كـــان يـــزور العراق ويقيم فيه فترات طويلة بوصفه الامين القومي للحزب آنذاك. وكانت صلـــتي وحـــازم جواد بـــه وثيقة. وهو يعرف بدقة حقيقة الانقسام، وظروف وتطورات الوضـــع السياســـي العراقي. وكان يطلق على علي السعدي وجماعتـــه اسم (العصابة الغبية)، وقالها مـــرة في داري بحضور عدد كبير من كوادر الحزب، قال:"ان هؤلاء عصابة تنوي الاستيلاء علـــى الســـلطة، ولكنـــها عصابة غبية ستفقد السلطة حالاً بعد استلامها، ولو كانت عصابة ذكية لربما قبلنـــا بـــها ".

ولا أكتمك فقد انـــزعجت من المسحة الانتـــهازية التي تحدث بـــها ميشيل عفلق امامنـــا، لكني لم أعترض عليه لقناعتي بأن كلامه لم يكن كله خطأً. اما القول الذي أورده الفكيكـــي في كتابـــه حول إبلاغ القيادة السورية لطرفي النـــزاع العراقي، كل على حدة، بأن الطرف الآخر يتآمر عليه بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية فهو عارٍ عن الصحة. فلقد زارنا من ســـوريا رفاق عديدون، بينـــهم مَن ذكرهم الفكيكي، حضروا معنا اجتماعات حزبية وحكومية كثيرة، شارك في بعضها عبد السلام عارف. ولا أتذكر انـــه قد ورد في تدخلاتـــهم اية تحذيرات مـــن

وسعدون حمادي، بل جرى تعيينـــهم بعد ٨ شباط ولا يحق لهم حضور المؤتمر أوتوماتيكيا كبـــاقي اعضـــاء القيـــادة المنتخبين"[6].

وفي الحقيقة وبعد تحر وجدت: أولاً: إن الحاضرين عن المكاتب القطرية هما فقط د. تحسين معله ويعقـــوب الحمـــداني كعضويين منتخبين. اما محمد زكي يونس وصدام التكريتي فلم يحضرا ممثلين لمكاتبـــهم كما قال طالب وإنما عن طريـــق المؤتمرات الفرقية وبالتحديد عن فرقة الكرخ وكان حضورهما شرعياً. اما مسارع الراوي والجواري وعزت مصطفى فقد فشلوا في انتخابات المكاتب القطرية، وحصلوا على حظ آخر في المؤتمرات الفرقية لكنـــهم فشلوا فســـقط حظـــهم في الحضور. ثانياً: ان عضوية هاني الفكيكي و سعدون حمادي في القطرية شرعية لأنـــهما صعدا للقطرية بواسطة مجلـــس قطري عقد بين ١٥ إلى ١٨ شباط في دار جعفر قاسم حمودي ووافق المجلس عليهما بعد ترشيح الســـعدي وحـــازم واعلان حاجة القطرية لهما، وذلك يعني ان عضويتـــهما شرعية، لكنـــه لا يعني ان محسن الشيخ راضي والفكيكـــي لم يثقفا ويعملا لصالح خطهما خلال التحضيرات التي سبقت المؤتمر القطري.

أي نوع كان، ولااعتقد إن مثل هذه التحذيرات قد حصلت مع علي السعدي. فهذه حادثة ليس لها وجود في ذهني. وحازم جواد حي يرزق ويمكن سؤاله وسيؤكد أو يدحض ذلك.

إن خلافاتنا كانت ظاهرة إلى كل من يريد أن يراها. ولم تكن بحاجة إلى مَن ينكؤها ويثيرها. كانت معروفة للحزب القومي الذي إنقسم من خلال نظرته إلى طرفي النزاع العراقي. فمنهم من رغب في تفادي المشكلة والسير مباشرة نحو وحدة الحزب، ومنهم من تحزب وناصر هذا ضد ذاك.

ومن ناحية أخرى استطيع ان اجزم بعدم صحة ماجاء بكتاب الفكيكي من أن لواء العقيد فهد الشاعر"قد جاء إلى العراق لمساعدة جناح معين في السلطة العراقية ضد آخر. بل أن اللواء المدرع المذكور جاء بمهمة رسمية محددة ومعلنة من قبل الحكومة السورية لمساعدة الجيش العراقي في حركات الشمال. واعتقد ان سلوك القوات العربية السورية الموجودة في العراق خلال أحداث ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وموقفها المحايد، ورفضها مجرد التفكير بالتدخل، رغم وجود ميشيل عفلق وامين الحافظ وصلاح جديد وحمودي الشوفي وجبران مجد لاني ضمن الوفد السوري الذي تَعَرّض إلى إهانات مزعجة وجهت إليه من قبل بعض ضباط الجيش العراقي، وقد أكد الشوفي لنا ذلك. ولهذا فحديث الفكيكي عن وجود مهمة أخرى موكلة إلى اللواء السوري المدرع ليس صحيحاً ومحض هراء.

قرارات التأميم الإشتراكية بين عبد السلام وحسيب

والان وبعد أكثر من ثلاثين عاماً، برهنت الحياة اننا كنا على حق، واستطيع ان اقول ليساريي ذلك الزمان وبكل بساطة: أنا كنت يمينياً، بل وأود ان اكون أكثر يمينية إذا كان كبت الحريات وتخريب بنية الدولة والتدخلات غير القانونية، وممارسات الحرس القومي الفوضوية هي يسارية. أما إذا كان الهدف هو العمل على توجيه الدولة باتجاه يساري اشتراكي وحدوي ملتزم ومسؤول فهذا ماحاولنا القيام به فعلاً، بدون ضجيج ودون علم الكتلة الحزبية المخالفة لنا. وأعطيك مثالاً شاهده حي يرزق، فقد استدعيت إلى مكتبي في وزارة الخارجية الدكتور خيرالدين حسيب، وأرجو أن يكون شاهد حق على ماأقول، استدعيته وكلفته أن يعد لنا لائحة قوانين للتأميم. فاستشار كبار موظفيه مستفيداً من التجربة المصرية ومن تجارب عالمية أخرى، وبدأ فعلاً بإعداد تلك الدراسة.

وكنت ابلغته بضرورة أن يبقى الامر سراً بيننا لأن القوانين ستفقد فعاليتها وغايتها إذا فقدت عنصر المفاجأة. وقلت له: لاأحد يعرف بالامر غيرأنا وحازم جواد وأنت.

واعتقد ان اللائحة التي أعدت حينذاك هي نفسها التي وضعت قيد التنفيذ في ١٤ تموز ١٩٦٤ في عهد عبد السلام عارف وسميت (القرارات الاشتراكية)[١].

أما إطلاق صفة اليسار على جماعة السعدي فهو أمر ليس دقيقاً أو واقعياً. لان تلك الجماعة لم يكن لديها اية فكرة حول التطبيق الاشتراكي. ولم تطرح اية أفكار اشتراكية للتطبيق. ولم تطلب من أحد إعداد دراسة حول الأمر، لا في اجتماعات القيادة القطرية ولا المجلس الوطني أو في أي مكان آخر، رغم قيادتهم للسلطة والحزب الذي يضع الاشتراكية في مقدمة أهدافه. واعتقد انني وحازم جواد كنا سباقين في هذا المجال. وكان خير الدين حسيب موضع ثقتنا، ومن اقدر المتخصصين العراقيين في مجال الاقتصاد السياسي، لكن القوانين الاشتراكية لم ترَّ النور قبل تموز ١٩٦٤[٢].

١ـ اكد المؤلف محمد جمال باروت ما ذهب إليه شبيب في كتابه (حركة القوميين العرب) فقال:" عُهد بشكل سري إلى فريق من الخبراء الاقتصاديين برئاسة الدكتور خيرالدين حسيب محافظ البنك المركزي العراقي بأعداد مشروع القرارات الاشتراكية". ويرى باروت ان الأعداد للإجراءات الاشتراكية كان هدفه اقامة تكتل اقتصادي متناغم يضم اقتصادات الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق لتنفيذ الوحدة الاقتصادية التي اتفقت عليها الدول الثلاث خلال محادثات الوحدة التي جرت بين شباط ونيسان ١٩٦٣، اذ اعلن وزير التجارة العراقي في اوائل آذار ١٩٦٣ :" ان خطة العراق الاقتصادية ستؤدي خلال زمن قصير إلى تحقيق التكامل الاقتصادي والوحدة الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق"[7].

ويبدو ان الدكتور خير الدين حسيب شرع منذ تلك اللحظة يعد مشروعه، غير ان فشل ميثاق ١٧ نيسان الوحدوي، دفعه إلى انتظار ظروف جديدة مؤاتية. وليس هناك ادلة تؤكد بأن دوافع المشروع (التأميم) كانت اقتصادية بحتة، بل سياسية لمجاراة الاقتصاد المصري. لان جمال عبد الناصر بعد فشل التجربة الوحدوية المصرية السورية أخذ يتناول مشاريع الوحدة وشعاراتها وتطبيقاتها المعروضة عليه بحذرٍ شديد. ولان الطريقة التي طبقت فيها القوانين الاشتراكية أيام الوحدة على الاقليم الشمالي (سوريا) قد جلبت استياءً شعبياً كبيرا، وانحى كثيرون باللائمة على الوحدة والاعداء الخارجيين، وليس على التصرفات البوليسية للادارة الوحدوية الناصرية والمشاكل الاقتصادية.

ولذلك وخوفاً من تكرار التجربة وإلحاق الاذى بفكرة الوحدة اعلن جمال عبد الناصر انه يتعين على كل بلد عربي يريد الانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة ان يطبق المبادئ والقوانين الاشتراكية العربية. واعتقد ان خير الدين حسيب، وباعتباره ناصرياً، نشط على هذا الأساس لتقريب النظام الاقتصادي العراقي من المصري، فتمكن من اقناع عبد السلام عارف وطاهر يحيى باجراءاته كخطوة نحو الوحدة العربية المنشودة والتي تكفل تنمية فعالة وسريعة. واعتقد ان كثيرين من منتسبي التيار القومي العربي في العراق وعدداً من ضباط الجيش ذوي الرتب الكبيرة قد سايروا مؤقتاً قوانين التأميم ليس إيماناً بالاشتراكية ومبدأ المساواة، بل لانها كانت موضة تلك الايام، ويؤدي عدم التظاهر بتأييدها ربما إلى إبعاد صاحبه عن السلطة السياسية.

٢ـ كانت اسواق العراق قبل قرارات التأميم الاشتراكية في تموز ١٩٦٤ المفاجئة التي اصدرتها حكومة عبد السلام عارف وطاهر يحيى التكريتي، تعيش حالة من الانتعاش والنهضة الاقتصادية الصناعية والتجارية. فقامت الدولة بتأميم ٣٠ مؤسسة صناعية خاصة وجميع البنوك وشركات التامين. وحتى تأخذ القوانين الاشتراكية صفة اجتماعية، تقرر تمثيل العمال في ادارة عجلة الدولة الاقتصادية. وحلّ اسم (المؤسسة الاقتصادية) محل اسماء شركات عراقية خاصة كانت قد ←

سؤال: وهل صحيح انك وراء تعيينــه محافظاً للبنك المركزي؟

طالب شبيب: نعم كان خير الدين حسيب صديقي ويزورني في مكتبي بعد نجاح ثـــورة ٨

بدأت للتو تلمع في عالم التجارة والصناعة. وعلى سبيل المثال: كان هناك شحص يدعى" كافل حسين " يمتلك معمـــلاً لانتاج صابون محلي ناجح لغسل الملابس، وتطوير أنواع أخرى من المنظفات، وتمكنت ماركتـــه"صابون كافل حسين" من اكتساب شهرة عظيمة في كامل الاراضي العراقية، وانذرت بنشوء صناعة صابون محلية قادرة على المنافسة محليـــاً، وربما سيكون بامكانـــها الانتقال إلى الجوار العربي والاسلامي، لكن الدولة اممت المعمل وتوقف الانتاج وانتـــهى كافل حسين الذي اغتسل اغلب العراقيين بصابونــه رغم المنافسة الحادة من صابون لوكس ولايف بوي والزنابيلي السوري، ورغم الاستيراد المفتوح لبقية الماركات العالمية. فماذا جنت الحكومة؟ وماذا جنى العراق مقابل خسارة تلـــك الماركـــة الرائجة وتلك البداية الواعدة؟

وعندما ذهب موظفو الاستيلاء المتخصصون لاستلام معمل كافل حسين من صاحبـــه، وجدوا عدداً مـــن (القـــدور الكبيرة وبابورات"بريمزات")، وقدراً نحاسياً كبيار (صفرية) وحاجات أخرى بسيطة للقطع وللتشغيل لايبلغ ثمنـــها لـــو بيعت في المزاد أكثر من الف دينار عراقي. و لم يكن لدى المؤممين (الغزاة) اية فكرة أو دراسة عن مصير المعمل أو تلـــك الاشياء البسيطة المؤممة. وبعد التأميم حاولت الدولة ان تنشئ بملايين الدنانير مصانع حديثة ومجدية اقتصادياً بديلة لتلـــك المؤممة ففشلت. وربما ادرك بعض المتخصصين بعد فوات الاوان، ان المهم ليس المال الثابت وإنما الفكـــرة الصحيحـــة والاداء الصحيح والملائم للمحيط السكاني مع رأس المال المتحرك. فماذا يضرهم لو تركوا كافل حسين وامثاله يطورون مشاغلهم الفتية الناجحة في تلبية حاجات السوق المحلية والاجتـــهاد في توظيف ارباحهم لتوســـيع دورة رأس المـــال والانتاج والشراء التدريجي المحسوب للتكنولوجيا لتطوير الانتاج كلما تراكمت الخبرة المحلية . لكن ذلك لم يحصـــل لان الدولة لم تكن تعرف وظيفتـــها الاساسية ومبرر وجودها، ولأن ادارة السلطة كانت مغرضة وبعيدة تماماً عن مبـــدأ المساواة السياسية والاقتصادية بين المواطنين. بل ان التاريخ اللاحق للسلطة سجل عليها كل انواع الاضطهاد الطبقـــي والطائفي والعنصري. و لم تكن تلك الاجراءات بالنسبة للحاكم غير محاولة لاستكمال استحواذ الدولة علـــى القـــوة والمال. فلم يهنأ لها بال وهي تتفرج على رجال بسطاء من وسط المجتمع العراقي يحققون ويحرزون النجـــاح في عـــالم الشغل والمال والاختصاص، ولذلك قضت على كافل حسين الذي ربما سيكون اسماً عظيماً في عالم الاقتصاد العراقـــي الحر وقضت على غيره وعلى بوارق أمل كانت تلوح في الافق.

وبعد أن أمسكت السلطة بالبلاد وبكامل اقتصادها بقوة، تندرت بخير الدين حسيب وأهانت اجراءاتـــه، وصار هـــو وقوانينـــه الاشتراكية النكتة رقم واحد في مجالس عبد السلام عارف، في حين اطلق الشعب على طـــاهر يحـــيى اســـم (حرامي بغداد)، رغم أن الرجل كان نـــزيهاً من الناحية المادية.

وسواء كانت الاجراءات الاشتراكية قد حصلت بإرادة حازم جواد وطالب شبيب وارشادهما، أو من بنـــات افكـــار الدكتور حسيب واللجنة المكلفة أم هي نقل مباشر للتجربة المصرية. فهي لم تنطلق من دراسة عميقة للواقع العراقي، و لم تصب في مصلحتـــه الاقتصادية، بل تدهور معها اقتصاده بشكل سريع، ومنذ اعلانـــها بدأت الاسواق العراقية تفتقـــد بصورة دائمة للمواد الاساسية وتعاني من الاختناقات، لأن الذي تحكّم بالعمليه ودورة المال هم الموظفون الحكوميـــون وليس العرض والطلب. و لم يحتفظ حكام العراق بعد تلك التجربة من الاشتراكية بغير ملكيتـــهم الخاصة للدولة ذاتـــها وملكية الدولة للاقتصاد الوطني بكامله. و لم تنفع فيما بعد محاولات رئيس الوزراء الجديد عبد الرحمن الـــبزاز عندمـــا غيّرها من الاشتراكية العربية إلى الاشتراكية الرشيدة، فظلت نسخة ناقصة أو نسخة مشوهة من أنظمة رأسمالية الدولـــة الديكتاتورية التي قامت في دول أوربا الشرقية.

شباط، و لم تجر مناقشة أمر تعيينـــه حتى ذلك الوقت في اجتماعات القيادة القطرية أو في المجلس الوطني. فاقترحت في القيادة والمجلس تعيينـــه بمركز سامٍ هو محافظ البنك المركزي العراقي، وهو من اخطر مناصب الدولة واهم من وظيفة وزير. لان الرجل قدّم لنا مساعدات وافضالاً كثـــيرة في زمن عبد الكريم قاسم عندما كان رئيساً لاتحاد الصناعات العراقي اذ عيّن كثيراً من البعثيـــين في دائرتـــه، فصدر امر بتعيينـــه في المنصب الجديد.

أما أديب الجادر فقد عرضتُ عليه سفارة العراق بلبنان، وكان قبل إعلان الثورة مقترحـــاً وزيراً للنفط، لكنـــه خسر ذلك المنصب الوزاري قبل ان يتقلده وقبل إعلان الثـــورة، لأنـــه عندما فاز برئاسة نقابة المهندسين في زمن عبد الكريم قاسم بمساعدة البعثيين والقوميين، أرســـل برقية شكر موقعة باسمه إلى عبد الكريم قاسم، وعندما زار قاسم مقر النقابة ألقى الجادر كلمـــة منقولة بواسطة الإذاعة والتلفزيون، وقال في كلمتـــه واصفاً قاسماً بالزعيم الأوحد، وكان علـــي السعدي موجوداً في داري عندما تلفظ الجادر بـــها، فأشار قائلاً: "هذا لن يكـــون وزيـــراً في حكومتنا، وأفعل ما شئت يا طالب الشبيب، لكنـــه لن يكون في الوزارة"، واستئت أنا أيضـــاً منـــه فشطبنا اسمه، ولكن عرضت عليه بعد إسقاط قاسم سفارتنا في لبنان بحكم صلاتـــه هناك وزوجتـــه اللبنانية. وكان الجادر صديقاً عزيزاً وأشركناه بأعمالنا السياسية خلال فترة حكمنا.

المراجع:

[1] كان البيان اقرب إلى الانشاء السياسي المدرسي، واحتوى على شعارات عامة. كتبــه على الاغلب منيف الرزاز وعبدالله وعبدالدائم. وجاء بــه ميشيل عفلق واذيع في ١٥ آدار ١٩٦٣، وورد فيـــه ان ثـــورة رمضان جاءت لتنفذ أهداف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. لكن ذلك البيان لم يكن برنامجاً واقعياً لافتقــاده إلى الآلية التطبيقية. وعَكَسَ ذلك انعدام خبرة أهل الحكم وتطير افكارهم بعيداً عـــن الواقـــع، فلجـــأوا إلى الوعود العريضة. لكن البيان أفصح بأن الاشتراكية لا يمكن تطبيقها قبل إقامة الوحدة العربية.

[2] عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي، دار الكنوز الادبية، بيروت، ١٩٥٥، ص ٥٧ــ٥٨ــ٥٩.

[3] عباس النصرواي، الاقتصاد العراقي، نفس المصدر ونفس الصفحات.

[4] رشاد الشيخ راضي، مقابلة في دمشق ١٩٩٥.

[5] حسن وداي العطية، مقابلة في دمشق ١٩٩٥ .

[6] مقابلة مع د. تسحين معله، دمشق، ١٩٩٥.

[7] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاســـتراتيحية، دمشـــق، ١٩٩٧، ص ٢٤٥.

الحرس القومي

حقق الحرس القومي في الايام الأولى للثورة مكاسب كبيرة على حساب مؤسسات الدولة الشرعية، وتمكن بسرعة من ابتلاع جميع منظمات الحزب المحلية وأخذ دورها وحل محلها تدريجياً، ولا يستثنى من ذلك غير التنظيم المرتبط بالمكتب العسكري للبعث. وقد إنتقل البعثيون إلى مقرات الحرس وتواجدوا فيها. وصار كل بعثي تقريباً حارساً قومياً، رغم ان قانون تأسيسه لم يشترط على كل حارس قومي ان يكون بعثياً[1].

---

١ ــ تشكلت القيادة العامة لقوات الحرس القومي من العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت رئيساً. وبسبب اصطدامه بعض أعضاء قيادة الحرس القومي بقيادة الحرس الاقدم منه حزبياً تمّ استبداله أو قدّم استقالته ليحل محله مقدم الجو منذر الونداوي.

اما اعضاء القيادة العامة فهم :

نجاد الصافي الذي منح رتبة رئيس.
ابوطالب عبد المطلب الهاشمي ومنح رتبة رئيس.
احمد العزاوي الذي منح رتبة ملازم .
صباح المدني الذي منح رتبة ملازم.
حازم سعيد الذي منح رتبة ملازم.
عطا محي الدين الذي منح رتبة ملازم.

اما مكتب التحقيق فتكون من عمار علوش وناظم كزار وعبد الكريم الشيخلي وصدام التكريتي وغيرهم.

تأسس الحرس القومي بقرار رقم ٣٥ في ٢٨ /٢ /١٩٦٣ . ونص القرار على أن " الغاية من تشكيله هي أعداد قوة من الشباب القومي العربي، تتدرب على إستعمال السلاح لغرض معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن العربي وصيانة الامن الداخلي بموجب تعليمات خاصة تصدرها وزارة الدفاع "، وترتبط برئاسة أركان الجيش. وتفصيل واجباتها هي التعاون مع الجيش في صيانة الامن الداخلي وحماية المنشآت الحيوية وتعقب المجرمين والمعادين للجمهورية ومكافحة الدعايات المغرضة وتوجيه أبناء الشعب إلى مبادئ الثورة فضلاً عن مهمات الدفاع المدني ومكافحة الحريق وغيرها. ولم تتشكل قوات الحرس يوم ٨ شباط، بل هي إمتداد للجان الانذار التي شكلها حزب البعث عام ١٩٦٢ ، لاستخدامها في الطوارئ والمهام الخاصة. وبعد دقائق من إعلان حركة ٨ شباط أعلنت "لجان الإنذار" حرساً قومياً. ونزل أفرادها قبل اذاعة البيان الأول للحركة واحتلوا بأسلحتهم مراكز الشرطة ومنائر الجوامع التي استخدمت مكبراتها في التوجيه وإصدار الأوامر، وسيطروا على مفارق الطرق التي ستمر منها الحركة، وربطوا على أذرعهم قطع قماش كتب عليها(ح ــ ق). وقاموا باغتيال عدد من القادة استناداً إلى قائمة وضعت سلفاً وضبطوا الحركة فوق الجسور الحيوية، ولعبوا دور المشاة والأدلاء للدبابات. وتمكن حراس قوميون تساندهم آليات الفوج الآلي الثاني واحياناً كتيبة الدبابات الرابعة من إيقاف تدفق الناس والجنود والضباط من الأحياء البغدادية نحو مراكزهم أو نحو وزارة الدفاع. فلم يبقَ لعبد الكريم قاسم نصيراً غير ابناء المناطق الملاصقة لوزارة الدفاع وشارع الرشيد وشارع الكفاح والجمهورية.

←

ولم يتحول الحارس القومي رديفاً للبعثي اذ لم تنشغل قيادة الحزب القطرية بمهمات حكومية ليست ضرورية كثيرة ،أثقلت اعضاءها باعباء يومية لأخطر وظائف الدولة خصوصاً علي السعدي وحازم جواد اللذين صار عليهما إدارة الحزب والإشراف على رئاسة الجمهورية وزارة الداخلية والارشاد ونيابة رئاسة الوزراء وشؤون مجلس الثورة وقيادة البلد سياسياً...الخ.

ولم تمض اسابيع حتى صارت مؤسسة الحرس القومي في بغداد جيشاً يضاهي عدده جميع القوات العسكرية الموجودة في معسكرات العاصمة. ومن أجل جعله قادراً على الوقوف بوجه الجيش، إقترح محسن الشيخ راضي برنامجاً لتدريب اعضائه على استخدام الدبابات، وتمّ ذلك وتخرجت دفعات قتالية كثيرة. لكن غياب الانضباط وغياب الواجبات المحددة بقوانين،فضلاً عن إنتشار مشاعر التفوق الحزبي بين اعضائه على آمريهم، جعل روح الالتزام والربط العسكري مفقودة، واشاع التسيب والتصرفات الكيفية.

ولذلك لم يستطع جهاز الحرس في اعماله، مضاهاة الادارة الحكومية والعسكرية، بل تحول بسرعة ودون رغبة منّا إلى مجموعات لاترابطها رابطة مركزية مسؤولة واحدة. وتحولت تدريجياً من حماية الامن السياسي والاجتماعي إلى إزعاج الناس بالتدخل المباشر في شؤونهم وفي شؤون الادارة والتسيير الحكومي الذي سبب كثيراً من الارتباك والاحتكاك مع السلطات الحكومية. وتعرضوا للهيئات الدبلوماسية واخضعوا سيارات السفراء للتفتيش، كما لو كانت تعود لمواطنين عاديين، واجبروهم على النزول من سياراتهم وتفتيش جيوبهم واجسامهم. وكانت تصل إلى مقري كوزير للخارجية يومياً عشرات الشكاوي. وأسوأ ما في هذه الصفحة هو تبرعهم، دون تكليف رسمي، بمحاصرة ومراقبة بعض السفارات كالسوفييتية. علما ان الاجهزة الامنية المختصة موجودة وتقوم باعمالها.

تضاعف حجم الحرس القومي خلال ايام إلى ارقام لم نكن بحاجة إليها ولايمكن ضبطها. وأصبحوا يرون في علي صالح السعدي مثلهم الاعلى. في حين كان جهاز الحرس عندما انشئ

في حين تدفق من حي الاعظمية أنصار الحركة نحو وزارة الدفاع وتسلم كل منهم واجبه المكلف به. وقتلت مجموعة اغتيال خاصة زعيم الجو جلال جعفرالأوقاتي. وكان أهم واجباتهم هو القيام باعمال متفرقة يشعر بسببها جميع المترددين بأنهم إزاء حركة واسعة ومدروسة (عسكرية ومدنية). فقد اثار الرجال المسلحون، بملابسهم المدنية،رعباً بين صفوف خصومهم، أكثر مما أثارته البزات الرسمية والعجلات العسكرية. ولم تكن الحركة تحتاج أكثر من اشاعة الارتباك بين صفوف الشيوعيين والعسكريين لتتمكن من أحكام سيطرتها. ويقول ذياب العلكاوي:" ان احمد حسن البكر كان قد وجه في آخر اجتماع قبل التنفيذ سؤالاً إلى حازم جواد قائلاً : ترى مَنْ مِنَ المشاة سيرافق أبا قيس (العلكاوي) وهو يقود الدبابات الثلاثة إلى الاذاعة؟ " فأجاب حازم بثقة:" ليصطحب معه سيارتين لوري فارغتين وشبابنا المنتشرون بدءاً من جامع اليرموك إلى مخفر شرطة المأمون، شبابنا الذين يرتدون بزة الحرس القومي هم مشاة ابي قيس"[1].

محدود العدد ومحدد المهمات، وسليم القيادة. ثم فتحت ابوابه لمن " هب ودب ". فأصبح حارساً قومياً عقائدياً كل من لبس البدلة وحمل السلاح، حتى لو لم تكن لديه مؤهلات أو ادنى فكرة عن اهداف مؤسسته وصلاحياتها. وكان علي السعدي يتردد على مقرات الحرس القومي ليلياً، واحياناً يجالسهم ويتناول معاهم الشراب ، ويعتبر ذلك مظهراً شعبياً. وينتهي الامر بهم في "توالي" الليل إلى مطعم " الحاتي للباجة ". وهناك تدور النقاشات بصوت عال بما في ذلك اسرار الدولة واشخاصها وما لها وما عليها. ويصبح كل شيء في افواه عامة الناس، ويتحول الذين كانوا يأكلون " الباجة " بعد منتصف الليل إلى مصدر للخبر.

كان علينا ان نعترف كقيادة لحزب البعث ــ قطر العراق ــ بأننا لم نضع للحرس القومي خطة مدروسة جيداً، تتعلق بمهماته وبمصيره بعد نجاح الثورة. ومافكرنا به بدقة هو فقط المهمات المستعجلة خلال عملية الامساك بالسلطة، ليكون مفيداً ورديفاً للجيش، ويساعده في المحافظة على الامن. وقد أدت مؤسسة الحرس مهامها تلك بكفاءة مشهودة. لكن بعض رجاله اعجبتهم حالة الثورة والفوضى المرافقة لها، فأرادوا المحافظة على اجوائها.

لم تقتصر ممارسات الحرس القومي على بغداد وحدها، بل تجاوزتها إلى مدن البلاد الاخرى، وكانت تصلنا اخبار ممارسات أفراده الفوضوية المضحكة المبكية بصورة متأخرة، اي بعد خراب البصرة. وقد روى رفاق لنا بعد فقدان السلطة عن ممارسات "قراقوشية" لم نتصور انها يمكن أن تحصل في الواقع. وسأروي نماذج من حكايات كنت شاهداً عليها، ليس لأساهم في الفضح وإنما لأدافع عن العقلانية التي بسبب فقدانها عانت بلادنا ووصلت إلى حالتها الحاضرة المؤسفة.

رؤوساء بلديات رؤوسهم معصوبة

تمّ تعيين محمود شيت خطّاب وزيراً للشؤون البلدية باقتراح من علي صالح السعدي وكان يميل إليه ويعرفه من فترة سابقة. وخطّاب بدوره يعتبر السعدي احد اصدقائه. وكان خطاب قومياً اسلامياً ذا سمعة طيبة وحميدة وعرف كضابط بكفاءته وامانته وصراحته، وقدّم لنا مؤازرة مخلصة في ساعات حالكة خلال عهد عبد الكريم قاسم. وعندما عزم على تعيين رؤساء بلديات جدد في نواحي مختلفة من البلاد، قدّم اسماء المرشحين إلى القيادة القطرية قبل عرضها على مجلس الوزراء، فأقرتها القطرية بعد اجراء تعديلات مناسبة ثم عرضها على الحكومة التي وافقت عليها بالاجماع.وبدأت وزارة البلديات في تنفيذها. وقد اعتنينا بأمر التعيينات البلدية لانها ستكون واحدة من النوافذ التي نطل منها على المجتمع بعد قسوة ممارسات الايام الأولى الاضطرارية للثورة.وفي أحد الايام وبعد إكتمال إجراءات التعيين وإلتحاقهم بمناصب عملهم الجديدة، جاء شيت خطاب إلى مقر حازم جواد، وكنت موجوداً هناك ايضاً، ومع خطاب ستة اشخاص كأنهم خارجون تواً من غرفة إسعاف وتضميد، يحملون رؤوساً

معصوبة وأيدي وأرجلاً وأقداماً مجبرة. وكان منظرهم أشبــه بتظاهرة أثارت استغرابنا. فسألنا الوزير : "من هــؤلاء يـا حاج محمــود؟". فقال إنــهم رؤساء البلديات الذين وافقتــم على تعيينــهم، قام رجال الحرس القومي بضربــهم تأديباً لهم، وطلبوا منــهم أن لا يعــودوا مرة أخرى إلى مراكز عملهم، لأن قيادات الحرس المحلية قد إختارت بنفسها رؤســاء بلديــات آخرين، وهم الآن يمارسون وظائفهم دون الرجوع إلى وزير البلديات.

مع العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت[1]

قدم عبد الكريم مصطفى نصرت إستقالتــه من قيادة الحرس القومي معللا: إنــه لا يستطيع ضبط تصرفات أفراده. لأن كل واحد منــهم يعتقد أن درجتــه الحزبية تؤهله لأن يكون أعلم من أصحاب الشأن وذوي الأختصاص فيما يجب عمله. ويكون ذلك أسوأ إذا كــان مركــز الحارس القومي الحزبي أعلى من آمره العسكري. فلم يحترموا الانضباط والتسلســل الاداري ولا الرتب العسكرية. وإنــه، أي مصطفى نصرت، لم يعد يطيق تحمل ضغط الأعصاب ولا حجــم شكاوى الناس ومؤسسات الدولة والجيش. كما إنــه غير قادر على تنفيذ العقوبات أو تــأمين سلامة تنفيذ الأوامر لعدم وجود الأداة بين يديه.

وقد أخبرني نصرت: " إن جولات علي السعدي على مقرات الحرس القومي وتصرفاتــه أمامهم وتحدثه عن المسؤولين الآخرين وعن السفارات الأجنبية التي تتجسس على العراق!! وغير ذلك من الكلام الذي يشجع الحراس القوميين على تقمص شخصيتــه وعلى قلــة الالــتزام، خصوصاً وإن ما يسمعونــه صادر من أعلى جهة في الحزب والدولة. وإنــه ، أي نصــرت، يستقيل لعدم قدرتــه على أداء مهمتــه.

وعلى ضوء الاستقالة الآنفة تم تعيين ضابط حزبي قديم، يحترمه البعثيون، هو منذر الونـداوي الذي وعد بضبط الحرس القومي، لكنــه إضطر مجبراً على مسايرتــهم بدلا من كبح جماحهم. فإستمرت ممارساتــهم المثيرة وتبادلهم إطلاق الناريوميًا في بغــداد مع قوة الحراسة المرافقة لعبد الكريم مصطفى نصرت الذي أصبح بعد إستقالتــه قائداً للفرقة الرابعة المدرعة، وهي الفرقــة

١ــ العقيد الركن المظلي عبد الكريم نصرت أضيف عضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة والمكتب العسكري قبيــل ٨ شباط ٦٣ بأيام بــهدف زيادة عدد الضباط من ذوي الرتب الكبيرة، ثم عين أول رئيس للحرس القومي، وقائداً للفرقة الرابعة المدرعة، ثم قائداً حزبياً في التنظيم العسكري للبعث بعد ١٨ تشــرين الثاني١٩٦٣ . قتله نظام صدام حســين غدراً، ولفق تمثيلية سخيفة عن مقتله وعرضها في تلفــزيون بغــداد. وتمكن تنظيم يسار البعث من الحصــول علــى النسخة الخاصة بالتحقيق السري الذي أجرتــه شرطة الكرخ العسكرية، وجاء التقرير الطبي مخالفاً لنتائج التحقيق الــتي أذاعتــها سلطة ١٧ /٣٠ تموز ١٩٦٨ عبر الراديو والتلفزيون، فقامت بطبعها بمطابع حزب البعث السرية (اليســار) على شكل منشور وتوزيع عشرات الآلاف منــه في كافة أنحاء العراق. وعلى أثره قامت حكومة بغــداد بتغيــير إدارة الشرطة العسكرية ونقل الأطباء الثلاثة الموقعين على نتائج التحقيقات الطبية إلى مناطق نائية.

العسكرية الوحيدة الموجودة في بغداد، بمعنى إنه يقود قوة النظام وحماته من الضباط البعثيين الذين نفذوا ثورته. أما سبب إطلاق النار بين حراس قائد الفرقة ومسلحي الحرس القومي فمصدره إصرار عبد الكريم نصرت على عدم الامتثال للتفتيش عند الذهاب والعودة يومياً من وإلى منزلهِ.

دولتان ومرجعيتان

أصبح روتينياً أن يدخل الحارس القومي إلى المحكمة، ويمد يده إلى قفص الاتهام ليخرج منه من يشاء من المتهمين، ويترك خلفه القاضي مندهشاً، خجلاً وخائفاً. لكن القاضي تجنبا للاحراج يضطر في النهاية إلى الخضوع والتظاهر بالموافقة، فيصادق على الفوضى. ويحصل مثل هذا الامر بصورة أكثر صراحة وإزعاجاً خارج مدينة بغداد، بعيداً عن مركز قوة الدولة حيث تفقد المحاكم هيبتها ويحل الخوف محل الأمن والطمأنينة، بصورة تظهر فيها أجهزة الدولة الرسمية هزيلة وعاجزة أمام رأي عام صامت وربما شامت.

وهكذا بدانا نشعر بأن الدولة التي نقودها أخذت تتفكك بفعل الأضرار التي يلحقها بها جهاز محسوب عليها وعلى الحزب الحاكم نفسه. فكانت هناك دولتان ومرجعيتان، يقع في الإحراج أمامهما حتى الحكام الفعليون.

ظواهر لايمكن السكوت عليها

في أحد الايام، بينما كنت عائداً إلى منزلي بعد انتهاء اجتماع المجلس الوطني لقيادة الثورة، أوقفني على الطريق رجال الحرس القومي، رغم ان سيارتي معروفة لديهم وتحمل نمرة (الخارجية١)، فسألت أحدهم: لماذا أوقفتم السيارة؟ قال: لدينا إنذار. قلت: ومن أصدره؟ أجاب: القيادة.

وعندما وصلت الدار اتصلت بقيادة الحرس مستفسراً، فأجابني نائب القائد العام نجاد الصافي قائلاً: والله ليس لديهم ما يعملونه فأصدرنا لهم إنذاراً!! فقلت: وهل إزعاج بغداد كلها وإثارة قلق المواطنين وبث حالة من الرعب يجلب لكم الطمأنينة والأمن؟ إنكم تجعلون المواطن يعتقد ان الحزب والدولة مرتبكان وخائفان من عدو يترصدهما. وأضفت: ان عدم وجود أعمال لدى الحرس القومي لا يبرر ما تفعلون، فلماذا لا يذهبون إلى ثكناتهم أو تسرحون من ليس لكم حاجة بهم، وتكفّونا وتكفّوا عن الناس شرهم ؟

وكل ذلك كان يمكن معالجته بشيء من الحوار وببذل جهود استثنائية، دون الحاجة إلى استخدام السلاح. لكن شيئا اخطر وأكثر صبيانية وفوضوية يحصل كل يوم وهو إقدام أفراد الحرس، دون أسباب موجبة ودون خطة محسوبة، على مضايقة وتفتيش ضباط الجيش وقادته،

وهم قوة مدججة بالسلاح واقوى وأكثر تنظيماً من الحرس القومي. ومن غير الممكن وليس معقولاً ان يوافق الضباط على خضوعهم للتفتيش اربع مرات باليوم عند ذهابهم وعودتهم، بمن فيهم الضباط البعثيون الذين يمسكون اهم المراكز والوحدات العسكرية والامنية.

ولذلك وكإنذار أولي أمطروا مكاتب وزير الدفاع صالح مهدي عماش، ورئيس أركان الجيش طاهر يحيى التكريتي ومعاونه خالد مكي الهاشمي، ومدير الاستخبارات محيي محمود، وقيادة المكتب العسكري للبعث بشكواهم وتظلمهم. وكان ذا مغزى ان الضباط لم يلحظوا خلال محنتهم مع الحرس أي تعاطف من قبل علي صالح السعدي أو جماعته ولا من قبل قيادة فرع بغداد للحزب، بما يخفف عنهم ويشعرهم بوجود رغبة في تسوية الامر.

وعلى ضوء ماعرضت ولأسباب أخرى كثيرة، تحركنا مرات عديدة بهدف ايقاف تدهور الوضع وكان بين تلك التحركات، عقد اجتماع للقيادة القطرية في مكتب حازم جواد (بعد فترة قصيرة من الثورة)، و لم يكن علي السعدي موجوداً، وبعد التداول حضر السعدي فابلغه حازم جواد بقرار تنحيته عن وزارة الداخلية. فقال السعدي: ارفض ذلك وانا خارج من هذه الجلسة. فاجابه حازم اخرج واعتبر نفسك مفصولاً من الحزب منذ هذه اللحظة. ويااليتها حصلت ...

لكن السعدي استدار فجأة وجلس هادئاً كالتلميذ في كرسيه، قائلاً: ولكن أرجو ان تسمحوا لي باختيار الوزارة البديلة. فاختار وزارة الارشاد. وفي الواقع لم نكن نعير هذه الوزارة أهمية كبيرة، بل اعتبرناها خاضعة في أي وقت لتوجيهنا، مادمنا في السلطة، فهي تنطق باسم الحكومة ولن تتحول مركزاً للاستقطاب.

انتهت الجلسة بخروج علي من الداخلية إلى الارشاد. في حين نقل مسارع الراوي من الارشاد إلى وزير دولة بلا وزارة وبلا مكتب. و لم يكن قرار القطرية حاسماً كفاية لكي يفهم الحراس القوميون انهم أُخضعوا وعوقب رمز تسيبهم وفوضويتهم. كما ان التجربة العملية اثبتت ان وزارة الارشاد هي اهم مما تصورنا، خصوصاً إذا ما انتقلت من يدي مسارع الراوي وهو بعثي غير قيادي إلى يدي شخصية مثيرة مثل علي السعدي الذي جعلها مركزا للاستقطاب ومركزاً ومقراً للتأثير على الرأي العام البعثي وغير البعثي.

ولابد لي هنا من التأكيد بان أحداً منا لم يفكر في تعيين هاني الفكيكي وزيراً للداخلية بدلاً من السعدي. وان عبد الستار عبد اللطيف لم يكن في موقع يسمح له بعرض وزارة الداخلية على الفكيكي أو حجبها عنه. فلم يحضر هاني اجتماعها عندما قررت تنحية السعدي وتعيين حازم في محله. فالقرار اتخذه المكتب السياسي الذي يتكون مني (طالب شبيب) وحازم جواد وعلي السعدي ومحسن الشيخ راضي وكريم شنتاف وحميد خلخال، بغياب حمدي عبد

المجيد، و لم يكن الفكيكي حاضراً في ذلك الاجتماع، رغم استدعائنا عضوين من قيـادة فـرع بغداد لأسباب تتعلق بالاختصاص والاستشارة، وكان أحدهم كما أتذكر د. فائق البزاز (يعيش بأمريكا حالياً)، وأذكر انـه تحدث قائلاً: إذا خرج علي من الداخلية فلا يجب ان يحل محلـه غير حازم جواد. واعتذر حازم في البداية، ولكن لم يكن هناك بداً من قبولها. لأنـه لم يكـن بيننا من هو مرشح لها، و لم اكن أنا شخصياً أستطيع الجمع بين الخارجية والداخلية. و لم يفـاتح أي شخص آخر بمن فيهم الفكيكي، لا بأمر إخراج علي السـعدي، ولا بتوزيـع الحقـائب الوزارية. وليس صحيحاً ما جاء بكتاب "أوكار الهزيمة " بأننا أنا وحازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف عرضنا على الفكيكي وزارة الداخلية، و لم يقف أحد ضد تسلمه الداخلية أو غيرهـا. وارى ان ما كتبـه لا يعبر إلا عن بواطن حلمه في ان يكون وزيراً، ولو كنا نعـرف ذلـك لأعطيناه وزارةا[1].

مواجهة بين الجيش والحرس القومي

في تلك الفترة وبينما كانت الأمور تتفاعل، دخلت مكتب رئيس الجمهورية عبد السـلام عارف في القصر الجمهوري لقضاء حاجات تتعلق بوزارتي، فوجدت عبد السلام يتحاور مـع وزير الدفاع في موضوع التجاوزات اليومية على مؤسسات الدولة والجيش. وكنت في عجلـة فاستأذنتـهما علىٍ ان أعود مرةً أخرى. لكنـهما أصرّا على ان استمع إليهما. فتحدث صـالح مهدي عماش قائلا:

أنا لست عضواً في القيادة القطرية، وأريدك ان تستمع ليصل مـا أقولـه إلى أعضائـها. وأضاف: انـه يشعر بوجود تذمر بين قادة الجيش بسبب إهانات الحرس القومي لهم وإيقـاف سياراتـهم العسكرية على الحواجز، وتفتيش ركابـها من الضباط ومعاملتـهم بطريقة غـير لائقة . وغالباً ما تأتي الشكوى من ضباط بعثيين، شـاركوا في الثـورة. وتسـتطيعون الآن الاستفسار من وكيل وزير الداخلية ومدير الشرطة العام عن عدد الإصابات اليومية بين أفـراد الحرس القومي بسبب سوء استخدام رشاشات بور سعيد المصرية الصنع، وهي ليست حسـنة التأمين " وتثور" وتقتل الأفراد عندما يتمازحون أو يهدد بعضهم بعضاً لهواً ومزاحاً. وأحيانـاً

---

١ ـــ بعد التدهور السريع الذي أصاب علاقة علي السعدي بالعسكريين ، بعثيين وغير بعثيين، عقد اجتمـاع ضـم الفكيكي والبكر وحردان وطاهر يحيى التكريتي وعبد الستار عبد اللطيف، واجمع الحاضرون علـى ضـرورة احراج علي السعدي من الحكم وتحذيره بأن الجيش مستعد لفرض ذلك الامر. وبعد مداولات وتـهديدات من البكـر بالاستقالة تقرر تغيير وزارة السعدي من الداخلية للارشاد.

ويقول الفكيكي انـه في مساء ذلك اليوم وقبيل اجتماع المكتب السياسي لاقرار ماتم الاتفاق عليه، اتصل بـه طالب شبيب وعبد الستار عبد اللطيف وحاولا اقناعه باستلام وزارة الداخلية خلفاً للسعدي. ورفـض الفكيكـي ذلـك الاقتراح، واقترح بالمقابل تعيين حازم جواد وزيراً للداخلية لانـه الوحيد المعادل للسعدي في قيادة الحزب والدولة[2].

تنطلق عند سقوطها من ايديهم ارضاً. وحسب علمي ان هناك ست حوادث قتـــل أو مـــوت تحصل يومياً للأسباب المذكورة. كما ويرتاد عدد كبير من افراد الحـــرس القومـــي الملاهـــي والحانات البغدادية الليلية، فيفرضون على اصحابـــها ما يشاؤون، وعلى الفنانين والفنانات مـــن طلبات الاغاني إلى طلبات "المضاجعة". وستجدون كلما تعمقتم في البحث مـــا يصـــم الآذان ويزكم الانوف. واضاف: ان كل ذلك مقبول ويمكن معالجتـــه. ولكن الخطر الحقيقي سيكون في حالة دفع الامور إلى الاصطدام المسلح بين الجيش والحرس. ولن اسمح بذلك، بوصفي وزيـــراً للدفاع. وارجو ايقاف تلك الاستفزازات وإيقاف التشجيع الذي يلقاه الحرس القومي من علـــي صالح السعدي... انتـــهى كلام عماش.

اطرقت وفكرت ملياً بما قاله عماش ، وحاولت أن أجد أسباباً لما يحصل. وكنت قبل ذلـــك قد قدَّرت بأن بعض الفوضى ربما تعود إلى شعور عدم الرضى لدى بعض اعضاء القيادة القطرية من مؤيدي علي السعدي الذي بات لايحترم احداً ويتغيب عن حضـــور اجتماعـــات مجلـــس الوزراء، بسبب عدم مشاركتـــهم في ادارة السلطة، فقررنا الحاقهم بعضوية المجلـــس الوطـــني لضمان مساهمتـــهم في مناقشة وإقرار الاعمال الحكومية. لكن ذلك لم يخفف مـــن الفوضـــى السائدة.

وحينـــها تذكرت وادركت بأن العقيد الركن عبد الكريم نصرت وهـــو أول قـــائد عـــام للحرس القومي، لم يقدم إستقالتـــه لعدم كفاءتـــه وإنما لعدم تمكنـــه من ضبط الفوضـــى. وان منذر الونداوي رغم شجاعتـــه المعروفة، لم يكن أقوى ولا أشجع ولا أرجل من كريم نصرت، بل وجد نفسه غير قادر على السباحة ضد التيار، فسبح معه. وشكل التوافـــق بـــين القـــائد العسكري الجديد والقيادة العامة للحرس القومي كارثة لمسيرتنا وتجربتنا في السلطة[1].

نقلت تحذير صالح مهدي عماش والقيادة العسكرية البعثية إلى القيادة القطرية للحزب، فتذمر علي السعدي وجماعتـــه تذمراً سيتطور إلى خلاف شديد بيننا، بدلاً مـــن اســـتغلالها فرصـــة للمصارحة وإعادة التفكير والتقويم والعودة بالأمور إلى نصابـــها.

---

١ ـــ من اكبر أخطاء القيادة العامة للحرس القومي هو استمراره بتأدية نفس المهمات التي قام بـــها في الايـــام الأولى لحركة ٨ شباط[3]. وبذلك أخذوا تدريجياً دور الشرطي ومراقب التموين والمخاتير ورؤساء البلديات. في حين كـــان البعثيون قبل السلطة يحلمون بأفكار أكثر خطورة كالوحدة وتحرير الاراضي المحتلة ومكافحة التبعية الاقتصادية والثقافيـــة والثورة على الاساليب القديمة والبحث عن مكان بين الحضارات المعاصرة. لكن تدخلهم بشؤون الدولـــة وضعـــها في خطر وأظهرها راكعة خاضعة وخائفة واخذت تكتسب احترامها الضروري من خوف المجتمع من الحرس القومي. امـــا الشعب فشعر بخوف لم يحس بـــه من قبل بسبب وجود دولة أخرى غير نظامية وغير ملتزمة بحدود قانونيـــة تتحكـــم بعلاقتـــه بالشؤون العامة، مما صادر من المجتمع حياتـــه المدنية وخلق عزلة وحذراً بين المؤسسة والمواطنين الذين يميلـــون إلى الحياة العلنية الآمنة ويفضلون التعامل مع القوانين الرسمية.

لجنة تحقيق برئاسة احمد العزاوي

وعلى ضوء التطورات الخطيرة وبعد حادث رؤساء البلديات شكلنا لجنة تحقيق حزبية على مستو عال برئاسة المرحوم احمد العزاوي[1] وقامت بجولة على كافة ألويـــة وأقضيـــة العـــراق، وأعدت تقريراً ضخماً حول نوع الممارسات والتجاوزات على المواطنين وضد أحهزة الدولة.

وبعد إتمام عملها حصل اجتماع في وزارة الداخلية حضره حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وأحمد العزاوي وأنا. وعندما سألنا عن النتائج أجاب العزاوي ضاحكاً: لو عرفتم ما فيه لحمـدتم الله على ما تعلمون. قلنا: نريد نسخة من هذا التقرير، قال: لا نستطيع إعطائـــه الآن،لأننـــا لم نستكمل صياغتـــه النـــهائية، ولم نتوصل بعد إلى توصيات واقتراحات محددة، وأضاف مازحاً: "قد لا نسلمه لكم لأننا نعرف موقفكم من الحرس القومي، وبالتأكيد ستستخدمونـــه لمزيد من الدعوة إلى وقفه والتضييق عليه".

وفي الحقيقة لم نكن قد فكرنا حتى اللحظة الأخيرة في حل الحرس القومي لأننا ايضاً نظرنـــا إليه كاحتياط مسلح يحمي الحزب، بشرط أن لا يوضع في مواجهة القوات المسلحة التي يســيطر على وحداتـــها الرئيسية ضباط بعثيون سيطرة تامة.

أردنا للحرس القومي أن يكون عوناً لحفظ الامن الداخلي، لأن جهاز الشرطة فاســـد ولا يعتمد عليه، ولم نرغب في أن نـــزج الجيش في مهمات الأمن الداخلي التي ستشـــوه سمعتــــه وتبعده عن وظيفتـــه الاساسية وهي الدفاع عن ارض الوطن ضد اي عدوان خارجي محتمـــل، وتأدية دوره الموعود في مهمات التحرير القومي.

لكن النتائج لم تأت مطابقة للآمال، لذلك فكرنا بحل تبقى معه قيادات الحـــرس القومـــي وقواتـــه الرئيسية موزعة على مراكز اساسية على رأس عدد محدود مـــن الحـــراس المرموقـــين والمؤتمنين، في حين يذهب البقية منـــهم إلى أسرهم واعمالهم مع الاحتفاظ بالملابس والسلاح في بيوتـــهم أوفي اماكن امينة يتفق عليها. ويرافق ذلك تنقية الجـــهاز مـــن العنـــاصر الضـــارة والانتـــهازية، مع تشكيل جهاز خاص كفوء للانذار السريع بامكانـــه الإشراف على نظـــام

---

١ ــ احمد العزاوي: عضو قيادة فرع بغداد وعضو القيادة العامة للحرس القومي وعضو القيادتين القطرية والقوميـــة للبعث، ومسؤول مكتبـــه العسكري منذ عام ١٩٧١ اثر الحركة التصحيحية التي قادها الرئيس السوري حافظ الأسـد. وقد تمّ اغتياله بعد محاولات عديدة فاشلة من قبل جهاز المخابرات العراقية وعملائه في عام ١٩٧٥ . وكان شـــخصية حزبية مرموقة وخطيرة وشهد وقائع البعث العربي الاشتراكي وتنبأ بخطر الدكتاتورية منذ ١٩٦٣[4] وتنبأ بمستقبل مظلم للعراق تحت سلطة (البكر ــ صدام) لذلك استعجل رفاقه واطراف المعارضة للقيام بعمل جاد، فســـاهم في تأســيس التجمع الوطني العراقي الذي ضم الحزب الشيوعي (ق . م) والبعث(اليسار) وحركة القوميـــين العـــرب والحركـــة الكردية واطراف معارضة اخرى. ومنذ استشهاده لم تستطع المعارضة انشاء تجمع بنفس الفعالية والرسوخ رغم اتســاع رقعة المعارضين وأعدادهم.

مدروس للتعبئة. ومن اجل تحقيق ذلك اقترحنا، مباشرةً قبيل انعقاد المؤتمر القطري الاستثنائي لحزب البعث، اخراج منذر الونداوي من قيادة الحرس القومي وتسليمها إلى ضابط غير سياسي هو المقدم عبد الستار رشيد لكي يقوده استناداً إلى قواعد عسكرية فنية، فيخضع للأوامر الرسمية القانونية. وجاء الاقتراح بعد مداولات بين حازم جواد والبكر وعماش وجميل صبري ومحمد المهداوي وعبد الستار عبد اللطيف وآخرين، لكنه فشل لان منذر رفضه بشدة[1].

اما فكرة حل الحرس القومي فلم تدرس و لم تطرح بيننا، و لم تدر في خلد احد من البعثيين بإستثناء عبد السلام عارف وأولئك الذين إلتحقوا بالثورة قبيل وبعد اعلانها. وطرح عارف فكرة حل الحرس على هامش انعقاد المؤتمر الاستثنائي في ١١ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، إلاّ إننا (حازم وطالب) أبلغناه بصراحة ان حلّه غير ممكن، ولكن ضبطه بصورة معقولة سيعيد الامور إلى وضعها الطبيعي، وأفضل ما نقوم به الان هو تشكيل قيادة كفوءة جديدة له، تحترم القوانين وتتدبر امر منع افراده من الخروج على الواجبات المقررة، وبذلك يتحول إلى احتياطي مفيد ومكمل للجيش والشرطة والامن.

وعند انعقاد المؤتمر الاستثنائي لم يطرح احد في المؤتمر اية ملاحظة حول مستقبل الحرس القومي. ولو كنا نرغب بحله لأذعناه مباشرةً خصوصاً بعد أن أعلنت وحداته التمرد علينا. وعلى اية حال فلم نحصل على الفرصة لتنفيذ مافكرنا به من اجل تأهيل الحرس بسبب قيام عبد السلام عارف بانقلابه العسكري في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ واعلانه حله وانتهاء حكم حزب البعث.

ان ما يؤكد صحة ماذهبت إليه من اننا لم نضمر العداوة للحرس القومي، و لم نرغب بغير الاصلاح هو ان أياً من قادة الحرس الحاضرين في المؤتمر القطري الاستثنائي، الذي انتهى بتسفير علي السعدي واركانه، لم يوقف أو يعتقل اويجرد من مهنته ورتبته الحزبية. وكان يحضر المؤتمر كل من نجاد الصافي نائب القائد العام للحرس القومي واحمد العزاوي عضو قيادته العامة فضلاً عن الونداوي وغيرهم، وقد خرجوا من المؤتمر سالمين وعادوا إلى

---

١ ــ يذكر ان المؤتمر القومي السادس الذي انعقد بدمشق، خلال الازمة الداخلية العراقية، بين ٥ ــ ٢٣ تشرين أول (اكتوبر) ١٩٦٣ قد اشار إلى تمسكه بالحرس القومي رغم تحذيره من الاخطاء التي يرتكبها اعضاؤه. وأكد ان الحرس القومي هو حصن الثورة، ويجب توسيع تجربته ليصبح قادراً على تأدية مهام ثورية في ميدان البناء الاشتراكي، وفي توعية الجماهير الشعبية، والوقوف بحزم ضد اي خطأ يقع فيه بعض افراده.

وواضح تأثير خط السعدي والمتحالفين معه من السوريين على اعمال المؤتمر القومي السادس الذي استخدم مصطلحات الاشتراكية الديمقراطية والعلمية وتسليم السلطة للعمال والفلاحين. فضلاً عن الموافقة على قيام وحدة ثنائية عراقية ــ سورية ، يبقى فيها الباب مفتوحاً أمام مصر. وضرورة اقامة علاقات وطيدة مع الدول الاشتراكية. كما نجح السعدي في ابعاد طالب شبيب وحازم جواد من عضوية القيادة القومية.

مقراتهم ليقودوا التمرد والثورة علينا. فلم تكن لدينا خطة ضدهم، بل كان هدفنا استعادة هيبة الدولة والقانون بحيث يأخذ الحرس مكانه فيها، وليس ليكون بديلاً عن كل شيء بما في ذلك الدولة والحزب، ولا أن يصبح جهازاً عسكرياً محضاً موازياً للجيش النظامي، لان اي بلد لايحتمل وجود جيشين. ومن الطبيعي ان تكون التجاوزات ضد القانون غير مقبولة حتى في أكثر البلدان تخلفاً وفوضوية.

سؤال: هل تعتقد ان القارئ سيكتفي، إذا تحدثنا عن الحرس القومي دون بحث الاتهامات الموجهة إلى بعض لجان التحقيق في بغداد وخارجها؟

طالب شبيب: في الاسبوع الأول للثورة، قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة تشكيل لجنة عليا من مسؤولين في الحزب، لديهم معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي واساليب العمل السري المعتمدة. وذلك بعد تكاثر عدد المعتقلين الشيوعيين ولعدم وجود لجان متخصصة تكفي للنظر في قضاياهم. وايضاً بسبب عدم الثقة بالاجهزة التقليدية الموروثة من عهد عبد الكريم قاسم. وكان بين المكلفين بهذه اللجنة اعضاء من قيادة فرع بغداد وشعبها كنجاد الصافي وابو طالب الهاشمي ومدحت إبراهيم جمعة واحمد العزاوي وبهاء شبيب وعمار علوش ثم التحق بهم ناظم كزار وصدام التكريتي وعبد الكريم الشيخلي (قبل تعيينه معاوناً للملحق العسكري في بيروت).

واستطاعت هذه اللجنة في فترة قصيرة كشف الحجم الحقيقي للتنظيم العسكري للحزب الشيوعي، ولو كنّا عرفنا مدى سعته وامتداده قبل الثورة، لفكرنا ألف مرة قبل الاقدام عليها. إذ بلغ عدد منتسبيه بين القادة والضباط ونواب الضباط وضباط الصف ما يتجاوز الألفين[1].

---

١ ــ حتى ١٩٦١ وصل اعضاء الحزب الشيوعي في الجيش إلى ٥٠٠ ضابط، وثلاثة آلاف من الجنود وضباط الصف من اصل خمسة الاف ضابط(مجموع ضباط الجيش العراقي) و مائة وعشرة الاف عسكري، وهو مجموع افراد الجيش العراقي[5]. وبلغ عدد الضباط الذين يدفعون تبرعاً شهرياً للحزب الشيوعي حوالي ١٢٠٠ ضابط وآلاف من الجنود والمتعاطفين[6]. ويلي الشيوعيين من حيث عدد المنتسبين من افراد القوات المسلحة تنظيم اخوان المسلمين ثم البعثيين والقاسميين[7]. وبسبب قوة الحزب الشيوعي ومعاملة قاسم القاسية للشيوعيين ، فكر عدد من قادتهم العسكريين باستلام السلطة وكان أولهم الرئيس المتقاعد فاتح الجباري ، تلاه في المطالبة بعد فترة (عام ١٩٥٩) خزعل السعدي وخليل إبراهيم. ثم الخطة التي قدمها قائد القوة الجوية جلال الاوقاتي للاطاحة بقاسم، والتي تضمنت الاستعانة بوحدات موجودة في بغداد للاستيلاء على وزارة الدفاع وتسفير قاسم إلى احدى الدول الاشتراكية. لكن المكتب السياسي للحزب الشيوعي رفض التغيير ضد قاسم في اجتماع حضره كل من سلام عادل وزكي خيري وعامر عبد الله وعبد السلام الناصري ومرشح المكتب السياسي عزيز الشيخ. وكان هؤلاء جميعاً يضاف لهم بهاء الدين نوري وثابت حبيب العاني يقفون ضد مبدأ استلام السلطة، ويستثنى منهم فقط سلام عادل الذي كان مع فكرة استلام السلطة،
←

مقارنة بتنظيمات القوميين بمن فيهم منتسبو حزب البعث والتي لا يزيد أعضاؤهـــا عـــن ٤٠٠ عسكري.

أما التنظيم الشيوعي المدني، فقد تمكنت لجنة التحقيق الخاصة من كشفه بسرعة، ونجحـــت بإعتقال قيادة الحزب وسكرتيره العام وداهمت كل مراكزه وأوكاره السرية ومخابئ أسلحتـــه خلال أيام. وتمكنت من تجنيد عدد من قياديي الصف الثاني المتعاونين مع لجـــان التحقيـــق، في المطاردات إذ سمح لهؤلاء الخروج والعودة إلى المعتقلات لجمع معلومات عن كوادر الحزب الذين مازالوا أحراراً. وكانت تلك النجاحات سبباً في إطلاق سراح الكثير من المعتقلين عشـــوائياً أو المعترفين وغير المفيدين للتحقيق.

وزير الدفاع عماش يأمر بقتل شيوعيين متعاونين

لعب عدد من الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق دور العميل المزدوج لحزبـــهم ولهيئات التحقيق. فيخبرون سكان الأوكار قبل مداهمتـــها بقليل ليتمكنوا من الفرار. لكن نجاح الحـرس القومي في إلقاء القبض على بعض الهاربين من أوكارهم ، كشف ازدواجية وتواطـــؤ أولئـــك الأدلاء، فعملوا بسرعة على سد الثغرة ومعاقبة المسؤولين عنـــها.

وأشهد أن الحرس القومي والجهاز الحزبي كانا ديناميكيين وقاما بدورهما في التعقب والحماية والتحقيق بكفاءة عالية وحذاقة تعادل أو تفوق حذاقة الشيوعيين واجهزتـــهم الخاصـــة الـــتي ساندت "محكمة الشعب" ضد القوميين ايام المد الشيوعي والمقاومة الشعبية .

وأرى ان اجهزة صدام حسين قد استفادت كثيراً من تراكم الخبرة، فتعلمت كيف يمكـــن حكم شعب غصباً عنـــه بواسطة ايجاد جهاز خاص منظم ، يفهم آلية المعارضة ، ويعيش افراده داخل المجتمع ، يخدم الدولة وهو منفصل عنـــها بنفس الوقت. وبذلك يمكن الاحاطة بـــالخصم وتقليص مدى حركتـــه وتدميره.

استغل صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) فرصة غيابنا، أنا والسعدي، في القاهرة للتحضـــير لمحادثات الوحدة، فذهب إلى "قصر النـــهاية" ومعتقل "ابو غريب" ومعتقلات التحقيق الاخرى وطلب تسليمه حوالي عشرين شيوعياً معتقلاً بينـــهم ١٨ من المتعاونين المزدوجي الولاء وأمـــر بإعدامهم، وبعد تنفيذ الإعدام ذهب إلى مجلس قيادة الثورة وحصل على قرار للمصادقة علـــى قتلهم، رغم معارضة حازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وحميد خلخال وآخرين،

وهذه الجماعة بالإضافة إلى مجموعة خط آب ١٩٦٤، حطمت معنويات الشيوعيين وألحقت بـــها هزيمة أكبر من الهزيمة المادية التي لحقت بـــهم عام ١٩٦٣.

لان غيابنا رجح كفة العسكريين داخل مجلس قيادة الثورة[1]، و لم تكن ازدواجية ولاء بعض المغدورين سبباً كافياً لقتل جميع المتعاونين، بل كان لبعضهم دور هام في إلحاق اكبر الضرر بتنظيمات الحزب الشيوعي العسكرية.

وعلى اثر مجزرة عماش المذكورة تقرر عدم تسليم المعتقلين إلى أي شخص مهما كانت صفته أو مركزه، خصوصاً أن عدد من أعضاء اللجنة الخاصة قدموا استقالاتهم وأبلغوني قراراتهم (وبينهم أخي بهاء شبيب)، فقدمت لهم الدعم والتأييد وطلبت منهم عدم الاشتراك بأي نشاط، قبل إيقاف الأعمال الكيفية الحقود. وأخبرنا أعضاء اللجنة التحقيقية الرئيسية أن القتل في هيئات التحقيق أصبح نهجاً وثأراً من الماضي، أكثر منه عملاً أمنياً يستهدف حماية الحاضر، وبان استمرار هذا النهج سيؤدي إلى قطع الأمل بالعفو والمصالحة.

منذ تلك الحادثة قررت القيادة القطرية ربط هيئة التحقيق كلها بمكتب جديد سمي بالمكتب الخاص ورئيسه عضو قيادة قطر العراق لحزب البعث هو محسن الشيخ راضي، وتم بوجود المكتب الجديد قطع صلة هيئات التحقيق بوزارة الداخلية ووزيرها حازم جواد وبمدير الأمن العام جميل صبري البياتي. و بصراحة لا يمكن توجيه اية تهمة لمحسن الشيخ راضي الذي تسلم مكتبه بعد حوالي شهرين من الثورة، أي بعد تدمير البنية الأساسية للحزب الشيوعي.

أما قبل وجود المكتب الخاص فكانت هناك لجان مكلفة من القيادة القطرية ومجلس قيادة

---

١ ـ يتكون مجلس قيادة الثورة من المدنيين : علي صالح السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، محسن الشيخ راضي، حمدي عبد المجيد، كريم شنتاف، حميد خلخال، هاني الفكيكي، سعدون حمادي، ويصوت معهم من العسكريين عندما يتعلق الامر بالإعدامات كل من منذر الونداوي، عبد الكريم مصطفى نصرت، انور عبد القادر الحديثي، وأحياناً خالد مكي الهاشمي. أما اعضاؤه العسكريون فهم: عبد السلام عارف، احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، طاهر يحيى التكريتي، ذياب العلكاوي، خالد مكي الهاشمي، كريم نصرت، عبد الغني الراوي، حردان التكريتي، منذر الونداوي وانور عبد القادر.

أما الشيوعيون الذين تعاونوا مع لجان التحقيق أو عملوا خطاً مائلاً بين الطرفين فمن بينهم: عباس خضير الخفاجي، عبد الوهاب عبد الرزاق (مرشح لجنة مركزية في فترة سابقة وأصبح وكيلاً مندساً على الحزب الشيوعي منذ ١٩٤٧)، حسين طه (عضو لجنة مركزية في مرحلة سابقة ايضاً واستدعي لمعاونة لجان التحقيق)، رسمي العامل (الذي تعامل مع بهجت العطية مدير التحقيقات الجنائية الملكية، و لم يحاسبه عبد الكريم قاسم)، وهاشم حسين (مسؤول الموصل).

و يعتقد الفكيكي إن عملية القتل تمت بسبب تسرب دعاية حول إمكانية أن يبدأ البعثيون والشيوعيون حواراً للتفاهم خصوصاً مع قادة الحزب الشيوعي المعتقلين، فجرى تدبير المجزرة المذكورة لقطع الحوار[8] وكان أحد أهم أبطال مجزرة عماش ضد الشيوعيين المتعاونين عبد الكريم الشيخلي الذي كوفئ، بدلاً من معاقبته، بتعيينه معاوناً للملحق العسكري ببيروت.

الثورة، ومزودة بتعليمات خاصة لا تتضمن اية موافقات بالقتل. فلم نعط اية جهة، بعد اليوم الأول للثورة، صلاحيات بالقتل. وإن جميع الأحكام التي صادق عليها المجلس الوطني لقيادة الثورة قد جاءت بعد التنفيذ، أي بعد أن صارت أمراً واقعاً مفروضاً.

لم تكن اللجان المذكورة وحدها مسؤولة عن التصفية الجسدية للخصوم السياسيين، إنما حصلت أعمال فردية كثيرة خصوصاً في الأيام الأولى. و لم نكن نعرف بها، وساهم فيها طلاّب ثأر أو أشخاص ينتمون لحركات قومية وناصرية[1] وكان أسوأها المجزرة التي نفذها عماش ضد الضباط في معسكر الرشيد، وأعمال قتل قيادة الحزب الشيوعي التي لم نكن بحاجة اليها.

ويجدر بنا الاعتراف بأن الخمسة ايام الأولى قد مرت بلا تخطيط وبلا قرار قيادي واضح ونافذ، فحصل خلالها جل اعمال التعذيب والقتل. وكانت عشوائية قبلناها من اجل شل الجهاز العسكري الشيوعي.

---

١ ــ أصبح قصر النهاية مقراً للمكتب الجديد "المكتب الخاص" الذي تتبعه جميع هيئات التحقيق وفي مقدمتها مقر محكمة الشعب (سابقاً) ومركز تحقيق المأمون والنادي الأولمبي ونادي النهضة وكان تعيين محسن الشيخ راضي محاولة لتفادي الاعمال الكيفية في تلك المراكز. لان الشيخ راضي كان اعلى مرتبة حزبية من صالح مهدي عماش واحمد حسن البكر وطاهر يحيي ورشيد مصلح التكريتي الذين اعتادوا تغذية مراكز التحقيق التي مارست القتل ورمي الجثث في مكانات مختلفة لاسيما نهر دجلة. وهذه الحقيقة هي عكس ماتصوره الشيوعيون بأن رئيس المكتب الخاص يصبح مسؤولاً عن كل المجازر. ورغم أن الشيخ راضي لم يكن متعاطفاً مع الشيوعيين، لكنه كان واحداً من القادة المدنيين الذين لم يتبنوا اعمال القتل غير المبررة، و لم ينظروا للامر بصورة ثأرية، بل ادى تشكيل المكتب الخاص بداية الاحتكاك والاختلاف بين قيادة البعث المدنية من جهة وبين عبد السلام عارف وعماش والبكر وعبد الغني الراوي وغيرهم من جهة اخرى.

مراجع:

[1] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم (السقوط) ص٣٤٤ رسالة ارسلها ذيـــاب العلكاوي إلى خليل إبراهيم.
[2] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة ، مرجع سابق، ص ٣١٢ .
[3] احمد العزاوي، لقاء بدمشق عام ١٩٧١.
[4] راجع كتاب هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق.
[5] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، مصدر سابق، ص ٢٠.
[6] باقر إبراهيم، مقابلة بدمشق عام ١٩٩٤ .
[7] ثابت حبيب العاني، مرجع سابق، ص ٢٠.
[8] هاني الفكيكي, أوكار الهزيمة، مصدر سابق ص٧٦ و ص٣٥٤ .
[9] نشرة الطليعة، لسان حال حركة القوميين العرب ، صادرة في ١٣ شباط ١٩٦٣ ، مأخوذة من جمـــال باروت، حركة القوميين العرب ، مصدر سابق، ص١٨٠.

شيوعيون وبعثيون

حظ الانتساب : من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

سؤال : كان الشيوعيون بنصف سلطة وحكم البعثيون مرتين ، فهل حان الوقت لحساب الفوائد والأضرار التي لحقت بالمجتمع العراقي جراء احترابهما ؟ وهل من دروس مستفادة وجذرية ؟

طالب شبيب : ليس من اليسير الإجابة على هذا السؤال. فما حصل في الماضي تحكمت به عوامل متشابكة كثيرة داخلية وخارجية، كالإيديولوجيات والمناهج الوافدة من الخارج والمفاهيم والظروف المحلية الراسبة والإلحاح في أد لجة المفاهيم القومية البسيطة أصلاً وتحميلها مضامين معقدة ومتطرفة أو غير واقعية، أضرت بمسيرة الشعب العراقي ورجحت كفة الصراع والتصادم على كفة الوفاق والتكامل، وتركت آثاراً خطيرةً على كلا الحزبين في نشأتهما وتطورهما وحاضرهما، وربما ستؤثر على مستقبلهما.

اتسمت العلاقة بين الحزبين على طول الخط بالمنافسة الحادة بسبب تبنيهما شعارات واهدافاً متقاربة وتستهدف نفس الميدان، فكلاهما رأى في الاشتراكية ومعسكرها وحركات التحرر الوطني العالمية عوناً ونصيراً، وكلاهما طالَبَ بالعدالة الاجتماعية وبإعطاء الحريات وتطبيق الديمقراطية البرلمانية وضمان حرية التعبير والتجمع وحقوق الإنسان . . الخ لكنهما تنكرا لكل ذلك بمجرد إمساكهما بالسلطة.

لكن التنافس بينهما اتخذ أسوأ أشكاله بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ عندما حاول الحزب الشيوعي استثمار الواقع الجديد والمد الثوري الذي اكتسح العالم واستفاد من تعاطف حكومة عبد الكريم قاسم، للهيمنة الكاملة على الشارع العراقي والوقوف ضد شعار الوحدة العربية ومناهضة نظام جمال عبد الناصر واضطهاد الأحزاب التي لا تسير بركابه، فألغى وهو ما زال خارج السلطة كل مقومات الديمقراطية التي ظل يدعو إليها منذ ما قبل ثورة ١٤ تموز بفترة طويلة. والأسوأ من هذا كله كان عدم تخلي الحزب الشيوعي عن ممارساته السلطوية وعن طريقته في فهم الأمور حتى بعد ان تخلى عبد الكريم قاسم عن دعمه له ووقوفه ضد تجاوزاته، بل انه هبَّ في ١٤ رمضان ١٩٦٣ حاملاً السلاح بوجه حزب البعث دفاعاً عن ديكتاتورية قاسم رغم أنه كان حينذاك حزباً مضطَهَداً، تكتظ المعتقلات بمئات من أنصاره،

ورغم ذلك فقد جاءت البيانات التي أصدرها الحزب الشيوعي صباح ١٤ رمضـــان غايــة في السوء والتحريض على القتل والإبادة. ولو شاء لثورة رمضان ان تفشل لخاض العراق في حمـــام دم تصبح معه قصص وحوادث الموصل وكركوك أحداثاً بسيطة[١].

وقد لاحظت القيادة القطرية للبعث خطر تفاقم الصراع بين الحزبين على وحــدة المجتمـع، فطلبت إليّ في عام ١٩٦١ إجراء اتصال مع الحزب الشيوعي لمعرفة إمكانية التعاون بيننا أو على الأقل التفاهم لكي لا نتحارب خلال سعي كل منا لاستلام السلطة، فأوصلت تلك الرغبــة إلى نوري عبد الرزاق حسين وهو صديق العمر وطلبت ان التقي بــه لكن هذا اللقاء، مع الأسف، لم يتم[٢].

---

١ ــ غير معروف بالضبط عدد البيانات التي أصدرها الشيوعيون خلال الأيام الأولى من ١٤ رمضان، ولكن ما يعتقـد انــه البيان الأول تضمن الدعوة إلى حمل السلاح وصدر بعد حوالي ساعة ونصف من إعلان الحركة على شكل نــداء جاء فيه "قامت عصابة حقيرة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة يائسة للاستيلاء على السلطة استعداداً لاعــادة بلدنا إلى قبضة الإمبريالية والرجعية. وبعد ان سيطروا على محطة البث الإذاعي وانكبوا على إنجاز غرضهم الخســيس، فانــهم يحاولون الآن تنفيذ مجزرة بحق أبناء جيشنا الشجاع. يا جماهير شعبنا المناظل الفخور ! إلى الشوارع ! طــهروا بلدنا من الخونة! إلى السلاح دفاعاً عن استقلال شعبنا ومكتسباتــه. شكلوا لجان دفاع عن كل ثكنة عسكرية وكــل مؤسسة وكل حي وكل قرية. سيلحق الشعب بقيادة قواه الديمقراطية الخزي والهزيمة بــهذه المؤامرة الجبانة كما فعــل بمؤامرة الكيلاني والشواف وآخرين، اننا نطالب الحكومة بالسلاح ! إلى الأمام ! إلى الشــوارع ! اســحقوا المؤامــرة والمتآمرين"[1].

وصدر بيان آخر جاء فيه " الخونة والمتآمرين محصورين في أبو غريب، ان بعض الزمر تحاول توسيع عملياتــها في بعض أنحاء الكرخ. الجماهير تسيطر في جميع أنحاء بغداد وسائر بقاع البلاد. اننا ندعو الجماهير لمهاجمة الجيــوب الرجعيــة وسحقها دون رحمة وعدم الانتظار. ان استقلالنا الوطني أمام خطر مؤكد اسحقوا المتآمرين . استولوا على السلاح مــن مراكز الشرطة ومن أي مكان وجد فيه وهاجموا المتآمرين عملاء الاستعمار. ان الخونة يحاولون من الجو قصف معسكر الرشيد ووزارة الدفاع وسائر المعسكرات التي تسيطر عليها جماهير الجنود والضباط المخلصين. ان الزعيم عبد الكــريم قاسم والعبدي والمهداوي وسائر الضباط المدافعين عن استقلالنا الوطني يمسكون الآن بقوة قيادة الجيش. ان دحر وسحق المتآمرين هي المهمة العاجلة من اجل صيانة الاستقلال ومن اجل الديمقراطية. مارسوا حقوقكم الديمقراطية كاملــة . ان تقليص حقوق الشعب الديمقراطية هي التي أعطت للخونة مجال التآمر. إلى السلاح إلى الهجوم في كــل أنحــاء بغــداد والعراق لسحق جيوب عملاء الاستعمار والمتآمرين" ٨ شباط ٦٣ الحزب الشيوعي العراقي[2]

ولايخفى ما في البيان الثاني من ندم على عدم المبادرة لاستلام السلطة، ومن العتاب والغمز لعبد الكريم قاسم بسبب منعه السلاح عن جماهير الشيوعيين ولعدم تصديقه تحذيراتــهم كما يتضمن دعوة خفية للاستيلاء هذه المرة على الســلطة كاملة. لكن الجماهير التي خرجت إلى الشارع لم تمتلك خطة معينة فخاضت مواجهات متفرقة في أنحاء بغداد ومعسكر سعد والوشاش وابو غريب. وقد أشار بيان للقيادة المركزية للحزب الشيوعي المنشقة إلى مثل ذلك حينما قــال "لقــد خسرنا معركة ٨ شباط منذ العام ١٩٥٩ " ويقصد التخلف عن القفز إلى السلطة التي كانت بين أيديهم تقريباً.

٢ ــ درس طالب الشبيب الثانوية في "كلية الملك فيصل" بعد ان جاء الأول على تلاميذ متوسطة محافظة الديوانيــة، ودخل قسمها الداخلي وبعد سنتين أغلقت المدرسة لأسباب سياسية. وقد أسس الحكم الملكي هذه المدرسة لتــهيئة
←

وعلى عكس ما رغبنا استمرت سمة التصادم غالبة وكانت مبادرات العداوة تأتي باستمرار من طرف الحزب الشيوعي الذي لم يتوقف إطلاقاً عن تحريض قاسم ضدنا والإشارة إلى كتيبة الدبابات الرابعة محذراً بأنها ستقوم بمحاولة انقلابية ضد النظام(١). وتكرر التحريض عندما دعونا للإضراب الطلابي الكبير قبيل ثورة ٨ شباط . فقد قاومه الشيوعيون رغم عدالة مطالبه ومقاصده ونجاحه في اغلب مدارس ومعاهد وجامعة بغداد. واخيراً توجوا مواقفهم العدائية باصطدامهم الخطير بنا يوم ٨ شباط وما تلاه من أحداث مؤسفة من قبلنا حطمت أوهام الوفاق والتفاهم .

ولم يكن ما حصل من تطورات سيئة بين الحزبين سوى انعكاس عملي عن الاختلاف النظري بين المنحى القومي والاممي وبين منظومتي مفاهيمهما. فلم يستطع الحزب الشيوعي العراقي تقدير أهمية الحركة القومية الجديدة وتأثيرها المتصاعد بل لم يستوعب ان ذلك المد القومي الذي بدأ يجتاح المنطقة في الخمسينات والستينات لم يكن "تقليعة" عابرة أو موجة طارئة. في حين ظنّ ان التبعية للمعسكر الاشتراكي ستحقق الانتصارات في المجالين الوطني والقومي والاممي، إذ فسر الشعار السوفيتي القائل ان "سمة العصر هي الصراع بين المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفيتي والمعسكر الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية . ." على انه لا نصر محلياً قبل حسم الصراع العالمي الكوني وبالتالي فلا أهمية للصراعات

أبناء الذوات والمتفوقين ككوادر للعمل في إدارة الدولة، لكن الحركة الوطنية المعارضة تمكنت من تحويل طلابها إلى بؤرة للمعارضة والتمرد . وبين طلابها طالب شبيب وعامر عبد الله ونوري عبد الرزاق وباقر إبراهيم الموسوي وموفق مصطفى العمري وهشام صفوت وغيرهم. وكانت القيادة القومية قد وجهت طالب شبيب للاتفاق مع الحزب الشيوعي على هدنة تقوم على قاعدة "لا تلاقي ولا تصادم". ويدّعي الشيوعيون انهم حاولوا طيلة عهد قاسم الاتفاق مع البعثيين. وبتكليف شخصي اتصل د. عبد الحسين شعبان بنوري عبد الرزاق وسأله حول حقيقة اتصال الشبيب به ؟ فأجاب "ان احداً من أقارب الشبيب اتصل بيّ عام ١٩٦٠ وأبلغني تحيات طالب واستفساره عني... ولأن طالب كان صديقاً وزميل دراسة، اعتبرت الأمر مجرد تحية من صديق" وذلك يعني أن الرسالة لم تصل إلى الحزب الشيوعي العراقي كما يجب بل انها لم تصل، وربما كانت الظروف الاستثنائية هي السبب الذي حال دون ذلك اللقاء. وكان نوري عبد الرزاق قد كتب في عام ١٩٦٠ موضوعاً في جريدة الشبيبة تحت عنوان "ينبغي استعادة التيار القومي"، وكان أشبه بدعوة للقاء[3].

١ ــ لم تصل إلى عبد الكريم قاسم تحذيرات عن الكتيبة الرابعة وعن انقلاب بعثي محتمل من الشيوعيين فقط بل فعلها آخرون أيضاً ، فإذا عدنا إلى محاضر محادثات الوحدة لرياض طه سنقرأ فيها ان علي السعدي اخبر عبد الناصر بان جماعة اكرم الحوراني في سوريا عَلِموا بطريقة أو أخرى خطط البعث لاستلام السلطة في بغداد، فاخبروا قاسم بواسطة "شريف الراس" وكان ناطقاً بإسم الحوراني ويعمل في الصحافة العلنية فنشر فيها يقول "ان هناك مؤامرة في العراق". واضاف السعدي ان هذا يعني انهم تآمروا ضدنا وذكروا الأسماء "ووصل الخبر إلى بغداد ولو لم . . . . الله يحمينا!!"[4]. اما الشيوعيون فلم يعتبروا أنفسهم وشاة بل مدافعون عن أنفسهم فقد قال عضو لجنتهم المركزية حامد ايوب: "لم نكن مجرد وشاة كما قد تتصورون ولكن كنا ندافع عن أنفسنا فقد تنبأنا لما سيحصل لنا وللمجتمع إذا ما نجح خصومنا، وقد تحقق ما تنبأنا به فعلاً بعد سقوط حكومة قاسم التي لم تستمع جيداً إلى تحذيراتنا".

والاهتمامات القومية والإقليمية، حتى بالنسبة لسكان الأقاليم التي تعاني مباشرة من مشاكل خاصة، إذا لم تنخرط في سياق النضال السوفيتي ضد أمريكا.

وكان ذلك تقييداً وإهمالاً مفضوحاً للمشكلات القومية الواقعية الضاغطة التي لن يتسنى لاية أمة ان تمتلك قدرة المساهمة بأي جهد عالمي قبل حلها. وبالمقابل أراد الشيوعيون فرض مفهوم غير واقعي لفكرة الأممية بدلاً من توظيفها بشكل عملي ومفيد يمكن من خلاله لعب دور أممي إيجابي في سياق تحقيق الأماني القومية والوطنية، من خلال التصدي للاستعمار ومنعه من التدخل في شؤون بلداننا وإقامة تضامن فعال بين الكتل الإقليمية كمجموعة الدول العربية أو الإسلامية أو العالمثالثية. لذا فان ما طرحناه على الشيوعيين لم يكن أمراً غريباً ، فقد حصل ان تحقق ذلك في بلدان أوربا الغربية التي لم تستطع ان تنطلق اممياً لتحقيق أهداف ومصالح ذات بعد دولي إلا بعد ان اخذت قضايا أُمَمِها القومية مدياتها كاملةً وبعد نضوج تجاربها الديمقراطية الداخلية تمهيداً للتعاون الإقليمي بين أمم القارة الأوربية لتوحيد النظم ومعالجة الوسائل المشتركة بصورة يُتوقع ان تؤدي تدريجياً إلى اضمحلال الكيانات الصغيرة ضمن كيان أوربي ديمقراطي واسع ومتقارب اجتماعياً. فكيف الامر إذن مع أمة عربية واحدة بلغة وتاريخ وارض وديانة وثقافة وميول وأحلام مشتركة.

فإذا عدنا لموضوعنا ، سنجد الحزب الشيوعي في الوقت الذي.أهمل فيه كل هذه الجوانب أراد بمختلف الوسائل منع القوى الأخرى من تبني أفكار مختلفة عن أفكاره، مما أدى إلى اصطدامه بالقوميين والبعثيين وكان الاصطدام برأيي حتمياً[1]، لأننا لم نختلف بالفكرة فقط بل

---

١ ـ في تلك المرحلة كان كلا الطرفين (الشيوعي والبعثي) يعيش حالة من الازدهار والعنفوان مدفوعاً بقناعة مطلقة بأهدافه وباعتقاد راسخ بأن حياة ومستقبل الأمة أو المجتمع متوقفة على نجاحه. فالفشل غير ممكن والنصر حتمي بإرادة من التاريخ !! تلك الإرادة الضرورية التي ستصل حتماً إلى غاياتها!! لكن دور الحزب سيدفع الأمور بسرعة اكبر بكثير. وكان كل طرف يعتقد جازماً انه يعرف خطة "التاريخ" ومن هذه المعرفة يستمد حقه الشرعي (الرسالي، رسالة التاريخ أو الرسالة الخالدة) في تصفية وإزاحة العوائق التي تقف في طريقه الذي أصبح طريق الأمة الوحيد، الأمر الذي جعل العقل ينزوي جانباً والتفاهم غير ممكن والتصادم حتمياً، وتطلب جولة طويلة ومفزعة من الالام والدماء والاحباطات لكي يصل كل منهما إلى قناعة أخرى. وكمقدمة للدم المسال تحاور الجانبان عبر صحافتهما السرية فكتب الشيوعيون محذرين ومتهمين، فيما ختمت صحيفة البعث الداخلية (الاشتراكي) ذلك الحوار بمقال بعنوان "تقطع اليد التي تمتد إلى الشيوعية". ويذكر زكي خيري في مذكراته[5] ان حزب البعث ابلغ كامل الجادرجي رده النهائي، ونقله الجادرجي إلى عامر عبد الله وقال فيه اننا "عازمون على هدم مقر قاسم على رأسه وان نصيحتهم الوحيدة للشيوعيين هي ان يتخلوا عن الدفاع عن قاسم نهائياً ويلتزموا الحياد!!" . . . ومَنْ يعرف الوضع جيداً حينذاك يعرف جيداً انه كان طلباً مستحيلاً.

أما خلفية امتلاك الأحزاب السرية للقوة في العراق فربما جاءت من انعطافة سياسية حكومة نوري السعيد عام ١٩٥٤ نحو العنف، ومصادرتها للحريات وحل البرلمان مما أدى إلى إضعاف الأحزاب اللبرالية العلنية المسالمة وتجميد نشاط بعضها الآخر، فخلت الساحة للأحزاب السياسية السرية المتماسكة ليرث البعث والقوميون حزب الاستقلال، ويمتد

←

تبنى كل منا عقيدة ثابتة هي مقاومة أي تغيير لا يكون هو طرفاً أساسياً فيه، خاصة وان الشيوعيين كانوا سيقاومون أي تغيير ليس شيوعياً.

وكان البعثيون يعرفون ذلك ويهيئون أنفسهم لرد فعل عنيف إذا ما حصل التعرض الشيوعي المحتم والأكيد، رغم انّ البعث لم يكن يعتبر الشيوعية فكرة عدوة له ولم يرَ الاصطدام بها أمراً مرغوباً اومفيداً للامة والوطن. لكنه وفي كل مرة حاول فيها طرح شعاراته الخاصة على الجماهير، وجد نفسه في مواجهة الشيوعيين الذين لم يعطوا للسلام السياسي والاجتماعي اية فرصة بل صعَّدوا التحريض ضدنا من خلال مجريات المحكمة العسكرية الخاصة وأحداث الموصل وكركوك عام ١٩٥٩، التي كانت أمثلة صريحة على منهج الهيمنة المطلقة وعلى رغبة التصادم مع القوى التي تنوي الدخول بشعارات أخرى إلى الساحة السياسية العراقية . وكان الاجدر ان يعير الشيوعيون انتباهاً لما سيعكسه سلوكهم من أخطار على مستقبل العلاقات والتعاون بين القوى الوطنية. وشملت رغبة الهيمنة عندهم ليس فقط ساحة عمل الأحزاب القومية العربية بل تعدتها إلى الحزب القومي الكردي الرئيسي (البارتي) والحزب الوطني الديمقراطي ومضايقة زعمائه الكبار امثال كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل وهديب الحاج حمود[1].

نشاط الحزب الشيوعي أكثر ويلجأ إليه شباب الوطني الديمقراطي، فينفرد الشيوعيون والبعثيون والقوميون العرب وحزب العربي الاشتراكي بالمعارضة السياسية، وتحل الايديولجيات الشمولية محل المطلبية البرلمانية التي أفسدها نظام نوري السعيد وتدخلات السفارة البريطانية. وهكذا تنازعت إرادات متماثلة كل منها يهدف إلى الانفراد بالسلطة لبناء نموذجه السياسي، فوقع العراق ضحية تلك الخلافات.

١ ـــ هاجمت جريدة اتحاد الشعب بصورة منتظمة، مباشرة وغير مباشرة سياسة كامل الجادرجي ووصفت الديمقراطية البرلمانية التي يطالب بها بديمقراطية الصالونات. وردّت صحيفة الأهالي وهاجمت محكمة الشعب والأحكام الصادرة بحق البعثيين والقوميين بمن فيهم المساهمون بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم فحصلت بينهما مجادلة سياسية شقت صفوف التيار الوطني المحلي فذهب الشباب نحو الحزب الشيوعي والكهول إلى الحياد أو إلى الوطني الديمقراطي الذي اختلف زعماؤه مع الشيوعيين حول بعض الأسس النظرية والطريقة الفورية العنيفة في معالجة القضايا والعلاقات السياسية. وكان غريباً ان الشيوعيين الذين وقعوا باستمرار ضحايا العنف السياسي غير القانوني، لم يرفضوا ذلك الأسلوب في معاملة خصومهم السياسيين كلما أتيحت لهم الفرصة. وقد أدى تضييقهم على الوطنيين الديمقراطيين في بغداد والمحافظات الأخرى إلى عقد اجتماع كبير بين ١١/٥ و ١٣/٥/١٩٥٩ قرروا فيه تجميد نشاطهم الحزبي خلال الفترة الانتقالية. وهو يماثل قرارهم وقرار حزب الاستقلال عام ١٩٥٤ عندما حل نوري السعيد البرلمان وحكم البلاد بصيغة استثنائية ليست دستورية . . . مما دفع عبد الكريم قاسم في ٢٢/٥/٥٩ إلى انتقاد الممارسات الحزبية في خطاب علني. وكان حزبا الاستقلال والبعث قد سبقا الوطني الديمقراطي الانسحاب من جبهة "الاتحاد الوطني" لنفس الأسباب.

وقد اخبرني يونس الطائي قائلاً: عندما حصلت المظاهرة الكبرى بعيد العمال العالمي عام ١٩٥٩، جاء بعض أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي إلى عبد الكريم قاسم، وكنت حاضراً، فاشتكوا إليه ضرب الشيوعيين لهم، وكان يرافقهم الأستاذ محمد حديد (وزير المالية)، وأجهش بعضهم بالبكاء، فما كان من الزعيم عبد الكريم إلا ان أخرج منديله وشاركهم البكاء بعد ان جلس مثل جلستهم ثم قال لهم " أنا مظلوم مثلكم واحتاج للبكاء، ولكن يجب ان ننتظر[6].

كان الشيوعيون أول من ادخل مفاهيم نظرية تتسم بالحدة، وتتعلق بجعل اضطهاد الخصوم السياسيين بمختلف الوسائل أمراً مقبولاً، فعرّضوا منافسيهم للملاحقات ومنعوهم من وسائل التعبير وعابوا عليهم انتماءاتهم السياسية وحرضوا المحاكم والهيئات الحكومية التنفيذية على الإسراع في تنفيذ أحكام الإعدام الصادرة بحقهم من المحكمة العسكرية الخاصة، لكن عبد الكريم قاسم اعتاد الاحتفاظ بتلك الأحكام وعدم تنفيذها. كما قاموا بتشجيع أعمال مرفوضة من الأساس كفكرة سحل الخصوم في الشوارع، رغم ما فيها من ترويع وإرهاب نفسي وكبت يقتل في الإنسان اية رغبة في العمل والإبداع الذي لا يحصل إلا في أجواء التنافس الحر. وذلك ما أدى إلى وضع حزبهم في موضع انعزالي أبعده عن فئات اجتماعية ذات تأثير كبير في الدولة ومؤسساتها واشعروا فئات كثيرة بخطرهم على مستقبلها(1).

---

١ ـ ابعد الشيوعيون أنفسهم تدريجياً عن مراكز التأثير داخل السلطة العراقية حينما وضعوا قيوداً فكرية وسلوكية على اعضائهم وهيئاتهم تمنعهم من استثمار وكسب موظفين حكوميين من الفئة العليا المؤثرة، باعتبارهم رجعيين وبرجوازيين، فحرموا أنفسهم من إمكانية مجاراة الشخصيات الهامة من الناحية التكتيكية على الأقل ودفعوا بنشاطهم لينحصر في حدود الأحياء الشعبية واسواق مصلحي السيارات وعمال الخدمات ومصانع الدولة القليلة، إذ لم يكن العراق دولة صناعية. وقد نجحوا في الوصول إلى أعماق الريف العراقي، وأكثر من ذلك فقد "جرجروا" عدداً كبيراً من الضباط والجنود (الذين انضم أكثرهم للحزب الشيوعي بعد ١٤ تموز ١٩٥٨) إلى مواقع التفكير المدني لأبناء الأحياء الفقيرة التي هي في واقع الحال غير داخلة في ميزان القوة الذي يحدد اتجاهات الدولة ومتغيراتها. وكان لذلك نتائج أهمها: انشغال الشيوعيون بمشكلات صغيرة وبمطالب فقراء الأحياء التفصيلية، دون محاولة امتلاك وسيلة تحقيق تلك المطالب، في الوقت الذي كان عليهم استناداً لجذرية أهدافهم الأساسية ان يتجهوا مباشرةً إلى السلطة لامتلاكها فهم ليسوا بالضرورة الفقراء والكادحين بل هم الطليعة التي تناضل من اجل رفع شأن الفقراء والصعود بهم إلى الأعلى. ويمكننا القول ان الأيديولوجيا السوفيتية الكونية أوحت بهذا التوجه بسبب تحقيبها للمراحل التاريخية استناداً إلى الدور التاريخي لكل طبقة اجتماعية مما رسخ في ذهن الشيوعيين العراقيين بأن المرحلة تلك هي للبرجوازية، وان دورهم ربما لم يحن بعد فاشتغلوا لغيرهم كعنصر ثانوي ولم يدركوا ان السلطة هي السلطة !! يسعى إليها كل من يجد في نفسه القدرة على الحصول عليها بغض النظر عن اية نظرية يصدرون. وقد تنبه الشيوعيون إلى خطئهم بعد "خراب البصرة" فقدّم عامر عبد الله عام ١٩٦٥ رسالة للحزب يقترح فيها تجميع ضباطه وجنوده وأصدقائهم للقيام بانقلاب عسكري فوري. ولذلك لم يكن الشيوعيون منافسين جديين في هذا المجال بالنسبة للبعث الذي وضع السلطة وادواتها هدفاً له وعمل بجد للإقتراب منها ثم الإمساك بها. في حين اكتفى الشيوعيون بالشارع وبرعوا بشكل عجيب في تنظيم السيطرة عليه. ونتيجة لوضوح البعث في تحديد وسائله وحاجته لسلطة الدولة، تمكن من أن يكون أكثر وضوحاً بشعاراته فطالب بالسلطة أولاً والوحدة ثانياً ثم يأتي دور مشاريع التقدم والتنمية، فيما تاه الشيوعيون رغم حسدهم الكبير وسط شعارات احتفالية عامة مليئة بالتهديد والوعيد دون التفكير بآلية تحقيقها، بل نجد انهم قد ساندوا حكومة ومؤسسات ليس لهم فيها صديق سوى عبد الكريم قاسم وبضعة ضباط وعدد اقل من المسؤولين المدنيين في حين كان غالبية موظفيها وكل أمنها وشرطتها واداريها وقادة فرقها أعداءً حقيقيين لهم، فظهروا بالضبط وكأنهم لا يعرفون ما يريدون، بل ان عزيز محمد اقترح عام ١٩٦٠ حل التنظيم العسكري الشيوعي بهدف طمأنة عبد الكريم قاسم لكي يستعيد ثقته بهم ويقتنع ان الحزب الشيوعي لا يضمر نوايا انقلابية ضده[7].
والأخطر من كل ما تقدم ان الشيوعيين قاموا بتقديم أنفسهم للمؤسسات والهيئات العراقية العريقة كالحوزة الإسلامية
←

طلبنا من التحقيق نتائج سريعة فحصلنا عليها!

في هذا السياق أود ان أذكر أيضاً بأن أمر الشيوعيين ومستقبل علاقتنا بـهم كان قد بحث في اجتماع ضم القيادة القطرية والمكتب العسكري للبعث قبل ثورة رمضان. وكـان صالح مهدي عماش عضو المكتب العسكري يقود حملة التـهويل من خطر الشيوعيين على اية محاولة سيقوم بـها حزب البعث للوصول إلى السلطة، ويرى ان ٢٠ ألف شيوعي مسلح سـيتصدون لنا بشوارع بغداد، ويجب اخذ ذلك بالحسبان عند التفكير بأي عمل ثوري.

ومن الطبيعي فإن موقفنا نحن المدنيين لم يصل إلى نفس الدرجة من الخشية، بل توقع بعضنا عدم خروج الشيوعيين إلى الشوارع دفاعاً عن قاسم بعد ان وجه إليهم ضربات قاسية ومريرة وقام بمنع صحافتـهم من التوزيع. فأعتبرنا دوافعه التـهويلية تعود إلى الصفة العدائية التي اتسم بـها جميع العسكريين القوميين ضد الشيوعية والشيوعيين.

وقد كنا نحن —المدنيين في قيادة حزب البعث قيادة قطر العراق- بحكم عملنا في نفس ميدان عمل الشيوعيين اقل حدةً وعداءً واقل تـهويلاً لما يمكن ان ينجم عن وجود تنظيمات شـيوعية واسعة من أخطار على مشروعنا للوصول إلى السلطة. ورغم ذلك فقد بحثنا الأمر في القيـادة القطرية وبيننا كأعضاء لمكتبـها السياسي وقدّرنا الآمر على الشكل التـالي : أولاً ان هنـاك أسباباً كثيرة للتصادم مع الشيوعيين وقد أصبحت لها جذور وتاريخ واقعـي مثـير، وهنـاك

والعشيرة أو التنظيم الأسري واصحاب الاملاك ومراكز أخرى كثيرة، على انـهم أعداء أشداء للتقـاليد، ووعـدوا الجميع بثورة تمزق كياناتـهم. وبسذاجة أحلوا محل طمأنينة العقائد الدينية التي استسلم منذ مئات السنين لهـا جميـع المحتاجين إليها في مجتمعات الأرض وعاشوا معها في سلام كوني، عقيدة أخرى عقلية مسيحة بنسـق مـن المفـاهيم والممنوعات والموافقات والغوامض والمعميات، لأن الهدف هنا ليس الحقيقة الخالدة المتصوَّرة، بل انتصار الجماعة المعينة، وليس العقل والمنطق معيار الحقيقة بل ادعاء العقل بعد حلبـه داخل منظومة المفاهيم المرتبة بذكاء وعمق، لكنـه ليس بالضرورة منـزه عن الخطأ.

في حين قدّم البعثيون أنفسهم، كما الشيوعيين، انـهم ممثلين لكل فئات المجتمع العراقي وطوائفه، لكنـهم وحدويـون وغير معادين للدين ويشيدون بالتقاليد وغير خاضعين مثل الشيوعيين لاستراتيجية دولة كبرى.وكان خضوع الحـزب الشيوعي في محال استلام السلطة لحاجات وتكتيكات الدولة السوفيتية قد أدى إلى تعطيل حزبـهم القوي القادر علـى قلب السلطة. ويعتقد البعض أن اتفاقاً سوفيتياً بريطانياً قد أخَّرَ حظوظهم في الاستيلاء عليها[8]. وهذه التبعية أبعـدت عن الحزب الشيوعي أكثر السياسيين الفعالين الذين يفكرون بطريقة عملية، فلم يجدوا جدوى في الالتحاق أو البقـاء في حزب لا يريد ان يقطف الثمرة بعد انضاجها.

ويذكر ان الحزب الشيوعي وضع في تموز ١٩٥٩ تقريراً يعترف فيه بالتجاوزات وبوجوب الوقوف ضدها، بما فيها الـتي لا تصدر عن الحزب، ووجه نقداً للمحكمة الفوضوية التي شكلها الشيوعيون في الموصل، فهم ليسوا دولة !! وكان هذا التقرير انتصاراً للتيار الذي وقف ضد استلام السلطة. وحينذاك كان سلام عادل يقود الرأي المؤيد لإستلامها ولكـن نجاح التيار المضاد شجع فكرة : "ان دور الشيوعيين لم يحن بعد" وتسمية تلك المرحلة بمرحلة البرجوازية الوطنيـة أو الديمقراطية الوطنية. وقد لعب بـهاء الدين نوري دوراً خاصاً في هذا الاتجاه.

أشخاص سجنوا وعذبوا في هيئات التحقيق التابعة لمحكمة الشعب ولوزارة الدفاع. إضافة إلى بقايا وذيول احداث الموصل وكركوك والمشاعر الثأرية لعوائل الشهداء وغيرها[1].

ثانياً : وجود شيوعيين في سجون قاسم وستكون حياتهم في خطر منذ اللحظات الأولى لاستلامنا السلطة اذ سيحاول البعض قتلهم. واستناداً لذلك وضعنا في اذهاننا تكليف الحكومة القادمة بالاتصال فوراً مع احدى الدول الاشتراكية في اوربا الشرقية لبحث امكانية قبول اقامة عدد من الشيوعيين ربما يصل إلى المائة فيها، وبضمنهم القياديون الراغبون في ترك العراق حماية لانفسهم، والمحكومون أو الذين ارتبطت اسماؤهم بأحداث دموية وجرمية و لم يعترض احد في القيادة على هذه الفكرة[2].

لكن النزاع الدموي الذي رافق انطلاق ثورة ١٤ رمضان قضى عليها بل وتراكمت أسباب أخرى عند الطرفين للتصادم. ومن جانبنا علمنا من التحقيقات الأولى التي تمت يومي ٨

---

١ ـــ لم يتقدم أي شخص لحد الآن بشهادة أو دليل على ان عبد الكريم قاسم أو أياً من قادة حكومته قد وافق أو اطلع على تعذيب جسدي وسكت عنه. لكن ذلك لم يمنع ممارسته من قبل اعضاء لجان التحقيق في مناطق مختلفة وقد اعترف ثابت حبيب العاني (مسؤول في التنظيم العسكري الشيوعي حينذاك) بحصول تعذيب كيفي قائلاً "وقعت بعض العناصر في تنظيماتنا العسكرية في خطأ آخر هو مساهمتها في تعذيب بعض المعتقلين بعد حركة الشواف، رغم انهم غير مخولين لا من الحزب ولا من جهات رسمية في القيام بذلك، واقصد ما جرى في هيئة التحقيق الخاصة المشكلة رسمياً من قبل عبد الكريم قاسم برئاسة العقيد هاشم عبد الجبار وكان شيوعياً، وآخرين. وقد ساهم عضو اللجنة العسكرية للحزب عطشان ضيئول الازيرجاوي في التبرع بحضور التحقيق والقيام بتعذيب المعتقلين ولدى اطلاعي على الامر قمت بمحاسبته وابعاده عن اللجنة العسكرية وأُرسل إلى الخارج"[9]. وإذا عدنا إلى الذاكرة سنجد ان بعض افراد المقاومة الشعبية ولفترة قصيرة من عام ١٩٥٩ اعطوا لانفسهم في بعض المناطق حق التفتيش واحياناً الاحتجاز المؤقت الذي لا يتجاوز ٢٤ ساعة. واخبرني الأستاذ يونس الطائي انه يعرف بأن "عطشان ضيئول لعب دوراً ليس في لجنة التحقيق الخاصة فقط، بل وفي محاكمات الدملماجة الميدانية ايضاً. كما ان الضابط مثنى الراوي عذب الأستاذ عبد الستار الدوري" وقال الطائي ايضاً " اخبرت عبد الكريم قاسم عن تعرض الدكتور راجي التكريتي للتعذيب من قبل لجنة هاشم عبد الجبار، فأندهش واوقف اعمال تلك اللجنة فوراً. "[10] . . ويذكر ان قاسم بعد ان وصلته شكاوى عديدة أمر باعتقال كل المشتبه بهم بالقيام باعمال قتل أو تعذيب في الموصل وكركوك وغيرهما واحالهم إلى محاكم عرفية حكمت على عدد كبير منهم بالإعدام، لكن الزعيم كعادته لم ينفذها، فنفذتها حكومة ٨ شباط باغلبيتهم دون تدقيق، هذا و لم تكن لجنة التحقيق الخاصة مشكلة من عسكريين فقط العقيد هاشم عبد الجبار والعقيد حسين خضر الدوري والعقيد حسن عبود، بل كان فيها اعضاء مدنيون بينهم المرحوم المحامي عبد الستار ناجي والمقدم الحقوقي نوري الوّنة (توفي في سجن نقرة السلمان) والحاكم شهاب أحمد الشبيب.

٢ ـــ وعبر عن ذلك ميشيل عفلق قائلاً "ان الحزب الشيوعي، نتيجة لمواقفه قد حكم على نفسه بأن لا يكون في عداد الهيئات السياسية المعترف بها، أنا أعرف بان حزب البعث العربي الاشتراكي تناول منذ سنتين أو أكثر في اجتماعات قيادته العليا أمر حماية الشيوعيين من غضب الشعب، إذ ما إن سقط حكم قاسم حتى تقرر ان يحال المجرمون منهم إلى القصاء ولو لم يتخذ الحزب المسيطر الآن تدابير منسجمة مع مبادئه وعقيدته لكان مصير الشيوعيين مفجعاً للغاية"[11].

و ٩ شباط بوجود فرق اغتيال شكلها الحزب الشيوعي هدفها قتل قادة وكوادر حزب البعث ويرأسها حسن عوينة.

ولم يتسن لي الاطلاع على نتائج التحقيقات للتأكد فيما إذا كانت مجرد اختراعات لتبرير الامعان في سياسة تصفية واضطهاد الشيوعيين ام انه حقيقة. غير ان مجرد تداوله بيننا يعكس مدى عمق المخاوف التي اوجدتها مسيرة العلاقة بيننا وبينهم منذ ١٩٥٨ حتى ١٩٦٣[1].

وفي ٨ شباط ٦٣ وفي ظل الفوضى والخلافات حول الاسلوب والدوافع ، لم نكن قادرين على التفرغ لمراقبة الوضع أو لاقامة الدليل على التصرفات الثأرية والعدائية البادرة من بين صفوفنا أو من حلفائنا القوميين، خصوصاً العسكريين الذين تحصنوا وراء حجج اهمها مبادرة الحزب الشيوعي للمواجهة صباح ١٤ رمضان وإرادته الاكيدة ضدنا . وقد جَرَّت تلك المبادرة والحجج إلى اشتباكات واعمال عدائية كثيرة لم يكن لها اية ضرورة واعطت مبرراً لكل الراغبين بالتأجيج وضرب الحركة الشيوعية.

لذا وبعد مرور كل تلك العقود ارى ان على الشيوعيين ان يعيدوا تقييم تلك المرحلة من تاريخ العراق السياسي بصورة أكثر جدية وعقلانية للوصول إلى فهم عميق لا يكون هدفه القاء اللوم فقط وإنما اخذ العبرة والاستفادة منها في معالجة المرحلة القاسية التي يمر بها وطننا في الحاضر. وليست صراحتي هنا سوى محاولة للتقييم الشجاع ، رغم شعوري ان بعضه مؤلم بسبب ما رافقه من اساءات وآلام ودماء.

اما إذا تناولنا رد الفعل البعثي فسنجده ليس اقل قسوة ودموية عن ما كان يقوم به الشيوعيون، بل كان في احيان كثيرة اشد وأكثر دموية. واعتقد ان جميع القادة الأحياء من

---

١ ــ الشيء المؤكد ان لجنة للطوارئ وليس للاغتيالات كانت قد تشكلت برئاسة حسن عوينة، اما ما سمي بفرق الاغتيال فليس هناك دليل على وجودها. وقد وجهنا سؤالاً إلى أعضاء في قيادة الحزب الشيوعي بينهم عبد الرزاق الصافي ولبيد عباوي وحامد ايوب وكان جوابهم النفي المطلق. وسألت عامر عبد الله بواسطة د.جميل منير العاني[12] فنفى وجود مثل تلك الفِرَق. اما عضو اللجنة المركزية والمكتب السياسي الذي كان موجوداً في العراق وظلّ على رأس عمله قبل وبعد ٨ شباط الأستاذ باقر إبراهيم الموسوي فلم ينفِ وجود مثل تلك الفرق فقط بل ونفى وجود اية نية لتأسيسها[13]. وقد اثبتت الاحداث التي تلت ٨ شباط عدم وجودها، اذ لم تحصل اية محاولة ناجحة أو فاشلة لاغتيال أي من قادة حزب البعث في العراق فضلاً عن ان الحزب الشيوعي لم يقر ولم يلجأ في أي من مراحل تاريخه السياسي إلى نهج الاغتيال. لكن الشيوعيين ومنذ محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم طرحوا على انفسهم سؤالاً مثيراً هو: ماذا لو نجح خصوم عبد الكريم قاسم في اغتياله أو في انقلاب عسكري مفاجئ ؟ وإجابة على هذا السؤال وضعوا خطة طوارئ في عام ١٩٦٠ تضمنت شقين، الأول: وضع ترتيبات للتنظيم العسكري داخل القوات المسلحة والثاني: البدء فوراً بتوفير الاسلحة وتشكيل فرق مدنية صدامية صغيرة أطلق على منسوبيها "خط حسين" أو "لجان الطوارئ".
وكانت خطتهم بمجملها سلبية لانها تقوم على انتظار مبادرة الخصم ليضرب أولاً، فيقومون بالتصدي له. وكان المفروض إما ان يبادروا أو يخففوا من أسباب العداوة مع الآخرين.

البعثيين والشيوعيين الذين اشتركوا في الصراع السياسي بين ١٩٥٨ و ١٩٦٣ يشعرون الآن بالندم من بعض ردود افعالهم في مجالات الصراع الداخلي بين الاحزاب والحركات الوطنية التي توالت بسبب خلافات ثانوية والتي تتعلق بطريقة العمل وليس الجوهر[1].

الشوط الثاني من حكم "البعث" في العراق

اما الفترة الثانية من حكم "البعث" قيادة (البكر- صدام) فلا يمكن ارجاع قسوتها ضد الاحزاب الوطنية والقومية والاسلامية المعارضة إلى افعال سابقة أُرتكِبت ضد انصار الحكومة الحاضرة التي انتهجت منذ العام ١٩٦٨ وحتى الآن نهجاً ثابتاً يؤكد وجود سياسة تصفية ارهابية معدة سلفاً ليس فقط ضد الشيوعيين بل وضد وجود كل فكر وتنظيم في المجتمع العراقي. فلا شيء يُسمح به إذا لم يكن تحت مظلة أو من تدبير السلطة التي ربطت بين الانتماء للوطن والولاء لها ولحزبها. وكما نعلم فان احداً لم ينجُ من الارهاب الدموي حتى البعثيون انفسهم. اما صدام حسين فقد خطط شخصياً ونفذ نظرية حكم الحزب الواحد، الحزب الخاضع لهيمنة فردية مطلقة ووسيلته لتحقيق خططه هي الارهاب المطلق والظلم المطلق وخنق الرأي الآخر تماماً.

ورغم اني اشك في صحة نسب المذكرات التي قيل ان حردان التكريتي قد كتبها أو املاها على احد اقاربه لانه حسب علمي لم يكن يهتم بالكتابة أو بتدوين التاريخ، وسواء فعل ام لم يفعل فأن الواقع العملي الذي تحقق فيما بعد على ما جاء في تلك المذكرات. بل ذهب النظام

---

١ ـــ تلاشى الاحساس بالنصر لدى قادة البعث المدنيين بعد ٨ شباط باسابيع، واهتزت الافكار السياسية والآمال الوحدوية التي حملوها في رؤوسهم وثاروا من اجل تحقيقها، فحصدوا المرارة وتورطوا باعمال لم يكونوا ليتورطوا بها لو لا خجلهم من حلفائهم العسكريين الكبار. ولو جلس بعثيو وشيوعيو تلك المرحلة لشكّوا لبعضهم قلة الخبرة، ولوجدوا ان عداوتهم لم تكن حقيقية بل ان فهماً مغلوطاً دفع كل طرف إلى التصادم والبحث عن حلفاء من خارج نسيجه، ففوجئوا بعد حين بأن رجالاً ليسوا على شاكلتهم ولا يشاطرونهم مبادئهم يعششون في صفوفهم. وحصل ذلك أكثر مع البعث لمغريات السلطة وملاحقها الكثيرة. كما لعبت الايديولوجيا غير الواقعية عند الشيوعيين والعواطف والآمال غير العملية عند البعثيين، دوراً خطيراً ادى إلى عدم تمكن الشيوعيين من استثمار الظلم الذي تعرضوا له في ٦٣ ، وعدم استفادة البعثيين من نصرهم الدموي. وكان اسوأ ما في هذه الصفحة ان الشيوعيين تصرفوا صباح ٨ شباط وكأنه آخر ايام حياتهم وحياة حزبهم. ويمكن الآن ولو بصورة متأخرة، مع الاسف، استعادة صورة ذلك العدد الهائل من الشباب العراقي النبيل الواعد يتسابق في صراع داخلي عبثي للدخول إلى السجون بحثاً عن حرية مفقودة ادعوا انها حرية حقيقية وليست شكلية ! ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يختزل الحرية التي يطالبون بها، إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطتها تمثيل الشعب بكامله غصباً عنه !! فلم تكن حرية ترفع قيود الدولة عن الفكر والممارسة لافراد المجتمع بل كانت تعني تجديد العقل الجماعي المُقيِّد لحرية الافراد. واحياناً اعتبروا حرية الاختيار والتعبير الفردية نوع من الترف البرجوازي المعرقل للمسيرة "التاريخية" الهادرة لتحقيق "المصالح الثورية" والوحدة . . . الخ.

إلى ابعد من ذلك شراسة وتآمراً على الشعب العراقي والامة العربية وضد الاخوة الاكـــراد[1].
وإذا كان لتلك المذكرات من فضل فانـــها قد حذرت منذ وقت مبكر بما قامت السلطة بتنفيذه بعد سنوات على شكل جرائم يندى لها الجبين بما في ذلك تشجيع امراض اجتماعية وتفريقيـــة كثيرة فضلاً عن التآمر على كل محاولات التضامن العربي واحباط التقارب الســـوري العراقـــي الذي سعى إليه أكثر من مرة الرئيس السوري حافظ الأسد لتدعيم الموقـــف العـــربي، رغـــم تجاربـــه المرة مع نظام بغداد الذي انتحل وشوه اسم ومفهوم البعث العربي.

سؤال : تحدثت عن ردود فعل سلطة ١٩٦٣ ضد الشيوعيين، فـــاذا كان الامر كذلك فلماذا إذا لم تتخذوا قراراً بوقف اعمال الاعتقـــال العشوائي والتعذيب والإعدام ، بعد انصرام الايام الأولى ؟ ومن كـــان في تقديركم وراء استمرار دوران عجلة القسوة طوال الاشهر التســعة التالية ؟ ومن يتحمل مسؤولية القتل بلا محاكمة، كمقتل العقيد عبـــد المجيد جليل والعقيد حسين خضر الدوري والزعيـــم الركـــن داوود الجنابي والمقدم إبراهيم كاظم الموسوي وآخرين ؟ وهل يعـــود بعـــض ذلك الاندفاع القاسي إلى ايمانكم الشديد بدوركم في تحقيق اهـــداف وآمال الامة العربية التاريخية كالوحدة ؟ ام عائد إلى متوسط اعمـاركم الصغيرة نسبياً ولخبرتكم المتواضعة في ادارة الدولة ؟

طالب الشبيب : هناك نقطة أولى يجب التوقف عندها وربطها بمجرى الاحداث. . . فعنـــد اندلاع ٨ شباط، واجهنا مقاومة شديدة، وانكشف لنا وجود تنظيم شيوعي واسع داخل الجيش وخارجه، يمتلك الاسلحة وجميع أسباب المقاومة الدموية، فكان همّ الحزب الأول هـــو تـــأمين السلطة والقضاء على اية مقاومة مسلحة بكل الوسائل الممكنة، لذلك كانت اجهزة التحقيـــق مجازة في اعمالها من اجل تحقيق ما اردنا الوصول اليه: وهو النتائج السريعة وقد حصلنا عليـــها فعلاً.

---

١ ـــ قال حردان التكريتي[14] "كنا عصابة من اللصوص والقتلة تسير خلف ميليشيات صدام للإعدام! فقد كنا نفـرج عن المعتقلين السياسيين لتقتلهم "مليشيا الفداء" التي يشرف عليها صدام شخصياً" وكانت خطة احمد حسن البكر تدور حول إضعاف عبد الناصر والدور المصري والتآمر على سوريا لاسقاط نظامها السياسي . وفي الداخل ضرب وتدمـــير الحوزتين الاسلاميتين الشيعية والسنية، والتركيز على شخصية السيد محسن الحكيم ومحاربتـــها بكل الوسائل المتاحـــة، واختلاق الصراعات الموقوتة مع ايران للايحاء بارتباطها بالمسلمين الشيعة في العراق تمهيداً لاضعاف وضرب المرجعيـــة في النجف رغم ما يجره ذلك على العراق من خسارة لمركزه القيادي المهم. والانتصار على الحركة الكردية. والقضاء علـــى القيادة البارزانية كمقدمة لتدمير بقية الكيانات الكردية. وتصفية الحركة الشيوعية العراقية. ويتحدث حردان عن صرف مبالغ طائلة شهرياً في لبنان لشراء الصحف، وفي سوريا للتآمر، وفي الاردن لبناء قاعدة انطلاق، والقـــاهرة لاضعـــاف دورها، واليمن كمنطقة نفوذ.

وما جرى في مقرات الحرس القومي فيما بعد من فضائع في بغداد تحت سمعنا وبصرنا، أو في انحاء مختلفة من العراق بعيداً عن رقابة قيادة الحزب التي فقدت تدريجياً السيطرة على مؤسسة الحرس القومي، قد ادى إلى استقالة العقيد الركن المظلي عبد الكريم نصرت محتجاً، غير ان دعماً متعدد الاشكال قدمه بعض كبار العسكريين أدى إلى استمرار الفوضى والنهج الفوضوي وشكل غطاء لاعمال تصفية الشيوعيين الجاريه حين ذاك بكل قسوة ممكنة .

ورغم عدم تخويل اية جهة أو أي شخص بحق الإعدام والقتل بعد انصرام اليوم الأول ، حيث انهت فرق الانذار مهماتها في الساعات الأولى كقتل جلال الاوقاتي ومحاولات قتل فاشلة ضد سعيد مطر والمهداوي وماجد امين وعبد الكريم قاسم وغيرهم ،الا ان استمرار هذا النهج بعد ذلك يُعدُّ مخالفة . اما الإعدامات التي كانت تصدر بقرار مجلس قيادة الثورة فقد اوقفت نهائيا و لم نوافق بعد مرور الاسابيع الأولى على اقتراحات الإعدام من اية جهة جاءت. غير ان أمراً موازياً حل محل تلك القرارات وبدأ يجري في الاقبية والمعتقلات السرية بادارة رجال معوجين امثال عمار علوش وناظم كزاز وعبد الكريم الشيخلي وصدام التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبرة وأسماء أخرى معروفة ، وبدأ الارهاب يمارس بطرق أخرى دون علم وتوجيه القياده القطرية . وحقيقة فانا لا ادري لحد الان هل كان علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي يعلمان بما يجري. ولكننا كنا نسمع عن جثث تطفو على سطح دجلة . ونتساءل عمن يقوم بذلك ؟ و لم تكن اجهزة التعذيب قادرة على الاستمرار لولا الخلافات التي بدأت تتفاقم ، وتحطم وحدة الموقف داخل قيادة الحزب ، وتجعلها غيرقادرة على ردع تلك العناصر الدموية التي اعتادت ان تحصل على دعم واسناد بعض الضباط وأهمهم من حيث المركز والفعالية صالح مهدي عماش وطاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وبدرجة اقل احمد حسن البكر وهؤلاء وغيرهم جهزوا مراكز التعذيب الرئيسية في بغداد بالمال والسلاح دون علمنا وكنا نسمع بين حين واخر ولكن دون ان يقدم احد وثائق وادلة رسمية وكان صالح مهدي عماش (وزير الدفاع) يستغل الفرصة في كل مرة نسافر فيها إلى خارج البلاد فيقوم بإعدام مجموعة جديدة من الشيوعيين، و لم يسلم منه حتى النادمون والمعترفون والمتعاونون مع اجهزة التحقيق، ويقوم بعد ذلك باحراج مجلس الثورة للمصادقة على اعماله. وقد شكلت تصرفاته تلك بداية خلافاتنا أنا وحازم معه ووقف علي السعدي وجماعته معنا.

ومن جانبي ومنذ البداية لم اساهم بالقتل أو التعذيب وصرحت بضرورة التمييز بين الفكر والممارسة أي اننا لسنا ضد الحزب الشيوعي الذي ناضل ضد الاستعمار و لم نكن نريد منع الفكرة الشيوعية بل ضد أولئك الذين يمنعون غيرهم من ممارسة حقوقهم، فقد صوت باستمرار وبلا تردد ضد قرارات الإعدام وكان ذلك موقفاً مبدئياً ألزمتُ نفسي به رغم اني كنت

الداعي بالاسراع في تنفيذ أول إعدام رسمي باشرته السلطة الجديدة للقادة الاربعة قاسم والمهداوي وطه وكنعان احتراماً لهم وتقليلاً من اعمال الاذلال ضدهم، خصوصاً وان قرار إعدامهم كان قد تقرر سلفاً قبل وصولهم للاذاعة.وربما يعود موقفي من عقوبة الإعدام إلى تجربتي الطويلة في اوربا التي كانت حينذاك تضج نقاشاً حول الغائها. وان كثيرين لم يتفهموا موقفي من هذه العقوبة بانه موقفاً ضميرياً خاصاً فذهبوا في تفسيره مذاهب شتى حتى ان علي السعدي قال لي مرة "انت وقفت ضد إعدام أي شيوعي بمن فيهم من قاموا باعمال دموية، فهل لماضيك تأثير عليك؟" ، وانا اشهد ان علي السعدي وجميع اعضاء القطرية (وكلهم مدنيون) وقفوا باخلاص ضد اصدار قرارات الإعدام وتميزنا أنا وحازم جواد بموقف حازم ضد التعذيب وضد الفوضوية وطالبنا بالحد من حرية الحرس القومي في التحقيق والملاحقة وتجاوز القانون وبعودة الحياة العامة الاجتماعية والحكومية إلى سابق عهدها. اما الجناح اليساري الذي يتقول بمصطلحات ماركسية مبهمة فقد كان أكثر تورطاً في تشجيع الوسط الفوضوي الذي انتعش واختبأ بداخله اشخاص مجرمون لا ينتمون لأي من اتجاهي الحزب، اشخاص كثيرون غريبو الاطوار، ساعدتهم الخلافات وتعدد مراكز النفوذ على نشر الفساد والجريمة، فشكلوا ما يشبه الاجهزة السرية التي كانت تعمل لمصلحة وزير الدفاع والحاكم العسكري العام وغيرهم، ولم نشعر يوماً انهم كانوا ملتزمين بقراراتنا.

اما حوادث الإعدام الفوضوية وبشكل خاص مجزرة معسكر الرشيد ضد ضباط لم تكن سمعتهم سيئة فقد تمت بامر من صالح مهدي عماش وبحضور السعدي، اذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة وجرى ضربهم واهانتهم وادانتهم باعمال مختلفة ثم قتلهم. ولم نكن حينذاك في حالة اجتماع لنقرر أو نصادق على تلك الأحكام التي نفذت ولكننا عندما سمعنا بما حصل لم نعلق ولم نعترض واكتفيت شخصياً بعدم التصويت، وأسدِل الستار على هذه القضية بعد ان اصدرنا في اليوم التالي أحكاماً رسمية بإعدام أولئك القتلى وغيرهم وبررنا قرارنا استناداً إلى مسؤولياتهم في جوانب من القمع خلال عهد عبد الكريم قاسم، فصادقنا على ما اقدم عليه عماش وسكت عنه السعدي واذيع القرار على لسان رشيد مصلح التكريتي وكان حاكماً عسكرياً عاماً.

ولم يكن هناك داخل القيادة في تلك الايام الحاسمة أي ميل لاعتبار مثل هذه الاعمال غير قانونية أو جرمية فقد كان هناك استياء من هذا أو رضا من ذاك ولكننا لم نكن لنختلف إطلاقاً على مثل هذا الامر. وكان سبب استياء بعضنا يعود إلى الشعور بالاحراج السياسي الاقليمي والدولي مع المعسكر الاشتراكي ومنظمات حقوق الإنسان وضغط وسائل الاعلام الاقليمية.

ولم يكن بالوسع تجاهل ذلك فشعرنا اننا محاطون وان الامور بدأت تفلت من ايدينا وربما تنقلب علينا اذ لم تكن القضية مجرد قتل اشخاص[1].

صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي

اما احتمال وقوف قوة خارجية وراء ارتكاب الجرائم واعمال القتل، وهدفها جر حزب البعث إلى صراع مكشوف ضد الاتحاد السوفيتي فهو ما لا استطيع الجزم به. وما اعلمه بالتاكيد هو ان بعضهم كان متطوعاً في الإشراف على تنفيذ القتل خصوصاً في الليلة الثانية والثالثة والرابعة بعد اعلان الثورة. وهؤلاء لم يكونوا بحاجة إلى تحريض، وحسب علمي انهم قاموا باعمالهم دون العودة لاحد ودون علم القيادة وارتكبوا ما ارتكبوه لأسباب ودوافع كثيرة ومختلفة.

ولا اكشف سراً إذا قلت ان عبد السلام عارف كان واحداً منهم، اراد الحاق الاذى باكبر عدد ممكن من الشيوعيين ولكن بإسم حزب البعث. وعلى سبيل المثال : كانت محاكم عبد الكريم قاسم قد حكمت على ٣٧ شيوعياً بالإعدام بسبب تورطهم باعمال قتل في الموصل وكركوك، لكن قاسم يضع كعادته تلك الأحكام في الدرج ولا ينفذها، على قاعدة "عفا الله عما سلف" التي اشتهر بها ليس مع الشيوعيين فقط بل ومع كل الذين صدرت بحقهم أحكام بالموت بمن فيهم الذين حاولوا اغتياله ورجال العهد الملكي. لكن عبد السلام وبعد استلامنا السلطة نبش الامر وجاء بملفهم إلى مجلس الثورة وطلب الاذن بتنفيذ الحكم بهم قائلاً : هذه الأحكام لم تصدر عنكم.

وللمرة الأولى وقفنا جميعاً موقفاً موحداً علي السعدي وحازم وانا وبقية قيادة البعث ورفضنا ذلك تماماً واوضحنا ان تنفيذها ليس ضرورياً لنا الآن وان سمعة الحزب ومكانته وكافة الظروف السياسية الداخلية والعربية والدولية لا تسمح بذلك. وامام هذا الواقع الخطير جرت مراجعة المشاكل الناجمة عن التحقيق في اجتماع مشترك بين مجلس الثورة والقيادة القطرية، اعلنا فيه عن استنكارنا لاعمال الإعدام (القتل) وذكرنا عماش بوجبات القتل التي ساقها في غيابنا[2]، وادت تلك المصارحة إلى الاصطدام بعبد السلام عارف الذي ردد "انكم البعثيون تريدون

---

١ ـــ تصفحت الوثائق البريطانية حول حركة ٨ شباط فوجدتها تشمل المراسلات الانكليزية مع الحكومات الاقليمية ومراسلات مع قادة عرب، بصفحات تتجاوز المئتين، وقد لفت نظري عدم ورود اية اشارة فيها عن اعمال القتل والتعذيب ومصير الوف المعتقلين في جميع انحاء العراق. مما يؤكد ان الغرب كان يبحث في مصالحه السياسية بعيداً عن حقوق الإنسان .

٢ ـــ نفذ عماش وغيره أعمال الإعدام بحق المتهمين بأحداث الموصل مثل ساطع إسماعيل وشاكر لهيبي ومحمد عبد اللطيف وغيرهم كثيرون.

الاتفاق مع الشيوعيين" ، وتحدث بعدم الرضا عن حوار قال انـه جرى بين بعثيين وشـيوعيين داخل قصر النـهاية[1]، واعلن بصراحة رغبتـه في ان يستمر نـهج تصفية وإعدام الشـيوعيين بنفس الوتيرة وهدد بان أي توان سيؤدي إلى استقالتـه من رئاسة الجمهورية.

كان عبد السلام عارف حاقداً ويطلب ثأراً شخصياً واعتقد انـه اخذ شتائم الشيوعيين لـه في عهد قاسم على محمل شخصي و لم يستوعب الصفة السياسية للامر، في حين كان عماش في تعامله دموياً معهم. وفي المقابل كانت لدينا، كقيادة للحزب، أسباباً كثيرة في عدم الاستسـلام لإرادة عارف وعماش ويحيى ورشيد مصلح واحياناً البكر وغيرهم ومن تلك الأسباب :

أولاً : لم نكن راغبين في بقاء حالة الصدام مع الشيوعيين لان ما قمنا بـه لم يكن ثورة ضد الشيوعية، وإنما اردناه انقلاباً ضد الديكتاتورية.

ثانياً : لم يكن لدينا قرار بان نبني حكم الحزب الواحد ولذلك لم نتخذ قراراً بحل الحـزب الشيوعي رغم قسوة ردة فعلنا عليه. ولهذا اردنا ايقاف الإعدامات وقررنا ذلك رسميـاً وكنـا مقتنعين بان الحياة السياسية العراقية ستصبح يوماً ما برلمانية، يتنافس الجميع فيها وبذلك نكـون قد عدنا إلى الرغبة في اسقاط الاستعمار وتسليم السلطة للشعب التي رافقت النواة الأولى لحركة الضباط الاحرار، تلك المؤسسة التي اجتمع فيها الضباط من جميع الاتجاهات السياسية[2].

ثالثاً : من الجانب القومي، كنا محرجين مع رفاقنا في سوريا الذين طالبوا بايقاف حمام الـدم

---

١ ــ ويقصد بـهذا ما أُشيع حول حوار تم بين سلام عادل ورفاقه المعتقلين من جهة وعلي صالح السـعدي وحـازم جواد ومحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي من جهة اخرى. وقد أكد زكي خيري في "مذكـرات سياسـي عراقـي مخضرم" ان هيئة التحقيق الخاصة وقيادة حزب البعث رفضت التفاوض مع حسين احمد الرضي (سلام عـادل) بعـد اعتقاله عام ١٩٦٣، في حين يؤكد هاني الفكيكي في "اوكار الهزيمة" ان التفاوض قد حصل على شكل حوار داخـل المعتقل. ويرى شبيب انـه لم يكن حواراً بمعنى الكلمة بل كان تحقيقاً.

٢ ــ كان للحزبين عدد كبير من الضباط داخل مؤسسة الضباط الاحرار التي تأسست بداياتـها على ارض فلسـطين خلال حرب ١٩٤٨ وقادها منذ البداية المقدم الركن عبد الكريم قاسم وضمت رفعت الحاج سـري وطـاهر يحيى والمهداوي ووصفي طاهر وشفيق الدراجي وطه الشيخ احمد وعبد الوهاب الأمين وخليل إبراهيم حسين ومحي الديـن عبد الحميد ومحسن الرفيعي وعبد الكريم الجدة وغيرهم. وساهم ضباط شيوعيون وبعثيون في هذه الحركة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

من البعثيين : طاهر يحيى واحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش ومنذر الونداوي ومحمد علي سعيد ومحمـد علـي السباهي وخالد مكي الهاشمي وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم مصطفى نصرت وحردان التكريتي وحسن مصطفى النقيب وعلاء الدين الجنابي وغيرهم.

ومن الشيوعيين : حسن عبود وعبد الرضا عبيد وجلال جعفر الاوقاتي وسعيد مطر وطه سلطان وسـلمان الحصّـان وماجد امين وحسين خضر الدوري وخليل إبراهيم وخزعل علي السعدي وعلي شريف وعبد الرزاق غصيبة وإبراهيـم كاظم الموسوي وداود الجنابي وغضبان السعد وكاظم عبد الكريم وعباس الدجيلي وهاشم عبد الجبار ومـهدي حميـد وجبار خضير وفاتح الجباري واحسان البياتي ومصطفى عبد الله ورشاد سعيد وعبد الرزاق الزبيدي وغيرهم.

وحقن الدماء. وكانوا بدورهم محرجين أمام الدولة السوفيتية باعتبارها المصدر الأول لتسليح جيشهم المرابط في جبهة المواجهة مع اسرائيل.

رابعاً : إذا كان لدينا في البداية عذراً اقنعنا انفسنا به وقلنا للآخرين ان ما فعلناه كان دفاعاً عن النفس، فلم يعد لدينا في الواقع أي مبرر في ملاحقة الشيوعيين. ولهذا ايدنا الموقف القومي لحزب البعث وحاولنا ان نجعل منه سياسة، ففشلنا في حالات ونجحنا في اخرى.

ومن اجل ايجاد حل شامل لأزمة لجان التحقيق وايقاف التجاوزات شكلنا لجنة عليا للتحقيق في ممارسات الحرس القومي في عموم البلاد برئاسة المرحوم احمد العزاوي، لكن هذه اللجنة التي نجحت في جمع معلومات كثيرة عن بغداد والالوية لم تطلعنا على تقريرها النهائي وقد بيّنا أسباب ذلك في مكان آخر من هذه الذاكرة.

ولذلك واجابةً على سؤالك يجب التنبيه إلى موقفين اثرا وعَمَّقا نهج التصادم بيننا، الأول : هو "الشرعية الثورية" التي اعطاها كل منّا لنفسه، واندفاعة الايمان التي احسسنا بها. الثاني : نهج العداوة المزروعة في اعماق بعض الضباط والسياسيين، وربما المغرضين، للحركة الشيوعية. ففي الحالة الأولى استمددنا موقفنا من الشرعية الثورية وشرعية الدفاع عن النفس، اذ كان أول من قتل صبيحة ٨ شباط هم ضباط الدبابات البعثيون الثلاثة قرب بوابة وزارة الدفاع على ايدي شيوعيين ووجدت جثثهم مقطعة وموذرة من السحل والطعن فجمعت جمعاً وكان ذلك امراً مؤلماً. وإذا ما ربطنا الامر ببيان الحزب الشيوعي الذي اعطى لاعضائه ومناصريه حق قتل البعثيين والثوار، فسيكون البعث قد وجد نفسه في موقف الدفاع عن النفس المشروع[1]، فضلاً عن المشروعية التي يعطيها الثوار لانفسهم في ارتكاب التجاوزات المؤقتة اثناء وقوع

---

١ — يتفق مع هذا الرأي قادة وكوادر شيوعيون. فقد وصف عامر عبد الله وبهاء الدين نوري المقاومة المسلحة التي ابداها الشيوعيون صباح ٨ شباط بانها مغامرة لم تؤدِ إلاّ إلى مجزرة لا لزوم لها، كما قال : لا يمكن تبرئة الشيوعيون من مسؤولية ادخال وسائل العنف لحل الخلافات السياسية[15]. ويقول بهاء الدين نوري : "أصبحنا مؤيدين لحكم قاسم ومجدنا السياسة التي رسمناها خلال الفترة الأولى للثورة، في وقت كان قاسم قد غيّر سياسته جذرياً من نهج التعاون معنا إلى نهج محاربتنا بشتى الاساليب"[16]. وقد اكد مثل هذا الموقف صالح دكلة في ندوة سياسية في (لايدن)[17]. وكذلك اكد الدكتور عبد الحسين شعبان في كتابات متفرقة على امكانية تلافي ذلك التصادم. وثابت حبيب العاني الذي قال : ان مجزرة الدملماجة من قبل رفاقنا في الموصل كانت جريمة ارتكبت لالزوم لها[18].

ويصر الشيوعيون انهم ابرياء من مجزرة كركوك باعتبار ان ما حصل هناك لم يكن مسألة حزبية بل معركة بين اكراد وتركمان. وقد شهد قائد الفرقة الثانية المستقرة في كركوك على ذلك، ويقولون انهم حققوا في تلك المجزرة ولم يساهموا فيها[19].

ويعتمد شيوعيون آخرون (القيادة المركزية) على تحليل مختلف يؤكد على ان البعثيين وبسبب معرفتهم الجيدة بقوة الحزب الشيوعي الكبيرة والتي كانت ستشكل خطراً كبيراً عليهم إذا ما تُركت لنفسها، كانوا قد اتخذوا قراراً بالتصفية الشاملة بغض النظر عن الموقف الذي سيتبناه الحزب الشيوعي صباح ٨ شباط / ١٤ رمضان، مع ملاحظة أن أول من قُتِلَ صبيحة ٨ شباط كان زعيم الجو جلال جعفر الأوقاتي.

الثورة، وكانت هذه من البديهيات وجزء من المنطق الثوري السائد بين جميع ثوار العالم. وإذا ما قرأت ادبيات الحركة الشيوعية انذاك ستحدها تؤكد على مشروعية مبدأ ازالة معرقلي "المسيرة الثورية". وتؤكد على ذلك ايضاً كل احزاب العالم الثالث ذات التوجه الراديكالي، ولم يتخلف عنه الحزبان العراقيان الشيوعي والبعثي. ولذلك اعطى الشيوعيون لانفسهم حق المبادأة بقتل ثوارنا صبيحة ٨ شباط، وحق رفع شعارات القتل والابادة حتى قبل ان تصل دباباتنا إلى محيط وزارة الدفاع. فتجاوب معهم البعثيون عملاً بنفس القاعدة خصوصاً وانهم يحملون السلاح ثائرين وحاملين رؤوسهم على اكفهم، بل وادركوا ان فشلهم في ما أقدموا عليه يعني الموت الاكيد بل والموت الشنيع وكان هذا الشعور دافعاً آخر وراء تشددهم وقسوتهم يضاف إلى دافع الحماس والايمان المطلق بشعارات الحزب وقيادته للبعث القومي العربي من المحيط إلى الخليج وكانت تلك الاحلام مستقرة في ضمير البعثيين تدفعهم وتشجع روح القتال فيهم ضد من يتصورون انه يريد ان يعيق تحقيق مبادئهم المقدسة بل اعتقدنا ان خصومنا هم اعداء القومية والوحدة العربية والقضية الفلسطينية[1].

---

١ ــ تورط الشيوعيون في موقفهم من القضية الفلسطينية وقرار التقسيم مما شجع تكوين صورة غير مقبولة عنهم لدى القوميين والبعثيين، وسَوَّغَ الاصطدام بهم. ورغم مواقفهم النضالية الكثيرة ضد الحركة الصهيونية لكن ارتباطهم بالموقف السوفيتي ادى إلى اغفال اهمية الشأن القومي في سياق الاحلام والمشاريع الامية. وانكشف ذلك بوضوح في تأييدهم التقسيم، فاستفزوا مشاعر الشباب العربي المثقف الناشيء. وكان تحسس أوضاع العراقيين المادي والاجتماعي في النصف الثاني من هذا القرن قد زاد وشجع اهتمامهم بشؤون عربية وعالمية تقع خارج حدود بلادهم وبشكل خاص القضية الفلسطينية التي اضفوا عليها (البعثيون والقوميون خصوصاً) مشاعر ملتهبة اساسها الخوف من فقدان اجزاء عربية أخرى تلحق بالاسكندرونة وعربستان وفلسطين. ولذلك لا بديل عن دولة قومية واحدة قادرة على الدفاع عن كيان الامة. وفي المقابل كتب يوسف إسماعيل البستاني وزكي خيري (شيوعيان) في عام ١٩٤٨ مقالات ودراسات ردوا فيها على عزيز شريف، فقال خيري : "ان اسرائيل ليست حكومة فقط، بل شعب وارض، وقد تكون حكومتها رجعية شأنها شأن الحكومات العربية التي تحاربها، والحقيقة انها اقل رجعية من هذه. لكن هذا لا يعني ان دولة اسرائيل دولة رجعية كدولة اسانيا الفرانكية مثلاً. ففي دولة اسرائيل أحزاب ونقابات . ." وقال "لو ان قرار هيئة الامم المتحدة نفذ باحلاص باقامة دولتين مستقلتين، لما تعرضت فلسطين للحرب، ولما وجد اليهود حاجة لامتشاق الحسام، وهم المَديون بكيانهم السياسي الراهن إلى قرار هيئة الامم المتحدة التي اتخذتها تحت ضغط الرأي العام الديمقراطي العالمي وصلابة موقف الاتحاد السوفيتي"[20].

وفي آذار ١٩٥٢ قالت نشرة للحزب الشيوعي ان حرب ١٩٤٨ "كانت حرباً رجعية استعمارية بالنسبة للبلدان العربية، وذات طبيعة تحررية بالنسبة للشعب الاسرائيلي"[21].

وفي الحقيقة لا يمكن الاستدلال على صحة الموقف السابق لزكي خيري استناداً إلى ما وصلت إليه القضية الفلسطينية حالياً، بحيث يأتي من يقول لو سمعنا كلام زكي خيري أو بورقيبة مثلاً لكنا قد حصلنا على حقوق أكثر مما نطالب به الآن !! وحقيقة الامر غير ذلك تماماً لان ما حصل كان نتيجة لميزان القوة ولم يكن قدراً حتمياً، ولا استناداً إلى شرعية أو حق معين. فإسرائيل ومن ورائها يهود العالم عرفوا هذه الحقيقة فعملوا واجتهدوا وتكتلوا ورفعوا شعارات ابعد "من الفرات إلى النيل" ، وقاتلوا بل واصطنعوا الحروب واقاموا الاحلاف مع الدول الاقوى مستندين إلى قاعدة "التخادم"، ومستخدمين مختلف الوسائل بلا حدود أو رحمة ليجعلوا ميزان القوة يميل لمصلحتهم. فحققوا ما حققوه
←

واذا اضفنا إلى ما تقدم من دوافع حماسية فان متوسط اعمارنا التي لم تتجاوز العشرينات، وانعدام الخبرة الادارية والحكومية السابقة، سوى ما خاضه فؤاد الركابي في وزارة عبد الكريم قاسم الأولى وكانت فترة قصيرة، سيكون سهلاً عليك ان تتفهم مدى التسرع والنزق وقلة الصبر وقلة التأمل والتفكير في القرارات المتخذة وفي عدم السماح للوقت الكافي ان يمر لانضاج الامور، وإلى الاستعجال في كل الاعمال سواء على صعيد التعامل مع الخصوم الوطنيين أو في مفاوضات الوحدة أو التفاوض السلمي مع الاكراد.

كل شيء اتسم بطابع الانفعال الشديد والاستعجال الذي يؤدي في احيان كثيرة إلى الانجرار وراء الرعاع والابتعاد عن العقل والاتزان وإلى التعصب الحزبي والادلجة للقسوة على انها حزم وشجاعة.

سؤال : هل سمعت حينذاك عن حوار دار مع قيادة الحزب الشيوعي المعتقلة من قبل حازم جواد أو علي صالح السعدي؟ وكيف مات اعضاؤها داخل السجن ؟

طالب شبيب : يقيناً ان حازم جواد لم يجرِ أي حوار مع سلام عادل. و لم يكن حازم جواد يملك متسعاً من الوقت ليقوم بذلك لانه انشغل بمهام كبيرة. اما الذين انشغلوا بمسائل التحقيق فهم اعضاء القيادة المتفرغين الذين كانوا بدون مهمات حكومية مباشرة كمحسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي وقيادة الحرس القومي وهيئة التحقيق الخاصة، وعلى حد علمي لم يلتقِ أي عضو قيادة بعثي بهم غير من ذكرتهم.

اما عبد الكريم نصرت فلم يلتقِ بالسجناء فقد كان آمراً عسكرياً وليس محققاً. كما لم يكن منذر الونداوي في الايام الأولى على صلة بالحرس القومي أو بالتحقيق وبالتالي فليس له اية صلة

استناداً إلى قوتهم وضعفنا. ولو تكتل العرب حتى اللحظة الاخيرة لكانت حظوظهم افضل، لكن دعوات الهزيمة كانت قد بدأت عندنا منذ ١٩٤٨ وحتى هذه اللحظة عندما سالمت منظمة التحرير اسرائيل شكلياً في وقت ما زالت فيه القدس واراضٍ فلسطينية وعربية عزيزة تحت الاحتلال. ويذكر ان زكي خيري اعترف بخطأ افكاره بعد ٥٠ عاماً في مذكراته .ولم يكن الموقف عند الشيوعيين من اغتصاب فلسطين موحداً، فقبل الاغتصاب تحدث محمد حسين الشبيبي عن مؤامرات كان يدبرها الاستعمار والصهيونية ضد الاماني العربية في فلسطين[22]. كما كتب فهد رسالة من السجن لمالك سيف يأمره بأتخاذ موقف مبدئي من التقسيم وعدم الاعتراف بقومية يهودية وعدم مسايرة موقف الاتحاد السوفيتي المحكوم بظروف دولية ومحلية، ويأمره بالوقوف ضد المشاريع الاستعمارية والصهيونية[23]. لكن قيادة الحزب خارج السجن خذلت فهد. وكان موقف سلام عادل مماثلاً لموقف فهد. وفي موقف الشيوعيين ما زال هناك أمر غير مفهوم هو كيف استطاع الشيوعيون المطالبة بحق تقرير المصير للأكراد، ولكنهم رفضوا بطرق مختلفة حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني!

بالجرائم التي ارتكبت. واظن ان منذر كانت لديه الرغبة في ضبط الحرس القومي لانه كان بعثياً قبل دخول الكلية الجوية وتربى بمدرسة الحزب السياسية، فضلاً عن عامل السن والنضج فكانت سنه قريبة من سن اعضاء القيادة. لكن الظروف تشابكت ودفعت شباب الحرس القومي بعيداً عن امكانية الضبط فتغلبوا على إرادة منذر وجرجروه إلى حيث مواقعهم.

ولم اعد اتذكر ماكنت قد سمعته في احد اجتماعات القيادة عن حديث دار بين هاني ومحسن من جهة وقيادة الحزب الشيوعي من جهة اخرى. وبالتأكيد ان حواراً ما قد تم بيننا وبين المعتقلين، اذ لايمكن ان يكون كل شيء قد دار في فراغ. ولا اتذكر الآن بعد أكثر من ثلاثين عاماً مانقل إلينا ، واسمح لي ان اقول لك : ما قيمة الحوار الذي دار، إذا كان الامر قد انتهى بموت هؤلاء "خطأً وجهلاً" .. فقد أُبلغنا صباح احد الايام ان قادة الحزب الشيوعي قد ماتوا!! فغطينا نحن، مع الاسف، ذلك بقرارات رسمية. اذ قال تقرير الطبيب الشرعي وهو بعثي اسمه ".....علوش" بانهم ماتوا بالسكتة القلبية، لانهم ظلوا حتى الصباح معلقين وارجلهم مرتفعة قليلاً عن الارض، وذلك يؤدي بعد فترة من الزمن إلى السكتة القلبية.

وكنت قبل السفر للقاهرة، أي بعد الثورة بايام، قد زرت "قصر النهاية" (وهو اسم اطلقه عبد الكريم قاسم على هذا القصر الملكي الذي تحول إلى موقع عسكري -معتقل- وقد تمسك الناس بعد ذلك بهذا الاسم)، فرأيت حسن عوينة بحالة يرثى لها. وامرت بالكف عن التحقيق معه ومعالجته حتى عودتنا من السفر كي تتاح فرصة محاورته حول ما قيل عن ترؤسه لفرق الاغتيال التي زُعِمَ انها تستهدف قيادة حزب البعث.

جلست امامه وكان بعض اعضاء قيادة الحرس وفرع بغداد ما زالوا يحققون معه. قلت له: لماذا لا تعترف؟ اجاب: أنا عقائدي ومقتنع بمبادئي، ولا يمكن ان أخون رفاقي ومبادئي. قلت: ان هؤلاء سيلحقون بك الاذى وربما تقتل. فقام من مجلسه وكان يرتدي ملابسه الداخلية فقط، وسحب لباسه الداخلي وأراني ظهره وقفاه الممزقين وقال : ماذا سيفعلون أكثر من ذلك فانا أصبحت لا اشعر بقسوة التعذيب مهما كان نوعه[1].

---

١ ــ اعتقد ان الطبيب الشرعي كان "صادق حميد علوش"، سكن بغداد وهو من من ابناء مدينة الحلة. درس الطب في بريطانيا ومارس المهنة في بغداد عام ١٩٦٣، وأصبح بين ١٩٧٥- ١٩٧٩ رئيساً لدائرة مدينة الطب ورئيس الجمعية الطبية ورئيس نقابة الاطباء في العراق. ومن ١٩٨٢ حتى ١٩٩٠ وزيراً للصحة. وبعد ١٩٩٠ عُزِل وعين مستشاراً علمياً، ويعمل الآن في فرع بغداد للحزب الحاكم. وعرف عنه التزلف للاقوياء والاساءة للآخرين. ويعتقد زملاؤه انه تسبب في مقتل خلفه وزير الصحة السابق الدكتور رياض الحاج حسين، بالكتابة عنه إلى مكتب صدام حسين الذي قتله بطريقة بشعة. كان تقريره الطبي عن موت القيادة الشيوعية يمكن ان يكون صحيحاً من الناحية النظرية، فالوفاة لا تحصل عادةً بسبب "التعليق"، ولكن التعليق يجلب الخوف والقلق وربما اليأس من النجاة، والخوف مع الارهاق
←

يؤدي إلى صدمة، والصدمة مع الخوف يؤديان إلى الوفاة. لكن التعليق بذاتـــه لا يسبب الوفاة حتماً. وان اســـتعراضاً لبعض مصائر اعضاء اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي سيؤكد ان ليس جميعهم قتلوا بطريق الخطـــأ، ومن امثلة ذلك:

أولاً : روى خالد طبرة للأستاذ صفاء الفلكي (سفير في أكثر من بلد، وبعثي مساهم بكل المراحل السابقة) قائلاً لـــه: حفرنا أنا وسعدون شاكر (وزير داخلية ومدير أمن عام بعد ناظم) قبراً لمحمد صالح العبلي وجئنا بـــه وانـــزلناه إلى القبر (الحفرة) وبعد مَدِّه بداخله، طالبــه سعدون شاكر بالاعتراف أو الموت ؟ فرد العبلي بشجاعة واتـــهمنا بخيانـــة الوطن. فأطلق عليه سعدون شاكر فمات فوراً دون ان يعترف أو يتنازل، وحصل الأمر مع مهدي حميد.

ثانياً : المحامي حمزة سلمان الجبوري عضو لجنة مركزية جيء بـــه مع الضابط الشيوعي مهدي حميد من نقرة السلمان إلى بغداد (مركز تحقيق المأمون) وطالبوه أمام حشد من المعتقلين بالاعتراف ثم طلبوا إليه ان يَعُد من الواحد إلى العشـــرة وقبل ان تنتـــهي أُطلق عليه فمات. ثم جيء بمتي الشيخ بعده مباشرةً فرفض الاعتراف فقتل بنفس الطريقة.

ثالثاً : قتل عضو المكتب السياسي جمال الحيدري والصحفي عبد الجبار وهبي بعد اعتقالهما مع العبلـــي في دار فـــاضل الخطيب والد الدكتور عطا الخطيب والدكتور عطية الخطيب، فوراً بعد رفضهما الاعتراف، وقتل معهما ابـــن جمـــال الحيدري ونرجس الصفار الصبي فاضل الحيدري، وعمره ١٤ سنة، وكان يقوم بنقل البريد احياناً.

رابعاً : مقتل توفيق منير العاني بدار هاشم عبد القادر المملوكة لعزيز شريف، مقابل السفارة المصرية والمجاور لدار عـــز الدين الراوي (اخو عبد الهادي الراوي). وتمت العملية بعد ان ابلغ أحد عناصر الامن بوجوده فنـــزل عليـــه الحـــرس القومي من سطح الدار، وعلى عكس ما اشيع من انـــه قاتلهم فقتل، لم يكن الرجل يحمل سلاحاً بل بادروه بـــالرمي بصليات كثيرة فتناثرت دماؤه في كل مكان. ويُذكر ان نوري السعيد كان قد سحب جنسيتـــه العراقية مـــع كـــامل الجادرجي (من قادة الوطني الديمقراطي) وآخرين عام ١٩٥٤ وسفّره إلى خارج البلاد. وكان توفيق منير حـــائزاً علـــى جائزة جوليو كوري للسلام[24].

خامساً: أعتقل متي الشيخ مع الدكتور محمد الجلبي في دار الأخير، ونقلا إلى مركز المأمون، فقتل متي الشيخ مع عضـــو اللجنة المركزية الآخر حمزة سلمان الجبوري، ومهدي حميد، في حين نقل الجلبي إلى قصر النـــهاية، ووضع في الســـرداب مع سلام عادل والآخرين، ثم نقل مع عضو اللجنة المركزية نافع يونس إلى بناية محكمة الشعب، وقتلا هنـــاك في تمـــوز ١٩٦٣، أي بعد أشهر من تقرير د. علوش.

وفي هذا الشأن قال د.تحسين معلة : "بعد اعتقال قيادة الحزب الشيوعي باربعة ايام طلب مني حمدي عبد المجيد الحضـــور إلى "قصر النـــهاية"لعيادة بعض المرضى. ذهبت إلى هناك وبدأت من السرداب فرأيت سلام عادل نائماً وسط القاعـــة طاوياً نفسه على الارض مشدود العينين ومدمى. وعبد الرحيم شريف العاني بنفس الحالة وكذلك حسن عوينة وعبـــد القادر إسماعيل البستاني وحمدي ايوب العاني وآخرين لم اتعرف عليهم وكانوا بحالة مزرية ينامون مباشرةً على ارضيـــة السرداب الرطبة. حاولت تضميد جراحهم وانتقلت لردهات أخرى وكتبت لهم الادوية المطلوبة وكنت اعودهم يوميـــاً لمدة اسبوع. وتعاملت معهم كما يتعامل طبيب مع ردهة اعتيادية للمرضى حتى جيء في أحد الايام بـــهاشم جـــواد (وزير خارجية قاسم) واعطوه وجبة عشاء "خبز وتمر" فسألتـــه : هل تشكو من شيء ؟ فاجاب مذهولاً "شنو يعـــني؟" فقال له أحد الحراس القوميين : هذا د.تحسين معلة. فوقف مرتجفاً : نعم نعم !! قلت : أنا طبيب واستطيع ان اخدمكم. سألت عبد القادر البستاني : لماذا وصلت الامور إلى هذا الحد ؟ فأشار إلى سلام عادل قائلاً انـــه هو السبب. وعندمـــا وصلت إلى سلام عادل سألتـــه فأجاب : هذه مسائل يجب ان نتحاور حولها، وليس هناك اجابات سريعة. ولم اكلـــم حسن عوينة تألماً لانـــه ابن صفي الدراسي في ثانوية النجف. ولم اكلم عبد الرحيم شريف لانـــه عديل اخي المرحـــوم عبود معلة، خجلت منـــه وكان صلباً وتحدثت مع د. محمد الجلبي وكان جسده مجرحاً فقال: الا احتـــاج إلى حليـــب ولحوم ؟ قلت أنا طبيب ساصف لك ذلك ولا ادري إذا كانوا سيلبون هذا. وفي نفس اليوم حصلت حادثة مزعجة ضد ←

وأخيراً فأنا أشك بوجود أشرطة مسجلة لأي حوار يُزعَم انــه دار بين القيــادتين البعثيــة الحاكمة والشيوعية السجينة، لأنــه لم يجرِ أساساً أي تحقيق منتظم، وليس صحيحاً مــا قالــه الفكيكي عن وجود تسجيلات محفوظة في القصر الجمهوري، و لم اسمع بذلك إطلاقاً ولا اعتقـد ان له نصيباً من الصحة.

المعتقلين فصممت ان لا اعود إلى قصر النــهاية. وبعدها علمت ان د. اديب الفكيكي ود. سعدون التكريتي وطبيــب ثالث ربما هو صادق علوش كُلّفوا بزيارة المعتقلين"[25].

ويرى الشيوعيون ان ادعاء مقتل جورج تللو على يد رحيم شريف هو مجرد دعاية وحرب نفسية، ويقولون عن شريف انــه تميز بعلو ودماثة خلقه وبعدم تدخله بشؤون الآخرين، وان تللو لم يكن ضعيفاً أو متخاذلاً حتى يتطوع شــريف لقتله، بل كان صلباً وصعد على كرسي وحث المترددين على الصمود وهتف بحياة حزبــه فرماه أحد المحققين بطلــق ناري. اما اقرباء رحيم شريف العاني فيقولون ان طبعه يمنعه من القتل. وانــه لم يكن يستطيع الجلــوس لان المحققــين كسروا ظهره فقد رفسه احدهم على صدره بقوة بينما كان نائماً على الارض واستمر على ذلك الحال حتى وفاتــه واعتقد ان حادثة مقتل تللو هي التي دفعت د. معلة إلى عدم الذهاب إلى قصر النــهاية مرة اخرى. وكــانت قيــادة الحزب الشيوعي والكادر الملحق بــها تتكون حينذاك من : سلام عادل (عمار) سكرتير أول ومشرف على التنظيــم العسكري (قتل). هادي هاشم الاعظمي (حسن) عضو السكرتارية اعتقل واعترف، ويدعي البعض أنــه كان علــى صلة بأجهزة الأمن منذ فترة سابقة، في حين سمعت شخصياً عام ١٩٧١ من أحمد العزاوي أن هــادي هاشــم جــاء منــهاراً وبدافع ذاتي، وهو أمر يحصل كثيراً في العمل السري. محمد صالح العبلي -نعمان- عضو السكرتارية مســؤول العلاقات بمنظمات الحزب (قتل). جمال الحيدري -حبار- عضو السكرتارية مسؤول الفلاحين (قتل). جورج تلو عضو مكتب سياسي (علي) مسؤول التنظيم العسكري وكان قبلها مسؤول الخارج (قتل). عزيز محمد (مخلص) عضو مكتـب سياسي مسؤول كردستان كان في شمال العراق. سلام الناصري (غيث) عضو مكتب سياسي مسؤول بغداد، كــان في موسكو. باقر إبراهيم الموسوي (مجيد) مرشح مكتب سياسي بقي على رأس منظمة الفرات الاوسط الــتي لجــأت إلى الريف وضمنت السلامة. وقتل جميع اعضاء المكتب العسكري ما عدا ثابت حبيب العاني (كان في الخارج) وبينــهم جورج تللو ونافع يونس وسلطان ملا علي وعبد الستار مهدي محمد رضا وغيرهم. ونجا عزيز شريف وآرا خاجــادور لوجودهما في الخارج. ونجا صالح الرازقي وزكي خيري لوجودهما مع باقر إبراهيم في ريف الفرات الاوسط. وكــان في الخارج ايضاً كل من حسين سلطان وعزيز الحاج ود. نــزيهة الدليمي وعامر عبد الله وبــهاء الدين نــوري ونــاصر عبود. وقتل محمد حسين أبو العيس عضو مكتب سياسي "مخفض" مع سلام عادل بنفس الطريقة ووضعت جثتــه في زنــزانة واحدة مع زوجتــه (سافرة جميل حافظ) اخت زكي نجيب حافظ نقيب المحامين وعضو قيادة حزب العــربي الاشتراكي وهي أديبة نالت جائزة على روايتــها "دمى واطفال". وصالح دكلة (سعيد) عضو لجنة مركزية مســؤول الجنوب اعتقل وهرّبتــه زوجتــه انعام العبايجي، بعد أن تمكن عزيز الشيخ المعترف والمنقول من قصــر النــهاية إلى النادي الأولمبي عند إذاعة أسماء المنقولين ليصعدوا إلى الناقلة من مسك يده والضغط عليها، فأدرك دكلة فكرتــه وصعد معه، وعندما وصلوا النادي، قُرأت الأسماء و لم يكن بضمنــها، فأرادوا إرساله إلى القيادة العامــة للحــرس القومــي، واحتاروا معه ثم أبقوه ليأتي دوره في التحقيق، فجاء إليه سعدون غيدان وكان عضواً في اللجنة التحقيقية وحذره مــن مصيره، فرتبت زوجتــه أمر تــهريبــه بعد طلب نقله إلى المستشفى. عبد الرحيم شريف عضو لجنة مركزية مســؤول لجنتي الثقافة والاقتصاد (مات إثر التعذيب). شريف الشيخ عضو لجنة مركزية. عمر الشيخ عضو لجنة مركزيــة كــان موجوداً بكردستان. حسن عوينة عضو ارتباط باللجنة المركزية (قتل). عزيز الشيخ مرشح مكتب سياسي. كريم احمــد مرشح مكتب سياسي في كردستان. وهكذا لو دققنا أكثر لوجدنا أن كل واحد منــهم قد قتل بطريقة مختلفــة، ممــا يؤكد قطعاً خلف تقرير د. صادق علوش.

حظ العراق سيء !!

سؤال : ما الذي يميزك انت وعلي وحازم ومحسن وحمدي وحميد والونداوي وكريم نصرت واحمد العزاوي عن حسين الرضي (سلام عادل) وابو العيس والعبلي وعزيز وعامر وحمدي أيوب وتوفيق منير وباقر إبراهيم وعوينة . . الخ ؟ انتم بعثيون وهم شيوعيون لأسباب تتعلق ربما بالمصادفة، بينما الضرورة تؤكد أنكم أبناء بلاد عريقة واحدة وأبناء تراث واحد وأهداف وطنية عامة مشتركة . . . فما عساكم فعلتم ؟ أهو حظ الانتساب أم الايديولوجيا، أم ماذا ؟

طالب شبيب : كنا جميعاً مناضلين ولكن في خندقين متجابهين وفي حالة تصادم. كان هو فعلاً حظ الانتساب. نعم ففي الحرب الاهلية الامريكية تقاتل زملاء الكلية الواحدة وهي أكاديميةويست بوينت العسكرية فاقتتلوا رغم ارتباط بعضهم بتزاوج ونسب متقارب عندما صاروا في خندقين مختلفين. كما ان كازانتاكس كتب رواية "الاخوة الاعداء" كصورة فنية لحالة واقعية تحققت في الحرب الاهلية اليونانية التي كانت ايضاً مؤسفة.

انه حظ مؤسف وملعون، حظ العراق سيء!! والآن وبعد مرور سنوات طويلة، لو افترضنا ان موقف الشيوعيين العراقيين كان مشابهاً على سبيل المثال لموقف الشيوعيين السوريين الذين اعتبروا نظام البعث في سوريا قومياً تقدمياً رغم اختلافهم معه في شؤون وتفاصيل كثيرة، الا انهم اختاروا التوافق في الشؤون الاستراتيجية الداخلية والخارجية، ولم يفكروا ولا مرة واحدة كما فكر نظراؤهم العراقيون بأن اية قضية لا يجب ان تمر الا عبر قناتهم وتأخذ موافقتهم، وان ما لا يوافقون عليه يجب ان لا يحصل بل وتقع لعنتهم على مَنْ يخالفهم . وكان بعضنا يأسف لعدم سلوك الحزب الشيوعي مثل الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي بعث زعيمه الملا مصطفى البارزاني برقية تأييد لقيادة حركة ١٤ رمضان وضمّنها شرط الحل العادل للقضية الكردستانية. وكان علي السعدي قد اجرى اتصالات سرية مع المرحوم صالح اليوسفي الذي كان ميالاً للسلام وحقن الدماء بين العرب والاكراد. فعرض البعث ايقاف العمليات الحربية من قبل الجيش فور استلام السلطة، ووعد الملا مصطفى بوقف العمليات الحربية من قبل البيشمركة وقد ابرَّ بوعده. وهذا يعني ان الشيوعيين كانوا قد ذهبوا في تشددهم ضدنا ابعد من البارتي رغم ان الاخير حزب يمثل قومية اخرى. واعتقد انه لو لم تتكون في الاذهان بعض المفاهيم المتعصبة، لجرت الامور مجرى آخر وربما استطعنا لو حصل ذلك ان نصنع جبهة داخلية قوية بامكانها منع الطارئين مثل صدام حسين ومجموعته من التسلل، فيما بعد، في غفلة الصراعات بين القوى الوطنية إلى حكم العراق

العزيز وتحويله إلى خراب وتقسيمه بصورة مشوهة إلى طائفية وشوفينية وجهوية . . .الخ[1].

ومن ناحية أخرى فلو كانت عقلية البعث في العراق أكثر مرونة وتسامحاً سياسياً وفكريـــاً، ولو توجه في حل المشكلات إلى الحوار وليس الحراب، ولو استفاد من طريقة رفاقه الســـوريين لاستطاع اقامة توازن ممتاز يحفظ للبعث قوتـــه ويحافظ على وجود الشيوعيين معـــه في نفـــس الخندق. فقد استطاع السوريون ادامة ذلك أكثر من ربع قرن رغم حجم الضغـــوط والتـــآمر الكبير الذي تعرضوا له والذي لا يقاس بما تعرض له العراق حينذاك، فلم تكن سلطة البعـــث في بغداد عام ١٩٦٣ تواجه أي تحد دولي أو اية معارضة داخلية جدية، ولكنـــها خلقت لنفســـها مشاكل كثيرة داخلية وخارجية كان يمكن تجاوزها وتجنب المصير السيء للعلاقات بين الحزبـــين والتي انتقلت من الحوار السياسي في الصالونات واروقة المدارس والجامعات إلى ساحات الإعدام وحوار الدم.

---

١ ــــ الواقع ان حوار الصالونات الذي بدأ سلمياً هو الذي اسس لحوار الدم. لانـــه لم يكن حواراً للتفاهم بل مبـــارزة بين ايديولوجيات تتقابل فيها مفاهيم مجردة لا تتصل بمتغيرات الواقع. فكان ذلك الحوار صراعاً بين أحزاب تتبنى انســاقاً من المفاهيم الشاملة المختلفة، وليس بين اشخاص احرار يمثلون حاجاتـــهم الاجتماعية والإنسان ية المحددة والواضحــة. وكانت الساحة العراقية تكتظ بمفاهيم سياسية صادرة عن النظام الاممي السوفيتي الراغب في توحيد الكرة الارضية تحت شعاراتـــه. وكانت تقابلها مفاهيم قومية لم تستكمل نضجها بعد، وبعضها مستورد من مفكرين غربيـــين ايطـــاليين وفرنسيين وألمان. فكان احتراباً محلياً بمقولات اجنبية لا تتغير مضامينـــها ابداً، لارتباطها بنسق ايديولوجي شامل يربـــط امكانية تغيرها بتغير كامل منظومة المفاهيم المكونة للايديولوجيا الواردة!!
وحفاظاً على استمرار توتر وتماسك الجماعة المنظمة (الحزب) يُشترط على المنتظِم الالتزام الضروري بمفاهيم "ثوريـــة" تُضَخِّم الجزئيات وترفعها إلى مستوى القضايا المصيرية المقدسة التي تؤدي إلى اصابة العقل بنشوة السكر، وتجعل مـــرارة التصادم قدراً حاتماً ! وتضع الديموقراطية في وعاء ديكتاتورية الدولة أو البروليتاريا أو الطليعة الانقلابية. فقرر البعثيـــون العراقيون ضمناً بان الانقلاب العسكري وسيلة ثورية لابد منـــها، فلحق بـــهم الشـــيوعيون قـــائلين إنّ "الانقـــلاب العسكري هو انتفاضة شعبية وطبقية في ظروف بلادنا، أو انـــه الانتفاضة التي تلعب فيها القـــوات المســـلحة الـــدور الحاسم"[26].

مراجع:

[1] حنا بطاطو، جزء ٣، مرجع سابق، صفحة ٢٩٢. حصل بطاطو على النص المذكور من الاستاذ حسين جميل في ١٣ آذار ١٩٦٣ وعثر عليه في بيت احد الشيوعيين. كما اخبر احد اعضاء منطقة بغداد للحزب الشيوعي انه كان مكلفاً بتوزيعه في منطقة الرصافة.
[2] سمير عبد الكريم. اضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد، بيروت، الجزء الثالث صفحة ٢٦ — ٣٧
[3] د. عبد الحسين شعبان رسالة شخصية، ومقابلة في لندن، ١٩٩٨.
[4] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، المحضر الثالث، مطابع دار الكفاح العربي، صفحة ٢٨
[5} زكي خيري مذكرات سياسي عراقي محضرم، القسم الأول، ١٩٩٤، صفحة ٢٤
[6] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
[7] بهاء الدين نوري مذكرات ١٩٩٥ ط ٢ ص ٢١٣.
[8] علي الشوك جريدة الحياة الندنية ١٩٩٢/٣/١ عن كتاب نجم محمود (إبراهيم علاوي) المقايضة.
[9] ثابت حبيب العاني رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
[10] يونس الطائي، مقابلة، ١٩٩٥.
[11] سمير عبد الكريم، ج ٣، ص ٩٥.
[12] لقاءات متفرقة مع قادة شيوعيين بينهم عبد الرزاق الصافي ولبيد عباوي وجميل منير وحامد أيوب.
[[13 باقر إبراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
[14] حردان التكريتي، مذكرات سياسي عراقي، دراسة احمد رائف (اسم مستعار)، بيروت، دار الزهراء للاعلام العربي
[15] تعميم شيوعي صادر عام ٦٧ بعنوان "محاولة للتقييم . . ." حنا بطاطو العراق، شيوعيون وبعثيون، مصدر سابق، ص ٣٠٦.
[16] بهاء الدين نوري، مذكرات، م س، صفحة ٢٠٧.
1]٧] صالح دكلة، ندوة هولندا لايدن في ١٩٩٥/١٠/٢٧
[18] ثابت حبيب العاني، رسالة العراق، العدد ٨، ١٩٩٥.
[19] حامد ايوب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.
[20] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، مصدر سابق، ص ٨٨.
[21] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، ص ٩٨.
[22] حسين محمد الشبيبي، كتابات الرفيق حسين محمد الشبيب،- من وثائق الحزب الشيوعي العراقي.
[23] د. عبد اللطيف الراوي، عصبة مكافحة الصهيونية في العراق ٤٥ — ١٩٤٦، دار وهران في الجزائر ودار الجليل، دمشق ١٩٨٦ صفحة ٢١.
[24] جميل منير، مقابلة، هولندا، ١٩٩٦.
[25] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
[26] الحزب الشيوعي العراقي، بيان صادر عام ١٩٦٦.

ملف الوحدة
إخفاق الوعي وإخفاق التجربة
نرفض الممكن ونطلب غيره

تميزنا نحن القوميين برفض المأمول والمحتمل في سبيل المستحيل، فسعينا إلى أهداف اكبر مما تستطيع قدرتنا ووعينا على إنجازه واستيعابه. ولما كانت الوحدة العربية معيارنا للموقف الوطني والقومي، ولصدق النضال ضد أهداف الاستعمار وضد أعداء الأمة العربية، فقد أدركنا أن طرقنا مع عبد الكريم قاسم مختلفة ومع الشيوعيين مقطوعة. فلم يرغبوا بأكثر من تضامن عربي واتحاد فدرالي، بينما نحن وبقية القوميين أردنا وحدة اندماجية فورية شاملة. واستناداً لهذا التباين اتضحت خيوط الاختلاف، فأخذ كل طرف يكتل حوله الأنصار والأصدقاء داخل العراق وخارجه. وللأسف ان كلا الطرفين كان على خطأ وصواب في الوقت نفسه. فلو سعينا لفدرالية لأمكن تحقيقها بسهولة، وكان عبد الناصر سيوافق عليها[1].

---

١ ــ لم يكن قاسم والشيوعيون وحدهم الذين يقولون بمنهج تدرج الوحدة وبالاتحاد الفدرالي او البدء بتضامن عربي فعال وعملي مدعوم باتفاقات عسكرية وثقافية واقتصادية، او بوحدة يسبقها التهيئة الداخلية وحل المشكلات المعيقة لكل قطر بما في ذلك بناء المؤسسات الحكومية والشعبية الملائمة، بل ان ناصر نفسه وصل إلى هذا الرأي حتى قبل سقوط قاسم، وقد ابلغ بـه قيادة البعث بعد أيام من حركة ٨ شباط في معرض تقييمه لانتكاسة الوحدة المصرية السورية قائلاً : "الوحدة الاندماجية سابقة لأوانها، وهذا ما عبرت عنه في كلامي بضرورة مراعاة العوامل الإقليمية"[1]. كما أيدت حركة القوميين العرب وحدة الهلال الخصيب وأيدت إمكانية قيام وحدات إقليمية بأي شكل كان، كوحدة شمال أفريقيا ووادي النيل والجزيرة، وأطلقوا عليها اسم (المرحلية) بدلاً من الاندماجية الفورية الشاملة[2]. وهو موقف يتطابق مع موقف الحزب الشيوعي العراقي الذي عبر عنه عامر عبد الله في ١٩٥٩ بمحاضرته الشهيرة (الطريق إلى وحدة الأمة العربية) بقاعة الخلد. ووقف الحزب الوطني الديمقراطي وكتلة عبد الهادي الراوي وجابر حسن حداد وكتلة الحزب الإسلامي العراقي العسكرية والحركة الكردية، ضد الاندماج الفوري[3]. وعلى مستوى الأشخاص فقد وقف نفس موقف قاسم كل من كامل الجادرجي وعبد الفتاح إبراهيم وحسين جميل ومحمد حديد وعبد اللطيف الشواف وعبد الوهاب الشواف ومحمد مهدي كبة ومحمد صديق شنشل وهديب الحاج حمود ومحمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري وعبد الجبار الجومرد وناجي طالب وعبد الرحمن البزاز وتيار واسع من الشخصيات الحكومية والاجتماعية والحزبية، اكبر بكثير من تيار الوحدة الاندماجية الفورية الشاملة. وعلى سبيل المثال فقد كشفت الوثائق البريطانية ان عبد الرحمن البزاز أكد في يوم ٢٦ آب ١٩٥٨ للسفير البريطاني (المستر فالي) بضرورة الفدرالية وبأنه يرى ضرورة بقاء العراق كياناً منفصلاً يمكنه الدخول بنوع من ←

وفي الحقيقة لم يكن إخفاق الوعي واخفاق التجربة السالفة هي المرة الأولى التي فشلنا فيها في استيعاب المرحلة وحاجاتها وإمكانياتها. فلقد خسرنا في مرات سابقة المشروع الوحدوي لسوريا الكبرى، الذي كانت تدعمه فرنسا. ولو لم نعرقله، او لو كنا قد دفعناه إلى الأمام، لربما أمكن تحقيق وحدة سوريا الحالية ولبنان والأردن وأجزاء من فلسطين، والمساعدة على الوقوف بوجه الصهيونية التي أغرقت فلسطين بالهجرة اليهودية تمهيداً لاستحداث وبناء دولة إسرائيل عليها.

أما المشروع الثاني الذي أهملناه في الخمسينات فقد كان مشروع الهلال الخصيب - سوريا والعراق فلسطين ولبنان والأردن والكويت- . وشاركت في رفضه جميع الأحزاب والجمعيات (التقدمية) العربية، مما عكس سذاجة وغرارة وغضاضة الوعي العربي. فليتنا قبلنا بمشروع الهلال الخصيب. نعم ليته تحقق، لأنه يعني توحيد خمسة أجزاء عربية في دولة واحدة. فأي حلم عربي كان سيتحقق ؟ أي حلم عربي ؟ .

رفضنا مشروعين صدر الأول عن فرنسا والثاني عن بريطانيا، وكل منهما كان قادراً على تحقيق تلك المشاريع، وطرحنا مقابلهما مشاريع شاملة أردناها فورية، ولم نفكر بآلية تحقيقها، فأفشلنا دون قصد مشاريع وحدوية ممكنة ودفعناها إلى المستحيل، في حين كان يجب التوقف عندها ودراستها لنعرف ما إذا كنا سنكسب منها شيئاً[1].

الفدرالية لتأسيس اتحاد عربي يشمل الجميع[4]. في حين رأى الجادرجي بأنّ ليس من مصلحة العراق الانضمام للعربية المتحدة، وبدلاً من ذلك يمكنه إقامة تعاون وثيق معها في السياسة الخارجية، بل انه أوضح للسفير البريطاني (المستر فالي) بأنه ضد حكم الحزب الواحد، ولايرغب " ان يُحكم العراق بنفس الطريقة التي تُحكم فيها مصر"[5]. ورأى العميد عبد الهادي الراوي ضرورة التريث ودراسة الوحدة وعرضها على علماء الدين في كل من العراق ومصر، ولا يجب ان تقوم الوحدة قبل موافقتهم عليها. ولم يكن ذلك، كما هو واضح، عملاً اندماجياً فورياً[6]. ولكل ما تقدم أرى ان على الباحثين الموضوعيين ان يفتشوا عن سبب آخر، غير الموقف من الوحدة العربية، أدى إلى قسوة الصراع بين قاسم وحلفائه من جهة وأولئك الذين مثلوا التيار القومي من جهة أخرى.

١ ـــ في وقت سابق على حديث شبيب بعشرين عاماً انعقد المؤتمر القومي الثاني عشر لحزب البعث العربي الاشتراكي بدمشق ١٩٧٥ ، وكنت عضواً أصيلاً فيه. في ذلك المؤتمر تحدث حافظ الأسد مطولاً حول المشاريع الوحدوية التي رفضناها. وكان حديثه على سبيل إلفات النظر لأهمية الوحدة بين العرب، فسمعنا لاول مرة من قائد بعثي تاريخي ما يكسر الموقف المعتاد من تلك المشاريع. فقد تأسف الأسد لعدم تحقق مشروع الهلال الخصيب رغم انكليزيته. واعتبر أن تحققه كان من الممكن ان يكون خطوة يمكن أخذها والعمل على توطيدها ثم التضامن من احل توسيعها. خطوة في طريق الوحدة المأمولة. بل تحدث الأسد من موقع الأمين العام للحزب عن فهم جديد، اكثر عقلانية عندما قال : " ان تعبيد طريق او مد سكة حديد او توحيد مناهج دراسية بين قطرين عربيين كالاردن وسوريا سيكون خطوة وإنجازاً وحدوياً ندعمها ونسعى إليها" . حينها فوجئنا، وتبرم بعضنا، فقط لإعتيادنا على شجب تلك المشاريع والمسميات دون تدقيق وبمجرد ذكرها أمامنا واعتقد ان البعثيين والشيوعيين وغيرهم قد تورطوا في رفض مشاريع وحدوية سياسية
←

أما المشاكل الناصرية السورية ذات التاريخ المرير، والعالقة في أذهان الطرفين الناصري والبعثي، فقد كان من الممكن تجاوزها بمجرد إعلان أي تقدم وحدوي واقعي جديد، حتى لو كان أقل بكثير من وحدة اندماجية شاملة. وكان من الممكن إقناع المتحمسين بأننا هذه المرة أشد حماسةً وأقوى إرادة، لكننا متعقلون وحريصون على عدم الفشل.

لكننا لم نعرض أياً من الأفكار التي تواجهنا، او حتى أفكارنا الخاصة، للدراسة والتمحيص أو لحسابات الربح والخسارة. و لم نعط اعتباراً لأهمية تأجيل المعارك التي لانملك وسائل خوضها، فخسرنا معاركنا وربح أعداؤنا اكثرها ضدنا. وكانت أذهاننا تضج بشعارات ومشاريع كبرى دون التفكير بآليات تحقيقها. ورغم ذلك عقدنا العزم واندفعنا ، فاصطدمنا برجل مثل عبد الكريم قاسم الذي كان وطنياً، ولا يخرج في أفكاره عن نطاق تصوراتنا، فقضينا على بعضنا وخرجنا جميعاً خاسرين.

مع عبد الناصر

قبل ثورة الثامن من آذار في سوريا، عند لقائنا الودي الأول مع جمال عبد الناصر في ٢٢ شباط ١٩٦٣ ، لم يكن في ذهننا ولا في ذهن عبد الناصر أي مشروع عملي للوحدة مع مصر. و لم تتجاوز أفكارنا حدود علاقات الصداقة والتحالف الطيب مع أقطار عربية معادية للاستعمار كمصر واليمن والجزائر وبقية الحركات التقدمية العربية.

أوضحنا ذلك لمضيفنا على أساس ان ظروف العراق تتطلب التعددية السياسية والحزبية وأشياء وترتيبات وجهوداً كثيرة ووقتاً طويلاً، نستطيع خلاله تطوير التفاهم وتقوية العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والحركات التقدمية العربية كاتحاد الشغل المغربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية والاتحاد القومي المصري (الاتحاد الاشتراكي)، لإقامة جبهة وطنية وقومية عريضة، تتعاون فيها الحركات والحكومات معاً لتحقيق وحدة الهدف والتضامن العربي تمهيداً لإقامة وحدة عربية متينة ومدروسة لا رجعة فيها. وحينذاك كنا قد أدركنا بسرعة قياسية

كثيرة متغيرة. وغرةرا اكثر بعد دحول عبد الناصر بوسائل إعلامه في معركة أدت إلى تخويف قادة الدول العربية من وحدة قد تؤدي إلى هيمنة حزء بذاته على بقية الأحزاء. وكانت النتيحة ان أياً من المشاريع لم يتحقق سوى مشروع التحزئة القائم. وحاء رفض مشاريع الهلال الخصيب وسوريا الكبرى والاتحاد الىمدرالي للمغرب العربي واتحاد المحميات العربية وخسارة اقتراح عراقي برعاية إنكليزية عام ١٩٥٤ لإنشاء وحدة سورية أردنية عراقية. و لم نرفض لعدم الحدوى بل لحسابات سياسية وأيديولوحية. والاتحاد الوحيد الذي نجا من محاولات العرقلة الكثيرة هو (اتحاد الإمارات العربية) . ولا اشعر ىالحرج إذا قلت ان الحركات (التقدمية) وجدت ىاستمرار أسباباً لتأخير الوحدة، ومقابل ذلك فقد أضافت مفاهيم احتماعية ملازمة تضع شروطاً على قيام الوحدة.

الفارق الكبير بين الشعارات التي كنا نرفعها وبين تنفيذها عملياً على ارض الواقع[1].

كان الوفد العراقي إلى مصر برئاسة نائب رئيس الوزراء وأمين سر الحزب علي صالح السعدي ووزير الدفاع صالح مهدي عماش وأنا بصفتي وزيراً للخارجية وعضو القيادتين القطرية والقومية، يرافقنا وفد شعبي يضم رجالاً يمثلون الخارطة السياسية العراقية بكاملها ، من سياسيين

---

١ ـــ تردد قاسم وأحل مشروع الوحدة الاندماجية، فاستحق الثورة عليه وإعدامه. لكن خصومه لم يتمكنوا من طرح او تنفيذ أي شيء مخالفٍ لمواقفه وأفكاره. فبعد أسبوعين من إعدامه إستقر الرمام بيد قادة الحركة الذين بدأوا بالتحدث من عاصمة الوحدة (القاهرة) عن ضرورة التريث اعتباراً لظروف العراق المختلفة. وفلسفوا للتريث اكثر مما فعل قاسم، وسرعان ما اختصموا ونظّروا للعداوات العربية- العربية، حيث تحدث علي صالح السعدي لوكالة أنباء الشرق الأوسط عن وحدة إتحادية ليست عاطفية[7]، وطالب بإنشاء (الدول العربية المتحدة) وهو لعمري أدنى من الاتحاد الفدرالي او على الأقل مماثل له. ويذكر ان البعث في مؤتمره القومي الخامس المنعقد بحمص ١٩٦٢ أشار للوحدة الاندماجية الفورية الشاملة بأنها (الاتجاه العاطفي السطحي اللاواعي)، ورفع وفد البعث - القطر السوري - إلى محادثات الوحدة شعار وحدة إتحادية (فدرالية)[8] كما وقع جميع الأطراف على ميثاق نيسان للترضية والافتراق وليس للتنفيذ[9] وطرحت حركة القوميين العرب في ١٧ آذار ١٩٦٣ برنامجاً يطالب بوحدة اتحادية (ليست اندماجية) . وانتهت دعاوى عبد السلام عارف الوحدوية الفورية الشاملة بتوقيع اتفاقية للتنسيق السياسي مع حكومة عبد الناصر في ٢٦ آيار ١٩٦٤ ، وكان كل منهما حاكماً مطلقاً في بلاده، لايعيقه عن الاندماج الفوري غير نفسه !!، فكان ابعد من كل أسلافه القاسميين والبعثيين عن الوحدة. فهم تذرعوا بظروف العراق وتكوينه الداخلي الخاص، أما هو فانه رفض لنزعته الفردية وخوفاً على كرسيه الذي قال عنه " ما زال لم يدفأ تحتي"[10].

نستنتج من هذا ان الوحدة قد استخدمت كأداة في خدمة الاستحواذ على مناصب وكراسي لاتعادلها أهمية وقدسية.
وفي هذا السياق حدثني صفاء الفلكي قائلاً : " بعد ١٩٦٨ سألت عبد الكريم الشيخلي وكان خارجاً تواً من مقابلة صدام حسين: إلى متى سنظل نحكم بصورة استثنائية وبقرارات مجلس الثورة ؟ لماذا لانقيم وحدة عربية تستند إلى شرعية دستورية ؟ فأجاب : ان الرأي عندنا هو أننا يجب ان نبقى بلا وحدة لفترة لكي نرتاح (ونستبرش) ونبني أوضاعنا (وخلي) شعبنا (ينشنش) . . " واضاف الفلكي ان : " صدام حسين كرر نفس الرأي بعد عشر سنوات في مؤتمر السفراء العراقيين ١٩٧٩ قائلاً: إذا كنا مسيطرين فأهلاً بالوحدة. كما أشار إلى المفاوضات مع سوريا قائلاً : ان البلد الأكبر والذي فيه إمكانيات وثروات اكثر يجب ان يسيطر، وبغداد هي عاصمة الوحدة "[11].

ورغم ميل التحليل لمصلحة عبد الكريم قاسم، فإن انفراده بالسلطة كان قد مكن الناصريين والبعثيين من حشره في زاوية العداء للقومية والوحدة، في حين نجحوا هم في وضع أنفسهم كمحور لنشاط مريدي الوحدة، ساعدهم في ذلك إعلام ناصر المسيطر وتأثير مثقفي البعث والتيار القومي في سوريا ولبنان. بينما توهم قاسم بأن شعبيته الكبيرة هي كفيلة بحمايته من ابتزاز الشعارات الاندماجية الفورية الشاملة. ولم يستطع رؤية قدرتها على كسب الأنصار في كل يوم يمر إلا متأخراً. وفي الحقيقة ان عبد الكريم قاسم كان ابعد ما يكون عن فكرة القوميين عنه، فلم يتحسس خطرهم بل قام بتعيينهم في اخطر واعلى المناصب الحكومية، بينما ترك لخصومهم الشيوعيين، رغم امتلاكهم الكادر الفني المناسب، الشارع يقيمون فيه المهرجانات وينظمون النقابات والجمعيات. لكن القوميين كانوا قد طرحوا عليه وحدة رومانسية عجزوا هم عن تحقيقها على مدى اكثر من ٣٥ عاماً من حكمهم المطلق. بل انهم حمّلوا قاسم مسؤولية عدم تحقيق كل أحلام العرب في الوحدة، وبعد قتله أثقلوا كاهل الوحدة بشروط إضافية إمعاناً في الشيزوفرينيا السياسية التي سادت تلك المرحلة. ووصل بعضهم إلى تقسيم العراق الواحد إلى جهات والجهات إلى قبائل والقبائل إلى بيوت ، وبيت واحد من تلك البيوت يسيطر على البلاد بكاملها ويلونها بألوانه.

وأكاديميين ومهنيين ونقابيين مشهورين كمحمد صديق شنشل وحلال الطالباني وخير الدين حسيب وأديب الجادر وفؤاد عارف وبعض ممثلي المنظمات الشعبية من بعثيين وغير بعثيين. وكان هدف الوفد تقديم التهنئة بذكرى الوحدة وتقديم الشكر لعبد الناصر على موقفه المؤيد للثورة. ولكي نتجاوز الفتور والضباب الذي حصل بيننا بسبب اختلاف التحليل الذي رافق انهيار الوحدة.

استقبلنا في القاهرة استقبال الأبطال. لكننا فاجأناهم بالخطاب الذي ألقاه علي صالح السعدي أمام جماهير مصر والذي لم يراع به المناسبة الاحتفالية، فجاء خطاباً تحليلياً تفاوضياً بين أطراف في حالة حوار ونقاش وليس خطاب تهنئة وتعارف[1].

جاء خطاباً حزبياً عقائدياً، فارغاً من المحبة والمجاملة، كتبه عبد الكريم زهور (عضو قيادة قومية سوري) بلغة جافة ليست سياسية. واستطيع القول انه كان قد احتوى على الهيكل العظمي للرؤية البعثية دون شحم او لحم لتجميل الصورة. ولا اعتقد ان أي إنسان في الدنيا يعجب في الهيكل العظمي لأية امرأة او رجل مهما بلغ جماله ورشاقته، ولذلك لا يمكن لهيكل خطاب ان يكون شكلاً صالحاً لتقديمه إلى الرأي العام مباشرةً وعلى شاشة التلفزيون. وكان طبيعياً وبحكم المناسبة ان يلامس الخطاب مشاكل التجربة المصرية السورية وما تبعها من خلافات، ويستشرف مستقبل العلاقات بين البعث والناصرية.

كانت رغبتنا بالظهور بمظهر الحزب الواحد وراء تكليف عبد الكريم زهور بكتابة خطاب الوفد العراقي. وعندما وصلنا إلى القاهرة وجدنا وفد القيادة القومية لحزب البعث قد سبقنا إلى هناك لنفس السبب والمناسبة، فرغبنا ان يكتب الكلمة سوري ويلقيها عراقي. وهكذا فرغ

---

١ ــ استقبلت الجماهير العربية الفريق العراقي الحاكم الجديد معتقدةً ان وضعه من القوة سيجعله قادراً على تحقيق كل شيء، وعلى دخول سباق الوحدة التكتيكي الذي صبغ العلاقات السورية الناصرية. في حين جاء شبان البعث العراقيين مثقلين بتحد ضار، يلاحقهم شبح نظام شعبي تغلبوا عليه تواً، وتتحداهم ذيول الحزب الشيوعي بتنظيمه القوي المنتشر في كل مكان. فقد كان نصرهم مجللاً بدماء غزيرة تثير عند المواطن العراقي الرغبة في المقارنة، فضلاً عن ضغط المواطن العربي الذي نظر إلى العراق على انه (بروسيا العرب). إضافة إلى تحد اللوحة العراقية المتعددة حزبياً وقومياً وبمشاعر مخبأة للتمييز الطائفي. وكل ذلك يدعو للمقارنة ويضع في وجه القيادة البعثية الجديدة تحدياً لايستهان به. ولم يكن ــ مع الأسف ــ بإمكان المواطنين وحتى اكثر المسؤولين العرب استشعار ذلك الضغط الذي يجعل المفاوض العراقي لايستطيع ان يعطي ما وعد به او ماهو منتظر منه عربياً. ولم يكن تردد العراقيين لينتقص من قناعتهم بالوحدة، بل كان تعلقهم بها سبباً في عدم انتظارهم وصول وفد مصري إلى بغداد مهنئاً قبل ان يطير وفدهم إلى القاهرة، كما تحكم الأصول، فطاروا إلى القاهرة واشعروا المواطنين العرب ان في الأفق (شراع سفينة الوحدة العربية) . . لكن السياسيين العراقيين حينذاك بمن فيهم الشيوعيين والبعثيين والناصريين حملوا استعداداً تاماً لملء فراغهم بالنظريات الثورية الرائجة، والتي لم تتح لهم قسوة النضال وشدة الصراع الداخلي من التفرغ لها ومناقشتها والتأكد من حديتها. والآن وبعد مسك السلطة وتحولها إلى مسؤولية، بدأ التغير يتسرب إليهم وبدأ معه نمو فكرة التريث وكسب الوقت قبل الدخول في وحدة.

الخطاب من الدبلوماسية، و لم يرد فيه ذكر رئيس الجمهورية عبد السلام عارف. علماً بأني قد صرحت قبل التوجه إلى القاهرة للوكالات بأن الحكومة العراقية الجديدة ستقيم علاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة على إيمان جازم بالمصير المشترك للشعب العربي، وقلت بأننا سنقيم علاقاتنا على اشد ما يمكن من القوة، وان العراق سيتعاون مع الحكومات العربية القومية المتحررة بغية تحقيق وحدة عربية

هذا أمين: انه رجل مخابرات جيد

كوّن المصريون انطباعاً عن قلة خبرتنا بشؤون العلاقات بين الدول وبالدبلوماسية السياسية. وربما زادت عفويتنا من انجذاب عبد الناصر إلينا. وكنا خلال تلك الزيارة نجتمع ليلاً ونهاراً بعبد الناصر، الذي تفرغ إلينا كلياً، ووجه إلينا أسئلة واستفهامات وناقشنا وأسدى النصح، وقال انه يشعر باطمئنان لوجودنا على رأس السلطة في بغداد. وانه مقتنع بأن حزب البعث الذي قاد العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم، وخطط ونفذ الثورة، قادر على الحكم. واضاف: " بادرتم وجئتم للقاهرة وستجدون مني كل دعم وتأييد. ولكنه حذرنا، وكأنه كان يرى ما سيحصل من صراع بين البعث والقوميين قائلاً : سيتآمر عليكم كثيرون، وسيقال لكم كثيراً عن علاقتنا برجال يتآمرون عليكم فلا تصدقوا. وطالبنا ان نحاسبه شخصياً عن كل كلمة تقال في هذا الشأن.

وعند توديعه قدم الينا أمين هويدي قائلاً : هذا أمين، رجل انا أثق به، وهو رجل مخابرات جيد. اطلب تعيينه سفيراً لديكم. قلت : يا سيادة الرئيس سيكون سفيركم لدينا وسفيرنا لديكم وليعتبر نفسه منذ الآن مقبولاً. ولكن الأصول تقتضي ان أرسل برقية إلى رئيس الجمهورية لإخطاره وسأفعل ذلك فوراً عند وصولي للسفارة. وان شاء الله سيصحبنا الأخ هويدي على الطائرة عائداً معنا إلى العراق سفيراً معتمداً . . . وعلى الرحب والسعة. وأصبح أمين هويدي هو السفير الوحيد الذي يتمتع من قبلنا بتلفون سري خاص يتصل بواسطته مباشرة برئيس الجمهورية والوزراء ووزارة الخارجية متى شاء، ونتصل به نحن أيضاً، ومنحناه ذلك الامتياز لنحافظ على سرعة الاتصال والتشاور والتنسيق الفوري مع القيادة المصرية، وكان ذلك دليلاً على استعدادنا للتعاون وثقتنا غير المحدودة بعبد الناصر وسياسته.

انتهت الزيارة وَصَفَتْ القلوب، وقد وجهنا في نهايتها الدعوة لعبد الناصر لزيارة بغداد. فقال ان قلبه يتوق لمثل هذه الزيارة التي ستكون الأولى في حياته، ووعد بتلبيتها في أسرع وقت ممكن. و لم تتحقق رغبته تلك أبداً.

وليس صحيحاً ما أشيع فيما بعد عن ارتباك الزيارة التي دامت أربعة أيام بسبب تصرفات

نسبت إلى علي صالح السعدي[1]. فقد مرت بسلام، بل كانت ناجحة بما حملته من مضامين بناء الثقة بين قيادة العراق الجديدة ومصر، لأن ما دار بيننا من نقاشات شكل المقدمة التمهيدية لمفاوضات الوحدة التالية. وأنا واثق من ان عبد الناصر احتفظ بثقته بنا حتى نهاية عهدنا بالسلطة.

في الأزهر الشريف

خلال الزيارة أصر عبد المجيد فريد ان نذهب برفقة عبد الناصر إلى الصلاة في الجامع الأزهر وبعد إلحاح وإصرار شديدين قررنا الذهاب. وكان علي السعدي أكثرنا ممانعة، فقال لهم: ان الجمعة يوم للراحة بعد عناء المفاوضات وبرنامج الزيارات. لكنه وافق واستقل مع ناصر سيارة مكشوفة، واستقلينا انا والمشير عبد الحكيم عامر سيارة مكشوفة أخرى، وكان المشير عامر في منتهى اللطف والمحبة. وعندما شاهدنا آلاف المصريين يتجمعون ويحيون موكبنا في الشوارع ومن البالكونات وشناشيل البيوت، قال المشير عامر مازحاً ومشيراً إليهم: "(هدول) هؤلاء أكلوا السد العالي، يخرب بيتهم!!". .

كانت الجماهير تحتشد بسرعة، اكثر من مليون شخص يصفقون ويتعاطفون معه ومعنا، مع "ثورة العراق". شيء عظيم لا يمكن وصفه او تفسيره إلا بأن ناصر نفسه يتعاطف معنا بصدق. وكنا جميعاً نرد التحية والفرحة بادية علينا.

دخلنا جامع الأزهر فوقفنا في الصف الأول مع جمال، كان المشير عامر على يمينه وعماش وعلي السعدي وانا على يساره. سألني السعدي هامساً: يا أبو مازن كيف نصلي؟ قلت له كما يصلي الرئيس ... "تكتفنا" جميعاً كما يفعل اغلب السنيين في صلاتهم. فعكست الأيدي، لكنني لم اكن اعلم إنني قد عكستها بصورة مخالفة للمذهبين الشيعي والسني. وعندما عدت إلى بغداد وجدت والدي وكان جالساً كعادة العراقيين على كرسي بباب الدار، فقال لي: لقد

---

١ ـــ كان السعدي يقضي اغلب أوقات الزيارة بملابس غير رسمية، ويستغل أوقات الفراغ في زيارة أصدقائه ومعارفه من الطلبة العراقيين والعرب في القاهرة. فقد قام بزيارتهم في اقسامهم الداخلية وشققهم المفروشة، وخرج معهم وحضر مناقشاتهم الحامية. ورداً على بعضهم استشهد اكثر من مرة بمعلومات وآراء قالها ناصر في قاعة المفاوضات المغلقة، مثل رأيه بأن العالم سيقف كله ضد الوحدة العربية بما فيه الاتحاد السوفيتي الذي سوف يتآمر بدوره ضدها إذا ما أعلنت. وكان إشاعة مثل هذا الرأي- حتى لو كان صحيحاً- محرجاً للحكومة المصرية. وباستثناء ذلك لم يتصرف السعدي - كما أُشيع- أية تصرفات غير لائقة. وكل ما فعله هو انه لم يلتزم بالأجواء الرسمية الثقيلة بل تصرف على سجية ابن المحلة البغدادي. لكن أجهزة الإعلام المصرية كعادتها كانت جارحة عندما حصل خلاف بينه وبين عبد الناصر.

فقدت بصلاتك شيئين، دينك وأرضك. فقلت له: ماذا حدث في الدين؟ قال: لقد صليت انت صلاة لم يصل مثلها محمد (ص) وآل بيته (ع) (ويقصد عكس الأيدي "التكتف") وبذلك لم تكن صلاتك مقبولة. كما انك عكست يديك خطأ، فلم تكن صلاتك على مذهب "العامة". قلت: إذا كانت صلاتي خاطئة فقد اتبعت علي السعدي وعبد الناصر. لكن جريدة الأهرام نشرت صورة الصلاة وابرزتنا نحن الأربعة على صفحتها الأولى، وكنت الوحيد الذي عكس يديه بصورة خاطئة. و لم اكن متعمداً بل جاهلاً للأمر، فأديت صلاة تصورتها على المذهب السني، و لم اكن اعرف أية يد يجب أن أضعها فوق الأخرى. و لم نكن جمال عبد الناصر والسعدي وأنا نمتلك أية نزعة طائفية. أما الأرض فقد خسرتها، لأن سعدون حمادي وزير الزراعة اصدر خلال سفرنا أمراً بمصادرتها هي وغيرها من الأراضي المهملة، فلم يُبقِ اهتمام الدراسة ثم السياسة لنا وقتاً كي نتفرغ لها.

ميثاق ١٧ نيسان

في ٧ نيسان ١٩٦٣ انعقدت في القاهرة ولمدة عشرة أيام مفاوضات الوحدة الرسمية بين الوفود الثلاثة المصرية والسورية والعراقية والتي أعطاها عبد الناصر عناية خاصة وحضر جميع جلساتها، وكان المتحدث الوحيد في الوفد المصري، و لم يتدخل أي منهم إلا بتكليف او اختصاص، عدا المشير عامر. وكنت برغبة من السعدي المتحدث الرئيسي بإسم الوفد العراقي من أجل أن نتحدث بلغة واحدة إلا إذا تطلبت الضرورة وأراد أحدهم التدخل. وتشكل وفدنا من السعدي واحمد حسن البكر وأنا، ويرافقنا سفير العراق في القاهرة عبد الرحمن البزاز. أما الوفد السوري فجميع أعضائه يتكلمون وكل يعبر عن رأيه.

سؤال: ماهي أهم الصعوبات التي واجهتكم في مفاوضات نيسان؟

طالب الشبيب: اغلبها صعوبات تنظيمية حول عناوين ومسائل كثيرة تتعلق بمستقبل دولة الوحدة، وشكل التنظيم السياسي والحكومي النهائي الذي سيسود أقاليمها. وشكل الممارسة الديمقراطية القادمة. ولولا رغبة المصريين بعودة سوريا إليهم أولاً، او على الأقل إعطاء دور اكبر لأنصارهم فيها، لأمكن قيام حوار وتفاهم عملي حول كل المسائل المطروحة. كانت تلك عقبة كأداء وقفت وراء كل الخلافات الجزئية والتكتيكات والمناقشات التي لم ننجح خلالها في استبعاد المخاوف المصرية من قيام وحدة ثلاثية يهيمن فيها صوتان بعثيان هما سوريا والعراق، مقابل صوت ناصري واحد هو مصر. ولذلك كانت خلفية الصعوبات كلها تدور حول معرفة او

تحديد القائد الفعلي لدولة الوحدة، وهي نفسها شكلت خلفية المناقشات النظرية والتنظيمية التي لم تطرح إلا قليلاً[1].

وكنا كبعثيين عراقيين وسوريين غير راغبين في استعادة النقاش حول أحداث ما قبل الانفصال لأنها ستؤدي إلى عتاب ومرارة وستكون حامية ومثيرة للحساسية، لكن عبد الناصر نفسه أصر على بحثها عندما طرح فكرة تحالف العمال والفلاحين بديلاً عن فكرتنا ومشروعنا في إقامة تحالف يضم الأحزاب القومية على شكل جبهة تقوم في كل قطر عربي، بذلك كان يريد قبل كل شيء، معرفة شكل التحالف الذي سيقوم في سورية وموقع أنصاره فيه، مكرراً : " العراق للبعث... أما سورية فهي أمر آخر !!" . كان الرجل يريد دوراً مهماً بها يكون بمثابة ثمن رد اعتبار عن جريمة الانفصال، وبصورة ربما تساعده على تجنب المساومة المتوقعة (اثنان بعثيان مقابل ناصري واحد). ولذلك طور فكرته وطرح شعار (مصر

---

١ ــ (كم ستأخذ، وكم ستترك لي؟) هذا يختصر الأجواء العملية التي خيمت على المفاوضات، وأطفأت الحماس العظيم لدى بعض السوريين والعراقيين المساهمين في المفاوضات. وبالمقابل شح الاهتمام بشؤون أساسية كالمتغيرات الاجتماعية الطارئة الخاصة بكل قطر عربي وامكانية التغلب عليها، والأسباب الحقيقية للتجزئة. ولم تبحث إمكانية معالجة المشكلات الناجمة عن وجود تأثيرات وتيارات فكرية مختلفة في كل قطر عربي، وفيما إذا كان لتلك التيارات تاريخ وظروف ونشأة خاصة. وأدى العبور على تلك الأمور إلى عدم التعمق وإلى احتمال قيام وحدة باهتة تناسب شكل الأنظمة السياسية القائمة، بحيث يستطيع الحكام إسقاطها بقرار سياسي متى شاءوا، وقد حصل ذلك بالفعل. ولنا الآن ان ندرك مدى الصدمة لدى بعض المفاوضين ممن طالبوا بوحدة اندماجية تُسَلِّم مفاتيحها لقائد واحد، ثم فدرالية وبعدها وحدة هدف. وربما كان افضل ما طرح ولم يتحقق هو الدعوة للتقارب الدستوري بين البلدان الثلاثة. لقد اثبت مجرى المفاوضات ان عبد الناصر لم يدرك حتى ذلك الوقت ان الفردية سواء كانت ناصرية او قاسمية او عارفية هي أس التجزئة. وان نجاح الوحدة لا يتحقق قبل حرية تنقل الأفراد والرأسمال والتبادل التجاري الحر بين الأقطار العربية، تلك الحرية المتلازمة بالضرورة مع حرية الرأي والمعتقد، مع إسقاط حق الدولة في التدخل غير القانوني بشأن الاقتصاد والملكية. ولم يكن عبد الناصر وحده مقصراً في فهم ذلك، بل شاركه في القصور كل القوى الثورية العربية. كما لم يكن قاسم وحده فردياً بل كان ناصر كذلك، فقد ادلج للدكتاتورية وللخلافات العربية - العربية، في حين ركز قاسم على معاداة الاستعمار والاعمار الداخلي ومساعدة حركات التحرر العربية دون التدخل بشؤونها وأفكارها، بل لم يؤسس أجهزة مختصة للتدخل في شؤون الدول العربية كما فعل ناصر. لقد دافع ناصر بشدة عن الديكتاتورية في محادثات نيسان الوحدوية، وَسَخَرَ من التعددية أَلَحَّ على ضرورة إلغاء التعددية وحل الأحزاب في تنظيم حكومي واحد. قال ناصر : " انا اعتبر فصل السلطات خدعة كبرى لأنه في الحقيقة ما فيش حاجة اسمها فصل السلطات"واضاف" الكلام ده طلع في فرنسا أيام مونتسكيو عن فصل السلطات، كلام نظري"[12].
وذلك ينفي ادعاء ناصر وعارف وغيرهما بأن خلافهما مع قاسم يدور حول ديكتاتوريته. بل هما أقاما ديكتاتورية مؤدلجة وتوقفا في مفاوضات الوحدة عند الحصص اكثر من الأفكار والشعارات التي قسموا المواطنين العرب بسببها. وليس صحيحاً اتهام قاسم بالتخلف عن الوحدة لأنه لم تكن هناك وحدة ليلتحق بها، بل أُختُصِرَتْ الوحدة المصرية السورية إلى حكم المباحث المصرية لسوريا. ولم يقيموا الوحدة بعد مقتل قاسم باربعة عقود من حكمهم، ولم يكن قاسم على قيد الحياة ليعيقهم.

وسوريا أولاً، ثم العراق) ونشط إعلامه في طرحها بصورة مكثفة بينما كـــانت المفاوضـــات مستمرة، وطرحها مؤيدوه في كافة أنحاء الوطن العربي.

وفي المقابل وجهنا النقد كبعثيين إلى الاتحاد القومي (الاشتراكي) باعتباره التنظيم الوحيـد في مصر وإلى المنظمات الشعبية والمهنية المصرية بسبب خضوعها للتنظيم الوحيد الحـــاكم ممثـلاً بشخص خالد حكيم، وبصورة تُفرِغ العمل النقابي من مضمونـــه وهدفه، ولم نستحسن هيمنة الدولة المصرية الكاملة على الاقتصاد بشكل يجعل التأميم مجرد إجراء لفـــائدة هيمنـــة الدولـــة وتقويتـــها على حساب الشعب والدستور والقانون، في حين حددنا لأنفسنا علناً مبدأ التعددية الحزبية القومية وسعينا لجمع الأحزاب والحركات القومية في جبـــهة موحدة. ورغـــم انـــها تعددية ناقصة تستثني الشيوعيين والأحزاب القطرية والليبرالية، إلا انـــها متقدمة على مبدأ ناصر ذو التنظيم الواحد الذي يهيمن عليه رجل واحد. وطرحنا مقابل الشعار الناصري (وحدة مصـر وسوريا أولاً) شعار الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، وحدة تلتقي إلى أقصى حد مـع الجزائر واليمن والحركات الشعبية القومية العربية.

وبعد تعثر شعار (مصر وسوريا أولاً . . .) طرح المصريون قيام وحدة عراقية ســورية أولاً، ثم التوحيد بين الدولة الجديدة الموحدة ومصر، لتجاوز معضلة (صوتان مقابل واحد) لكن الوفد العراقي رفض باستقامة ونية صادقة، جعل قضية الوحدة مجالاً للمناورة السياسية.

وتحت ضغط المفاوض المصري وافقنا على بقاء مصر خاضعة لهيمنة أُحادية ممثلـــة بالاتحـــاد الاشتراكي العربي، يقابله تعددية حزبية قومية في كل من سوريا والعراق. وتركنا الباب مفتوحاً حول : من هو الحزب القائد في سوريا؟ لأن عبد الناصر رفض انفراد البعث بقيادتـــها.

وتدريجياً اكتشفنا شدة ارتباط ناصر بسوريا، واستعداده للصراع من اجلها، فقد نظر إليـــها حتى وهي تحت حكم البعث بصورة مختلفة عن نظرتـــه للعراق. يكن لها وللشعب السوري حباً خاصاً، وتتراءى أمام عينيه المظاهرات التي توجها البعثيون السوريون بشعارهم (من الخليج الهادر إلى المحيط الثائر . . . رايات عبد الناصر"، قالها الشاعر السوري سليمان العيسى. كلمات ظلت ترن في أذنـــه، يتذكرها ويحن إليها. واعتقد انـــه احب دمشق بقدر حبـــه للقاهرة وربما اكثر. كان يسهر معنا ويتألق (بلا مشروب فهو لا يشرب بل يدخن كثيراً) وهو يحكي أيامـــه مـع سوريا ويطلب ان نحول دون المواجهة بين مصر وقيادة البعث[1] مؤكداً انـــه يعاني من ضغـــط

---

١ ـــ يقصد بقيادة البعث، ميشيل عفلق واكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار. وكان يرى انـــهم وراء تبرم وغضـــب شباب البعث منـــه. وقد تركت استقالتـــهم من حكومة الوحدة أثراً سلبياً بالغاً في نفسه. فقد كانوا قادة في الدولـــة لكنـــهم برروا الاستقالة بالسماح لهم بالمشاركة السياسية. كان الحوراني نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة لكنـــه شكا عدم الاختصاص. وشكا عفلق بمرارة عزلتـــه عن صنع القرار، وكذلك قنوت والبيطار وكلاهما وزيراً، أما عبـــد ←

رفاقه في مجلس قيادة الثورة المصري الذين يطالبونه بالتريث. ووجه كلامه لي في إحدى الجلسات قائلا يا طالب صدّق أن عدداً غير قليل من أعضاء القيادة المصرية يعارضون قيام الوحدة. ويعتبرون الدخول في تجربة جديدة مع البعث سيؤدي إلى انهيار الوضع المصري الذي لا يتحمل هزة من نوع فشل تجربة وحدوية أخرى، ان هذا لا يمكن تحمله في حالة تكرره. وهمس انهم يتصورون أنّ أمن واستقرار وسلامة مصر ستكون مضمونة طالما ظلت وحدها !!

ناصر والعراق

سؤال : كيف نظر عبد الناصر للعراق ؟

طالب شبيب: عرف ان القوميين لن يقووا على منافسة البعثيين في العراق. ولذلك ظل يكرر ان العراق للبعث، كما ان اعترافه السريع بثورتنا أعطاها بعدا قومياً صريحاً كان له صدى كبيراً ومفيداً. لكن حزب البعث (قيادة قطر العراق) لم يشعر بحاجته في الداخل إلى تزكية من جمال عبد الناصر. وان قيادته للبلاد وللحركة القومية هو تحصيل حاصل، ويعكس الميزان العسكري والسياسي داخل أجهزة الدولة ومرافقها، فلم يكن الحركيون والناصريون منافسين لنا. وقد تمكن البعث حتى قبل ثورته من فرض نفسه قوة حاسمة وان يجمع حول نفسه تجمعاً قومياً أعطاه سمات الرجولة والقوة وذلك فخر له[1].

الناصر فلم يفعل اكثر من تسليم سوريا لعبد الحميد السراج الذي حكمها باسلوب لم تعتد عليه ، فأضر بالوحدة وبسمعة جمال عبد الناصر عربيا .

وعلى هامش محادثات الوحدة ١٩٦٣ علق ناصر على استقالتهم قائلا: "لقد كانت استقالة وزراء البعث غلطة كبرى، ولدي الشجاعة ان أقول لكم إنني اعتبر التسرع في قبولها من جانبي غلطة كبرى"[13] ويذكر ان استقالات البعثيين من وزارة الوحدة أدت في العراق إلى مشاكل بين البعثيين والناصريين وإلى انسحاب حركة القوميين العرب من الجبهة القومية "التجمع القومي". وفي رأينا ان الخطأ يتحمله عبد الناصر في رفضه التعددية، وميشيل عفلق في حله تنظيم حزب البعث في سوريا.

١ ـ استلم البعث السلطة، فطالب الناصريون والحركيون بجبهة قومية فعالة تضم البعث والاستقلال وحركة القوميين العرب والعربي الاشتراكي والرابطة القومية وشخصيات ناصرية مستقلة. لكنهم غضوا الطرف عن انفراد تنظيم واحد بجماهير مصر كلها. وعندما تأخر قيام الجبهة القومية تداعى القوميون إلى حوار شارك فيه سلام احمد، باسل الكبيسي، العقيد جميل السعودي، احمد الحبوبي، عبد الحسن زلزلة، خير الدين حسيب،اديب الجادر وعبد الهادي الراوي والعميد عبد المنعم المصرف والعقيد إبراهيم الشيخ ومحمد مهدي كبة وغيرهم. وقبل ان يتبلور بينهم أي شيء، بادرت حركة القوميين العرب بوضع خطة انقلابية تبدأ بالسيطرة على الإذاعة والبريد والمرسلات ثم تتطور إلى المناطق الأخرى والمعسكرات[14]، وكان الراوي او المصرف سيكون رئيساً للجمهورية وتوزير سلام احمد والشاوي وحسيب والجادر والكبيسي وفؤاد الركابي واياد سعيد ثابت ورياض الياور وطالب السهيل وعبد الاله النصراوي. (ويرى عبد الإله النصرواي في لقاء خاص: "ان اسم طالب السهيل لم يطرح اطلاقاً، وما لم تستجد أمور جديدة فسيبقى عبد ←

ولم ينجح البعث في العراق في إقامة (التجمع القومي) فقط بل نجح في أمر اكثر خطورة بكثير، عندما تمكن بالمجيء بالعسكر إلى السلطة تحت جناح قيادته المدنية التي قادت على عكس المعتاد العسكر مباشرةً، بما في ذلك التخطيط والتنفيذ داخل مكتبها العسكري وما سمي (المجلس الوطني لقيادة الثورة) اللذين تشكلا قبل الثورة[1]. فقد جئنا نحن القيادة المدنية بالضباط

السلام عارف رئيساً، والشيخ محمد مهدي كبه رئيساً للوزراء، وعبد الهادي الراوي وزيراً للدفاع". لكن وشاية وصلت إلى السعدي قبل ٤٨ ساعة من التنفيذ، فعقد المجلس الوطني لقيادة الثورة احتماعاً استثنائياً في دار عبد السلام عارف بالاعظمية في ١٩٦٣/٥/٢٣ ، وتم اعتقال جميع المشاركين في بيوتهم ووحداتهم ودوائرهم، وتشكلت محكمة ثورة، وصرح علي السعدي ان المؤامرة ليست ناصرية بل حركية، وبرر فرض الإقامة الجبرية على محمد صديق شنشل وعبد الرزاق شبيب بورود اسميهما في الاعترافات، وكشف خطة الانقلاب بخطيها المدني والعسكري. وعقب فشل (مؤامرة الراوي) ضيقت السلطة على القوميين. وطلب علي السعدي في مفاوضات إقامة الجبهة القومية بين (السعدي وفائق السامرائي) استبعاد حركة القوميين العرب بسبب تورطها في مؤامرة ٢٥ أيار. وكان خط حازم وطالب يؤيدهما البكر وعارف وشكري صالح زكي وصديق شنشل يدعو إلى قيام جبهة قومية، في حين شكك تيار السعدي بصدق القوميين ورأى انهم ينفذون مخططات المباحث المصرية. وكان السعدي يحذر من انقلاب قومي آتٍ ولذلك دعا لتطهير الجيش منهم، فلم يلقَ استجابة. لكن الصراع القومي البعثي ظل يتصاعد وبسببه تحولت مفاوضات الجبهة إلى مجرد تكتيك يهدف كل طرف فيه إلى الظهور بمظهر المتمسك باتفاقات نيسان في القاهرة[15].
وبسبب شعور البعثيين بعدم صدق القوميين معهم، وافقوا على ميثاق نيسان، لكنهم في نفس الوقت تسابقوا مع الزمن لتثبيت مواقعهم في العراق وسوريا وسعوا لتصفية القوات المسلحة من غير الموالين لهم. فكسبوا الرهان في سوريا، وكانوا سيكسبونه في العراق لولا انقسامهم المبكر، وإصرار كل طرف ان يذهب بالصراع الحزبي الداخلي حتى نهايته، فخسر الطرفان.
وكان البعث قبل حركة ٨ شباط قد نجح في إقامة نوع من الجبهة القومية بهدف إسقاط قاسم والتوحيد مع مصر ومعاقبة الشيوعيين. وكان عمل الجبهة الوحيد هو إصدار البيانات وترصين ورفع معنويات الجبهة المعادية لنظام قاسم، وبعد الانفصال في ٢٨ أيلول ١٩٦١ انسحبت حركة القوميين العرب بسبب توقيع الحوراني والبيطار وثيقة الانفصال، رغم ان قيادة قطر العراق لحزب البعث أصدرت بياناً عنوانه: (لترتفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتقبر مؤامرة الانفصاليين)[16]، وبعد إسقاط قاسم تعثر تجديد نشاط الجبهة بسبب عدم ثقة عبد الناصر بالتنظيمات الخلوية المتماسكة وميله للحركات الشعبوية، وتدخله لترجيح كفة هذا على ذاك.
١ ـــ تشكل المكتب العسكري قبل الثورة من : علي السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، احمد حسن البكر، صالح مهدي عماش، عبد الستار عبد اللطيف، خالد مكي الهاشمي، حردان التكريتي ومنذر الونداوي. ثم أضيف إليه مع بداية عام ١٩٦٣ عبد الكريم نصرت وذياب العلكاوي لتعزيزه برتب عالية. وعند قيام الحركة أُعلِنَ المكتب مجلساً لقيادة الثورة بعد إضافة بقية أعضاء المكتب السياسي للبعث : محسن الشيخ راضي وحميد خلخال وكريم شنتاف وحمدي عبد المجيد كما أضيف له هاني الفكيكي وسعدون حمادي بعد إلحاقهما بعضوية القيادة بواسطة مجلس قطري، ومن القوميين ضموا إليه عبد السلام عارف وعبد الغني الراوي. واعتبر أنور عبد القادر الحديثي عضواً فيه بسبب وظيفته سكرتيراً للمجلس.
أما الوزارة فضمت : البكر رئيساً والسعدي نائباً للرئيس ووزيراً للداخلية وعماش للدفاع وشبيب للخارجية وعبد اللطيف للمواصلات وعزت مصطفى للصحة والدولعي للعدل وشيت خطاب للبلديات وبابا علي للزراعة والوتاري للنفط والجواري للتربية وصالح كبة للمالية، وعبد الكريم العلي للتخطيط وناجي طالب للصناعة وفؤاد عارف للدولة
←

وأعطيناهم مكاناً بيننا كجزء من السلطة التي بقينا نقودها بإرادتنا الحرة. كما كنا قـــد فعلنـــا خلال تخطيط وتنفيذ الثورة بصورة مستقلة عن التدخلات الدولية و لم نتلق مســـاعدات مـــن خارج الحزب القومي"[1].

صعوبات أخرى

مثلما حوصر عبد الكريم قاسم بمطالب غير قابلة التحقيق، واجهتنا وواجهت عبد النـــاصر موجة عظيمة من المزايدات في كل مكان في الوطن العربي. وكان الضغط يستـــهدف عبـــد الناصر اكثر من غيره، فأثقلت الساحة العربية بشعارات وأفكار يسارية متطرفة سببت لنا ولـــه الخذلان، وجعلت المشاريع الوحدوية، حتى في حدها الأدنى تفشل وتنسحب. وكانت مفاجـــأة للمواطن العربي اكتشافه عدم قدرة عبد الناصر على توحيد الأمة العربية تحت قيادة واحدة، كما كان يحلم او كما كانت تضغط عليه وتصوره له عواطفه الملتـــهبة وقد اكتشـــفنا ونحـــن في السلطة هذا أيضاً. لكننا قدّرنا بأنـــه حلم جميل يجب المحافظة عليه وعلى ديمومتـــه حتى تـــأتي الفرصة المناسبة.

لكن قوى عديدة تدخل باستمرار ميدان الصراع، هدفها إعاقة مشاريع الوحدة، بل ان قوى عالمية كبيرة ستحضر إلى المنطقة لتعرقل وتتآمر إذا ماشعرت بجدية الخطط الوحدوية. وكان كلا المعسكرين يرفض قيام قوة او معسكر ثالث يملك الطاقة والبشر[2]. وان مجرد تفكـــير ســـوريا

وفي ١٣ أيار ٦٣ جرى تعديل وزاري فأخذ السعدي الإرشاد وحازم الداخلية بالإضافة لوزارتـــه (شـــؤون رئاســـة الجمهورية) وذهبت وزارة الدولة لشؤون الوحدة إلى مسارع الراوي، والمالية لمحمد العبسي بعد خروج كبة.

١ ـــ قال جمال عبد الناصر خلال حوار مع علي صالح السعدي وشبيب بحضور الوفود الثلاثة : " دفعنا لحزب البعـــث من اجل القضية القومية في العراق." ولا ندري لماذا سكت البعثيون العراقيون ؟ وهل ما قاله ناصر كـــان حقيقـــة ؟ أم انـــهم سكتوا مجاملة ؟ وحول هذا الأمر ورد في الوثائق البريطانية انـــه : " لا يوجد لحد الآن أية إشارة لأية صلة بـــين الحركة والجمهورية العربية المتحدة، وشعورنا ان الانقلاب ربما جاء كمفاجئة للمصريين. وما عدا عارف الذي كـــان في السابق مؤيداً بشدة لناصر والذي قد يكون عنصراً رئيسياً فإن الحكومة تحتوي على أغلبية قومية والبعض منـــهم فقـــط مؤيدون لناصر.".

٢ ـــ هناك أدلة كثيرة على التآمر الدولي ضد مشاريع الوحدة العربية وبأشكال مختلفة وفي كل المجالات. وعلى ســـبيل المثال: أرسل ايزنـــهاور (رئيس الولايات المتحدة) إلى رئيس وزراء بريطانيا ماكميلان في ١٩ تمـــوز ١٩٥٨ رســـالة تضمنت دعوة لرصد حكومة ١٤ تموز، وتشجيع النـــزعة "القطرية" ضد "القومية" وتقول الرسالة: يجب أن نقوم بعمل شيء ضد سلوك المتطرفين القوميين المعادين لإسرائيل .. و"يجب تأكيد الوطنية اكثر التي تحاول الشـــيوعية الســـوفيتية تدميرها". وكان مفاجئاً أن الوثائق السرية البريطانية حول عام ١٩٦٣ أظهرت ان الإنكليز والأمريكيين كانوا يـــهتمون جداً بضرورة عدم اقتراب النظام الجديد من مصر، وان تستمر روح العداء للشيوعية. إذا كنا نفهم ســـبب اهتمامـــهم بتشجيع الفتنة بين الحكومة الجديدة والشيوعيين بأنـــه يعود لرغبتـــهم بالحد من التغلغل السوفيتي في منطقة خطـــيرة، فأن مصلحتـــهم في التجزئة والتشتت بين أقطار الوطن العربي الواحد هو سبب رغبتـــهم بأبعاد العراق عن مصر. بـــل ←

الاقتراب من العراق عام ١٩٧٨ تسبب في مقتل نصف أعضاء القيادة والوزارة العراقية الحاكمة بـهدف الإجهاض. وأنا أفسر أحداث عربية كثيرة بأنـها استـهدفت من طرف خفي إعاقة مشاريع وحدوية عربية محتملة، بما في ذلك ١٧/٣٠ تموز ١٩٦٨، الذي لم يكن انقلاباً على الرئيس عبد الرحمن محمد عارف بل على جمال عبد الناصر، لأن الأخير كان حينذاك مصاباً في الأعماق بسبب هزيمة قواتـه ونظامه في حرب حزيران ١٩٦٧ فكانت الفرصة سانحة لدحر أحلامه القومية العربية نـهائياً، بالإتيان ببديل قومي خفيف، يهوش ولايفعل. فجاء بنظام البكر ــ صدام، الذي استـهدف نظامي سوريا ومصر، وكانت النتيجة تخلخل الوضع المصري نسبياً، ومشاغلة سوريا بـهدايا على شكل متفجرات ومؤامرات واعاقة ... الخ، أما السبب الآخر لانقلابات ١٧ تموز ١٩٦٨ فكان محاولة ضبط الشعب العراقي المندفع لشعارات التحرر والوحدة وفلسطين، بحكومة قاسية وشديدة، قادرة على المناورة ورفع شعارات موازية ومزايدة تختلف عن شعارات حكومة عبد الرحمن عارف الضعيفة. كما استـهدف الحيلولة دون قيام حكومة ائتلاف وطني تضم الأكراد والبعث (اليسار) والحركة والشيوعيين[1].

وأنا، طالب حسين الشبيب، أعلم علم اليقين أن الاتصالات السرية الخاصة التي حصلت حول العراق قبل ١٧ تموز ١٩٦٨ كان هدفها جلب الضد النوعي القومي فوقع الاختيار على كتلة البكر عماش صدام بـهدف معاكسة عبدالناصر ونظام البعث في سوريا . تلك الكتلة التي أعطت عبر قنوات مختلفة ضمانات بأن تبقى بعيدة عن كتلة المواجهة العربية الممثلة بمصر وسوريا والمقاومة علي طول الخط. بل وستعمد إلى عرقلة جهود الحركة القومية وامتصاص زخمها بإدخالها في مناظرات ومواقف خلافية لا نـهاية لها . وفعلا رفع انقلاب ١٧ تموز ٦٨

ان اتحاداً عراقياً مصرياً كان سيعني إعلان حرب ضد المشاريع الغربية والصهيونية، ويهدد أن تلتحق بـه أو تتعاون معه أقطار عربية أخرى.

١ ــ في عام ١٩٦٦ ارادت نفس القوى التي ائتلفت عام ١٩٥٧ في جبـهة الاتحاد الوطني وأثمرت ثورة ١٤ تموز ان تقيم تحالفاً وطنياً فأقامت مفاوضات مكثفة بين ممثلين عن الحزب الديمقراطي الكردستاني وحزب البعث العربي الاشتراكي (اليسار) والحزب الشيوعي العراقي والحركة الإشتراكية العربية (جناح عبد الأله النصراوي) (وأطراف ناصرية بصورة جانبية) . . . ودامت المفاوضات حوالي سنتين أنضجت اتفاقهم على برنامج مشترك تم طبعه وتوزيعه على قواعد الأحزاب والشخصيات الوطنية المستقلة والاختصاصين، ليجري العمل بـه بعد تلقي الردود والملاحظات. وكان المحور الرئيسي هو كيفية إنقاذ العراق بإقامة نظام ديمقراطي تسبقه حكومة ائتلاف وطني تتفق على برنامج مرحلي يمهد للاستقرار الدستوري. ولم يتضمن البرنامج المستخلص من المفاوضات المستفيضة بحث وسائل التغيير فقط بل وضعت خطة عمل للحكومة الائتلافية المنشودة بما في ذلك علاقات العراق العربية والدولية. وكانت الحركات المساهمة في المفاوضات قد باشرت بنشاطات ومظاهرات مشتركة هدفها التعبئة تمهيداً لإسقاط النظام. وخلال ذلك لاحظ البعث اليسار والشيوعيون تحركات مشبوهة بين كتلة البكر- صدام وبعض الوسطاء الدوليين المشبوهين فحذروا المجتمع عبر صحافتـهما السرية وأشاروا للمؤامرة القادمة (الأطراف والأسماء). وفجأة حصل الانقلاب ليقطع الطريق على الجبـهة ويخوض حرباً ضروساً ضد الشعب العراقي.

شعاراً وحيداً بوجهين مغريين، الأول : انـه جاء رداً على نكسة ٥ حزيران، وكان ذلك مبرراً عريضاً ليتجهوا من البداية ضد القيادتين المصرية والسورية. والثاني : ملاحقة الجماهير العراقيـة وتدمير قواها المنظمة، تمهيداً للقيام بأعمال خيانية كبرى دون رادع. وكانت تلـك الأعمـال تـهدف إلى تمرير وتغطية أسوأ خطوة يمكن للعراق (كشعب) المساهمة بـها، وهي ممارسـة التحريض للمنظمات الفلسطينية ضد نظام الملك حسين ووعدهـم علنـاً بواسـطة الإذاعـة والتلفزيون بالبث المباشر، وعبر وفود ومراسلات بأن الجيش العراقي سيهاجم أية قوة تصطـدم بـهم في الأردن، لكنـهم وقفوا يتفرجون على معركة غير متكافئة بـين القـوات الأردنيـة والمقاومة الفلسطينية.

كما اتبع النظام العراقي (البكر-صدام) سياسة انشقاقية ضد محاولات القمم العربية للتضامن وتوحيد الجهود، والوقوف ضد جبـهة الرفض العربية دون أية مـبررات. وبالمقـابل شـجع الأفكار والمناظرات المشوشة للذهن. وتخريب العقل العربي بدفعه إلى بناء أحلام المحبطين وبالسير نحو تطرف كلامي فارغ. وكل تلك كانت الأثمان التي خطط الأمريكان قبضها مقـابل دفـع شركائهم – النايف والداوود والحاني ولطفي العبيدي- لتقديم السلطة على طبق للبكر وصـدام وعماش، وحردان الذي انسحب و لم يواصل معهم.

دقة المحاضر

سؤال : قيل ان محاضر محادثات الوحدة التي نشرت لم تكن دقيقة فماذا ترى؟

طالب الشبيب: لاشك ان أموراً كثيرة تغيرت فيها. ومن الصعب استعراض كل مـاجرى، لان ذلك يحتاج إلى دراسة ووقت. وسأعطي أمثلة توضح هذا الأمر.

لقد ساهمت في كل مراحل محادثات الوحدة التمهيدية والرسمية التي بـدأت في ٧ نيسـان ١٩٦٣ في القاهرة، وعندما قرأت المحاضر التي نشرتـها العربية المتحدة في الأهـرام او الـتي وزعتـها في الأسواق، وجدتـها تحتاج إلى شيء من الدقة. وأرى ان شيئاً من التغيير قد طـرأ عليها. وعندما ذهبت انا وحازم مع عبد السلام عارف لزيارة القاهرة، سافرنا برفقة عبد الناصر في رحلة للإسكندرية بواسطة القطار. وفي الطريق قال لي ناصر أمـام الوفديـن: "سـاهمت بمفاوضات الوحدة كمفاوض رئيسي، فما رأيك بالمحاضر المطبوعة؟"

قلت : يا سيادة الرئيس لدي بعض التحفظات على النص المطبوع. قال مثلاً. قلت : قـرأت في المحاضر وقائع اجتماعكم بنا في داركم بمنشية البكري، فوجدت انـها لم تنقل بدقة مـا دار

فيه. أجاب ناصر : نعم لقد تعطلت أجهزة التسجيل في قصر القبة فجلسنا انا والمشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين نتذكر ونمثل أدواركم وادوارنا، واستعدنا الذاكرة.

كان عبد الناصر يتحدث منفتحاً ومرحاً و لم يوارب رغم صراحتي معه. وفعلاً لم تكن هناك فروق كثيرة او جوهرية بين اكثر مضامين الجلسات وما نشر عنها. لكن ما جلب انتباهي وشكي ليس مضمون ما نشر وانما اللغة التي لم تعكس الروحية التي تحدثنا بها، بل لم تكن نفس اللغة.

وهناك أخطاء وتدخلات متعمدة جرى تغييرها او إدخالها داخل المحاضر. ورغم قلتها وتناثرها، لكن بعضها لم يَخْلُ من أهمية، مثلاً : في إحدى جلسات المحادثات وكان الحديث يدور حول الإعلام والصحافة، قال المرحوم علي صالح السعدي : نحن لانشتري ولا نرغب ان نشتري أية صحف في لبنان او غير لبنان. فرد عبد الناصر : لا نحن نشتري صحف.

هذه المحادثة قلبت في المحاضر التي نشرت رأساً على عقب، فأصبح السعدي هو القائل : نحن نشتري الصحف!! وعبد الناصر هو الرافض لهذا المبدأ. وكل منا يعرف ان ذلك ليس حقيقة، وان التغيير مقصود ومتعمد. وربما لم يكن لائقاً نشر قول عبد الناصر حول شراء الصحف. ولكن خطأ كبير نفيه عنه والحاقه بغيره. وهناك أمور أخرى كثيرة متفاوتة الأهمية واكثرها جانبية، تعرضت للتحوير والتغيير، و لم نكن نرغب في إثارتها.

بين المطرقة والسندان

في آخر لقاء رسمي مع المصريين ذهبنا للقاهرة، عبد السلام عارف وحازم جواد وأنا، وجاءت الزيارة بعد تخلي مصر عن ميثاق ١٧ نيسان، أي بعد قناعتهم بأن الوحدة مع البعث غير ممكنة، وبعد رفض مصر ان تضع نفسها بين العراق (المطرقة) وسوريا (السندان).

فكانت زيارة تطييب خواطر وجس نبض وتهدئة. وهكذا فعل المصريون من جانبهم فأبعدوها عن أجواء المفاوضات الرسمية الجافة، وتحولت جلساتها إلى أمسيات تطرح فيها أشياء مختلفة وبلا حدود او ترتيب.

دعانا عبد الناصر إلى زيارة الإسكندرية برفقته، وقال نذهب بالقطار، فكانت رحلة رائعة لنا ولعبد السلام الذي يزور مصر لأول مرة بعد تعيينه رئيساً للجمهورية العراقية. وفي طريق عودته زار سوريا أيضاً.

كان معنا في القطار إضافة إلى الرئيسين، كل من المشير عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وعلي صبري وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين. وكنا نترك المجال للرئيسين

يتحدثان وحدهما، كما هي عادة الرؤساء. ولكن جواً غير حيوي كان يسود بينـــهما، في حين ساد بيننا (أعضاء الوفدين) أجواء جميلة من المرح والنكتة، كأخوان لم يطرأ على علاقتـــهما ما طرأ. وكانت قبل ذلك قد مرت مياه سوداء كثيرة تحت الجسور، خصوصاً ما حدث في سوريا من مؤامرة جاسم علوان وإعدام عدد من الناصريين[1]. وبعد ان شتم عبد الناصر في خطابـــه علي صالح السعدي واتـــهمه بالرجل المريض. ورغم ذلك أردنا نسيان كل شيء. وعدنـــا إلى أيام رمضان الأولى، ونطقت بذلك عيوننا وقلوبنا وكلماتنا، فتبادلنا النكات وشعرنا بالارتياح، ونشر المشير عبد الحكيم عامر جواً من المرح عندما تلقى تعليقاتنا بعد ان أمر لنا بالبطارخ، ولم نكن نعرف ما هي البطارخ، الله يرحم المشير وزكريا والآخرين.

اما عبد الناصر فكان يجتـــهد ويتحجج ليختصر جلستـــه مع عبد السلام ويأتي إلى طاولتنا، يجالسنا ويشاركنا المرح والنكتة، يأنس إلينا اكثر من عبد السلام، وقد فعل مثل ذلك في القاهرة أيضاً فقد كان يستغل كل فرصة ليترك مجلسه معه ويدعونا لمجالستـــه، يقترب منا متســـائلاً : لماذا تضحكون ؟ ويكون السؤال مدخلاً له، كي يدخل أجواءنا وأحاديثنا المنفتحة.

---

١ ــ بدأت مشاكل عبد الناصر مع البعث في سوريا بعد أيام من ثورة الثامن من آذار، بسبب ما سمي بأزمة افتتاحيات صحيفة البعث السورية التي دافعت عن مفهوم الحزب الجديد للوحدة العربية، ووجهت نقداً شديداً للقوى الناصريـة في سوريا التي كانت تشكك بوحدوية البعث وتعرّض بـــه.

اعتبرت مصر تلك المقالات هجوماً عليها وخرقاً لما تم الاتفاق عليه في اجتماعات القاهرة لوقف الحملات الإعلاميـــة. وكانت أهم تلك الافتتاحيات هي (ملكيون اكثر من الملك) كتبت في ٢٣ آذار ووصفت الناصريين (السوريين) الذيـن استمروا برفع شعار (وحدة مصر وسوريا أولاً) حتى بعد ان اقر عبد الناصر مبدأ الوحدة الثلاثية، بأنـــهم نـــاصريون اكثر من ناصر، واعتبرتـــهم يمثلون انفصالية جديدة وامتداداً سيئاً للانفصالية القديمة. وقرنتـــهم بكتلة اكرم الحـــوراني التي عاكست شعار الناصريين (وحدة مصر وسوريا أولاً) بشعار (وحدة العراق وسوريا بمعزل عن مصر) ، واكـــدت جريدة البعث ان الطرفين يريدان قتل وحدة ثلاثية ستكون إذا قامت امتن وارسخ وافضـــل مـــن الوحـــدة الثنائيـــة القديمة[17].

وفي ٦٣/٣/٣١ رد محمد حسنين هيكل في الأهرام بمقال بعنوان "أني اعترض"، بثه راديو صوت العرب فوراً اكثر مـــن مرة، هاجم فيه ميشيل عفلق والبيطار واتـــهمهما انـــهما يستـــهدفان مصر.

وأحدثت المقالات والردود عليها قلاقل ومظاهرات بدمشق وحلب. قابلها امين الحافظ ــ وزير الداخلية ــ بـإجراءات قاسية، ونسب المظاهرات إلى (الانتـــهازيين والمغرضين) ، وفعلاً فقد أدارَ امين الحافظ الأحداث بقسوة وسوء، وأسس للقطيعة والديكتاتورية التي لم تعرف سوريا مثلها حتى ذلك الحين، فلقبـــه السوريون بسببـــها (ابو عبدو الجحـــش). وادي ذلك إلى تدهور تدريجي في العلاقات المصرية السورية، وصل قمتـــه بعد أحداث ١٨ تموز ومحاولة العقيد جاسـم علوان الانقلابية، واصبح ميثاق ١٧ نيسان بحكم الميت. واقتنع البعثيون بضرورة توحيد العراق وســـوريا أولاً. واتخـــذ المؤتمر القومي السادس لحزب البعث الذي انعقد بين ٥-٢٣ تشرين أول ٦٣ قراراً بإعدام المشـــاركين في مؤامـــرة ١٨ تموز. وقرر إقامة وحدة ثنائية سورية عراقية في مدة أقصاها شهرين تحت اسم (الجمهورية العربية الديمقراطية الشـــعبية) على ان يلحق بـــها عبد الناصر متى يشاء (ا).

ان ضيق ناصر بعارف سببه ضيق أفق عبد السلام نفسه، في حين كان ناصر على علمه وثقافته يحب الحديث الطيب اللماح والنكتة والمرح، سريع البديهة، ويستغني عن الحديث الجامد او المفاهيم السخيفة المفرقة التي يلهج بها عبد السلام عارف كمصطلح الشعوبية عندما يذكر خصومه ومصطلح العصاة عند يذكر الأكراد، وغيرها من العبارات المكررة والمملة.

وكنا نرتاح لناصر ولم نشك بصدقه معنا، ولم نتجسس على أحاديثه مع عارف ولم نحاول التأكد من عدم مناورته علينا من خلف ظهورنا، لأننا كبعثيين عراقيين كنا متيقنين أنه يشاركنا الرأي في ان عبد السلام عارف ليس إلا فراغ في فراغ، كل همه ان يثبت لجمال انه ليس بعثياً حتى اضطر عبد الناصر ان يقول لنا مرة : ماذا ابقيتم لهذا الرجل ؟ مشيراً بيده لعارف.

هذا الكرسي جلس عليه فرعون

في تلك الزيارة طلب عبد الناصر اللقاء بنا انا وحازم على انفراد، فانتظرنا حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وكنا قد خرجنا من داره مع عبد السلام الذي أوصلنا إلى مقر إقامته، وانتظرناه قليلاً ليخلد إلى النوم، لنعود مرة أخرى إلى المعمورة ونستأنف جلستنا دون عارف، وهناك قال لنا عبد الناصر : انتم رجال وطنيون، أثق بكم ثقة مطلقة، وأنا على استعداد ان أسلمكم حكم مصر. لكن هذا الكرسي المصري عمره آلاف السنين، جلس عليه فرعون، فأستفيدوا من ذلك، استفيدوا من ثباته وقوته، واعتبروا استقراري عليه ضمانة وصيانة وحصن لكم. اما كراسيكم انتم فهي مزعزعة، تهددها الانقلابات والمؤامرات الداخلية والخارجية. والشيء الثاني الذي اطلبه منكم ان تكونوا جسوراً بيننا وبين سوريا، فنحن لانريد ان نحارب سوريا، وبغض النظر عن ما يقوله أخونا امين الحافظ او غيره، نحن نريدكم جسوراً إليها عبر العراق، فأعملوا ما شئتم ولكن ابقوا على شيء واحد قائم هو التضامن الثوري بين مصر والعراق وسوريا.(انتهى كلام ناصر).

فكرت حينها بأن العراق عريق أيضاً، وعنده سبعة آلاف سنة من التاريخ. لكنني أدركت واقعية كلامه. لأن العراق كان فعلياً بلداً مهزوزاً وبلا زعامة او مرجعية سياسية متفق عليها، ويعيش انقلابات وصراعات واغتيالات وتلعب بمصائره أيدٍ خفية طويلة، وكذلك حال سوريا رغم تاريخها العريق، فقد كانت غير مستقرة ولم تحس بالاستقرار إلا بعد ان قاد حافظ الأسد تحديث دولتها واقام أشكالاً مستقرة من التمثيل البرلماني والمحلي واصبح التوظيف فيها لايستند إلى الصفة الحزبية بل الكفاءة.

وحدة الفاطميين والعباسيين والأمويين

كان عبد الناصر، وكما تأكد لنا خلال لقاءاتنا الكثيرة التي تلت زيارتنا الأولى في شباط ١٩٦٣، يميل إلينا ويتعامل بعفوية، لكنه أبدى كثيراً من الحذر والواقعية والتخوف من المبادرات الوحدوية المستعجلة. ومن اجل تشجيعه قلت له على مائدة غداء يا سيادة الرئيس : كانت الوحدة أملاً تاريخياً لو تحقق بيننا فستقوم لأول مرة منذ الخلافة العباسية، وحدة تضم عواصم الفاطميين والعباسيين والامويين. أجاب : نعم ولكن هل تدرك ان الاستعمار لا يسمح بذلك، حتى الاتحاد السوفيتي سيزعجه الأمر، هذا حلم سيتآمرون علينا بشدة لمجرد اعلانه. وسيحاولون اسقاطكم او إسقاط الوضع في سوريا. واضاف : مرت علينا في مصر تجربة طويلة في التعامل مع القوى الاجنبية وتعلمنا كيفية صدها. اما انتم فمازلتم حديثي عهد بالحكم وتحتاجون إلى خبرة وتمرس. واعاد عليّ ما كان قد كرره سابقاً : يا طالب انت خرجت يوم ١٤ رمضان تحمل رشاشة وتضحي بحياتك، ولكن صدّق ان هذه ليست أهم مهمة قمت بها، وستجد وانت في السلطة من الصعوبات والعوائق والمؤامرات ما يشيب له الرأس.

وبسبب الحذر الشديد طرح ناصر افكاراً بديلة عن الشعارات الاندماجية الشاملة. مما اصطدم احياناً، خصوصاً في اللقاءات الأولى، بحماسنا وعواطفنا التي اتجهت بشدة بعد قيام ثورة ٨ آذار في سوريا إلى الوحدة بين الأقطار الثلاثة. لكنه قال لنا : يا اخوان سيكون امراً عظيماً إذا وحدنا سوريا ومصر والعراق بأي شكل من أشكال الوحدة، حتى لو كانت وحدة هدف لتشكل القاعدة والأساس الذي ننطلق منه إلى وحدة الأداة وسيكون ذلك نصراً عظيماً. واضاف : صدقوا من تجربتي بأن كل دول العالم، بما فيها السوفييت، ستقف ضدنا وسيحاولون تفكيك الرباط بيننا. فليس من مصلحة أحد ان نتوحد. والوحدة بذاتها ليست عملاً سهلاً[1]، فأجبته بنفس الحماس نيابة عن إخواني البعثيين العراقيين والسوريين : لا يا سيادة

---

١ ـــ توهم عبد الناصر وبقية المفاوضين، ان الخطر على الوحدة يأتي من الخارج فقط، ولم يدركوا ان شكل النظام الاقتصادي السياسي السائد في الأقطار العربية بقيادة (الحاكم — الدولة) الذي يدير الدولة بطريقة لويس الرابع عشر الذي قال انا الدولة، يقف حائلاً دون تحققها، فقد استرشدوا بفهم سطحي لفلسفة الحق الهيجيلية التي رأت في ان الدولة المركزية هي الحق متجسداً على الأرض وان نابليون يمثل روح الحق على صهوة حصان. ورغم اعتراف الدساتير العربية بحق الشعب في الاختيار، وان للدولة شخصية قائمة بغض النظر عن الأفراد الممارسين لسلطتها، فإن ذلك مازال نصاً دستورياً، وان بقاءه بلاآلية تطبيقية يعني غياب أهم عامل للتقدم والوحدة. ان خوف الحاكم من الخسار سلطته يجعله يناور بل ويخوض الحروب ويثير المشاكل والحساسيات ويُزور كل شيء من اجل ان تبقى قضية الوحدة مجرد أغنية جميلة لكنها ليست واقعية. ولذلك لابد من إلفات النظر لأهمية الوحدة في تحرير الشعب العربي تدريجياً عن طريق تحرير السوق العربية وفتحها على بعضها والموافقة على انتقال السلع والعاملين بحرية بين أقطار الوطن العربي الواحد، وذلك على غرار ما يحصل في الغرب على أساس الابتعاد عن الشمولية وتحرير الاقتصاد داخل كل بلد واعتماد سلطة تنفيذية متغيرة بحسب نجاح او فشل برنامجها، ولابأس من إجراء ذلك بطريقة تتناسب مع شكل الإدارة السياسية في كل بلد عربي وبحسب ظروفه.

الرئيس لن نكتفي بوحدة الهدف، نحن نريد وحدة العواصم الثلاث ليكون لها اثر العاصفة ووقع صاعق وطيب على كل مواطن يسكن الأرض العربية، بحيث يصبح ما شاهدناه خلال العدوان الثلاثي ١٩٥٦ على مصر من تضامن المشاعر العربية أمراً بسيطاً. واضفت : اننا نرغب بقيام وحدة عربية تضم لأول مرة في التاريخ الحديث العراق وسوريا ومصر تحت قيادة عربية وطنية مؤمنة ومخلصة. فقبلني وقال الله يوفقكم في هذا المسعى.

من جانبي لم أنس تلك المشاعر الملتهبة، وبقيت متأثراً بصدقها كلما تذكرت ذلك المشهد. ومثلما بكيت بشدة عند سماعي خبر وفاة عبد الناصر وعلي صالح السعدي. سمعت بخبر ناصر عند اجتماعي مع اللجنة السياسية الأولى للأمم المتحدة، وكان بجانبي وعلى نفس الخط كل سفراء الدول التي تبدأ بحرف (I) كإيران وإسرائيل وايرلندا، فمال علي السفير الايرلندي قائلاً : احمل إليك خبراً سيئاً، أرجو ان لا تذيعه الآن (جمال عبد الناصر مات!!) ومباشرة انفجرت ببكاء لفت نظر ممثلي الدول المجاورة لمقاعدنا.

ان ما دفع المواطن المصري للبكاء عند سماعه بنبأ وفاته، دفعني ان ابكي داخل اجتماع رسمي بهيئة الأمم. فلم يكن يربطني به شأن شخصي او حزبي أومصلحة مادية عدا المحبة أولاً والألفة ثانياً والالتقاء حول الهدف القومي الكبير ثالثاً. واعتقد ان هذا يكفيه ويكفيني. وعندما نفيت إلى مصر وتحددت إقامتي في القاهرة بالذات، شعرت به يحنو عليَّ ويحفظ لي نفس درجة المحبة والعطف، وكانت تصلني مبادرته الودية ومشاعره عن طريق المقربين منه.

أما علي السعدي فبكيته بشدة وألم، لانه كان أخاً وصديقاً ورفيق نضال، برغم ما حصل بيننا من خلاف سياسي وحزبي. وفي الحالتين (ناصر وعلي) كان حبي لهما عميقاً وعاطفتي صادقة.

وبشكل عام، فمن يعرف عبد الناصر من خلال مواقفه الخطابية والتحشدات الجماهيرية التي تقام له في المناسبات، لايعرفه على حقيقته. وقد كنت ضيفه اكثر من مرة فوجدته من الدماثة والخلق الرفيع والبسيط في آن واحد، يغمرك بشخصيته الجذابة ويداري عواطفك بعاطفة صادقة. وبحضوره كنا ندخن نوعاً واحداً هو سكائر"كنت"، و لم يستطيع أحدنا إشعال السيكارة بنفسه لان ناصر يسارع في إيقادها له. و لم تسقط السيكارة من فمه لحظة واحدة. وربما يكون ذلك أحد أسباب وفاته رحمه الله.

كان يقشر لنا "المنكة" التي لم نكن نعرف كيف تؤكل عندما وضعت أمامنا .... وأعتقد أنه رأى فينا شبابه ورجولته وصدقه وتواضعه، وكان واضحاً له بأني لا أملك بدلة مناسبة للتصوير معه، فقد كان بنطلوني أقصر من أن يصل إلى قدمي، وكان ناصر يعرف ذلك حتى أنه أوصى خياطه الخاص أن يقوم بصنع بدلات لعلي السعدي، وكان علي يشكو من مرض بظهره فبعثه إلى طبيبه الخاص الذي وفر له بعض الأدوات الرياضية لمعالجة الفقرات.

ورغم كل حرصه فقد كان يريد منّا أن نسير بحسب وجهة نظره وتوجهه، وهو أمر صعب على البعث، فلقد كان انتماؤنا القومي واسعاً جداً وإيماننا بدستور الحزب ايماناً قاطعاً، وبين أفكـــار عبد الناصر والدستور فروق جوهرية، فقد كان ناصر فردياً، بينما دستور الحزب يدعو لنظـــام برلماني، أو على الأقل شكل من أشكال ديمقراطية النخبة، فلم يكن بقادر على ضمنا، بل كنـــا نحلم أن نكسبـــه إلى جانب وجهة نظرنا. ورغم الاختلاف حول شكل السلطة مستقبلاً، فلـــم تكن له تدخلات فجة بشؤوننا كما حصل من قبل بعض أعوانـــه فيما بعد.

لقد شعرنا انـــه كان صادقاً في نصحه لنا وللحزب في العراق، ومـــن جانبـــه إعتبرنـــا مباشرين وعفويين وأذكياء فتحدث بصراحة مبتعداً عن المناورات السياسية. فلم أسمع منـــه رأياً إلا وثبتت صحتـــه. نصحنا بعدم التورط بحرب داخلية مع الاكراد وبأن نحافظ على وحدتنـــا، وضرب مثلاً بنفسه قال: أنا لم أعدم أي عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة رغم اختلافي مـــع بعضهم. وأضاف ملتمساً: أرجو أن لايسيل الدم بينكم، أنتم كبعثيين، وبينكـــم كأعضـــاء في مجلس قيادة الثورة.

فعلنا ذلك والتزمنا بنصيحتـــه عندما فضلنا الخروج إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ رغم ان السلطة كانت بين أيدينا. و لم نكن مضطرين للخروج، وكان بأمكاننا البقاء على رأس السلطة بشرط أن ندير مواجهة دموية شاملة ضد مؤسسة الحرس القومي، و لم يكن لدينـــا أدنى شك بأن النصر سيكون حليفنا، لأن الجيش تحت قيادة ضباط بعثيين، توسلوا إلينا بتغطية قـــرار سياسي لحسم الوضع في بغداد عسكرياً. لكننا لم نفعل حتى لاتسيل دماء رفاق الحزب والسلاح والقضية الواحدة. خصوصاً وأن الأزمة أبعدت عن الحرس القومي كل الطارئين والانتـــهازيين و لم يبق بداخله إلا المقتنعون، و لم نكن حينذاك نملك الفرصة لاقناعهم بخطأ التصعيد والمواجهـــة التي يديرونـــها.

لقاءات عربية: مع المغاربة : الجزائر

واستناداً إلى فكرتنا الرئيسية في إقامة وحدة ثلاثية متينة تبدأ بتضامن عربي واتفاقات متنوعـــة أو التمهيد بتوحيد المناهج والاقتصاد وغيرها أي بناء أسس التقارب مع العربية المتحدة بصـــورة تجعلنا قريبين من الحركات العربية التقدمية، فقد سعينا إلى لقاء القيادة الجزائرية وفعلنا ذلك اكثر من مرة خلال التسعة أشهر. وتركزت حواراتنا معهم على الشأن العربي والوحدة العربية.

قالوا لنا بفصاحة عربية: انتم أيها البعثيون إذا أردتم الوحدة العربية فنحن معكم واذا كنتـــم لاتقرونـــها فنحن معكم أيضاً". وكان مفاوضوهم الرئيسيون أحمد بن بيلا وهواري بومديـــن ومحمد خميستي وعبد العزيز بوتفليقة. التقينا معهم والتقت آراؤنا وتوافقت باســـتمرار. لكننـــا لاحظنا بعد فترة ان تصرفات أحمد بن بيلا تتماثل مع تصرفات المرحوم علي صالح الســـعدي.

كلاهما يتصرف منفرداً، ويتخذ القرارات السياسية الخطيرة دون مشاورة الآخرين ودون عرضها على اجتماع رسمي.

وفي أحد الأيام دعانا المرحوم بومدين إلى داره، وكانت متواضعة جداً. جلسنا إليه وكان الرجل حذراً. قال بصراحة: نحن غير قادرين على فهمكم ولافهم عبد الناصر، لأنكم تتحدثون كثيراً ولاتطرحون شيئاً مفهوماً. فإذا كان لديكم مشروع وحدوي جدي، أرجو أن تخبرونا به وسندرسه بصورة جدية. أما إذا بقي مشروعكم يعتمد على مجرد الشعارات الدعائية كما هو الحال الآن بين سوريا ومصر والعراق، فنحن لسنا بحاجة إليه. وأرجو أن يكون الحوار العراقي الجزائري واضحاً ودقيقاً وصريحاً لنستفيد، لأننا لانرغب في خسارة الوقت والآ..... (انتهى كلام بومدين) . وكان هذا كلاماً يخالف ما اعتدنا على سماعه من القيادة الجزائرية في اجتماعاتنا الرسمية معها.

المهدي بن بركة

التقينا مع قيادة واحدة من ابرز الحركات الشعبية العربية (الاتحاد المغربي للشغل) ورئيسه المهدي بن بركة، وكان صديقاً شخصياً ونضالياً، وقد قدمت له شيكاً بمبلغ عشرة الاف دينار يحمل توقيعي كوزير للخارجية، سلمه له عدنان القصاب. وهذا أقصى ما كان ممكناً تقديمه حينذاك. ويوجد الوصل في أرشيف وزارة الخارجية العراقية. واتذكر اننا لم ندفع من الخارجية لأية جهة أخرى عربية أو غير عربية بعثية أو غيرها، بسبب قرار القيادة وضعف ميزانية الدولة، ولكن بن بركة شيء آخر فقد كانت له مكانة كبيرة في قلوب البعثيين . كنا نؤيد مسعاه لتوحيد الحركات العربية وتقريب وجهات نظرها مستخدماً تأثيره وقوة شخصيته النفاذة والفعالة.

وبعد انقلاب عبد السلام عارف ضد البعث استنكر المهدي بن بركة احتجازنا (الإقامة الجبرية في القاهرة) واستنكر تصرفات عارف مع البعث. كان بن بركة صديقاً لكل العرب الاستقلاليين والوحدويين، ومتحمساً مخلصاً في نواياه. ومن جانبنا كنا أمينين على القضية القومية وصادقين في رغبتنا بالتحالف مع القوى التقدمية العربية.

واتذكر انه دعانا هو وزوجته إلى داره في القاهرة. وكان حازم وعماش مدعوين معي أيضاً وذلك قبل أسبوع واحد من سفره إلى باريس، هناك حيث قتل اغتيالاً وغدراً. لبينا الدعوة فقدمت لنا زوجته أكلة رائعة وطيبة (الكُسكُسي)، غير اننا تبادلنا الابتسامات عند سماعنا لأول مرة بأسمها. وكان لسان حالنا يقول : ما هذه الورطة في تسمية هذه الأُكلة الطيبة بهذا الاسم!!

أفجعنا حادث قتله، حين سمعت لم ادرِّ هل أُعزي أم أتقبل التعازي ؟ فأعتبرنا رحيله كارثة

وخسارة للعراق والمغرب والأمة العربية. واعتقد ان أوفقير وزير دفاع المغرب كان وراء قتله، كما ان الملك الحسن الثاني ليست له صلة او مشاركة في اغتياله، فهو بريء. وكنت في وقت معين تشككت في موقف الملك عندما تملكني استغراب في ان يكون أوفقير قد اقدم على قتله منفرداً. لكن وبعد ان علمت بمحاولة اغتيال الملك الحسن والانقلاب عليه واتهام المعارضة بقتله، أصبحت أميل لرواية الملك في كتابه (ذاكرة ملك). وادركت ان في هذا الوطن المشؤوم كل شيء ممكن !! وان لااحد يستطيع ان يعتمد على حليفه. وان ما من شيء غير ممكن. ورغم ان عدداً كبيراً من الرجال العرب الذين يبتعدون بأنفسهم عن مثل هذه الممارسات الشريرة، لكن عجلة الشر لم تتوقف، فلم يكن أوفقير وحده شاذاً وجاحداً، بل قدم صدام حسين نموذجاً مزعجاً للجحود والاخلاق السيئة[1].

---

١ ـ ويُذكر أن قيادة الحزب رغم الملاحقة، تمكنت من بناء علاقاتها العامة داخل العراق وخارجه، ومن أمثلة ذلك، وبعد قيام ثورة اليمن بقيادة العقيد عبدالله السلال، جاء وزير خارجيتها السيد محسن العيني لزيارة العراق، وكان البعثيون القياديون في جنوب الجزيرة العربية يعرفونه، ويعرفه جيداً طالب الشبيب. وبعد اجتماعه بعبد الكريم قاسم وهاشم جواد وزير خارجية العراق، تحقق بين قيادة قطر العراق للبعث وبينه لقاء خاص في دار الأستاذ ابراهيم حسيب المفتي، والد مازن المفتي، من أعضاء الحزب في منطقة الوزيرية ببغداد، وكان قد جلب الأستاذ العيني من مقر إقامته الرسمي في فندق بغداد المهندس عدنان القصاب، وعند وصوله كان في انتظاره علي صالح السعدي وحاز جواد وطالب شبيب، وبعد تناول الغداء في دار آل المفتي قام محسن العيني بشرح ظروف وتطورات ثورة اليمن والقوى المتعاونة في تنفيذها، وبالمقابل قام ممثلو قيادة الحزب بإخباره بأهمية أن يستعد العرب لاستقبال التغيير القومي القادم في العراق، وأبلغوه أن الحزب يهيئ نفسه للقيام بحركة ولأنه كان سيغادر من بغداد إلى بيروت فقد حمّلوه رسالة إلى القيادة القومية للحزب.

مراجع:

[1] رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، بيروت، مطابع دار الكفاح العربي.
[2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٩١.
[3] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ٢٦٦.
[4] حول ما ورد من اسماء يتماثل موقفها مع موقف عبد الكريم قاسم. يمكن مراجعة : وثائق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في ملفات الحكومة البريطانية، تعريب الدكتور مؤيد ابراهيم الونداوي صفحة ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٩ تحت عنوان مقابلات بين محمد مهدي كبة وموظفين بريطانيين في ٢٨ تموز ١٩٥٨، وكذلك مقابلات محمد صديق شنشل والبزاز وغيرهم بعد هذا التاريخ.
[5] د. مؤيد الونداوي، الوثائق البريطانية، المصدر السابق صفحة ٣٠٢ .
[6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، م.س. صفحة ٢٦٦ .
[7] يونس بحري، ثورة رمضان المبارك، دار الاندلس بيروت ١٩٦٣ صفحة ١١٨.
[8] رياض طه - المصدر السابق.
[9] الدكتور تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.
[10] راجع: حصاد ثورة، عبد الكريم فرحان، مرجع سابق.
[11] مقابلة مع صفاء الفلكي، Wassenar هولندا، ١٩٩٧.
[12] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥، صفحة ٥١ ــ ٥٢.
[[13 رياض طه، محاضر محادثات الوحدة، مصدر سابق، ص ١٤.
[14] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، صفحة ٥١.
[15] رسالة من أحمد الحبوبي ومقابلة مع د. تحسين معلة قال فيها زرت الشبيب فوجدت عنده محسن الشيخ راضي فدار الحديث حول مشروع الوحدة اثر رسالة كان عفلق وجهها لعبد الناصر بعد ثورة آذار ٦٣ بيومين يدعوه فيها للحوار. فقال محسن : لن يفيد الوحدة مع ناصر. فذكرته ببرقية عفلق. رد : ومن هو ميشيل عفلق. قلت : الأمين العام. قال : نغيره او نفصله.
[16] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٥٨.
[17] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، صفحة ١٢٦ (عن نضال البعث جزء ٦، ص ١٤٨) وهاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٨٨-٢٩٠.

المسألة الكويتية عام ١٩٦٣

سؤال : هل نتحدث عن المسألة الكويتية في عام ١٩٦٣ ؟

طالب حسين الشبيب : لعل من الأمور المحيرة معرفة مشاعر العراقيين الحقيقية دون تدخل الأيديولوجيا او العقيدة او المذهب، ودون تسليط حزبي. فلا تبدو أصول مشاعرهم واضحة، منهم من يعتقد ان الكويت جزء من العراق وان التقسيم البريطاني العثماني الذي توافقت عليه مشيخة الكويت وبريطانيا كان تهشيماً للعراق وتقسيماً للجهد العربي، ومضيعة للموارد والعلاقات المشتركة، بل ان معظم العراقيين يتصورون ان الكويتيين يحنون للبصرة ويسعون إليها وإلى البقاء فيها اكثر من رغبتهم في البقاء بمدينة الكويت ذاتها. ولا يعترف العراقيون بأنهم يختلفون لهجة وعادات وتقاليد عن الكويتيين، وقد تسببت تلك المشاعر والتصورات، بغض النظر عن صحتها او عدمها، بفوائد وأضرار في نفس الوقت[1].

---

١ ـ مع شيء من البحث والتنقيب يتضح ان ما يسمى بالهوى الكويتي لدى العراقيين هو قضية صنعتها الحكومات العراقية المتعاقبة في أذهان المواطنين، فلم يفكر العراقيون بها قبل حكوماتهم، بل ان مجموع الأدب العراقي نثراً وشعراً وسياسة لم يضع قضية الكويت ضمن مشكلاته وأهدافه، ولم يتذكرها المواطنون إلا عندما تثيرها حكوماتهم. حاول ذلك الملك الشاب غازي مدفوعاً من ياسين الهاشمي وبعض الحاشية، ووضع د. فاضل الجمالي (رئيس وزراء ووزير الخارجية) مشروعاً للضم الجزئي للكويت، حَمَلَهُ الأمير عبد الإله معه إلى ألمانيا مؤيداً من ياسين الهاشمي وعبد القادر الكيلاني ونوري السعيد[1]. وذكر الجمالي ان خلافاً حاداً وقع بين جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا ونوري السعيد حول مطالبة الأخير بضم الكويت في اجتماع استنبول لحلف بغداد في شباط ١٩٥٨ . وتحدث وزير خارجية عراقي آخر هو توفيق السويدي مع سفير بريطانيا السير بيترسون مذكراً بأن "الاتفاق العثماني البريطاني لسنة ١٩١٣ اعترف بالكويت قضاءً مستقلاً استقلالاً ذاتياً ضمن ولاية البصرة. وبعد ان انتقلت السيادة على ولاية البصرة من الدولة العثمانية إلى المملكة العراقية الجديدة فلابد ان تشمل تلك السيادة الكويت كما في اتفاق ١٩١٣، وان العراق لم يعترف بأي تغيير في مركز الكويت ..."[2] ، وتضمنت مذكرة كتبها السويدي في ١٩٥٨/٦/٥ دعوة السفير البريطاني للموافقة على التدخل واستخدام الجيش العراقي مبرراً ذلك بقوله "ان الخطر الشيوعي اصبح يهدد الحكومة العراقية من سوريا والكويت . . ."[3]، كما أشار السفير البريطاني في بغداد بمذكراته ان الاردن قدّم اقتراحاً لعبد الكريم قاسم، رغم مشاعر العداوة والثأر، لتشكيل اتحاد فيدرالي بين الاردن والكويت والعراق. ثم جاء إعلان عبد الكريم قاسم، وبعده صدام حسين، وكانوا جميعاً مع الضم بالقوة، حتى عبد السلام عارف الذي فشل في ابتلاع شيك بمليوني دينار كويتي كتبه الكويتيون باسمه لتعويض عوائل شهداء ١٤ رمضان، كان قبل اعترافه بها قد طلب من عبد الكريم قاسم الزحف على الكويت او تدبير انقلاب عسكري فيها، وقال : "سأكون أول جندي يدخل ارض الكويت"[4] أما الرئيس الأسبق عبد الرحمن عارف فرغم عدم تذكره الكويت خلال سنوات ←

وتجاوزاً لما تم في محاولة صدام حسين ضم الكويت واعتبارها المحافظة التاسعة عشرة للعــراق. علينا ان اردنا ان نفهم موقف حكومة البعث عام ١٩٦٣ من الكويت، ان نسترجع الذاكـــرة التاريخية القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي.

اولاً : لم تكن هناك أية صلة قريبة او بعيدة بين القيادتين القومية والقطرية للبعث والمجلـــس الوطني لقيادة الثورة باعتبارها الأداة التشريعية لسلطة الحزب في العراق وبين الحكومة الكويتيــة قبل مطالبة عبد الكريم قاسم بـــها او بعدها.

ثانياً : جاء إعلان عبد الكريم قاسم قراره بضم الكويت مفاجئـــاً للحكومتـــين العراقيــة والكويتية وبقية الأطراف المهتمة في الموضوع. وعلى سبيل المثال، علمت من خـــلال مطالعــة الملفات عندما كنت وزيراً للخارجية وكنت راغباً بالإطلاع على تفـــاصيل الملـــف العراقـــي الكويتي، ان هاشم جواد وزير خارجية قاسم كان قد بعث ببرقية تـــهنئة إلى وزير خارجيـــة الكويت بمناسبة إعلان استقلالها، لكنـــه فوجئ، في اليوم التالي، بينما كـــان يســـتقبل أحـــد الضيوف الأجانب في فندق بغداد، بسماع الخبر من أحد موظفي الوزارة بقرار ضمها وتعيـــين عبد الله السالم قائممقاماً لقضاء الكويت براتب ٧٥ ديناراً[1]. وكما هو معلوم ليـــس مقبـــولاً

حكمه، فقد ظهر على شاشة تلفزيون بغداد بعد اجتياح صدام حسين لدولة الكويت قائلاً : ان صدام هـــو "الرئيـــس العظيم الذي أنجز ما كنا نحلم بـــه ونُقصِّر في الوصول إليه".

وفي مقابل ذلك وخلال ثلثي قرن من الاستقلال الوطني صدرت للحركات الوطنية الشعبية العراقية مئات آلاف البيانات والنشرات والجرائد والمؤلفات، وكتب باحثون ومحققون آلاف الكتب في السياســة والاجتمـــاع والاقتصـــاد والأدب والشعر، لم تتضمن كلها أية إشارة مطالبة بالكويت بل على العكس حذر بعض المعارضين العراقيـــين الكويـــت مـــن احتمال تعرضها لغزو حكومي عراقي ، فعل ذلك حسن العلوي في عام ١٩٨٣ في جريدة الجهاد الناطقة بلسان حـــزب الدعوة الإسلامية، والأستاذ حلال الطالباني الذي تنبأ محذراً في محاضرة ألقاها قبل الغزو في معهد الشؤون الدولية بلنـــدن جاء فيها "ان التقارب بين العراق ومنظمة التحرير الفلسطينية والأردن يبدو في الظاهر موجهاً ضد إسرائيل، لكنـــه في الحقيقة من احل تحقيق طموحات الرئيس العراقي على الصعيد العربي الشامل، بما في ذلك احتلال الكويت والســـيطرة على الخليج"[5]. وربما يعود عدم اهتمام العراقيين بمسألة الكويت إلى ان نضالهم تركز أساساً علـــى مســـاعي طـــرد الاستعمار من بلادهم وإلى شعورهم بعدم الخوف على الكويت لأنـــها ارض عربية وسكانـــها وحكامـــها عـــرب، وتعيش ميسورة ومرفهة، وهي في كل الأحوال ليست فلسطين السليبة او الاسكندرونة وعربستان.

١ ــ **نص مذكرة حكومة عبد الكريم قاسم بخصوص الكويت عام ١٩٦١** . . " لاشك بأن الكويت جـــزء مـــن العراق فهذه حقيقة أكدها التاريخ ولن يفلح الاستعمار في طمسها او تشويهها. فقد كانت الكويت تتبع البصرة مـــن زمن طويل وخاصة أثناء الحكم العثماني وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى وكانت الدول الكبرى ومنـــها بريطانيـــا تعترف بسيادة الدولة العثمانية على الكويت، فقد كان حاكم الكويت يعين بفرمان يمنحه لقب قائممقام، ويعتبر بذلك ممثلاً لوالي البصرة في الكويت. وهكذا كان حكام الكويت يستمدون سلطاتـــهم الإدارية من الســـلطات التركيـــة في البصرة، ويؤكدون ولاءهم للوالي التركي حتى سنة ١٩١٤. وكان الاستعمار البريطاني في ســـبيل غايـــات عســـكرية واقتصادية يحاول بشتى الطرق التغلغل في بلاد العرب منذ القرن الرابع عشر، وذلك بالسيطرة على أجزاء من الســـواحل العربية على طريق الهند، بالعمل على تركيز أقدامه فيها ولا سيما الخليج العربي، وكانت الكويت جـــزءاً مـــن تلـــك

←

التعامل مع قضايا الحدود او ضم الأراضي والدول بسرية وغفلة عن الشعب والمجتمع الدولي بل بالحوار والإقناع وإلا أصبحت احتلالاً باستخدام القوة الغاشمة.

ثالثاً : جئنا للسلطة ١٩٦٣ بخلفية موقف سياسي معارض لمطلب عبد الكريم قاسم ضم الكويت، انطلاقاً من مشاعر جياشة أخرى هي إننا طلاب وحدة عربية شاملة وكبرى. فلم نكن نعبأ بالحدود بين الأقطار العربية ولا بالمواثيق والمعاهدات والاتفاقات الإقليمية، بل نراها جميعاً مفروضة على العرب بالقوة والحرب، بما في ذلك ما حصل لفلسطين والاسكندرونة وغيرها. وكانت هذه المشاعر مسيطرة وطابعة لفكرنا وعقلنا. وجعلتنا اكثر ميلاً إلى ترجيح منطق الاصول والحق على منطق الأمر الواقع.

وآنذاك كنت عضواً في القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي حيث جرى بحث

السواحل. لذلك عملت الحكومة البريطانية لمدّ سيطرتها على الكويت تدريجياً وفصلها عن العراق. وكان من جملة المساعي البريطانية لفصل الكويت عن العراق ان عَقَدَ المقيم البريطاني في الخليج يوم ٢٣ كانون الثاني يناير ١٨٩٩ اتفاقاً سرياً مع الشيخ مبارك أَلزَمَ فيه الشيخ نفسه وأولاده من بعده بالتزامات باطلة لأنها تضمنت تنازلاً عن حقوق لا يملكها هو نفسه، كحق إستقدام ممثلين او التصرف باراضي الكويت دون موافقة سابقة من بريطانيا. ورغم هذا الاتفاق ظل حاكم الكويت على ولائه للسلطان العثماني على ارتباطه بوالي البصرة. وحاول البريطانيون تارة أخرى سنة ١٩١٣ فصل الكويت عن العراق وتقوية نفوذها فيها بعقد اتفاق بينهم وبين السلطات العثمانية على أساس تمتع الكويت بشيء من الحكم الذاتي تحت السيادة العثمانية. ولكن المحاولة فشلت ولم يتم الاتفاق. وإذا كان الاستعمار البريطاني قد فشل في ذلك فقد عمد إلى القوة وأتاحت له الحرب احتلال العراق وعزل الكويت عنه. وبعد تحرير العراق بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ من نفوذ الاستعمار والسيطرة الأجنبية اخذ يعمل مع الشعوب العربية والشعوب المحبة للحرية من اجل تصفية الاستعمار في كل مكان وخاصة البلاد العربية وبعد ان نما الوعي العربي، لجأ الاستعمار إلى أسلوب جديد فابتدع شكلاً جديداً من الاستعمار تحت ستار الاستقلال، وهو يرمي إلى استمرار نفوذ بريطانيا وابقاء الكويت منفصلاً عن العراق. وهكذا عقدت بريطانيا في ١٩ حزيران ١٩٦١ مع شيخ الكويت اتفاقاً استعمارياً ينهي اتفاق ١٨٩٩ الباطل، ويتضمن استمراراً للحماية البريطانية للكويت إذ يتعهد فيه الإنكليز بتقديم أية مساعدة يطلبها شيخ الكويت وينص على التشاور. يضاف إلى ذلك ان إنهاء الاتفاق يقتضي إبلاغاً مسبقاً لثلاث سنين على الأقل. وحكومة الجمهورية العراقية تضع هذه الحقائق أمام الرأي العام لتعلن ان الكويت جزء لايتجزأ من العراق وتؤكد عزمها على مقاومة الاستعمار وثقتها بأن تصفيته في الكويت وغيره من أجزاء الوطن العربي آتية لا محالة، وأنها متمسكة بوحدة الشعب في العراق والكويت وبالمحافظة عليها".

رد الحكومة الكويتية : "أوردت بعض وكالات الأنباء كما أذاعت محطة الإذاعة من بغداد ليلة أمس تقارير عن المؤتمر الصحفي الذي عقده عبد الكريم قاسم في ١٩٦١/٦/٢٥ والذي طالب فيه بدولة الكويت. فإذا صحت التقارير فإن حكومة الكويت تعلن ان الكويت دولة مستقلة ذات سيادة كاملة معترف بها دولياً. وان حكومة الكويت ومن ورائها شعب الكويت بأسره مصممة على الدفاع عن استقلال الكويت وحمايته. وان حكومة الكويت إذ تعلن ذلك لواثقة تماماً بان جميع الدول الصديقة المحبة للسلام، ولاسيما الدول العربية الشقيقة، ستساندها في المحافظة على استقلالها".

الموضوع وأصدرنا قراراً أُعْلِنَ رسمياً ونشر في الصحافة العربية وتضمن المبدأ التالي : ان الدول العربية كلها أجزاء في وطن عربي واحد، ويجب ان لا يكون هناك قرار بضم جزء إلى جزء بالقوة وبصورة تعسفية. وان قرار التوحيد يجب ان يتم بموافقة كل الأجزاء التي تقرر الوحدة او التوحيد او التعاون وان تستند الموافقة إلى استفتاء الإرادة الشعبية الحرة بين الأطراف الداخلية فيها، فنحن ضد قرارات الضم. وهذا ما سار عليه حزب البعث عند استلامه السلطة في العراق، واصبح موقفنا الرسمي المعلن عام ١٩٦٣. كما ان حركات أخرى حليفة أخذت الموقف ذاته مثل حركة القوميين العرب التي استنكرت مطالبة قاسم بالكويت، ونفت ان يكون لهكذا عمل أية صلة بالوحدة العربية المنشودة.

وكانت هناك قيود وشروط فكرية وحزبية، سياسية ودولية كثيرة تحكمت في توجيه موقفنا من المسألة الكويتية. ولعب موقف عبد الناصر أهمية كبرى في توجيه موقفنا بسبب احترامنا وتقديرنا لآرائه. فبعد أسبوعين من ثورة رمضان أثار ناصر معنا في القاهرة موضوع الكويت قائلاً : ان وفداً كويتياً زاره وكان يترأسه على ما أتذكر الشيخ صباح الاحمد (نائب رئيس وزراء ووزير خارجية حالياً)، وعبَّر عبد الناصر عن تعاطفه مع الوفد الكويتي في رغبته ان تكون الكويت دولة مستقلة، تحظى بتعاون كافة الدول العربية الأخرى. ومال عليّ مرة أخرى قائلاً: "الشيخ صباح شاب سنه مقاربة لسنك ولديه تطلعات قومية لا تقل عن تطلعاتك". واعتقد ان عبد الناصر تحدث بتلك الطريقة الودودة والمبسطة لانه أدرك أهمية تقريب الموضوع لنا، رغم تعقيده وخطورته، لكي لا نرتكب خطأ يؤدي إلى متاعب ونتائج غير حميدة. وربما لم يسمي الشيخ صباح ابنه ناصراً مصادفة بل تعاطفاً مع التيار القومي العربي ومع شخص جمال عبد الناصر.

شرحنا لجمال ولممثلي القيادة القومية السوريين الذين كانوا موجودين معنا في القاهرة بأن مسألة الكويت فيها شيء من الحساسية وأمرها يتطلب الروية وعدم التسرع. ورجوناهم ان يصبروا علينا، ورجونا ناصراً ان يكون واسطة مع الأخوان الكويتيين لطمأنة مخاوفهم، وقام الرجل بذلك بأمانة. لكنه نصحنا بعدم التسرع في اتخاذ موقف حتى ينجلي الأمر وتتضح بذلك طبيعة العلاقات الكويتية مع العراق ومع العربية المتحدة. وان ينصرف جهدنا الأكبر نحو تأمين الثورة في العراق وحمايتها من المداخلات التي قد تنجم عن قضايا خطيرة كالقضية الكردية والكويتية، وكان مخلصاً بنصيحته[1].

---

١ — يروي وزير الدفاع العراقي الفريق صالح مهدي عماش، ان عبد الناصر ابلغ الوفد العراقي لمباحثات الوحدة "بأنه مؤمن بأحقية العراق في المطالبة بمينائه الطبيعي في الكويت ولكنه ضد استخدام القوة لاستعادتها حتى يفوّت على البريطانيين الانفراد بدور الحماية من خلال استثمار الأزمة التي نشأت بعد مطالبة العراق بالكويت وتهديده استعادتها بالقوة". وعبر عن الموقف المصري هذا أيضاً عبد القادر حاتم بقوله في ١٩٦١/٦/٢٨ "ان الشعب العراقي
←

ومن ناحيتي لم اكن حتى تلك اللحظة قد اجتمعت بأي كويتي، عدا نجل أميرها الشيخ سعد العبد الله الذي اصبح فيما بعد وزيراً للدفاع والداخلية ثم ولياً للعهد، فقد كان عضواً في رابطة الطلاب العرب بلندن عندما كنت أمينها العام، وكانت ميوله قومية ويساهم بنشاط في كل ما يجتمع عليه الطلبة العرب، ورغم عدم انتمائه إلى حركة بعينها فقد قدَّم تبرعات ومساعدات كثيرة.

بعد العودة من القاهرة فوجئنا بوصول برقية من الكويت عبّرت عن رغبة الشيخ صباح الاحمد الجابر بزيارة العراق للتهنئة بنجاح الثورة. ولم نكن حتى ذلك الحين قد اخذنا وقتا كافياً لترتيب اوراقنا واولوياتنا خصوصاً فيما يتعلق بقضية الكويت. ولكن الخُلق العربي وبغض النظر عن مشكلة الاعتراف او عدمه، يحتم استقباله والترحيب به في بغداد.

ولم استقبله في المطار رغم رغبتي بذلك ، بل اوفدنا وزير التجارة الاستاذ شكري صالح زكي لاستقباله . وحل ضيفاً في القصر الابيض وهو السكن الوحيد الصالح للضيافة المناسبة في بغداد حينذاك . وادرك الوزير الضيف مغزى عدم خروجي لاستقباله . وحقيقة الامر ان الدبلوماسيين نصحوني قائلين : ان استقبال وزير الخارجية لوزير خارجية دولة أخرى يعتبر بمثابة اعتراف رسمي بها .

مناقشات لجس النبض

جرت مع الشيخ صباح الاحمد اجتماعات متعددة دون تأليف وفد عراقي لادارتها. فكانت اجتماعات غير رسمية حضرها من الجانب العراقي انا وحازم جواد وعلي السعدي وعماش، وكنت المتحدث الرئيسي، وإنصافاً كان السعدي يترك لي شخصياً المجال عندما يتعلق الامر بالشؤون الدولية، بما في ذلك محادثات الوحدة. ومن الجانب الكويتي حضر فضلاً عن الشيخ صباح الاحمد، الصديق المرحوم عادل الجراح مدير مكتب وزير الخارجية الكويتي. ولم تكن لدى العراق اجهزة تسجيل محاضر الجلسات، ولا تسجل غير رؤوس المواضيع ومختصرا

لديه من أسباب الدعوة إلى الوحدة بينه وبين شعب الكويت بصورة أبقى من الوثائق العثمانية، ولكن مصر ترفض الضم وإنْ كانت على استعداد لتأييد منطق الوحدة الشاملة"، ويقترب عبد الناصر بذلك من موقف القيادة القومية لحزب البعث عندما ميّز بين مفهومي الضم والوحدة ، وبأن العلاقات بين الشعوب العربية لا تحكمها معاهدات او اتفاقيات قديمة او حديثة، ولهذا السبب واجه ناصر إصرار السعدي وشبيب وبقية الوفد بقوله "قد سمعت وقرأت الكثير من وثائقكم لكني أقول لكم في منتهى الوضوح ان ما تطلبونه فات أوانه بحكم الحقائق العربية والدولية ، ان الإنكليز لم يعودوا وحدهم في السيطرة على بترول الخليج وإنما هذه السيطرة انتقلت إلى يد الأمريكان. فأن أراد أحد ان يحتل دولة في الخليج على غير رضا أهلها فيجب ان يعرف سلفاً انه سيواجه الولايات المتحدة. ان الاتحاد السوفيتي نفسه يسلم للغرب بأهمية بترول الخليج بالنسبة لهم وبالتالي يجب ان نعرف ان هذه المعركة فوق طاقتنا."[7].

لأقوال الجانبين. ويلعب موظف التسجيل دوراً مهماً في ذلك. وقد انعقدت جميع الاجتماعات في القصر الابيض، مقر إقامة الوفد الكويتي. وجرت مباحثات مطولة مرة بحضورنا نحن الاربعة واخرى ثلاثة واحياناً يحضر اثنان منا فقط. وكان منطلقنا فيها هو ان الكويت لا تحتاج ان تكون دولة لأن هناك علاقات خاصة سبقت المصالح السياسية تربط بينها وبين العراق[1]. ويمكن ترجمة هذه العلاقات عبر فدرالية بين البلدين فَلِمَ الحاجة إلى سفارات وسفراء كويتيين، خصوصاً وانها لا تمتلك الكفاءات الكافية. فكانت تستعير اشخاصاً من جنسيات عربية أخرى لتوظيفهم في سفاراتها، فَلِمَ لا يستلم الكويتيون مثلاً سفارات العراق ويكون صباح الاحمد وزير خارجية العراق والكويت بنفس الوقت (كما قال السعدي).

وفي الحقيقة لم تكن الكويت حتى ذلك الوقت قد استكملت تأسيس جهاز حكومي بالمعنى

---

١ ـــ تلهف قلوب الكويتيين للعراق خصوصاً البصرة وبدرجة اقل الناصرية والعمارة والنجف وكربلاء، ويؤمنون بأنهم جزء من الوطن العربي الكبير، ويأملون ان يكونوا طرفاً في وحدة عربية شاملة، ولكن ليس إلى حد الذوبان في كيان ديكتاتوري، يفقدون معه رفاهيتهم ومكاسبهم الاقتصادية داخل وخارج الكويت. ومنذ الثلاثينات قامت الكتلة الوطنية الكويتية على شكل منظمة سرية، ترى في العراق قاعدة للقوميين العرب، ونشطت تحت غطاء "الجنة اكتوبر" لنصرة فلسطين في ١٩٣٦ . وادى نمو الوعي السياسي الكويتي العربي والدولي إلى قيام مبادرات اقتصادية وثقافية ايجابية ومتزنة شجعت بعض ابنائها على المطالبة بالسماح لكل العرب بدخولها، وفتحت الابواب لاكثر من ثلاثمائة ألف فلسطيني للإقامة والعمل، فوفروا عيشاً كريماً لعائلاتهم المقيمة في سوريا ولبنان ومصر فضلاً عن فلسطين المحتلة. وكان هناك دائماً كويتيون يتعاطفون مع العراق ويأملون التعايش معه. لكن الاجتياح وقبله اجبارهم على دعم المجهود العسكري العراقي في الحرب الإيرانية وإلا ستتحول الكويت نفسها إلى منطقة حيوية للحرب !! ، أثر في موقف الكويتيين خصوصاً المثقفين والمسيسين، فوقف ضد الاجتياح حتى ممثلو حركة القوميين العرب الذين طالبوا منذ الاربعينات بوحدة العراق والكويت[8]. بل اجتمعت الكويت كلها في موقف موحد سلبي من الاجتياح، وفعل ذلك البعثيون المرتبطون بحزب الرئيس صدام حسين الذي اعتقل مسؤول منظمتهم فيصل الصانع وغيّبه، وردّ وساطة أحد قادة البعث التونسيين لاطلاق سراحه. واضطر علاء الدين حسين، ولم يكن شخصاً مهماً، عند تشكيل وزارة كويتية انقلابية إلى الاستعانة بعناصر من المخابرات العراقية بعد ان وضع فوق رأس كل واحد منهم عقالاً خليجياً، واعلانهم وزراء كويتيين.

أحب الكويتيون الذين انحدر شيوخهم من منطقة الزين القريبة من البصرة، قضاء أوقات طويلة في العراق، يأتون إلى البصرة في كل المواسم وفي عطل نهاية الاسبوع (خميس وجمعة) . وخلافاً لبقية العراقيين يعامل البصريون الكويتيين معاملة طيبة، وكانوا قد حموا املاكهم خلال الأزمة مع قاسم الذي لم يكن سلاّباً ولم يشجع على النهب. وبعد انتهاء الأزمة عرضوا على حماة املاكهم الجنسية الكويتية فوافق بعضهم ورفض آخرون. ويذكر انهم اقاموا في البصرة مزارع وفللاً فخمة لاسيما في جبل سنام وأبو الخصيب والزبير وقصر حمدان، وبعض اهالي هذه المناطق "بجبادة" يحملون جوازات سفر عراقية وكويتية وسعودية. ويذهب الكويتيون للبصرة حاملين الذهب وهدايا أخرى، آملين مبادلتها بصناعات بصرية محلية مشتقة من النخيل كالحصران و "سفر الخوص" والخريط والرطب المطبوخ والتمر البرحي فضلاً عن لحم الضأن العراقي المميز، والقيمر والرز العنبر والكعك العراقي، ويستوي في ذلك شيوخ الكويت وعوائلها الأخرى العريقة كآل الفليج والمنديل والرشيد، وتستضيفهم عوائل بصرية عريقة كآل النقيب وآل السلمان.

الصحيح. فكان مدراء المكاتب الحكومية اكثرهم سوريون وعراقيون وفلسطينيون بمـــن فيـــهم بعض مدراء مكاتب الوزراء والسفراء.

كان رد الكويتيين هو : هل تستكثرون علينا ونحن جيرانكم ان نكون دولة ولها ســفارات. و لم تكن المناقشات المطولة تصل إلى نتيجة، ورحل الوفد دون ان يحصل على شيء، لكننا كنـا نعلم ان موقفنا اصبح ضعيفاً. إذ بالاضافة لما اوردناه من قيود مفروضة على موقفنا، فان عاملاً لا يقل خطورة قد استجد وهو فقدان الفيتو السوفيتي الذي كان يشهر سنوياً بوجـه الطلـب الكويتي إلى مجلس الامن للحصول على عضوية الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومعروف ان كل دولة حتى تصبح عضواً في الهيئة العامة الدولية عليها ان تستصدر من مجلس الأمن توصية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة لقبولها عضواً. وكان الاتحاد السوفيتي صديقاً لعبد الكريم قاسم ويحبط سنوياً المساعي الكويتية. أما الآن فلسنا واثقين من ان السوفيت سـيواصلون استخدام الفيتو خلال الجلسة القريبة القادمة خصوصاً بعـد ان دخلنـا في صـراع اعلامـي مكشوف مع الدولة السوفيتية.

اما الدول العربية فلم يكن بامكانـها ان تلعب دوراً، حتى في حالة توفـر الرغبـة لديـها لمساعدتنا[1]. وحينـها كان العضو العربي الوحيد في مجلس الأمن هو مندوب المغرب "الطيـبي بن هيمة" (وقد توفي رحمة الله عليه) فقد اعتادت الجمعية العامة ان تعين عضواً عربياً غير دائـم في مجلس الأمن باستمرار وفي كل دورة. والطيب بن هيمة هذا كان صديقاً للعراق والعراقيـين، كما كان قرينـه وزميله الأستاذ عدنان الباجحي مندوب العراق إلى الهيئة الدوليـة، لا يقـل عنـه براعة في الأداء والعلم والحماس للمطالب العراقية.

وعلى أية حال فبعد زيارة وفد الخارجية الكويتي للعراق بيوم واحد ، تم استدعائي للقصـر الجمهوري بصورة عاجلة . وحالما وصلت ، وجدت "محمد سعيد النقيب" وهو عراقي من نقباء البصرة لكنـه يحمل جنسية كويتية (وارجو ان تضع اسمه بين قوسين لان دوره كما ارى كـان

---

١ ـــ الحكومات العربية كانت مقيدة إلى قرار جامعة الدول العربية الذي اتخذ في عشرين تموز ١٩٦١ ونص على:

اولاً :

أ – تتعهد الحكومة الكويتية بطلب سحب القوات البريطانية من الأراضي الكويتية بأسرع وقت ممكن.

ب – تتعهد الحكومة العراقية بعدم اللجوء إلى القوة لضم الكويت إلى العراق.

ج – تؤيد الجامعة العربية أية رغبة تبديها الكويت في الوحدة او الاتحاد مع أية دولة عضو في الجامعة العربية.

ثانياً :

أ – ترحب (الجامعة) بدولة الكويت عضواً في جامعة الدول العربية.

ب – تؤيد الدول العربية طلب دولة الكويت بتقديم مساعدات فعالة لدعم استقلال الكويت والدفاع عن اســتقلالها، ويخول الأمين العام صلاحية اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذ هذا القرار بأسرع وقت ممكن.

الاخطر والاهم فيما جرى بين العراق والكويت حينذاك، و لم اكن على معرفة بــه رغم رابطـة الصداقة المتينة التي جمعت بيننا فيما بعد معه ومع اخوانـــه وانجالـــه) . ووجـــدت في القصـــر الجمهوري كلاً من عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وعلي صالح السعدي وحازم جـــواد وصالح مهدي عماش وحردان التكريتي، وفوجئت بقرار مسبق هو ان أسافر مع عماش وحردان فوراً في وفد رسمي لرد زيارة الشيخ صباح الاحمد، ولما يمر على انتـــهائها سوى يوم واحد.

رفضت بشدة متعللاً بكل ما استطعت شرحه من مبررات دبلوماسية وسياســـية. وقلـت انـــها خِفة غير مقبولة، وطالبت بدراسة القضية واتمامها بجدية وبعيداً عن اللفلفة، لكن المجموعة بكاملها كانت متفقة ومتحمسة لرأيها. و لم يكن امامي سوى الالتزام والتنفيذ, رغم معرفتي بأن رد زيارة وزير خارجيتـــهم من قبل وزير خارجية العراق سيعني اعترافاً رسمياً.

استقلينا الطائرة أنا وعماش وحردان ومحمد سعيد النقيب، وكان الأخيران يرتبطان اصـــلاً بعلاقة حميمة وصداقة خاصة. وقد ترأس صالح عماش الوفد بعكس ما متعارف عليه دولياً في ان تسبق وزارة الخارجية وزارة الدفاع، لكنني عند تشكيل الوزارة اخرّت اسمي ليأتي الثالث بعـــد السعدي وعماش تقديراً لفارق السن بيني وبين وزير الدفاع رغم انـــه لم يكن عضواً في قيـــادة الحزب الحاكم.

ونحن في الطائرة راقبت حماس حردان التكريتي للسفرة واهدافها، حتى انـــه قـــاد الطـــائرة بنفسه نصف المسافة[1]. فانـــزويت وتأملت متسائلاً في حيرة عن سبب التجاذب المتسرع الذي

---

١ ـــ ومن سخرية القدر ان احمد حسن البكر وصدام حسين سيختاران مدينة الكويت، بعد ثمانية أعوام مكاناً لاغتيـــال المرحوم حردان التكريتي بعد ان اصدرا اوامرهما إلى مجموعة مختصة من المخابرات العراقية العاملة في الكويت بينـــــــهم حمودي العزاوي (قتلتـــه السلطة فيما بعد) وطارق ابو الخيل وهاشم الرفاعي، وتواطؤ السفير مدحت ابراهيم جمعـــــة الذي ساهم بالأمر، دون ان يعلم أنـــه سيصل إلى القتل وكان سعدون شاكر موجوداً في الكويت ويعتقد انـــه شارك بـــها. ومن المؤسف ان الحكومة الكويتية سكتت حينذاك عن الجريمة، رغم ان حردان كان أول راع للاعتراف الرسمـــي العراقي بدولة الكويت، وبدلاً من التحقيق الجاد سمحت لوزير الخارجية العراقي عبد الكريم الشيخلي بزيارة الكويـــــت بعد ساعات من الحادث ليصطحب معه عند عودتـــه بعض منفذي الجريمة، وعاد القسم الباقي من فريق الاغتيال مـــــع جثمان حردان التكريتي بصفة مرافقين. ويذكر ان سيارة المخابرات التي أقلت قاتلي حردان وتمت الرماية منـــها أصيبت باطلاقات من مرافقيه او من الشرطة الكويتية، وللتغطية وخوفاً من تحول الإصابة إلى دليل إدانة ضدهم، أرسلوا السيارة فوراً إلى كراج (عادل الحديث في الشوّيخ) وصاحبـــه "ابو عادل" حمودي الكلكجي فتم إصلاحها وإخفاء آثار الاصابة فوراً.

وربما كانت دولة الكويت بموقفها ذاك تحاول دفع الشر ، وتجنب الشرور بتفادي الاصطدام وتحويل عدوانية الحكومـــــة العراقية إلى اتجاهات أخرى، بل اندفعت مع بعض مطالبـــها التي لم تنتـــه حتى بعد إحراق الكويت. أما حردان فرغـــم بعض المثالب التي تؤخذ عليه، إلا أنـــه شهم، لا يغدر، وعندما يلتزم ينفذ التزامه، وعُرف بالشجاعة، وذهب ضحيـــــة لصفاتـــه.

أبدتــه القيادة العراقية. واذا كنت افهم اهداف حردان وعماش وعبد السلام عارف وغــيرهم، فلم اكن قادر على تفهم مجاراة علي السعدي وحازم جواد لأنــهما لم يكونا من الذين يســهل ابتزازهم.

وصلنا الكويت ففوجئنا باستقبال غير متوقع،كان استقبالاً حافلاً وترحاباً يفــوق المتوقــع بكثير. ومنذ اللحظة الأولى أدركت ان هدفهم إخراج الزيارة بصورة احتفالية توحي باعتراف عراقي بدولة الكويت واستثمار ذلك في المحافل العربية والدولية .ورغم عدم اســتقبالنا لوزيــر خارجيتــهم بصورة رسمية ، استقبلونا هم رسميا وعزفوا نشيدهم الخــاص والنشــيد الوطــني العراقي ورفعوا العلمين العراقي والكويتي . و لم يبق في الكويت رجل قادر علــى الحركــة الا ووضع العِقال على رأسه وخرج يشاهدنا او يتفرج علينا ولا أبالغ إذا قلت اننا رأينا حينـذاك في مشهد منقطع النظير كل رجل في الكويت.

اجرينا مباحثات تقليدية مطولة ادركت خلالها ان لديهم خطة يسيرون عليها، و لم يكن لدينا ما يقابلها. ولاحظت انــهم لم يحاولوا الوصول إلى نتائج فورية ومحددة في هذه الجولة، فركزوا على الشكليات والمفاهيم، وعلى استغلال الزيارة إعلامياً لتدخل عنصراً من عناصر الأمر الواقــع الذي يجري الإعداد له بحرص شديد تمهيداً لتوقيع وثيقة الاعتراف في جولة قادمــــة، بعــد ان يكونوا قد هيأوا شروط تأسيس دولتــهم، وتوثيقها في الهيئات العربية والدولية ثم توضع أمامنــا على طاولة المفاوضات فلا نجد مفراً من الموافقة والاعتراف غير المنقوص بكيان قــائم فعــلاً. وبذلك يكون مشروعهم قد تم إخراجه وإنجازه ببراعة وذكاء اشهد لهم بــها.

وبعد أيام علمت ان دولة الكويت جددت طلبــها إلى الأمم المتحدة لقبولها عضواً فيــــها. وان الاتحاد السوفيتي لم يستخدم الفيتو ضده، وذلك يعني انــه لم يبق لنا نصير في مجلس الأمــن غير الطيبي بن هيمة وهو لا يتمتع بحق الفيتو، وسيُحَمِّل المغرب اكثر من قدرتــه ليعترض علــى قبول دولة عضو في الجامعة العربية في عضوية الهيئة الدولية. لكننا رغم ذلك خضنا في المجلـــس بنيويورك (وكنت حينــها وزيراً للخارجية وموجوداً هناك) معركة خاسرة ضد دخول الكويت للمنظمة الدولية. اما أسباب العناد والممانعة التي ابديناها فتعود إلى اننا وضعنا نصب أعيننا هدفاً بسيطاً آخر هو: إذا لم يكن بالإمكان منع الكويت ان تكون عضواً في الأمم المتحــدة فعلــى الأقل يجب علينا ان نخرج من الأمر بشيء ما. واعتقد ان اغلب اعضاء القيادة القطرية والمجلـس الوطني لقيادة الثورة قد فكروا حينذاك بنفس الطريقة للحصول على مكاسب معينة وامتيــازات من الكويت للعراق. بل ان عبد السلام رئيس الجمهورية كان قد سبق الجميع، وسبق مجيء وفد التــهنئة الكويتي إلى بغداد بتبادله برقية مع أمير الكويت، وكانت أول إشــارة علــى قــرب

الاعتراف العراقي[1].

وفي الحقيقة فان استمرار المطالبة في الكويت من قبلنا كان سيبدو محاولة غير حادة وعابثة، وستصطدم بقرار الجامعة العربية التي يهيمن عليها عبد الناصر الذي سبق ان دفع بقواته دفاعاً عن استقلال الكويت. وذلك سيضعنا أمام تساؤل صعب: هل سنقاتل الجيش العربي والمصري من اجل ضم الكويت ؟

وكانت تلك بين أمور أخرى تبدو مستحيلات غير واقعية في وجه أي تفكير آخر غير التصديق على الاعتراف الدولي والعربي بدولة الكويت. ولكني رغم كل الواقعية التي عالجت بها الأمر، بقيت انظر إلى زيارتنا للكويت وملابساتها والاستعجال فيها، على إنها خطأ تكتيكي لم يكن له ما يبرره، واعترف اني أُجبرت عليها. كما سأجبر فيما بعد على مرافقة عبد السلام عارف لزيارة القاهرة قبل انعقاد المؤتمر القطري للحزب مما أتاح فرصة ملائمة لمن يريد ان يتلاعب بنتائجه وينفذ أغراضه.

اجتماعات بحمدون الخاصة تسبق الإتفاق الرسمي

اجتمعنا خلال زيارتنا للكويت برئيس الوزراء المرحوم صباح السالم الصباح الذي اصبح فيما بعد أميراً لها. وكنت في كل جولة من المحادثات اخرج بنتيجة باننا أمام الاعتراف العربي والدولي وخسارة الفيتو السوفيتي غير قادرين على فعل شيء اكثر من التفاوض على ترسيم الحدود ودراسة وضع آبار البترول الحدودية، وهذه غير ممكنة أيضاً إلا بين دولتين متكافئتين، كلتاهما عضو في الأمم المتحدة.

واستناداً إلى هذا الاحساس والواقع أشار عليَّ علي صالح السعدي قائلاً "في قضية الكويت لا يوجد مَنْ يدعمنا، وانت يا طالب إفعل ما تراه مناسباً واحصل للعراق على اكثر ما تستطيع من حقوق بالمفاوضات ولنحتكم بعدها للتاريخ" ، وكان يقصد ان نحصل على امتيازات مالية وإقتصادية ووعد بعلاقات مميزة مع الكويت، خصوصاً وانه كان علينا كسلطة جديدة ان نقدم للشعب العراقي بعض المكتسبات المادية المباشرة، ولهذا سافرت في حزيران ١٩٦٣ إلى بيروت لمدة عشرة ايام في زيارة غير رسمية (شخصية) ، ومن جانبه سافر الشيخ صباح السالم

---

١ ـــ وتشير الوثائق البريطانية[9] إلى ان اللواء مبارك اخبر موظفاً في السفارة البريطانية بالكويت، بأنه استقبل رسالة صداقة من آمر موقع البصرة العسكري في يوم ٩ شباط ١٩٦٣ . وكانت مدينة الكويت قد شهدت في نفس ذلك اليوم مظاهرة كبيرة شارك فيها الطلبة، وكانت بقيادة الشيخ عبد الله الجابر وزير المعارف، ورُفِعَتْ فيها اعلام الكويت والعراق والجزائر والجمهورية العربية المتحدة، وأُطلِقت شعارات تحيي القومية العربية وعبد السلام محمد عارف والرئيس جمال عبد الناصر وأمير الكويت.

الصباح (رئيس وزراء الكويت) أيضاً ليقيم بقصره قرب "عاليه"، بين بحمدون وعاليه، و لم ازره بقصره لكننا إتفقنا ان نلتقي كل امسية في مطعم متواضع سيء الخدمات ومقفر من الزبائن، وفضلناه لكي لا نلفت النظر إلى لقاءاتنا غير العلنية، ولكي نبدوا سائحين من الطبقة الوسطى.

فعلنا ذلك لنعطي لانفسنا فرصة حوار بعيد عن الاضواء والتوترات، وهناك اتفقنا على قرض تقدمه الكويت بثلاثين مليون دينار كويتي ، وبنسبة ارباح رمزية ١٪ تبدأ بالاستحقاق بعد عشر سنوات، مع مليوني دينار تُقَدَمْ كتبرع من الحكومة الكويتية إلى عوائل شهداء ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ وكان لدينا صندوق لفائدة عوائل الشهداء يرأسه حردان التكريتي وزير دفاع الجمهورية العراقية بعد ١٧ تموز ١٩٦٨[١].

وحرَّرَتْ الكويت شيكين بالمبلغين ووثقتهما من وزارة المالية الكويتية بإسم عبد السلام محمد عارف وليس بإسم طالب شبيب وسلما إلى الحكومة العراقية، وأُعطي الأول لخير الدين

---

١ ــ قال د. عبد الحسين القطيفي ممثل عبد الكريم قاسم في مفاوضات الكويت التي انعقدت بصورة غير رسمية في سويسرا والقاهرة، وكان حينذاك سفيراً للعراق لدى الجامعة العربية، انه تلقى عرضاً كويتياً بواسطة الدكتور محمد حسن الزيات يتضمن استعداد الحكومة الكويتية لدفع منحة سنوية قدرها خمسين مليون دينار كويتي مقابل موافقة العراق على انضمام الكويت إلى الجامعة العربية والاعتراف باستقلالها. وأضاف : "ابرقت في الحال إلى وزارة الخارجية بعرض الكويت وتعهدها بالمبلغ الذي ستدفعه سنوياً . . . وكان رد وزارة الخارجية العراقية على لسان الزعيم عبد الكريم ما يلي : ان اراضي العراق لا تباع بالفلوس . . . انتهى[10]. ويقصد الزعيم قاسم بأراضي العراق "الكويت". ويذكر ان الكويتيين اعتادوا استخدام اشخاص غير رسميين او عقد لقاءات غير رسمية في المفاوضات مع بغداد، وكان آخرها لقاءات شبيب وصباح السالم في لبنان واعطاء دور لمحمد سعيد النقيب، وقبلها فاوضوا الديبلوماسي العراقي القاسمي السفير قاسم حسن، وكذلك مع معاون وزير الخارجية في عهد قاسم الأستاذ الدكتور القطيفي بواسطة السيد موسى علاوي وهو عراقي مقيم في الكويت استثمر قرابته بوزير الاسكان العراقي حسن رفعت، وحينها عرض الكويتيون بواسطته على عبد الكريم قاسم النقاط التالية كأساس للاتفاق المقترح : اولاً : اعتراف العراق باستقلال الكويت وسيادته على اراضيه. ثانياً : يباشر في مباحثات لتقرير اتحاد فدرالي بين البلدين، على ان تبقى العقود النفطية الخارجية بيد الكويت.ثالثاً : ميزانية الكويت تبقى مستقلة. رابعاً : تساهم الكويت بنسبة معينة من ميزانية الاتحاد الفيدرالي العامة واقامة مشاريع مشتركة بين دولتي الاتحاد وخاصةً في الوية البصرة والناصرية والعمارة. خامساً : يبقى نظام الكويت حسب نظام العائلة الحاكمة في اختيار الحاكم، وشكل الممارسة الحكومية. واستناداً لهذه النقاط اتفق قاسم مع مندوبيه على مواصلة المفاوضات ما عدا النقطة الأولى[11]. ويبدو انه كان سيوافق على الاعتراف بعضوية الكويت في الجامعة العربية مقابل الاتحاد الفيدرالي ليكسب توحيد الجيش والسياسة الخارجية، لكنه كان متخوفاً من عدم التزام الكويتيين. و لم تدر المفاوضات حول المكاسب والمال بل جرت مناقشات مستفيضة حول مفهوم الوحدة العربية لدى الجانبين، وعبَّر قاسم حسن والقطيفي عن رغبة عبد الكريم قاسم ببقاء الوحدة، وكل ما عداها يقبل النقاش بسهولة. وفي المقابل اعترف المفاوضون الكويتيون له بأن الكويت كانت قائممقامية عثمانية تابعة لولاية البصرة، وفصلتها بريطانيا. لكن ليست الكويت وحدها فصلت بل المحمرة وعربستان والاحساء والقطيف ونجد وقطر، وكلها كانت مناطق ادارية تابعة للبصرة، ولذلك ليس يمكن الاعتماد على التقسيم العثماني كأساس لأدعاء الملكية. لأن العثمانيين انفسهم كانوا محتلين اجانب.

حسيب لإدخاله الخزينة العراقية، اما شيك المليوني دينار فقد اخفاه عبد السلام في أحد ادراج مكتبه في القصر الجمهوري، وفوراً بعد زوال سلطة البعث إثر حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ جرى تمرير إشاعة مقصودة ومدبّرة تلمح إلى ان البعثيين استولوا على الشيك وصرفوه لمصلحة حزبهم.

لكن وزراء ناصريين بينهم عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد إضافة إلى خير الدين حسيب محافظ البنك المركزي العراقي، استطاعوا بعد جرد وتفتيش العثور على الشيك الضائع مخفياً في أحد ادراج مكتب الرئيس عبد السلام عارف فأخذوه وادرجوه بإعتباره جزءاً من الاتفاقية العراقية الكويتية. ولو لم تتم تلك العملية لتمكن عبد السلام من التصرف بالشيك بصورة شخصية لعدم الاشارة له في الاتفاقية وملاحقها.

والحقيقة فقد علمت وانا في نيويورك ان اجتماعاً رسمياً عُقِدَ بين وفد عراقي برئاسة رئيس الوزراء العراقي احمد حسن البكر، وكويتي برئاسة الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الكويتي، وبحثوا الأمر استناداً إلى ما توصلنا اليه في ذلك المطعم بعاليه. ووقعا اتفاقاً عراقياً كويتياً يقر فيه العراقيون لاول مرة بوجود دولة اسمها الكويت.

اما انا فلم احضر ولم اوقع ولم أر ولم استلم أي شيء!! رغم إنجازي لأهم جوانب المفاوضات. وكان موقفي المعلن داخل اجتماعات القيادة الحزبية والحكومية هو اننا يجب ان نصل إلى حل للمسألة الكويتية بل صرحت بعد الثورة مباشرةً بأن حكومتنا ستتمكن قريباً من الوصول إلى قرار يعود بالفائدة على الشعبين الذين يشكلان جزءً من الأمة العربية والوطن العربي.

اما الادعاء بأن الكويت جزء من العراق او أي بلد آخر فهو امر يعود إلى شعبي البلدين، وكنت ارى الحل واضحاً بشرط التروي، في حين كان البكر وحردان وعماش وعبد السلام عارف متعجلين[1]. وذلك جعلني أتساءل مع نفسي بل واتجاوز حدِ الاستغراب إلى الارتياب. وكانت صورة محمد سعيد النقيب لا تفارق مخيلتي كلما فكرت في موضوع الكويت، فما هي دوافعه واسباب حماسته؟ وكيف يحضر معنا وهو شخصية ليست رسمية في الكويت او

---

١ ـ لم يكن عماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف أعضاء في القيادة القطرية للحزب، ولم يكن عبد السلام عارف بعثياً، وهؤلاء اشتركوا بطريقة واخرى في مفاوضات ومداخلات القضية الكويتية. اما اعضاء القيادة القطرية للبعث الذين اشتركوا في تقرير مصير المفاوضات فكانوا علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب، واضيف لهم فيما بعد احمد حسن البكر بعد ان فاز بعضوية القيادة في المؤتمر القطري الذي انعقد في أيلول ١٩٦٣ .

العراق؟ ولماذا الإصرار الشديد على إتمام الأمر خلال أيام او ساعات وكأننا ننحز صفقة غـــير طبيعية رغم قناعتنا كحزبيين بما نقوم بــه ؟

ولم اكن اعلم، لو لم تكن الظروف قد دفعت بيّ إلى نيويورك، هل كنت سأوقع معهم نـص الاتفاقية[1]، خاصة بعد ارتيابي بتصرفات جماعتنا المستعجلة ؟ ولكني رغم كل ذلك لا املــك ولحد هذه اللحظة أي دليل على وجود رشوة. كما أستطيع التأكيد، وانا مرتاح الضمير، بــأن اعضاء قيادة حزب البعث القطرية منــزهون من أي اتفاق خارج الأطر الرسمية وعن التــورط بأية رشوة. والشيء الوحيد الذي أستطيع تأكيده هو انــهم استعجلوا في إضفاء شرعية محليــة على قرار دولي صادر من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

---

١ ــ نص الاتفاقية : احتمع الوفد الكويتي الرسمي الذي يزور الجمهورية العراقية بالوفد العراقي بتاريخ ١٩٦٣/١٠/٤ . وتألف الوفد العراقي : ١) اللواء احمد حسن البكر رئيس الوزراء. ٢) الدكتور محمود محمد صبحي الحجـــي وزيــر التجارة. ٣) الفريق الركن صالح مهدي عماش وزير الدفاع ووزير الخارجية بالوكالة. ٤) السيد محمد كبارة وكيــل وزارة الخارجية. وكان الوفد الكويتي من : ١) سمو الشيخ صباح السالم ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء. ٢) ســعادة الشيخ سعد العبد الله السالم الصباح وزير الداخلية ووزير الخارجية بالوكالة. ٣) السيد خليفة خــالد الغنيــم وزيــر التجارة. ٤) السفير عبد الرحمن سالم العتيقي وكيل وزارة الخارجية. وجرت المباحثات بين الوفدين في جو مفعم بالود الاخوي والتمسك برابطة العروبة والشعور بأواصر الجوار وتحسين المصالح المشتركة. وتأكيداً من الوفدين المحتمعين عـن رغبتــهما الراسخة في توطيد العلاقات لما فيه خير البلدين بوحي من الاهداف العربية العليا. وايماناً بالحاجة لاصـــلاح ماران على العلاقات العراقية — الكويتية نتيجة العهد القاسمي تجاه الكويت قبل إشراق ثورة الرابع عشر مـــن رمضـــان المباركة ويقيناً بما يمليه الواجب القومي من فتح صفحة جديدة من العلاقات بين الدولتين العربيتين تتفق وما بينــهما من روابط وعلاقات ينحسر عنــها كل ظل لتلك الجفوة التي اصطنعها العهد السابق في العراق. وانطلاقـــاً مـــن ايمـــان الحكومتين بذاتية الأمة العربية وحتمية وحدتـــها. وبعد ان اطلع الجانب العراقي على بيان حكومة الكويت الذي ألغـي بمجلس الأمة الكويتي بتاريخ ٩ إبريل ١٩٦٣ والذي تضمن رغبة الكويت في العمل على إنــهاء الاتفاقية المعقودة مـــع بريطانيا في الوقت المناسب. اتفق الوفدان على ما يلي : اولاً : تعترف الجمهورية العراقية باستقلال دولـــة الكويـــت وسيادتـــها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١ والذي وافق عليه حاكم الكويـــت بكتابـــه المؤرخ ١٩٣٢/٨/١٠ . ثانياً : تعمل الحكومتان على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين يحدوهمـــا في ذلك الواجب القومي والمصالح المشتركة والتطلع إلى وحدة عربية شاملة. ثالثاً : تعمل الحكومتان على إقامة تعـــاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين وعلى تبادل المعلومات الفنية بينـــهما. وتحقيقاً لذلك يتم فوراً تبـــادل التمثيـــل الديبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء، واشهاداً على ذلك وقع كل من رئيسي الوفدين على هذا المحضر. اللـواء احمد حسن البكر رئيس الوفد العراقي   صباح سالم الصباح رئيس الوفد الكويتي

ملاحظة : تقصد الاتفاقية "بكتاب رئيس الوزراء" رسالة نوري السعيد إلى السير فرانس همفريـــز المنـــدوب الســـامي البريطاني في ١٩٣٢/٧/٢١ ، واقرَّ فيها بأن حدود الكويت تمتد من تقاطع وادي العوجة مع الباطن إلى جهة الشـــرق بامتداد الباطن جنوبي آبار سفوان وجبل سنام وأم قصر إلى نقطة التقاء خور الزبير بخور عبد الله، وتعود جـــزر وربـــة وبوبيان ومسكان وفيلكة وعوهة وقاروورة وام المرادم للكويت . . ويُذكر ان الاتفاقية لم تُصَدَّقْ من قبل مجلس قيـــادة الثورة، ليس لعدم موافقتـــه عليها، بل لان العراق بكامله دخل بعدها في دوامة من الخلافات تسببت بفراغ سياســـي لم ينتـــه إلا بعد سقوط حكم حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني عام ١٩٦٣.

وفي الحقيقة لم تكن لدينا خيارات أخرى، فضلاً عن نظرتنا إلى قضية الكويت باعتبارها اصغر بما لا يقاس من اهتماماتنا القومية العظيمة التي تلف الوطن بكامله، فكنا نتصور أنفسنا قريبين من توحيد العراق وسوريا ومصر.

سؤال : قيل ان البعثيين قبضوا ثمناً معيناً وتداول ذلك كثيرون، فهل من سبيل للتأكد من عدم حصول ذلك ؟

طالب شبيب : في عام ١٩٦٧ التقيت الشيخ صباح الاحمد بلندن، وكنت سفيراً لجامعة الدول العربية فيها، وكنا نستقل سيارة واحدة وكان معي مصحف صغير. قلت له: نحن الآن لوحدنا وأريد لضميري ان يرتاح، أرجو ان تقسم على هذا المصحف وتجيب على سؤالي، هل اخذ أحد من قادة البعث رشوة بقضية اعترافنا بالكويت عام ١٩٦٣ ؟

أجاب : اقسم لم ادفع لأحد منهم ولا مليم.

وكلامي هذا موثق بالاحياء، فلا اتحدث عن اموات، والشيخ صباح الاحمد هو أخ وصديق ورجل صادق، حي يرزق قال لي لم يأخذ أحد رشوة.

هذا الأديم كتاب لا كفاء له   رث الصحائف باقٍ منه عنوان

ربما كان يجب ان نحصل على شروط افضل وأشياء كثيرة، لكن وضعنا كان مهتزاً وانا شخصياً كنت في اسوأ حالات الغضب والانزعاج من هزيمتي في انتخابات المؤتمر القطري لحزب البعث التي جرت للتو والتي لم تكن نزيهة من حيث الإعداد لها. ولذلك جاءت سفرة نيويورك اشبه بمتنفس، فلم احضر جلسة التوقيع على الاتفاقية مع الكويتيين، كما لم اعرف كيف جرى التصرف بالمبالغ.

وارجو ان تعرف ان جمال عبد الناصر يعرض قواته للدفاع عن استقلال الكويت، والاتحاد السوفيتي يتخلى عن الفيتو ويرى ان الكويت قد اصبحت حائزة على مقومات دولة. والجامعة العربية قبلتها كدولة كاملة العضوية فيها. والقيادة القومية لحزب البعث قررت رفض منطق ضم الجزء إلى الجزء بالقوة. فمن اين لنا ان نأتي بغطاء شرعي عقائدي او عربي او دولي لمنع دولة قائمة من إعلان استقلالها؟

ولذلك ارى ان نطرح جانباً تلك الاتهامات التي غالباً ما تكال بدون ميزان. فلقد قاتلنا حينذاك بلا اسلحة، وكنا سنُعرِّض العراق إلى كارثة لو فعلنا شيئاً آخر. وليس أدل على ذلك ما حل بالعراق عندما اقدم مُمَثَلاً بشخص الرئيس صدام حسين على ضم الكويت بالقوة

الغاشمة، فضلاً عن ما الحقه من أضرار في جسد الأمة العربية وبقضية الوحدة وما تسبب بــــه من إحباط في أذهان الجماهير العربية(١).

سؤال : هل هناك أدلة تـثبت ان الولايات المتحــدة لم تكــن تاريخيــاً حريصة على دولة الكويت ؟ وكيف نوفق بين تحريضهم لنوري الســعيد وصدام حسين وأجواء الحلف الذي ربط بينــهم وبين صــدام حســين خلال المرحلة السابقة، وبين دفاعها عن الكويت عندما احتلــها صــدام حسين ؟

طالب شبيب : لم يدخل الأمريكان لعبة السياسة الدولية بقوة قبل الحرب العالمية الثانية، فهم الدولة الكبرى الوحيدة التي لم تتضرر كثيراً في الحرب. ربما في بيرل هاربر فقط وهي جزيـــرة بعيدة عنـــها في هاواي، وفي مناطق محدودة وغير هامة أخرى. فخرجوا من الحرب اقوياء بينما خرج غيرهم منـــهكاً. وذلك شجعهم على إعداد انفسهم للتدخل الذي اعدوا له طويـــــلاً في غرف مغلقة، وكان العراق إحدى المناطق التي توجهوا إليها، مستغلين في البدء بعض الثغــرات، اهمها الصراع الخفي بين الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد. فتمسك نوري السعيد ببريطانيا، في حين اندفع عبد الإله باتجاه امريكا. ولا اشك ان كليهما كان مخلصاً في بحثه عــن حلفاء لجعل العراق قوياً، وتدعيم مكانتــه وتعزيز موقفه العربي والاقليمي، ولذلك فكلاهمـــا بالإضافة للملك غازي بن فيصل الأول وأبيه طالبوا بالكويت بــهدف اكتساب القوة والمـــال

---

١ ـــ بعد انقطاع حوالي عشرين عاماً قضتــها الجماهير العربية تداوي جراح الحروب الإسرائيلية وإحباط كامب ديفيد وغيرها، جاءت الغزوة الكويتية في ٢ آب ١٩٩٠ لتقضي على مؤشرات وارهاصات نــهوض عربي حديـــد، بعضــه اسلامي وآخر علماني. وادت الغزوة إلى تقسيم القوى إلى قســمين، الأول : يــرى ان اجتمــاع القــوى الغربيــة، واكتسابــها مواقع جديدة في البلاد العربية لم تكن تحصل لولا غزوة صدام للكويت. والثاني : يتصور ان الغــزو هــو بداية تاريخ جديد لنــهضة عربية تتحدى المتدخلين الغربيين. واصحاب هذا الرأي احتفلوا بالنصر الآتي، ليستســـلموا بعد اشهر إلى احباط وهزيمة نفسية اخرجتــهم من الميدان الفعلي والايجابي. فذهب نتيجتــها قسم من شباب العــرب زرافات إلى المنافي ليضعوا انفسهم خارج الميدان الحقيقي للمواجهة. ولم تكن تلك هي الفعلة الأولى المثــيرة للاحبــاط العربي التي يرتكبــها النظام العراقي، فقبل ثلاثين عاماً وعدت الحكومة العراقية الفلسطينيين بدخول عمّان من اجلــهم. وقبل عشر سنين عندما غزت ايران بعد سقوط الشاه، اعلنت ان تاريخاً عربياً جديداً من الانتصارات قد بدأ. وفي كــل الحالات تمكنت من استمالة اعداد هائلة من الشباب العربي ليكتشفوا بعد ثماني سنوات الواناً لم يعهدوها مــن الخيبــة والخسارة، بما في ذلك توليد ازمة جديدة هي "احتلال الكويت"[12]. وربما يقف وراء اندفاع بعض المثقفين والسياسيين العرب نحو اعمال طائشة هو أمنيات كسولة تستبد بــهم، فتسول لهم انفسهم ان يستيقظوا يوماً ليشــاهدوا نصــراً عربياً جاهزاً يقدمه صدام حسين او غيره حتى لو كان ضد الاصدقاء او الاشقاء. ان اسوأ ما في هذه الصورة هو موافقة المحبطين العرب على ان ينام الكويتي السعيد والغاوي ليلتــه ليستيقظ في اليوم التالي فيرى ان رئيسه اصبح صدام وليس جابر وديناره ليس كويتياً وان عليه قبل السفر مراجعة المخابرات والحصول على موافقة سبعاوي او علي حسن المجيد.



وحاولوا الاستفادة من الولايات المتحدة التي لم تخف رغبتها في الحلول محل النفوذ البريطاني[1].

وفي هذا السياق، قرأت كل وثائق الخارجية البريطانية المنشورة، وكذلك الملفات الكثيرة الموجودة في الخارجية العراقية عندما كنت وزيراً لها. وبضمير مرتاح استطيع ان اقرر ان نوري السعيد كان وطنياً وكذلك فيصل الأول.

---

١ ـ استدرج الأمريكيون العراقيين اكثر من مرة لغزو الكويت او لخلق أزمة تسمح بتدخلهم السافر. ولم ينجحوا عملياً الا مع الحكومة العراقية القائمة مستغلين خصال الجهل والاستهتار والفردية المميزة لقراراتها. فقد نشرت مجلة البلاد مباشرة بعد غزو الكويت ١٩٩٠ خبراً قالت انه ورد في وثيقة سرية محفوظة في مكتبة الكونكرس الامريكي ـ والعهدة على المجلة وعلى الأستاذ علي الشوك الذي نقلت عن مقالته المنشورة في جريدة الحياة اللندنية في ١٩٩٢/٣/١، وتقول الوثيقة : "ان واشنطن رتبت لقاءً سرياً بين نوري السعيد وجون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة من احل البت نهائياً بشأن موضوع الكويت، وحددت الولايات المتحدة موعد اللقاء بـ ٢٤ تموز ١٩٥٨... لكن ثورة تموز وقعت وانتهى الأمر". اما لماذا ورد موضوع الكويت بين الطرفين ؟ فتجيب الوثيقة : لان "نوري السعيد اتصل بواشنطن في أواسط حزيران ١٩٥٨ أي قبل الثورة بشهر واحد طالباً منها المعونة، فقال له المسؤولون الأمريكان: "ضُمّوا الكويت إليكم فلديها الموارد المالية . . . ".
ومما يؤكد ذلك ان نوري السعيد وجّهَ في أواخر أيامه إلى السفير البريطاني قائلاً : "لقد تجاوزت السبعين من عمري وثابرت طول هذه المدة على سياسة واحدة لم انحرف عنها، وهي الصداقة المتينة معكم لاعتقادي ان مصلحة بلدي تستوجب صداقتكم (....) غير اني احد انكم تعاملون خصومكم افضل بكثير مما تعاملون اصدقاءكم."[13].
ويوجد اكثر من مؤشر يؤكد التشجيع الامريكي لإثارة الأزمة بين العراق والكويت، فقد ساهم بعض المتعاطفين مع النفوذ الامريكي داخل أروقة الدولة العراقية بتشجيع الملك الشاب "غازي" على مهاجمة أمير الكويت مباشرةً والإنكليز بصورة غير مباشرة من إذاعة نصبها في القصر الملكي بلغة تتحدث عن التنوير وتنتقد الرجعية والأساليب القديمة، وهو نفس النقد الذي اعتادت الادارة الامريكية على توجيهه للاساليب الاستعمارية الانكليزية.
وفي ١٣ تموز ١٩٩٠ تحدث انتوني كوردسمان (خبير في مجلس الشيوخ الامريكي) في الندوة التي نظمها مركز دراسات الخليج في اكستر عن سيناريو هجوم عراقي على الكويت، فقال : "إذا قررت الولايات المتحدة مواجهة العراق بسبب الكويت فانها تحتاج إلى أسبوعين على الأقل، وان القدرة العسكرية الامريكية في المنطقة لمواجهة هجوم العراق تفتقر إلى مقومات تجميع قوات رئيسية" لكنه اعتبر "ان تحقيق نجاح امريكي يظل غير مضمون في حالة مواجهة عسكرية كاملة مع العراق. ولذا سيظل امل الولايات المتحدة في ان تنسحب القوات المهاجمة من الكويت نتيجة لمفاوضات سياسية، وكذلك بالضغط على بغداد عبر وقف صادرات النفط العراقي"، واوضح كوردسمان "ان تقويماته وتقديراته مبنية على أساس مقابلات اجراها في المنطقة وفي واشنطن ولندن . . . انتهى" ومن الواضح ان كوردسمان بالسيناريو الذي كتبه يريد ان يحث صدام حسين على غزو الكويت، بل ورسم له سيناريو ما بعد هجومه المحتمل على الكويت. وبدلاً من السيناريو الحقيقي المبيَّت يقدم له سيناريو الخديعة وطعم المغفلين الذي ابتلعه صدام حسين فأدخل العراق في جحيم لا نهاية قريبة له.
وقبل ثلاثة أيام من غزوة صدام حسين لدولة الكويت أدلى وكيل وزير الخارجية الامريكي جون كيلي بشهادة أمام الكونكرس، وحينما سأله أحدهم : ماذا سيكون رد فعل امريكا إذا غزت القوات العراقية الكويت ؟ أجاب : اننا لا يمكن ان نجيب على افتراضات. وعندما ألحّوا عليه، قال : ليس لدينا معاهدة دفاع مشترك مع الكويت !![14].

مراجع:

[1] راجع: حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق.

[2] عزيز الحاج، داكرة النخيل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٢، صفحة ١٨.

[3] حسان عاكف حمودي – الثقافة الجديدة – العدد ٢٧٤ ص ١١.

[4] حسن العلوي، اسوار الطين، م س. وابراهيم علاوي، المقايضة. وخليل ابراهيم حسين، ثورة الشـــواف (موسوعة ١٤ تموز)، مصدر سابق، جزء ١ صفحة ١٥٧.

[5] حلال الطالباني، محاضرة القاها في ٢ أيار ١٩٩٠ بمعهد الشؤون الدولية بلندن.

[6] سعد البزاز، حرب تلد اخرى ، الاهلية للنشر، عمان ١٩٩٢.

[7] حسن العلوي، اسوار الطيين، م س.

[8] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، ص ١٣٠.

[9] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٩٨.

[10] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٦٤،٢٧٨.

[11] خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط ص ٢٨٥.

[12] سعد البزاز، حرب تلد اخرى، مصدر سابق.

[13] علي الشوك، حريدة الحياة، ١٩٩٢/٣/١ في سياق نقد لكتاب المقايضة للاســـتاذ ابراهيــم عــلاوي (نجم محمود).

[14] خبر اذاعتـــه، اذاعة صوت امريكا الناطقة بالعربية وإذاعات عربية كثيرة بنفس فترة الحدث.

القضية الكردية ١٩٦٣

سؤال: نريد معرفة موقفكم الحقيقي من الكرد والقضية الكردية؟

طالب الشبيب: من الصعوبة فهم أو تفهم موقف التيار القومي، والبعث بشكل خاص من هذه القضية. فقد كان مفهومنا العام للأكراد: أنهم قومية نازحة إلى الأرض العربية، جاءت لتحل ضيفاً على العرب في بلادهم. و لم تكن الحقيقة كذلك، و لم يكن الأكراد كالأرمن أو الأتراك أو غيرهم من الجماعات التي اضطرت نتيجة الصراعات والحروب، وبسبب الاضطهاد العثماني القومي والمذهبي، إلى النزوح والعيش على الأراضي العراقية. فالأكراد قومية أصيلة في وجودها في العراق، وعاشت قبل العثمانيين بفترة طويلة جداً، بل قبل بعض الهجرات العربية إليه[1].

هناك إذن مسؤولية عربية في الجهل ، ومسؤولية كردية في عدم التعريف. ويؤسفني أن أقول إن الأكراد أضروا بأنفسهم وبمصداقيتهم بسبب التبعية السياسية والتبعية الفكرية الحديثة. فقد ربط أول وأكبر حزب قومي كردستاني حديث (البارتي) نفسه بمرجعية محلية ودولية بإعلان نفسه حزباً ماركسياً لينينياً (ستاليني المنحنى) . ووثق ذلك في دستوره، وأصبح بسببه ذيلاً تابعاً للحزب الشيوعي العراقي، رغم الخلافات والصراعات الشرسة التي كانت تحصل بينهما بين حين وآخر في عهد عبد الكريم قاسم وربما قبله. وهذا ما كنا نجهله ولا نعرفه، فقد نظرنا للبارت باعتباره فرعاً من فروع الحزب الشيوعي خصوصاً بعد إن اتفق الطرفان على اضطهاد القوميين العرب في أعقاب ثورة الشواف، وهذا ما يعترف به أغلب زعماء الثورة الكردية الذين التقينا بهم داخل العراق وفي المنافي فيما بعد[2].

---

١ ــ وهناك كتابات تاريخية محققة وتحذرات تؤكد أن الأكراد كانوا موجودين في المنطقة الشمالية من العراق حتى قبل وصول الاسكندر المقدوني لبابل وأربيل، بل فقد قاتل الأكراد الاسكندر ولهم معه حادثة طريفة ومشهورة جداً في جبال كردستان في طريقه من إربيل إلى برسي بولس (شيراز) الإيرانية. و لم تكن مسألة الأصول التاريخية للأمة الكردية مفهومة بوضوح أو مدروسة جيداً من قبل المثقفين الأكراد حتى وقت قريب، وساعد في ذلك غموض المعطيات واختلاف الادعاءات التاريخية حول أصول الأكراد.

٢ ــ لاشك أن تعاوناً قد حصل على مستوى أحداث الموصل بين الكرد والشيوعيين، فقد ورد في صحيفة اتحاد الشعب العلنية الناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٥٩/٣/١٨ إشارات عديدة تؤكد تعاونهما في قمع حركة ←

وهكذا اختلطت الرؤيا وتماهى ما هو كردي وما هو مؤيد للحزب الشيوعي ولعبد الكريم قاسم، وتداخل اللونان تداخلاً شبه تام، رغم أن التيار القومي حاول أن يتفهم القضية الكردية بوجه سليم. وبالفعل فقد نجح علي صالح السعدي قبيل ثورة رمضان بعقد أول لقاء "رسمي" بينه وبين صالح اليوسفي، حيث اتفقا على بعض الأمور. وقد أبلغ اليوسفي الملا مصطفى البرزاني بوعده الأخير بأنه سيكون أول المؤيدين إذا ما تمكن البعث من إسقاط عبد الكريم قاسم، وسيتم وقف إطلاق النار المتبادل بين الجيش العراقي وقوات البيشمركة الأكراد. وجاء ذلك في الاتفاق بعد أن اتضح لقيادة البعث بأن الأكراد ليسوا بالضرورة ذيلاً للحزب الشيوعي أو لعبد الكريم قاسم، بل أن أجهزة عبد الكريم قاسم بدأت تضطهد الشيوعيين والتضييق على البارت، وحصلت صراعات فعلية بين البارت والحزب الشيوعي، وتلك التطورات مهدت لإعادة تقويم الموقف وللاتصال بيننا وبين الأكراد[1].

الشواف والعناصر القومية، فقالت " كان وجود المناضل البرزاني في كردستان أثناء حدوث تمرد العصاة الخونة (زمرة الشواف) ذا أثر كبير في اندفاع الأكراد للمساهمة في قمع العصيان".
كما أصدر الحزب الديمقراطي الكردستاني بياناً يدعو فيه أكراد الموصل للخروج إلى الشوارع والدفاع عن أنفسهم ضد "الشوفينية".

١ ـــ لم يكن في ذهن عبد الكريم قاسم ولا بذهن كل العسكريين القادمين من الثكنات إلى السلطة، أي تصور عملي أو نظري لحل القضية الكردية على أسس قانونية أو فلسفية، بل اعتقد جميعهم أن المشكلة كلها تكمن في حسن النوايا، ولذلك اعتمدوا شعارات الأخوة والشراكة الوطنية والمساواة في المواطنة، دون اهتمام جاد للمطامح القومية الكردية من لغة وثقافة وتسيير ذاتي.... الخ.

وفي المقابل لم تطرح القيادة الكردية ممثلة بزعامة البرزاني بعد أية مطالب محددة غير عنوان عام أطلقت عليه اسم " الحكم الذاتي" بلا تحديد لمضمونه . ولذلك كان الصراع مع عبد الكريم قاسم كما يبدو ، مجرد محاولة لإعلان النيات، سعى كل طرف لاتهام الآخر: أن لا يتمادى في مطالبه وأحلامه. وكانت تلك أشبه بمحاولة لَيْ اذرع أكثر منها معركة بين عدوين يقسيان على بعضهما، حتى أن قاسم أوعز في الشهرين الأخيرين قبل سقوطه إلى الجيش أن يكف عن القتال ضد الأكراد ما لم يبادروا إلى إطلاق النار، ومدد فترة وقف إطلاق النار شهراً آخر[1]. وإذا كانت القيادة الكردية لم تقدم أية مطالب واضحة وشاملة إلا بعد سقوط قاسم، فإن الحكومة المركزية أيضاً لم تقدم أي مشروع للتفاهم إلا في عام ١٩٦٣ من قبل حزب البعث وسمي بمشروع "اللامركزية" بعد أن حققت المفاوضات "في بدايتها" تقارباً كبيراً استند إلى مواقف إيجابية متبادلة، فأصدرت الحكومة قرارات بإطلاق سراح السجناء الأكراد ورفع الحصار الاقتصادي ، في حين أرسل البرزاني برقية تأييد، وساهمت "عناصر من البارت في انقلاب ٨ شباط ولا سيما في القوة الجوية بتعطيل الطائرات في معسكر الرشيد"[2]. كما أوحى قتال الحكومة ضد الأكراد، للبعث والكرد أنهما قاتلا عدواً واحداً مشتركاً .

وإذا كان قاسم قد تورط في القتال ضد الحركة الكردية التي ساعدت على إطاحته، فإن الأكراد بدورهم انغمسوا بسرعة في صراعات تصوروا أنها ستساعدهم على الوصول السريع إلى أحلامهم البعيدة. فباشروا منذ ١٩٦٠ عبر جريدتهم خه بات ، بالمطالبة بكل شيء مما أجج ضدهم تركيا وإيران، واضطر قاسم لإحالة الجريدة على التحقيق[3]. وابتدأ بذلك صراعهم المكشوف مع ثلاث دول وثلاث أمم شرق أوسطية مهمة هي الفرس والترك والعرب. وأرسلت
←

وبعد أسبوعين من ٨ شباط جاء إلى بغداد وفد كردي ضم جلال الطالباني وصالح اليوسفي ولقمان البرزاني وآخرين. وعقدت بين قيادة البعث وبينهم اجتماعات لم تأخذ شكل المفاوضات الرسمية، بل على صورة لقاءات وتبادل آراء شارك فيها علي صالح السعدي وحازم جواد وأنا (طالب شبيب) وصالح مهدي عماش، واتفقنا على إعلان بشأن نظام اللامركزية وإخراجه علناً إلى الرأي العام العراقي والعربي. وقد كنا في حقيقة الأمر نخشى التوسع في مضمون الإعلان رغم إيماننا وإرادتنا على الاتفاق والسلام، وأول ما كنا نخشاه جراء ذلك، هو رد فعل الدول المجاورة، وثانياً رد فعل الرأي العام العربي والبعثي والقومي والعراقي، لعدم تهيئتهم إلى تقبل الأطروحة الجديدة التي كنا نرغب أن تكون أوسع مما أسميناه باللامركزية.

وأذكر أن المرحوم علي السعدي، وكنا نؤيده بذلك، قال للمفاوضين الأكراد: "إنكم أقرب الناس إلينا، لأنكم تشكون الهم القومي الكردي، كما نشكو نحن الهم القومي العربي. نحن مجزأون بحكم الاستعمار وأنتم مجزأون أيضاً، ولا بد أن يكون كل منا حليفاً للآخر تاريخياً ومصيرياً. وما اتفقنا عليه الآن يجب أن يتفق مع الظروف الإقليمية والعربية والعراقية. أما ما يمكن أن يتمخض عن وفاقنا في المستقبل فهو أكبر من ذلك بكثير".

إيران وتركيا بعد شهرين من رحيل قاسم ضباط اتصال ومراقبة أقاموا في شمال العراق بموافقة الحكومة العراقية وحمايتها، فأغلقت الدول الثلاث أية إمكانية قريبة لتحقق الأحلام والمطامح الكردية. ويستطيع المراقب أن يلاحظ أن المنطقة الكردية لم تستقر منذ أن طوّر البرزاني بمساعدة مثقفين أكراد مطالبه ذات الطبيعة الإنسانية البسيطة إلى مطالب قومية عامة، وجاء أول رد عملي مباشر من قبل الجيش الإيراني ثم الجيش العراقي الذي شن هجوماً ضد الأكراد بقيادة الجنرال الإنكليزي " رنتن" وقامت الطائرات الإنكليزية في منتصف ١٩٤٥ بقصف المنطقة بعنف[4].

وبسبب الحظ أو بغيره لم يحقق الأكراد رغم صدقهم وشجاعتهم أية نجاحات عندما هبت الرياح القومية التحررية على شعوب الشرق، بل ذهبوا ضحية موازين القوى الإقليمية والعالمية. كما أنهم لم يكونوا مستعدين لقطف الثمار، وربما حالت الأتاتوركية دون تمكنهم من بناء أمة ووطن واحد، فتقسموا بين عدة بلدان واضطروا لتشكيل أحزاب قطرية ترفع مطالب محدودة، وحرموا لاسيما في تركيا ، من أبسط الحقوق. وكان أول انفتاح كبير عليهم تحقق مع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الذي أتاح لهم إطلالة قوية على العالم، فتقدمت حركتهم وعياً وتنظيماً في العراق على مثيلاتها في تركيا وإيران.

ورغم أن الكرد رحبوا بالوسطاء المحايدين مثل محمد سلمان حسن (وزيرا لنفط) وحسين جميل وغيرهم، لكنهم رفضوا وسائط الحزب الشيوعي إثر اجتماع عبد اللان التي تقع بين السليمانية ودوكان ، وقد وضع الشيوعيون شروطاً بينها ضرورة استسلام الحركة الكردية وتسفير بعض قادتها إلى الدول الاشتراكية بعد تحميلهم مسؤولية اندلاع القتال لأول مرة ، ومقابلها يعطي قاسم فرصة كافية للقيام بإصلاحات تصب في منفعة الشعب الكردي، واعتبر الأكراد تلك الشروط محاولة من الحزب الشيوعي لكسب ود قاسم على حسابهم، وهذا وحده ـــ كما قال لي شمس الدين المفتي ـــ كان سبب رفض وساطتهم. ولم تتوقف الوساطة إطلاقاً من أجل مساعدة البعثيين في مسعاهم لإضعاف قاسم وإسقاطه. ويقول الأكراد أنهم عندما رفضوا تلك الوساطة لم يكونوا قد سمعوا عن رغبة البعثيين في القيام بانقلاب عسكري، بل أنهم سمعوا دعوات الشيوعيين إلى وجوب ملء الفراغ التدريجي وصولاً للسلطة.

وكنت معجباً جداً بجلال الطالباني لأنه أدرك المعنى العميق لما نطرحه، ولم يكن في البدء مصدقاً وقال لي بعد سنوات طويلة أنه فوجئ بمستوى وعي شباب البعث وتفهمهم للمطامح القومية للشعب الكردي القريبة والبعيدة، والتي هي مطامح نافذة في الوجدان الكردي، فكيف إذا وجدت نظيراً لها في الوجدان العربي، فأي نصر سيكون في هذا للجهتين إذا أمكن تحقيقه؟

وعلى أساس ما تقدم ولأن الملا مصطفى البرزاني أبرّ بوعده فأرسل بعد إعلان حركة ٨ شباط برقية تأييد مبكرة[1]، اصطحبنا جلال الطالباني وفؤاد عارف ضمن الوفد الشعبي والحكومي العراقي للتهنئة بعيد تأسيس الجمهورية العربية المتحدة في ٢٣ شباط ١٩٦٣، وضم الوفد كل الفئات والتيارات الأساسية للمجتمع العراقي.

وفي أول جلسة رسمية مع جمال عبد الناصر قال لنا: إن الطالباني وفؤاد عارف أعربا عن رغبتهما في اللقاء به، وطلب منا أن لا نتورط في حرب أهلية، وأن لا نستعيد عبد الكريم قاسم في أشخاصنا، وأن لا نخضع لتراكمات الماضي، لأن واجباتنا القومية أوسع بكثير من القضية الكردية، وإن حركة القومية العربية بسعتها وشمولها بإمكانها أن تستوعب كل مطالب الأقليات القومية الموجودة في الوطن العربي. وأن تجد لمشاكلها حلولاً سلمية. وقال أن الأكراد طلبوا اللقاء بيّ منفردين ولم أعطهم جواباً قبل أن أسمع رأيكم. قلنا: لسنا موافقين فقط، بل نرجو أن تفعل ذلك وتستمع إليهم، بنفس الطريقة التي تستمع فيها إلينا بصدرك الواسع المعروف.

---

١ ـ أرسل "البارت" إلى مجلس الثورة برقية نصها " إن ضربات الشعب الكردي تلاحمت بالثورة المجيدة على العدو اللدود للقوميتين الشقيقتين العربية والكردية وبقية الشعب العراقي على الجلاد الأوحد لشعبنا الكردي المسلم وعلى أوكار الخيانة الملطخة بعار دماء شهداء الشعب وقواته المسلحة وكوارثهم وويلاتهم.". التوقيع: صالح اليوسفي، فؤاد عارف (مستقل).

وكان سلام عادل قبل مقتله بأيام قد كتب رسالة يقول فيها " إن القوميين الأكراد حاربوا قاسم بصورة عمياء، طالبوا العون والمساعدة من أية جهة لإسقاط قاسم، وغازلوا القوميين العرب اليمينيين وتعاونوا معهم، وتصوروا بأن انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ كما لو كان انتصاراً لهم، إن هذه السياسة تنم عن ضيق الأفق القومي وقصر النظر البورجوازي، إنهم يجابهون الآن عدواً أشرس من قاسم. أن مطامح الشعب الكردي تتعارض مع أهداف الانقلاب على خط مستقيم تماماً". وكانت جريدة نيويورك تايمز قد نشرت مقالاً بقلم دانا شميدت يقول فيها " إن الملا مصطفى البرزاني رعيم الثورة في جبال المنطقة الشمالية يطلب الآن المساعدة الأمريكية بإلحاح وإصرار، وهو يعرض لقاء ذلك الإطاحة برئيس الوزراء العراقي اللواء قاسم وبتحويل العراق إلى أقوى حليف للغرب في الشرق الأوسط"، وقال أن الحكومة الأمريكية أجرت في نهاية ١٩٦٢ مفاوضات سرية مع الحكومة الإيرانية لحملها على تأييد حركة التمرد ومساعدة المتمردين بالأسلحة"[5]، وكان ذلك قد تزامن مع تصاعد المعركة بين قاسم وشركات النفط حول القانون رقم (٨٠). ويذكر أن تفاهم الحركة الكردية مع البعث ومجلس الثورة لم يدم طويلاً، ولا يبدو أن الحكومة كانت تأمن جانب الأكراد، لأن عماش بدأ يبحث عن السلاح بكل الوسائل منذ البداية، وكان عذره أن يتمكن من الرد بشدة إذا ما تمرد الأكراد مجدداً، كما أن الحركة الكردية آوت في الجبال الشيوعيين الهاربين من جحيم المطاردات في بغداد وبقية المحافظات.

ورجوناه أن يحاول إفهام الأكراد أن لا يضغطوا على نظامنا الجديد بمطالب غير معقولة أو تقع خارج قدرتنا على تحقيقها الآن، وإبلاغهم بأننا كقوميين عرب سنكون معهم على دول الخط[1].

وكان عبد الناصر ينظر للعراق كورقة ضغط على حلف السنتو بما في ذلك تركيا وإيران (الشاه) بالذات، وينظر إلى حكومات تلك الدول على أنها عدوة لأماني الأمة العربية في تحقيق وحدتها، ولذلك يرغب للعراق أن يكون موحداً، وقد اجتمع مع المبعوثين الكرديين الطالباني وعارف وأبلغنا بضرورة التعامل معهما ومع الملا مصطفى بنفس طويل وحكمة وبعد نظر، وقال: "أنا أرى فيكم أنتم الشباب العرب الثوار نفس ما أراه في جلال الطالباني!" . وتكونت لدي في الحقيقة نفس الفكرة عن شخصيته ورأيته محباً للمعشر، ذكي ومتوقد الذهن، غير معقد من العرب والعروبيين، بالقدر نفسه الذي كان فيه مخلصاً لقضيته القومية.

وما زلت بعد مرور السنوات أرى أن الأمر لم يتغير، فليس هناك تناقض ما بيننا وبإمكان مسعود البرزاني أو جلال الطالباني أن يدافع أي منهما عن القضايا القومية العربية بنفس المستوى الذي يدافع به عن القضية الكردية، وربما بنفس الحماس والمراس والتجربة التي يقوم بها مناضل عربي في الدفاع عن مأساة الشعب الكردي ومعاناته الطويلة.

الاحتكام للقوة مرة أخرى

انتهت المحادثات بين حزب البعث وقيادة الحركة الكردية ممثلة بالحزب الديمقراطي الكردستاني. وقد نجحنا في إشعار الحركة الكردية برغبتنا كحزب في حل القضية، وأصدرنا قراراً برفع الحصار وعفواً عن السجناء المعتقلين والأكراد. كما وضعنا خطوطاً أساسية لنظام اللامركزية لتكون قاعدة للتفاوض مستقبلاً[2]

---

١ ـــ ويذكر أن محمد حسنين هيكل نشر في " سنوات الغليان" ص ٩٣٣ صورة عن رسالة عبد الناصر إلى المشير عامر في اليمين يقول فيها " قال لي الأكراد بعد أن قابلتهم منفردين، أنهم لا يثقون في أي وعود من الحكومة إلا إذا ضمنت شخصياً تطبيق هذه الوعود، وهم يطالبون بالحكم الذاتي، وقد أوقفوا القتال بعد قيام الثورة، وكان لهم اتصال مع رجال الثورة قبل قيامها، وأخذوا وعوداً والملاحظ أن الحكومة تتهرب".

٢ ـــ تضمن إعلان اللامركزية التي ساهم شبيب بشكل أساسي في صياغته: أولاً: الاعتراف بحقوق الأكراد ضمن خطة لا مركزية يتضمنها الدستوران المؤقت والدائم عند وضعهما. ثانياً: العفو العام عن المحكومين والمعتقلين لتعاونهم مع الثورة الكردية. ثالثاً: تغيير الموظفين الإداريين الذين لهم مواقف عدائية تجاه الشعب الكردي في المنطقة اللامركزية. رابعاً: إلغاء جميع الأوامر القاضية بمصادرة ممتلكات الأكراد الذين اشتركوا في الثورة الكردية. خامساً: رفع الحصار الاقتصادي عن كردستان. سادساً: سحب الجيش إلى مواقعه ومقراته السابقة. واصدرت الحكومة بياناً قالت فيه " لما كان من الأهداف الرئيسية لثورة رمضان إقامة نظام حديث يستند إلى أفضل الأساليب الإدارية والحكومية، ولما أثبت أسلوب اللامركزية أنه مفيد، فإن الثورة إذ تتصرف على أساس المبادئ الثورية التي أعلنت في بلاغها الأول والتي تنص ←

لكن التطورات اللاحقة أظهرت أمرين، أثار أحدهما علي صالح السعدي وهو إيواء الشيوعيين الهاربين من بغداد في كردستان. والثاني: عدم توقف الحملة الإعلامية والسياسية السوفيتيية الخارجية المتعاونة مع أعلام الحزب الشيوعي ضد السلطة المركزية في بغداد انطلاقاً من كردستان. وقد تجلى التعاون بين الشيوعيين والبارت عندما طلبنا من الوفد تقديم مذكرة بالمطالب الكردية للتفاوض عليها وإقرار ما نتوصل إلى اتفاق بشأنه، فقدموا إلينا مطالب ستؤدي إذا ما أخذنا بها حتماً إلى خلق دولة داخل الدولة . فإن الأسس المبدئية لكيان أية دولة تتجلى في وحدة قواتها المسلحة ووحدة سياستها الاقتصادية والخارجية. في حين تضمنت المذكرة الكردية طلباً بتحديد تواجد وتمرينات وإجراءات الجيش العراقي في المنطقة العربية فقط، وأن يحدد تواجد قطعات الجيش وتدريباتها في المنطقة الشمالية بموافقة السلطات الكردية المحلية، حتى لو كان ذلك التواحد بدعوى حماية الحدود العراقية، وذلك يعني وجود سياستين وطنيتين في بلد واحد، ويعني أن الجيش لم يعد مسؤولاً عن حماية الحدود ولا يستطيع أن يهيمن على كامل الأراضي العراقية والدفاع عنها بوجه أي معتد أجنبي. وكان هذا في حال تطبيقه سيسبب شرخاً في بنية الدولة.

أما الشرخ الثاني فهو مطالبة الأكراد بتوزيع كافة وظائف ومناصب الدولة بما فيها الخارجية على الأكراد والعرب بما يتناسب مع نسبتهما السكانية، أي يكون لهم ٢٠ % من وظائف الدولة بغض النظر عن الأهلية والكفاءة. وعلى سبيل المثال فإنهم لو حصلوا على ما يطالبون به في وزارة الخارجية فستكون لنا سياستان مع الخارج، لأن تبعية الموظفين الأكراد ستكون للحركة الكردية التي ستتمسك بدورها في تسميتهم.

الشرخ الثالث: طالبوا بحصة من النفط مساوية لنسبتهم السكانية، وقالوا بمذكرتهم إنهم سيتصرفون بالعوائد بحسب ما يرتأون، وبذلك ستكون للعراق سياستان اقتصاديتان، وكأن البلد قد جزيء وشُطر مسبقاً، وهو أمر ليس مقبولاً أو معقولاً. ومن الأفضل لكردستان أن تستقل عن العراق وتترك الباقي جسماً سليماً. أما إصابته بمرضين: مرض التجزئة ومرض التداخل (دولة داخل دولة، وميليشيا "بيشمركة" موازية للحرس القومي) وذلك شر مستطير.

وللأسف الشديد فاوض الأكراد استناداً إلى أهدافهم البعيدة النهائية و لم يكونوا واقعيين[1].

على تعزيز الأخوة العربية الكردية، وعلى احترام الحقوق القومية للشعب الكردي والأقليمات الإقليمية، فإنها توافق على منح الحقوق القومية للشعب الكردي على أساس اللامركزية، وأن ينص على هذا في الدستورين المؤقت والدائم عند إعلانهما، وستشكل لجنة لتضع الخطوط العريضة للامركزية "[7]. وعندما شكلت اللجنة، فيما بعد، لم يخفِ الأكراد تبرمهم لعدم وضع أي كردي في عضويتها.

١ ـــ يقول د. محمود عثمان " لم نكن نتوقع من حزب البعث حينذاك أن يعترف بالحقوق الكردية الأساسية كما نريدها نحن. إلا أن الحرب مع قاسم أنهكت الشعب الكردي، وكان الناس بحاجة إلى فرصة وهدنة. وفي المقابل كان ←

و لم يفهموا المبادئ الأساسية لكيان الدولة الموحدة. فقلنا لهم إذا كنتم تريدون الاستقلال يمكنكم طرحه وعلينا مناقشته، أما أنكم تطرحون مطالب ليس بينها الاستقلال لكنها تؤدي إلى انقسام الدولة وتحول العراق إلى كيان مريض فهو أمر لا نقبل به.

ولذلك لم يكن هناك مجال للرد على مذكرتهم ولا مخالفتها، واكتفينا بعدم قبولها. وقد اعترف لنا المفاوضون الأكراد في نهاية الأمر أن مطالبهم لم تكن تصلح كقاعدة واقعية للتفاهم [1]. وحينها لم نكن

البعث أيضاً بحاجة إلى مثل تلك الهدنة لكونه ضعيفاً ، وجاء إلى الحكم حديثاً. و لم تجد القيادة الكردية ضرراً من إجراء محادثات معه وإعطاء فرصة السلام بدل الحرب التي استمرت منذ عام ١٩٦٠. وحينذاك كانت علاقتنا (البارت) مع الشيوعيين متوترة بسبب مساندتهم لقاسم حتى لحظة سقوطه، ولوجود خلافات شديدة بين البرزاني ومكتبه السياسي ولانعدام الوحدة داخل القيادة الكردية جعلنا في حاجة للهدنة والوقت للمراجعة والترتيب.. ".

ويضيف د. عثمان " لم تكن مفاوضات البعث معنا جدية، إنما خطوة تكتيكية لكسب الوقت والاستعداد ، قبل شن أشرس حرب واجهها الشعب الكردي، فالبعثيون كانوا مقتنعين أن قاسم لم يُدِر الحرب بجدية. وحينها عانينا من التبعيث والتهجير وحرق القرى، و لم نلمس على ارض الواقع أية إيجابيات ، وكانت فترة حكمهم القصيرة سلبية لنا ولحزب البعث ولشعب العراق وللحركة التحررية العربية، وكنت أود لو أن سلطة صدام حسين استفادت من التجربة السالفة ولكن ذلك لم يحصل.."[8]، ويقول الأستاذ شمس الدين المفتي إن المذكرة الكردية التي رفضتها حكومة ٨ شباط ١٩٦٣ لم يكن فيها ما يُرفَض، فقد عرضت مطالب بسيطة، تم شرحها من قبل جلال الطالباني وتضمنت "مطالب بتحويل البيشمركة إلى شرطة حدود لتأهيلها والاستفادة منها. وبتدريب جنود الخدمة الإلزامية الأكراد في المناطق الكردية وليس بمناطق بعيدة كالبصرة والناصرية. وبتثبيت مسبق للمناطق التي ستجري فيها فرضيات وتدريبات الجيش وإعلام القيادة الكردية بزمان حصولها، حتى لا تتحول إلى وسيلة للتوتر أو المناورة واحتلال جديد للمنطقة الكردية، إذ أن الجيش اعتاد قبل هجماته التذرع بفرضيات تدريبية. و لم تتضمن المذكرة أي شيء حول تحويل البيشمركة إلى جيش يحل محل جيش الدولة"[9]. ويذكر أن المطالب المذكورة أقرها مؤتمر البارت المنعقد في آذار ١٩٦٣ بكويسنجق، وفي مقابلها أنجزت السلطة وثيقة اللامركزية في ١٩٦٣/٦/١ أي قبل أيام من تجدد القتال، ويمكن حول هذا الأمر مراجعة ش . ج . أشيريان، الحركة الوطنية الكردستانية في كردستان العراق ، بيروت ١٩٧٥، وتقول بعض المصادر أن الأكراد طالبوا في مصر خلال محادثات الوحدة في ٧ نيسان ١٩٦٣ بمطالب ذات طابع سياسي وإقليمي وعسكري ومالي في حالة قيام وحدة عربية سورية عراقية ومصرية. واعتبرتها الحكومة العراقية تعجيزية وتخدم مصالح الدول الأجنبية.

١ ـــ بعد رفض البعث المذكرة الكردية توترت الأجواء وارتسمت مؤشرات الحرب في الأفق، رغم أن المفاوضات بذاتها كانت ودية وناجحة، لكن خفايا وعقداً كثيرة عرقلت استمرارها ، فسافر الطالباني إلى القاهرة ليشكو عبد الناصر من جمودها، ويطلب وساطته لتحريكها. وبسبب اندلاع القتال لم يعد إلى بغداد بل سافر إلى فرنسا ثم عاد إلى كردستان عبر طهران. أما بقية الوفد الكردي المفاوض ، فأوصلته الحكومة إلى كركوك أملاً في السفر إلى السليمانية لتدارس الأمر مع الملا مصطفى ومراجعة أو تغيير بعض المطالب، لكن أوامر صدرت من وزير الدفاع صالح مهدي عماش باعتقالهم وإعادتهم إلى بغداد، وهناك أُخضعوا للتحقيق وظل اليوسفي يعاني من نتائجه حتى وفاته. وضم الوفد الكردي المفاوض إضافة إلى جلال الطالباني كل من اليوسفي ومسعود محمد، و حبيب محمد كريم، وإحسان شيرازد ن والعميد مصطفى عزيز الذي تعاون فيما بعد مع الحكومة المركزية.

وفور اندلاع القتال قدم الوزيران الكرديان بابا علي وفؤاد عارف استقالتيهما إلى أحمد حسن البكر بعد أن سعى فؤاد عارف لرأب الصدع في محاولة أخيرة واتصل بالبكر وطاهر يحيى وطالب شبيب.

←

راغبين بأي تغيير للطاقم المفاوض لأن تفاهمنا على طاولة المفاوضات كان كبيراً وقد نجح جلال الطالباني وحاز على رضانا ورضى الملا مصطفى البرزاني. وهذا كان أسلوبنا معهم قبل الثورة أيضاً فلم تكن لنا اية قناة أخرى رسمية للاتصال بهم غير قناة (السعدي ـــ اليوسفي) ولم نسعَ لتجاوز أو إزعاج البرزاني بالاتصال بغيره، حتى لو كان ذلك الغير هو المكتب السياسي، وكنا نعرف أنه رجل ملتزم ولا يحب المناورة والخداع، فضلاً عن أن تعدد القنوات كان سيضر بسرّية العمل ويعرضنا لخطر الانكشاف للأجهزة الأمنية القاسمية.

أما الأستاذ إبراهيم أحمد، فقد شارك بشكل جاد في المباحثات والاتصالات والمساعي ضمن الوفود التي استمرت جيئة وذهاباً بين مقر البرزاني في "حاج عمران" وبغداد. ولم نكلف طاهر يحيى التكريتي قبل استلام السلطة بالاتصال بإبراهيم أحمد أو البرزاني، ولم يكن يحيى يمتلك مثل هذه الصلاحية ولا القدرة على كتابة سطر واحد (أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء) ، ولم ينتسب لحزب البعث إلا قبل أيام معدودة من ٨ شباط، وكان يتصل بأحمد حسن البكر، ولم يحضر أي اجتماع حزبي إلا صباح يوم اندلاع الثورة، قبل تنفيذها بساعات [١].

ومرة أخرى تجد الخلافات العربية ـــ الكردية في العراق طريقاً وأسباباً لتصعيدها. ولعل عدم

ويرى الأستاذ شمس الدين المفتي أن القيادة الكردية لاحظت ابتعاد الخطين المدني والعسكري لحزب البعث عن بعضهما، خط علي السعدي والقيادة المدنية عن خط عبد السلام عارف وبعض الضباط القوميين كفرحان وصبحي عبد الحميد يساندهم البكر وعماش ورشيد مصلح وطاهر يحيى وحردان التكريتي ، ذلك الخط الذي استخدم لأول مرة سياسة الأرض المحروقة ضد الأكراد العراقيين.

١ ـــ يرى الدكتور محمود عثمان (عضو مكتب سياسي للبارت ومستشار للبرزاني، ومؤسس للحزب الاشتراكي الكردي)، إن هناك اتصالات كثيرة قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ بينها اتصال علي السعدي بصالح اليوسفي، لكن أهم اتصال كان بين البعث والمكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني وسكرتيره إبراهيم أحمد ع/ ط طاهر يحيى التكريتي برسالة نقلها المقدم كريم قرني (كردي) . ويضيف: لا أستغرب عدم معرفة الشبيب بذلك لأن الخط العسكري للبعث والضباط القوميين كانوا ناشطين هناك، وقد يكون البكر وعماش يعلمون بذلك الاتصال، أو ربما يكون الأمر قد تم بتكليف خاص من السعدي للبكر ومن البكر ليحيى ويحيى لقرني. لكن المكتب السياسي استلم الرسالة التي تحدثت عن الانقلاب القادم، وهذه حقيقة مؤكدة. ويضيف د. عثمان: " نحن كأكراد كنا نلمس رأياً بعثياً واحداً عسكرياً ومدنياً وكنا نسمع من القيادة المدنية للبعث أن العسكريين ينفذون أوامر قيادتهم الحزبية المدنية، لكنهم يعودون وينكرون دورهم في قسوة القتال وبعض الممارسات الإجرامية ويتهمون القيادة العسكرية بارتكابها دون علمهم، وفي هذا تناقض"[10]. ويذكر أن علاقة وطيدة ربطت بين البكر ويحيى منذ اشتراكهما بثورة تموز ١٩٥٨وكلاهما أحيل على التقاعد، وذهب البكر إلى السجن حيث التقى السعدي الذي نسبه للبعث وكلفه بكسب صداقة الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وربما يكون يحيى دهب للأكراد مكلفاً من البكر. كما كانت هناك لقاءات غير رسمية كثيرة حصلت بين بعثيين وأكراد، مثل ذلك الذي جمع بين ميشيل عفلق وإبراهيم أحمد سكرتير البارت مباشرة بعد نجاح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في مقر جريدة الجمهورية البغدادية، وربما يكون عفلق قد التقى هناك بجلال الطالباني الذي كان يعمل محرراً بنفس الجريدة، وحينذاك أعطى عفلق حديثاً للجمهورية نشرته في ١٩٥٨/٨/١ ووعد فيه الأكراد بحرص العرب على حريتهم ونبذ التعصب القومي "الذميم" وبمستقبل يشهد تحقيق أمانيهم[11].

تفهم الأكراد للعقيدة والفكر القومي البعثي، وعدم استفادتنا من نصيحة عبد الناصر التي كررها على أسماعنا، قد ساعد على ذلك التصعيد. فقد قال عبد الناصر: إن الاستعمار سيخلق لكم مشكلة داخلية وعليكم تفاديها، وإن وحدة العراق تكمن في وحدة جيشه ، ويجب أن لا يزج الجيش في حرب أهلية وتلك من الأولويات.

وكنا نتجاوب مع تلك النصيحة وكانت القيادة القومية لحزب البعث قد أكدت نفس الملاحظات. أما رفاقنا البعثيون في الأقطار العربية الأخرى، فرغم عدم تفهمهم للمسألة الكردية كما نفهمها، فقد كانوا حريصين على عدم القتال. لكن ألغاماً بشرية كردية وعربية دفعت بالأمور نحو الاصطدام وزرعت الشكوك خصوصاً في صدق نوايا القومية العربية بشكل عام وحزب البعث بشكل خاص عن الأكراد، فدفعوا الأكراد إلى الظهور بمظهر المحرضين ضدنا حتى في لقاءاتهم مع جمال عبد الناصر، لكننا تفهمنا ذلك وقدّرنا تأثير وضغط الإعلام الشيوعي والسوفييتي عليهم، وتفهمنا أيضاً أهمية القضية الكردية في خارطة السياسة والمصالح العربية الإقليمية والدولية ، واحتمالات استثمارها من قبل قوى أجنبية كبرى لأغراض قد لا تمت بصلة للمصالح الوطنية المحلية. وكنا نرغب أن توضع القضية في مكانها الصحيح على الخارطة العربية، لكن شتان ما بين الرغبة والواقع.

وإذا عدنا لمذكرة المطالب الكردية التي رمت بصورة غير مباشرة إلى إظهار كيان كردي مصطنع سيضر قضيتهم ويعرقلها دون أن يحقق أياً من طموحاتهم. وطبيعي أن لا يحقق ذلك للعرب أية مصلحة، ويمنع العراق من إمكانية التحرك السليم ولعب دور مفيد. وهذا ما شرحناه لعبد الناصر كلما تحدث معنا كوسيط أو كطرف، وهو ذاته الذي شرحناه لقواعد الحزب ومنظماته المحلية والقطرية والقومية، كما أرسلنا وفداً إلى كردستان للشرح والتوضيح ، ووجهنا الدعوة للملا مصطفى البرزاني لزيارة بغداد، ولكنه لم يأت ولم يرسل أحداً من أبنائه، ولعله على حق في عدم حضوره شخصياً، باعتباره رمزاً وقائداً وحيداً لحركة شعبه وأن سقوطه سيؤدي إلى التشرذم.

وكانت وفودنا للأكراد رسمية وغير رسمية شارك فيها سعاة ووسطاء خير، بينهم علي حيدر سليمان وهو كردي وسفير معروف في الخارجية ، وحسين جميل عضو قيادة الوطني الديمقراطي وأحد مؤسسيه، وطاهر يحيى التكريتي رئيس أركان الجيش الذي قيل أن أصوله كردية. وأوكد لك أن القيادة المدنية للبعث كانت ترغب فعلاً في إقامة سلام مستقر مع الحركة الكردية، ولم تراودنا أية رغبة في الانتصار عليها ولَيْ ذراعها.

كنا نستلم شكاوى يومية من صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية في وزارة الدفاع، ومن قائد الفرقة الأولى عبد الكريم فرحان، ومن كافة الضباط والإداريين والمتصرفين

العاملين في المدن الكردية [1]. وشمل التخريب والتحاوزات كل شيء، حتى الأديرة جرّب المسلحون البيشمركة دخولها وسرقة النبيذ المعتق منها.. والله أعلم!! والطريف أن الشكاوى الواردة ضد البيشمركة كانت مطابقة شكلاً ومضموناً لتلك الواردة إلينا من وسط وجنوب العراق ومن أنحاء مختلفة من بغداد وتشتكي من ممارسات الحرس القومي وسلوكهم.

وازدادت الشكاوى من البيشمركة مباشرة بعد أن بدأت منظمات حزب البعث تؤسس مقرات رسمية لها داخل مدن كركوك والسليمانية واربيل ، لتخلق بؤراً جديدة يدور حولها وبسببها الصراع بين منظمات البارت والحزب الشيوعي من جهة ومنظمات البعث التي تبحث عن مواطئ تثبت فيها أقدامها. ورغم عدم ذكاء فكرة إنشاء منظمات بعثية تضم أكراداً وتركماناً وعرباً داخل المدن الكردية، لم تفكر القيادة القطرية إطلاقاً بإنشاء حزب كردي مواز للحزب الديمقراطي الكردستاني ومؤيد للسلطة، بل كان قرارنا الحقيقي هو طلب اعترافهم بسيادة حكومتنا على جميع الأراضي العراقية ونلتزم نحن بحرية الشعب الكردي في اختيار منظمته والسير في مفاوضات هدفها اتفاق عادل يحمي ويدعم السلام.

لكن تجاوزات مزعجة وغير محدودة حصلت من قواعدنا الحزبية ومن البيشمركة ومن بعض الضباط أدت إلى خلق أجواء من عدم الثقة، وكنا نحرص على إبلاغ القيادة الكردية بما يصلنا من شكاوى ونسلمها إلى صالح اليوسفي وإبراهيم أحمد أو جلال الطالباني الذي كان موجوداً عند تصاعد الأزمة في "حاج عمران" مع الملا مصطفى. وأبلغتنا القيادة العسكرية الميدانية بأن الجيش أصبح أمام خيارين: إما أن يسحب القوات من كردستان كلها أو نفقد التحكم العسكري بها.

وضعنا هذا الخيار أمام المجلس الوطني لقيادة الثورة وناقشنا تقويم الوضع العسكري هناك، فطرح اقتراحان، الأول: أن يبدأ الجيش بعملية عسكرية لصد الاعتداءات واستعادة السيطرة الأمنية. والثاني: والذي انحاز إليه أغلبية العسكريين ويرى أن يشن الجيش عملية واسعة هدفها إحراز النصر التام كي يستعيد الجيش معنوياته المفقودة، ورأوا أن إنجاز النصر مهمة قابلة للتحقيق في فترة وجيزة جداً ، واحتجوا بأن عبد الكريم قاسم لم يكن يقاتل الأكراد بجدية.

واستمعنا إلى ضباط بعثيين، وقوميين، يتحدثون بصوت واحد ويقفون وراء العمل العسكري

---

١ ــ في هذا السياق أخبرنا كثيرون من الأخوة الأكراد بأن المدن الكردية الكبرى كانت في عام ١٩٦٣ في يد قوات الحرس القومي وأجهزة الدولة المركزية، وخالية من البيشمركة. كما أن عدداً من المواطنين المحليين من شتى القوميات انتموا إلى الحرس القومي، وباسمه تمت الاعتقالات والمتابعات. و لم تحصل شكاوى من أعمال سيئة ضد البيشمركة إلا في عام ١٩٦٤ واشتدت في عام ١٩٦٦ حتى ١٩٧٠ وذلك رافق أعمال الانشقاق عن حركة الملا مصطفى البرزاني الذي قاده جلال الطالباني وحينذاك حصلت أعمال وخروقات ضد حقوق الإنسان وفتحت بعض منظمات البيشمركة معتقلات خاصة خارج المدن وفي الجبال.

الشامل، وكان أكثرهم حماساً عبد السلام عارف الذي حَضَّ على القضاء التام على الحركة الكردية وإخضاع المنطقة لهيمنة الدولة المركزية بنفس الحماس والتحريض على محاربة وضرب الشيوعيين وتصفيتهم نهائياً. وكان هو وعدد من أعضاء مجلس الثورة مستعدين للموافقة على أي قرار وعلى وضع جميع طاقات البلاد تحت تصرف القيادة العسكرية الميدانية ومديرية الحركات في شمال العراق. وإذا كنت أتذكر جيداً فإن الضابط الوحيد الذي وقف نفس موقف القيادة المدنية هو منذر الونداوي.

سؤال: هل كان عبد السلام عارف وبقية الضباط سيوافقون مثلاً على قرارات تصل إلى حد الإبادة؟

طالب الشبيب: ليس إلى هذا الحد، فقرارات الإبادة التي تشمل المدنيين لم تمر بأذهان القيادات السياسية أو العسكرية، فقد كانت أهدافهم تدور حول الاستحواذ على السلطة ومنع غيرهم من المنافسة، ومن أجل ذلك يستخدمون كل الوسائل في ملاحقة وتصفية الخصوم والمنافسين أحزاباً وأفراداً. و لم تُتخذ قرارات الإبادة الجماعية في العراق إلا في عهد حكومة صدام حسين. أما ما جرى في ١٩٦٣ فقد أُسند إلى مبررات وتقديرات القيادة العسكرية. وأعترف أننا لم نستشر القيادة القومية ولا حكومتي مصر وسوريا ولا أية جهة إقليمية أو دولية. وافترضنا أن الجميع سيعذرنا بعد أن نجعلهم أمام الأمر الواقع مع إيضاح كامل بالدوافع والأسباب. ولا أخفيك فإن العسكريين صوروا لنا وكأن المعركة ستكون جولة سريعة، فدقوا طبول الحرب ومعزوفات النصر مبكراً جداً.

ومع قرار الحرب قررنا في مجلس الثورة، أولاً: الإعلان رسميا وبقانون عن بدء العلميات العسكرية، فخالفنا بذلك طريقة عبد الكريم قاسم الذي باشر عملياته العسكرية دون الإعلان عنها رسمياً. وثانياً : الإعلان بدقة عن سير العمليات العسكرية لنبتعد عن المبالغات وتكون تقاريرنا صحيحة على شكل بلاغ يومي رسمي صادر من مديرية الحركات العسكرية بوزارة الدفاع.

فوجئنا عند التصويت على بدء العمليات العسكرية بصالح مهدي عماش يصوّت ضدها وعندما سألناه قال أنه يطالب بتأجيلها ريثما يتمكن من توفير السلاح الكافي. وصوت ضدها أيضاً علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب ومحسن الشيخ راضي واثنان أو ثلاثة آخرون. فعلّقت بصوت عال قائلاً: أية دولة غريبة وفاقدة للعقلانية هذه التي يصوت وزراء خارجيتها ودفاعها وداخليتها ونائب رئيس وزرائها وأبرز شخصية حزبية فيها ضد الحركات العسكرية، ورغم ذلك تقرر المضي في شن الحرب.

ومازلت كلما راجعت نفسي أشعر بأن قرار بدء العمليات الحربية كان مبيّتاً ، وأشك بشدة

بسلوك صالح مهدي عماش، رغم تصويته معنا ضد بدء العمليات، فقد علمت أنه بدأ وقبل حضوره الاجتماع بالاتصالات مع الملحقين العسكريين الإيراني والتركي وبحث الأمر معهما. ثم طلب مني فوراً بعد انتهاء الاجتماع استدعاء سفيري البلدين لتوثيق أمر إبلاغهما ببدء العمليات الحربية رسمياً، وكان إطلاق النار قد بدأ فعلاً ، وكل تلك التطورات المتتابعة كانت أشبه بحلقات في سلسلة لا يمكن تواليها دون إعداد مسبق.

استدعيت السفيرين فأجابا: نحن نعلم بما يجري ونشكركم على إبلاغنا ، وسنعين خبراء عسكريين لإقامة لجنة اتصالات وعمليات مشتركة بين البلدان الثلاثة للحد من التسلل وتهريب الأسلحة ولجوء المقاتلين. وإن الأمر هو الآن قيد البحث مع وزارة الدفاع العراقية. وأبلغوني تأييدهم وحماسهم لقرارات الحكومة العراقية. وبالفعل تشكلت هيئة تنسيق مشتركة إيرانية تركية عراقية يرأسها صبحي عبد الحميد ويرعاها وزير الدفاع صالح مهدي عماش[1].

الموقف الخارجي ومصادر التسليح

تباطأ السوفييت في تسليم صفقات الأسلحة المتأخرة، وكان عماش قد تحدث مع جمال عبد الناصر في إحدى الخلوات الشخصية لتجهيزنا من المعامل المصرية بعتاد وقذائف مدفعية يفتقدها العراق، فضلاً عن تنفيذ طلبات بعشرات آلاف القطع من رشاشات بورسعيد. وتم تجهيزنا بكل ما طلبنا.

وأعلن الآن بأسف شديد بأني أفصحت عن هذه الصفقات السرية في عام ١٩٦٤ عندما كنت منفياً في القاهرة إلى السيد شوكت عقراوي الذي عاتب بدوره الرئيس جمال عبد الناصر،

---

١ ـ في منطقة باشتيان قرب كلي علي بيك باتجاه سهل ديانا، كان يوجد لواء عسكري استصاف خلال اندلاع القتال ضابطين كل منهما برتبة عقيد، أحدهما إيراني والآخر تركي ومعهما مرافقة فنية تحمل أجهزة لاسلكي وتصوير وإنصات . ويتذكر الأكراد لحد الآن اسمي الضابطين، كما حلقت طائرات إيرانية وتركية للتنسيق مع ضباط الارتباط وبدورهم يتشاورون مع قيادة الحركات[12]. ويرى عدد كبير من الأكراد بأن وزارة الدفاع التي لم تبلغ مصر وسوريا مسبقاً بأمر القتال كانت قد بحثت أمره مع تركيا وإيران، الدولتين اللتين يشك قادتهما بوجود ميول يسارية وشيوعية لدى الحركة الكردية، رغم أن الملا مصطفى لم يكن حتى ذلك الحين متورطاً بأية التزامات إلزامية مع الدولة السوفيتية أو الأمريكية، لكنه لم ينفِ بعض التأثيرات الدولية، ولا أحد يعرف كيف جرت الأمور وتطورت بعد اشتداد القتال؟ وربما تكون التأثيرات قد تسللت تحت ضغط الحاجة والحرائق . ويقول شمس الدين المفتي[13]. إن ضابط استخبارات أمريكياً تواجد في مدينة خانة الكردية الإيرانية وضابطاً آخر في قصر شيرين داخل الحدود الإيرانية لمراقبة الأتراك والإيرانيين إذا كانوا جادين في منع تسلل الأكراد خلال القتال. واحتجت القيادة الكردية لدى سفارتي أمريكا في أنقرة وطهران، لكن الاحتجاج رُفض و لم يتم استقبال المبعوثين الأكراد. وعندما حاول قياديون مثل جلال الطالباني والمفتي الاتصال بالسفارات الأمريكية في أوروبا تحدثوا معهم بصفة غير رسمية وغالباً ما يخرج أحد موظفي السفارات للقاء الطالباني أو غيره خارجها، في مطعم أو مقهى حتى لا يقال عن اللقاء أنه رسمي.

الأمر الذي أظهر مصر وكأنها بمنطق مزدوج. وعندما سأله عبد الناصر عن مصدر معلوماته قال أنه طالب.

لقد كنت أدافع حينها عن موقف الحزب، وأردت من عقراوي أن يفهم بأن الحرب لم تكن قراراً بعثياً فقط وإنما سانده فيه إخوانه العرب، وقلت لـه : لم تكن قراراتنا شخصية أو اعتباطية. . . .

وبعد أيام عاتب جمال عبد الناصر، رجب عبد الحميد سفير العراق بمصر قائلاً : لم أكن أتصور أن طالب سيكشف مثل هذا الأمر.

سؤال: وماذا عن التسلح الكردي ؟

طالب شبيب: بعض السلاح الكردي يأتي من الدول الاشتراكية ومن إيران وتركيا، وبعضه الآخر سُلم لهم في عهد عبد الكريم قاسم، وبشكل عام كانت أسلحتهم خفيفة تناسب حرب العصابات الجبلية، لكنها تفتقد إلى مقومات القتال الواسع النطاق، فلم يكن لديهم المدفعية الثقيلة أو مدفعية مضادة للطائرات، ولم تتمكن الحركة الكردية من سد هذا القصور إلا عندما زودهم بها شاه إيران بعد عام ١٩٦٨ خلال إعلان حكومة (البكر ـ صدام ـ عماش) الحرب عليهم، وبحصولهم على المدفعية أجبروا الحكومة المركزية ممثلة بشخص صدام حسين على السفر إلى الجزائر والتوقيع مع شاه إيران "اتفاقية الجزائر" التي جلبت للأكراد الخراب وللعراق وإيران فيما بعد الكثير من الكوارث.

ولا بد أن أذكر أن القيادتين العراقية والسورية لحزب البعث لم تكونا ميالتين للحرب، لكنهما وبعد أن صار القتال أمراً واقعاً اضطرتا للدعم والتأييد وأرسلت سورية لواء عسكرياً بقيادة العقيد فهد الشاعر انتشر فوراً في قطاع بهدينان في محافظة دهوك، ولم يكن هذا اللواء مُبَلَّغاً من قيادته إلا بمساندة الجيش العراقي عسكرياً ومعنوياً خلال القتال في شمال العراق بعيداً عن العاصمة بحوالي ٥٠٠ كيلو متر. ولو كانت له مهمات سياسية كما قال الفكيكي في كتابه لذهب إلى بغداد أو اقترب منها، ولم تكن محاولة الفكيكي إلا نوعاً من محاولة تحميل ذنوبنا على الغير، فقد كان فينا من أسباب ذاتية للفوضى والخلاف ما يكفي ويزيد.

وقفت حكومة الولايات المتحدة ضد القتال، وكذلك الاتحاد السوفياتي، وتحفظت الحكومة البريطانية وتحمست إيران وتركيا. أما ما قيل عن اتصالنا بحلف السنتو فهو أمر غير صحيح ومستحيل، لأننا لم نكن بحاجة لإحيائه ولم يكن الإيرانيون والأتراك يرغبون بذلك، لأن التنسيق القائم بيننا يؤدي عملياً نفس الهدف دون العودة إلى اسم لا يحبه شعبنا ولا نرغب به. وأعتقد أن توزيع اتهامات مجانية أمر يعود إلى مرحلة نزقة وغير متعقلة سابقة.

كانت "اللامركزية " عهداً بعثياً

سؤال: هل صحيح أن عبد الكريم قاسم قاتل الأكراد بعدم جدية رغم تماسك الجيش تحت قيادته؟

طالب شبيب: لا ، أنا أرى أن الجيش العراقي بشكل عام يرفض القتال في كردستان العراق، فليس هناك في قلب أي عراقي عربي رغبة في أن يذهب بعيداً عن أهله وحواره لقتل أخيه الكردي. وخير مثال التحربة العملية التي حصلت صبيحة ١٤ رمضان ١٩٦٣ عندما قطعنا الطريق على الفوج الثاني الموجه إلى كردستان، فاستطاع البكر بسهولة إقناع آمره بترك مهمته والانضمام لنا، ولاحظت فرح الضباط والجنود بهذه النتيجة التي تجنبهم الحرب داخل أراضٍ عراقية. وقد لعب ذلك الفوج يوم الثورة دوراً مهماً جداً في حماية الثورة في الإذاعة وساهم بجميع الفعاليات رغم أن قيادته ليست بعثية.

وذلك يؤكد أن الشعب العربي في العراق غير متعطش لدماء الأكراد ولا راغب في قتالهم وليس لديه قضية يمكن اعتبارها مشرفة وتبرر سفك الدماء. وكان على الأكراد أن يتفهموا هذا الأمر، ويدركوا أن نفراً سفيهاً أو مشبوهاً يقف وراء تكريس دوافع الحرب، ومن المفضل الخروج من المأزق بنتيجة لا غالب ولا مغلوب بل بحوار جاد بين القوميتين. وإن خير حليف للأكراد هم العرب الذين يعانون نفس المعاناة والتجزئة. وأعتقد أن حزب البعث كان أول حزب يحكم العراق ويعترف للأكراد بحقوق قومية أصبحت فاتحة عهد لتطوير مطالبهم وكفاحهم. وحتى الآن يقاتل أكراد تركيا وإيران لانتزاع مثل الحقوق التي قررناها في عام ١٩٦٣ ، وحتى حركة صدام حسين على بؤسها لم تستطع التراجع عن ما تقرر من لا مركزية وإدارة ذاتية في عهدنا.

ورغم أن عبد الكريم قاسم أعاد القادة الأكراد من المنفي إلى العراق واعترف بأن العرب والأكراد شراكة في الوطن واثبت ذلك في دستور الجمهورية العراقية، كما سمح بفتح مقرات رسمية ومقر للفرع الخامس للحزب الديمقراطي الكردستاني في بغداد، وأسكن الملا مصطفى في دار صباح بن نوري السعيد... الخ من المكاسب، ولكنه لم يكن يمتلك أية فكرة عن "اللامركزية" والإدارة الذاتية. ولذلك أقول أن اللامركزية كانت عهداً بعثياً . ولم يستطع أحد لحد الآن رغم اختلاف التسميات أن يقدم أفضل مما قدمنا. فقد خلا مشروعنا من توترات العصبية القومية، وقد حصل ذلك لأن البعث كان حزباً سياسياً مناضلاً يتطلع إلى تحقيق أمنية العرب في وحدتهم، ولا يمكنه أن يضطهد أية قومية أخرى مضطهدة ومجزأة. لذلك نزعنا للتعاون مع الأكراد، خصوصاً في العراق حيث يتعايش الشعبان تحت علم واحد ووطن واحد. وبدأنا التحالف فعلياً بعد الاتفاق الذي سبق ٨ شباط ثم استلامنا السلطة وبدأ تعاونا وشاركنا الأكراد في كل شيء وذهبوا معنا إلى مصر والجزائر واليمن واستقبلهم عبد الناصر وعبد الله

السلال وأحمد بن بيلا، وتصرفنا كأخوة وكأن عهداً جديداً مفرحاً قد بدأ بيننا، و لم نشعر بأية روح عدائية. ولكن كان هناك سوء تصرف ولا أبالغ إذا قلت لو حظي الأكراد بقيادة واقعية جامعة، ولو حظي العرب العراقيون بقيادة وطنية منسجمة لما حصل قتال ولا سالت دماء، لأن ما جرى لم يكن قتالاً ضرورياً بل سوء تصرف. فعندما يقرر أربع وزراء في الحكومة عدم القتال وتقرر رغم ذلك أن تقاتل فإنه يعني الكثير من سوء التصرف والكثير من العنهجية وقلة في إدراك أبعاد الموضوع.

وقد أَعَدَّ مشروع "اللامركزية" ثلاثة أشخاص هم علي السعدي وحازم جواد وأنا "طالب شبيب". و لم يعترف عليه أحد عند عرضه على المجلس والقطرية لإقراره. لاحظت عند قراءته أن بعض أعضاء المجلس لم يفهموا شيئاً مما نقرأ.

ولا أنسى رعاية عبد الناصر لمشروع التفاهم البعثي ـــ الكردي. ومن جانبنا فقد كنا قد ناقشنا مع أنفسنا قبل غيرنا القضية القومية وموقفنا من القوميات المظلومة، وأدركنا بأن وقوفنا ضد القومية الكردية سيعني تناقضاً ضميرياً يستحيل معه بقاء الشخص ثورياً متحمساً. لكن عدم استغلال الحركة الكردية ضد نظامنا الجديد كان هاجسنا الأول ومصدر حساسيتنا، بل كنا مقتنعين بأن أي إصبع سيمتد إلينا لن يمكنه أن يفعل إلا عبر القضية الكردية.

وحينذاك تمكن صالح مهدي عماش بالتعاون مع عدد من الشيوخ تأسيس ما سمي بفرسان صلاح الدين، وهم من المرتزقة الأكراد للمساهمة في الحرب. وكانت مثل تلك الترتيبات تقع ضمن صلاحيات وزارة الدفاع التي يحتاج فيها إلى أخذ موافقة الهيئات الأعلى. وأستطيع القول أن القوات الكردية كانت قبيل تشرين الأول قد دحرت كلياً تقريباً وتراجعت على كل الخطوط، وأكدت ذلك جريدة التايمز اللندنية بافتتاحيتها قائلة أن الحركة الكردية أثبتت فشلها على الصعيدين العسكري والمدني، و لم يكن لها الواقع والوقع الكبير بين الأكراد، و لم تكن فعالة عسكرياً وفقدت قدرتها على الصمود بل عن تحقيق النصر العسكري ضد القوات الحكومية. في حين أظهرت القوات الحكومية قدرة كبيرة وكفاءة عسكرية وتمكنت الحكومة في بغداد من إقامة تعاون عسكري مع حكومات الدول المجاورة. وكاد الأمر يحسم لو دام القتال أسبوعاً آخر أو لو لم يحصل الخلاف الداخلي الذي أدى إلى حركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

و لم يكن النجاح العسكري الذي أحرزته القوات المسلحة يعني أننا سننجح في حسم القضية الكردية. لكن التمرد الذي قاده الملا مصطفى البرزاني بحد ذاته كان على وشك الانهيار الكامل. وبالنسبة لنا كان مكدِراً ومؤسفاً اعتماد الأكراد باستمرار على جهات أجنبية لدعم كفاحهم السلمي أو المسلح، وذلك بالضبط ما أتاح للحكومات المتعاقبة التغلب عليهم انطلاقاً من ادعاء الدفاع عن الوطن والوطنية العراقية، فتأخذ حريتها في القمع وتغطي ذلك بشعارات وطنية وباتهام الوطنيين والمكافحين بارتباطاتهم مع قوى وحكومات أجنبية. والشيء الوحيد الذي

لاحظته وجلب انتباهي وربما يكون صدى تاريخنا، هو أن الملا مصطفى لم يبعث أحد خاصته إلينا (أبناءه مثلاً)، و لم يكن يتحدث عن القضية الكردية بمنطق قومي بل بمنطق الفقراء المحرومين من حقوقهم. فكانت لغته اقرب إلى لغة دينية، مما جعله يبتعد عنا فكرياً. فقد نظرنا لقضيته على أنها قومية، وهو يتحدث عن إنصاف المساكين. وفي سِنهِ لم يكن يتحسس الفرق بين لغتينا ومفاهمنا، وكنا نشعر أن لغة الطالباني وإبراهيم أحمد اقرب إلى لغتنا. وتلك مشكلة كبيرة لأن البرزاني كان وحده صاحب القرار الأول. وفي أية مفاوضات إذا أردت الوصول إلى نتائج معقولة يجب أن يفهم ويتفهم كل طرف الطرف الآخر، في حين كنا متباعدين وكان الحوار بيننا وبين معسكر البرزاني يشبه حوار الطرشان، وبسببه ربما لم نلتق برجل الحكومة الكردية الأول ولا بأبنائه وحاشيته التي وقفت وراء القرارات في حين تعاملنا مع إبراهيم أحمد الذي نكن له احتراماً وتقديراً خاصاً والطالباني الذي أحببته شخصياً وأتمنى له طول العمر والفكر الثاقب والتقليل من حركته الكثيرة جداً !! لكن الاثنين كانا ينطقان في كثير من الأحيان بأحلامهما وقناعتهما التي لم تكن بالضرورة مطابقة لما يجري في ذهن البرزاني الكبير.

ولقد دفع الأكراد نتيجة تقلبهم السهل للتحالفات مع الخارج وبسبب شعورهم الطاغي بأنهم فاقدون لحقوقهم ثمناً باهظاً وخسائر كبيرة لأن التحالف مع جهات أقوى يكلف كثيراً، واختيار الأعداء سهل جداً، في حين تحتاج إلى حنكة سياسية بارعة وباهرة لتكسب صديقاً واحداً.

قاتـلَ عبد الكريم قاسم سياسياً ، وقاتلوا فنياً

قاتل عبد الكريم قاسم ضد الحركة الكردية بمسؤولية السياسي، في حين قاتل عماش وعبد الكريم فرحان والعقيلي وطه الشكرجي وإبراهيم فيصل الأنصاري وصبحي عبد الحميد ضد الأكراد، كضباط فنيين يعالجون عدواً شطرنجياً أو مختبرياً، ويختلف الأسلوبان اختلافاً جوهرياً. وأعتقد أن قاسم كان يقاتل الأكراد متألماً ، وهو نفس ما شعرنا به أنا وحازم علي السعدي وبقية أعضاء القيادة القطرية المدنيين عندما بدأ القتال الذي صوتنا ضده داخل مجلس الثورة. فقد شعرنا بألم نتيجة لإدراكنا أبعاد القتال سياسياً وقومياً وفكرياً على مستقبل العراق والأمتين العربية والكردية، وأعتقد أننا قاتلنا وكذلك قاتل عبد الكريم قاسم قتال المضطرين[1]. ويتحمل الجانبان الخطأ فضلاً عن ظروف موضوعية محيطة وتداخلات كثيرة، فلا أعفي الجانب الكردي أو العربي كلاً من حصته في الخطأ. فقد كنا قادرين كقيادة للحزب الحاكم على إسكات الذين

---

١ ــ كتب السفير البريطاني في العراق إلى حكومته يقول" إن ضباط الجيش العراقي نظروا باستياء إلى عبد الكريم قاسم" بسبب الفشل في قتال الأكراد. وأدرك الجيش أن توجيه قاسم الشخصي للعمليات العسكرية في الشمال هو الذي يلام لهذا"[14].

صوتوا مع الحرب داخل مجلس قيادة الثورة، لو أردنا ذلك. وكان الأكراد من جانبهم يستطيعون إيقاف علاقاتهم مع الخارج، وبذلك يحرمون خصومهم والمستفيدين الحاقدين من مبررات إعلان الحرب البائسة[1].

وأرى أننا بهذه المناسبة يجب أن نبحث ضميرياً عن أسباب استمرار النزاع من أجل وضع اليد على الأسباب والخلل، ولكي نضع أجوبة على الأسئلة التالية: لماذا نتقاتل ونحن الأقرب إلى بعضنا؟ ولماذا نعين الأجنبي على التدخل في شؤون بلادنا؟ ولماذا نتحالف مع جهات نعرف أنها في النهاية ستتخلى عنا؟ ولماذا نستمر في نزاع عسكري نعرف مسبقاً أن أياً من الطرفين لا يستطيع فيه إزالة الآخر نهائياً؟

سؤال: تتحدث المعارضة العراقية عن قوى ثلاث تقف باستمرار وراء تأجيج القتال في منطقة الحكم الذاتي الكردية وهي العوامل الدولية الخارجية، وبعض القادة العسكريين الكبار المهيمنين على إدارات الجيش، والمستفيدين وتجار الحرب من الجانبين، فماذا ترى أنت ؟

طالب شبيب: أرى أن الدول الكبرى هي أقل الأطراف تأثيراً. فقد تأكدنا أن أسباب الصراعات المنتظمة في العراق تأتي غالباً من الداخل، أو هي داخلية متداخلة مع عوامل إقليمية عربية وغير عربية. وإذا كان للدول الكبرى تدخلات فتتم عن طريق دول مجاورة. وعلى حد علمي ومن خلال عملي كوزير للخارجية حينذاك كان الأمريكان مستائين من القتال واحتجوا علينا متحججين بأعمال اجتياح بعض الأديرة ومناطق العبادة المسيحية، ولكنهم لم يتقدموا بمذكرات رسمية واكتفوا بالحديث المباشر لأني نصحتهم وحذرتهم بعدم تحويل احتجاجاتهم إلى وثائق رسمية لأننا حينذاك سنعتبرها تدخلاً في شؤون بلادنا الداخلية. ولم نكن نسمح باحتجاجهم الرسمي لكننا نوافق أن نسمع كلامهم بعد رفع الصفة الرسمية عنه، أي في سياق الحوار والدردشة. أما السوفيات، فكان موقفهم عدائياً جداً واستخدموا تلك الحرب للضغط علينا. وكان بعضنا يفهم أنها حرب على شكل لعبة دولية. وأن العراق كان ومازال أغنى وأروع وأكبر وأبشع مسرح للعبة الدول، وما زالت المأساة تتحرك بأسوأ أشكالها على مسرح، ولم يكن علينا أن نساهم في بقائها واستمرارها... .

وما زلت أرى، وبسبب ظروف كثيرة تاريخية وحاضرة ومستقبلية، بأن حلفاء الأكراد

---

١ — يرى د. محمود عثمان إن هناك وسائل وطرقاً كثيرة بديلة عن الصراع المسلح وكان يمكن طرقها للوصول إلى حلول وسلام كردي عربي وطيد في العراق. وكان يمكن تطوير الفكرة التي وردت في المادة "٣" من الدستور العراقي المؤقت الذي أعلنته حكومة عبد الكريم قاسم عام ١٩٥٨ وتقول "إن العراق يتكون من الشراكة العربية الكردية" وهذا مبدأ كان يمكن تطويره بالحوار الطويل الصبور والمفاوضات وإرادة السلام.

الطبيعيين هم العرب، فليس هناك مصلحة إقليمية عربية في أي شيء كـــردي، فليــأخذوا مـــا يشاءون ونحن ندعمهم بهذا الأمر. وإن الحليف الوحيد الطبيعي لهم في هذه المرحلة هو التيـــــار القومي العربي الذي ربما يتمثل بحكم الواقع والضرورة حالياً بالجمهورية العربية السورية وبمصر، وبحركة المعارضة العراقية وهم جزء أساسي فيها. أما استمرار التحالف من تركيا وبريطانيـــــا وإسرائيل وقوى وأمم أخرى، فهو وهم في وهم، حصدوا مرارته في تجارب عديدة سابقة عادت عليهم بالوبال وكان أبرزها حلفهم مع إيران (الشاه).... فما نأمله هو أن يكون هناك حـــوار فكري حقيقي عربي كردي.

وما كنا نأمله من الأكراد سابقاً وحالياً هو حوار حقيقي نخرج متفقـــين وأقويـــاء. نحـــن أنصارهم وهم أنصارنا بصورة يمكن معها بناء كيان عراقي قوي[1]. وأقرأن التغيير الأكبر يقـــع بالدرجة الأولى على عاتق العرب أكثرية السكان وتقع الدولة وأجهزتها بين أيديهم.

وقد أخبرنا الأكراد حينها (عام ١٩٦٣) بكل شيء وعن استعدادنا للذهاب معهم إلى أبعد مدى يتعلق بمستقبلهم بشرط واحد هو أن لا يفكر أحد ببناء دولة داخل الدولة لأن ذلك مدمر

---

١ ـــ يبدو أن القضية الكردية ستظل لفترة طويلة مثيرة للجدل والمتاعب للعراق ولمنطقة الشـــرق الأوســـط، بســـبب تعقيداتها وتداخل عوامل داخلية واجتماعية وجغرافية وقبلية وسياسية وغيرها، وخارجية ليست أقل أهمية وخطـــــورة، لذلك فهي مسألة لا تخص الأكراد والعراقيين عموماً بل وكل محيطهم العربي والإقليمي.

وأتذكر أن وفداً كردياً جاء إلى دمشق بعد فشل مفاوضات الجبهة الكردستانية مع الحكومة العراقية التي تلت انتفاضـــة آذار/ شعبان ١٩٩١، وكان هدف الوفد إيضاح موقف الجبهة الكردستانية إلى القيادة القومية لحزب البعـــث العـــربي الاشتراكي والحكومة السورية، وفي سياق ذلك اللقاء مع أطراف المعارضة العراقية. وتشكل الوفد من المرحوم عمر دبابة (قبل وفاته بأيام) وفلك الدين كاكائي وآغري وشخص رابع، وعلى هامش تلك الزيارة دار بيننا حوار طويل ســـجلنا قسماً منه على الورق حول أفضل أسلوب لمستقبل كردي يتحقق بلا حروب، واقترحت عليهم حينها أن يبادروا فـــوراً لمناقشة عقد ندوة وطنية عراقية لبحث القضية يحضرها مائة أو مائة وخمسون شخصية من قيادات المعارضـــة المعروفـــة بنضالها من أجل السلام في كردستان ومن غير المتورطين في النـــزاع، ومن حقوقيين وأساتذة جامعيين وأدباء وشـــعراء ومثقفين ومفكرين وعلماء دين ووجهاء من كل الطوائف والأديان والتجمعات السكانية، مع مدعوين عـــرب ومـــن الدول الإقليمية. ولا بأس في عقد مثل هذه الندوة الوطنية كل عام إذا تعذر الوصول لنتائج هامة وجذرية. وأفـــترض أن هكذا ندوة ستخرج بنتائج وتوصيات وأفكار مستقبلية ستعطي السياسيين مجالاً للتعامل عقلياً ومنطقياً مع القضيـــة دون حرج إذ ستتحمل الندوة الوطنية مسؤولية النصيحة والموقف، وستجعل من الصعب على المتصيدين والمغرضين اتهام التنوع الكبير الذي تضمه الندوة الوطنية. وسيخفف الحوار الطيب من التوترات العصبية والإثارات الفارغة، ويحل محلها إرادة التفاهم دون تضييع المصالح القومية والوطنية لأي من الأطراف الداخلة في الحوار، فالندوة غير ملزمة، لكنها تقدم رأياً راجحاً وأقرب إلى السداد.

وأرى أن مثل هذا المشروع يستحق أن يرصد له مبلغ من المال، وسيكون أكثر إفادة للعراق بعربه وأكراده مـــن آلاف القذائف والأسلحة التي عجزت طوال عشرات السنين من تحقيق الاستقرار أو السلام. فلماذا لا نجـــرب هـــذه المـــرة الاحتكام للعقل والحوار ثم الحوار، فقضايا الحدود والعلاقات بين القوميات داخل الوطن الواحـــد لا تحـــل بالقســـوة والتغلب أو بجرائم ضد الإنسانية، بل بالحوار والتفاوض الطويل جداً.

ومستحيل ولا نقبل به. وليس أمامنا جميعاً سوى بناء نظام وطني ديمقراطي قوي ومقبول للطرفين وليس من مصلحة أحد قيام حكومة ضعيفة ومرتبكة. وأعتقد أن هذا يصح اليوم أيضاً وهو أن أي وفاق لا ينجح مستقبلاً إذا لم يضع الديمقراطية محوراً له.

جرائم لم نأذن بها

سؤال: صدّيق مصطفى عنوان لقضية يتحدث بها أكثر العراقيين الذين عاشوا تلك المرحلة... خصوصاً الأكراد، ويسمون يوم الزعيم صدّيق " باليوم الأسود" في حياة السليمانية وحصل في ٦ حزيران ١٩٦٣ حينما ارتكب جريمة بشعة، فهل يستطيع ضابط أن يقتل مئات المواطنين الأبرياء دون توجيه رسمي؟

طالب شبيب: لم نكن قادة عسكريين، والأمور العسكرية كانت تعالج من قبل وزارة الدفاع. وتعيين الضباط القادة في مسرح العمليات يتم بالتشاور ما بين أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش إضافة إلى صبحي عبد الحميد مدير الحركات العسكرية.

وما زلت حتى هذه اللحظة غير متيقن من دقة ما كان يُنقَلُ إلينا من معلومات بواسطة وزير الدفاع صالح مهدي عماش عن العمليات العسكرية وعن أعمال التطهير والقمع التي ترافقها.

وأتذكر أن الزعيم صدّيق كان ضابطاً محسوباً على الخط القومي العربي الإنساني المتنور الذي ضم البعث وحزبي العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب اللذين تفرعا عن حزب الاستقلال ذي العقيدة الديمقراطية. وهؤلاء الضباط كانت لهم قوة لا يستهان بها داخل الجيش بعد تصفيته من الضباط القاسميين والشيوعيين وعدد كبير من الضباط المستقلين، وكان وجودهم مؤشراً داخل القطعات وفي الهيئات العسكرية كالأركان وإدارة العمليات، فضلاً عن التعاطف الذي أبداه عماش مع كل المتحاملين فكانت القضية الكردية مجالاً نفّسوا فيها أحقادهم.

ولا أريد أن أذكرك مرة أخرى بأننا كقيادة مدنية لم نرغب بالقتال. ولكننا لم نتدخل في تفاصيل العمليات الفنية، ولا أخفيك فإن كثيرين تعاملوا مع القضية بوجهين ، وطمعوا بنصر قريب لكن النتائج أثارت لنا متاعب اقتصادية وسياسية كبيرة، وبدأ النصر بعيداً بسبب رغبة بعض الضباط وتجار الحرب المحيطين بهم في استمرارها، فقد شكلت الحرب مصدر رزق وارتزاق لهم. فضلاً عن الرواتب الوهمية الكبيرة التي تصرفها الحكومة لمقاتلين وهميين تُدفع بشيوخ عشائر كردية (الجاش) وهم من المتعاونين مع السلطة والمعاونين تاريخياً لقيادة الحركة الكردية المسلحة، كما تمّ تجنيد مقاتلين غير نظاميين من عشائر كبيرة كشمر والجبور فيقبض

شيوخها آلاف الرواتب في حين لا يلتحق غير بضع مئات فقط، فكانت الحرب مصدراً للنهب ومرتعاً للحرامية من التجار، وبعض الضباط ، يقتلون ويسرقون الدولة ويشعلون الحرائق تحت شعاراتٍ قومّية ووطنية سامية !!

وكان بين بدء العمليات العسكرية ونهاية سلطتنا ثلاثة أشهر فقط، و لم تكن تلك المدة كافية كي نتفرغ لوضع حل جذري والقضاء على الفساد المستشري في الجهاز العسكري خصوصاً في مقرات القيادة ووزارة الدفاع والقيادات الميدانية العليا. وأنا شخصياً لم أكتشف و لم أسمع ببعض الجرائم إلا بعد سنين بما في ذلك مجزرة السليمانية التي سماها الأكراد بيوم السليمانية الأسود، ولا أخجل من القول الآن بأننا كمدنيين ربما آخر من يعلم. لكن ذلك لا يعفينا من المسؤولية أو المحاسبة، فما حصل كان مؤسفاً وجلب للعراق مآسٍ كثيرة.

إن ما يتحدث به الأكراد عن معاناتهم من العمليات العسكرية والممارسات القمعية في الستينات لم يكن معروفاً لدينا ولدى أكثر المدنيين من منتسبي الحركات التي تشكل التيار القومي. كما أعترف بأن قتالنا وقتال عبد العزيز العقيلي في عهد عبد السلام عارف اختلف جذرياً في نوعيته وحجمه عن قتال عبد الكريم قاسم الذي وجه للأكراد ضربات ذات طابع تأديبي ليس أكثر ، و لم يخض ضدهم حرباً، وتعود الآن إلى ذاكرتي مصطلحات قاسم التي تؤكد ما ذهبت إليه، فقد سمى الملا مصطفى البرزاني "بناكر الجميل" وغير ذلك، ولكننا والذين حكموا من بعدنا أطّرنا القتال بمفاهيم إيديولوجية عنصرية، شجعنا عليها حماس وتوتر العسكريين الكبار الذين أشرفوا على العمليات. ولا أريد الآن أن أذكر أسماءهم، لكن أيديهم ملطخة بالدماء، ويستطيع الباحث التاريخي أن يتعرف عليهم.

حينذاك لم ينصحنا أحد غير القيادة القومية للحزب والرئيس جمال عبد الناصر، هاتان الجهتان كانتا كارهتين للحرب الداخلية وانعكاساتها على الأوضاع السياسية العربية وعلى علاقاتنا الدولية. فالسوريون رغم إرسالهم لواء فهد الشاعر لكنهم استمروا في رفض الحرب وأكدوا أن الحرب هي آخر الوسائل وليس أولها، وكانوا يرفضون أن تدور أغلب معارك البعث مع السوفييت وأنصارهم من الشيوعيين وحلفائهم الأكراد.

مراجع:

[1] زكي خيري، مذكرات سياسي عراقي مخضرم ، ص ٢٤٧ .

[2] زكي حيري، م . س . نفس الصفحة.

[3] زكي خيري ، م . س . نفس الصفحة.

[4] عزيز الحاج، ذاكرة النخيل، المؤسسة ، ص ٢٦.

[5] خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، السقوط، ص ١٩٢ .

[6] حليل إبراهيم حسين ، موسوعة ١٤ تموز ، عبد الكريم قاسم، السقوط ، ص ٩٠ .

[7] جريدة الوقائع العراقية، عدد ٧٨١ تاريخ ١٩٦٣/٣/١٧ عن كتاب د. فاضل البراك، مصطفى البرزاني — الأسطورة والحقيقة. مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩ ، ص ٢٨٧ .

[8] د. محمود عثمان، رسالة شحصية إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ١٩٩٥/١٠/٣٠

[9] شمس الدين المفتي، مقابلة في دمشق ١٩٩٦ .

[10] د. محمود عثمان، رسالة شخصية للدكتور علي كريم سعيد في ٣٠ / ١٠ /١٩٩٥ .

[11] د. فاضل البراك، مصطفى البرزان، م. س .

[12] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .

[13] شمس الدين المفتي، مقابلة بدمشق ١٩٩٦ .

[14] د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، في الوثائق السرية البريطانية، مؤسسة الرافد، لندن ١٩٩٦ ، ص ١٦ .

[15] د. محمود عثمان، ندوة القدس في لندن بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٩٨ التي أقامتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان في لندن.

الملف الامني

سؤال : وجهت اليكم تــهم كثيرة، كشخص وكفريق عمل، يشــكك بعضها في نوع الارتباطات في الخارج على مستوى العلاقة بمصــــر او الغرب والولايات المتحدة. ويخص بعضها الآخر فترة ممارسة السلطة في ١٩٦٣ وبعناوين محددة مثل تــهريب الدبابة السوفيتية المتطورة وقصة محمد المهداوي ومقولة علي صالح السعدي المزعومة حول القطار الذي ماكنتــه امريكية، وقضية إيليا زغيب، فهل يمكن إســـتجلاء بعــض الغوامض المستعصية والتي يحلو لكثيرين التحدث عنــــها وكأنــــها حقائق بيِّنة او اسرار دفينة ؟

طالب حسين الشبيب : عشت فترة طويلة خارج العراق، خلال دراستي في بريطانيا وعندما عملت وزيراً للخارجية وسفيراً للجامعة العربية في لندن ونيويورك وديبلوماســياً في عواصــم مختلفة، ومنفياً بعد ١٤ رمضان في بيروت والقاهرة، ومنذ سنين وانا مقيم او قــل إن شــئت لاجيء سياسي خارج البلاد. وذلك اتاح لي احتكاكاً كثيراً، ومعرفة عــدد مــن السياســيين المرموقين الرسميين وغير الرسميين، خصوصاً الاشخاص المتخصصين في شؤون الشرق الاوســط والمنطقة العربية. وهذا امر طبيعي يحصل لكل شخص يشغل نفس المراكز التي شغلتــها.

وبسبب عدم نضج بعض السياسيين ومجانية المتطرفين المنحدرين من اليمين او من اليســار، إنتشرت مفاهيم جاهلة ترى في كل قائد سياسي كان مقيماً او منتدباً او دارســاً في امريكــا امريكياً وفي فرنسا فرنسياً وفي انكلترا انكليزياً وفي روسيا شيوعياً. ورغم التبسيطية الغبيــة في تلك الاتــهامات إلا أني اعترف بأنــها تجتذب البعض فيتداولونــها.

وسأحاول إلقاء الضوء، بحدود الممكن، على بعض ما ذكرت لتوضيح ما ارادوا جعله ألغازاً. وسأبدأ من ايليا زغيب الذي كان استاذاً في الجامعة الامريكية في بيروت.

إيليا زغيب، كتب عنــه هاني ما سمعه من الآخرين

استاذ في الجامعة الامريكية، من اصل سوري او لبناني (لا ادري)، امريكي الجنسية. لم أكــن

اعلم انــه صديق لميشيل عفلق قبل ان يقدمه لي في ١٩٥٩ رفيقي وزميلي في عضوية القيـــادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي فيصل حبيب الخيزران المقيـــم في بـــيروت قـــائلاً : ان الاستاذ اديب الجادر قد عرّفه على أنه استاد في الجامعة الامريكية متخصص ومـــهتم بمشـــاكل المنطقة.

ولدى لقائي بـــه، وجدتـــه مثقفاً جيد الاطلاع على الشؤون العربية وشــــؤون العـــراق ومشكلاتـــه، ويجتـــهد في جعل آرائه متعاطفة مع إطروحات حزب البعث. وكـــان الرجـــل كريماً ومضيافاً ويتصرف برقة ولطف، وهي خصال شجعت على إقامة واستمرار علاقة صداقـة طيبة معه، خصوصاً وانـــه كان يقيم لنا الدعوات الجميلة المبـــهجة في كل مرة يـــأتي فيـــها الاستاذ أديب الجادر إلى بيروت. في حين ينقل لنا اديب اخبار ومستجدات اوضاع العـــراق، ويجتمع مع ميشيل عفلق فتثار بيننا المناقشات والتوقعات، ويحصل بعض ذلك على مائدة زغيب.

كنا انا واديب الجادر نتـــهامس ونلمح لبعضنا بشكوك حول إحتمال ان تكـــون للرجـــل علاقة بحكومة الولايات المتحدة الامريكية، بل وصلنا إلى قناعة بأنـــه لا يمكن ان يكون بعيـــداً عن ذلك. ونظرنا إلى هذا الامر على انـــه مفروغ منـــه، دون ان يكـــون لدينـــا أي دليـــل. وكانت اجواء السياسة والثقافة والادب ومحافلها في بيروت حينذاك حافلة بسياسيين عرب مـــن مختلف الجنسيات، وبسماسرة سياسيين من كل الاصناف. ولم يكن وجود شخص مثل إيليـــا زغيب وسط تلك الاجواء غريباً. لكن الذي اثار إستياءنا واستغرابنا فيما بعد. واعترضنا عليـــه بشدة، ولم نكن لنرضى بـــه في أي حال، هو انـــه وبعد إستقالة الوزراء البعثيين من حكومـــة العربية المتحدة (البيطار والحوراني وقنوت وحمدون) وردت انباء من دمشق أفادت ان رجـــال عبد الحميد السراج والمكتب الثاني اللبناني يستـــهدفون الآن الاستاذ ميشيل عفلق. فطلبنا إليـــه نحن اعضاء القيادة القومية للحزب المتواجدين في بيروت ان يغير مسكنـــه، وعرضنا عليـــه ان ينتقل إلى واحدة من بيوتنا فأعترض قائلاً : ان بيوتكم جميعها معروفة للمكتب الثاني اللبنـــاني. وانـــه "ميشيل عفلق" سيدبر الامر بمعرفتـــه. وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا انـــه يسكن او يختفي في دار إيليا زغيب في جبل لبنان، وكما اظن بمنطقة "برمانا".

لم يكن هذا التصرف يناسب شخصية ميشيل عفلق ومكانتـــه التي يستمدها من تعاظم قـوة وتأثير حزب البعث العربي الاشتراكي على الساحة السياسية العربية، فيسكن بدار موظـــف في مؤسسة ثقافية امريكية تدور حولها اقاويل كثيرة بين الاوساط السياسيةوالشعبية العربية.

قضى عفلق في دار زغيب اسبوعين ثم تركها بعد ان ابلغناه بالمعلومات الجديدة التي تؤكد ان الامر مبالغ بـــه ولا يتطلب الاختفاء. وبالامكان ضمان امنـــه بشكل معقول بتوفير منـــزل جيد وجديد له.

ومنذ ذلك الحين لم التق بأيليا زغيب، إلا مرة واحدة، بعد اسبوع واحد تقريباً من نجـــاح

ثورة ١٤ رمضان، إذ جاء إلى مقري في وزارة الخارجية مهنئاً. وبسبب كثرة المواعيد والارتباطات السابقة الملحة، لم تدم مقابلتي له اكثر من عشر دقائق، علمت منه انه يعمل استاذاً في جامعة بغداد عن طريق عقد توظيف خاص وقعه مع رئاسة جامعة بغداد ووزارة التعليم العالي قبل ٨ شباط ١٩٦٣، أي في عهد عبد الكريم قاسم. وسمعت فيما بعد انه استمر بوظيفته كمحاضر في جامعة بغداد طوال فترة حكم الحزب، وواصل عمله بعد سقوط حكومتنا في ١٨ تشرين الثاني سنة كاملة على الاقل.

اما الاشاعة التي حاول بعضهم تسريبها مؤخراً، بأن محاولة جرت لتهريب الدكتور إيليا زغيب او إبعاده عن عمله الجامعي إلى خارج العراق مباشرة بعد ٨ شباط ٦٣، فهو امر لم يحصل إطلاقاً وليس صحيحاً ما قيل بأن القيادة القطرية للبعث في العراق قد استخدمته كصلة إرتباط بينها وبين القيادة القومية اوميشيل عفلق في بيروت في مرحلة معينة من الاعداد للثورة. ومثل هذا الامر غير ممكن حزبياً إطلاقاً وتمنعه اللوائح والاعراف الداخلية الحزبية، وعار عن الصحة، إذ لم يكن بالامكان من الناحية الحزبية إطلاقاً تكليف أي شخص من خارج نسيج الحزب بمثل هذه المهمة.

ويمكن التأكد من حقيقة ما اقول بسهولة، بالعودة إلى الملفات الحكومية العراقية وإلى سجلات الاساتذة الاجانب المتعاقدين في ديوان جامعة بغداد او وزارة التعليم العالي، لمعرفة متى باشر زغيب عمله ومتى أُلغيَ عقده او إستقال وغادر العراق.

وبدوري اقول لك وانا متأكد تماماً وإطلاقاً، بأن موضوع إيليا زغيب لم يجر بحثه بعد وصولنا إلى السلطة، و لم ارَ او اعرف شيئاً عن ملفه الذي قال هاني الفكيكي انه وعلي صالح السعدي وآخرون وجدوه فوق مكتب عبد الكريم قاسم. كما انّ هاني وعلي لم يحدثاني عن هذا الامر. و لم يمر ذكر زغيب من ٨ شباط حتى ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، غير زيارة العشر دقائق التي ذكرتها. فلم تسمح ظروف عملي الجديد وتسارع الاحداث اللقاء به مرة اخرى. وحسب علمي اننا لم نجد على مكتب قاسم اية ملفات، بل وجدنا قائمة بأسماء ضباط بعثيين كان عبد الكريم قاسم قد وضعها عند جهاز تلفونه. و لم نطرح لا في القيادة ولا في أي مكان آخر موضوعاً كهذا. وهناك اعضاء قيادة واعضاء مجلس قيادة ثورة ما زالوا احياء يعيشون خارج العراق ويمكن العودة إليهم ليؤكدوا حقيقة ما أقول[1].

---

١ ــ لنلاحظ هنا رواية هاني الفكيكي في "اوكار الهزيمة" حول نفس الموضوع :

يقول : في منتصف شباط ١٩٦٣ تشكلت لجنة من المقدم محمد يوسف طه، وجعفر قاسم حمودي والمقدم علي عريم، لجرد محتويات جناح عبد الكريم قاسم فأتصل بنا جعفر ليعلمنا بوجود إضبارة على مكتب قاسم وتخص الدكتور إيليا زغيب، الاستاذ اللبناني المنتدب للتدريس في جامعة بغداد. وكنا قد استخدمنا الدكتور زغيب بتوصية وتزكية من ميشيل عفلق والقيادة القومية لسنوات في نقل بعض الرسائل بيننا وبين القيادة القومية. وكان طالب شبيب هو صلة الوصل ←

سؤال : والآن هل تعتقد ان إيليا زغيب كان جاسوساً ؟

طالب شبيب : أثق ان المخابرات المركزية الامريكية لا تضيع الفرصة لكسب مثـــل هـــذا الشخص. ولكننا عندما كنا في بيروت لم نكن نخاف من جلاسنا. فلم نكن لوحدنا، بل كـانت لنا حصانة وقوة وخلفية نعتمد عليها. وعندما نلتقي بأي شخص في بيروت لا نكون خـائفين. ومن اجل ان تتفهم هذا الامر بوضوح اكثر عليك ان تعود بذاكرتك إلى طريقة حزب البعث في الدفاع عن نفسه، وإعتداده وثقتــه بنفسه وبـــهمومه القومية الكبرى.

وفي الحقيقة فأنا لا اعرف كيف تعرّف أديب الجادر على إيليا زغيب، ليقدمه بـــدوره إلى فيصل حبيب الخيزران ؟ وهل كان فيصل هو واسطتــه للتعرف على ميشيل عفلـــق ام هــو اديب؟ أم أن عفلق يعرفه قبلهما؟ لكنني اثق بأن اديب الجادر وخير الدين حســيب لا يطــالهم الشك، ويحتمل ان يكون زغيب قد ادرك اهميتـــهما وتنبأ بالمستقبل السياسي للاشخاص الذين تعرّف عليهم، وذلك يشمل اديب وحسيب وعفلق وفيصل وانا وربما آخرين. فسعى لتعزيـــز علاقتـــه مستخدماً وسائل اهمها ثقافتـــه ومعرفتـــه الواسعة، والذوق والكرم.

وفي أي بلد في العالم، خصوصاً العالم الثالث، يتقرب اصحاب المصالح ورجـــال الاعمـــال والجواسيس والراغبين بإقامة علاقات إستثنائية يتقربون بـــها من القياديين الفعليين ومن اولئـــك الذين يُؤمَّل لهم مستقبل سياسي في بلدانـــهم لدراسة وضعهم ودراسة إمكانية التعاون معهم او تجنيدهم، ويستخدمون لذلك وسائل كلاسيكية واحياناً مبتكرة وغير متوقعة وغالباً ما تنفـــرد الدول الكبرى بأساليب متحددة ومتغيرة لكثرة ما تحتاج إليه من خدمـــات خـــارج حـــدود بلدانـــها، وهذا امر ليس بمستغرب.

أرادها دولة جاسوسة !

اما قصة الدبابة السوفيتية فهي الاخطر والاكثر غموضاً رغم كثرة المتحدثين عنـــها. بـــدأ موضوع الدبابة الشهير عندما حصلت إتصالات رسمية بين مديرية الامن العام العراقيـــة ووزارة

بـــه في بغداد. وحين دراستنا للملف وجدناه مليئاً بتقارير مديرية الامن العامة والاستخبارات العسكرية التي تشـــير إلى علاقة زغيب بوكالة الاستخبارات المركزية الامريكية CIA وتعاونـــه مع البعث وتطلب إلى قاسم الموافقة على إعتقاله وإبعاده عن العراق، غير ان قاسم كتب على بعضها امره بإبقائه ومراقبتـــه بدقة. وعلى ضوء ذلك إتصلنا علي السعدي وانا فوراً بطالب شبيب بمكتبـــه بوزارة الخارجية وعرضنا عليه الامر، واعلمتـــه بعزمنا على إعتقال زغيب. لكنـــــه نصح بالتريث وعدم التسرع في تصديق كل ما تدعيه دوائر الامن والاستخبارات، وطلب تأجيل البت في الامر لحـــين حضوره بسبب اجتماعه حينذاك مع بعض السفراء. في الوقت نفسه إتصلت بدوائر الامن والسفر وطلبت إليها منـــع زغيب من مغادرة العراق ووضعه تحت المراقبة. غير إننا اكتشفنا مساء ذلك اليوم إنـــه غادر العراق عن طريق الرطبـــة البري"[1].

الدفاع من حهة وممثل رسمي عن المخابرات المركزية الامريكية من جهة اخرى. وحصل الامر إثر تغيب صالح عماش عن لقاء دوري كان يقوم بـه السبت من كل أسبوع مع مسؤول محطة الـ CIA في السفارة الامريكية ببغداد (بيل ليكلاند) وكانت لقاءاتـهما رسمية. فأوعز احمد حسن البكر إلى المقدم جميل صبري البياتي مدير الامن العام حضور اللقاء نيابة عن عماش مع مسؤول المحطة وكان منصبـه الرسمي مساعد الملحق العسكري وقدّم نفسه للحكومة العراقية بصورة مكشوفة على انـه موظف في الـ CIA وهو امر يحصل عندما يرغب الضيف إشعار الدولة المضيفة بحسن النية وبعدم وجود اغراض تآمرية ضدها وهو بنفس الوقت إعلان عن الاستعداد للتعاون. وعلى نفس الاساس والفهم إستمر صبري بالالتقاء مع الدبلوماسي الامريكي المذكور بصورة علنية وبمواعيد بروتوكولية محددة سلفاً. وكان عماش باعتباره وزيراً للدفاع منشغلاً بأعداد القوات المسلحة لمواجهة الاكراد، فقرر ان يستفيد من تلك العلاقة، وأوعز إلى جميل صبري ان يطالب الولايات المتحدة بتزويد العراق بأربعين بطارية كبيرة خاصة بالدبابات، لأن الاتحاد السوفيتي رفض او جمد تزويدنا بـها. ولم يكن لدينا إحتياطي منـها وكانت الحركات العسكرية بين الحركة الكردية والجيش قد بدأت.

وافق المسؤول الامني الامريكي على شحن البطاريات المطلوبة بصورة سرية، إستجابة لرغبة صبري وعماش، لكنـه طلب مقابل ذلك الحصول على دبابة سوفياتية من نوع T 62 وهي احدث دبابة من نوعها. وكان الغرب يتطلع لمعرفة اسرارها. وحسب ما علمت لم يستطع أي بلد خارج حلف وارشو الحصول عليها غير العراق بسبب الصداقة الاستراتيجية التي ربطت بين عبد الكريم قاسم والاتحاد السوفيتي. ويبدو ان صالح عماش ابلغ جميل صبري موافقتـه على الصفقة بشرط ان يقوم الامريكان بشحن البطاريات اولاً. وفعلاً وصلت بواسطة طائرة نقل عسكرية امريكية عبر الاجواء التركية وحطت بمطار الحبانية العسكري، وربما قاعدة الرشيد الجوية، وإستلمها الجيش العراقي وادخلها فوراً في الخدمة.

بعدها بدأ الدبلوماسي الامريكي يضغط على جميل صبري لتنفيذ الشق الثاني من الصفقة بتسليمه الدبابة الحديثة والبروتوكول المتعلق بـها. آنذاك ادرك صبري انـه متورط، ولمس عدم قدرة صالح مهدي عماش على تنفيذ ما وعد بـه. فذهب إلى احمد حسن البكر وقال له : لقد اوقعنا عماش بمشكلة !![1].

---

١ ـ يذكر ان جميع مشتريات السلاح بين دول العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي والتي يطلق عليها العراقيون اسم "الطلبات الشرقية" يوجد في عقودها دائماً بند ثابت يؤكد على عدم تسرب او تسريب المعلومات والمواصفات الفنية الخاصة بالجهة المنتجة للاسلحة الواردة. وفي حالة المخالفة يحجب السلاح وتحجب الثقة وينتـهي التعاون بصورة تلحق الضرر بأستراتيجية البلاد. وليس السلاح وحده يحمل الاسرار وإنما جواز سفر السلاح او ما يسمى بروتوكول السلاح لا يقل اهمية وخطراً.

عرضت القضية بكاملها على مجلس قيادة الثورة فعبّرت عن انـزعاجي الشديد لعدم إستشارة وزارة الخارجية بأمر خطير كهذا. وطلبت إقالة عماش من وزارة الدفاع. وقلت : لو حصل وتمت الصفقة لأصبحنا دولة جاسوسة ! ولن يبيعنا احد بعد ذلك السلاح. فنحن نقبل او نتوقع ان يكون بيننا جاسوس مدسوس علينا يعمل لمصلحة دولة اخرى فنستأصله وينتهي الامر. اما ان تصبح دولتنا جاسوسة وتبيع او تفشي اسرار دولة اخرى، بيننا وبينها عقود وعهود إلى دولة ثالثة عدوة لها. فهذا أمر غاية في السوء. وتساءلت مخاطباً المجتمعين : هل يمكن لامريكا ان تزودنا بالسلاح مستقبلاً، لو كنا قد سلمناها اسراراً عسكرية سوفياتية غاية في الخطورة والاهمية؟ الجواب: لا، لأنها ستتوقع اننا سلطة بلا مبادئ، وستظن، وهي على حق في ذلك، إننا سنبيع اسرارها العسكرية للسوفييت فيما إذا تطلب الحاجة أو تبدلت الظروف. وأضفت: ان صفقة عماش– الـCIA (ليكلاند) لو تمت لدمرت اهم مقومات الدولة العراقية بقطع مصادر تسليحها، وبالتالي تعريض أمنها للخطر بعد فقدان الثقة بها. وان المأزق الذي وقعنا به مزدوج، الاول : مع السوفييت الذين لهم مصادرهم وعيونهم. والثاني مع الامريكيين، إذ سننكث وعداً إلتزمنا بتنفيذه، بل سنظهر امامهم كالمتحايلين الصبيانيين والجهلة، مما قد يغضبهم ويترك مضاعفات سلبية على مستقبل علاقتنا معهم والتي كنا نرغب ان تظل جيدة وهادئة. . . (إنتهى كلامي).

وبعد اخذ ورد إقترح البكر اقتراحاً غريباً بقوله : هل يمكن ان نسمح للخبراء الامريكيين ان يطلعوا إطلاعاً فقط !! على الدبابة داخل الاراضي العراقية؟ وبذلك نتجنب المشكلة !! قلت : هذا مستحيل، إن الخيانة نفسها وبنفس المعنى[1].

---

١ ـ يعكس إقتراح احمد حسن البكر نهجاً ثابتاً سارت عليه السلطات العراقية التالية على طول الخط : نهج التواطؤ والمجانية الوطنية واللامبدئية، كل شيء قابل للمساومة، وقد توارث الانصار ذلك، وسارت عليه مرحلة الحكم الثاني منذ عام ١٩٦٨ وحتى الآن. وسنذكر هنا مثالين فقط، من بين مئات الامثلة التي تؤكد على نهج اللامبدئية : ففي عام ١٩٨٤ تمّ إستدعاء خبراء فرنسيين بواسطة سفارتهم ببغداد للاطلاع على الطائرات السوفيتية مقابل بيعهم طائرات ميراج 2000 وجاء الخبراء وحققوا وإطلعوا على الطائرات السوفيتية في قاعدة المثنى الجوية – خلف مطار بغداد – ومثّل الجانب العراقي في الصفقة المشبوهة اللواء هشام عطا عجاج (لاعب كرة قدم دولي سابق)، وحينها اخذ اللواء هشام عطا عجاج البروتوكولات الفنية للطائرات السوفيتية وسافر بها إلى فرنسا. ولم يكن هشام ليفعل ذلك إذا لم تصدر له اوامر من قائد القوة الجوية حميد شعبان التكريتي الذي كان يعمل بالاضافة لواجباته العسكرية مستشاراً لصدام حسين للشؤون الجوية.

المثال الآخر : اخبرنا العميد استخبارات عسكرية (س.س) الذي فرّ من الخدمة لاجئاً إلى اوربا عبر الاردن : في عام ١٩٨٨ تمّ الاتفاق بين الحكومة الصينية والعراقية – بين اجهزة البلدين – على إرسال احدى الطائرات العراقية المتطورة (روسية الصنع) إلى الصين من اجل تحوير الشفرة الفنية واجهزة الرادار، وابدالها بمنظومة الكترونية صينية الصنع. وقد مثل العراق في تلك الصفقة العميد الجوي الركن حامد السعودي. وتنص الاتفاقية المبرمة مع الاتحاد السوفيتي على وجوب إلتزام الطرف العراقي بعدم إطلاع الدول الاخرى على اسرار الطائرة وبروتوكولها.

←

وهنا لمعت بذهني فكرة ربما ستنقذ الموقف. فطلبت من المجتمعين بمجلس قيادة الثورة تـــرك المسألة برمتـــها لي وسأعالجها كوزير للخارجية. فوافقوا فوراً على اقتراحي. وذلـــك يوضـــح مدى ثقل الموضوع وضغطه على اذهانـــهم ورغبتـــهم بالتخلص منـــه.

وفي اليوم التالي إستدعيت السفير الامريكي إلى مكتبي واخبرتـــه بما جرى. وقلت : ان احد موظفي سفارتكم وهو عضو في الاستخبارات المركزية CIA حاول الحصـــول علـــى اسـرار عسكرية عراقية. وان الدبابة السوفيتية التي اشتريناها اصبحت سراً عراقياً. وما جرى يعتبر عملاً غير ودي وغير مقبول من قبل دولة ما فتئت تقول انـــها صديقة لبلادنا. ولهذا اطلب مغـــادرة الموظف المسؤول عن هذا الامر خلال ٧٢ ساعة.

إعتذر السفير الامريكي وقال : هذا الموظف سيغادر كما طلبتم. حينـــها اخبرتـــــه عـــن استعدادنا لدفع ثمن بطاريات الدبابات التي استخدمها الجيش العراقي. لكن السفير اهمل المطالبـة بقيمة الصفقة، ربما لانـــها لم تكن رسمية او لتجنب الفضيحة وخوفاً من وسائل الاعلام. وكان رجاؤه الوحيد هو طلب غلق الموضوع وعدم رفع مذكرة إلى حكومة الولايات المتحدة نطلـــب فيها مغادرة الموظف الذي سيغادر فوراً. وكان طلبـــه ملائماً لنا تماماً. فلم نتمنَّ اكثر من غلـق الموضوع بـــهدوء ودون ان يلحق بسمعتنا أثراً سيئاً. وطوينا الموضوع بتوجيه تـــأنيب شـــديد لصالح عماش (وزير الدفاع) وجميل صبري (مدير الامن العام).

وبعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ اصبح البكر رئيساً للجمهورية العراقية وصالح عماش وزيـــراً للداخلية. فأمر البكر بأعتقال جميل صبري وتحطيمه داخل السجن. سمعت بالخبر وعندمـــا زرت البكر مهنئاً رغبت إليه إطلاق سراح صبري، فذكرني بموضوع الدبابة الســـــوفيتية وعلاقتـــــه برجل المخابرات الامريكية. فقلت : علينا يا ابا هيثم ان نتذكر التاريخ بإنصاف ودقة، فالعلاقـة المنحرفة مع الديبلوماسي الامريكي بدأها صالح عماش، ولم يلتق بـــه جميل صـــبري ويطلـــب منـــه بطاريات ويوافق على تسليمه الدبابة إلا بموافقة وتوجيه عماش. وذكّرت البكر (بلطـــف) باقتراحه الخاص بحل المشكلة، وقلت : ان صبري بريء من العملية وينحصر خطأه بموافقتـــــــه على اخذ الاوامر من وزير الدفاع وليس من وزير الداخلية حازم جواد الذي هو رئيسه المباشر، واظن ان جميل صبري لم يكن يعلم ان القيادة القطرية والمجلس الوطني لقيادة الثورة لا يعلمـــــان بمثل هذا الامر الخطير. بل ربما كان مقتنعاً بأن عماش كان يبلغه بأوامر مجلس قيادة الثورة. وبعد اسبوع واحد من حديثي مع احمد حسن البكر أُطلق سراح جميل صبري.

اما خطة تـــهريب الطائرة ومستلزماتـــها فتمت كما يلي : أرسلت الطائرة على انـــها اردنية ووضع عليـــها العلـــم الاردني – دون معرفة الاردن – بعد ان ارتدى طاقمها الملابس الاردنية. وقاد الطائرة المقدم خالد رشيد والرائد حسون عبد المهدي والرائد عبد الزهرة مسعد الذين تدربوا على اللهجة الاردنية تحسباً للطوارئ.

امريكي ينقل كلمة سر حزبية

"ابو هدى يسلم" هي كلمة سر حزبية يحتفظ بها المقدم محمد المهداوي، وهو يقضي مع عدد من ضباط الجيش العراقي دورة عسكرية دراسية تدريبية في الولايات المتحدة الامريكية. وابو هدى هو لقب يكنى به صالح مهدي عماش.

وكان في الدورة عدد من الضباط البعثيين. والمسألة بدأت عندما اصدر نظام عبد الكريم قاسم مذكرات إعتقال بحق بعض الضباط البعثيين، فخشي عماش عودة المقدم الركن محمد المهداوي ومعه الضباط البعثيين بعد إنتهاء دورتهم التدريبية فيُعتقلون. ويبدو ان عماش استعجل الامر فأبلغ مساعد الملحق العسكري الامريكي بكلمة السر ليبلغها إلى محمد المهداوي ويخبره بتأخير قدومه إلى بغداد. وللتاريخ اقول ان عماش جاء فوراً لاجتماع المكتب العسكري وابلغنا قائلاً : "إلتقيت بمناسبة ديبلوماسية بمعاون الملحق العسكري ليكلاند، وكانت فرصة لأطلب منه إبلاغ المقدم محمد المهداوي في امريكا بأن يؤجل قدومه إلى العراق ريثما تنجلي صورة الموقف والوضع الامني، وابلغته كلمة السر المتفق عليها بيني وبين محمد المهداوي[1]. وقد نظرنا للامر بمجرد مبادرة فردية غير موفقة، وساعده كثيراً إبلاغه لنا في نفس الوقت.

سؤال : لكن كيف تسنى لمعاون الملحق العسكري الامريكي "بيل ليكلاند" وهو ضابط مخابرات خبير، ان يثق بأن ضابطاً برتبة عالية مثل صالح مهدي عماش وعمل في الاستخبارات والانضباط العسكري وهي مناصب مميزة، ويستطيع حضور مناسبات ديبلوماسية رفيعة، ليس مدسوساً عليه، إذا لم تكن له معرفة سابقة به وبتفاصيل كثيرة اخرى؟ وهل تعتقد ان مثل هذه الامور الخطيرة يمكن تناولها بطيبة وبساطة ؟ ومهم لنا ان نعرف موقف علي السعدي وحازم جواد من هذه المسألة؟

طالب شبيب : ربما اكون قد نظرت بسلامة نية وطيبة، ولكن لا تنس إنّ ما شجعني على تصديق روايته هو عدم وجود دليل يقطع بشيء ضد صالح مهدي عماش الذي غالباً ما يقوم بأعمال وتصرفات فردية في كل إتجاه[2].

---

١ ــ كان عماش يعمل في دائرة الاستخبارات العسكرية بوزارة الدفاع، تلك الدائرة التي رأسَها لبعض الوقت رفعت الحاج سري. ثم انتقل إلى دائرة الانضباط العسكري، وبشكل عام أهلته مناصبه في عهد عبد الكريم قاسم حضور الدعوات والحفلات الديبلوماسية.

٢ ــ ولا ندري هل تكون الصدفة فقط هي التي جعلت رئيس الوزراء ووزير الدفاع العراقي نوري السعيد – في العهد الملكي – يختار الرائد صالح مهدي عماش عام ١٩٥٦ للسفر إلى روما لإستلام السلاح الامريكي والبريطاني الذي كان
←

و لم يكن علي السعدي وحازم جواد يملكان أية ادلة ضده. ولو كنا قد امتلكنا تلك الادلة، لما تخلفنا عن اعلانها بوجهه دون خجل او حذر خصوصاً علي السعدي الذي كان دائم السخرية والانزعاج منه. و لم يكن السعدي ولا حازم خبيثان ليخفيا اية اسرار من هذا النوع واستطيع ان أؤكد ذلك نيابة عن علي السعدي. اما حازم جواد فهو حي يرزق وبودي ان يطلع على ما نكتبه ليقول ما يعرفه.

وارى من الضروري ان نذكر بأن "ليكلاند" هذا هو نفسه اقام الاتصالات بجمال عبد الناصر ولعب دور عضو الارتباط بين الضباط الاحرار المصريين والدولة الامريكية، وإستمر يواصل مهمته ويتشاور مع قيادة مصر الجديدة قبل وبعد إنفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية.

ثم انتقل إلى العراق في عهد عبد الكريم قاسم معاوناً للملحق العسكري الامريكي. وبعد استلامنا للسلطة خفف في البداية من نشاطه، و لم نكن نسمع به في الايام الاولى، لكن الهدنة لم تستمر طويلاً، فعاد إلى نشاطه وتدخلاته مباشرة بعد إشتداد خلافاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة، وبدأ يهاجمنا علناً، ويتحدث في المحافل الديبلوماسية عن صعوباتنا ومشاكلنا، ووصلتني في مكتبي بوزارة الخارجية إستفسارات وتقارير كثيرة تؤكد كلها إنه يتحدث في مجالسه دون حذر ويقول : ان عبد الناصر لن يبقِ البعثيين في سلطة العراق.

ولا ادري ماذا كان هدفه ؟ ربما الوقيعة، لكني لهذا السبب ولاسباب كثيرة ذكرت بعضها، اخبرت السفير الامريكي بتصرفاته غير المناسبة[1].

سيستخدم لمهاجمة سوريا وإسقاط حكومتها الوطنية في مؤامرة اطرافها بريطانيا وامريكا والحكومة العراقية ممثلة بنوري السعيد واديب الشيشكلي من سوريا. وقد نفذ عماش تلك المهمة بنجاح واوصل السلاح إلى القوات العراقية التي أُوكِلَ لها تلك المهمة الخطيرة والمشبوهة.

لكن المؤامرة لم تنفذ بل أُحبطت بسبب توافق موعدها مع اليوم الذي حصل فيه العدوان الثلاثي ضد مصر، فأصبح من الصعب شن عدوان على سوريا في ظل تصاعد الحماس القومي العربي الجياش حينذاك[2].

ويُذكر ان عبد الكريم قاسم كان حينذاك يقود اللواء الاول الموجود في المفرق وهو اللواء المتوقع إرساله لغزو سوريا. وقد إتصل قاسم حينذاك باللواء عفيف البزري الذي حضر يرافقه عبد الحميد السراج متنكرين بزي عربي تقليدي، فأعلمهما بنية حكومته، ووعد البزري (رئيس اركان الجيش السوري) بأنه سيحبط المحاولات البريطانية بدفع الجيش العراقي لغزو سوريا حتى لو إضطر للتمرد او الزحف على بغداد.[3]

١ ــ بيل ليكلاند من مواليد ١٩٢٣ وهو عوضاً عن وظيفته كمتخصص في شؤون الشرق الاوسط، عمل لفترة طويلة في سفارة بلاده في القاهرة وكان معجباً بعبد الناصر. أُرسل إلى مصر في النصف الاول من عام ١٩٥٢ من قبل روزفلت بمنصب سكرتير ثان في سفارة بلاده، و لم يتجاوز عمره التاسعة والعشرين ليكون "حلقة الاتصال بين الضباط الاحرار والسفارة الأمريكية في الاشهر التي سبقت الانقلاب" . . "وكان ليكلاند وهو جندي سابق في مشاة البحرية الامريكية، خدم في موقعين حساسين من مواقع الحرب الباردة : انقرة ١٩٤٧-١٩٤٨، وميونخ ١٩٤٩. واتاح له صغر سنه وخلفيته العسكرية مصادقة الكولونيلات الشبان بسهولة وخاصة عبد الناصر الذي كان بمصادفة مؤاتية ، جاراً

←

تخريب العلاقة مع ايران

لم تكن متكلة الدبابة السوفيتية الشاهد الوحيد على تـهور صالح عماش. بل قام بأعمال كثيرة، وقطع اول خطوة بأتجاه جحيم الصراع العراقي الايراني المدمر القادم، والذي كان يمكن تجنبه. فلم نُصْغِ لاستعداءاته على ايران عام ١٩٦٣، فعاد إلى التأجيج ودون مقدمات عام ١٩٦٨ فإثر حادث حدودي بسيط يمكن حصوله باستمرار بين دولتين جارتين، إستدعى صالح عماش إلى مكتبه السفير الايراني في بغداد، وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية، وقال له: "ماذا سيكون رد فعل ايران إذا قصفنا مصفاة خرمشهر ومطار عبادان !!"

حتى ذلك الحين كانت ايران تمرر سفن الدول الاخرى الراغبة بدخول شط العرب وهي تحمل العلم العراقي وعلم الدولة المالكة للسفينة، ولا ترفع العلم الايراني غير السفن الايرانية فقط. وبعد تلك المقابلة التهديدية العماشية الفارغة، اقدمت ايران كرد فعل من جانبها على إلغاء معاهدة ١٩٣٧ التي تعترف بعراقية شط العرب إلا في مناطق معينة امام عبادان وخرمشهر، فطالبت سفن الدول الاخرى منذ ذلك اليوم وحتى الآن برفع العلم الايراني إلى جانب العراقي عند دخولها شط العرب. وبذلك فقد العراق حقاً معنوياً يؤكد ملكية النهر للعراق. وبعد ذلك رسخ صدام حسين تلك النتيجة بتوقيعه مع شاه ايران إتفاقية الجزائر وتأطيرها قانونياً بالتنازل عن حق جغرافي إضافي آخر هو نصف شط العرب "خط التالوك".

رعونات كبرى وصغرى : تصفية نساء الوزارة

سلوك عماش اذن تميز في اغلب الاحيان بالرعونة. وكانت له رعونات كبرى ورعونات صغرى. والرعونات الكبرى هي النماذج التي ذكرتها وامثالها كثير. اما الرعونات الصغرى فمن نماذجها على سبيل المثال : عندما سافرت إلى خارج العراق، حل عماش محلي مؤقتاً وكيلاً لوزير الخارجية، واصدر فوراً قراراً بفصل ونقل جميع نساء الوزارة مبرراً ان الخارجية لا تحتاج إلى "حريم" نساء.

له. ومن خلال ليكلاند ابلغ عبد الناصر كافري ان الكولونيلات يريدون صداقة الولايات المتحدة."[4].

هذا الرجل نفسه ارسل إلى بغداد زمن قاسم لإدارة إتصالات سفارته العامة فيها. اما محمد المهداوي فهو مقدم ركن مسؤول خلية الضباط البعثيين ضمن الدورة العسكرية بأمريكا. وبعد حركة ١٤ رمضان ٦٣ لمع نجمه عسكرياً وحزبياً، وتأهل ليلعب دوراً حاسماً في تغيير مسار المؤتمر القطري الاستثنائي في ١٩٦٣/١١/١١ الذي عصفت نتائجه بحكومة وقيادة البعث لترمي بهما في النهاية خارج السلطة.

ويقول الفكيكي[5] : ان عبد الناصر حذر علي صالح السعدي في نهاية شباط ١٩٦٣ من بيل ليكلاند قائلاً : إن بيل ليكلاند سبق ان حدم في القاهرة وهو خبير إنقلابات.

المثال الثاني : عندما تمّ تعيينـــه وزيراً للداخلية بعد عام ١٩٦٨، امر بصبغ قوادم وســـيقان جميع النساء والفتيات اللواتي يرتدين تنورات قصيرة بـ"البويا" (الأصباغ)، وكلف مســتخدمي امانة العاصمة بتنفيذ اوامره، فظهر هؤلاء في شوارع بغداد يحمل كل منـــهم "ســطل" مملــوء "بويا" وفرشاة كبيرة. وسبب ذلك هلعاً وضيقاً في اوساط معينة، وكان تدخلاً سافراً في حيــاة الناس الخاصة لم يعهد مثله العراقيون، وحصلت بسببـــه إحتجاجات كثيرة ومؤثـــرة، إضطــر عماش إثرها إلى التراجع عن قراره مدحوراً[1].

المثال الثالث : كنت مسافراً خارج العراق، وكان عماش وزيـــراً للخارجيـــة بالوكالـــة، وحدثت ازمة حدودية بين المملكة المغربية والجمهورية الجزائرية حول مدينة "وجدة" على مــا اذكر، وقرر مجلس الثورة بأقتراح من عماش لعب دور الوساطة المحايدة، وارسل احمـــد عبـد الستار الجواري رئيساً لوفد الوساطة. وكان على عماش ان يتصل بيّ ويسألني قبل تقديم ذلــك الاقتراح وتنفيذه، لأن الجزائريين إنـــزعجوا من سلوكنا وعاتبني عبد العزيز بوتفليقة الذي اصبح

---

١ ــ شكل عماش جهازاً خاصاً اسماه "شرطة الآداب" وكلفه بمهمة كبح "المتبرجات" وشمل قراره اكثر ما شمل طالبات الجامعة والموظفات وبدرجة اقل عامة الشعب. وصادفت إجراءاتــه تلك مع عودة شاعر العرب الاكبر محمد مـــهدي الجواهري من غربتـــه الطويلة إلى بغداد، الذي تصور خطأً ان مشوار الصراع بدأ يجد نــهايتـــه، وان البلـــد الغـــني سيلتفت للبناء والفرح فتفاعل قائلاً :

أرح ركابك من أين ومن عشـــر ... كفاك جيلان محمولاً على خطرِ
كفاك موحش درب رحت تقطعه ... كأن مغـــــره ليل بلا سحرِ
خفض جناحك لا تـــهزأ بعاصفة ... طوى لها النسر كشحيه فلم يطرِ

وكان عماش هاوياً كتابة الشعر ويتميز بمزاج اجتماعي جيد، وميل لحياة المثقفين، فرد على الجواهري مُحاكياً ومُرحباً :

أرح ركابك من أين ومن عشـــر ... هيهات ما لك بعد اليوم من سفر

وكم كانت مفاجأة الجواهري عندما سمع بتدخلات عماش ضد الحريات الشخصية، فأضطر وهو الناشد للـــهدوء إلى الاحتجاج عليه قائلاً :

وفيّ لها نذراً فـــــــوافى ... وسعى بـــها سبقاً وطافـــا
ابا "هدى" شـــوق يلـــح ... ولاعج يذكي الشعافـــــا
نبئت انك توســـع الــــ ... أزياء عتـــاً وإعتسافـــــا
وتقيس بالافتــــــــار أر ... دية بحجة ان تنافـــــــا
اترى العفاف مقاس اقـــــ ... مشة؟ ظلمت اذاً عفافــــا
ومن لم يخف عقـــبى الضمـــير ... فمن سواه لـــن يخافـــــا

واستمرت سجالات شعرية بين الاثنين، إنتصر فيها الناس والرأي العام للجواهري وإضطرت وزارة الداخلية إلى التراجع عن قرارها.

وزيراً لخارجية الجزائر بعد مقتل سلفه المرحوم محمد خميستي، وقال : كيف تعتبرون انفسكم تقدميين وتتوسطون بحيادية بيننا وبين المملكة ؟ وكيف تتوسطون بحيادية بين حليفكم وخصمه وهو خصمكم ايضاً. وكنت خلال دراستي بلندن قد تعرفت على اكثر القيادة الجزائرية الثورية، وعلى قادة المعارضة المغربية، وكنا طلاباً ننام في شقة واحدة، نفترش ارضها معاً.

إجتمعت فيه خصال التردد والقسوة والغموض

ورغم كل ما قيل عن عماش فلم يكن وحده الذي إرتكب اخطاء وكبائر. ولا أرى انه كان عميلاً لجهة معينة وإلا لكانت نصحته بجعل سلوكه اكثر عقلانية[1]. لكنه تميز عن غيره بأنه لم يفعل شيئاً مفيداً، ولم يأت بأحد إلا وكان جباناً او مشبوهاً. وقد علمت ان احد ضباطه هو الذي رفع لعبد الكريم قاسم قائمة بأسماء الضباط البعثيين التي وجدت على مكتبه يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣، لكن عماش انقذ ذلك الضابط[2]. ولا ادري لحد الآن لماذا امر بقتل

---

١ ــ ارتكب عماش اعمالاً وتصرف بغموض يؤكد ما ذهب اليه الشيبب ونختار الحادثة التالية مثالاً : خلال نشاط الضباط البعثيين والقوميين للقيام بأنقلاب ضد نظام قاسم، إنتشرت بصورة متعمدة دعاية تداولها الضباط تؤكد : ان صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وحاسم كاظم العزاوي - سكرتير قاسم - هم جواسيس مخفيون للسلطة ويجب الحذر منهم. وبعد التقصي تبين ان مصدر الاشاعة هو صالح مهدي عماش الدي طالب الضباط القوميين بترك "المجموعة المتشبوهة" ، فهرع صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان إلى البكر فوجدا عنده عماش وستار عبد اللطيف وبعد عتاب إعترف عماش بفعلته مبرراً بأن سمعة مجموعة صبحي وفرحان ممتازة ومنافسة ولا سبيل لايقافها إلا بتشويه سمعة روادها، وقال معاتباً : "إنكم ايضاً أشعتم بأني بعثي". فرد عليه فرحان : يا صالح إنك بعثي قبل ان تتشكل اللجنة القومية ومعظم الضباط سمعوا بذلك لأنك غير حريص على كتمان إنتمائك ولاتنسَ ان خالد محمد فريد هو الذي احبرك بوصول نبأ إنضمامك للبعث إلى عبد الكريم قاسم"[6].

٢ ــ وكي يخرج عماش نفسه من دائرة المشبوهية والاتهامات، صرح في مقابلة[7] قائلاً : بعد نجاح ثورة ٨ شباط ٦٣ تسلمت مذكرة من قبل محمد يوسف طه وقد عثر عليها في غرفة عبد الكريم قاسم وهي صادرة من السفارة البريطانية وتقول لقاسم :" حفاظاً على نظامكم الصديق والعلاقات الوطيدة نحذركم من محاولة سيقوم بها المقدم صالح مهدي عماش، احد ضباط الانضباط العسكري، وهو من الضباط الناصريين، وهذه المحاولة لصالح عبد الناصر.".
ولا اشك بأن ما قاله عماش هو محظ تزوير وإفتراء لانه اولاً : لم يجرؤ على قول ذلك منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨. ثانياً : تصنّع ان تخطئ المذكرة المزعومة بإنتمائه إلى الناصرية وليس إلى البعث، بينما كان الجميع يعرفه بعثياً، وذلك لكي يوحي بأن اجنبياً كتبها. ثالثاً : الجميع حاول تبرئة ساحته مشككاً بقاسم، لكن البحث والتقصي اكد بياض صفحة قاسم ويديه في حين أظهر استعداد الآخرين المتعجل لخيانة الوطن. رابعاً : اين المذكرة ؟ واذا كان امرها صحيحاً لماذا لم يحتفظ بها وهي تحمل برهان براءته. خامساً : لم يشر أي شخص لهذا الامر، بمن فيهم محمد يوسف طه الذي لم يعد موجوداً الآن. وبهذا يكون عماش واحداً من الذين يحاولون السخرية من ضحاياهم. يريد بعد خيانته لهم وتدميرهم ان يقول انه انظف من عبد الكريم قاسم وان قاسم صديق للانكليز، وموجهاً من قبلهم. ويذكر ان محمد يوسف طه كان واحداً من لجنة جردت موجودات مكتب قاسم ولو عرف بشيء فسيعرفه آخرون !! وقد ذكر كل الذين اشتركوا بجرد مكتب قاسم برسائل بعثوا بها إلى خليل ابراهيم حسين وإلى احمد فوزي او كتبوا مذكراتهم ولم يذكروا تلك البرقية رغم خطورتها لو كانت صحيحة، فستكون اول وثيقة تدين عبد الكريم قاسم.
←

العقيد عبد المجيد جليل الذي ما كان يجب ان يعدم، لأنــه أرحم مدير أمن عـــام في تـــاريخ العراق كله، و لم يظهر اية عداوة للقوميين او البعثيين، واصطدم بالشيوعيين اكثر من اصطدامــه بنا. و لم يسيء إلى عماش وعماد وبـــهاء الشبيب (وكان الاخيران ضـــابطين) ولا الســـعدي وكريم شنتاف عندما تمكن من إعتقالهم قبيل ٨ شباط بأربعة ايام، رغم خطورة امرهم. فلو كان قد حاول وانتزع منـــهم المعلومات قسراً لأنقذ حكومتـــه.

مع مصر الناصرية

اما علاقاتي المصرية فقد تكونت دون تخطيط مسبق اثناء وجودي بانكلترا. وكنت اميناً عاماً لرابطة الطلبة العرب التي يسيطر عليها البعثيون. وكنا خلال ازمة السويس نتصل يومياً بالسفارة المصرية تضامناً ودعماً، وشعرت بفخر عظيم حين قابلت السيد علي صبري - احد نواب جمال عبد الناصر- على هامش زيارتـــه لانكلترا، لانـــه اكبر مسؤول مصري التقي بـــه. وساعدني في الامر بعض النواب اليساريين من حزب العمال البريطاني المتعاطفين مع القضايا العربية.

وبعد عودتي إلى بغداد، اديت الخدمة العسكرية وبتوسط من المرحوم فؤاد الركابي (اول امين قطري للبعث في العراق) وجدت وظيفة في وكالة انباء الشرق الاوسط، كمترجم من العربيـــة إلى الانكليزية، وكانت الوكالة تصدر نشرة بالانكليزية توزعها على الســـفارات، فاشـــتغلت مترجماً طوال ست ساعات كل ليلة.

وبواسطة الركابي ايضاً تعرفت على ثلاثة موظفين في سفارة الجمهورية العربيـــة المتحـــدة (وكانت مندمجة وتمثل سوريا ومصر) وهم عبد المجيد فريد وهو حي يرزق ويعيش في بريطانيـــا حالياً. وطلعت صدقي، سوري الاصل ومازال حياً. ومحمد كبول، سوري وبعثي يعيش حاليـــاً بدمشق. اصبح هؤلاء الثلاثة اصدقاء لي، وحافظنا على صداقتنا حتى بعد إخراجهم من العـــراق. وعندما ذهبت إلى مصر وزيراً للخارجية وضيفاً على الدولة المصرية وجدت عبد المجيد فريد اميناً عاماً لرئاسة الجمهورية، وطلعت صدقي مديراً لمكتب الشؤون العربية ويرتبط مباشرة بالرئاســـة ويشرف على اللاجئين العرب بمصر. وعلمت ان كبول عاد إلى سوريا بعد الانفصال مباشرة.

هذه هي معرفتي الشخصية بالمصريين ومصر. اما الصلة الرسمية بين حزب البعـــث العـــربي

وقد حدثني الشيخ مهدي الخالصي[8] ان قراراً بإعادتـــه إلى الجيش صدر في ٨ شباط ٦٣ كضابط احتياط وكان قبلها هارباً بسبب "عدم موافقتـــه على الحرب مع الاكراد" فقال : جرى تكليفي مسؤولية مقر عبد الكريم قاسم للمحافظة على اوراقه وحاجاتـــه ووجدت فيه ملفاً كبيراً كتب عليه "الشيخ مهدي" والملاحظة التالية : "لا يبقـــى في صنـــف الدروع" وصورة من إلقاء القبض عليّ.

الاشتراكي والحكومة المصرية فقد اتاحت لي آفاقاً وعلاقات وفرصا كثـيرة، انتـهت فـور خروجي من قيادة الحزب بعد انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

لكن الدولتين مصر وسوريا توقفتا عن تقديم العون بعد فشل حركة عبد الوهاب الشـواف، ويستثنى من ذلك المساعدات الكثيرة والسخية التي قدمها لنا رفاقنا السوريون الذيـن شـغلوا وظائف مختلفة في مناطق حدودية بين العراق وسوريا مثل دير الزور والقامشلي وربيعـة وابـو كمال.

اقول هذا لأؤكد بأن الحزب في العراق لم يتزود من مصر لا بالسلاح ولا بالمال بعد ذلـك التاريخ، فلم نستلم من عبد المجيد فريد او من جمال عبد الناصر أي مبلغ. وحازم جواد وعبد الله الركابي يعرفون هذا الامر جيداً، ونفاه الاثنان نفياً قاطعاً[١].

ولا يسعني إلا ان اذكر ان السلاح الذي إستخدمناه في ثورة رمضان كان اكثره مصريـاً، وصلنا عبر الاراضي السورية. كما حصل عبد الوهاب الشواف على إذاعة واسلحة من مصـر وسوريا وهذه قضية اصبحت معروفة ومعلنة وموثقة بالاعترافات الـتي حصلـت في محكمـة الشعب. وإرتبط المصريون بعلاقات وطيدة مع قيادة حزب البعث في العراق خصوصاً خـلال امانة سر فؤاد الركابي. كما ساعدت القيادة القومية للحزب في تأسيس "مؤسسة الصحافـة" في بيروت والتي ادارها عضو القيادة جبران مجدلاني.

وعلى ضوء ماتقدم لم تكن معرفتي بمصر ابعد من علاقة البعث بـها. ولو كانت غير ذلـك لانكشفت خلال العداوة المرة التي حصلت بين البعث وعبد الناصر منذ استقالة الوزراء البعثيـين من حكومة دولة الوحدة إعتراضاً على الممارسات التي فرضتـها المباحث المصريـة ولاسـيما تصرفات عبد الحميد السراج والمعاملة السيئة التي عومل بـها القـادة البعثيـون العسـكريون وابعادهم إلى مصر وكان من بينـهم الرئيس العربي السوري حافظ الاسد.

وساءت العلاقات بيننا اكثر عندما وقع اكرم الحوراني والبيطار وثيقـة الانفصـال سـيئة الصيت[٢].

---

١ ـــ يقول الفكيكي : "بعد المؤتمر القومي الثالث كلفني خالد علي الصالح في دمشق وهو عائد للعراق بالتوجه للقاهرة لاستلام مساعدة مالية للحزب فضلاً عن احهزة إرسال إذاعي وإتصال لاسلكي. وذهبت فعلاً برفقة حـازم جـواد، وأُخضِعنا لدورة تدريب على احهزة للارسال والبث والاستلام دامت اسبوعين" و " تسلّمت مبلغ ٣٠ الف دينار مـن عبد المجيد فريد الذي بات مدير المكتب الخاص لعبد الناصر"[9] ويذكر ان المؤتمر القومي الثالث انعقد بعد فشل تجربـة الوحدة المصرية السورية، وهذا يعني ان الفكيكي إستلم المبلغ بعد فترة قصيرة من حركة الشواف وذلك يخالف ما ذهب اليه طالب شبيب.

٢ ـــ بعد انتصاره في معركة تأميم القناة وإقامة اول وحدة على طريق الحلم العربي بالوحدة الشاملة ، شعر ناصر بنشوة ثورية جعلتـه يعتقد ان الوطن العربي كله سرعان ما سينضوي موحداً تحت قيادتـه. و لم يحسب جيداً القوى العظيمة ←

لكن البعث في العراق ظل رغم كل شيء يحتفظ بعلاقات وذاكرة طيبة مع الدولة المصرية. وكان أوثقنا صلة بالقيادة المصرية الأستاذ فؤاد الركابي ويليه علي صالح السعدي ثم حازم جواد وأنا. وعندما اشتد الصراع بين البعث في سوريا وجمال عبدالناصر اختار فؤاد الركابي جانب القاهرة وترك الحزب ليؤسس حزباً ناصرياً صغيراً.

ومن ابرز الأدلة على العلاقة الطيبة بمصر، أنها كانت وحدها تعرف خطتنا لاسقاط حكومة عبدالكريم قاسم دون معرفة تاريخ التنفيذ ومضمونه. وقد فوجئتْ بنجاحنا. وذكر لي عبدالله الركابي ان جمال عبدالناصر استدعى فور سماعه النبأ فؤاد الركابي (وكان مقيماً بالقاهرة) وقال له: ان ما حصل ضربة على "اليافوخ"، ولكن مادام الامر قد حصل فلا مجال إلا أن نؤيد هذه الثورة وسنرسل برقية تأييد(1)

التي ستقف دون دلك. وفي سياق نشوته تصرف باستعجال وتورط سهولة بالتدخل في شؤون أقطار عربية كالعراق وسوريا واليمن والجزائر وغيرها. وأظهر كثيراً من اللامبالاة عندما انحاز في كل تلك "البلدان قبل ان يأخذ مرصة كافية لدراسة اوضاعها الداخلية الى الاطراف التي رشحتها المخابرات المصرية، ففي العراق تدخل مسحاراً بعد خمسة أيام فقط من نجاح ثورة ١٩٥٨ فتحدث مع عبدالسلام عارف، الذي ذهب على رأس وفد لمقابلته بدمشق، عن مصير عبدالكريم قاسم [١١]{ وبينما الكتاب ماثل للطبع، حدثني الدكتور مبدر الويس ان عبدالحميد السراج كان قد أخبره شخصياً في القاهرة بأن عبدالسلام عارف عندما جاء الى دمشق وتحدث مع عبدالناصر عن أهمية قيام وحدة اندماجية فورية، وقال بأنه سيقتل عبدالكريم قاسم (بطلقة واحدة) اذا عارض قيامها، وهنا قاطعه جمال عبدالناصر قائلاً: " لا ياأخ عبدالسلام، هذا الكلام لا يجوز، لأنه زميلك ورئيسك، ويجب ان يتم كل شيء معه عن طريق الحوار والاقناع". وكان السراج حاضراً المقابلة بين الرجلين والتي ضمت العقيلي وصديق شنشل وآخرين} . فسمع قاسم بالامر (دون ملاحظة عبدالناصر) مكوناً فكرة عن المستوى الاخلاقي للسياسة المتداولة، خصوصاً وأن الثورة مازالت لم تفرغ من احتفالها بالنصر ، ولم تتضح بعد التوجهات بداخلها ولم يبدأ الحوار معها حتى يستبدل بالتخطيط السري ضدها. ونتيجة لذلك قامت العداوة بين قاسم وناصر بالواسطة، عداوة عن بعد، فلم يلتق الرجلان ويستمعا لبعضهما حتى يختلفا. وبدلاً من الاعتذار شحنت الحكومة المصرية بصورة سرية اذاعة واسلحة واموال الى الضباط في الموصل، بهدف قلب الوضع في بغداد، وشارك في العملية عبدالمجيد فريد وطلعت صدقي ومحمد محمود يوسف والملحق العسكري المصري، العقيد عبدالمجيد فهمي الذي كان حلقة الوصل بين الضباط وعبدالحميد السراج، الذي يتصل بناصر مباشرة. وكان ناصر قد أطال زيارته لدمشق انتظاراً لنبأ نجاح الحركة الذي جاء مخيباً. وعلى صوته شنت أجهزة الاعلام المصرية وعبدالناصر شخصياً حملة اعلامية ضد قاسم سبقت ظهور نتائج التحقيقات وهجوم محكمة المهداوي المضاد، وكانت حكومة قاسم قد حققت انجازات كبرى قبل حركة الشواف، أي بعد أقل من سنة على الثورة. وذلك الوضع الجديد شجع وأتاح للخصومة داخل الساحة السياسية العراقية ان تنفلت من عقالها وشارك فيها الشيوعيون والناصريون وغيرهم.وكل يتهم الآخر بخيانة الوطن الذي كلهم أبناؤه. ومن الغريب ان الحكومة المصرية وظّفتْ في تدخلاتها موظفين رفيعي المستوى، بدءاً من المشير عامر وانتهاء بأصغر ملحق دبلوماسي. وواصلت أجهزتها التدخل حتى بعد سقوط قاسم، فارسلت السراج الى العراق سراً حيث زار مثلاً قادة عسكريين ومدنيين في منازلهم لترتيب امر تغيير عبدالسلام [١٢]. ثم جاء والمشير عامر وعبدالمجيد فريد الى بغداد بمناسبة تشييع عبدالسلام وبحوزتهم خطة لإحلال عارف عبدالرزاق محله، وكان الأخير قد فوجيء بالأمر (وكان حينها لاجئاً سياسياً في القاهرة)، ولم تنفذ الخطة لحصول عبدالرحمن عارف على منصب الرئاسة [١٣]. ثم استمرت التدخلات حتى انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨. وغير معروف لماذا اعتمد ناصر على السراج في إخراج سياسته في سوريا والعراق! رغم خنقه السراج لسوريا سنوات الوحدة وفشله في المحافظة على شعبية ناصر في العراق بعد ان وصلت ذروتها ما بين ١٩٥٦ ـ ١٩٥٨.

١ ـ قلت للشبيب: إن رفعت الجادرجي قد ذكر أن عبدالناصر أخبر والده أن هناك ست دول ساهمت باسقاط قاسم. كما ذكر هيكل في كتابه (سنوات الغليان) عن تقرير صحفي نشر بالأهرام ١٩٦٣/٩/٢٧ بأن الملك حسين ←

اخبره قائلاً : "اني اعلم علم اليقين بأن ما حدث في ٨ شباط ١٩٦٣ كان يحظى بتشجيع وكالة المخابرات المركزية وان بعض اعضاء قيادة حزب البعث في العراق لا يعلمون بذلك." واضاف "لكني اعلم ذلك وكانت لقاءات عديدة تمت في امريكا والسعودية. وان هناك محطة اذاعة كانت تساعد رجال ٨ شباط . . الخ". اجاب شبيب ما مضمونـــه : لـــو كانت هناك دول تساعدنا لحصلنا منـــها على رشاشات صالحة للاستعمال، واعلم انـــه لم تكن هناك جهة خـــارج القيادة القطرية والمكتب العسكري تعرف بموعد الحركة ومضمونـــها، وليست هناك اية دولة تعرف بأكثر من ســـعينا لاسقاط قاسم، حتى القيادة القومية لم تعرف بتاريخ الحركة[14].

اما الملك حسين فقد يكون محقاً بأن المخابرات الامريكية سُرَّتْ وارتاحت لما حصل من مقتل عبد الكريم قاسم وتقـــاتُلْ ابناء الصف الوطني الواحد – شيوعيين وبعثيين. اما مانقلتـــه الاهرام عن الملك حول لقاءات وترتيبات ربما تكون قـــد حصلت ولكن ليس بين بعثيين وامريكيين او اية جهات لها صلة بالامريكيين او السعوديين. فلم يذهب بعثـــي واحـــد لمناقشة القيادة السعودية وهو امر يسهل التأكد منـــه. واظن ان الملك حسين (اذا كان مانقله هيكل صحيحـــاً) قـــد تـــهجم علينا مباشرة بسبب انـــزعاجه من صدور اتـــهامات بحقه من لجنة "تشيرش" في الكونكرس الامريكـــي. ولم تكن هناك اية اذاعة تذيع لفائدتنا، بل كانت هناك اذاعة سوفيتية باسم "بكي ايران" واخرى تشيكية وواحـــدة باســـم صوت العراق الحر يديرها الشيوعيون العراقيون. لذا اعتقد ان ما قاله هيكل كان تأليفاً ساذجاً لايعكس سوى المهاترات والعداوة التي نشأت في الاشهر الاخيرة من حكم الحزب مع دولة عبد الناصر .. انتـــهى"[15].

ومن جانبي (ع. ك. س) ليس لدي ما يؤكد نسبة الكلام إلى العاهل الاردني غير حديث هيكل، وقد تمـــيز الاعـــلام المصري وبضمنـــه هيكل، في تلك المرحلة بالديماغوجية والبحث عن الاثارة على حساب الحقيقة. وكلنا يتذكر احمـــد سعيد الذي كثيراً ما اذاع من صوت العرب عن مظاهرات وحرائق وفعاليات مزعومة بالعراق بينما كنا ننعم بالامـــان ونسخر منـــهم، كما كانت علاقات مصر مع حكومة البعث عند نشرها الخبر في ايلول عام ١٩٦٣ ليســـت علـــى مايرام، ولم تكن طيبة ايضاً مع الاردن، واعتادت مدرسة هيكل الصحفية على استخدام التاريخ لدعم الاهداف الراهنـــة دون اكتراث بما قد تسببـــه رغبتـــه من إضرار بالحقائق التاريخية، يلوي اعناق الحقائق لمصلحة غايات مؤقتة. ويستطيع أي مواطن عربي، وليكن جزائرياً، ان يقف مندهشاً عندما يقرأ ما كتبـــه هيكل عن احداث معينة في الجزائر. وسيشعر السوري والعراقي واليماني بنفس الاحساس، ولكن كل واحد منـــهم سيظن ان هيكل يخطأ فقط في الجزء الذي يخـــص بلاده، وانـــه يحقق جيداً في اخبار البلدان الاخرى، لكن الحقيقة انـــه يكتب من اخبار البلـــدان مـــا يناســـب آراءه ورغباتـــه ومصالح معينة، ويضيف إليها إذا ما تطلبت الحاجة السياسية فصولاً لم تكن موجودة في الواقع.

وعلى سبيل المثال يقول هيكل في "سنوات الغليان" عن العراق انـــه "في ساعة الصفر المقررة للانقضاض علـــى عبـــد الكريم قاسم بدأ سلاح الطيران الذي يقوده اللواء عارف عبد الرزاق بضرب وزارة الدفاع مقر قيادة قاسم ومسكنـــه بالصواريخ" ويضيف : عندما بدأ الانقلاب كان قاسم "جالساً مع بعض اعوانـــه يراجع قائمة بأسماء ٥٨ ضابطاً قـــرر إحالتـــهم على الاستيداع بعد ان وصلتـــه معلومات عن نشاطهم في الوحدات العراقية" ويضيف ان قاسم لم يكن حتى تلك الساعة من صباح ٨ شباط "قد نام بعد وانما كان جالساً"[16].
وفي هذه القطعة مما يكتبـــه هيكل نكتشف عدة اخطاء ومغالطات :
اولاً : كان عارف عبد الرزاق نائماً بداره عندما بدأت الحركة ولم يكن على رأس الطيارين القاصفين منـــذ البدايـــة. واستخدم هيكل اسم عارف وليس الونداوي لان عارف عبد الرزاق ناصرياً وليس بعثياً وهو ما يهم هيكل. وهـــذا لا ينتقص من اهمية دور عارف في الحركة.
ثانياً : يعرف الجميع ان قاسم عندما بدأت الطائرات بقصفها لم يكن بوزارة الدفاع، بل نائماً في دار اختـــه بالعلويـــة، وخرج بعد سماعه النبأ بسيارة مكشوفة يحيي الجماهير المحتشدة على طول طريقه إلى وزارة الدفاع. لكن هيكل يريـــد
←

لقد حصل الكثير من التشهير والتـــهديد بين البعث والحكومة المصرية الناصرية طوال عـــام ١٩٦٣ ، وكان بالامكان إستغلال أي شيء في دلك الصراع لو كان موجوداً. واؤكد لـك ان مصر لم تحاول تشغيل بعثيين في اجهزتــها الامنية. و لم تنظر إلينا كمخبرين بل ادركـــت مـــن البداية إننا ثوار شجعان. وكنا كقادة في حزب البعث ننظر لانفسنا : قادة لمستقبل الامة العربية بكاملها، وحاملين لرسالتــها ورواد وحدتــها المنشودة، ولا يمكن لمن يحمل مثـــل احلامنـــا الرومانسية الشجاعة والطموحة، ان يفكر، بمجرد تفكير، في العمل لصالح أجهزة. كانت نيتنـــا تتجه اساساً إلى حلها وإلغائها لصالح دولة اعظم واهم واخطر هي دولة الوحدة العربية الكبرى. كما لم نفكر كبعثيين إطلاقاً بالعمل لصالح الدول العظمى لأننا نحلم ان نبني على ارضنا دولـــة عظمى قادرة على الحياة والتنافس والوقوف بوجه اطماع الاعداء. وتلك الاحلام جعلت افعالنا وجعلتنا مستقيمين. فلم نكن نصلح كمخبرين، بل ثوريون. واذا كان هناك من اســـتطاع ان يستغل حماسنا ويستفيد منـــه في الصراع ضد نظام عبد الكريم قاسم او في الصراع الداخلـــي (العراقي – العراقي) فهذا شأنـــه، و لم نكن في اسوأ الاحوال نعلم بوجوده. وقد سمعنا من هنـــا وهناك عن ورود اسلحة واموال للناشطين ضد حكومة قاسم، ولكنـــها وبعد حركة الشـــواف لم تكن إطلاقاً لحزب البعث[1].

العلاقة مع الاتحاد السوفيتي

إرتبكت علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي وتضررت كثيراً نتيجة لسوء التفاهم الكبير الذي حصل بسبب الاصطدام المبكر بالحزب الشيوعي العراقي، وانعكس ذلك علـــى علاقتنـــا بالمعســـكر

إظهار قاسم بالرجل العصابي المنشغل بالاعتقالات والغارق بالجريمة إلى درجة إلحاق الليل بالنـــهار. ومن اجل ذلـــك يلفق كل شيء بما يخدم السياسة المصرية. فلم يقل او يكتب احد ان قاسم كان موجوداً في الدفاع مع اعوانـــه عند بدء الحركة غير هيكل، فمن اين اتى بـــها ؟ والارجح انـــه إختلقها.

١ ـــ يقول الفكيكي عن عبد الحميد السراج إنـــه "حاكم سوريا الفعلي في عهد الوحدة، كان قد اصدر امراً بعـــدم تسليم اية قطعة سلاح للبعثيين إلا بأمر مباشر منـــه. ورحت لفترة طويلة في "البو كمال" اراقب قوافل الاسلحة المعطاة للاخوان المسلمين ولبعض القوميين العرب، ووكلاء زعماء بعض العشائر، فيما كان بعض هذه الاسلحة يباع في اسواق العراق السوداء."[17].

ويقول زكي خيري "إتصل السفير الامريكي في بيروت بضابط عراقي، وكان في اجازة وهو شقيق محمد علي جـــواد آمر القوة الجوية العراقية، الذي قتل مع بكر صدقي، ومن اقرباء عبد الكريم قاسم (إبن خالتـــه)، كلفه السفير ان يعود إلى بغداد ويحذر قريبـــه من مغبة وضع توقيعه على مسودة القانون (قانون رقم ٨٠) وكانت جاهزة للتوقيـــع لتصبـــح قانوناً نافذاً. وكان قاسم متردداً في التوقيع حتى تلك اللحظة، ولما سمع بالانذار الامريكي طلب اللائحـــة ووقعـــها في الحال. وكان هذا التوقيع بمثابة التوقيع على حكم الاعدام على صاحبـــه"[18] وكانت آجال عقود شركات البـــترول تمتد إلى مايقرب من عمر البترول العراقي المكتشف. وتشمل إمتيازاتـــها ٩٩.٥٪ من الاراضي العراقية. وكان اســـوأ شرط فيها هو عدم خضوع الشركات وإدارتـــها للقوانين المحلية العراقية.

الاشتراكي وبكتلة الاحزاب الشيوعية العربية والعالمية. ورغم ذلك كنت ارى السفير السوفيتي اكثر من سفراء جميع البلدان الاخرى. لأن حجم العلاقات والمصالح بيننا يحدد حجم المتشكلات الكبيرة، فقد ورثنا من نظام قاسم مسائل ومصالح كثيرة عالقة، فضلاً عن مشكلات ليست اقل اهمية ناتجة عن الحملات الاعلامية المثيرة للعداوة التي كانت مختلف وسائلنا الاعلامية تشنها على الدولة السوفيتية. وهذا ما جعلني اطلب لقاء السفير السوفيتي مرة، ويطلب هو لقائي مرة اخرى بهدف تخفيف وتطويق الازمة المتفاقمة.

واذكر انه طلب مني برجاء ولطف، ان لانهاجم باذاعتنا الرسمية الرئيس السوفيتي نكيتا خروتشوف بالإسم عند نقد سياسة بلاده في العراق والمنطقة العربية. وقال : نحن عندما نهاجم العراق، ننقد سياسته، ولا نهاجم شخصية عبد السلام عارف رئيس دولتكم. ولكم مطلق الحق والحرية في نقد سياسة الاتحاد السوفيتي، اما مهاجمة رئيس الدولة باسمه فهو يهدد بتردي العلاقات، ويسبب قطيعة غير مقبولة، وكنت اوافقه، ولكني ذكرته بدعم دولته لنشاطات التجمعات الشيوعية المعارضة خارج العراق بصورة مباشرة وعلنية[1].

وبالمقابل طرحت على المجلس الوطني لقيادة الثورة سلبية تردي العلاقة مع الدولة السوفيتية وطالبتهم باصلاح الامر وقمت بخطوات ناجحة في هذا السبيل . . واذكر على سبيل المثال : ان شحنة اسلحة محملة على ظهر باخرة سوفيتية كانت في طريقها إلى العراق لكنها اوقفت بعد نجاح ثورتنا في احد الموانئ السوفيتية. وحجتهم في تأخيرها هي ان العراق مازال مديناً،

---

١ ـــ وكمثال على الدعم السوفيتي لخصوم النظام الجديد عام ١٩٦٣ سنستحضر ما يلي : اولاً : تحويل جميع إذاعات الدول الاشتراكية الناطقة باللغة العربية إلى وسائل ناطقة بلسان الحزب الشيوعي العراقي ومحرضة للرأي العام ضد الحكومة العراقية. ثانياً : الدعم المعنوي والمادي الذي تلقته "حركة الدفاع عن الشعب العراقي" خلال قيادتها المعارضة في الخارج. ويذكر ان الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري تزعم الحركة التي اشترك بعضويتها د. فيصل السامر (وزير قاسمي ينتمي للحزب الوطني الديمقراطي) وعزيز الحاج وذنون ايوب ونوري عبد الرزاق ومحمود صبري وكلهم شيوعيون، فضلاً عن عضوية رمزية للزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني والاستاذ جلال الطالباني. وساعد وجود الجواهري في الحركة على ارتفاع شأنها. وتمكن الشيوعيون من ايصال قصيدته إلى الداخل وإلى حيث تجمعات اللاجئين في الخارج والتي كان مطلعها :

"أمين" لاتغضب فيوم الطعام	آت وألف شامت للرغام
أمين لا تغضب وان هُتك	السِّتر وديست حرمات الأنام
وهلل الفرعون في محرابه	وقال أمر مستتب وسلام

وتناول فيها بقسوة شخصية عبد السلام عارف عندما وصفه :

يا عبد حرب وعدو السلام	يا خزي من زكى وصلى وصام

وقدمت بنوك الدول الاشتراكية تسهيلات تسمح بتحويل التبرعات المستحصلة إلى العملة الصعبة . وتمكنت اللجنة من نقل نشاطها إلى الغرب وتمكن الجواهري بمساعدة الشهيد خالد احمد زكي اللقاء بالفيلسوف العالمي براتراند راسل الذي تعاطف مع حملتهم كثيراً[19].

و لم يسدد ما قيمتـــه حوالي ثمانية ملايين دولار. ومن جانبنا كما نرى ان هذه الصفقة بـــالذات ليس لها علاقة بالديون السابقة، وقد دفع العراق مقدمها وكانت في طريقها الينـــا، وحســـب الاتفاق المبرم فان العراق سيدفع بقية قيمتـــها بعد استلامها، وهكذا كنا ندور في دائرة مفرغـة او مغلقة. وفي تلك الاثناء اخبرني السفير السوفيتي ان نائب رئيس وزراء بلاده لشؤون الصناعة، او ربما نائب وزير الصناعة سيصل بغداد ويود اللقاء بك. ابلغتـــه فوراً بموافقتي ثم اخبرتـــه بأني ورئيس الوزراء احمد حسن البكر سلتقي بـــه عند وصوله.

قابلنا المسؤول السوفيتي انا والبكر في القصر الجمهوري. فقلت له : نحن ندور، في موضـوع الاسلحة، في حلقة مفرغة والسؤال المهم كما نراه : نحن نريد ان ندفع لكم ؟ ونحـــن رئيـس الوزراء ووزير الخارجية نقول نعم. اما انتم فتقولون ان الثمن هو المشكلة وسؤالي لكم : هـــل تريدون فعلاً تسليم الشحنة ام لا ؟ فأجاب : نعم نريد تسليمكم الشحنة بدليل انـــها مـــازالت محملة على ظهر الباخرة و لم يجر تفريغها. قلنا : ليذهب اذن الملحق العسكري السوفيتي ويجتمـــع بالمسؤولين في وزارة الدفاع العراقية ويتفق على جدول للشحن وجدول للدفـــع في آن واحـــد وتنتـــهي المشكلة فوراً. وكانت هذه واحدة من المشاكل التي حتمت علينـــا نـــوع وشـــكل اللقاءات.

بعد وصول صفقة الاسلحة قدمت اقتراحاً وافق عليه مجلس قيادة الثورة، ان ابادر في طلـــب زيارة الاتحاد السوفيتي فكلمت السفير وقابلت السيد غروميكو وزير الخارجية علـــى هـــامش اعمال الجمعية العامة. وكان دلك على ما اعتقد في اواخر ايلول، وكررت له رغبة العـــراق في استعادة علاقاتـــه الطيبة مع الدولة السوفيتية. وقلت له : نحن دولة غير منحازة، وحزب البعث العربي الاشتراكي ليس حزباً معادياً للشيوعية وان مايحصل بين البعث والشيوعيين انمـــا كـــان بسبب تصدي الشيوعيين بالسلاح لثورة البعث، ونرجو أن لاتتحول هذه المشكلة او تصبـــح الاعتبار الوحيد في العلاقات بين بلدينا. فقلت : ان علاقاتكم السيئة مع العراق ستنعكس علـــى مجمل علاقات السوفييت مع البلدان العربية. وذكرتـــه بالاختلاف الذي حصل بين خروتشوف وعبد الناصر خلال عهد عبد الكريم قاسم وانحياز حكومتكم له. وطالبتـــه ان يتعاون معنـــا في تحجيم نقاط الاختلاف ووضعها في موضعها الطبيعي. وعبرت له عن استعدادي للذهـــاب إلى موسكو في الوقت الذي يقررونـــه.

تفهم غروميكو كل ماقلتـــه. لكن الامور جرت بعد ذلك بسرعة، و لم تتح لزيارتي فرصـــة التحقق.

اما علاقاتنا بالغرب فلم تتميز بجديد. و لم تختلف عن السابق وكانت صلاتنا بسفرائهم جيدة بشكل عام، و لم تكن لدينا اية مشكلة مع الولايات المتحدة. وقد نصحنا جمال عبـــد النـــاصر بالاستفادة من القانون الامريكي المسمى "الغذاء من أجل السلام" . . . كانت مصـــر تشـــتري

استناداً لذلك القمح وتدفع بالعملة المحلية المصرية. فعلنا ذلك واشترينا كمية كبيرة من القمح وفوجئنا بعدم موافقة الجهات القانونية الامريكية على معاملتنا مثل المصريين وحجتهم ان العراق بلد نفطي ولديه كميات وافرة من العملة الصعبة، فوافقنا ودفعنا. وعدا عن هذا لم تحصل بيننا اية احتكاكات باستثناء بعض المضايقات البسيطة مثل تفتيش الحرس القومي للسفير الامريكي ببغداد. وكان يأتي اليّ مشتكياً ، فأعتذر واضطر للقول له : لستم وحدكم تعانون من هذا ، بل حصة السوفيت وسفيرهم وسفراء الدول الاشتراكية من المضايقات اكبر بكثير فيبتسم وينتهي الامر.

ناصر الحاني ولطفي العبيدي

سؤال : هل مرَّ عليك قبل وبعد عام ١٩٦٣ اسماء مثل ناصر الحاني ولطفي العبيدي وعلي عبد السلام وغيرهم من الاسماء التي دارت حولها شائعات كثيرة ؟

طالب الشبيب : في نهاية عهد عبد الكريم قاسم اجتمع المكتب العسكري والمكتب السياسي للبعث لتعيين التشكيلات الحاكمة بعد نجاح الثورة. إقترح عماش ناصر الحاني وزيراً للخارجية ووافق المكتب على الاقتراح. وكان الحاني حينذاك يشغل منصب سفير العراق في سوريا، أي مشرفاً على علاقات قاسم الحميمة بحكومة الانفصال وذلك لم يكن يحصل لو لم يكن عبد الكريم قاسم راضياً عليه وعلى صلة طيبة به.

ناقشت القيادة القطرية هذا التحليل فيما بعد وقررت إستبعاد الحاني من المنصب، لكن صداقة صالح عماش معه ومع لطفي العبيدي لم تتأثر، واستمرت قوية ولذلك عدل في اجتماع آخر للمكتب العسكري إقتراحه،وطالب بتعيينه وكيلاً لوزارة الخارجية وكان له ذلك. وبعد سنين كثيرة سمعت من سعد صالح جبر (و لم اكن اعرف ذلك) ان عماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف كانوا بين آخرين يتعاملون كمستشارين مع مكتب تجاري للاستيراد والتصدير اسسه جبر في بغداد غطاءً رواتب ممتازة وإعانات مالية. ولا ادري مدى دقة هذا الامر، خصوصاً وقد سمعت من آخرين بأن ماجرى في بغداد يأتي في سياق علاقات قديمة تربط بين العبيدي والحاني وبين عماش وتصل هذه الصلة إلى صدام حسين عندما اقام في القاهرة.

ربما كان مجيء ناصر الحاني وزيراً لخارجية حكومة (البكر - صدام) عام ١٩٦٨، له دلالة اكبر من مجرد الاستيزار، لكني لا اعرف اية تفاصيل عن هذا الامر[1].

---

١ ـــ ذكر لي احد كوادر حزب البعث العربي للاشتراكي، وكان لاجئاً في سوريا بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٧ ومقرباً ←

والفكرة الوحيدة التي ظلت عالقة في ذهني هي ما تم كشفه عن الاجتماعات التي عقدت في دار الحاني في بيروت وفي داري الملحقين الثقافيين الامريكي والبريطاني في بيروت ايضاً وبرفقة عبد الرزاق النايف رئيس وزراء حكومة ١٧ تموز ١٩٦٨ ولطفي العبيدي، وربما اجتمع معهم احد الشخاص الثلاثة عماش او حردان او صدام. وقد نشر لطفي العبيدي في الصحافة اللبنانية في نهاية الستينات صور شيكات مسلمة إلى قيادة سلطة ١٧ تموز ١٩٦٨. مما ادى بالمخابرات العراقية إلى شن حملة إغتيالات وملاحقات شملت كتلة العبيدي – الحاني – النايف، في كل مكان داخل وخارج العراق.

وليس من شك ان بعض المداخلات المشوهة كانت تحصل بالقرب منا وحولنا. ولكن ليس معنا إطلاقاً (واقصد مع القيادة القطرية للبعث). واتذكر، على سبيل المثال، العلاقة الودية التي كانت تجمع بين علي عبد السلام من جهة وكل من صالح عماش ورشيد مصلح التكريتي وكذلك تردده على احمد حسن البكر وعبد السلام عارف، وقد اعطى لنفسه رتبة عسكرية

من منذر الونداوي. بأن كتلة بيروت المؤلفة من الحاني والعبيدي وغيرهم والمتعاونة مع عبد الرزاق النايف (مدير الاستخبارات في العراق)، كانت تبحث بين اوساط المعارضة العراقية عن شركاء في انقلاب جديد يجري تحضيره على نار هادئة لتغيير نظام عبد الرحمن عارف، الذي بدا ضعيفاً، بغيره أشد منه. بهدف ايقاف نمو القوى الراديكالية من بعث يسار وشيوعيين (قيادة ولجنة) وحركة قوميين عرب والحركات الناصرية المتفرعة عن العربي الإشتراكي، والتي باتت قريبة جداً من إعلان جبهة سياسية تضم بالاضافة لهم الحركة الكردية المسلحة، وقريبة ايضاً من الاستيلاء على السلطة وقلب الاوضاع جذرياً.

وكان شرط مجموعة بيروت للتعاون هو ان يتمتع شريكهم باسم او اسماء مدوية تصلح كغطاء للانقلاب الجاهز، فلم تلك المجموعة تمتلك ضابطاً كبيراً أو سياسياً معروفاً.

فعرضوا الامر على كثيرين، وقالوا لمنذر الونداوي ان بامكانه اذا وافق على عرضهم ان يسافر إلى بغداد ليستلم منصب رئاسة الجمهورية. لكن الونداوي الذي لم يكن عليه غير الموافقة وانتظار البيان الاول، رفض العرض بعد مشاورة القيادة القومية لحزب البعث، وكان حزبياً ملتزماً يرفض التورط بأي عمل مشبوه.

وكما ذكر محمد باروت في كتابه "حركة القوميين العرب" ان هذه الكتلة عرضت ايضاً على قادة حركة القوميين العرب مشاركتها في انقلاب ابيض قادم، لكن الحركيين رفضوا لشكهم بأرتباطات لطفي العبيدي والحاني. وبعد إنقلاب كتلة البكر على حليفتها كتلة (النايف، الداود، الحاني، العبيدي) اظهرت الاعترافات والتهم المتبادلة اسراراً كثيرة مؤسفة تؤكد إن الاستخبارات الامريكية نشطت في العراق ليس من خلال قناة واحدة، ولا يستبعد ان تكون الوليمة التي اقامها علي عبد السلام في داره عام ١٩٦٣ تصب في ذلك النشاط المتنوع، والغريب أن الرجل دعا لوليمته كل اعضاء مجلس الثورة وصديقاً امريكياً له واستثنى من الدعوة جميع اعضاء القيادة القطرية لحزب البعث. وعرض على المدعوين توسطه لدى الادارة الامريكية لتسليح الجيش العراقي مقابل إطلاع الخبراء الامريكان على كتيبة صواريخ سام السوفياتية الموجودة بمعسكر التاجي[20].

وقد استفسرت برسالة من الاستاذ سعد جبر عن ملابسات هذا الامر والمكتب التجاري المزعوم ؟ فأجاب برسالة قائلاً: انه لم يوظف في مكتب له عماش او حردان او ستار، ولم يعط راتباً لصدام حسين في القاهرة لا مباشرة ولا بالواسطة. لكنه لم ينف ولم يؤكد وجود ذلك المكتب التجاري الذي يفترض وجوده في واحدة من بنايات منطقة حافظ القاضي ببغداد.

لبسها ثم جُرِدَ منها. ودارت حوله قصص كثيرة من اعمال تهريب كبرى وصفقات مشبوهة وعلامات استفهام كثيرة. وبعد عام ١٩٦٨ في عهد (البكر - صدام) قتل في سياق الملاحقات وتصفية الحسابات وسد ثغرات الفضائح، ووجدت حثته مقطعة.

السعدي يتوسوس من وجود إرادة خفية

سؤال : هناك من يتصور ان علي السعدي احس منذ الاشهر الاولى لاستلام السلطة، إنها بعيدة عنه وليست بين يديه ولا بين يدي قيادة الحزب المدنية. في حين تمكن العسكر من تحسس اهدافهم وتشخيصها واصبحوا يعرفون ما يريدون. ولذلك نفذوا بحماس كل ما شعروا انه يناسب مصالحهم واهدافهم وتباطأوا في تنفيذ ما اعتبروه غير مناسب من قرارات قطرية الحزب، فشعر السعدي تدريجياً انه والجناح المدني لا حول لهم ولا قوة إزاء ارادة خفية وربما مشبوهة تتآمر وتملك مخططاً جاهزاً للتنفيذ وبلا رحمة ولذلك تباطأ وخفت حماسته فما رأيك ؟

طالب شبيب : ليس ذلك صحيحاً، ولم يصبح السعدي بلا قوة. وكانت لديه كل الصلاحيات السياسية التي تمنحه القوة التي لم ينافسه عليها احد. كان لديه كل شيء، لكنه ترك الامر واهمل كل شيء، في وقت لم يكن مطلوباً منه سوى الاتزان والتفرغ لمسؤوليات الدولة. وكان بإمكانه لو فعل ان يجد الوقت الكافي لممارسة هواياته وميوله الاخرى، فيفصل بين حياته كمسؤول وممارسة رغباته الخاصة. لا ان يتصرف كلياً بفوضوية تسخر وتهزأ من مؤسسات الدولة وقادتها رغم وجوده بداخلها وعلى رأس زعامتها[1].

واكرر رأيي بأن القيادة القطرية المدنية كانت قادرة حتى بداية شهر تشرين الثاني ١٩٦٣

---

١ ـ يبدو ان آراء واخبار وقرائن كثيرة تخالف الاستاذ شبيب بعض الشيء، وتؤكد ان السعدي عرف من خبرته المدى الذي يمكن ان يذهب اليه العسكريون. انهم سيقتلون ويسحقون من يقف بوجههم ولذلك قدّر (في الاشهر الاخيرة من حكم البعث ٦٣) إختيار الحل السياسي، واذا لم ينجح فالانسحاب بهدوء من واجهة السلطة، وإنتظار فرصة أخرى مناسبة. واذا لم تأت تلك الفرصة يكون هو وتياره قد اصبحوا خارج السلطة دون سفك الدماء ودون خسائر كبيرة. وجاءت الفرصة في المؤتمر القطري الاستثنائي، فأرادها سلمية، وارادوها خصومة عسكرية فاستولوا على المؤتمر باختراقه، وتحكّموا بنتائجه. وتصرف السعدي بهدوء، وكانت تلك من المرات القليلة التي ينجح في تطبيق العقلانية والمسالمة على نفسه وتياره.

وذهب الفكيكي إلى مثل هذا الرأي قائلاً : ان السعدي فقد رغبته في شد اوضاع السلطة وفي إعداد جماعته للمواجهة لقناعته بأن الخط الآخر قوي عسكرياً ومستعد للفتك بخصومه اذا تحركوا حركة طائشة.

على اصلاح الوضع وحماية سلطة الحزب لو اراد على ذلك، و لم يكن مطلوباً منـــه غير منـــع وجود جيشين في دولة واحدة[1].

---

١ ـــ روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: ان علي السعدي بعد عودتـــه من المنفى، عبر عن رغبتـــه بإقامـــة علاقة طيبة معه (مظفر)، وكان يلح على خلوة معه يدافع فيها عن نفسه . وكان الشاعر يصده بسبب موقفه من قـــادة نظام ١٩٦٣ الذي مورست فيه أعمال القتل والتعذيب وتصرفات غامضة أو مشبوهة . وكان السعدي قائداً لذلـــك النظام (على وحه التقريب) . ورغم الصدود ظل السعدي يلح على النواب الذي لم يتصرف كشاعر فقط بل كقـــائد سياسي (القيادة المركزية)، ويكرر طلبـــه كلما تصادفا في بيوت الاصدقاء المشتركين أو المنتديات العامة. وعندما أذعن النواب وإستمع إليه، طالبـــه السعدي بأهمية ان يصدق مايلي:

اولاً : انـــه (اي السعدي) والخط القريب منـــه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأية جهة احنبية. وألح على ضرورة ابـــلاغ ممثلي الاطراف الوطنية شيوعيين وحركيين واكراد وبعثيين يساريين بذلك.

ثانياً : طالب القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي واليسار عموماً، بضرورة الوصول بالتعاون والتخطيط لمســـك زمام السلطة، لانـــه يعلم ان اخطاراً جسيمة تنتظر العراق، واكد استعداده ورغبتـــه الشديدة بمحكمة عادلة وعلنيـــة يقف فيها متـــهماً ليعترف بحقيقة ما جرى قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ وخلالها، ليصير ممكناً للآخرين الحكم بعدالة علـى القضايا المتعلقة بتلك المرحلة القاسية. أي انـــه طالَبَ بعدم التصديق بالدعايات والاحاديث المرسلة بلا مسؤولية.

ثالثاً : قال انـــه وبعد دقائق من ثورة رمضان اكتشف انـــه وجماعتـــه يسيرون دون ارادتـــــهم بقطـــار ماكنتـــــه امريكية !!

رابعاً : طالَبَ ان تستمر مفاوضات الجبـــهة الوطنية بين قوى المعارضة وبضرورة قبول "حزب العمال" طرفـــاً فيـــها، وانـــه مستعد ان ينسحب من قيادة الحزب بسبب ما يعتقدونـــه من دوره في مقتل قياداتـــهم في عام ١٩٦٣.

خامساً : قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨ "كلهم عندهم علاقة مع السفارة البريطانية – ما عدا البكر الذي لا أعـــرف عنـــه شيئاً". وبعد ذلك جلسنا إلى بقية الحضور فقال بحضور أمل الشرقي وعبد الجبار محسن وآخرين انـــــه يخـــاف كتابة مذكراتـــه لانـــها ستؤدي لقتله وربما الاساءة لزوجتـــه.

لكن النواب يعتقد ان السعدي كتب شيئاً وتركه في مكان ما، وقد أفادت "هناء" بما يوحي بذلك. ويقول النـــواب ان السعدي كرر ذلك عندما التقاه في بيروت.

وفي هذا السياق اخبرني يونس الطائي ان السعدي اخبره في ١٩٦٧ بالقاهرة وكرر في بغداد "أنـــهم جاءوا، دون قصد، بقطار ماكنتـــه امريكية. وكان الطائي يسكن في مدينة السيدة زينب بغرفة متواضعة، علق فوق رأسه صـــورة تجمـــع بينـــه وقاسم وبن بيلا وتحتـــها كُتِبَ بيت شعر من نظمه:

يظل الحق منـــهزماً زمانــــاً ثمّ ينتصر

وذكر اللواء الركن اسماعيل العارف "اسرار ثورة ١٤ تموز" انـــه قابل السعدي في لبنان وسأله "كيف راحت الســـلطة من ايديكم ؟ فأجاب : انـــهم جاءوا في القطار الامريكي وكانت جماعة امريكا اقوى من اية جماعة اخرى". ونقـــل كثيرون انـــهم سمعوا من السعدي مثل ذلك الكلام. واخبرني بعض الطلبة في براغ انـــهم سمعوا من السعدي مثل ذلك اكثر من مرة، وانـــه كرر ذلك الكلام في حفلة وطنية اقامها الطلبة بحضور د. عبد الحسين شعبان و ع. ف. والمرحـــوم موسى اسد الكريم (ابو عمران)

مراجع:

[1] هاني الفكيكي ، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
[2] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر جدة، ١٩٩٠ ص ٩٠ - مأخوذة عن وثائق المحكمة العسكرية الخاصة العليا حرء ٢ ص ٤٠ .
[3] راجع خليل ابراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، عبد الكريم قاسم، مصدر سابق.
[4] حيفري ارونسن، واشنطن تخرج من الظل، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٥٦، بيروت، ص ٩٠.
[5] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، م س، ص ٢٨٧.
[6] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٦٠ — ٦١.
[7] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ١٣١.
[8] الشيخ مهدي الخالصي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦/١/٧.
[9] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٦١.
[10] أمين هويدي، مع عبد الناصر، دار المستقبل العرب، – القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٥٢.
[11] د. مؤيد النداوي، الوثائق السرية، مصدر سابق، راجع المقابلات مع محمد صديق شنشل وعبد العزيز العقيلي وعبد الرحمن البزاز ةمحمد مهدي كبة، وغيرهم.
[12] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٨٨.
[13] أمين هويدي، مع عبد الناصر، م. س. ص ١٤٨ ، ١٥٣.
[14] أكد الاستاذ أحمد الحبوبي في رسالة للدكتور علي كريم سعيد في ١٩٩٦/٣/٥ نفس كلام شبيب، لكنه أضاف بأن القاهرة لم تكن فرحة بانفراد البعثيين بالسلطة.
[15] طالب شبيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.
[16] محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، مصدر سابق، ص ٦٧٦.
[17] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٣٩.
[18] زكي خيري، مذكرات، مصدر سابق، ص ٢٤٠.
[19] محمد مهدي الجواهري، ذكرياتي، ج٢، ص٣٠٤.
[20] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ١٥.
[21] مظفر النواب، مقابلة، برلين، ١٩٩٤ في سياق استعراض دور التآمر الدولي في العراق.
[22] يونس الطائي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٥.

البيرية المسلحة[1]
حركة حسن السريع

سؤال : هل لك ان تحدثنا عن ما اصطُلح على تسميتـــه بحركة حسن السريع، او انتفاضة ٣ تموز ١٩٦٣ ، وانعكاس ذلك على الســـلطة آنذاك ؟

طالب الشبيب : كانت ترد إلينا بين حين وآخر معلومات من قيادة الحرس القومي وجـــهاز الأمن عن وجود تنظيم عسكري شيوعي يضم ضباط صف وجنوداً، إضافة إلى وجود وقيـــام خلايا شيوعية مدنية قليلة العدد، بدأت نشاطها في بعض أحياء بغداد، وبعض المحافظات في أنحاء مختلفة من البلاد، وان قيادة الحرس القومي قد تمكنت من كشف بعض تلك الخلايا واعتقـــال عناصرها.

ورغم اهتمام قيادة الحرس القومي بالأمر، لم تأخذ قيادة الحزب القطرية ذلك مأخذ الجد[2]. لأن حزب البعث كان يسيطر على جميع أسلحة الجيش في بغداد ومحيطـــها، ويقـــود كتـــائب الدبابات الأربع ضباط بعثيون بعد ان تم تنقية كافة مراتبـــها من المشكوك في ولائـــهم. أمـــا وحدات المشاة فتوزعت قيادتـــها بين ضباط بعثيين وآخرين موالين.

وبضمانة الجيش، وهو أهم أدوات السلطة، كان من الطبيعي ان لا نشعر بالخوف، بل عشنا أجواء ظننّا انـــها أمينة، قبل ان نفاجأ بما سمي بحركة او تمرد حسن السريع.

وعلمت شخصياً بحصول تمرد في معسكر الرشيد من مكالمة وصلت إلى مكتب حازم جواد الذي جاء إلى بيتي مرتدياً بدلة عسكرية، واخبرني بوجود تمرد عسكري في الرشيد. ومـــن داري

---

١ ـــ البيرية هي غطاء الرأس العسكري الذي يلبسه الجنود.

٢ ـــ حدثنا احمد العزاوي (عضو القيادة العامة للحرس القومي) في عام ١٩٧١ بدمشق ، بأن قيادة الحـــرس القومـــي عندما علمت بوجود بعض خلايا "التنظيم الجديد" للحزب الشيوعي في بغداد وبعض المدن، لم يغمض لهـــا جفـــن، واستنفرت كامل قواها و لم تـــهدأ قبل ان تضع يدها وتتحكم بالأمر[1] وقد ذكر العزاوي ذلك في سياق حديثه عـــن المجهودات والأرق الذي يصيب نظام بغداد بسبب النشاطات السرية التي تقوم بـــها قوى المعارضة العراقية.

أجرى اتصالات بوزارة الدفاع والقصر الجمهوري، فأخبروه ان الأمور أصبحت تحت السيطرة. لكن التبرم والانزعاج ظهر جلياً على وجهه حينما عَلِمَ ان عبد السلام عارف يقود بنفسه كتيبة الدبابات الرابعة التي أصبحت بعد ثورة ١٤ رمضان كتيبة دبابات القصر الجمهوري، فصعد إلى الدبابة الأولى وقاد رتلاً من الدبابات نحو معسكر الرشيد.

واعتقد ان تصرف عبد السلام وتصدره للعملية كان وراء تحسس وإلحاح حازم جواد لكي نذهب فوراً إلى المعسكر لرؤية ما يجري على الأرض، ولنكون موجودين عندما تتخذ قرارات عسكرية، وربما تكون خطيرة وبذلك لا نترك الفرصة لعبد السلام عارف ان يظهر بمظهر المنقذ والحامي لحكم البعث.

ومع الأسف ثبت لنا بسرعة عدم سداد هذا الرأي. وكان من الأفضل ان نذهب إلى مقرات القيادة في وزارة الدفاع او القصر الجمهوري.

ركبنا سيارته أنا وهو وأخي بهاء شبيب، وكان يقودها حامد جواد أخو حازم جواد، وهو ضابط في القوة الجوية ومسؤولها الحزبي. ولم يكن معنا غير مسدساتنا الشخصية ورشاشة كلاشينكوف واحدة. وعندما دخلنا معسكر الرشيد وجدنا أنفسنا وسط فوضى عارمة. وكانت الدبابات التي يقودها عبد السلام عارف قد دخلت قبلنا بقليل، والمدفعية ترمي بكثافة والقتال محتدم، ووحدات من الحرس الجمهوري موجودة تتخللها مجموعات من الجنود، وآخرون بملابس الحرس القومي. وكل هذه القوى تختلط ببعضها بصورة فوضوية عجيبة.

ولم يكن هناك أي مظهر يدل على وجود قيادة او تنظيم مركزي، بل لم يكن أحد يعرف إلى أي طرف ينتمي هؤلاء وأولئك، وكنا نعلم ان الحرس القومي متسيب، لكننا فوجئنا بمستوى ما تجسد أمام أعيننا من فوضى غير متوقعة وغير معقولة[١].

---

١ — فجر يوم ٣ تموز ١٩٦٣، وكان الظلام مازال طاغياً، إتجه العريف حسن السريع مع مجموعة من جنود وضباط صف المدرسة المهنية العسكرية وبعض المدنيين بزي عسكري فضلاً عن جنود ملتحقين من وحدات أخرى، انطلاقاً من مهاجعهم، صوب كتيبة الهندسة بمعسكر الرشيد، وكان بعضهم يرتدي ملابس ورتب الضباط. وعندما اصبح على مسافة بحدية من حرس باب نظام الكتيبة، رفع وبحركة سريعة وذكية بيريته طالباً منهم بحزم وثقة إلقاء أسلحتهم، مستغلاً ستار الظلام وجلبة الرحال الذين معه، ليوهم الحراس بأنه وبقية العسكريين المرافقين يحملون أسلحة وينفذون خطة مدروسة ومعدة سلفاً. وبأن ما يقومون به ذو شأن كبير وجزء من عمل واسع . . دار ذلك بخلده وأوحت به حركة البيرية في أذهان الجنود الحراس البسطاء، الذين ذهلوا ورموا أسلحتهم مستسلمين.
كانت تلك بداية انطلاق ما سمي بحركة حسن السريع التي تمكنت من احتلال كتيبة الهندسة ثم اغلب أحزاء المعسكر الذي احتوى على اكبر قوة في بغداد، ضمت الطائرات والدبابات والمدرعات وسلاح الهندسة والمشاة وغيرها. كما تمكنوا من اعتقال عدد من الضباط الموالين للحكومة، وتجهيز بعض الطائرات بانتظار الضباط الطيارين بعد إخراجهم من سجن رقم واحد الواقع في المعسكر ذاته والدي صم حوالي ٥٠٠ ضابط شيوعي وقاسمي، ليتم توزيعهم على
←

سرنا وسط تجمع من الجنود وأفراد الحرس القومي، فأوقفت سيارتنا من قبل مجموعة يرتـدي أفرادها ملابس مماثلة لما يرتديه الحرس القومي، وطلبوا الهويات، فقدمناها لهم ونحـــن نلومـــهم

الوحدات في المعسكر، وإلى معسكرات التاجي وابو غريب والحاويل وبعض الوحدات المستقلة في بغداد، فضـــلاً عـــن دعوة عدد منـــهم للمساهمة في قيادة الحركة وتسييرها. وكان للحركة جنود موزعون على كل الوحدات ومبلغين بـان ساعة الصفر لبدء العمل على اعتقال ضباطهم هو الوقت الذي يصل فيه الضباط المطلق سراحهم إلى تلك الوحـــدات. وكانت الحركة قد أجرت الحركة اتصالات مع شيوعيين في بغداد وبعض المحافظات ، ومع منظمة الفرات الأوسط التي لم تتضرر كثيراً بسبب لجوءها إلى الريف بقيادة عضو المكتب السياسي باقر إبراهيم الموسوي ويعاونـه عضو اللجنـــة المركزية الاحتياط صالح الرازقي وزكي عضو المكتب السياسي المحفض إلى عضو قاعدة وعدنان عباس. ومـــع مدينـــة الناصرية، وبأنصار كثيرين يقطنون أحياء بغداد الشعبية الجديدة كالزعفرانية والثورة والشعلة والحرية، والتنسيق معـــهم لكي يبدءوا بالسيطرة على معسكراتـــهم او على الأقل إثارة القلاقل بمجرد بدء الحركة. وكان هـــدف الاتصـــالات الواسعة هو النجاح بإثارة أفعال متفرقة كثيرة توحي باتساع الحركة وتوزع او تشتت قوة ردود فعل الحكومة وإضعاف معنويات المترددين من أتباعها، فيكسب الثوار وقتاً ضرورياً يسمح بالتحاق أنصار كثيرون متوقعون، كمـــا يســـمح للضباط الشيوعيين والقاسميين المطلق سراحهم من سجن رقم واحد في اخذ مواقعهم والبدء بالتعاون مع الجنود للسيطرة على مراكز قيادة الوحدات. وكان أمل السريع ورفاقه كبيراً بتجاوب جنود الجيش الذين غالباً ما ينحدرون من أوساط اجتماعية يَعْتَقِدُ أبناؤها أنـــهم مظلومون، ويتعاطفون مع قاسم الذي تَقَرَّبَ إليهم بإقامة مشـــاريع لمصلحتـــــهم. ولم يخفِ الغالبية منـــهم مشاعر الاسف لعدم توفر الفرصة لهم في ٨ شباط للدفاع عنـــه، وهاهي الفرصة تأتي مع محاولـــة انقلابية جديدة للثأر، حيث ستتم دعوة الجنود لاعتقال الضباط غير المتعاونين وتنصيب الخارجين من السجن محلـــهم او حتى تنصيب ضباط الصف قادة للوحدات مؤقتاً، اذا تطلب الامر، تمهيداً للسيطرة على السلطة السياسية. وعُلِـــمَ مـــن التحقيقات والمعلومات الراشحة هنا وهناك أن السريع وجماعتـــه قد فكروا بأدق التفاصيل وأعدوا خطة جريئة كـــانت تحتمل النجاح لولا ملابسات بسيطة اهمها : "جبن" قائد الدبابة الوحيدة المشاركة في الهجوم على معتقل الضباط، وكان يقودها الجندي "خلف شلتاغ"، فضلاً عن استبسال المدافعين عن السجن، مما سبب تأخر اطلاق سراح الضباط وأعطى الحكومة وقتاً. فخسر الثوار عنصر المفاجأة والمبادرة، وحوصرت حركتـــهم داخل المعسكر بانتظار حســـم معركـــة السجن وتطيير الطائرات القاصفة واستخدام الدبابات وبقية الاسلحة. ورغم بساطة الخطة الموضوعة وسهولتـــها الا ان قسوة القمع الذي تلى فشلها، وتنفيذ احكام الاعدام بأهم رجالها واستمرار الحكومات التالية في ملاحقـــة المســـاهمين بـــها وسجن الاحياء منـــهم وإختفاء وهرب المتعاونين معها على مدى سنين طويلة، فضلاً عن اكتظـــاظ الســـنوات التالية بأحداث مريرة، سالت فيها الدماء وانشغلت فيها الانفس، أدت إلى ضياع معلومات وتفاصيل كثيرة عنـــــــها. ولهذا نحن الآن لا نعرف بالضبط مستوى التنسيق الذي قام بين الجنود والضباط المعتقلين في السجن رقم واحد، وهـــل وافق الضباط التعاون والمساهمة في الحركة ؟ وفي براغ ١٩٧٧ سألت الضابط غضبان السعد بحضور المرحوم موسى اسد والمرحوم ثمران الياسري(ابو كاطع) ود. عبد الحسين شعبان عن الامر، فأجاب : لقد ابلغ السريع قيادة منظمة السـجن بخطتـــه الانقلابية، بما في ذلك دور الضباط فيها. ولم يؤثر على ثقتـــهم بتعاوننا عدم تسلمهم رداً صريحـــاً بالموافقـــة والتعاون. واضاف السعد : "ان عدم ردنا عليهم سببـــه الرغبة في تلافي إغضاب قيادة الحزب التي أظهرت تـــردداً في دعم الحركة." واكد هذه الحقيقة د. حامد ايوب العاني الذي استقى كثيراً من معلوماتـــه من المرحوم هاشم الآلوسـي. كما اكد اغلب من التقيناهم من الضباط المعتقلين، انـــهم كانوا سيتعاونون بلا تردد، لو تمكنت الحركة من اطـــلاق سراحهم. بل ان غضبان السعد ظل طوال حياتـــه يفتخر بالمنصب الذي منحتـــه له الحركة في حالة نجاحـــها، وقـــد طالبني بحضور المحامي رؤوف دبيس، اثناء مجادلة حول الامر، ان احترم ما يقوله وان أُصَدّق بأنـــه كان سيكون رئيســـاً للعراق، لولا الحظ السيء، مستنداً إلى نية الثوار بتعيينـــه قائداً للجيش[2].

بشدة على قلة انضباطهم وعلى تصرفاتهم التي لا تدل على نظام او تنظيم. وكان تقديرنا انهم من شباب الحرس القومي، وفجأة تحولت رشاشاتهم إلى صدورنا وطلبوا منا النزول من السيارة. وفي نفس تلك اللحظة الحرجة كان حامد جواد الذي يرتدي بدلته العسكرية قد ترجلٍ وتمكن من التملص، ولا ندري هل تركوه يذهب احتراماً لبدلته العسكرية بأعتبارهم جنوداً، ام لأن تركيزهم استقر علينا فقد كنا صيداً ثميناً (وزير خارجية ووزير داخلية)، فأحاطوا بسيارتنا وامرونا بالنزول بعد ان اطلقوا بضعة إطلاقات اصابت سقف السيارة. واعترف ان اسلحتهم لم تكن موجهة عند الرمي الينا مباشرة.

كانوا ثمانية اشخاص، إقتادونا نحن الثلاثة -انا وحازم وبهاء- نحو حائط قرب بوابة معسكر الرشيد الرئيسية. فأيقنا اننا سنقتل، ولا استطيع الآن ان اصف لك شعوري، لأني لم اشعر بشيء، لا خوف ولا رهبة ولا أي شيء آخر. فالقضية كلها تمت في لحظات. والمفاجأة بحد ذاتها لم تترك متسعاً للخوف ولا لأي شيء آخر. ولم يتجسد في ذهننا سوى فكرة واحدة هي اننا سنقتل، وليس امامنا، كما يبدو، سوى ان نتصرف بجلادة وصبر، فمادامت النهاية محتومة فإن الشجاعة افضل من الضعف.

وقفنا بإتجاه الحائط، ووقف خلفنا الجنود وكان قد صدر لهم امر بسحب الاقسام من قبل عريف، مازلت اذكر اسمه "صباح ليلية" وهو آشوري. وكنت قد تدربت في دورة عسكرية لضباط الاحتياط واعرف ما يعنيه ذلك، فستكون الرصاصات قد إندفعت إلى سبطانة البنادق، وبعد فاصلة زمنية قصيرة جداً سيصدر الامر بالرمي. وفي ذلك الجو الفوضوي، يستطيع أي شخص ناقم او متهور ودونما مساءلة ان يقضي علينا بضغطة زناد.

وفجأة !! سمعنا صوت عسكري عالي النبرة، يأمر الجنود بالتوقف، فألتفتوا وراءهم ليكتشفوا انهم محاطون بقوس يتكون من فصيل كامل من الحرس الجمهوري، وعلى رأسه ضابطان هما حامد الدليمي وكنا نعرفه ويرافقه حامد جواد (سائقنا الذي ترَّجل)، فكانت اكثر من اربعين رشاشة مصوبة إلى صدورهم.

ومن حظنا الطيب، وحظ آسرينا العاثر انهم كانوا بسطاء ولم يدركوا انّ الدليمي وجنوده لم يكونوا قادرين على الرمي، لأن مجرد إقدامهم على ذلك سيعني قتلنا، لأن آسرينا يقفون على خط مستقيم بيننا وبين محاصريهم. وهو امر لم يكن حامد الدليمي او حامد جواد قادرين على المجازفة او التورط به. كما انهم رغم قراءتهم لهوياتنا ومعرفتهم لمراكزنا، لم يتشبثوا بنا ويساوموا علينا، وهو امر كان سيساعدهم كثيراً، ويكسبهم الوقت الكافي للحصول على نجدة او للهرب والاختلاط بالجنود المبعثرين داخل وخارج المعسكر في حالة من الفوضى لا يعرف لها مثيل. ويبدو ان الارتباك سيطر عليهم عندما وجدوا انفسهم امام

عسكريين نظاميين يفوقونـــهم عدداً، فرموا اسلحتـــهم واستسلموا، فتمَّ إنقاذنا بمـــا يشبـــه المعجزة، وفوراً أمر الضابط حامد الدليمي بإعدام الجنود الثمانية[1].

علمنا فيما بعد أن القائد العام للحرس القومي منذر الونداوي ونائبـــه نجاد الصافي وآخريـن

---

١ ـــ كانت البدرة الاولى لحركة السريع قد بدأت إنطلاقاً من محاولات فردية لإستعادة التنظيم قام بـــها الشـــيوعيون بعد ان وجهت اليهم حركة ٨ شباط ضربات قاصمة قطعت اوصال منظماتـــهم. لكن خلايا ومنظمات حزبية قاعدية في كل القطاعات الاجتماعية والعسكرية، ظلت بعيدة عن ايدي السلطة واجهزتـــها، وبنفس الوقت تجمـــد عملـــها وظلت بعيدة عن امكانية تحقيق الاتصال بمركز قيادتـــها، بسبب قسوة الظروف ومقتل وهرب او ســـجن المســـؤولين المباشرين عنـــها. فدبت الفوضى والاعمال الفردية، حتى ان احد الشيوعيين كتب بياناً بخط يده ووزعه بسرية بتوقيـــع "الحزب الشيوعي في الدوريين" . ويبدو ان جماعة حسن السريع كانت واحدة من تلك المنظمات التائهة، بحكـــم ان مسؤولي أكثر المنظمات الحزبية العسكرية كانوا بين القتلى والسجناء ويواصل بعضهم وجوده في السجن منذ ما قبـــل ١٤ رمضان ١٩٦٣. و لم تنضج فكرة الحركة الا بعد التقاء منظمة السريع الصغيرة بمنظمة عمالية تائهة اخـــرى أكـــبر منـــها يقودها "ابراهيم محمد علي" الذي امتلك معنوية عالية، وكان عضواً في اللجنة العمالية ببغداد، وهي لجنة هامـــة تتصل مباشرةً باللجنة المركزية للحزب الشيوعي (ويُعْتَقَد ان صادق جعفر الفلاحي يعرف عنـــها وعن مواقفها المتمردة على سياسة الحزب حتى قبل ٨ شباط)، وتتكون اللجنة من ثلاث لجان هي العمالية الكبرى وتضم عمـــال المنشـــآت الكبيرة كالنفط والكهرباء، والوسطى وتضم المصانع المتوسطة كالمياه الغازية والنسيج والصغرى وتضم عمال المطـــابع والافران وسائر المنشآت الصغيرة. وكان ابراهيم محمد علي وهو "كردي" عضواً في القيادة العليا لهذه اللجان ورئيســـاً للصغرى "التائهة" وعندما تقطعت الاتصالات ابلغ اعضاء هيئتـــه بما حل بالحزب واقترح الاستمرار بالعمل، واعتبار ان لجنتـــهم هي الحزب، ريثما تنفرج الامور، واعتماداً على حركيتـــه العالية اخذ يغذي لجنتـــــه والمتصلـــين بـــــها بمعلومات يستقيها من الاذاعات ومن مصادر اجتماعية وسياسية مختلفة، بعد ان يجري عليها التحوير والتأويل فيضيـــف اشياء ويحذف اخرى بـــهدف تمييزها واضفاء شيء من السرية والرهبة على مصادرها وذلك ينفع عادة في جعل العمل الحزبي السري متماسكاً.

وهكذا نشط هذا الخط فاتصل بالطلبة والجنود وعدد من المنقطعين ولكن بحذر شديد جداً، يتناسب مع قسوة النتائج في حالة انكشاف امرهم. وبسبب تضخم التنظيم قرروا تخصيص العمل، فجعلوا العسكريين في منظمة مســـتقلة تكلـــف بـــها محمد حبيب "ابو سلام" وهو عامل مقهى، وتمكن بسبب مهمتـــه الجديدة التعرف على حسن السريع. ورغـــم استقرار عمل اللجنة المذكورة الا ان قيادتـــها لم تتوقف يوماً في البحث عن وسيلة للاتصال باللجنة المركزية للحـــزب (جمال الحيدري والعبلي) ويبدو ان بحثهم الملح عن المركز قد اوقع زعيمهم ابراهيم محمد علي ، إذ تمكن احد الشيوعيين المتعاونين مع لجان التحقيق الخاصة (خط مائل) من اصطياده مدعياً القدرة على ايصاله إلى قيـــادة الحـــزب، وهـــؤلاء المتعاونون تحولوا إلى "قناصة" يجوبون جميع انحاء بغداد لاقتناص الشيوعيين الذين ما زالوا احراراً ونشطاء او متخفـــين. وهكذا عاد ابراهيم من لقائه ليبشر رفاقه بعثوره على صلة بالحزب. وفي اليوم التالي ذهب حسب الموعد للاتصال بمـــن اعتقد انـــهم صلة الوصل، فاصطادوه وقادوه إلى "قصر النـــهاية"، فعذب ومات دون ان يعترف او ينطق حتى بكلمـــة واحدة !! فأستلم التنظيم بعده محمد حبيب ، وفوراً بدأ يفكر، بدفع من العسكريين الذين ارتبط بـــهم، بحركة اكـــثر جدية واكثر من مجرد جمع وتنظيم الانصار، فأعدّ العُدة ونسق مع حسن السريع الذي تميز بالصلابـــة والقـــدرة علـــى الاقناع والحماس المطلق لما ينوي القيام بـــه. فأعدت خطة الحركة وشكلت قيادتـــها تحت اسم "اللجنـــة الثوريـــة"، ونشط المدنيون لتـــهيئة الاجواء والاتصالات وتـــهيئة القادرين منـــهم على حمل السلاح للدخول إلى معسكر الرشـيد بمساعدة بقية الجنود للمساهمة في التنفيذ.

سبقونا في الوصول إلى المعسكر قد وقعوا في الأسر، وهم الآن معتقلون. وحينـــذاك تأكدنـا بصورة ملموسة بأن الحرس القومي غير قادر على القيام بأية مهمة عسكرية حقيقيـة وفعليـة، وليس أدل على ذلك من ان اول من وقع في الاسر قيادتـه التي إنجرت سريعاً لخديعة بسـيطة، فأدخلت نفسها في وسط من الفوضى ليس لك ان تميز وانت بداخله العدو مـن الصديـق، والجندي من الحارس القومي او الثائر المتمرد. وأحسسنا بالفارق الكبير بـين تصـرف القـوة النظامية وغير النظامية، من خلال رصد موقف وسلوك سرية الضابط حامد الدليمي بالمقارنة مع عشرات الحراس القوميين الذين لم يفعلوا سوى زيادة الطين بلة.

اخبرنا حامد جواد انـه بعد ان تملص من سيارتنا ذهب باحثاً عن نجدة لتخليصنا، فوجـد الضابط الدليمي على رأس سرية من الحرس الجمهوري فأخبره بوقوعنا في الأسر وبإحتمـال ان نقتل فوراً، فتحرك بفصيل منـها بسرعة ونفذ بعد رصد المكان عملية انقاذنا. وكـان وضـع المعسكر حتى لحظة إطلاق سراحنا غير مستقر، يختلط فيه "الحابل بالنابل" والقتال محتـدم ولا احد يستطيع التمييز بوضوح بين الموالين والمعادين، ولم تكن السيطرة واضحة لأحد. وعلمنـا ايضاً عدم وجود ضباط بين المتمردين وانما كلهم كانوا جنوداً وضباط صف وحزبيين مدنيـين، وانصب تركيزهم على احتلال السجن رقم واحد، لأطلاق سراح الضباط، لكنـهم واجـهوا مقاومة غير متوقعة من سرية حراستـه[1].

---

١ ـــ لم تحسب قيادة الحركة حساباً لصمود سرية حراسة السجن، بل اعتبرتـها فاصلة جزئية من عملـها الكبـير، فأربكها صمود حراس السجن الذي استغرق وقتاً كافياً لوصول دبابات القصر الجمهوري، وخلال المعركـة قُتِـلَ او انتحر آمر سرية حراسة السجن حازم الصباغ (الاحمر). ولا يمكن الآن الحكم بسهولة على امكانية فشـل او نجـاح الحركة لو لم تقف تلك العقبة بوجه المتمردين، خصوصاً وانـهم كانوا مبادرين وانتحاريين، ولديهم الفرصة بالاستعانة بمئات الضباط المختصين بمختلف صنوف الاسلحة، إذ لم يجتمع مثل هذا العدد "٥٠٠" ضابط لأية حركة من قبـل، لا لثورة تموز ولا رمضان. ولا إنقلاب ١٧ تموز او غيره. وقد خسرت "اللجنة الثورية" بسبب عدم اطـلاق سـراحهم امكانية اعطاء اشارة البدء للوحدات والمعسكرات الاخرى. اما السلطة فلم تتوقع ما حصل إطلاقـاً ولم تتخـذ ايـة احتياطات او تضع خطة طوارئ للمواجهة. ان الغرابة والإثارة فيما حصل تكمن في الكيفية التي تمكن بـها جنـود لا يزيد متوسط اعمارهم عن الخامسة والعشرين، ولم يقضوا في مدرسة الحياة فترة كافيـة، ولم يصـل أي منـهم إلى مستوى عضو "لجنة محلية" داخل حزبـه، من مجرد التفكير والتخطيط لقضية بالغة التعقيد وخطيرة مثل الاستيلاء علـى السلطة السياسية والتخطيط لذلك بـهدوء، في حين جرت العادة ان يضرب العمال عن العمل ويهرب الجنـود مـن قطعاتـهم اذا كانوا غاضبين. لذلك فإن ما جرى يعكس، في تقديري، المستوى السياسي المتطور الذي وصلت اليـه المدارس الحزبية العراقية كالمدرسة البعثية التي فاجأت نظام قاسم بعمل فائق التنظيم، والشيوعية الـتي كـان السـريع نموذجها. لكن هذا وحده لا يمثل سوى الامكانية والجانب الفني للمسألة، ولا يشكل دافعاً كافياً للتحرك والمجازفـة في مواجهة القسوة والموت. ولذلك وبعد إستقصاء من كثيرين وجدت ان هؤلاء الشباب قد تملكهم شعور وموقف ثـابت هو ان السلطات المتعاقبة تضمر لهم ولطموحات أهاليهم العداوة المستمرة، فاستقر بذهنـهم موقف سلبي من مؤسسـة الدولة. وما نذكره هنا يجد صداه ايضاً في الجهة الاخرى حيث قرر عسكريو ٨ شباط ـــ حتى قبل البـدء بـالانقلاب العسكري ـــ إستبعاد الجنود من قيادة الدبابات، واشترطوا الضباط لقيادتـها بواقع ثلاثة لكل دبابة. وكـان سـبب ←

وعلمنا ان قائد التمرد ضابط صف اسمه حسن السريع، وانـــه تمكن من الهرب، وان القوات الحكومية تمكنت الآن (الساعة السابعة صباحاً) من تطويق التمرد، وهي في طريقـــها لســـحقه وإخماده، وقد تحقق ذلك وأُلقي القبض على اكثرية المتمردين.

دام التمرد عدة ساعات، وقد دخلنا المعسكر وتعرضنا للاسر في الساعة السادسة صباحـــاً، وانتـــهى القتال واستتبت الاوضاع في حدود الثامنة صباح نفس اليوم. واذكر انـــني كنـــت مرتبطاً بموعد مع وفد برلماني بريطاني يزور العراق، في مبنى وزارة الخارجية في الساعة الثامنـــة من صباح ذلك اليوم ايضاً، فأسرعت إلى الوزارة وتمّ الاجتماع، وحينـــها سألت ضيـــوفي اذا كانوا قد سمعوا اطلاق رصاص أو أية أخبار مقلقةعن الوضع الأمني في البلا؟ فردوا أنـــــهم لم يسمعوا شيئاً وان الامور بدت لهم على ما يرام. فأخبرتـــهم بأنـــهم سيسمعون بعد قليـــــل من الاذاعة بأن تمرداً بسيطاً حصل في احد المعسكرات، وامكن الســـيطرة عليـــه بســـهولة وبسرعة. ولم اخبرهم بما جرى لي، غير انـــهم علموا بذلك قبل مغادرتـــهم الوزارة. فعـــبروا عن استغرابـــهم واعتذروا عن حضوري الاجتماع في تلك الظروف الاســـتثنائية، بعـــد ان كنت معتقلاً. وحينذاك كان الخبر قد شاع في بغداد كلها وبدأت التلفونات والبرقيات تصـــل مهنئة بالسلامة.

وفي اليوم نفسه اجتمعنا في الساعة الواحدة ظهراً في وزارة الدفـــاع بـــدلاً مـــن القصـــر الجمهوري، لأن المعلومات عن العملية كانت ترد إلى هناك تباعاً. وطلبنا في حينـــه مـــن وزارة الدفاع ومن ادارة الحرس القومي رفع تقارير تفصيلية عن ما جرى وعن نواحي الخلل، وتقـــويم الموقف لدراسة الاسباب التي أدت إلى فشل الحرس القومي في كشـــف وردع المحاولـــة قبـــل حصولها غير ان كلا التقريرين لم يصلا إلينا عند إلتئام الاجتماع. وكان واضحاً تقصـــير وزارة

القرار التخوف من عدم موالاة الجنود. وهذا يعكس وجود هوة كبيرة بين الجندي والضابط وبالتـــالي بـــين الجنـــدي والسلطة. والامر الثاني هو نـــزوع الجنود بدلاً من الهروب، إلى اخذ السلطة كلها بين ايديهم، ولجوئهم الواعي ليـــس إلى الضحيج والبيانات، وانما التخطيط لأستخدام آلة السلطة الحقيقية وهي الجيش، يدلل على وعي خـــاص ومتطـــور بكيفية إدارة الصراع في دولة لا تعتمد البرلمان الديمقراطي في ادارة شؤون البلاد. كما انـــهم ربما تأثروا بدور الجيش في ثورة ١٤ تموز و ١٤ رمضان في حسمه ونجاحه في الانقلاب على السلطة، فلجأوا هـــم ايضـــاً إلى اســـلوب الثـــورة العسكرية. وقد اثبتت التحريات ان عملهم كان ذاتياً ١٠٠٪ ولم تكن هناك اية تدخلات او تعاون حارجي. فضمـــت صفوف حركتـــهم عناصر من كافة الوان النسيج العراقي العربي والكردي والآشوري والمسلم والمســيحي . . . الخ ولم تتحكم في تصرفاتـــهم اية مثيرات طائفية او عنصرية او دينية. ولهذا فإن ما حدث في ٣ تموز ١٩٦٣ لم يكـــن فقـــط انذاراً للسلطة، بل كان انذاراً عاماً بضرورة العودة للشعب وعدم الابتعاد عنـــه. لكن احداث المستقبل اثبتت ان الذين سيطروا على السلطة لاحقاً استفادوا من ذلك الدرس مقلوباً، فخططوا حتى قبل وصولهم للســـلطة (عـــام ١٩٦٨) إلى تحطيم ممانعة الشعب العراقي من خلال سحق مراكز قوتـــه الدينية (الاسلامية الشيعية والسنية) وسحق الحركة الكرديـة والوطنية المنظمة والتآمر على سوريا والجوار العربي والاسلامي[3].

الدفاع التي لم تستطع المبادرة في إخماد الحركة، وتركت لعارف الباب مفتوحاً لتحقيق نصر معنوي، دفع احمد حسن البكر إلى ان يقترحه في ذلك الاجتماع رئيساً دائماً لمجلس قيادة الثورة. كما طأطأ قادة الحرس القومي رؤوسهم امام تساؤلاتنا ونقدنا. وذلك افرز نتائج سياسية وامنية سمحت لرجال مثل طاهر يحيى التكريتي ورشيد مصلح التكريتي وصالح مهدي عماش بالتعاون مع بعض هيئات التحقيق الخاصة مثل عمار علوش وناظم كزار وصدام التكريتي وسعدون شاكر وخالد طبرة وغيرهم، وتزويدهم بأسلحة واموال كافية لتأجير اوكار غير رسمية للتحقيق، وكانت اخبار الجرائم تصل إلى اسماعنا دون ان نمتلك أدلة ملموسة.

وفي مساء نفس اليوم عقد المجلس الوطني لقيادة الثورة اجتماعاً في وزارة الدفاع ايضاً، في جوٍ مشحون بالحماسة الثأرية. وخلاله إقترح رئيس الوزراء احمد حسن البكر ان ننتخب رئيس الجمهورية عبد السلام محمد عارف رئيساً للمجلس الوطني بصورة دائمة، نظراً لبطولته وتفانيه في الدفاع عن الثورة، وتعريض نفسه للخطر[1]. فأنبرينا انا وسعدون حمادي وعلي صالح السعدي يؤازرنا كل مدنيي الحزب معترضين على الاقتراح، وقلنا ليس هناك أي داع لتغيير قانون مجلس قيادة الثورة لمجرد حادث بسيط تمّ داخل معسكر، وكان يمكن القضاء عليه دون تعريض رئيس الجمهورية نفسه للخطر، وكان يفترض من البدء ان نضع خطة امنية، ونتفق على المكان الذي يجب أن يتجمع فيه من اعضاء القيادة القطرية ومجلس قيادة الثورة، ولا بأس ان نضع الآن خطة للمستقبل في حالة حصول تمرد مماثل او محاولة إنقلابية، فَنحول دون الوقوع في أسر خصومنا كما حصل.

واكدت بأن الحرس القومي سيبقى مشكلتنا الازلية، لذا يجب ضبطه وإعادة تنظيمه وإلا فسيوقعنا بمأزق خطير ، خصوصاً اذا استمر بهذه الدرجة الخطرة من التسيب حيث أخذنا وأخذت قيادته أسرى لأن الجميع ظن ان الحرس القومي يجيد حفظ الامن . والحقيقة كنت

---

١ ـــ أثبت اقتراح البكر دقة وصدق تنبؤ وتخوف حازم حواد . بل ان حركة السريع ودور عبد السلام في اخمادها، أضعفت في محصلتها النهائية ، دور المدنيين في حكومة البعث العربي الاشتراكي في العراق ووطدت دور العسكريين، ليس فقط من جهة اقتراح البكر، عبدالسلام رئيساً دائماً للمجلس ، بعد ان كانت دورية ، بل بدأوا يطالبون بدور وصلاحيات وتمثيل أكبر في قيادة الدولة والحزب ومؤتمراته ، مما ادى إلى صراعات انتهت بفقدان الحزب للسلطة بكاملها . ويذهب بعض المحللين الشيوعيين منهم بشكل خاص ،بان فشل محاولة اغتيال قاسم براس القرية وفشل السريع بمعسكر الرشيد ، كانا فشلين اديا إلى تغيير تاريخ العراق القادم ، اذ لو مات قاسم في الاولى بايد غير شيوعية ،لاستلم الشيوعيون السلطة مباشرة ولما حصل ما حصل فيما بعد من تغيير في بنية وتركيبة الدولة والجيش . ولو نجح السريع لخسر البعثيون والقوميون السلطة . وما زال الشيوعيون ينظرون إلى هاتين الفرصتين كحلم ضائع ، كان تحققه سيعطيهم الفرصة لتغيير مسار العراق تماماً.

أريد بطرح ذلك الموضوع الحساس، أن أحلق مناقشة حادة تؤدي إلى إهمال اقتراح احمد حسن البكر. وأعتقد ان موقفنا ذلك ترك راسباً سيئاً في نفس عبد السلام عارف ضدي وضد علي السعدي وسعدون حمادي ، واتضح ذلك من الامتعاض الشديد وعدم الارتياح الذي ظهر على وجهه ، حتى اننا لقينا بعض الجفوة في تصرفاته القادمة ، وما زاد الامر سوءاً هو وقوفي ضد الاقتراح الذي قدمه في اليوم التالي بإعدام جميع الضباط الشيوعيين المعتقلين في السجن رقم واحد، بدعوى تعاونهم مع الحركة.

وكانت هناك سلسلة من المواقف إختلفنا فيها ، ثم جاءت أحداث اخرى عصفت بدولتنا، وغطّت على هذا الموضوع، لكن عبد السلام لم ينس وعبّر عما بداخله مرة اخرى عندما استتب له الامر بعد ردة تشرين الثاني ١٩٦٣ ، فقام باحتجازنا في مطار بغداد، ومنعنا من دخول البلاد، رغم انه رد على طلبنا بالعودة بالموافقة، لكنه نكث وسفّرنا بعد ست ساعات منفيين للقاهرة.

وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا ان عارف كان، خلال تأخيره لنا في مطار بغداد، يناقش مع أركانه أمر إعتقالنا وإعدامنا، فوقف بوجهه كل من طاهر يحيى وصبحي عبد الحميد وكان الاول رئيساً للوزراء والثاني وزيراً للخارجية . ويمكن للقارئ ان يلاحظ انتهازية عبد السلام عارف الذي تظاهر قبل مغادرتنا العراق برغبته الشديدة في بقائنا (وحينذاك كنا اقوياء) وبين موقفه بعد أن اصبح الحاكم الوحيد للبلاد.

المهم في الامر ان التمرد الذي تم سحقه داخل معسكر الرشيد، ظلت بعض ذيوله تُسببَ الخلافات داخل الدولة، وتؤدي إلى نتائج دموية اخرى تتعلق بالمتمردين والمعتقلين، وإلى مكاسب حققها دعاة التشدد والقسوة. وقد ظهر جلياً مدى حقد البعض على الجنود البسطاء المشاركين في الحركة، وما زلت أتذكر أخي "صلاح شبيب" وكان حينها نائب ضابط في الاستخبارات العسكرية ومحققاً رئيسياً، انه جاء إلى داري ورمى رشاشته أرضاً وقال بانزعاج: لا استطيع المواصلة، لأنكم تعتقلون وترسلون رجالاً بسطاء إلى ساحة الاعدام، انه امر غير مقبول ولا يحتمل، جميعهم يصيحون "دخيلك يا محمد، دخيلك ياعلي! ويكبرون بالثلاث!!".

عاتبني أخي صلاح قائلاً: إنكم إذا عاديتم هؤلاء البسطاء والمساكين فإنهم سيذهبون حتماً إلى الشيوعيين . . ! وبعد هذا الحادث وقفت بصراحة ضد كل اجراءات السلطة و لم اوافق على قرارات الاعدام، حتى ان حازم جواد عاتبني قائلاً : ليس لك حق يا طالب، فهؤلاء حملوا السلاح ضدنا!!

قطار الموت !!

ان ما سمي بقطار الموت لا اتذكر كل شيء حوله، وما اتذكره الآن هو اننا فكرنا بأن مجرد وجود مثل ذلك العدد الكبير من الضباط الشيوعيين[1]، معتقلين في معسكر الرشيد قرب

---

١ ــ لم يكونوا شيوعيين عسكريين فقط، وإنما كان بينهم مدنيون وقاسميون ايضاً. وتختلف الروايات حول عدد الضباط الذين كانوا في سجن رقم واحد فيقول الفكيكي انهم ٤٥٠[4]، وباقر ابراهيم ٦٠٠[5]، في حين يقول كاظم السماوي انهم ١٢٠٠ سجين[6]. وأغلب هؤلاء حملهم القطار بعربات (فاركونات) مطلية جدرانها وارضيتها بالزفت (القار)، وغير مبطنة بواقيات عازلة وغير موصلة للحرارة. انطلق بهم في الساعة الحادية عشر صباح ٧ تموز ١٩٦٣، مع إرتفاع شمس تموز العراقية الحارقة. فكان يمكن للركاب – حسب التقديرات العلمية والطبية – ان يستسلموا للموت بعد ساعتين من انطلاق القطار، بسبب تمركز الحرارة في الجدران والارضية القيرية، فتتحول كل عربة إلى تنور متنقل او فرن مغلق على لحوم بشرية. وكانت تلك العربات مخصصة لنقل البضائع، فوضع السجناء داخلها مكبلين، بعضهم "بكلبجات" وآخرين بسلاسل حديدية، رُبطوا بها إلى بعضهم بأشكال مختلفة وبصورة ليست منظمة ولا معتادة تدل على الاستعجال والفوضى. وتوزع الحراس على الممرات بملابس مدنية وارتدى بعضهم ملابس على طريقة ابناء الفرات الاوسط ليظهروا بمظهر عمال او فلاحين إمعاناً في التمويه. وكانت مهمتهم منع اية محاولة لكسر الابواب والهرب.

ان صمود السجناء احياءً فترة اطول سببه وجود عدد من الأطباء الضباط معهم اعطوهم النصائح بأهمية (مَصّ) اصابعهم واجزاء الجسد الاخرى لاستعادة بعض الأملاح التي يفقدها الجسم وهي ضرورية لاستمرار صمود الجسم البشري وغيرها من النصائح المفيدة. وكان السجناء قد فقدوا قدرتهم على تحمل الحرارة بعد ساعة من تحرك القطار، وبدأوا يعانون من الغثيان وهبوط ضغط الدم بسبب نقص الاوكسجين داخل العلب التي حاول السجانون إحكام اغلاقها، فتقيأ اكثرهم، ويتدخل الحظ ولكن هذه المرة لصالحهم ويتوقف القطار بعد تجاوز الدورة وهور رجب في محطة المحاويل، "وأثناء توقفي صعد شخص في الثلاثين من عمره وقال لي: خالي تعرف ان حمولتك ليست حديد بل بشر هم أفضل أبناء شعبنا"[7]. ويقال أن شخصاً آخر اتصل بالسائق عبد عباس المفرجي في المحاويل قائلاً أن حمولتك ليست بضاعة خاصة وانما سجناء سياسيين "انهم ضباط عبد الكريم قاسم!!" فكلف المفرجي (السكن) مساعد السائق أن يذهب للتأكد، فعاد مصفراً وهو يصيح (إلحك الحجي طلع صدك). ولم يكن السائق يتوقع انه يقود تابوتاً بهيئة قطار مصفح، ولهذا استبدت به الشهامة العراقية المتوقعة، مؤيدةً بذاكرة ودية لعهد قاسم، فأنطلق قبل الموعد بأقصى سرعة ممكنة (غير مسموح بها) فوصل بالقطار قبل موعده بساعتين، وكانت الرحلة الاعتيادية من بغداد تستغرق ستة ساعات، ولم يُعرف لحد الآن كيف عَلِمَ ذلك النفر من ابناء سدة الهندية والديوانية بسر القطار فاحتشدوا حاملين "أسطل" الماء التي رشوا منها الماء على العربات" فأخبرتهم أنهم بهذه الطريقة سيقتلون ركابي، فاقتربت مني امرأة وقبّلت يدي في غفلة مني وقالت: "ارجوك أوصلهم بسرعة"[8]. ولا ندري هل سرّب الخبر بعثيون متعاطفون أم أن الشيوعيين نظموا ذلك، أم انهم اقرباء السجناء. ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، بل إنهم اتصلوا بمعارفهم في السماوة لإستقبال القطار ومساعدة السجناء، اذ سيصل القطار قبل ان تتهيأ السلطات المحلية لاستقباله. وعندما فُتحت ابوابه في السماوة تكشفت العربات عن حشرجات صادرة عن هياكل بشرية زاحفة للخارج، في حين غاب آخرون عن الوعي ومات شخص واحد على الاقل، وللمرة الثانية يلعب الاطباء الثلاثة السجناء دوراً مهماً في انقاذ حياة السجناء، إذ قفزوا للامام وامروا المستقبلين الذين احضروا معهم مياه مثلجة وحليب ومشروبات غازية، فمنعوا السجناء من الشرب وامروا الناس بجلب ماء دافئ وملح، وبسرعة عادوا يحملون ملحاً وماءً دافئاً "بالطشوت – جمع طشت وهو إناء يستخدم لغسل الملابس ولحاجات منزلية اخرى" ورشّوا بها السجناء وسقوهم، لكن ذلك لم يمنع ←

الدبابات والطائرات ومركز السلطة، سيظل مصدر قلق وخطر كبيرين. وسيسعى جنود مغامرون لتحريرهم والاستفادة منهم. وان اهم عامل في فشل حركة حسن السريع كان في عدم تمكنها من اطلاق سراح اولئك الضباط. وايضاً لعدم وجود ضباط في قيادة الحركة. وبإستخدام هذا التحليل تمكن عبد السلام وغيره من "الصقور" من إدخال فكرة "ضرورة القضاء عليهم" في ذهن احمد حسن البكر وذلك من اجل قطع الامل امام أي مغامر قد يحاول مستقبلاً اخراجهم من السجن واستخدامهم في عمل عسكري ضد السلطة.

وعلى هذا الاساس نقل السجناء إلى سجن نقرة السلمان في الصحراء المحاذية لمدينة السماوة، فيما سمي بقطار الموت. ولا ادري اذا كان قد مات بعض السجناء خلال رحلتهم بالقطار إلى "النقرة" من العطش او الحرارة الشديدة، و لم اسمع أي شيء حينذاك إطلاقاً.

وما اعرفه ان احمد حسن البكر استدعى عبد الغني الراوي (عضو مجلس الثورة، قومي) وطلب منه ان يذهب إلى نقرة السلمان وهناك يجري تنفيذ اعدام بعض الضباط، بعيداً عن بغداد. وهذا الامر لقيّ مقاومة حازمة وشديدة من قبل قيادة الحزب المدنية. وكنا نحن، الذين أُسِّرَنا المتمردين وتعرضت حياتنا للخطر، اشد الاعضاء اعتراضاً على روح الانتقام التي سيطرت على اجواء كبار الضباط. ولقي موقفنا دعماً من بعض العسكريين واذكر منهم على وجه التحديد سكرتير مجلس قيادة الثورة انور عبد القادر الحديثي.

سعينا نحن المدنيون ومعنا أنور الحديثي إلى ايقاف دعوة الموت المندفعة الصادرة عن فورة من الانفعال الشديد، وروح الثأر التي يمكن في وسطها تمرير وتنفيذ اية قرارات فيها قتل او اعدام.

بعض السجناء من اللجوء إلى السواقي فشربوا ونزعوا ملابسهم ونام بعضهم فيها، وجرى كل ذلك وسط حشود من الناس، تتعالى بينهم ولولة وبكاء النساء. وعندما حاول رجال الشرطة والحراس الاعتراض تحدث معهم بعض الضباط السجناء فأحجلوهم، فابتعدوا واحترموا ذلك المشهد الانساني النادر الوقوع. وكان بين السجناء غضبان السعد والعقيد ابراهيم حسن الجبوري والعقيد حسن عبود والعقيد سلمان عبد المجيد الحصان والمقدم عدنان الخيال ورئيس اول لطفي طاهر وحمدي ايوب ود. رافد صبحي والطيار ابراهيم موسى والمهندس الكهربائي الضابط عبد القادر الشيخ ورئيس اول صلاح الدين رؤوف قزاز والضابط يحيى نادر وجميل منير العاني وآخرين. ولم يتوفَ منهم سوى شخص واحد كان في الأساس يعاني من مرض الربو هو الرئيس الأول يحيى نادر أخو اللواء محمد نادر مدير الشؤون الطبية في وزارة الدفاع.

وكان بين سجناء القطار ضابط صيدلي هو إبن السيد طالب ... ، وهو شخص مرموق من مدينة السماوة، وقد عَلِمَ والده بخبر القطار، فاتصل من بغداد بأهالي مدينته (السماوة) واستنفرهم، فطبخت النساء وخبزت الخبازات، فأحضروا من الزاد ما يكفي عشرات المرات للعدد المنقول في القطار، وقد استأجر سيد طالب شاحنة لوري وَحَمَّلَها مواد غذائية كالرز والسكر والشاي والسمن والتمر وسيرها مع سيارات نقل السجناء إلى نقرة السلمان هدية منه إليهم، وقد سمى حمدي أيوب نجدة أهالي السماوة بانتفاضة السماوة الصامتة.

وقد ساعدتنا عصبية عبد الغني الراوي الذي رفض التنفيذ لأن عدد المطلوب قتلهم قليل جداً بالنسبة له!! وطالب بأعدام المئات في حين أُبلغ بتنفيذ الاعدام بحق ثلاثين فقط. فتدخلنا وبعد جدال طويل اقنعنا احمد حسن البكر ان لا ينفذ حكم الاعدام سوى بثلاثين إسماً يحددون بالأسم ويتم التنفيذ في نقرة السلمان.

وبعد اقتناع البكر، اعتبرنا تلك خطوة اولى طيبة نحو اقناعه بالتخلي نهائياً عن فكرة الانتقام وإعدام ضباط كانوا سجناء عندما حصل التمرد. وكان رفض عبد الغني الراوي المدعوم من عبد السلام عارف قد جعلنا نكسب وقتاً. وكان تبريره بأن الامر لا يتطلب سفره لأن قتل ثلاثين معتقلاً فقط يمكن ترتيبه مع إدارة السجن، وهو لن يكلف نفسه مشاق تلك السفرة.

قررنا قضاء الليلة مع البكر في مقر المجلس انا وحازم وانور لإقناعه بإلغاء احكام الاعدام، وبعدم قتل أي من الضباط المسفرين[1]. وكما قلت فقد لعب أنور دوراً أساسياً، أولاً: بإثارة عواطف احمد حسن البكر الابوية، عندما قال له: ان لديك اطفالاً وهؤلاء السجناء كلهم لهم اطفال وعوائل، فكيف ستتمكن من ان تنام الليل بعد ان تأمر بارتكاب مذبحة من هذا النوع. ثانياً: بتذكيره بما سيكون عليه موقفه باعتباره رجلاً مسلماً، فكيف يستطيع إستباحة هذه الكمية من الدماء. وقلنا له: ان التمرد لم يحصل بناء على اتفاق بين قيادة الحزب الشيوعي او

---

١ ـــ حول عدد الضباط الذين تقرر اعدامهم، تختلف الروايات والارقام، فيرى هاني الفكيكي: ان عدد الضباط الذين رأى عبد الغني الراوي عددهم قليلاً هو (١٥٠) ضابطاً، ويرى طالب شبيب انهم ثلاثون، اما الرقم الاساسي المرشح للاعدام والذي بدأت المساومة حوله فقد تضمن الطلب الذي قدمه عبد السلام عارف باعدام ٤٥٠ ضابطاً وتنفيذ الامر فوراً. ويذكر ان وثيقة حزبية داخلية نشرت في ٢ شباط ١٩٦٤ في سوريا اكدت نقلاً عن احد قادة الحزب الذي تحدث داخل المؤتمر القطري السوري معلقاً على احداث العراق بسخرية قائلاً : "طُلِبَ من احد ضباط الجيش العراقي إعدام اثني عشر شيوعياً، ولكنه اعلن امام عدد كبير من الحاضرين انه لن يتحرك إلاّ لإعدام خمسمائة شيوعي ولن يزعج نفسه من اجل إثني عشر فقط". وكان عبد السلام وعبد الغني الراوي يريان ما حصل كان نصراً للايمان على الالحاد، ولذلك احتج عبد الغني الراوي داخل اجتماع بمجلس الثورة بفتاوى العلماء الشيعة والسنة للضغط وكسب الموافقة على المجزرة المحتملة. علماً بأن قمع التمرد قد تسبب فعلياً بقتل ٢٠٠ عسكري، وحكمت المحكمة العسكرية بأعدام ٤٦ جندياً، وقتل آخرين اثناء التحقيق، يضاف لهم بعض الضباط الذين قُتِلوا بجريرة الحركة في مراكز التحقيق، رغم عدم قيام الدليل على تعاون الضباط مع التمرد وكان أول من أشرف على التحقيق هو هادي خليفة السامرائي والذي أشرف على الترحيل هو مصطفى الفكيكي، وقد حدثني احد الضباط الذين كانوا معتقلين في السجن رقم واحد قائلاً: ان احد جنود حراسة السجن همس بأذني عندما كنت ذاهباً للمرافق قائلاً "بسيطة سيدي، إن شاء الله باجر تروحون إلى بيوتكم." ولم يفهم الضابط المذكور المغزى إلاّ صباح اليوم التالي . . . وعلى اية حال فقد تمكنت القيادة المدنية للبعث من ايقاف المجزرة وإنقاذ نفسها من التورط بمثل تلك الكارثة الانسانية عندما نجحت في تسفير الضباط السجناء إلى سجن "النقرة" وتسويف الامر بتشكيل لجنة تحقيق من محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد واحمد حسن البكر ومنذر الونداوي وابو طالب الهاشمي[9].

الضباط داخل السجن مع المتمردين، بل تؤكد كل المعلومات انهم مستقلون تماماً في عملهم وتحركهم، فلماذا نأخذ هؤلاء بجريرة اولئك[١].

ولم يقتنع البكر بكلام أنور وكلامنا إلا في الساعة الرابعة صباحاً، وبذلك توقف اسوأ مشروع للموت في تلك الحقبة القاسية من تاريخ العراق المعاصر.

---

١ ـــ والحقيقة فإن استقلالية حركة السريع قضية ثابتة. فلم يفلح محمد صالح العبلي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي في مساعيه لإيجاد إتصال "باللجنة الثورية" قيادة الحركة او مجموعة (حبيب ـــ السريع) وذلك بسبب الحذر والخوف من خطر الموت المتربص. لكنه حقق إتصالاً غير مباشر بهم، فأبلغهم بأن اللجنة المركزية ترى ان أي تحرك عسكري ضرب من الجنون والتسرع وقلة في التعقل، وقال للوسيط: "قل لهم نحن لسنا ضدكم ولا نقف بوجهكم. لكننا نرى عدم نجاحكم، وان ما تقومون به هو توزيع للقوة"[10]. ويقال ان جماعة (حبيب–السريع) انزعجت من تلك النصائح، وكانت تنتظر المساندة والتعاون، خصوصاً وإن القيادة لم تكن تمتلك حتى ذلك الوقت اية مبادرة للدفاع عن نفسها ومنسوبي حزبها وكما قال الاستاذ باقر ابراهيم: "وهكذا كانت الرؤوس حامية وسارت في تنفيذ الامر"[11] لكن الحوار مع (العبلي–الحيدري) لم ينقطع، بل تواصل بطرق مختلفة، بواسطة زكي مبارك وهو قائد شيوعي قديم عاش في سوريا فترة طويلة ومات عام ١٩٩١ بموسكو. وكذلك بواسطة المحامي عدنان عبد القادر، وقد تم اعتقال مبارك وعبد القادر بعد الحركة ثم اطلق سراحهما. كما ان هاشم الآلوسي(عضو محلية الرصافة) كان متعاوناً مع قيادة الحركة وسعى لدى من يتصل بهم من القيادات الاعلى لاقناعهم بوجهة نظر الجنود. وكان الآلوسي هذا ثائراً متمرداً وشجاعاً، اعتقل ثم اطلق سراحه، وقدم للحزب الشيوعي تقريراً مفصلاً من ثماني صفحات (قطع كبير) حول ملابسات حركة السريع، ومن غير المعروف اذا كان الحزب يحتفظ بها . ولكن الدكتور حامد ايوب العاني اخبرني ان اهم استنتاج تضمنته تلك الوثيقة المهمة هو ان حركة السريع في ٣ تموز ١٩٦٣ كانت تمتلك حظاً كبيراً بالنجاح، ولم تكن لتفشل لولا بعض الملابسات والمفاجأت التي كان يمكن بسهولة تلافيها. هذا وقد قتل هاشم الآلوسي في عام ١٩٦٨ تحت التعذيب في قصر النهاية كمناضل في "القيادة المركزية" للحزب الشيوعي.

ويذكر ان نشطاء الحركة تمكنوا من ارسال مندوبين عنهم إلى منظمة الفرات الاوسط للحزب الشيوعي التي لاذ قادتها بمنطقة ريفية واسعة وعميقة وشديدة الكثافة وتقع بين مدينة الحلة والكوفة وكربلاء والديوانية، وهي مساحة شاسعة تسكنها عشائر عربية عريقة في الوطنية. وكانت المنطقة بقيادة باقر ابراهيم الموسوي الذي اصبح عضواً في المكتب السياسي. فتمكن مندوب الحركة من الوصول إلى منظمة الفرات واجتمع في مدينة الكوفة بحسن شعلان ماضي (وهو شيوعي رغم انحداره من طبقة الملاك الكبار) ، وكان هدف الاتصال هو البحث عن سند شعبي ومساهمة فعلية. لكن قيادة الفرات لم تعط جواباً قاطعاً، بل اشترطت على الاقل معرفة اسم واحد من قادة الحركة، لكي تعرف مع مَنْ تتعامل. غير ان المندوب رفض بصورة قاطعة الكشف عن أي اسم. ولهذا أُتفِقَ على حل وسط هو ان تساند منظمة الفرات الاوسط الحركة فعلياً فوراً بعد إعلان التحرك العسكري.

ويذكر ان موعداً مباشراً كان قد تقرر بين محمد صالح العبلي وقيادة الحركة، لكنه أُعتُقِل، قبيل الموعد، مع جمال الحيدري وعبد الجبار وهبي في دار والد الدكتور عطا الخطيب. وهكذا لم ينته شهر تموز إلا وكان الطوفان (العبلي–الحيدري) وتنظيم (حبيب ـــ السريع) قد سُحِقا وأعدم غالبيتهم.

مراجع:

[1] أحمد العزاوي، مقابلة، دمشق، عام ١٩٧١.
[2] غضبان السعد، لقاءات في براغ، عام ١٩٧٧-١٩٧٨.
[3] راجع: مذكرات حردان التكريتي، مصدر سابق.
[4] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مؤسسة رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٩٣.
[5] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
[6] كاظم السماوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.
[7] رسالة من مظهر عبد عباس ابن سائق القطار إلى د. علي كريم سعيد بتاريخ ١٩٩٦، ينقل فيها نصوصاً عن لسان أبيه لما جرى بالضبط خلال تلك العملية الخطيرة، ويبدو أن السيد عبد عباس استغل الفرصة ليؤكد لنفسه وللتاريخ بأن العراق بخير وبأنه يمثل الضمير الحر للعراقيين.
[8] مظهر عبد عباس، الرسالة، م.س
[9] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مصدر سابق ص ٢٨٠.
[10] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق ١٩٩٤.
[11] باقر ابراهيم الموسوي، دمشق، مقابلة، ١٩٩٤.

الطائفية

سؤال: هل ناقشتم قبل او بعد ١٤ رمضان ١٩٦٣ ، المشكلات الناجمة عن تعدد الأديان والمذاهب في العراق؟ وماذا كان موقفكم من تزايد شعبية المرجعية الإسلامية بزعامة السيد محسن الحكيم؟

طالب الشبيب: لم نضع قضية الدين والطوائف ضمن دائرة اهتماماتنا، ولم نبحثها في اجتماعات القيادة القطرية للحزب لا قبل ٨ شباط ولا بعدها. بل ان المؤتمر القطري الذي طرحت فيه جميع الخلافات الممكنة، لم يرد ذكرها إطلاقاً. ولم يكن ذلك لقلة أهميتها، بل لأننا لم نتوقع مواجهتها. ولا أتذكر إن أحداً قد تجرأ على المجاهرة وإظهار الانحياز الطائفي خلال فترة حكم الحزب. وذلك يعني رسوخ القيم القومية في أذهان البعثيين حينذاك. ولا أشك بأن تلك الصرامة قد كبتت النوازع التفريقية لدى البعض واضطرتهم إلى وصف المرجعيات "بالرجعية" بدلاً من" الطائفية" التي اختفت ولم تجرؤ على الظهور علانية. وحتى عبد السلام محمد عارف الذي درج هو وبعض المحيطين به على استخدام كلمة الشعوبية[1] كلما أراد

---

١ ـــ الشعوبية مصطلح يعود إلى العصر العباسي، جرى إحياؤه في نهاية الخمسينات من القرن العشرين، خلال الجدل حول مفهوم القومية، والطريق إلى وحدة الأمة العربية، اندماجية أم فيدرالية أم وحدة تبدأ بتضامن عربي ترسخه اتفاقات سياسية واقتصادية وثقافية وتوطيد الاتصالات وحريةالسفر... الخ، واستخدمه المثقفون السوريون واللبنانيون لأغراض تختلف عن أخوتهم العراقيين الذين استخدموه (القوميون والبعثيون) ضد الشيوعيين في عهد عبد الكريم قاسم في بياناتهم ومناسباتهم، وتكرر مصطلح الشعوبية في البيان الأول لحركة ٨ شباط ١٩٦٣. ثم استخدمه القوميون في ١٨ تشرين الثاني ٦٣ ضد البعثيين وبشكل خاص ضد الحرس القومي. ثم أستخدمه نظام صدام حسين بصورة عشوائية ضد ثلثي سكان العراق في مقالات جريدة الثورة الرسمية بعد انتفاضة آذار/ شعبان الشعبية. كما استخدم لإحراج عرب العراق واتهامهم بالصلة الإيرانية، وذلك بهدف التخفيف من مطالبهم في المشاركة السياسية في سلطة بلدهم. ويبدو إن عدم ممارسة القيادة القطرية لحزب البعث عام ١٩٦٣ للتمييز الطائفي، قد أزعج عبد السلام عارف والمحيطين به، خصوصاً عندما تصل إلى أسماعهم اللهجة الجنوبية المتداخلة مع البغدادية الأصيلة داخل أروقة الحرس القومي والمجلس الوطني. ولذلك وصفت الجمل الأولى لبيان حركة ١٨ تشرين الثاني١٩٦٣ الحرس قائلة " أدت الهجمات على حريات الشعب التي قام بها الشعوبيون المتعطشون للدماء من أفراد الحرس القومي وانتهاكاتهم للمقدسات وامتهانهم للقانون والأضرار التي ألحقوها بالدولة والشعب، وأخيراً تمردهم المسلح في ١٣ تشرين الثاني ٦٣ إلى وضع لا يمكن السكوت عليه بعد أن بات يهدد مستقبل هذا الشعب ..."[1].
و حول نفس الأمر ورد في كتاب حركة القوميين العرب، جمال باروت " إن وجود شخصية مثل عبد السلام عارف تتميز بتعصبها الديني والمذهبي والعشائري والجهوي في إطار قومية تقليدية عامة، كان من شأنه أن يكون رمزاً
←

الحديث عن مؤيدي عبد الكريم قاسم من أبناء الوسط والجنوب، إضطر إلى تغطية عداوته للمرجعيات الإسلامية. و لم تتضح نـزعتـه الطائفية المتشددة إلا بعد خروج البعث من السلطة وانفراده هو بـها. و لم نكن نعرف داخل القيادة القطرية: من هو السني ومن هو الشيعي؟ حتى اني لم اعرف ان هاني الفكيكي شيعياً، إلاّ في عام ١٩٨٤، عندما اشتكى بعض الأصدقاء من انـه يتصرف تصرفات طائفية. فقلت: لم نعرف إنّ هاني سنياً متعصباً. فقالوا: بل هو شـيعي !!. أما علي صالح السعدي فأنا ما زلت غير متيقن حتى الآن، هل ولد شـيعياً أم سـنياً؟ و لم ألاحظ عليه انـه كان يخطط لأعمال طائفية، لا خلال العمـل السـري ولا بعـد استلام السلطة(١).

بالنسبة لي كان سلوك البعثيين وفكرهم المكتوب مقنعاً، وقـرأت مقالاتـهم وعرفت رجالهم. ودرست الاشتراكية العلمية وشيئاً عن الجدل الهيجلي، ثم المادي الماركسي. وحلمت بالمساواة ووحدة الوطن العربي. و لم أفكر بالعصبيات، و لم أتصور ان الصراع سيدور في العـراق

لتوفير هذه الانقسامات. فقد افتقدت شخصية عارف لتمثيل الأبعاد السياسية في الشخصية الوطنية العراقية التي كان قد مثلها عبد الكريم قاسم". ويضيف ان عبد السلام قال للوزير السوري جهاد ضاحي (ممثل حركة القوميين العرب) إن وجود جورج حبش على رأس حركة القوميين العرب يثير الاستغراب بأن يقود نصارى شبان محمد[2].

ويقول هاني الفكيكي في أوكار الهزيمة "كان عبد السلام عارف يستخدم كثيراً في حديثه كلمة الشعوبية بالمعنى والقصد الذي كان يستعملها بعض الطائفيين في محاربتـهم لعرب العراق الشيعة، واذكر أن محسن الشيخ راضي وانا وصلنا مرة متأخرين إلى إحدى جلسات مجلس قيادة الثورة، فقال عبد السلام: جاء الروافض (وكان يقصد بذلك اننا شـيعيان)، الشيء الذي حمل انور عبد القادر الحديثي على الاحتجاج طالباً إلى عارف الاعتذار عن هذا التعبير".

١ ـــ خرج حكم البعث عام ١٩٦٣ ، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث عن الثوابت والنسب المفروضة في توزيـع المناصب الوزارية وفي التعامل والتوظيف داخل مؤسسات الدولة. فوضع في وزارات أساسية كالخارجيـة والداخليـة والإرشاد والعمل وزراء كالسعدي وحازم جواد و شبيب ومسارع الراوي و خلخال، وفي مناصب مهمة كمحسـن الشيخ راضي والفكيكي واحمد العزاوي وغيرهم من الرجال الذين لم تعهدهم السلطة، جاءوا إليها من أوساط بعيـدة عنـها ولعب الانتماء الحزبي والسياسي دوراً حاسماً في توظيفهم. ونستطيع ان نؤكد ان موقف القيـادة القطريـة في ١٩٦٣ من قانون الأحوال المدنية لا يمكن حمله على محمل طائفي، بل يعود إلى مرجعية مختلفة هي ثنائيـة "التقدمـي" و"الرجعي" ولهذا عارض عارف موقف مجموعة السعدي في المجلس الوطني، وساند مطالب السـيد الحكيـم بإلغـاء تعديلات حكومة قاسم على قانون الأحوال الشخصية[3] وألغت بموجبـها شرط موافقة ولي أمر الزوجة أو حضـور القاضي لزواجها، ومنع الزواج بأكثر من واحدة. وإعطاء المرأة حق الطلاق ومساواتـها بالإرث. واستناداً لذلك فـإن المراقب المحلل قد يظن ان قيادة البعث في ١٩٦٣، باستثناء لجان التحقيق والتجاوزات على القانون، هي اقرب من حيث المبدأ والموقف العملي إلى نـهج حكومة قاسم منـها إلى نـهج حكومة عارف، الذي استعاد بعد إبعاد البعث ثوابت (كوكس – النقيب)[4] واصرّ على وزارة بلون واحد. ولا نستبعد ان يكون موقف الحصري من البعث ناجم عن عـدم اهتمام قيادتـه بالمنـهج الطائفي في إدارة السلطة، ففي كتابـه "الإقليمية جذورها وبذورها" وصف ساطع الحصـري البعثيين انـهم "إقليميين معادين للوحدة العربية"[5].

على الأسماء والهويات والمذاهب والأديان والعناصر. وعلى أيدي سلطات تدعي الانتماء للفكر القومي الوحدوي.

حينذاك تأملت الاشتراكية العلمية التي مثلت انتمائي الأول، وفي الاشتراكية الديمقراطية البعثية، فوجدت في الثانية مجالاً حراً أكبر من القيود الفكرية الاجتماعية الستالينية اللينينية. ومبكراً انخرطت في صفوف حزب قومي يعطي أهمية كبيرة للمواطنة العربية، ويوزعها على سكان الوطن العربي باختيارهم، على حساب الانتماءات الجزئية الأخرى مثل الدينية والمذهبية والطبقية والعنصرية.

وفي الحقيقة، لم يكن اكثر البعثيين العراقيين، قد اطلعوا حتى ذلك الوقت على الفكر الاجتماعي الانساني سواء كان الماركسي أو الأفكار الليبرالية أو بعض الكتابات العربية القومية الاجتماعية. وأساساً لم يكن في المكتبة العراقية العلمية ما يسعفهم. ويبدو ان اختيار البعثيين للبعث العربي الاشتراكي كان في البدايات غالباً لأسباب قومية اكثر منها اجتماعية، وظلّت الاشتراكية العربية التي أطلق مصطلحها القادة القوميون والبعثيون التاريخيون خالية من مضامين محددة. وانطلاقاً من فراغها وَجَدْناهم (البعثيين) يتسابقون مع الشيوعيين على تبني الاشتراكية الماركسية بعد أول احتكاك لهم مع الشيوعية منذ نهاية عام ١٩٦٣.

ان الفارق بين الممارسة وبين ما هو مكتوب على الورق لدى كل حزبي، كبير جداً، ويعود السبب إلى انهماك الأحزاب باستمرار في صراعات سياسية داخلية. ومنذ عودتي للعراق عام ١٩٥٨ وجدت نفسي داخل أجواء تصادمية مع سلطة عبد الكريم قاسم والشيوعيين. ولم يترك الصراع لنا وللأطراف الأخرى فرصة كي نعيد التفكير ببداياتنا وتطوير أنفسنا. لكن عدم وضع البعثيين أجوبة جاهزة على كل شيء أفادهم كثيراً خصوصاً من ناحية موقفهم من التراث والطقوس الدينية واحترام الملكية الشخصية والخاصة وذلك جنبنا خوض صراعات لا طائل وراءها مع الوسط الشعبي العراقي، تلك الصراعات التي استغرقت طاقة الشيوعيين.

كانت تلك هي حقيقة الموقف من الطائفية داخل الحزب. لكن الأمر لم يمنع وجود ضباط برتب كبيرة أو صغيرة على حد سواء قد فكروا بأعمال طائفية. غير اننا لم نسمع ولم نلحظ ذلك إلا بعد خسارة السلطة بسنوات. والحقيقة فان معرفة ما في القلوب شيء صعب المنال. وهنا أتذكر قول الرسول الكريم عندما سأله أحدهم مشككاً بإيمان رجل دخل الإسلام حديثاً، فأجابه الرسول بسؤال: وهل فتحت قلبه ؟

غير ان الحوزتين الإسلاميتين الشيعية والسنية كانتا غير راضيتين عنا، فقد حصلت احتكاكات كثيرة أهمها تلك المتعلقة بالتعديلات التي أجريت على قانون الأحوال المدنية التي أبرمتها حكومة عبد الكريم قاسم دون دراسة كافية ودون اخذ الواقع بنظر الاعتبار. مما

احدث نتائج لم تكن مقبولة. وفي هذا السياق حاولنا تجاوز أو تخفيف ما كاد يتطور إلى أزمة خطيرة بيننا وبين المرجعيتين فألغينا بعض تلك التعديلات وابقينا على أخرى رغم إصرار جماعة علي صالح السعدي التي نظرت إلى تعديلات قاسم على انها مكاسب "تقدمية"، لكن قانون الأحوال المدنية حافظ بتعديلاته الأساسية على شكله المخالف لبعض ثوابت الشريعة الإسلامية.

من ناحية أخرى اخبرنا المرجعية الشيعية عبر قنوات مختلفة بعزمنا مبدئياً على تشكيل لجنة لتلبية مطالبها المتعلقة بتعديل المناهج الدراسية وإصلاح إدارة الأوقاف ومراقبة أجهزة الإعلام الحكومية ومنع استخدامها كأداة للتفرقة بين المسلمين[1]، لكن إجراءاتنا ووعودنا لم تكن كافية لإرضاء السيد محسن الحكيم الذي أعلمنا بدوره بطرق مختلفة وعبر وسطاء موثوقين بأنه يرى ان الشيعة والسنة لا يختلفون حول قانون الأحوال الشخصية وان افضل طريق لتجنب التعارض بين ما تسنه الدولة من قوانين وبين تعاليم الإسلام الأساسية سيكون بتشكيل لجنة مسؤولة عن التشريع، ولتكن من خمسين شخصاً، تضم متخصصين وموظفين كباراً وأصحاب شأن وممثلين عن فئات المجتمع المختلفة. ويرسل كل من السيد محسن الحكيم والشيخ الزهاوي شخصاً من قبله ليشير على اللجنة إلى كل ما يخالف نصوص القرآن والسنّة. وماعدا ذلك فلتقرر السلطات السياسية وأجهزتها المختلفة ما تشاء من قوانين. وقد نقلت بنفسي في إحدى المرات مثل هذا التصور إلى قيادة السلطة، لكن اختلاف المفاهيم عرقل إمكانيات التفاهم حينذاك.

و لم يكن قانون الأحوال الشخصية هو المشكلة رقم واحد بيننا وبين السيد محسن الحكيم. وحسب علمي اننا لم نتخذ أي قرار يخالف الشريعة أو الأعراف والتقاليد. وحتى محاولة جماعة الشيخ محمد الخالصي تغيير صيغة مقدمة الأذان في الصحن الكاظمي الشريف، تدخلنا بسرعة وأوقفناها[2].

---

١ ــ لعبت أجهزة الإعلام مرات عديدة دوراً سلبياً في تأجيج المشكلات الاجتماعية والمذهبية، وعلى سبيل المثال كان لمدير عام الإذاعة والتلفزيون عبد الستار الدوري الذي استمر بمنصبه حتى ما بعد ١٨ تشرين الثاني، تعليقاً سياسياً يومياً بعد نشرة الأخبار المسائية، يهاجم فيها أحياناً الملك حسين ويصفه بسليل الخيانة، ويقصد بذلك والده أو الأمير عبدالله، غير أن بعض علماء كربلاء والنجف فهموا أن في الأمر إساءة للإمام الحسين والإمام علي عليهما السلام، فشكلوا وفداً ذهب إلى بغداد وقدموا احتجاجاً بهذا الشأن. وكانت إذاعة عمّان قد أذاعت هذا الخبر في نفس اليوم الذي غادر فيه الوفد إلى بغداد. وبسبب مداخلات سياسية سابقة وحاضرة، اعتبر بعضهم تلك الحادثة دليلاً على تأييد العلماء الإسلاميين للأسرة الهاشمية[6]، وسمعنا أن إحدى المجلات العربية قد نشرت مؤخراً صورة عن فتوى للإمام الخوئي بهذا الشأن، بهدف تأكيد أحقية الملك حسين بعرش العراق. ولا بد أن نذكر بأن المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة، حينذاك لم يكن الإمام الخوئي (رض) بل الإمام السيد محمد محسن الحكيم(رض).

٢ ــ حدثني قيادي بعثي من مدينة الكاظمية (لم يرغب بذكر إسمه) قال: "بعد سبعة أيام شاقة تلت ٨ شباط قضيناها في الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثيي الكاظمية إلى بيوتنا لنرتاح، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة من

←

كما أبقينا أبوابنا مشرعة أمام علماء الدين. فلم يكن لدينا دوافع للصـــراع مـــع أي مـــن الأطراف الدينية. حتى حزب الدعوة لم يكن يثير اهتمامنا. وانا شخصياً لم اسمع بـــه حينـــذاك، رغم اني علمت فيما بعد ان أجهزة الأمن كانت تعلم بنشاطه وباشتراكه بتنظيم المحتشدات الـتي رافقت زيارة السيد الحكيم إلى سامراء وذلك يعود إلى اعتماد حزب الدعوة الإســـلامية لمبـــدأ السرية في تلك المرحلة. وللتعتيم الإعلامي الذي مارســـه النظـــام محاولـــة لطمـــس وجـــوده وأنشطتـــه(١).

إن أهم مسألة أثارت الخلاف بيننا وبين السيد الحكيم رحمه الله، وخلقت جفوة كبـــيرة في موقفه من سلطتنا، كانت أخبار المظالم والتجاوزات التي ارتكبتـــها بعض اجـــهزتنا، وتصلـــه

الحراسات والمتابعة، عدنا نحن بعثيي الكاظمية إلى بيوتنا لنرتاح، ففوجئنا بغضب آبائنا بسبب الغاء الشهادة الثالثة مـــن مقدمة الأذان. فأخبرنا قيادة الحزب بخطورة ذلك. فأرسلت إلينا فوراً الرئيس عبد السلام عـــارف، وبعـــد اســـتماعه لحيثيات الموضوع قال: "اشغلتمونا بموضوع ليس بذي قيمة" واقفل راجعاً. أعلمنا القيادة ثانيةً فأرسلت رئيس الـــوزراء احمد حسن البكر الذي اعتبر الأمر خطيراً، لكنـــه قال "ان احسن من يستطيع تولي مثل هذه الأمور هو أبـــو فـــارس (علي السعدي) وغادر بعد ان أهدى لكل شخص من الحاضرين مسدس "براوننغ". وفي منتصف الليل من نفس اليـــوم جاء علي السعدي الذي تصرف بحزم ودون تردد، فوجه اللوم إلى جماعة الشيخ الخالصي ثم توجه إلى الصحن الكاظمي آمراً الشرطة بتجريدهم من أسلحتـــهم وتمّ ذلك. وخلال وجوده تصرف السعدي بطريقة بدت غريبة بالنسبة للحضور فقد رفض بشدة مناداتـــه من قبل الموظفين بكلمة "سيدي" وأصر على الجلوس حيث يوجد مكان فارغ في المجلـــس، وَخَذَّلَ عدنان الادلبي عندما قام لإجلاسه بمكانـــه. وتصرف كزائر وليس كمسؤول ولم يغادر المكان إلاّ بعد ان استمع للأذان فجراً واطمأن إلى عودتـــه إلى ما كان عليه" وخلال انتظاره الآذان خاطب السعدي مسؤولي الحرس القومـــي قائلاً: "نحن في الحرس مهمتنا حماية الثورة وليس لنا صلة بالتحريات ودخـــول البيـــوت وســـتعودون مســـتقبلاً إلى مؤسساتكم وأعمالكم الأصلية ولا أرغب أن يفرح أحكم ببدلتـــه ورشاشتـــه"[7]، لكن السعدي تمسك فيما بعـــد بوجود الحرس بسبب اشتداد الصراعات الداخلية..

وحول نفس الموضوع قال لي الشيخ مهدي الخالصي[8] "ان مشكلة الأذان قضية فقهية اجتـــهادية باعتبـــاره عبـــادة، والعبادة توقيفية لا تتغير. وأي تغيير فيها بدعة ومن يغير العبادة كأنما يغير السجود أو ما أشبـــه. ولذلك احتـــهد الوالد الشيخ الخالصي قبل سنة ١٩٦٣ بأربعين عاماً بـــهذا الأمر. وقد حَذَفَ بعض الفرق من الأذان فصـــولاً، وأضـــافت أخرى فصولاً جديدة اليه. فقلنا ان (حي على خير العمل) يجب ان تعود لصلاة السنة، ويرفع ذكر (علي – ع –) عنـــد الشيعة، ليقترب الطرفان من بعضهما" وقال "ان علماء كبار كالشيخ الصدوق والطوسي، وجدوا ذكر عليـــاً (ع) في الأذان، رغم إقرارهم بصفتـــه التي خلعها عليه الرسول كولي الله، ليس ضرورياً وصلّوا بدونـــه ، انتـــهى"[9].

١ ـــ لم تكن عملية التعبئة الجماهيرية التي وقفت وراءها الدعوة الإسلامية إلا حلقةً في سلسلة الأعمـــال الجماهيريـــة الأخرى التي تبناها حزب الدعوة والأنشطة المختلفة في مختلف مناطق العراق، وكان حزب الدعوة الـــذي تأســـس في نـــهاية الخمسينات، قد افتتح نشاطه الجماهيري العلني لأول مرة، مستغلاً زيارة السيد الحكيم الاحتجاجية الشهيرة إلى سامراء، فساهم بنجاح في تنظيم المسيرات والاحتفالات والتحريض عليها. وأعطاه نجاحه في ذلك دفعـــاً وتشـــجيعاً للتحضير إلى خطوات سياسية وجماهيرية في عهد عبد السلام عارف كمواكب الجامعة ، حيث ستصل نشاطاتـــه إلى كافة مدن وقصبات العراق، فضلاً عن دوائر الدولة والمؤسسات والمعاهد العلمية[10]. رغـــم أن الدعـــوة السياســـية الإسلامية كانت ما تزال تعتمد مبدأ السرية، ورغم ممارسة السلطة التعتيم الإعلامي الشديد على نشـــاطات أنصارهـــا لطمس وجودها.

باستمرار وكل يوم. وربما يكون هناك من همس اليه بما يعني استغلال البعث لفتواه ضد الشيوعيين(١).

وكان من عادة السيد الحكيم إذا أراد ان يعبر عن غضبه وعدم رضاه، الاحتجاب عن لقاء ممثلي السلطة، أو السفر إلى مكان آخر تعبيراً عن الاحتجاج، واستعراضاً لقوة المرجعية التي ستبرز من خلال احتفالات التوديع والاستقبال والمواكبة(٢).

---

١ ــ في ١٩٦١/٢/٢٠ – ٢٢ شعبان ١٣٧٩، صدرت فتوى دينية تحمل خاتم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم، بخصوص الانتماء إلى الحزب الشيوعي ونصها : "بسم الله الرحمن الرحيم، ولله الحمد . لا يجوز الانتماء إلى الحزب الشيوعي فان ذلك كفر والحاد أو ترويج للكفر والإلحاد. أعاذكم الله وجميع المسلمين عن ذلك، وزادكم إيماناً وتسليماً، والسلام عليكم وبركاته."

ويذكر ان السيد الحكيم ومثلما فعل ذلك أيام المد الشيوعي، عاد ليحتج بطرق مختلفة على البعثيين عندما استخدموا القسوة مع خصومهم السياسيين. وقد تابع كثيرون من علماء الدين وممثلي الإمام في المدن والنواحي حطى السيد، ولعل أبناء الموفقية وبدرة يتذكرون المغفور له الشيخ محسن الجصاني ممثل الإمام الحكيم عندما اعتصم بمسجده أيام المقاومة الشعبية محتجاً على الممارسات الكيفية وأعاد ذلك أيام الحرس القومي محتجاً على قسوة المطاردات والتعذيب ومحذراً الجمهور من هدر حقوق الإنسان.

٢ ــ قام آية الله العظمى السيد محسن الحكيم في ١٩٦٣/١٠/٧ بزيارة مرقد الإمام علي الهادي بسامراء عبر كربلاء والكاظمية وبغداد في موكب عظيم، تبرع حلاله الآلاف من المواطنين والتجار والمريدين، بإقامة الولائم والمواكبة بسياراتهم أو بوسائط مأجورة ، بل ان التجار تبرعوا بخمسة دنانير أجرة سيارة يوم كامل للراغبين في استقبال الموكب أو توديعه، ودامت السفرة أربعة أسابيع، وأكد كثيرون ان حركة السيد تلك كانت لجس النبض والاحتجاج على حملات الاعتقال والمطاردات وممارسة التعذيب ضد السياسيين ومنتسبي الحزب الشيوعي، وعدد من المعتقلين الإسلاميين. وهيأت جولته الأجواء وأعطت الضوء الأخضر لكل من يرغب في استغلالها للتظاهر والاحتجاج. وبالفعل خرجت جماهير غفيرة بمسيرات احتفالية تخللتها الهوسات والأهازيج. وأقيمت الأقواس، ونحرت الذبائح، ترحيباً وتوديعاً في كل منطقة يمر بها موكبه. وخلالها افتتح السيد بنفسه جامع براثا في العطيفية، وحسينية التميمي في الكرادة، وجامع بمدينة الثورة. وفشلت محاولات الشرطة والأمن إعاقة تنقل الجمهور بين الأرياف والمدن بهدف الرفد والمواكبة والمبايعة[11]. ويذكر شهود عيان ان السيد الحكيم استدعى في طريق عودته بعض المسؤولين وعاتبهم بشدة على الاعتقالات واخذ الاعترافات بالقوة. وخلال وجود الحاكم العسكري العام عنده تظاهر الطلاب في مسيرة احتجاجية من ثانوية الكاظمية حتى دار الحاج عباس محمد كريم حيث يقيم الحكيم احترقت الدار وألقى أحد الطلبة (محمد باقر الحاج صولاغ الزبيدي) كلمة كتبها له العلامة اسماعيل الصدر شقيق الشهيد محمد باقر الصدر، وقد أزعج ذلك الحادث رشيد مصلح[12].

وقد حاولت قيادة البعث تلافي الأمر بإرسال عدد من قادتها. فرفض السيد استقبالهم واحالهم على وكيله في بغداد الشيخ علي الصغير وابنه الشهيد السيد مهدي الحكيم[13] وأراد برفض مقابلتهم لفت النظر، وإنهاء تردد وضعف المجتمع أمام الدولة، والمطالبة بالمشاركة السياسية من باب ممارسة الحق وليس الاستجداء. لكنه لم يسلك لتحقيق هذه الغاية طريق التمرد والثورة، بل التحرك المستمر إلى الأمام، مستفيداً من الانفراج الحكومي إذا حصل، ومحتجاً على انعزاليتها. كما أراد تقوية مركز المرجعية سياسياً وجعلها شعبية وقد نجح في ذلك بسرعة بحيث أصبحت الحكومات المتعاقبة مضطرة إلى عدم تقرير أية خطوة وطنية هامة، قبل دراسة ردود الفعل المحتملة للحوزة الإسلامية ولذلك أعطت وفاته ١٩٧٠ فرصة عظيمة لنظام البكر – صدام ، للانفراد وضرب الحركة الوطنية وتصفيتها تمهيداً ←

والآن فأنا أدرك كم كان السيد الحكيم رحمه الله ناصحاً في أمور جوهرية وحساسة. وكم كان ناصحاً فيما بعد لسلطة (البكر - صدام) عندما أراد تجنيبها اخطر وأسوأ خطأ ارتكبته منذ بداية تسلمها السلطة عام ١٩٦٨[1]. وحول ١٩٦٣ أيضاً أتذكر ان أحد البعثيين من

لتفتيت النسيج الاجتماعي وإخضاع الشعب لديكتاتورية مريضة وقاسية بلا حدود. ويقول الدكتور تحسين معلة[14] ان احمد حسن البكر وصالح مهدي عماش طلبا منه في عام ١٩٦٧ تهيئة لقاء مع السيد محسن الحكيم، ويقول "كلفت السيد محمد رضا الحكيم لترتيب ذلك وحددت معه موعداً في النجف، وعندما ذهبنا للنجف أعلمونا ان سماحة السيد سافر إلى كربلاء، وسبب دلك لي حرجاً أمام البكر وعماش لكننا فهمنا انه لا يريد مقابلتنا، فتناولنا الغداء في بيت الحاج صالح معلة وعدنا إلى بغداد." ويقول : "في الحقيقة لم يكن السيد يثق بوعود البكر بعد تجربته في عام ١٩٦٣." ويرى الدكتور معلة ان البكر بسبب دلك وسبب محاولاته الاحتجاجية في ١٩٦٣ سعى للانتقام من السيد الحكيم بابنه السيد مهدي الحكيم، فأمر بتلفيق التهم اليه ثم اغتياله، لكن حردان عبد الغفار التكريتي تدخل وطلب من القيادة تأجيل اعتقال السيد مهدي أيام معدودة حتى يتمكن من إجراء معين لمنع المواجهة، وأوصل إلى السيد مهدي الحكيم نية السلطة في اعتقاله وتصفيته، وإعلان اتهامه بالتعاون والتآمر مع عبد الغني الراوي وكاظم شبر وحبيب محمد كريم وعبد الرزاق النايف.

١ ـــ هنا تدخل حسن الحاج وداي العطية - قيادي بعثي ومحافظ كربلاء - ليؤكد استمرار تورط الفئة المتهمة بالطائفية حتى ما بعد ١٩٦٨ لتجر البلاد إلى حروب أضعفت العراق والأمة العربية وأوصلت القوى العظمى إلى ما لم تكن تحلم بالوصول اليه. قال : جاء اخي عبد الحسين إلى داري في عام ١٩٧٠ وكان وزيراً للزراعة، واخبرني انه مكلف من قبل رئيس الجمهوريةاحمد حسن البكر بمهمة لدى السيد محسن الحكيم. ورجاني ان اذهب معه، قائلاً : انت تعرف لغة العلماء وتفهمهم والسيد يعرفك ويحترمك، فارحو مرافقتي. رفضت التدخل لكنه هاتف البكر وناولني السماعة. قال البكر : كان من المفروض تكليفك بهذه المهمة لكني نسيت وارغب الآن ان تذهب وسيخبرك عبد الحسين بمضمون المهمة.

دهبنا إلى النجف، وانتظرنا مع كثيرين من جنسيات مختلفة عربية وإيرانية وباكستانية، خليجيين وعراقيين من أنحاء البلاد كلها، وكان السيد كما قيل لنا منشغلاً بكتابة رسالة إلى أحد ممثليه بأفريقيا. دخلنا عليه فقال له اخي عبد الحسين : ان الحكومة تنتظر منكم الدعم في مشكلتها مع إيران بخصوص شط العرب. فرد السيد "انا امثل المسلمين الشيعة جميعاً ولا أفرق في موقفي بين العراقي والإيراني والهندي والأفريقي والعربي وبالنسبة لي ليس الشيعة فقط بل المسلمون كلهم شيء واحد. ولا يجوز ان أميل لطرف دون آخر" رد عبد الحسين : ان الحكومة تقول ان لديها وثائق تاريخية، ومعها حق. فأجاب السيد : لا تحاولوا زجنا بمثل هذه القضايا السياسية المتغيرة. انا رجل علم ، لا أتدخل إلا في حالة واحدة، عندما اقتنع ان الخلاف سيؤدي لإراقة دماء المسلمين، وحينها سأسعى لحقن الدماء. وابلغنا السيد الحكيم بأن علاقته مع إيران ليست على ما يرام وضرب مثلاً ببرقية كان الشاه قد أرسلها اليه لتعزيته بوفاة أحد العلماء الآيات. وكانت البرقية تحمل توقيع "القصر الشاهنشاهي" فرفض الحكيم الرد عليها قائلاً اننا لا نتكلم مع القصور . . .

ورغم ذلك فقد فاجأنا السيد باقتراح إيجابي وغاية في الأهمية إذ قال : إذا طلبت مني الحكومة العراقية التدخل رسمياً ، وأعلنت ذلك على الملأ من الإذاعة، حينذاك سأكون ملزماً وسأقول لكم شكلوا وفداً يضم فريقاً حكومياً متخصصاً فنياً وسياسياً يعرف ملابسات القضية جيداً. وسأرسل معه من جانبي، إن شئتم، عدداً من علماء الدين العراقيين، فضلاً عن شخص سياسي مقبول من طرفي ومن طرف الحكومة (يقصد حسن الحاج وداي العطية) وهناك يذهب الموظفون للحوار مع نظرائهم، أما العلماء فسيتصلون بالحورة الإسلامية لشرح الأمر لعلماء إيران وهم أعضاء كبار في حوزتنا ومؤتمنون وسينظرون في كيفية التصرف بهذه القضية.

عدنا إلى بغداد وذهب عبد الحسين إلى القصر ثم عاد بعد قليل قائلاً : أخبرت البكر بكل شيء وفرح وقال انها

←

النجف اتصل بعلي صالح السعدي واقترح عليه تعيين عدنان الجبوري قائممقاماً للنجف. وعندما سأله السعدي عن السبب ، قال له : سيفيدكم لان علاقته بالإمام الحكيم طيبة. فرد السعدي : وماذا يريد شيخ محسن الحكيم؟ ورفض تعيين الجبوري الذي جرى تعيينه قائممقاماً للنجف من قبل سلطة عارف فيما بعد ثم نقل إلى منصب سكرتير رئيس الوزراء طاهر يحيى.

خطوة جيدة وسنصدر بياناً تبثه إذاعة بغداد مساء اليوم أو صباح الغد، يلتمس من السيد الحكيم التدخل لتسوية خلاف البلدين. انتظرنا عدة أيام ولم يصدر شيء . وبعد التحري علمنا ان قيادة الحزب الحاكم رفضت هذا الاتجاه قائلة للبكر: نحن نريد التقليل من شأن علماء الدين، فكيف نعطيهم دوراً يعزز مكانتهم السياسية. انتهى كلام حسن وداي.
ولعل هذا الأمر لو تمّ لكان أدى إلى تجنب مآسٍ كثيرة. لكن سلطة بغداد انطلاقاً من عُقَدِها أبت، فاضطرت بعد حين ان تتصرف بذل حين وقع صدام حسين نيابة عنها مع الشاه اتفاق الجزائر متنازلاً عن حقوق عراقية أخرى، تم ذلك بعد ان قام الشاه بدعم الحركة الكردية التي كانت تواجه جيوش بغداد، فراح عشرات آلاف المواطنين من الجانبين ضحية العُقَد المستعصية. ليختم صدام هذه الصفحة العبثية الدامية بثماني سنوات حرب أضرت بالعراق وإيران وأضعفت المنطقة برمتها. واخيراً نعتقد ان طلب السيد الحكيم بإشهار طلبهم منه للتوسط انما كان احتياطاً ضد أية محاولة تكتيكية للتلاعب واستغلال اسم الحوزة، بل ان إعلان الأمر لو حصل كان سيحرج بغداد وطهران أمام الرأي العام ويجرهما إلى حوار جاد وسلام علني ويبعدهما عن حرب غامضة ومشبوهة. لكن أياً من الطرفين لم يكن صادقاً فيما يطرحه.

مراجع:

[1] البيان الاول لحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، كتاب المنحرفون تأليف وزارة الارشاد العراقية.

[2] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ١٩٩٧، ص ٢٤٨.

[3] جريدة الوقائع العراقية العدد ٧ / ٢٨ تموز ١٩٥٩.

[4] حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية، دار الزوراء، لندن، ص ٢٠٠.

[5] راجع ساطع الحصري، الاقليمية جذورها وبذورها، بيروت ١٩٦٣.

[6] د . عدنان آل طعمة، رسالة موجهة للدكتور علي كريم سعيد، دمشق، ١٩٩٨.

[7] ابراهيم الموسوي، لقاء، دمشق، ١٩٩٧.

[8] راجع هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مصدر سابق.

[9] الشيخ مهدي الخالصي، مقابلة، دمشق، ٧ / ١ / ١٩٩٧.

[10] صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ في العراق، مصدر سابق، ص ٣٣ — ٥١.

[11] السيد صالح الشرع، جريدة نداء الرافدين العدد ١٦٧ - ٤ / ١٢ / ١٩٩٧ مقابلة احراها عدنان الامير تحدث فيها الشرع عن تكراره لبيعة الإمام السيد محسن الحكيم في تلك السفرة التي انتقل فيها من النحف فكربلاء ثم الكاظمية وسامراء والعودة ثانية إلى النجف.

[12] راجع مجلة الإيمان، عدد خاص، الثالث والرابع، السنة الأولى، يصدرها موسى اليعقوبي، النحف، تشرين ثاني ١٩٦٣، ص ٣٢٢.

[13] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ٢٧٤.

[14] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

الثورة تلد انقلاباً

التهيئة للمؤتمر التكميلي، الاستثنائي لحزب البعث ـ العراق ـ ١٩٦٣

في أيلول ١٩٦٣ وبعد انتهاء أعمال المؤتمر القطري الاعتيادي لحزب البعث العربي الاشتراكي ـ قطر العراق ـ بيومين، سافرت إلى الأمم المتحدة بنيويورك لترأس الوفد العراقي إلى الجمعية العامة في دورتها العادية السنوية التي بدأت منذ فترة، وكنت قد أجلت إلقاء خطابي مرات عديدة بسبب الانشغال في زيارة مصر وسوريا ثم المؤتمر القطري العادي.

بقيت في نيويورك أسابيع، وصلتني خلالها مكالمات ملحة من حازم جواد وصالح مهدي عماش وبهاء الشبيب وغيرهم، يطالبوني فيها بالعودة إلى العراق بأسرع وقت، لأن الأوضاع، كما قالوا خطيرة جداً، ولا بد من مساهمتي ووجودي. وكان ردي المستمر، الرفض التام لعدم جدوى حضوري هناك، بعد أن فقدت عضويتي في القيادة القومية والقطرية واستقالتي من المجلس الوطني لقيادة الثورة. فقالوا : ليس هناك قيادة قطرية لأنها غير قادرة على الاجتماع كما أن عضوية بمجلس قيادة الثورة صفة لازمة والخروج منها يتطلب حسب قانون المجلس موافقة ثلثي أعضائه، ولذا لم تقبل الاستقالة.

لم أستجب، بل سافرت إلى لندن، متذرعاً بموعد سابق ارتبطت به مع سفرائنا ورؤساء بعثاتنا الدبلوماسية في أوروبا الغربية لعقد اجتماع لهم. وعقد فعلاً ودام ثلاثة أيام، تكررت خلالها نفس النداءات، وفي أحد الأيام وبينما كنت مرتبطاً بدعوة غداء مع وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطاني وصلني هاتف من بغداد يؤكد أن التغيير بات ضرورياً ووشيكاً.

اعتذرت من الوزير البريطاني واتجهت فوراً إلى بغداد حتى وصلتها في ٦ تشرين الثاني ١٩٦٣، وفي المطار فوجئت باستقبال غير مألوف، ومعد سلفاً. فلم أكن أتوقع أن أجد فضلاً عن موظفي وزارة الخارجية، حوالي ستين ضابطاً بعثياً يشغلون أخطر مناصب ومراتب الجيش ، بينهم رئيس الأركان وآمر الانضباط العسكري وقادة كتائب الدبابات الأربعة، وهي القوة الوحيدة القادرة على حسم أي نزاع عسكري في بغداد. وعندما انتهى الاستقبال، أوصلني وزير الداخلية حازم جواد بسيارته إلى منزلي، وفي الطريق سألته عن معنى حضور كل

هؤلاء الضباط، قال: إن الوضع داخل القوات المسلحة لم يعد يطاق، وإن طلب عودتك لم يكن رغبة شخصية مني فقط، وإنما سعى إليها عدد كبير من كوادر الحزب المتفهمين، المدنيين والعسكريين، الذين أصبحوا مقتنعين بضرورة التغيير، وأضاف: كن واثقاً أن الضباط بحضورهم إلى المطار أرادوا إبلاغك بصراحة بأن الوضع بات غير مقبول، أما القطرية فلم تجتمع ولا مرة واحدة ولا يمكن بتركيبتها الحالية أن تجتمع. وحينذاك أدركت واقتنعت أنه لا بد من تحمل المسؤولية ووضع علاج معين، وعدم الاستسلام للفوضى. ولم يكن كما بدا لي، في ذهن حازم أي حل جاهز، ولم أكن حتى ذلك الوقت، قد فكرت بحلٍ أو مخرج.

لعبة مزدوجة

وقبل مغادرته أخبرني حازم جواد بأن عماش يلعب بخبث لعبة مزدوجة، ويحاول إقناعنا وإقناع نفسه بإمكان ولاء أكثرية القيادة القطرية التي ستتمخض عن مؤتمر قطري استثنائي أو تكميلي، بعد إضافة عدد من العسكريين إليه. فنمتلك الأكثرية ونعيد انتخاب قيادة تكون أكثريتها الجديدة موالية، وحينذاك سيكون ممكناً اتخاذ قرار بإخراج علي صالح السعدي من المسؤولية، ونعيد تنظيم الحرس القومي وفق ما نجده مناسباً، ووفق ما يدور الآن في أذهاننا حول مهماته وواجباته[1].

---

١ ـــ يحق للقارئ أن يتساءل عن الأسباب التي تجعل قيادتي الحكومة والجيش في سياق سعيهما للسيطرة على الدولة تبحثان عن وسائل حزبية شرعية للتغلب على بضعة رجال شباب مدنيين يقودهم رحل ثلاثيني وقيادة فرع بغداد وأعضائها عشرينيون إضافة إلى المقدم منذر الونداوي وهو ضابط يطير محلقاً خارج سربه، في وقت لم يُعرف عن أكثر المتآمرين ـــ باستثناء حازم وطالب ـــ الورع أو توسل الشرعية في الصراع.
وأرى أن حذر وتخوف قادة الوحدات العسكرية وحاجتهم لغطاء حزبي شرعي، (تمثل بحازم وطالب)، يعود إلى ظهور البعث أيام عبد الكريم قاسم كأداة سرية قوية، أشاع رجاله بين خصومهم الرهبة والاحترام، وأعطت محاولتهم اغتيال عبد الكريم قاسم ثم إسقاطه رغم أنصاره الكثيرون، الانطباع بأن البعث قادر على الثأر من أعدائه، ومن أية جهة تخونه. وذلك شكل ضمانة عظيمة لكي لا يقدم الآخرون على ضربه قبل أن يفكروا كثيراً. لكن الصراع البعثي ـــ البعثي، وخاصة بين أعضاء القطرية علي ومحسن وحمدي وهاني من جهة، وحازم وطالب من جهة أخرى، قد فضح مواطن الضعف وغيب الرهبة والخوف منه عند الآخرين. فتجرأوا وبدأوا بتحويل ما يدور في أذهانهم إلى ترتيبات واتفاقات سرية تمهيداً لتنظيم الانقضاض عليه وعلى السلطة. في حين اطمأن البعثيون إلى خوف الآخرين، وتفرغوا كلياً لصراعهم الذاتي حتى سقوطهم على يد تحالف ضم عبد السلام عارف وكتلة الضباط القوميين وضباطاً من البعث تعاملوا معه وكتلاً عشائرية وجهوية داخل القوات المسلحة، في حين بقي أبناء الشعب بعيدين عن الصراع الجاري، وظل أكثرهم يعتقد بأن رحيل البعث ليس سوى استراحة سيعودون بعدها بقليل، وترسخ ذلك في الأذهان بعد أن أحفقت سلطة القوميين بكل شيء أقدمت عليه. وكان أكبر مثل على عدم تفاعل الشعب مع ما جرى هو : الاصطدام الذي جرى بين دبابات الجيش ومقرات الحرس القومي في بغداد يوم ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، فقد جرى في مدينة خالية، وقد أفرغ لهم الشعب الشوارع والساحات ولاذ الناس ببيوتهم، فتصارع الطرفان بلا متفرجين.

وبالفعل زراني عماش في اليوم التالي معتذراً ... أولاً عن القرارات التي اتخذها عندما شغل منصب وزير الخارجية بالوكالة خلال وجودي في نيويورك ولندن، وحينها نَقَلَ كل النساء العاملات في وزارة الخارجية، أي صفى الوزارة نسائياً والغريب أن عماش الذي تظاهر بالتدين وأحياناً التزمت الديني، لم يكن في حقيقته متشرعاً بل لم يتمسك بتعاليم الدين الإسلامي حتى وفاته رحمه الله، فكان يتصرف كأي واحد منا بصورة "سوية" ويقيم علاقات مع النساء ويشرب الخمر!! وكنت قبل زيارته مكتبي قد اجتمعت بموظفي الخارجية واطلعت على قراراته غير المدروسة، وأبلغت نساءها اعتذار عماش عن تصرفه، كما أبلغت مجلس الخدمة ببطلان وإلغاء قرارات النقل والفصل التي وقعها صالح مهدي عماش بحق النساء، وإلغاء إجراءات أخرى على درجة اقل من الأهمية.

قال عماش : إن القيادة لم تجتمع والتذمر يتسع بين الضباط الذين بدأوا لأول مرة يشعرون أنهم يمتلكون الشجاعة والحرية لإبلاغ القيادة القطرية للحزب بما يدور بخلدهم، وبمعاناتهم بكل صراحة وأمانة ودون خوف، وهم الآن يختلفون عن المدنيين الذين يخافون من بطش وانتقام علي صالح السعدي والحرس القومي إذا ما عبروا عن استيائهم وآرائهم. وأنه كوزير للدفاع يبلغني أن وضع الجيش لم يعد يحتمل، ولا بد من ضبط الحرس القومي وإعادة تنظيمه بطريقة مناسبة . وليس أمامنا غير عقد مؤتمر قطري وإضافة أعضاء مناسبين إليه. وقال: تأكد يا طالب أن عدداً كبيراً من كوادر الحزب سيتعاونون مع قيادة قطرية عقلانية.

كان عماش يبادل السعدي العداوة ويؤكد باستمرار أنه بيت الداء . لكني لم أكن متأكداً من إخلاصه لما يقوله، و لم أثق بقدرته في إخراج مثل هذا الأمر إخراجاً حزبياً سليماً. و لم أثق بمجيء قيادة يمكنها أن تمس ظفراً واحداً لعلي صالح السعدي، ناهيك عن إبعاده. وكنت أرى أن أهداف عماش تدور حول : أولاً: رغبته في عقد المؤتمر التكميلي وتوسيع القيادة ليفوز بمقعد فيها. ومبرره أنه وزير للدفاع وممثل العسكريين.

ثانياً: الاستفادة من بقاء خطين متواجهين داخل القيادة القطرية، ليلعب كما هو حاله الآن، دور الوسيط الوسط.

أي أن همه انصب على توسيع القيادة بغض النظر عن نوعية الفائزين بعضويتها. و لم يجد صعوبة في ممارسة اللعب على الطرفين وتسمية ذلك حياداً. وكان حازم جواد يشاركني التحليل، بل أخبرني بمثل ذلك هاتفياً قبل عودتي من لندن. لكن زيارة عماش لي سجلت أول خطوة لانخراطي مجدداً في الصراع على السلطة التي تعدد ربابنتها واشتد صراعهم المحموم عليها. وشجعني على العودة كثيراً شكل الهيكل القيادي، والانسحاب الإداري لأكثرية الحزب من الدولة إلى الشارع أو إلى مقرات الحرس القومي.

لقاء بعد منتصف الليل

وفي ليلة ٩ تشرين الثاني أيقظني رنين التلفون من النوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وكان المتكلم حازم جواد. قال نحن مجتمعون الآن ونبحث في شؤون الحزب، ومصير الثورة ويجب أن تحضر، أخبرته : ليس لدي سيارة، فأرسلوا سيارة عبد الستار عبد اللطيف التي دخلت بها القصر الجمهوري حوالي الواحدة والنصف ليلاً. وكان هناك، إنْ لم تَخُني الذاكرة حازم جواد، أحمد حسن البكر، عبد الستار عبد اللطيف، جميل صبري وآخرون لا أتذكرهم، لكني متأكد أن عبد السلام عارف لم يكن بين الحاضرين.

سألت عن سبب هذا الاجتماع فقال البكر: أنا قررت الاستقالة إذا ما استمرت الأوضاع كما هي الآن. وأنتما يا طالب الشبيب وحازم جواد كنتما في مقدمة الأشخاص الذين ورطوني مباشرة في تحمل هذه المسؤولية. كنتما قيادة الحزب الذي شاركتنا وقادتنا في ١٤ رمضان. فالسعدي وعماش وشنتاف اعتقلوا، وعبد السلام لم نشركه في الأمر، وغياب خلخال وحمدي عبد المجيد ومحسن مسجون منذ فترة طويلة، لذا نحملكم مسؤولية الخراب الذي حلّ بالبلاد وأصاب الدولة. فإذا لم نعالج الأمر بطريقة حزبية، سيحصل انفجار لا يمكن السيطرة عليه وربما يخرج الأمر من بين أيدينا !! ووجه كلامه لي: يجب أن تعرف إننا إذا لم نعالج الوضع بسرعة سيعالجه غيرنا، وحينذاك سيأخذون معهم كل الضباط الحزبيين الناقمين على الحرس القومي وعلى الحالة برمتها[1] .

---

١ ـــ يرى آخرون أن الاجتماع ضم أيضاً: حردان التكريتي، وعبد السلام عارف، وطاهر يحيى التكريتي. وأظهر جميع الحاضرين ودهم لحازم وطالب لحاجتهم مؤقتاً إلى الشرعية الحزبية. وأضع خطاً تحت كلمة مؤقتاً لأن كل الدلائل تشير إلى أن الضباط حينذاك قد تأججت فيهم روح الرابطة العسكرية، ورغبة الدفاع عن المؤسسة العسكرية، ومن هذا المدخل تم استغلالهم وتهيئة الفرص لهم للتمرد على الحزب، وسيعمي الحل الحزبي حتى لو كان شكلياً أو اسمياً أبصارهم كلياً عن حقيقة المخطط الذي بدأ عبد السلام عارف في نسجه ببطيء وعلى نار هادئة، ورغم الحاجة لغطاء وحل حزبي فإن مخططي المؤامرة الوسطيين (البكر ومجموعته) وضعوا أمام حازم وطالب حلولاً محددة، وطالبوهما بوضع حلول حزبية شرعية مطابقة لمقاسات ونتائج موضوعة سلفاً.

وفي هذا السياق يقول تحسين معلة أن البكر وعماش خططا فعلاً لإبعاد حازم وطالب حتى قبل شروط الحرس القومي إبعادهما، لكنه يستثني حردان التكريتي وحسن النقيب وزكريا السامرائي وجميل صبري وعبد الستار عبد اللطيف الذين كانوا صادقين في رغبتهم ببقاء حازم وطالب في العراق. وقد فاتحهما حردان قبل مغادرتهما إلى بيروت باستعداده لنصرتهم إذا ظلّوا. وفعل ذلك صالح مهدي عماش أيضاً لكنه لم يكن صادقاً[1].

والحقيقة فإنه من الصعب معرفة ميول الضباط الحقيقية بعد أن تذوقوا طعم السلطة، وقد أخبرنا محسن الشيخ راضي[2] بأن طاهر يحيى وعدداً من الضباط الكبار الذين دخلوا قبل تنفيذ الثورة وبعدها للحزب، أنهم كانوا كلما يلتقون بنا في ممرات المجلس الوطني أثناء الأزمة يبكون بصوت عال ويعلنون ولائهم وخوفهم على ثورة الحزب من الضياع في نفس الوقت الذي يحضرون فيه الاجتماعات ويساهمون في التآمر ويخططون لضرب طالب وحازم بعد ضرب علي ومحسن....الخ.

سؤال: هل كان البكر يقصد عبد السلام عارف بكلمة الغير؟

طالب الشبيب: لم يرد عبد السلام في الذهن، و لم يكن سوى بدلة عسكرية دون صلاحيات أو قوات تأتمر بإمرتـــه. حتى حرس القصر الجمهوري كان يتلقى أوامره من البكـــر مباشـــرة، وكان آمره ضابطاً بعثياً هو المقدم عبد الجبار الصالحي.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني عندما قصف منذر الونداوي مكتب عبـــد الســـلام في القصـــر الجمهوري طلبت قوات الحرس المزودة بأسلحة مضادة للطائرات الأذن بالرد على طائرتـــه مـــن أحمد حسن البكر وليس من عبد السلام، وقد تردد البكر كثيراً على أساس أن الطائرة الواحـــدة تكلف مبلغاً كبيراً، فأخبره آمر الحرس بأن الجنود لن يصمدوا طويـــلاً، إذ كـــانوا يتعرضـــون للرصاص والقنابل دون إعطائهم حق استخدام أسلحتـــهم دفاعاً عن أنفسهم وأن ذلك سيجعل إمكانية التحكم والسيطرة على الكتيبة أمراً صعباً. وحينـــها أصدر البكر أمره بالرد على الطائرة المغيرة.

هذه وغيرها من عشرات القصص تؤكد أن عارف لم يستطع حتى إمرة الجنود الواقفين أمـــام باب غرفتـــه لارتباطهم بوزير الدولة لشؤون رئاسة الجمهورية حازم جـــواد، وبمنظمتـــــهم الحزبية، وكان سكرتير عبد السلام الضابط عبد الله مجيد بعثياً أيضاً. وكنا نشك باتفاقه معـــــه (قتل فيما بعد مع الرئيس عبد السلام عارف بحادث سقوط الطائرة الشهير رحمهما الله، وعبـــد الله مجيد هو غير الضابط مجيد العبد الله الذي كان بعثياً منظماً ومن ضباط ١٤ رمضان)، وأذكر مرة أن الحرس القومي في إحدى مراحل الأزمة قطع تيار التلفون عن دار عبد السلام عـــارف رئيس الجمهورية فتطلب الأمر أن يتصل صالح مهدي عماش بقيادة الحرس لإعادة التيار حـــتى يتمكن عبد السلام من الاطمئنان على عائلتـــه انطلاقاً من القصر الجمهوري الذي يقبع محاصراً فيه. أضف إلى ذلك فأنا لا أعتقد أن عبد السلام المحاصر بين جدران القصر قد خدعنـــا، فلـــم يكن يملك حتى حق الخروج ببدلتـــه العسكرية إلى خارج قصره إلا بعلم وموافقة حازم جـــواد. كما أن جهاز الاتصالات العسكرية الموجود داخل القصر منذ ما قبل ثورة رمضان أصبح تحـــت سيطرة ضباط مراسلة بعثيين، بل إن عبد السلام عرف وضعه جيداً، وآثر في كل مراحل الأزمـــة البقاء بعيداً، لا يزج بنفسه في المناقشات الحزبية، يستأذن ويخرج ليتركنا وحدنا عندما نلتقـــي (عسكريين ومدنيين) لمناقشة أية قضية حزبية، ويقول : هذه شؤونكم وأنا خارج.

فليس عبد السلام هو الذي استغل وضعنا وتآمر علينا. بل نحن الذين تركنا له سلطة فارغـــة من القيادة، فاستلمها رغم أن جميع أمراء الوحدات الأساسية في بغداد بعثيون.، ومازلت حـــتى هذه اللحظة أعتقد أن عبد السلام فوجئ بالسلطة بين يديه، وربما يكون حينما قرر أخذها قـــد استثمر انتـــهازية صالح عماش ، وتردد البكر، وتـــهافت عدد من الضباط، فجدد اتصالاتـــه بمن توسم أنـــهم سيقفون معه.

وأغلب الظن أن البكر أراد بقوله، الإشارة ليس إلى عبد السلام بل إلى بعض الضباط الكبار كرشيد مصلح وطاهر يحيى وسعيد صليبي، كما أراد بتلميحه داك أن يحملنا المسؤولية، لإقتناعي شخصياً بأن الحل الوحيد يكمن في إخراج علي السعدي من السلطة، خاصة وأنــه أكد بشكل قاطع عدم ثقتــه بتوقعات صالح مهدي عاش، مشيراً إلى انتــهازيتــه ولعبــه على الحبــال ومحاولتــه استغلال الأزمة لكي يبرز وسيطاً بين الطرفين.

وخلاصة الأمر، إن من بين جميع الذين تآمروا علينا، كان عبد السلام عارف وحده، بحكم منصبــه وتاريخه، يمكن أن يشكل مركزاً للاستقطاب، ويستطيع إذا جاءتــه الفرصة أن يؤسس شرعية تحل بمحل القيادة القطرية للبعث، وكان يعرف خطوتــه القادمة، والخطوة التي يخطوهــا الحزب. وكنا أنا وحازم جواد نعرفه جيداً وقريبين منــه، وحلقة الوصل بينــه وبين القيــادة القطرية و لم يتكلف غيرنا بذلك. وفي الحقيقة فإن علي صالح السعدي كان أول من حقق للبعث اتصالاً بعبد السلام عارف قبل ثورة رمضان، وربط معه المهندس عدنان القصاب ، الذي نفــذ أمراً سابقاً بجلبــه إلى مرسلات أبو غريب يوم الثورة[1].

---

١ ــ تــهيب البعثيون الشباب أن يطلوا بأنفسهم مفردين على الشعب، وعلى مؤسسات الدولة والجيش بعد إســقاط قاسم. فاختاروا عبد السلام عارف وهو الرجل الثاني في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والذي نــازع قاســم في حكمــه، وبسبب ما أصبح شبــه تقليد في أن يأتي الضباط الشباب المنقلبون على سلطاتــهم، برئيس أعلى رتبة، فيحافظون بــه على رضا وتماسك الجيش . وقد حصل دلك في مصر مع محمد نجيب بعد أن اعتذر اللواء فؤاد صادق ، وهــو رجــل وطني وقائد جيش مصر في حرب فلسطين ١٩٤٨ . وتابَعَهُم قاسم عندما نَصَّبَ نجيب الربيعي ، وهو ضابط وطــني لم ينتم إلى حركة الضباط الأحرار، رئيساً لمجلس السيادة. وأرسل حزب البعث عدنان القصاب ليجلب عارف من داره إلى مقر قيادة الثورة المؤقت في أبو غريب وتعيينــه رئيساً للجمهورية. وكان الفارق بين محمد نجيب وعبــد الســلام، أن الثاني إعتَبَرَ من تجربة السلف . وأدرك أن البعثيين سرعان ما سيضعونــه على الرف. فخطط أن يقتنص المرصة إذا مــا أتت. وظلت الفكرة مقيمة، تحفر في رأسه إلى أن أتاح له قياديو البعث بســبب خلافاتــــهم الانقضــاض وتســلم السلطة[2]. فقد حقق البعثيون في اختلافهم لعارف الجزء الأهم من خطتــه واستكملها هو كما يلــي: أولا: اســتغل غضب الضباط القوميين من انفراد البعث في السلطة، وتمكن من زرع بعضهم في مواقع عسكرية مهمة مثل أحوه عبــد الرحمن عارف وسعيد صليبي، وهادي خماس، وصبحي عبد الحميد ، وعبد الكريم فرحان، كما أعاد صبحي وفرحــان تأسيس كتلتــهما العسكرية الصغيرة التي "أحذت في داخل الصراع تعمل لصالحهما"[3].
ثانيا: اقترب عارف بــهدوء من جناح حازم وطالب والبكر، مستثمراً استقالة الوزراء القوميين الأربعة التي أضعفــت وأربكت موقف تيار السعدي، وبذلك وفر لنفسه حماية قوية من الجناح البعثي الأكثر حصوراً داخل المؤسسة الحكومية والعسكرية. وعندما اشتد الخلاف البعثي ـــ البعثي، لم يشارك عارف في أية محاولة لإطفائها بل مَثّــــلَ دور الزاهــد المنــزوي ـــ ليطمئن ضحيتــه، وزيادة في التمويه شجع أحياناً على معاقبة القوميين العرب واعتقال زعيــــم الكتلــة العسكرية الناصرية عبد الهادي الرواي والاعتداء عليه[4].
و لم يكن حناح السعدي غافلاً ، فتحرش بعبد السلام لجره إلى صراع مكشوف في محاولة لفضح موقفه وإشعار البعثيين بالمؤامرة التي تحاك لهم في الخفاء. فقصف منذر الونداوي مقر عبد السلام ومقرات حلفائه كسعيد صليبي، وقطع الحرس القومي التلفون عن داره، لكنــه رغم ذلك تحلى بصبر وعقلانية لم يعتد عليهما.
ثالثا: إن ما يؤكد تخطيط عارف المسبق هو تأكيد عبد الكريم فرحان على أن عبد الرحيم الأرحيم (وهو تاجر معروف
←

صديق لعائلة عبد السلام عارف) زاره وأبلغه " إن الرئيس عارف قرر التخلص من الحرس القومــي والقيــام بحركــة لتصحيح الانحراف، ووضع الأمور في نصابــها وأناط لي مهمة إبلاغك وهو يرجو تأييدك ومشاركتك في العملية التي باتت وشيكة" ثم اتفقنا على كلمة سر رمزية هي "شهامة" لتكون بمثابة إشارة بدء العملية[5]. ذلك يؤكد أن تــداولاً سبق زيارة التاجر لقائد الفرقة. ويعني أن عارف كان قد اتصل بكثيرين قبل هذا، لأن قوات عبد الكريم فرحان ليســت مهمة جداً للانقلاب لبعدها عن مركز العملية، ولوجود جفوة قديمة بينــه وبين عارف، عززها موقف الأخير بوقوفــه إلى جانب متصرف الموصل مدحت إبراهيم جمعة في خلاف نشب بينــه وبين قائد الفرقة عبد الكريم فرحان. بــل أن عبد السلام خيّر فرحان بين السكوت أو الاستقالة إنْ أراد!! وذلك حتماً لا يجعل فرحان أول المتبلغين بالحركة المزمعة. ثم إن حركة القوميين العرب كانت مبلغة بحركة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي أطاحت بالبعث قبل وقوعها بفترة ليست قصيرة[6]

رابعاً: بعد اعتراض حازم جواد على علي صالح السعدي في المؤتمر الاستثنائي ١٩٦٣/١١/١١، جلس السعدي وقــام عماش وقال : رفاق، أنا فوتحت من قبل سلطات مسؤولة في الدولة وغير موجودة الآن في هذا المؤتمر (يقصــد عبــد السلام وهو المسؤول الكبير الوحيد غير الموجود لأنــه ليس بعثياً)، بالتآمر على حزب البعث، ورفضت ذلك، فوقــف حردان معترضاً على ذكر أسماء أصحابــها غائبون عن الاجتماع وكان حردان حليفاً لعبد السلام والحازم وطــالب[7]. ويذكر أن علي السعدي ظل يصر دائماً على القول منذ الأشهر الأولى لسنة ١٩٦٣ بأن عبد الكريم قاسم سرق من عبد السلام ثورتــه، ولن نسمح لسلام بسرقة ثورتنا، وفي ذلك تأكيد على إحساس السعدي بحياكة عارف لمؤامــرة. (في هذا الشأن.

خامساً : يضاف إلى ما سبق، الاستعداد الشخصي عند عبد السلام عارف للتآمر . فقد أبلغ جمال عبد الناصر في دمشق أمام الوفد العراقي المرافق له، بعد خمسة ايام من ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بأن العراق سينضم سريعاً إلى العربية المتحــدة. وعندما سأله ناصر عن مصير قاسم، أجاب: " سيكون مصيره مصير محمد نجيب"[8]. وأضاف أنــه ليس أمام قاســم سوى الاستسلام أو السقوط. وأن قاسم لا يعدو أكثر من قلم حبر في جيبــه[9]. ووصل حديث عــارف إلى عبــد الكريم قاسم حتى قبل عودة الوفد إلى بغداد، ولم يكن عبد الكريم قاسم لئيماً ليخبيء الأمر، بل واجهــه بــه فــور عودتــه ولامه عليه وطلب منــه عدم تكراره، فأنكر عارف الأمر بصورة قاطعة. حصلت تلك الحادثة بين عــارف وناصر وقاسم قبل اندلاع الخلاف حول شعار الوحدة العربية وطريقة تحقيقها (الأندماجية أم الاتحادية أم الفيدراليــة)، بل كانت ثورة تموز ٥٨ ما زالت تحتفل بانتصارها مما يؤكد سريرة عبد السلام المستعدة للتآمر.

وكل ما تقدم يؤكد أن عارف خطط لمؤامرتــه ضد البعث قبل يوم ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣ وهو تاريخ إخراج طالب وحازم إلى بيروت.

وأرى أن البعثيين أخطأوا في تصورهم بإمكانية تغطية عارف لشرعية سلطتــهم أو بامتلاكه مميزات القائد السياســي الجذاب ليمنحوه مجاناً منصب رئاسة الجمهورية، فمنذ ١٩٥٨ لم يقل أحد من الذين عملوا معه أنــه كان موهوبــاً أو جذاباً أو حافظاً للعهد. فقد قال عنــه محمد صديق شنشل وهو أحد أبرز قادة التيار القومي في العراق إنــه " لا يملك الإدراك السياسي أو كيفية التصرف مع الأجانب أو مع زملائه". وقال عنــه خلال عهد قاسم "نظراً لقدرتــه المحدودة وتسرعه وتصريحاتــه العامة غير المقبولة، فقد أصيب الجهاز الحكومي بشــه عجز، ولا يمكن إدارة البلاد عن طريــق رجل مثل عارف" و "أنــه من الخطورة بمكان لو استلم عارف السلطة فعلاً"[10]. وقال عنــه عبد الكــريم فرحــان أنــه أسند المناصب المهمة إلى أقاربــه أو أبناء عشيرتــه ومدينتــه، وفي عهده راج سوق التزلف والرياء، وأثبتــت الوقائع " تنكره للأهداف والمبادئ التي قامت من أجلها ثورة ١٤ تموز" ولم يكن مؤمناً أو جاداً بشأن قيام وحدة عربيــة مع مصر[11]. وسمى المرحوم الدكتور باسل الكبيسي سلطة عبد السلام عارف بالقيادة المنحرفة[12].

وإذا طلبنا الحق، فإن ميزة عبد السلام الوحيدة كانت معرفتــه بعبد الكريم قاسم وملازمتــه له، فلم يتذكره أحد، ولا أعتقد سيذكرونــه مستقبلاً، قبل تموز وبعدها، إلا بسبب رفقتــه لقاسم أو عداوتــه له. وقد كانت تلك الرفقة هــي السبب المباشر التي دفع بالبعثيين لتنصيبــه رئيساً للجمهورية.

وبعد نقاش طويل إقترح أحد الحاضرين الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني لقيادة الثورة بتركيبته الأصلية، أي بدون الأشخاص الذين تمت إضافتهم بعد نجاح الثورة. ليصبح أكثريته من العسكريين . فيكون حينها ممكناً تقرير إخراج علي صالح السعدي وأنصاره، على أن يشمل القرار أقل عدد ممكن منهم، وبما يكفي لإعادة الأمور إلى طبيعتها. وحينذاك يمكن الدعوة لمؤتمر قطري تأسيسي (أي انتخاب المندوبين إليه مباشرة من مؤتمرات الفرق الحزبية (القاعدة)، لأن الانتخابات السابقة تمت بصورة مشوهة، و لم يكن تنفيذ مثل هذا الاقتراح يحتاج إلى أكثر من دعوة السعدي ومجموعته للاجتماع واحتجازهم فور حضورهم وينتهي كل شيء. لكني رفضت ذلك الاقتراح بشدة، لأسباب سخيفة إذا ما نظرنا إليها من زاوية الوقت الحاضر والوسائل السياسية المستحدثة كالغدر والمناورة. وقد استندت في موقفي الرافض إلى ضرورة عدم إظهار الأمر وكأن العسكر وعبد السلام عارف لهم دور في "مؤامرة" استبعاد علي السعدي، "مؤامرة" ضد بعثيين ينفذها ضباط غير بعثيين، وذلك سيثير قواعد الحزب ولا توافق عليه القيادة القومية. وقد عكس موقفي عقلية مثالية جاهلة أو ساذجة من حيث التفكير والتخطيط[1].

وأمام هذا الرفض قال البكر : إن أكثر ضباط الجيش الذين راجعوه يحتجون على الدعوة التي وجهت إليهم للمشاركة بأرواحهم يوم ١٤ رمضان ١٩٦٣ ، لكنهم منعوا بعد انتهاء مخاطرة الدماء، من تقرير مصيرهم ومصير البلد. فلم نعطهم الحق في اختيار مجلس قيادة الثورة، ولا في انتخاب قطرية الحزب، رغم أنهم بعثيون. و لم نستشرهم في تعيين الوزراء ، وإنما أُبلغوا بالأوامر ونفذوها بكل طاعة، ومات بعضهم نتيجة لذلك. ولذا فهو (أي البكر) بوصفه مسؤولاً عن المكتب العسكري الحزبي، لا يمتلك الحجة للرد عليهم وإقناعهم "فقولوا لي ماذا أفعل، وبماذا أجيبهم". قلت نحن لا نستطيع حل المؤتمر القطري والدعوة لانتخابات قطرية جديدة لنحصل منها على مندوبين مناسبين. لأن مثل هذا الإجراء لا يحق إلا للقيادة القومية. وأكثر من ذلك سيكون مضراً لنا إذا ما طلبنا من القيادة القومية التدخل لحل المشكلة ، بعد

---

١ ـــ تشكل المجلس الوطني لقيادة الثورة، قبل ٨ شباط ١٩٦٣ بأربعة أيام في اجتماع للقطرية في بيت طالب شبيب وهو الاجتماع الذي اعتقل بعد انتهائه السعدي وشنتاف وبهاء وعماد. وضم المجلس المشكل علي السعدي، حازم جواد، طالب شبيب، أحمد حسن البكر، صالح مهدي عماش ، عبد الستار عبد اللطيف، حردان التكريتي، منذر الونداوي . ثم بعد أول اجتماع له أضيف له عبد الكريم نصرت وذياب العلكاوي وطاهر يحيى لتطعيمه برتب كبيرة. وتعيين أنور عبد القادر الحديثي سكرتيراً له وباقتراح من علي السعدي أضيف عبد السلام عارف وعين رئيساً للجمهورية. وفور نجاح الحركة أضيف محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد وحميد خلخال وكريم شنتاف وهاني الفكيكي وسعدون حمادي، كما يحق لإثنين من أعضاء قيادة فرع بغداد الحضور له بحسب الاختصاص والطلب، وبهذا ضمن القياديون الحزبيون الذين لم يتسلموا مناصب حكومية المساهمة بصنع القرار السياسي للدولة من خلال المجلس الوطني لقيادة الثورة. وقبل ذلك كان مكتب حازم جواد يعتبر بالنسبة لهم مقراً يساهمون من خلاله بمراقبة وتوجيه الدولة، وكان مقر حازم يقع في البلاط الملكي القديم.

النتائج التي ترتبت على سير أعمال المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي[1]، وإذا استبعدنا الحل القومي سيبقى ممكناً أن ينعقد المؤتمر القطري بنفس أعضائه السابقين وهو وحده صاحب الحق في حل نفسه. وذلك لن يحصل لا من أعضاء المؤتمر القطري ولا من القيادة القطرية التي لن تتبرع وتطلب من القيادة القومية إصدار أوامر بإجراء انتخابات جديدة لصالح خصومها (حازم وطالب والبكر). كما أن القطرية لكي تقرر شيئاً يجب أن تجتمع وهو غير ممكن لاستحكام الخلاف بين أعضائها. وما يثير الحيرة أكثر هو أن كافة الحلول الأخرى لا تنبع من داخل الحزب ونظامه الداخلي، وهي حلول مرفوضة، فماذا ترى أنت ؟

رد البكر : لماذا لا يأتي الضباط البعثيون إلى المؤتمر القطري التكميلي المزمع عقده، ويطالبون بحقهم؟ أما كيف ؟ فسنتفق على أسماء ضباط يشترط أن يكونوا المساهمين في ثورة رمضان ومن منفذيها الأوائل، وليس ممن التحقوا بها فيما بعد. والصفوة من هؤلاء تأتي إلى المؤتمر وتطالب بحقها في عضويته وبتمام ذلك تجري الانتخابات وفق المعادلة الجديدة، فنخرج بقيادة سياسية مناسبة تستطيع تسوية الأزمة.

ذكّرني حديث البكر بما أخبرني به عماش عند زيارته مكتبي قبل أيام، وبدأت تدريجياً أصحو لأجد نفسي داخل مخطط أُحكِمَ مسبقاً . فمنذ ساعة واحدة فقط، أيقظني من النوم رنين الهاتف ووجدت نفسي فجأة داخل القصر الجمهوري في حوار سريع وخطير، سيقرر مصير السلطة التي صنعناها بجهد عظيم، ويود هؤلاء المغامرة بها بسرعة. وقبل أن أتمكن من جمع أفكاري، وضِعَتْ أمامي مشاريع انقلابية جدية ومصيرية ستنعكس مستقبلاً على البعث والعراق والمنطقة بكاملها.

و لم أكن بهذه العجالة قادراً على حسم الرأي، ومر بخاطري إحساس بعدم الرضى عن نفسي وعن كل شيء. وشعرت ببعد المسافة بين ما حلمت به كمناضل وما وصلت إليه الأمور. وتعمق ذلك الإحساس بعد الاستماع للمناقشات التي دارت بين حكام فعليين، لكنهم يتوسلون لحل مشاكلهم بطرق جميعها ليست شرعية، وتتجاوز النظام الحزبي والحكومي.

---

١ ــ لم يكن ممكناً أن يستفيدوا من القيادة القومية، لأن مندوبي الجناح اليساري لحزب البعث في كل الأقطار العربية، مع ممثلي العراق الذين انتخبهم المؤتمر القطري في ايلول وكانت أغلبيتهم الساحقة موالية لعلي صالح السعدي. قد سيطروا كلية على أجواء المؤتمر القومي السادس، وتمكنوا من استبعاد طالب وحازم من عضوية القيادة القومية، وانتخاب قيادة قومية تخالف ميشيل عفلق، وترى أفكاره متخلفة وتحذر من إخلاص الضباط العراقيين لسلطة البعث في العراق، وبالتالي فان تحكيم القيادة القومية بتشكيلتها المؤيدة لعلي صالح السعدي سيؤدي إلى إنصاف خطه ضد حازم وطالب.

ويذكر أن المؤتمر السادس انتخب لعضوية القيادة القومية من العراق كلاً من علي السعدي ومحسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد.

لكن ذلك كان مجرد خاطر مر بذهني للحظة، استعدت بعده صفة السياسي داخل الحلبة!! وقلت: هذه العملية معقدة جداً ولا أستطيع البت فيها فوراً . وإذا شئتم جواباً سريعاً فإن الفكرة بمجملها لا تبدو متماسكة وهي غير مدروسة جيداً..

وفوراً أدرك الحاضرون أن اعتراضي الأخير كان فنياً وليس مبدئياً أو أخلاقياً، أي أن الموافقة حصلت من حيث المبدأ، وليس مطلوباً منهم غير إثبات فرص نجاح الخطة. فلاحظت إشراقة على وجوههم، ولم أفاجأ من طريقتهم الجماعية الفورية في الرد عليّ ، وكأنهم أمسكوا بنقطة ضعفي، ومن هبوبهم الجماعي بوجهي تأكد إدراكي السابق إن بينهم أمراً مدبراً. وإن هذه الجلسة لم تكن للتداول وإنما لإقناعي شخصياً بخطة جرى بحثها والاتفاق عليها قبل وصولي القصر، وربما قبل عودتي من لندن قبل ثلاثة أيام.

والواقع لم أكن أملك رداً . فوافقت على ما دعوني إليه واتفقنا أن نترك الأمر إلى أحمد حسن البكر ليختار الضباط بالتشاور مع حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف. وكانت تلك ليلة التاسع من تشرين الثاني ١٩٦٣[1].

---

١ ــ انقسم البعثيون إلى شطرين، ضم الأول حازم حواد وطالب شبيب يساندهم ضباط كثيرون مثل البكر وعماش وحردان وعبد الستار عبد اللطيف وعلي عريم وحسن النقيب ومحمد المهداوي وجميل صبري... الخ ويقف نفس موقفهم ضباط قوميون يحتلون مراكز حساسة مثل صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان وهادي خماس وعبد الرحمن عارف. ووقف نفس موقفهم أيضاً عبد الكريم نصرت وخالد مكي الهاشمي وآخرون لم يكونوا حتى وقت قريب على وفاق معهم، وذلك بسبب التحاوزات التي حصلت ضد الضباط في بغداد ، ووقف معهم أيضاً الوزراء القوميون والموظفون الكبار وتيارات محافظة أخرى. أما جناح السعدي ففيه محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد وهاني الفكيكي ونجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي وأحمد العراوي والونداوي وستار الدوري وفائق البزاز وصدقي أبو طبيخ وعدد كبير من القيادات الحزبية الوسطية والمنظمات الشعبية وكل المتأثرين بالأفكار اليسارية التي بدأت تدب في جسد البعث خصوصاً أولئك القادمين من أوساط طبقية كادحة. وتطور الانقسام إلى يمين ويسار:

قاد اليمين أحمد حسن البكر وأقام في ١٩٦٨ سلطة أوصلت البلاد إلى دمار جنوني. واتفق اليسار مع قيادة حركة ٢٣ شباط ١٩٦٥ في سورية لتأسيس وإعادة بناء تنظيم البعث على أسس عصرية وشعبية. ودأب يسار البعث في العراق وعلى مدى أكثر من عشر سنوات تلت الانقسام على إصدار بيانات سنوية بمناسبتي ١١ تشرين الثاني و١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وكذلك في ٨ شباط يحيي فيها ثورة رمضان، لكنه يشن هجوماً ثابتاً ضد سلطتها مشيراً إلى أخطائها وممارساتها ضد الشعب العراقي والبعث نفسه، ويتهم المنحرفين بسلطة رمضان بالتخاذل أمام شركات النفط وبتجاوز القانون وممارسة التعذيب والقتل بما يخالف مبادئ حزب البعث التي تركزت أساساً على النضال الوحدوي العربي وحل المشاكل الداخلية بصورة سلمية. وقد حاض يسار البعث مع الشيوعيين والحركة الكردية والحركيين والناصريين منذ منتصف الستينات مفاوضات جبهوية وتعاوناً ميدانياً ، تجاوزوا خلاله الحساسيات القديمة، فاعترف كل طرف بصورة مباشرة أو غير مباشرة بأخطائه وبممارسات الطارئين في صفوفه، ولم يشأ الشيوعيون نسيان شهدائهم وموت كوادرهم وأمينهم العام وخسارة مواقعهم التي يصعب استعادتها مرة أخرى، ولم يرغب البعثيون إلغاء تاريخهم، لكن الزمن والإرادة الطيبة تدخلت لتضع أمامهم مهمات حديدة أكثر خطورة.

وبعد انقضاء مرحلة الانقسام الأولى حكم كثيرون على حازم وطالب، أنهما قادا جناحاً مقابلاً لخط السعدي، فأتاحا

←

مؤتمر حزبي يؤدي إلى انقلاب عسكري

أبلغ صالح مهدي عماش ، علي صالح السعدي بموافقتنا على عقد المؤتمر القطري الاستثنائي لاستكمال العدد الجديد لأعضاء القيادة القطرية، وبنفس اليوم الذي اقترحه هاني الفكيكي (رئيس المؤتمر القطري العادي) وهو ١١/١١/١٩٦٣ . وكان عماش يقوم بدور الوسيط والمراسل بين جناحي القيادة المختلفين. وكانت تلك حالة غريبة لم يشهدها تاريخ الحزب في أكثر ظروفه تأزماً. وقد وافقنا على وساطة عماش بسبب انقطاع الاتصالات كلياً بيننا .

وفعلاً، انعقد المؤتمر بكامل أعضائه تقريباً. وبعد التئام جلسته بدقائق قُرِعَ الباب ودخل الضباط يتقدمهم محمد المهداوي ورشيد مصلح التكريتي وعلي عريم، وبينهم جميل صبري البياتي وسعيد صليبي وحميد التكريتي.. الخ. كانوا سبعة عشر ضابطاً يقودون أهم الوحدات

الفرصة لخط ثالث معاد للبعث التدخل والفوز بالسلطة بعد أن كان متفرجاً. وفي الحقيقة فإن كلاً من السعدي وعبد السلام والبكر وعماش كانوا يعرفون ماذا يريدون ويذهبون مباشرة إلى مبتغاهم. أما حازم وطالب فقد أرادا شيئاً و لم يذهبا إليه مباشرة. فقد كانا من طينة السعدي، لكنهما وبسبب من واقعية متشددة أرادا استثمار تحالفهما مع اليمين لترسيخ أقدامهما بالسلطة من أجل تحقيق الطموحات القومية والوطنية للمجتمع العراقي!!

إن تعمقاً بسيطاً سيكشف أسباب حدة الصراع الكامنة، ومن أجل فهم الأمر لا بد من معاينة أمور كثيرة أهمها :

أولاً: إن حكومة ١٤ تموز بعد أن أقامت نظاماً وطنياً، اختطت تحت ضغط الشيوعيين والتأييد الشعبي الساحق لقيادتها، خطاً يسارياً وضربت علاقات اجتماعية وجهوية كانت سائدة منذ فترة طويلة.

ثانياً: جاءت نتائج الثورة العراقية في ١٤ تموز مخيبة لآمال جمال عبد الناصر الذي أراد نظاماً ذائباً في العربية المتحدة وليس مكملاً، دون أن يدرك تركيبة العراق المتميزة وقوة وخبرة الحركة السياسية العراقية، واختلاف ميول وتقاليد الشعبين، فلم يكن العراقيون بكاملهم جاهزين لإطاعة مندوب يرسله عبد الناصر لحكم العراق كما فعل مع سوريا. لكن ناصر اعتقد أن قاسم وحده الذي يعيق التحاق العراق الطوعي بالعربية المتحدة، فعمل بفعالية إعلامية نشيطة وشعارات مثيرة إلى تخريب سمعة قاسم عربياً وشجع على تأسيس خط ناصري منظم في العراق وكان وجوده قبل ذلك لايتجاوز التعاطف العام.

ثالثاً: خلق إلحاح الشيوعيين وتطرفهم الاجتماعي بيئة فوقية من المتحالفين ضد نظام قاسم، اختلط فيها القومي الثائر مع ابن الإقطاعي والتاجر وذوي الميول الدينية وأبناء الفئة المستفيدة التي ضايقها كثيراً مزاحمة أبناء الأرياف الزاحفين على بغداد من كل حدب وصوب. كل هؤلاء شكلوا أقلية عددية معارضة، لكنها قوية ومتماسكة وتمتلك أصولاً وجذوراً راسخة داخل أجهزة الدولة والجيش والشرطة.

خامساً: وينتمي حازم وطالب للفئة الثائرة من هؤلاء ، ولكنهما توهما أن عقلانية هادئة ومحسوبة ستدعمهما يتغلبان سلمياً ويحققان إرادة الحزب دون خسارة الحلفاء، وبأقل قدر من الفوضى. أما جناح السعدي فقد اعتبر عقلانية حازم وطالب نوعاً من الانتهازية والمداراة، وتوهم بقدرته على هزيمة السلطة انطلاقاً من الشارع ففشل الجناحان، لأن اليسار قدم بفوضاه أعذاراً كافية لانعزاله عن حلفاء طبيعيين له، والعقلاني توهم أن المحافظين وكبار العسكريين بلا ذكاء وبلا حطة. لكن حازم وطالب ودون قصد منهما استُخدِما جسراً مرت عليه فئة عضت السلطة ولن تتركها بسلام، فظل العراق يتدهور تحت سلطتها حتى خاضت به حروباً مجنونة على الحدود الشرقية والجنوبية، ولذلك اعتكف حازم ومات شبيب معارضاً.

العسكرية الموجودة في بغداد ومحيطها. وللإنصاف فإن عددهم لم يتجاوز النسبة العدديـــة لمـــا يستحقه التنظيم العسكري داخل المؤتمر بالقياس إلى مجموع التنظيمات الحزبية المدنية الأخرى.

تكلموا معاتبين وكانوا جميعهم من المشاركين الأوائل في الثورة. قال أحدهم وأظنـــه محمـــد المهداوي: نحن ضباط ١٤ رمضان، قمنا بالثورة، وشاركنا في كل شيء، وحملنا دماءنا علـــى أكفنا، ورؤوسنا على أكتافنا، وضحينا وقتل منا من قتل، ولكن أحداً لم يدعونا للمشـــاركة في الانتخابات، و لم نستشر، و لم يكن لنا رأي. وهذا اعتداء على حقوقنا كأعضاء في حزب البعث وكمساهمين في الثورة. ونرجو من أعضاء المؤتمر إعادة الحق إلينا.

اعترض رئيس المؤتمر هاني الفكيكي على دخول الضباط، فوجه حميد التكريتي رشاشتـــــه مباشرة إلى صدره وقال له انـــزل، و لم أكن أتصور أن هاني يمتلك القدرة الرياضيـــة الكافيـــة لكي يقفز بحركة كروباتيكية واحدة، فيدور دورة كاملة في الهواء ويأتي على أرجله واقفاً. كمـــا انتقل علي صالح السعدي من مكانـــه ليجلس إلى جانب أحمد حسن البكر والاحتماء بـــه. في حين استمر أحد الضباط معاتباً " إنكم في القطاع المدني أجريتم انتخابات، فلمـــاذا لم تقيمـــوا مثلها في القطاع العسكري؟ ونحن نعترض عليكم لعدم تمثيل المؤسسة العسكرية داخـــل قيـــادة الحزب، فكيف يمكنكم معرفة إرادة القطاع العسكري بدون انتخابات.

تحدث علي السعدي فتوافق مع الضباط على حقهم في حضور المؤتمر محاولاً استمالتـــهم [١] لكن الضابط محمد المهداوي أشار إلى اللواء طاهر يحيى التكريتي أن يصعد إلى المنصـــة لـــترأس الجلسة دون تصويت. فقال له : "يا أبا زهير" تفضل لرئاسة المؤتمر . وفوراً طلب يحـــيى مـــن المعارضين التصويت على قبول الضباط أعضاء أصلاء في المؤتمرالقطري، ففاز الاقتراح بأغلبيـــة ٣٨ صوتاً من أصل ٤٥ صوتاً[٢]. ثم جرى التصويت على سحب الثقة من القيـــادة القطريـــة

---

١ ـــ لم يكن تصرف السعدي عندما وافق على منح العسكريين عضوية المؤتمر دليل ضعف، بل جاء لإنقاذ قيادة الحزب وأنصاره من احتمال أن يقتلهم الانقلابيون . لأنـــه (أي السعدي) أدرك أن مـــا يحصـــل ليـــس ســـوى انقـــلاب عسكري[13] وكما أعتقد بأن اقتراح عضوية المؤتمر للضباط الذين انتـــهكوا حرمة المؤتمر ودخلوا قاعتـــه عنـــوة لم يات سوى من علي السعدي.

٢ ـــ بعد دخول الضباط للمؤتمر اختل التوازن والتمثيل وأخذ الضباط اكثر من حقهم التمثيلي في المؤتمر، فقد أصبـــح عددهم حوالي ٢٨ ضابطاً من أصل ٦٢ عضواً ، أي ٤٥ عضواً أصلياً يضاف إليـــهم ١٧ عضـــواً حصلـــوا علـــى عضويتـــهم عنوة، وهم المقدم محمد المهداوي والزعيم رشيد مصلح التكريتي والمقدم علـــي عـــريم والمقـــدم صـــلاح الطبقجلي والمقدم محيي محمود والمقدم زكريا السامرائي، والعقيدسعيد صليبي والمقدم حميد السراج والمقدم منعم حميـــد والمقدم الطيار حسين حياوي التكريتي، والمقدم جميل صبري البياتي، والرائد عبد الله مجيد، والمقدم فهد جـــواد المـــيرة والمقدم حميد التكريتي ، والمقدم حسن مصطفى النقيب والنقيب الاحتياط عزيز شهاب والمقدم أحمد أمين محمود.
وكان موجوداً داخل المؤتمر كأعضاء أصليين العميد أحمد حسن البكر، الفريق صالح مهدي عماش، اللواء طاهر يحـــيى التكريتي ، العقيد ذياب العلكاوي، المقدم الجوي منذر الونداوي، العقيد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصـــرت، ←

المنتخبة في المؤتمر الاعتيادي الذي لم يمض على انعقاده شهران، وفاز الاقتراح بنفس النسبة السابقة. وكان سعدون حمادي من المعارضين لتلك الانتخابات فوقف قائلا: إن ما يجري غير شرعي، فقيل له : اسكت، فسكت. وانتخب د. فائق البزاز وعبد الستار الدوري لعضوية القيادة القطرية الجديدة دون أن يرشحا نفسيهما، فاعترضا، ولم يقبل اعتراضهما، أما تحسين معلة ومنذر الونداوي وصالح مهدي عماش، فقد انتخبهم المؤتمر أعضاء احتياطيين في القيادة الجديدة. وأتذكر أن جعفر قاسم حمودي دخل إلى قاعة المؤتمر قائلاً: أنا عضو أصيل في المؤتمر، فلماذا لم تدعوني لحضوره؟ ولا أتذكر إذا سمح له أم لا؟

بعد إعلان أسماء القيادة الجديدة، انتقل الفائزون إلى غرفة صغيرة مجاورة، لعلها غرفة البكر الذي ترأس الاجتماع باعتباره أكبر الأعضاء سناً، فقال: بدلاً من إبعاد عشرة، نقوم بإبعاد ثمانية، وبدلاً من ثمانية ، ستة. وكلما قلّ عدد المبعدين يكون أفضل لنا، فتقرر إبعاد علي صالح السعدي ومحسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد وهاني الفكيكي وأبو طالب عبد المطلب الهاشمي، وتشكيل حكومة جديدة برئاسة البكر، وعدم إذاعة تفاصيل ما حدث في قاعة المؤتمر باعتباره شأناً من شؤون الدولة وأسرارها. على أن يتم بعد ستة أشهر إجراء انتخابات حزبية جديدة في جميع أنحاء القطر ، يشارك فيها المدنيون والعسكريون بمن فيهم الأعضاء المبعدون إلى خارج العراق(١).

المقدم عبد الستار عبد اللطيف، العقيد الجوي حردان عبد الغفار التكريتي ، الملازم احتياط بهاء حسين الشبيب. وكان بين الحاضرين عدد من المدنيين الممنوحين رتب الضباط كأبو طالب الهاشمي ونجاد الصافي وأحمد العزاوي .

١ ــ يقول حسن وادي العطية: كان محمد المهداوي الوحيد بين الضباط الداخلين يرتدي بدلة مدنية سوداء ويحمل حقيبة سوداء ويضع نظارة شمسية سوداء. وبدأ حديثه مشيراً إلى حقيبته قائلاً: بهذه الحنطة أسرار تدين بعض أعضاء القيادة القطرية وبعض الوزراء[14].

أما د. تحسين معلة فقال: اخترق ١٧ ضابطاً قاعة المؤتمر بعد عشر دقائق من التئامه، ورددوا شعار الحزب "أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة" وكلهم عدا محمد المهداوي يرتدون بزاتهم العسكرية. وكان الضابط حميد التكريتي يحمل غدارة (رشاشة) مصوبة وقالوا: نحن أعضاء في المؤتمر، ونرفض أن يكون الفكيكي رئيساً له . وطلبوا من طاهر يحيى رئاسته، وعندما اعترض الفكيكي هدده التكريتي فنزل من المنصة بنفس الوقت الذي تنقل فيه محمد المهداوي يجمع أسلحة المؤتمرين الشخصية، وعندما وصل إلى المقدم أنور الحديثي، سحب الأخير مسدسه محاولاً الانتحار وصائحاً : لسنا خونة، نحن وطنيون. وتمكن خالد مكي الهاشمي من تلقف المسدس من يده، وحاول الآخرون تهدئته ومنعه من مغادرة القاعة وإعادته إلى مقعده. بعدها تحدث السعدي محاولاً دغدغة عواطف الضباط قائلاً: نحن رفاق والعلاقات الرفاقية لا تسمح بالمجابهة.... فوقف حازم جواد صائحاً : لا أسمح لك الآن أن تلبس مسوح القس ، فجلس علي بعد أن أدرك أن هناك ترتيباً وانقلاباً منظماً. وتم انتخاب قيادة جديدة بمشاركة الضباط، اجتمعت بغرفة جانبية ولم يسمح للأعضاء الاحتياط (عماش، معلة، الونداوي) حضور الجلسة التي دامت نصف ساعة، أبلغونا بعدها بانتخاب البكر أميناً للسر ورئيساً للوزارة وبقرارهم إبعاد علي ومحسن وحمدي وهاني وأبو طالب. وفوراً أشار حميد التكريتي بغدارته للسعدي ورفاقه: تفضلوا معي !!... فصاح السعدي بصوت تعمد أن يكون مسموعاً : "تعال يابه أبو هيثم (البكر) إحنا شنو معتقلين؟" فرد البكر: لا تعال معي، فذهبوا إلى القصر الجمهوري مع أعضاء القيادة ←

ولم يخرج من اجتماع الغرفة الصغيرة الذي تلا جلسة المؤتمر أي بيان. وما تم تلاوتـه علـى أعضاء المؤتمر هو القرارات والتعليمات التي قررتـها القيادة المنتخبة الجديدة. وكانت أكثرهـا معدة سلفاً، قبل إشراك الضباط. ولم يكن من بين جميع القرارات المتخذة سوى قرار واحد مهم ومقصود هو قرار إبعاد علي وجماعتـه خارج البلاد. أما بيان المؤتمر فقد صغتـه بنفسي بعـد يوم واحد من انتـهاء أعماله.

الجديدة وآخرون. وأضاف د. تحسين معلة يقول: أخبرني ستار الدوري فيما بعد، أنـهم أبلغـوا السـعدي ورفاقـه بإبعادهم لإسبانيا. فطلب السعدي اصطحاب زوجتـه، لكنـهم أخبروه أنـها ستصل بعده، فبكى السعدي بشدة، فاضطر الدوري مرة أخرة الطلب من عبد السلام الموافقة، وكان يجالسه حازم جواد وطالب شبيب، فرد عبد السـلام قائلاً: يخرج " بالجلاقات" (أي ركلاً بالأقدام!)[15].

ولا أرى أن عبد السلام بلغ من القوة ما يكفي ليقول ما قاله للسعدي، لكن تواطئاً بينـه وبين أحمد حسن البكر قـد حصل وجعله يجرؤ على ذلك. فقوة الجيش والحرس القومي كانت حتى تلك اللحظة موزعة بين البكر وأنصار السعدي وليس لعارف أية قوة فعلية غير خطة مرسومة بذهنـه ومفاتحات أولية في نطاق ضيق تنتظر التنفيذ. وكان منطقيـاً أن يعثر عارف بين الفريق العسكري الحاكم على ضباط كثيرين مستعدين لخيانة قسم وفائهم للبعث وذلك لأن عدداً كبيراً منـهم انتمى للحزب لتحقيق مصالح خاصة، فقد ألح ميشيل عفلق على قيادة قطر العراق قبل ٨ شباط على ضـرورة كسب الضباط الكبار ومنحهم عضوية الحزب العاملة فوراً[16]. فعلى سبيل المثال انتمى طاهر يحيى للبعـث قبـل ٨ شباط بيوم أو يومين. فعين رئيساً لأركان الجيش وبعد تسعة أشهر نصب رئيساً للمؤتمر القطري الاستثنائي، وبعدهـا بأيام أصبح رئيساً لوزارة السلطة التي طاردت البعثيين في جميع أنحاء البلاد وملأت السجون بـهم، وهذا ينطبق علـى رشيد مصلح التكريتي وسعيد صليبي.

وفي الحقيقة، فان البكر كان مهيئاً لرئاسة المؤتمر لكنـه قرر في اللحظة الأخيرة تركها لطاهر يحيى، ليبقى داخل القاعـة يحرك الأحداث دون أن يظهر في الصورة، بل الظهور بمظهر المحايد، المضطر إلى التدخل وكانت النتيجة أن كل المناصب (أمانة سر القطرية ورئاسة الوزارة) صارت له أما القيادة التي خرجت من المؤتمر فتكونت من : البكر، حـازم جـواد، طالب شبيب، طاهر يحيى، محمد المهداوي، طارق عزيز، عدنان القصاب، علي عريم، عبد الستار الدوري، عبد السـتار عبد اللطيف، حسن حاج وداي العطية، د. فائق البزاز، وفاز أعضاء احتياط حسب تسلسل الأصوات: صالح مـهدي عماش، د. تحسين معلة، ومنذر الونداوي. وفي القصر الجمهوري، عندما اطلع عبد السلام على أسماء القيادة الجديـدة، مسح بقلمه اسم تحسين معلة، وعندما سألت د. معلة عن ما يمكن أن يكون السبب في تصرف الرئيس عارف، قـال: ليس بيننا شيء، وقد ساعدتـه عندما كان معي في نفس المعتقل، وزرتـه بداره بصورة سرية بعد إطـلاق سـراحه، وليس لديه معي غير " طائفيتـه الموتورة[17]. ويذكر أن القيادة المذكورة دامت ثلاثة ايام فقط، ثم حلت مـن قبـل القيادة القومية في اجتماعها ببغداد في ١٤ تشرين الثاني ١٩٦٣ واعتبرت المؤتمـر القطـري الاسـتثنائي المنعقـد في ١٩٦٣/١١/١١ غير شرعي. وضم اجتماع القومية: ميشيل عفلق وأمين الحافظ، وصلاح جديد وجبران مجـدلاني ود. عبد الخالق النقشبندي، واتخذت قراراتـها تحت ضغط الحرس القومي الذي احتل مدينة بغداد بكاملها.

ونقل تحسين معلة: إن أسماء مرشحي القيادة قرأت من ورقة معدة سلفاً وعندما اعترض كل من د. فـائق الـبزاز ود. تحسين معلة، وستار الدوري على ترشيح أنفسهم، ورُفِضَ اعتراضهم، وقام أحد الحاضرين ورشح صالح مهدي عمـاش الذي لم يرد إسمه في القائمة. فوقف منذر الونداوي وقال: أنا أيضاً من الضباط الثوار وأرشح نفسي للقيادة، ولم يعترض عليه أحد، فجرت الانتخابات في ظروف متوترة وغير طبيعية[18] وعندما اعترض سعدون حمادي وحاول الخروج مـن القاعة معلناً أن ما يجري مؤامرة ولن يشارك فيها، قال له علي عريم " إخرس عبد الزهرة!!"[19].

انتقلنا، القيادة الجديدة وبعض أعضاء المؤتمر والمبعدون الخمسة فوراً إلى القصر الجمهوري. وعند مدخله اقتربت سيارتي من السيارة التي استقلها علي صالح السعدي، فقال لي غاضباً: أهذا ما كنت تريده يا طالب؟ قلت: هذا عكس ما كنت أريده وأتمناه، ولكن أنت يا علي أوصلت الأمور إلى هذا الحد المؤسف.

مر يومان على قرارات المؤتمر التكميلي وترحيل علي ومجموعته إلى إسبانيا، خلالها حول الحرس القومي بغداد إلى ساحة حرب، ووصل الأمر أكثر من مرة إلى حافة مواجهة حقيقية مع الجيش . وحصلت أحداث استفزازية كثيرة، وانتشر السلاح محمولاً بيد الآلاف. وقد نجحنا في إيقاف خطط تصادمية كثيرة. و لم يكن من السهل علينا أن نساهم بإراقة دماء البعثيين، على الرغم من محاولة الكثيرين تفسير تصفية الحرس القومي أنه يؤدي للاستقرار.

وفي يوم ١٣ تشرين الثاني أي قبل سفرنا بساعات جرت محاولات عديدة لكي نبقى على رأس السلطة السياسية بشرط إجازة الجيش في تصفية الحرس عسكرياً. وكانت إحدى تلك المحاولات صادرة عن عبد الكريم مصطفى نصرت قائد الفرقة الرابعة المدرعة التي تسيطر على بغداد، و لم يكن الرجل شاكراً، وكنا في مكتب عبد السلام عارف عندما قال : " ما دمتم لا توافقون على أن يتحرك الجيش لإعادة الاستقرار ، وتخافون على قطرة دم تهدر. فاذهبوا أنتم، وسيتحمل الجيش مسؤوليته...".

أما عبد السلام عارف الذي اعترض على سفرنا، فقد أخبرناه بأن قرار سفرنا نهائي. فقال على بركة الله، وفي أمان الله، وردد مازحاً " كلما قلّت الشياطين ارتاحت الملائكة" لكنه عرض أن يكون سفرنا إلى الموصل حيث تأخذنا طائرة خاصة إلى معسكر الفرقة الأولى في ضيافة عبد الكريم فرحان، نقضي الوقت الكافي ليعيد الجيش الهدوء إلى مدينة بغداد. فأصررنا على بيروت، على أمل العودة قريباً.

سافرنا دون أن ندع أحداً يستفيد منّا بشيء، فلم نتفق أو نتفاهم مع عبد السلام عارف، لكنه استفاد بلا حدود من خروجنا من العراق، فبعد إخراج السعدي، خرجنا نحن، لكي تفرغ الساحة من الشرعية السياسية. فيتهيأ الجو لانقلاب ضدنا. وما زلت أرى أن صالح مهدي عماش هو الذي أوحى لعبد السلام ولأحمد البكر بفكرة التخلص من المدنيين جميعاً. وقد سمعنا أنه كان يقول للمقربين منه، إن طالب وحازم تخلّصا من علي السعدي وجماعته، فتعالوا نتخلص منهما لكي يستطيع الضباط وحدهم قيادة الثورة .

لذا أقول: اتخذنا قرار السفر مغاضبين، وكنا نشعر بألم لما آلت إليه الأمور. ويبدو أن عماش وحردان أحسّا في تلك اللحظة أن الوضع بدأ ينزلق ويفلت من أيديهم. وكانا بين حوالي ستين ضابطاً في توديعنا بمطار بغداد . فقال حردان التكريتي : إبقوا هنا ولا نحتاج منكم غير إعطائنا أوامر لكي نعيد البلاد إلى استقرارها.

أما صالح مهدي عماش ، فبدأ يتزلف كعادتــه، وهدفه أن يسجل موقفاً لخط رجعة محتمل، فقال أمام الجميع: إذا سافرتم ستنتــهي الثورة، وسمعه يقول ذلك كثيرون بينــهم ستار الدوري وعبد الكريم نصرت، وحسن النقيب وبــهاء شبيب ومدحت إبراهيم جمعة والبكر وعبد الستار عبد اللطيف وجميل صبري ومحمد المهداوي وحسن وداي وصلاح صلاح ومحيي محمود وعبــد السلام عارف. وأعتقد أن عبد السلام حمل ما قاله عماش له، وبذلك يكون عماش قد خســرنا وخسر السعدي وخسر عبد السلام[1].

و لم يكن غضبنا على عماش وغيره بسبب التنافس السياسي. بل لإدراكنا التــام بأنــــهم سيتسببون في إخراجنا وإفراغ البلاد من الشرعية السياسية، دون أن يكونوا قادرين على مسك زمام الوضع. فليس بينــهم من سيتفق الضباط على الخضوع له. ولذا اعتبرنا تصرفهم تخريبــاً مضراً وأشبــه بتصرف الحرامية. سرقوا الثورة غيلة وجبناً، و لم يحتفظوا بــها حتى يوماً واحداً. وأعترف أننا ساعدناهم كثيراً بموافقتنا على إخراج السعدي ثم أقنعنا أنفسنا بقدرة البكر علـــى الحزم، فغادرنا إعتماداً على تصرفه.

وأستطيع الآن التأكيد على أن ما جرى، كان مزيج من تسرع البعثيين في صراعهم الــذاتي، وتآمر وفد القيادة القومية ممثلا بميشيل عفلق وأمين الحافظ وجبران مجدلاني وصلاح جديد الذين عرضوا سلطة الحزب للضياع وأنفسهم للإهانة والاعتقال والتسفير، بعد أن وثقوا بعبد الســلام عارف.

ولا أنسى بأنني وحازم جواد أدركنا خطورة الأمر، فأرسلنا برقية نشرتــها جريدة النـــهار البيروتية إلى القيادة القومية، وإلى رئيس الجمهورية السورية، ورئيس الأركان ورئيس الــوزراء، على شكل رسالة مفتوحة، نحذرهم فيها بأن حكم حزب البعث في العــــراق يشـرف علـــى السقوط. وكان ردهم علينا، أنــهم فصلونا بواسطة جهاز الإذاعة.

---

١ ــ ربما لم يكن صالح مهدي عماش صادقاً مع حازم وطالب، لكن حردان الذي يقود القوة الجوية ويؤثر على اثنــين من قادة كتائب الدبابات في بغداد كان صادقاً معهما. غير أن طالب وحازم كانا في مأزق محرج، فإما أن يوافقا علـــى تحقيق رغبة الحرس القومي بإعادة علي السعدي ورفاقه وذلك يرفضه العسكر وسيؤدي حتماً إلى نفــس النتيجــة أي الاقتتال. أو التواطؤ مع القيادة العسكرية وإعطاؤها الأوامر لضرب قوات الحرس القومي وسحقها عسكرياً وذلك يعني سفك دماء بعثييه وتسجيل صفحة دموية سوداء أوقتل الرفاق والأصحاب وبذلك يتم القضاء على تنظيم الحزب الذي طالما استمدوا منــه قوتــهم. لذلك اتخذا قرار السفر للتخلص من المأزق الخاص ومن أجل سحب أحــــد صواعــق الأزمة المشرفة على الانفجار.

ورغم أن سفر طالب وحازم كان أهم شرط معلن وضعتــه قيادة الحرس القومي الثائرة للبدء بالمفاوضات أو للقبــــول ببدء وساطة القيادة القومية، فإن هناك أسباباً أخرى كثيرة غير معلنة أهمها أن العسكريين وصلوا إلى مآربــهم وصــار بإمكانــهم الإنفراد بالسلطة فلماذا يسمحون لشبان مثل حازم جواد أو غيره مشاركتــهم فيها.

سؤال: حسب ما فهمته منك، أنكما أنت وحازم، كنتما حتى لحظة صعودكما الطائرة المغادرة إلى بيروت في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٣، تمسكون مع حليفكم أحمد حسن البكر بكافة الأوراق العسكرية في بغداد، بل كانت السلطة بين أيديكم وطوع أمركم. فلماذا تخليتم عنها لعبد السلام عارف ؟ في حين كان بامكانكم إيجاد حلول أفضل من تسليمها إلى المتربصين بجناحي الحزب. ألا يعني تخليكم ، أنكم لم تدركوا أهمية الآلة (الدولة والسلطة) التي استوليتم، بل وتصرفتم بها وكأنها لعبة غير جادة ؟

طالب شبيب : أدرك فريقنا أهمية السلطة ودورها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لتحقيق الأهداف والمبادئ الاجتماعية وتطبيق السياسات. أما الفريق الآخر فقد انتهج سياسة فوضوية، وتطلع إلى تحقيق أفكاره الساذجة بالتجاوز على القوانين معتقداً بقدرته على تجاوزها بنفس السهولة التي أصبح معها قادراً على سنها. وما كان يدري أن ذلك يقود إلى فوضى، ستهدم أول ما تهدم السلطة التي بين يديه.

لقد كنا قادرين على البقاء. ولكي نبقى كان الأمر يتطلب إجازة استخدام القوة ضد الحرس القومي وضد رفاق بعثيين وقد رفضنا اعطائها. في حين ألح العسكريون علينا بتغطية الحل العسكري سياسياً، وعندما لم نفعل بحثوا عن تغطية أخرى، قدمها لهم عبد السلام عارف. وفي الحقيقة فقد كان موقفنا الرافض لإراقة الدماء ولأي اصطدام، بما في ذلك المجادلة ضد الوسائل غير الشرعية، يضعنا في موضع المشاكس، الذي يرفض دون أن يقدم حلاً أو مخرجاً. فالحرس القومي يسيطر على بغداد ومراكز المدن والجيش بكامله يقف مستعداً لأخذ المبادرة، ونحن مرفوضون من الحرس ورافضون للحل العسكري، بل رفضنا اتخاذ أي إجراء أمني احترازي ومنعنا الاحتكاك بالحرس القومي، وطالبنا بإفراغ بغداد له، ولم نضع حراسات أو حواجز (مما قيل)، ولم نطوق قاعة المؤتمر، بل استمرت الحراسات الاعتيادية في المجلس الوطني، وبينه وبين القصر الجمهوري، ولا أدري كيف تخيل الأستاذ هاني الفكيكي في كتابه أموراً غير ما قلت. وأعتقد أنه تصور وجود عساكر على جانبي الطريق بسبب هول المفاجأة والخوف من التصفية الذي، ربما، سيطر عليه. وقد علمت فيما بعد أن علي ومحسن وهاني وحمدي تصوّرا أننا سنرميهم بالرصاص فور احتجازهم. وكانوا من جانبهم لو سارت الأمور كما خططوا سينفذون فينا أحكاماً بالقتل. وقد أكد علي صالح السعدي وهاني الفكيكي وآخرون أنهم كانوا قد وضعوا خطة كاملة مضادة . فلم يكن علي صالح السعدي خبيثاً ولم يحتفظ بأسرار، وعندما سألته عام ١٩٦٨ في بغداد قائلا: لو استمرت أعمال المؤتمر دون تدخل الضباط،

وفزتم بالانتخابات ماذا كنتم ستفعلون ؟ أجاب فوراً : سنستلم القيادة كاملة، وكنا سنعدمكما أنت وحازم!!

كانت هناك أسباب كثيرة لمأزقنا وللفوضوية والتطرف[1] أهمها حالة الانتشاء التي سببها الانتصار السهل الذي تحقق على نظام عبد الكريم قاسم، فتملك بعضهم شعور بأنهم جاءوا "هبة الله للشعب" ولهم الحق كثوار أن يفعلوا ما يشاءون ، لإيصال الشعب إلى ما يعتقدون أنه صواب. رغم أن القضية برمتها، بما في ذلك الأهداف المعلنة للأحزاب، كانت تفتقر إلى الوضوح، مما جعل تصرفات السلطة الرسمية ومنظماتها لا تجري وفق معايير دقيقة ومحسوبة. وعلى سبيل المثال، عرض وزير العمل والشؤون الاجتماعية حميد خلخال على مجلس الوزراء مشروع قانون جديد للضمان الاجتماعي، وطلب أن يلتزم فيه كل رب عمل يستخدم عاملاً واحداً أو أكثر، بحفظ دفاتر للضمان الاجتماعي ودفاتر أخرى لدفع الضمان، وشراء أختام وطوابع وغيرها من المستلزمات.فتصور بائع الكباب الذي لديه " صانع" أو سائق الباص ومساعد الحداد وجميعهم ينطبق عليهم القانون.

و لم يكن مستوى العمل المهني والإنتاجي في العراق يحتمل مثل هذا التنظيم المقترح، كما أن الحكومة العراقية ذاتها لا تملك كوادر قادرة أو كافية للإشراف على تطبيق عملية متشابكة واسعة للفصل بين العامل ورب العمل في طول البلاد وعرضها، وليس لدى الوزارة غير بضعة موظفين للرقابة. في حين يحتاج الأمر إلى عشرات الآلاف من الموظفين. ولو كانت الوزارة قد أقرت مشروع الوزير خلخال، لوجد طريقة للتنفيذ بواسطة الوسيلة الوحيدة الممكنة وهي عصا الحرس القومي الذي سيتدخل أفراده بطريقة ثورية أو عاطفية بكيفية بعيدة عن القانون، وسيؤدي إلى كوارث اقتصادية تهدد بإيقاف كامل العجلة الانتاجية ، وهي حالة متوقعة عندما تخرج القوانين التي تسنها الدولة من عقلانيتها فتتحطم روحها، وتتحطم الأهداف

---

١ ـ سبب لم يذكره الشبيب وهو أن حكم حزب البعث أتاح الفرصة لرجال من الوسط الشعبي البسيط إلى استلام مراكز مهمة في السلطة وفي تقرير سياستها العامة. فأزعج ذلك آخرين تعودوا الحكم (إذا سقط الآباء يحكم أبناؤهم)، وأحسوا بالسلطة قلقة بين أيديهم، ينازعهم عليها ضباط شباب وكوادر من الأحزاب السرية والحرس القومي، و لم تكن لهؤلاء ذهنية السلطة الباردة والهادئة، بل تشبعوا بمشاعر المظلومية، وتصرفوا عندما أمسكوا بالسلطة بروحية موتورة وكمتمردين.

فلم يكن السعدي وحازم ومحسن وحمدي وشبيب والعزاوي يرغبون بالتعسف على الموظفين الكبار الوارثين سلطة العهد الملكي، لكنهم نظروا إليهم رموزاً للظلم الذي تعرض إليه الشعب العراقي عشرات السنين. أي لم تكن المزايدة الآيديولوجية والشعاراتية وحدها سبباً للتطرف، بل الصراع بين وارث لا يرغب أن يشاركه أحد بالتركة وبين راغب في المشاركة لكنه موتور ومتطرف ولا يعرف الأساليب القانونية الباردة في المطالبة بالحق ، لأن السلطة ذاتها تستخدم القانون لمصلحتها ولا تطبقه بعدالة.

التي جاءت من أجلها. ولحسن الحظ وقف ضد القانون وزراء محايدون بينهم ناجي طالب وزير العمل في عهد عبد الكريم قاسم فقال: " إن قانون حكومة قاسم رغم بساطته ليس بالامكان تطبيقه بسهولة، فكيف بقانون عسير كهذا، سيشل في حالة تطبيقه الحياة الاقتصادية تماماً ، ولا أرى أية فرصة لتطبيقه". وعلى إثر المناقشة سحب خلخال المشروع الذي لم يكن سوى مظاهرة يسارية مزايدة على قوانين قاسم، وعلى اشتراكية عبد الناصر، دون أن يدرك أن البرهان الوحيد على ثورية أكثر صدقاً من قاسم وناصر والشيوعيين تأتي بإعطاء حريات أكثر وإنجازات أفضل وباحترام إرادة المجتمع ورغباته[1].

وبذلك أوقعنا أنفسنا بمبالغات غير مطلوبة، في وقت كنا بأمس الحاجة للتداول الواقعي لمواجهة التحدي الحاسم خصوصاً في مجال اختيار شكل النظام السياسي ونوع الممارسة الديمقراطية ودراسة علاقة الدولة بالملكية الخاصة والاجتماعية. كان مهماً جداً الجلوس وبحث الموقف من الرأي الآخر، فالعراق لم يكن كله بعثياً. وكانت هناك أسباب وآفاق كثيرة تشجعنا على إعطاء هامش ممتاز للحريات السياسية والفردية والاقتصادية. فحزب البعث استطاع بالتعاون مع القوميين في زمن عبد الكريم قاسم أن يفوز بانتخابات حرة وديمقراطية بعدد من المؤسسات والجمعيات المهنية الكبيرة، كنقابة المعلمين والمهندسين. فلماذا نتخلف ولا نقيم انتخابات حرة في مجالات اجتماعية مهنية كثيرة، ونحن نمسك بالسلطة بكل امكانياتها.

فشلت محاولتنا لإصلاح الوضع ، وانتهى الأمر إلى يد عبد السلام عارف. بسبب صراع البعثيين فيما بينهم حول مسائل غير واقعية، لعبت فيها دوراً أساسياً الإيديولوجيا اليسارية المتطرفة من جهة والتحالف مع أطراف من خارج نسيج الحزب كالضباط الكبار، من جهة أخرى. وحينما أردنا الخروج من الأزمة ، اتفقنا مع البكر وعبد الستار اللطيف ومحيي محمود

---

١ ــ جاءت سلطة ١٩٦٣ لتحكم شعباً له تاريخ طويل في السياسة في مجال المعارضة والاستقطاب. ويعرف كل مواطن يعيش على أرض العراق من يحب ومن يكره. ولم يكن سهلاً أخذ المواطنين العراقيين على حين غرة، وكسبهم بمزايدات أو بتصريحات شفهية.

وأمام واقع الحال الصعب، لم تجتهد قيادة الدولة سواء المتمثلة في القطرية أو بمجلس قيادة الثورة، في التقرب من سواد المواطنين، وحتى من المثقفين، بل فرضت السلطة احترامها بين أبناء الشعب انطلاقاً من دعاية انتشرت بين الجميع بأن الحكام الجدد حازمون وقساة ويعاقبون خصومهم بشدة، وكان خطابهم للشعب يصدر بلغة الأوامر وينفذ بدوريات الحرس القومي. وذلك جعل الشعب يذعن ولا يتعاطف وجعل معركة الحرس القومي مع دبابات عبد السلام عارف تتم بمعزل عن المجتمع. فقد أفرغ الشعب شوارع بغداد للطرفين المتصارعين ليتقاتلوا. وحصل ذلك تقريباً في كل ميادين ومراكز المدن العراقية الأخرى، إذ تقابل الحراس القوميون مع الجنود والضباط دون متفرجين، وانتهت المقابلة غالباً بتسليم الحرس لأسلحته بعد ورود أنباء عن انتهاء معركة بغداد لمصلحة الجيش .

(مدير الاستخبارات العسكرية) وجميل صبري (مدير الأمن العام)، على خطة متكاملة، كانت ستؤدي لو تم الالتزام بها إلى بقاء الحزب في السلطة مع استبعاد الممارسات الكيفية وإقامة حكم يحترم القانون. وبينما كنا نسير قدماً في تنفيذ الخطة، خطوة فأخرى، تدخل صالح مهدي عماش ليحطم أهم شروط نجاحها، فزرع في أحمد حسن البكر التردد. فصرنا في أخذ ورد أدى إلى فقدان الإقدام والحزم ثم الانهيار، لأن التردد أثناء التنفيذ يعني إعطاء الفرصة للآخر المتربص . وحينها اضطررنا للموافقة على أشياء كثيرة، منها سفرنا للخارج بحجة التخفيف من شدة الأزمة، في حين كنا نمثل الشرعية الحزبية الباقية بعد ترحيل علي السعدي وجماعته. فحصل فراغ تام و لم يبقى للضباط البعثيين وهم قوتنا الضاربة ووحداتهم تحيط ببغداد، مرجعية حزبية يعودون إليها، فاضطروا للسكوت والمسايرة.

ومع ذلك فقد اتفقنا قبل سفرنا مع البكر والآخرين، عدا عماش، بحماية وضع الحزب خلال فترة غيابنا. لكن مفاجآت كثيرة حصلت ببغداد ومن المؤكد أن طمع الضباط بوعود عبد السلام، وعدم حزم البكر وممارسة عماش لهوايته في تثبيط العزائم، فضلاً عن تهديد الحرس القومي للضباط البعثيين دون غيرهم، أدى إلى الفشل وأتاح لعبد السلام الانقضاض واستلام السلطة صباح ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

حينها سافرت من بيروت إلى دمشق لدراسة الأمر مع قيادة الحزب ، بناءً على دعوة من قبل ميشيل عفلق، وكان كل من البيطار وحمود الشوفي وصلاح جديد يتحكمون بالحزب، ووقفوا وراء إجراءات فصلنا غير النظامية. ولذلك كنا وما زلنا نعتبر أنفسنا أصحاب حق في عضوية الحزب، فلم نفعل شيئاً غير الكفاح والتضحية من أجل أهدافه و لم نحقق لأنفسنا أي شيء يتعلق بالمصالح الشخصية[1].

فور وصولي إلى دمشق، حضرت اجتماعاً مع أعلى قيادة حزبية وحكومية في سوريا، حضره

---

١ ــ حينذاك اعتبرت أغلب قيادات وقواعد الحزب أن موافقة طالب وحازم على دخول الضباط البعثيين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي في ١٩٦٣/١١/١١ في بغداد، بمثابة مخالفة صريحة للنظام الداخلي ودخول في تكتل ضد الحزب. وهو أمر يحرمه النظام الداخلي ويعاقب عليه بالفصل. لكن قرار دمشق جاء أسرع من الطريقة النظامية. فحازم وطالب عضوان في القيادة القطرية وفصلهما يتطلب إبلاغهما بالتهم والتحقيق معهما قبل أخذ أي قرار بشأنهما. وسيكون لهما حق الاعتراض والاستئناف بعد ذلك. و لم يكن هناك ما يمنع القيادة القومية من استدعاء طالب وحازم من بيروت لدمشق والتحقيق معهما.

حتى فؤاد الركابي الذي نفذ عملية كبرى " محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم" دون موافقة القيادة القومية، وخرج من الحزب وأسس لنفسه حزباً آخر. لم يفصل أتوماتيكياً، بل استدعي للتحقيق وعندما لم يحضر فصلته القيادة القومية.

وهناك من يعتقد أن صدور قرار سريع بفصل طالب وحازم ومحمد المهداوي وغيرهم وإذاعته من الإذاعة، كان محاولة لتهدئة الحرس القومي الثائر في بغداد والتغلب على الأزمة.

إضافة إلى ميشيل عفلق ، صلاح الدين البيطار، وحافظ الأسد ومحمد عمران وأمين الحافظ وصلاح جديد وحمود الشوفي، وقد عرضت عليهم خطة كنا درسناها أنا وحازم جواد للعودة إلى العراق فوراً واستعادة السلطة قبل أن يتمكن عبد السلام عارف من نقل الضباط البعثيين من مراكزهم العسكرية الخطيرة، و لم أطلب منهم أكثر من تسهيل عبورنا إلى العراق.

قلت لهم: إن صدام التكريتي جاءنا إلى بيروت (بعد اجتماعه بميشيل عفلق)، يحمل أخباراً من أحمد حسن البكر ويطلب عودتنا فوراً، لأن وجودنا في بغداد سيعطي شرعية حزبية لأي تحرك عسكري يجري الإعداد له. وإن أحمد البكر لا يمكنه لوحده تغطية ذلك، لأنه فقد في نظر كثير من الضباط والمدنيين مصداقيته، لما أظهره من تردد، بل يرى كثيرون أنه تواطأ مع عبد السلام عارف أو ذهب في تعاونه معه إلى الحد الذي أدى إلى إسقاط ثورة الحزب.
وقلت : إن صدام التكريتي أخبرنا بأن بيوتاً سرية ستهيأ لنا، وأنا متأكد بأننا بالتعاون مع البكر والآخرين سنضع خطة ميدانية سريعة لاستعادة السلطة، وهي إمكانية ما زالت قائمة.
وقلت: أننا أبلغنا صدام التكريتي بموافقتنا أن يشكل أحمد حسن البكر قيادة قطرية مؤقتة يضم إليها صدام حسين نفسه.

أحسست وأنا أتحدث بجو عدائي من قبل أعضاء مجلس الثورة السوري الحاضرين. وكان يحضر مهم صديقي العزيز عبد المحسن أبو ميزر الذي شغل منصب رئيس تحرير جريدة البعث عندئذ. ورغم الصداقة، نظر إليّ شزراً . وكانت عينا حمود الشوفي تقدحان شرراً ، رغم أني سمعت قبلها أن بعض أعضاء مجلس الثورة يأملون أن نبقى أخوة ورفاقاً لهم، لنتعاون على تخليص العراق من عبد السلام.

و لم يحقق اجتماعنا نتيجة فورية محددة، لكن ميشيل عفلق استدعاني بعد الاجتماع إلى لقاء منفرد فشرحت له تفاصيل ما نفكر به، وحاجتنا للتصرف بسرعة وإلا ستضيع الفرصة.
لكنه قال لي: أرجو أن لا تنام الليلة بدمشق، لأنهم سيقتلونك (ويقصد حمود الشوفي وصلاح جديد وآخرين)، وقال: " لا تثق بهم وعُد إلى بيروت ومن هناك تابعوا ترتيبكم السري في العودة إلى العراق ولا تخبروا أحداً، لأنكم ستقتلون في طريق العودة ".

شعرت بالحيرة عند سماعه، و لم أكن أثق به تماماً لكنه أربكني وأثار فيَّ شعوراً مريراً من الخوف من أساليب التآمر السائدة في هيئات الحزب العليا. وتساءلت مع نفسي إذا كان الأمر يصل إلى حد القتل ؟ أم أن ميشيل يريد إبعادنا كي لا يستعيد الحزب دوره في السلطة؟ وبعد سنوات كنت كلما تذكرت ذلك الاجتماع أشعر بالندم لأني لم أسعَ للالتقاء مع الرئيس حافظ الأسد الذي أظهر بوضوح تميزاً في صبره ومثابرته، فضلاً عن مظهره النزيه وتعففه عن

الدخول في تكتلات ومؤامرات حزبية داخلية. ندمت لعدم استشارتـــه، وأعتقد كنت ســـأسمع منـــه لو فعلت نصيحة مفيدة، خصوصاً أن الحياة أثبتت فيما بعـــد أن سكوتـــــه وتفضيلـــه الإستماع في ذلك الاجتماع كان تعبيراً عن عدم رضاه على أسلوب المناورة في إدارة العمـــل، كما أثبتت قدرتـــه على التخطيط وإدارة المواجهة والصراع حتى مع دول أكبر مـــن ســـوريا بكثير.

وكانت النتيجة أننا لم نستطع العودة[1] وقضى علي صالح السعدي أوقاتاً عصيبة مشرداً بـين دمشق وبيروت والقاهرة، ثم فقد إمكانية البقاء في دول عربية كثيرة بما في ذلك مصر وســـوريا، خوفاً من تطرفه وأفكاره[2].

سؤال: ما وجه الحقيقـــة في تقســـيم الضبـــاط إلى كبـــار وصغـــار، وخلافاتـــهم وموالاتـــهم؟

طالب الشبيب: لم تكن هناك مشكلة حقيقية تحت هذا العنوان. وربما وجد أربعة أو خمســة

---

١ ـــ تنكر عارف لكل شيء فاعتقل وطارد جميع البعثيين حتى أولئك الذين أحسنوا إليه، وعندما عَلِمَ أن حازم جـــواد وطالب شبيب في مطار بغداد، تردد كثيراً بل قرر للحظة اعتقالهما لولا اقتراح من أحد خاصتـــه بتسفيرهما إلى دولـــة أخرى بشرط أن لا يغادرا مطار بغداد حتى سفرهما إلى تلك الدولة، فاختار مصر وأرسلهما مبعدين ومتحفظ عليـــهما ووافق عبد الناصر على إقامتـــهما المشروطة في القاهرة، لا يغادرانـــها إلا بموافقة. ولم يكن حال البعثيين الآخرين مـــع عارف بأفضل، فقد رأى يوماً المهندس عدنان القصاب الذي كان رابطة الاتصال بينـــه وبين علي صالح السعدي قبـــل حركة ٨ شباط والذي ذهب إلى داره فور إعلان الحركة وجلبـــه إلى أبو غريب ليتم تعيينـــه رئيساً للجمهورية. حـــتى عدنان القصاب عندما التقاه عارف صاح بـــه: هل ما زلت طليقاً وإشار إلى معيتـــه لاعتقاله فـــاعتُقِلَ. ويذكـــر أن عارف عين حسن النقيب في القيادة العربية المشتركة في القاهرة ، فالتقى النقيب بعبد الرحمن البزاز ـــ رئيس الوزارة ـــ الذي كان في زيارة للقاهرة في نادي الجزيرة، وحدثه عن إمكانية العفو عن حازم وطالب، وذكره بفضل طالب الشبيب عليه، فوعده البزاز وفعلاً تمكن من استصدار عفو عن حازم وطالب وبـــهاء الشبيب ، وعين طالب مديـــراً لمكتـــب الجامعة العربية بتركيا، بينما رفض الاهتمام بقضية عماش، وكان مبعداً في القاهرة أيضاً الذي لأنـــه عسكري، ولكـــن النقيب استمر بسعيه وحصل على دعوة رسمية لعماش لزيارة العراق فانتـــهى أمر إبعاده أيضاً[20].

٢ ـــ أخبرني الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي في دمشق عند حضوره حفل التكريم الذي أقامه الرئيس السوري حـــافظ الأسد للجواهري الكبير عام ١٩٩٦ فقال بحضور الدكتور محمود أمين العالم والأستاذ مهدي العبيدي والأستاذ وائـــل الهلالي والدكتور أحمد الموسوي، بأنـــه ـــ أي البياتي ـــ والأخضر الإبراهيمي، وإبراهيم طوبان وآخرين، كتبوا مـــن دمشق برقية إلى جمال عبد الناصر طلبوا فيها السماح لعلي صالح السعدي الدخول إلى القاهرة التي منع منـــها، وأضاف الشاعر عبد الوهاب البياتي بأنـــه علم أن صحيفة الأهرام المصرية سجلت للسعدي حديثاً (مقابلة) بواسطة إنجي رشدي لها علاقة بالمباحث ومتخصصة في مقابلة كبار السياسيين المنفيين على "كاسيت" لمدة عشرة ساعات، تحـــدث فيـــها بصراحتـــه المعهودة عن كل شيء. وقال البياتي : إن في تلك الكاسيتات معلومات هامة جداً، لكن الأشرطة اختفـــت ولم يعرف حتى الآن إذا ما كانت الأهرام أو أية جهة أمنية تحتفظ بـــها.

ضباط شباب يتحدثون بلغة تختلف عن زملائهم أو رفاقهم، وتأثروا أو أمكن تحريضهم، تمهيداً لإدخالهم في أوضاع حزبية ذات طبيعة تكتيكية، وحتى ذلك لم ينجح إلا بعد أشهر من ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان)، لكن فرقاً كبيراً بين الضباط البعثيين، وأولئك الذين جرى تبعيثهم على وجه السرعة. ودعني أصارحك، بأن العسكريين البعثيين وأغلبهم ذووي رتب صغيرة دخلوا الحزب وهم طلاب على مقاعد الدراسة الثانوية مثل أخي عماد الذي دخل الحزب تلميذاً في الإعدادية ثم أصبح مسؤول تنظيم القوة الجوية، وهناك ضباط شباب قتل بعضهم في الثورة مثل وحدي ناجي، كانوا بعثيين قبل رتبهم العسكرية. يقابلهم طبقة من الضباط الكبار كأحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وعبد الستار عبد اللطيف وحردان التكريتي، لم يكونوا بعثيين بل أعضاء في منظمة الضباط الأحرار، ووجدوا في الحزب آلة قوية تُعينهم في صراعهم ضد نظام عبد الكريم قاسم.

وبين الفريق الشاب والكبير فارق زمني في دخول الحزب ، وفي درجة الثقافة والعاطفة الحزبية، فالذي تربى منذ طفولته بحضن الحزب، يختلف عن ذاك الذي أتى إليه وهو قائد لوحدة عسكرية ويحمل رتبة مقدم أو عقيد. فأحمد البكر يختلف تماماً عن منذر الونداوي إذ جاء الأول في سن كبيرة وبعد أن شارك في ثورة تموز ودخل السجن مع طاهر يحيى التكريتي وذياب العلكاوي ورشيد مصلح التكريتي، في حين كان الونداوي حزبياً قبل دخوله الكلية الجوية.

ولذلك فعند أول أزمة مررنا بها، ذهب ضباط البعث الشباب إلى السجون، بينما تقاسم اصحاب الرتب الكبيرة المناصب مع المتآمرين على الحزب[1] .

---

١ ـــ قبل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ تعاون الضباط البكر وحردان وطاهر يحيى وعماش والعلكاوي ورشيد مصلح ومحمد المهداوي وستار عبد اللطيف مع عبد السلام عارف لإبعاد القيادة المدنية لحزب البعث، رغم الغزل الذي أظهروه نحو حازم وطالب ، لكن البعثيين فوجئوا باشتراك عدد كبير منهم في حركة عبد السلام عارف ضد حكم حزب البعث، فأصبح طاهر يحيى التكريتي رئيساً لوزراء الحكم الجديد ورشيد مصلح التكريتي حاكماً عسكرياً عاماً ووزيراً للداخلية، وحردان التكريتي وزيراً للدفاع ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة، وعبد الستار عبد اللطيف وزيراً للمواصلات. والبكر نائباً لرئيس الجمهورية (وهؤلاء جميعاً كانوا أعضاء في المكتب العسكري لحزب البعث). أما صدام التكريتي، فقد صعد مع بعض زملائه المحسوبين على البكر وحردان ظهر احدى الناقلات المدرعة التابعة للواء الآلي الثامن وساهم في ضرب مقرات الحرس القومي، وكوفيء بتوظيفه في قسم الاستعلامات في مؤسسة الاذاعة والتلفزيون وطرد منها بعد مدة قصيرة، ولذلك سحل البعثيين الشباب عليه ذلك الموقف السلبي وقام زملاء لصدام التكريتي بأدوار مساعدة للسلطة فذهب ناظم كزار، مثلاً، إلى معتقل باب المعظم (مقر محكمة الشعب) لتشخيص السجناء وخصوصاً الشيوعيين منهم ليفرز بين الشيوعي الحقيقي والمشتبه به. أما عبد السلام وبمجرد إحكام قبضته على السلطة أقصى منها الرجلين الأشد خطراً على حكومته وهما حردان والبكر، وللتخفيف من غضب عبد السلام كتب البكر براءة نشرها في الصحف الرسمية يعلن فيها تخليه نهائياً عن العمل السياسي، وأحيل ٤١٢ ضابطاً ←

ولست أرى الآن أن تحالفنا معهم كان خاطئاً، لكن وضع مستقبلنا بين أيديهم هو الخطأ. لأنهم لم يكونوا ليتحالفوا معنا، إذا لم نكن أقوياء، إذا لم يكونوا بحاجة ماسة إلينا. وكان علينا استيعاب ذلك، وليس الخضوع والاستسلام إليه(١) .

وطالب ضابط أكثرهم بعثيون إلى التقاعد[21] وأبعد عشرات الضباط الآخرون إلى وحدات بعيدة، وفي وقت قياسي لايتجاوز الثلاثة أشهر تمكن عارف من إبعاد البعثيين عن المراكز المهمة في الجيش والدولة.
وخلاصة الأمر فإن الضباط ذوي الرتب الكبيرة، وضعوا موالاتهم موضع البيع والشراء، ومنحوها بحسب ميزان القوة وسحبوها بمجرد اهتزاز موقف حلفائهم. وقفوا مع البعث وهو قوي، ونسجوا مع عارف خيوطاً لتحالف جديد بمجرد احتدام الصراع البعثي ـــ البعثي، وفوجئنا بهم على رأس الانقلاب القادم فأسسوا بذلك للانتهازية والضعف داخل الجيش.

١ ـــ يرى طالب في أكثر من مكان من هذه الذاكرة بأن البكر لم يكن متورطاً في عملية سقوط حكم الحزب في العراق عام ١٩٦٣ ، لكننا نجده متورط فعلاً. وأن تورطه جاء بعد أن اضطر للمفاضلة بين الحرس القومي والتحالف مع عبد السلام، ففضل الأخير على رفاقه الحراس واختار طريق المؤامرة في مواجهتهم، فسقط حكم الحزب وانفرد عبد السلام بالسلطة، ويمكننا إيراد بعض المؤشرات التي تؤكد ما ذهبنا إليه:
أولاً: تخطيط البكر لعملية اختراق الضباط للمؤتمر القطري بصورة كاملة وبنفس الأشخاص الذين شكلوا رأس حربة للانقلاب الذي قام به عبد السلام عارف ضد الحزب في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، مما يؤكد أن احتلال المؤتمر كان الحلقة الأولى في خطة أوسع انتهت بالسلطة إلى يدي عبد السلام عارف. وهناك ما يؤكد بأن البكر الذي تحالف مع حازم وطالب وحاول إظهار حياديته إلى علي السعدي، كان في نفس الوقت يتآمر في الخفاء لإقصائهم واحداً بعد الآخر، بعد تحميل السعدي مسؤولية فوضى الحرس القومي، وحازم وطالب مسؤولية اختراق نظام الحزب الداخلي بالموافقة على إدخال الضباط للمؤتمر وإقرار إقصاء السعدي وقد نجح بشكل كامل. في حين يقول د. تحسين معلة أن عماش أخبره قبل ١٩٦٣/١١/١١ بأن حازم جواد وعبد الستار عبد اللطيف يحرضون الضباط على ضرورة اختراق المؤتمر وفرض أنفسهم عليه. وهو تآمر صريح على حليفهم حازم جواد لتركيب القضية برأسه[22].
ثانياً: في ١٥ /١٩٦٣/١١ التقى دكتور معلة مرة أخرى بعماش بمقره في وزارة الدفاع، فأخبره الأخير أن الوضع أصبح بين يديه ويدي أبا هيثم (البكر) تماماً، وخلال الجلسة أبلغ عماش سكرتيره المقدم علي عريم بأن يتصل بآمر معسكر الرشيد لتحضير الضباط لاجتماع سيحدثهم فيه حول تطورات الأزمة، وبعد دقائق رن جرس التلفون السري، وكان المتحدث آمر معسكر الرشيد، يرغب بالتأكد ما إذا كان الأمر صادراً فعلاً من عماش؟! وعندما استفسر الدكتور معلة أجابه عماش : إتفقنا أن لا تنفذ الوحدات العسكرية أية أوامر إلا إذا كانت صادرة من البكر أو من عماش نفسه باعتباره وزيراً للدفاع، وهذا يؤكد تحالف عماش والبكر، رغم محاولة البكر إظهار عدم ثقته بعماش أمام الآخرين، كما يظهر أنهما تخليا عن قوتهما لمصلحة عبد السلام بعد أن اضطر للمفاضلة بينه وبين الحرس القومي.
ثالثاً: وافق البكر أن يجلس بداره شبه محتجز، لكنه يحمل لقب نائب رئيس الجمهورية، ليعطي لعبد السلام الفرصة الكافية لاستكمال لعبته، ولطمأنة العسكريين البعثيين من أن السلطة ليست ضدهم بل هي تعمل فقط لاحتواء الحرس القومي، كما أنه جنب عبد السلام عارف مسؤولية تفادي الخجل بعد الخدمات الجلّى التي قدمها له قبل وبعد حركة ٨ شباط ١٩٦٣ .
رابعاً: ندم البكر بعد فقدانه خيوط المؤسسة العسكرية، وجاء ندمه متأخراً بعد أن فقد الضباط ثقتهم به، وكانت
←

القوات التي يؤثر فيها هو وخط حازم وطالب تكفي للسيطرة. فعبد الكريم نصرت قائد الفرقة الرابعة وحسن النقيب وزكريا السامرائي وعبد الله سلطان الملاح يقودون كتائب الدبابات الأربع وجميعهم بعثيون. لكن البكر كسر حلفه مع حازم وتردد كثيراً فاضطر الضباط البعثيون للمسايرة مفضلين النظام العسكري على الخضوع لشعارات الحرس المعادية لهم. ولم ينس البعثيون عسكريين ومدنيين خيانة البكر الذي خذل السعدي ثم حازم وفشل مع عبد السلام. وبعد سقوط حكم الحزب وصلت إلى دار أحمد حسن البكر في بغداد وفود شكلتها منظمات الحزب في كل أنحاء العراق لمعاتبته وإبلاغه بموقفها. وعبر أغلبية الوافدين عن القناعة بتورطه في ضياع السلطة وأبلغوه رغبة البعثيين في عدم وجوده على رأس القيادة، وربما شكلت تلك الزيارات بداية الاستقطاب الفعلي الكبير. فصنف كل عضو يميناً أو يساراً بحسب موقفه في تلك المقابلات من أحمد البكر ، وفي تلك اللقاءات ظهر صدام التكريتي لأول مرة في حياته الحزبية كرجل له قيمة ومستقبل سياسي إذ وقف دائماً إلى جانب أو خلف البكر بصورة التابع الخاص والمتميز له، وبعد هذه الأحداث لم تقم للبكر قائمة بين البعثيين ولم تكن عودته للسلطة بواسطتهم، بل بعملية استلام وتسليم سميت بثورة بيضاء، مازالت غوامضها لم تنحل لحد الآن. وقد يعود إلى تلك العملية تورط العراق بحروب داخلية وخارجية أدت إلى انهياره كلياً بين يدي حكومة الرئيس صدام حسين التكريتي، ولذلك اضطر البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ بدلاً من بناء جهاز حزبي متين إلى بناء جهاز أمني سلم أمره إلى صدام حسين ووظيفته التغلغل بين الجماهير، فتم بناء جهاز أمن واسع الانتشار بدلاً من بناء حزب جماهيري وعزز ذلك الجهاز بالأموال والصلاحيات غير المحدودة.

ورغم فشل سلطة البعث الذريع في عام ١٩٦٣ إلا أن البعثيين ظلوا طوال الفترة اللاحقة مقتنعين بأنهم لم يخسروا السلطة نتيجة ضعف فيهم، بل بسبب خلاف فوقي ليس له أساس واقعي بينهم، فشعروا بالمرارة لعدم أخذهم للفرصة وظلوا يتوقون لتكرار التجربة وكان يسارهم ويمينهم مقتنعاً تماماً بقدرته على الوصول مرة أخرى للسلطة. ولذلك شعروا وهم خارجها كأنهم في استراحة. وكان البعث قبل فقدانه السلطة قد أضعف بشدة الحزب الشيوعي وأخرجه من المنافسة داخل القوات المسلحة ، على الأقل بين صفوف الضباط الذين سيتحكمون لفترة طويلة في مصير البلاد السياسي، بينما ظلت تنظيمات الناصريين غير متماسكة ، وتميزت حركة القوميين العرب بتماسك تنظيمها لكنها رومانسية، قليلة السياسة وكثيرة الأحلام، ولذلك فان ابتعاد الشيوعيين وعدم عقلانية القوميين فتح الطريق مرة أخرى أمام البعث، فسبق يمينه يساره بتحالف مشبوه.

مراجع:

[1] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[2] لقاء مع محسن الشيخ راضي في مدينة النجف عام ١٩٦٨ بحضور مهدي الشيخ علي وصدقي أبو طبيخ ومهدي الشوكتي. تحدث عن التمثيلية التي مثلها أكثر العسكريين ذوي الرتب الكبيرة وبينهم طاهر يحيى ورشيد مصلح بأنهم كانوا عندما يلتقون بأعضاء (القيادة القطرية) يتباكون بدموع حوفاً على مستقبل الحزب ويطالبوننا بإيقاف الخلافات في حين كانوا قد اتفقوا على الانقلاب علينا. ولم نكن نتصور تلك القدرة على التمثيل عندهم.

[3] أكد ذلك أيضاً اللواء الركن حسن مصطفى النقيب في مقابلة معه بحضور هاشم الياسري عام ١٩٩٦ بدمشق ، وقال: إن عبد السلام خطط لاستلام السلطة وانتظر حتى تتوفر الامكانية لذلك، فساعده حزب البعث على تحقيق فكرته بسبب إصراره على الاحتلاف الداخلي. ولتأكيد ذلك قال: لقد لقد عقدنا يوم ١٥ تشرين الثاني عام ١٩٦٣اجتماعاً في وزارة الدفاع بالاتفاق مع عبد السلام عارف وبحضور سعيد صليبي وعماش وعبد السلام وعلي عريم وصلاح الطبقجلي وحردان وصبحي عبد الحميد وآخرين وتحدث عبد السلام، وفهمنا منه مثل ذلك الأمر.

[4] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١ .

[5] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١١٢ ـــ ١١٣ .

[6] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١١.

[7] تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦ .

[8] مجيد خدوري، العراق الجمهوري، ص ١٢٥ ـــ ١٥٣. ومقابلات مع محمد صديق شنشل ، وفائق السامرائي، ومحمد حديد.

[9] مجيد خدوري، مقابلة مع الزعيم الكردي عبد العزيز العقيلي الذي كان عضواً في الوفد العراقي المرافق لعبد السلام لمقابلة عبد الناصر بدمشق، ص ١٥٤ .

10] د. حامد البياتي، الوثائق البريطانية المنشورة، وثيقة رقم ١٦١٥٨ / ١٠١٣ وتتضمن حديثاً دار بين شنشل وأحد أركان السفارة البريطانية في ٧ تشرين أول ١٩٥٨ .

[11] عبد الكريم فرحان ـــ حصاد ثورة، مرجع سابق، ص ١٦٨ ـــ ١٦٩.

[12] باسل الكبيسي ـــ حركة القوميين العرب ـــ دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٨٥ .

[13] الفكيكي ، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، الفصل الخاص بالمؤتمر التكميلي.

[14] حسن وداي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[15] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[16] محسن الشيخ راضي، مقابلة، النجف، ١٩٦٨.

[17 و 18] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[19] هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مرجع سابق، ص ٣٤٩ .

[20] حسن مصطفى النقيب، مقابلة، دمشق، ١٩٩٧.

[21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق، ص ٢١٤ .

[22] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

بين الشبيب
والبكر، صدام، وعفلق

مع أحمد حسن البكر

سؤال : وماذا عن احمد حسن البكر؟

طالب شبيب : بدأ احمد حسن البكر حياتـه السياسية العامة لاول مرة في ١٩٦٣ بمؤامـرة وسقط بمؤامرة، ثم عاد في ١٩٦٨ رئيساً للجمهورية بمؤامرة ايضاً[١].

---

١ ـ انتمى احمد حسن البكر مبكراً إلى احدى مجموعات الضباط الاحرار تحت قيادة عبد الكريم قاسم، الذي كـان معلمه وآمره في الكلية العسكرية. وساهم معه في ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، حاملاً رسالة من قاسم عشية الثورة إلى فاضل عباس المهداوي مسؤول مجموعة الضباط الاحرار في اللواء الاول (لواء الامن) للبدء بالسيطرة عليه. وبعد نجاح الثـورة إعتقل لإتـهامه بالتخطيط لمؤامرة، ثم كان عضواً في اول لجنة عسكرية سرية لوضع ترتيبات إسقاط نظام قاسم ضمت البكر وعبد الستار عبد اللطيف وعبد الكريم فرحان، وهدفها تقديم خطة انقلابية إلى اجتماع موسع سيضم إضافة لهـم كل من صبحي عبد الحميد وصالح مهدي عماش وخالد فريد وابراهيم التكريتي وعارف عبد الرزاق وجاسم العـزاوي. كما نفذ البكر حركة ١٤ رمضان وكان قائداً عسكرياً فعلياً لها. وفي ١١/١١/١٩٦٣ قاد إنقلاباً عسكرياً ضد المؤتمـر القطري التكميلي الاستثنائي لحزب البعث -قطر العراق- واعتقل اربعة من اعضاء قيادتـه بالاضافة إلى ابـو طـالب الهاشمي وابعدهم إلى الخارج، ثم عاد بعد يومين ليوافق على سفر حليفيه حازم جواد وطالب شبيب إلى بيروت تمـهيداً لنـزع الشرعية من سلطة البعث. ثم رتب مع عدد من الضباط البعثيين والقوميين عملية إخراج الحزب من السلطة دون ان يتمكن من ملئ الفراغ، فملأه عبد السلام عارف في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، وربما يكون قد فضل سـلطة عبـد السلام عارف على سلطة رفاقه من اعضاء الحرس القومي.

وتمكن البكر بعد فقدان السلطة بخمس سنوات من استردادها بأنقلاب عسكري شاركه فيه عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود وسعدون غيدان وحماد شهاب وحردان التكريتي وصالح مهدي عماش عماش، لكنـه وبعد ١٣ يومـاً قـاد إنقلاباً عسكرياً ليضع جناح السلطة الثاني في السجن ويلاحق جميع شركائه ويغتال النايف بلندن، وينجو ابراهيم عبـد الرحمن الداوود بمساعدة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب (قائد الفيلق العراقي في الاردن) ثم اللجوء إلى حماية المملكة العربية السعودية[1]. تلك وغيرها تؤكد ان البكر كان مغامراً وفضل البقاء في المعترك السياسي حتى وفاتـه.

كان يقظاً في مجال المناورة فقط، في حين يتمتع بذكاء وقدرات وثقافة محدودة وشخصيتـــه ضعيفة. لكنـــه يتميز مقابل ذلك بخصال يحتاج اليها كل قائد سياسي مثل امكانيتـــه علـى كسب الاصدقاء المفيدين وترتيب التحالفات، وشخصية وبيت مفتوحين، يوحيان لكل زائـــر انـــه مرحب بـــه، فيتجرأ الناس على زيارتـــه دون تلكؤ. رغم ان زوجتـــه طباخـــة غـير ماهرة، فقد اكلت عنده، في كل المرات، كباب من الدرجة الثالثة، وكنت أُفضل الأكل مـــع حُرّاسِهِ حيث "الباجة والمشويات المتنوعة" ثم اعود اليه، ولم يكن عبد السلام عـــارف أفضـــل منـــه، والاثنان لم يمتلكا صفة الكرم وبسط اليد، الله يلعن طعامهما!

خوف لا يمكن تجنبـــه

يتخلى البكر عن حلفائه، بحثاً عن حليف آخر، في نفس اللحظة التي يشعر انـــــه اصبـــح ضعيفاً، او بضعف حليفه. ومازلت اتذكر كيف وقف وراء خطة دخول الضباط البعثيـــين إلى المؤتمر القطري الاستثنائي للبعث يوم ١٩٦٣/١١/١١، ثم تخلى عنـــهم بمجرد شعوره بضعـــف موقفه وبقوة وحماس مؤسسة الحرس القومي التي طالبت باستبعادنا[١].

ويكمن ضعف البكر في خضوعه لكل ما يخيفه، اكثر مما يندفع نحو مصلحتـــــه. وافضـــل طريقة للتعامل معه هي تخويفه. وقد لجأنا نحن (القيادة القطرية) في ١٩٦٣ إلى ذلك، فقلنا لـــه : "سيكون مصيرك مثل ناظم ورفعت اذا لم تُنفذ خطتنا في الانقلاب على قاسم، فســـرعان مـــا يُكتَشَف امرنا، وحينـــها ستعدم معنا !!" وقلنا له انك متورط، فقل لنا "مَن ســـيضمن عـــدم اعتراف صالح عماش او بـــهاء شبيب؟" . . ولذلك سار معنا في تنفيذ الثورة وعدم التأجيل.

ومنذ البداية اكتشف صدام حسين خصال البكر واستجابتـــه السريعة اذا ما شعر بالخوف، فأقترب منـــه بعد ان أقنعه انـــه ذراعه التي يضرب بـــها، وخَوَّفَهُ من المؤامـــرات المزعومـــة، وتدريجياً فرض السيطرة الكاملة عليه وأقنعه بتسليمه جهاز الامن الســـري الخـــاص (مكتـــب العلاقات العامة) وبواسطتـــه إستبعد و صفّى اهم شخصيتين في نظام ١٧/٣٠ تمـــوز ١٩٦٨ وهما حردان وعماش ليبقى امامه شخص واحد مهم هو البكر نفسه، الذي ابقاه اسير خـــوف دائم من دسائس وانقلابات وهمية إتـــهم بـــها مرة يسار حزب البعث واخرى جناحي الحزب الشيوعي (قيادة ولجنة) ثم حزب الدعوة الاسلامية وغيرهم بتدبيرها.

وكانت خطة صدام حسين هي نفس خطة صالح مهدي عماش في ١٩٦٣ عندما حـــاول عرقلة قيام الثورة بطرح المخاوف بوجه البكر من احتمالات الفشل، وعندما خوّفه قبيـــل ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ من المدنيين البعثيين قائلاً "من اجل ضمان استقرار البلاد، علينا التخلـــص

---

١ ـــ يمكن في هذا المجال مراجعة الملحق رقم واحد في نـــهاية الفصل. ويتضمن نماذج من وعود البكر.

من المدنيين جميعاً، فدعنا نتخلص من خطر حازم وطالب علينا بعد ان تخلصنا من علي وجماعته"[1].

وكلما امعن صدام حسين في تخويف البكر من خصوم نظامه الداخليين، زاد البكر من اعتماده على الاجهزة الامنية وهي في قبضته مباشرةً. وهكذا أدت خصال الخوف والحذر إلى تسليم الامن السري إلى رجل قاس، كما ادت به إلى تجنب المعارك العنيفة المباشرة سواء على الحدود مع ايران او ضد الاكراد أو في حسم الصراعات الداخلية بالعنف والدم، ولذلك سعى في حدود معينة للحد من نزوع صدام حسين إلى خوض المعارك قبل حساب الثمن!! لكن الخوف سرعان ما تطور عنده إلى استبداد الشعور بالضعف وعدم القدرة على حسم القرارات حتى عندما يكون مقتنعاً، فأضطر منذ عام ١٩٧٤ إلى تسليم الملف الايراني والكردي وملف المرجعية الاسلامية الشيعية وحركة المعارضة اليسارية إلى صدام حسين، وأعطاه الصلاحيات الكاملة في حضور مؤتمرات القمة وغيرها[2].

---

١ ــ اذا عدنا لكتاب بران التكريتي "سبع محاولات لاغتيال الرئيس ." والذي يروي فيه كيف قامت اجهزة الامن والاستخبارات العراقية بترتيب انقلابات وهمية،استدرجت اليها بالاقناع او بالقوة رجالاً تنتك السلطة بولائهم، ثم يجري إحراجهم ومواجهتهم بكشف تلك المحاولات بكثيرمن الاثارة والاعلام ومعاقبة واعدام اولئك الذين جرى توريطهم!!

كما ذكر حسين كامل في مؤتمر صحفي مبثوث مباشرة بعد هروبه من العراق مع اخيه صدام كامل وابنتي صدام حسين، بأن الرئيس العراقي صدام حسين إعتاد قبل سنوات من تنحية البكر ثم وفاته على سقيه فنجان قهوة يومياً فيه مادة سمية قليلة جداً، تؤدي تدريجياً إلى انهيار قواه ثم موته بعد سنوات دون ان يلاحظ ذلك الآخرون. وقد اخبرني شبيب انه لاحظ في آخر زيارة لاحمد حسن البكر في القصر الجمهوري في منتصف السبعينات يدي البكر ترتعشان ويميل إلى حديث الموت.

٢ ــ دفعت اخلاق الشك المهيمنة على البكر إلى اضطراره لاختيار شاب قريب له، ينفذ رغباته دون تردد، ولما كان اولاده في عمر غير مناسب وقع اختياره على صدام حسين وهو مدني مغمور بلا ثقافة او شهادة، ولا يمكنه ان ينازعه على السلطة، فليس له مستقبل سوى ظل للبكر الذي لم يشك ابداً بانه سينتزع منه السلطة التي ارادها واحبها، ويرمي به بعيداً معزولاً. ومن جانبه فان صدام نجح في ايهامه باخلاصه واحترام إرادته، فضلاً عن توسط خير الله طلفاح لتوطيد العلاقة بين البكر وابن اخته صدام حسين[2]. وساعدت تلك العلاقة صدام حسين على تأمين مركز قيادي حزبي قبل ١٩٦٨ وعلى التسلل إلى مراكز السلطة الحساسة بعدها، ليتمكن منذ ١٩٧٥ من السيطرة على مقدرات البلاد، ويجعل من البكر رئيساً مرصوداً من قبل طارق حمد العبد الله وكامل ياسين. ويقول د. جليل العطية : ان البكر اعترف له في تموز ١٩٧٧ بأن كل شيء إنتهى ! ونصحه بمغادرة العراق !! وانه رفض اعلان الحرب على ايران (لاسباب ذكرها في آخر اجتماع لمجلس قيادة الثورة بحضره) واضاف العطية : ان البكر اخبره بانه كان الوحيد الذي إعترض على اعدام عبد الكريم قاسم[3].

وكانت أهم أخطاء البكر في مواجهة صدام حسين هي موافقته على تقريب وتوظيف رجال دسهم صدام حسين بعد أن مهد لهم بأساليب كثيرة بينها التصفية الجسدية للمحيطين بمكتب الرئاسة.

←

بين رغبة التقاعد وخشية القتل

يتحسس البكر بشدة من أي رد فعل شعبي تجاه أي تنازل إقليمي عراقي لمصلحة إيران، ويتذكر بستمرار إتفاق ١٩٣٧ والتظاهرات الشعبية التي خرجت ضده. ولذلك لم يكن في اعماقه راضياً على اتفاقية الجزائر ١٩٧٥ بين "الشاه ـــ صدام". في حين نظر إليها صدام حسين على انها وصمة وخزي، إضطر لتوقيعها وهو يخفي الرغبة بالثأر منها. واستخدم في هذا الشأن اساليب وإستثارات قومية وطائفية كي يبقي النار مشتعلة تحت طبقة رماد خفيفة، ، لكن البكر مال في نهاية المطاف إلى وجهة نظر الرئيس السوري بضرورة عدم خوض الحرب ضد ايران، اولاً : لكي لا يأتي مشروع الميثاق القومي بين العراق وسوريا عام ١٩٧٨ كأنه حلف عسكري لخوض الحرب، ثانياً : لأن الصحوة الاسلامية في ايران وغيرها من البلدان الاسلامية ستخدم حتماً الموقف العربي في مواجهة الأطماع الأسرائيلية، ولذلك لا بد من التعاون لإقامة حوار مجدٍ بين البلدين يضمن لكل طرف حقوقه.

لكن فكرة الحرب كانت قد بدأت تترتب في ذهن صدام حسين. وأعتقد ان موقف الاسد وتأثيره المرتقب على البكر وعلى بعض اعضاء القيادة العراقية، كان وراء تخريب صدام للميثاق القومي وعرقلة إمكانية قيام وحدة عراقية سورية، بعد ان نضجت خطوات التنسيق والتقارب بين البلدين.

وفي تقديري ان دور صدام حسين في تخريب التقارب السوري العراقي كان مماثلاً للدور الذي لعبه صلاح حديد وامين الحافظ خلال مفاوضات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣. فمثلما عرقلت أحداث تموز ١٩٦٣ في سوريا تموز الوحدة الثلاثية قبل قيامها، ادت مجزرة قتل عدنان الحمداني ومحمد محجوب ومحمد عايش ورفاقهم إلى قتل الوحدة المحتملة بين سوريا والعراق، خصوصاً بعد ان ابدى عدد كبير من المفاوضين العراقيين ميلهم للاطروحات العقلانية المباشرة للرئيس السوري ومن منطلق بعثي. ولا اعتقد ان الاسد كان جاهلاً بوجود تيار عراقي يعلوض

وما تقدم لا يعني بأي حال ان احمد حسن البكر كان مسالماً، بل ساهم مرات كثيرة في مهرجانات للقتل، كمقتل جابر حسن حداد وراهي آل عبد الواحد الحاج سكر واربعين شخصية مهمة بطريقة بشعة[4].

ونقل شبيب: ان علي هادي وتوت عندما كان يعمل في ديوان الرئاسة قدّم له عام ١٩٧٠ قائمة باسماء ٤٩ عراقياً للمصادقة على حكم الاعدام ضدهم فوقعها فوراً، وعندما سأله وتوت الذي اشتهر بحدته: سيدي هذه قائمة احكام إعدام فهل قرأت الاسماء؟ رد البكر: "إذهب!!"، نقل الشبيب هذه الرواية في اوتيل برومانادا في مدينة لاهاي بحضوري وقاسم حول والرائد زيد جواد وتوت، وقال ان قائمة المحكوم عليهم كانت دفعة من السياسيين الاكراد البسطاء.

الوحدة ويقوده صدام حسين، وبوجود تيار آخر يقف ضد خطط صدام حسين الضالع في مخطط عالمي كبير[١].

وأتذكر اني إلتقيت في عام ١٩٧٩ على هامش إجتماع منظمة العمل الدولية بجنيف بوزير الصناعة العراقي محمد عايش، ورئيس نقابات العمال بدن فاضل، فتحدثا معي حديثاً إنقلابياً قائلين : ان صدام ديكتاتور ويجب ان نشترك جميعاً في معالجة الوضع الخطير الذي تسبب وسيتسبب به. وكنت وأنا استمع إليهم ادرك ان مشكلتهم تكمن في تصورهم انهم في حزب وليس في غابة[٢].

والآن وبعد مرور كل تلك السنوات، أستطيع إعادة رسم الصورة، لاستبيان الجوهر الحقيقي وراء قيام تلك العلاقة التي ربطت صدام بالبكر، والتي جلبت نتائج تدميرية غريبة، تضرر بها العراق أرضاً وبشراً وتاريخاً. وارى بوضوح ان صدام هو صنيعة احمد حسن البكر، منحه مناصب سياسية سامية أطَلَّ منها ولعب دور ظل الرئيس، واللاعب الغامض من الخلف. في حين ظل البكر أسير مخاوفه من خطر إطاحته. فهو وبسبب مساهمته في كل المؤامرات والمحاولات الانقلابية كان يعوزه الشعور بالاطمئنان والأمان. وتعود به ذاكرته دائماً إلى سرقة عبد السلام عارف منه ثورته في عام ١٩٦٣، واجباره على قبول منصب نائب رئيس جمهورية شكلي ومؤقت ريثما يتخلص من شركائه (بعض الضباط البعثيين مثل حردان وعماش وستار وزكريا السامرائي وحسن النقيب وغيرهم).

وزاد في عزلته كتابته تعهداً خطياً إلى عبد السلام عارف بعدم ممارسة السياسة والتفرغ لشؤونه العائلية، بعد ان رماه في السجن بتاريخ ١٩٦٤/٩/٤ بتهمة مشاركته للبعث في مشروع محاولة انقلابية لاسترجاع السلطة[٣]. واعتقد ان البكر بعد سنوات من نجاحه في

---

١ ــ أخبرني أحد المسؤولين العراقيين الذين لجأوا إلى أوروبا بعد غزو الكويت والانتفاضة (رفض أن يذكر أسمه) أن أحمد حسن البكر قد حاول وبذل كل الجهود الممكنة للقاء قرينه الرئيس حافظ الأسد بصورة منفردة ولو لفترة قصيرة، خلال زيارة الأخير إلى العراق والتي سبقت تنحية البكر، وقد تم ترتيب مثل ذلك اللقاء أكثر من مرة على عشاء أو بحضور البكر، عندما يكون مدعواً لدى الرئيس السوري قبل الوقت المخصص بقليل، لكنه يفاجأ في كل مرة بحضور صدام حسين، وانتهت الزيارة ولم يحقق البكر رغبته.

٢ ــ وبعد لقائهم بطالب توقف عدد من اعضاء الوفد العراقي في براغ، فإلتقيت هناك ببدن فاضل في الانتركونتننتال، وحينها كنت ذاهباً لزيارة د. فاضل الانصاري والوزير صفوان قدسي، فقدمه لي الاستاذ زيد النقيب، وتحدثنا في شؤون مختلفة لكن بدن فاضل تهرب من حديث السياسة ومالَ إلى حديث التسوق والكريستال، ربما خوفاً من زيد النقيب قريب عائلة صدام حسين. وعلى أية حال فقد أُعدم الجميع وقضى القريبين من الحدث في السجون ولم يبق منهم شهود.

٣ ــ في عام ١٩٦٤ اعلن البكر في الصحافة المحلية في رسالة موجهة لعارف انه سيعتزل السياسة الحزبية. ولم يسلك البكر وحده طريقاً ضعيفاً، وسط اجواء لم تكن قسوتها تفرض مثل ذلك التخاذل، فقد سبقه سعدون حمادي الذي ←

الاستيلاء على السلطة شعر بحاجته للتقاعد، لكن التقاعد السياسي في الأجواء التي خلقها صدام والبكر نفسه يعني القتل والموت الحتمي.

اذن فقد بقي هاجس البكر الاول، ان لا يقاد مرة اخرى اسيراً من مواقع السلطة. فقد أقتيد في عهد قاسم من وحدته في اللواء العشرين إلى المعتقل، وكان قبلها واحداً من الضباط الاحرار. وفي السجن تعرف على المرحوم علي صالح السعدي الذي إقترب منه وشاركه الصلاة، فأصبحا صديقين ثم نسبه السعدي إلى عضوية حزب البعث[1].

كتب رسالة إلى قاسم بعد محاولة إغتياله، يعلن فيها اعتزاله العمل السياسي، فعفا عنه وعاد للعراق. وعثر المكيكي على تلك الرسالة يوم ١٥ رمضان ١٩٦٣ في مكتب قاسم، فأخذها للاذاعة مقترحاً عدم تكليف حمادي بحقيبة وزارية، لكن القيادة رفضت وعينته بالاضافة للفكيكي عضواً مضافاً للقيادة القطرية في المجلس القطري الذي انعقد بدار جعفر قاسم حمودي بين ١٥ و ١٨ شباط ١٩٦٣[5] وفعل مثل ذلك الوزير حكمت العراوي الذي رفع في عام ١٩٥٩ أيام ما سمي بالمد الأحمر رسالة إلى الحزب الشيوعي يؤكد فيها رغبته الانفصال عن حزبه والانتماء للحزب الشيوعي. وكان ميشيل عفلق قد سبق البكر وحمادي في رسالة مماثلة وجهها إلى الرئيس السوري حسني الزعيم في ١٩٤٩ من السجن يقول فيها "اننا على استعداد لأتباع خط غير منحاز، ونكف لساننا إن كانت هذه رغبتكم . . اما بالنسبة لي فقد قررت إعتزال السياسة نهائياً، اعتقد ان مهمتي وصلت إلى نهايتها، وان طريقتي ليست ملائمة للعهد الجديد"[6]. ولأن إعطاء البراءة السياسية في العراق يعني السقوط السياسي، فقد عانى البكر باستمرار من عقدتها، وتجَنَّبَ المواجهة المباشرة خوفاً من ان يتهمه البعثيون بالضعف. وكان ذلك احد اسباب وهنه في مواجهة صدام رغم همس بعض كوادر البعث الاوائل وإشعارهم له بإمكانية التعاون لتحرير السلطة من قبضة صدام حسين، لكنه كان يقلب الامر ويتركه على حاله خوفاً من يؤدي إلى صراع داخلي بعثي - بعثي وتضيع السلطة مرة اخرى.

١ ــ لأهمية احمد حسن البكر ودوره في تاريخ العراق السياسي المعاصر، اختلف المهتمون حول الشخص الذي كسبه إلى حزب البعث، فمنهم من يقول انه علي السعدي وآخرون قالوا انه بهجت شاكر. واذا كان مصير السعدي معروفاً لكثيرين فأن بهجت شاكر دفع ثمناً كبيراً لعلاقته الحزبية المبكرة بأحمد حسن البكر. وكانت عائلة بهجت من العوائل التكريتية المحترمة، ولم يتسبب بأذى لأحد. فوالده كان باش كاتب تكريت. ولأنه متعلم أثار حفيظة المتريفين، واصبح هدفاً دائماً للبكر وصدام لأنه يذكرهما بماضيهما، ولأنه افضل شأناً من حيث الريادة السياسية والانتماء للبعث ومن حيث دفئه الانساني والمستوى الاخلاقي العالي الذي تمتع به، فاختلقوا له قضية اجتماعية وسجن لأنه تزوج على زوجته، وتم ابعاده عن ادارة وكالة الانباء العراقية رغم تطويره لها. وفي عهد صدام حسين اعتقل لعدة اسابيع وفصل من الحزب، وطرد من وظيفته بطريقة مؤلمة، لكن ذلك عزز الاعجاب به من قبل معارفه، وحينها ادرك الرجل ضرورة الابتعاد وإلاّ سيقتل فأنطوى على نفسه.

واتصور ان السعدي هو الذي نظّم البكر في حزب البعث، أما بهجت فكان اول مسؤول حزبي له خارج السجن. لأن بهجت شاكر الذي شارك في حركة ١٤ رمضان، كان قد عمل مدرساً في الفلوجة وبعد مرور الحزب بنكسة محاولة رأس القرية لاغتيال الزعيم هرب إلى سوريا وقابل قيادة الحزب، وعاد إلى العراق مكلفاً مؤقتاً بأعادة بناء الحزب، ريثما تتخذ القيادة القومية ترتيباتها وتعين قيادة قطرية جديدة، تعيد بناء الحزب، وفي تلك المرحلة كان علي السعدي قد خرج من السجن وسافر إلى سوريا، كما خرج البكر من السجن يحمل كلمة السر الخاصة، ولابد ان يكون السعدي قد ابلغ بهجت بضرورة الاتصال والارتباط به واعطاه كلمة السر، فاستحق "لقب" أول مسؤول للبكر.

واتذكر الآن تماماً عندما ذهبت لزيارة البكر بصحبة اللواء الركن حسن مصطفى النقيب عام ١٩٦٨ لتهنئته على منصبه الجديد (رئيساً للجمهورية)، فلم نجده، ففتح حراسه مكتبه حيث إنتظرناه بداخله، وكان ذلك نفس المكتب الذي كان مهيئاً ان يجلس عليه الملك فيصل الثاني بعد اكتمال بناء القصر، فأَجْلَسَ حزب البعث عليه عبد السلام عارف في عام ١٩٦٣، ليحتله بعد سقوط طائرته ووفاته، اخوه عبد الرحمن عارف ثم احمد حسن البكر.

وبعد فترة قصيرة عاد البكر، وسمعنا بوق الاستقبال، دخل المكتب وفوجئ بوجودنا، فهنأناه وكان لقاءً ودياً، وطلب مني ان احضر لزيارته مرة اخرى. قلت له : استلمتم السلطة ومبروك لكم، وإن شاء الله تكونون قد تعلمتم من تجربة الحزب الماضية.

ومن جانبه شرح دوره ودور الآخرين في الثورة، وقال انه أُصيب بداء السكري وأحس بعطش شديد جراء لحظات الانتظار القلقة التي سبقت إستسلام عبد الرحمن عارف.

فذّكرته بكيفية إخراج الحزب من السلطة عام ١٩٦٣. وحمّلته المسؤولية الأولى بأعتباره كان العسكري الأول في الحزب وفي ثورة ١٤ رمضان. وكان البكر يفهم جيداً ما أقوله. فأجابني بكلمات تنطوي على التأكيد والتحذير، قائلاً : "ابو مازن، لن اخرج من القصر الجمهوري هذه المرة إلا محمولاً على نعش، وكن مطمئناً، فإذا ما تآمر أي شخص ولو كان ابني هيثم فسأقطع رقبته"[1].

وقد فهمت من كلامه انه يتضمن فضلاً عن معاناته الخاصة، تحذيراً لي ولكل رفاقي ومعارفي الذين التقي بهم من قياديي الحزب.

وحسب معلومات ومعطيات مؤكدة ان البكر ترك القصر الجمهوري مركولاً بحذاء صدام

---

١ ــ يبدو ان البكر بدأ يخطط ذهنياً لمسك زمام السلطة، مباشرة فور خروجه منها في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣. فقد روى لي فوزي الراوي نقلاً عن (ث . ك) الذي رفض ذكر اسمه، والذي كان معتقلاً مع البكر بعد ١٩٦٤/٩/٥ في الفضيلية. وحينها حدثه البكر عن الآثار الأليمة التي تركتها عليه تجربة السلطة عام ١٩٦٣، وعن ملابسات قيامها وسقوطها. وقال له : في المرة القادمة سأطبق قصة "الواوي والحمامة!!" وكز البكر على اسنانه قائلاً: " ويوي ويوي.. هكذا سنمسكها في المرة القادمة".

وفي الغالب فإن البكر يقصد بقصة "الواوي والحمامة" تلك المنشورة في احد كتب القراءة التي تدّرس في العراق في احدى مراحل الدراسة الابتدائية، والتي أُريد لها ان تكون حكمة وعبرة، ولعلها مأخوذة من كتاب "كليلة ودمنة". وتتحدث عن واوي إصطاد حمامة وامسكها بين فكيه فطلبت منه الحمامة ان يلفظ اسمه، ففتح فمه بخيلاء صائحاً "واوي" فطارت الحمامة. ولشدة حيلة الواوي (الذي يريد البكر التمثل به في المرة القادمة)، انه دبّر للحمامة مكيدة اخرى مكنته من خداع الحمامة وإصطيادها فكررت الحمامة المسكينة طلبها من الواوي ان يلفظ إسمه، ففعل ولكن هذه المرة بصك اسنانه وإطباق فكيه عليها بقوة قائلاً " ويوي.. ويوي..".

حسين ليموت بداره بطريقة او اخرى.

واتذكر تماماً انــه أعاد عليّ قوله ثانية "لن أترك هذا الكرسي إلا محمولاً على نعش، ولــو كان ابني هيثم متآمراً سأقضي عليه بكل سهولة، لأن التجربة السابقة علمتــني ان لا أُعيدهــا ثانيةً".

وكان البكر يتحدث واثقاً بأنــه سيبقى رئيساً حتى وفاتــه وتشييعه إنطلاقاً مــن القصــر الجمهوري. غير اني ادركت في زيارة اخرى له بعد مرور ثماني سنوات تقريباً انــه اصبح جسداً يمكن حمله بأي تابوت. واعتقد ان تردي صحتــه وإرتعاشه وخوفه وشكوكه المتزايدة بصــورة عشوائية قد شجعت امكانية خداعه والتآمر عليه. وانتــهى الامر فعلاً بتنحيتــه.

واذا كان هناك شيء يشفع لأحمد حسن البكر، فهو لجوء صدام حسين فوراً بعد إقصائه إلى إسقاط تجربة الميثاق القومي مع سوريا وتصعيد الموقف ضدها، ثم إعدام كوكبة مــن القــادة البعثيين، والتورط السريع في صراع مدمر مع الجارة ايران، مما يوحي ان وجود البكر كان يقلل او يحد من عقلية التورط الحمقاء التي دمرت مستقبل الشعب العراقي[1].

وكانت نــهاية البكر نتيجة طبيعية لخصال الغدر ونكث العهود التي تَطَبَّعَ بــها. وصــدام حسين رفيقه وشريكه يعرف خصاله اكثر من غيره، فتحزّم للامر وخطط مبكــراً لإقصائــه. واعتقد ان البكر قضى ايامه الاخيرة متألماً، تحاصره ذكرى عشرات الضحايا الذين تســبب في

---

١ ــ في البداية قص صدام حسين أجنحة البكر واحاطه بأشخاص متواطئين، وإستبعد حردان بقتله وعماش بأرســاله سفيراً، ليظل البكر بلا اجنحة. ثم تمكن من إستبعاد شفيق الدراجي سفيراً للعربية السعودية لينصب محله طــارق حمــد العبد الله جاسوساً له، مقابل السكوت عن فضائحه الاخلاقية، وكوفئ بعد اتمام مهمتــه بتعيينــه وزيراً تخديراً له قبــل قتله بفترة قصيرة،. ثم قتل عدنان شريف التكريتي (قائد الحرس الجمهوري) بعد إبعاده ملحقاً عســكرياً في موســكو. وتصفية الأخوين مظهر ومنذر المطلق زوجي بنتي البكر، الأول بإغراق سيارتــه في نــهر دجلة وموتــه بداخلــها، والثاني سفيراً إلى الارجنتين. واكد ليّ احد الضباط الغواصين (ع.ع) الذي ساهم بإخراج سيارة مظهر والبحث عــن جثتــه المفقودة بأن الحادث كان مدبراً. ونقل حاتم عبد الرشيد (ماجستير اقتصاد وزوج احدى بنــات البكــر) إلى القاهرة قبيل تنحية البكر بعد تعيينــه رئيساً لاتحاد الصاعات العربية وهو الاخ الاكبر لماهر عبد الرشيد، وقتل محمد ابن البكر بعد ان كتب رسالة لأبيه يقول فيها "انك ستواجه ربك غداً، فماذا ستقول له ؟ ومَنْ سيقف معك امــام الله ؟ [7]".

ونتيجة لكل تلك التدابير السرية القاسية إنتشر الرعب في البلاد وتخوف رجال العهد وبقي البكر وحيداً يحيــط بــه رجال كلهم تقريباً جواسيس لمصلحة صدام حسين.

ولابد ان البكر الذي تمتع بذاكرة قوية جداً ويحفظ جميع اسماء ضباط الجيش ورتبــهم ان يكون قد اســتعاد شــريط حياتــه السياسية العامة، ومن يدري فقد نفاجأ يوماً بانــه سجل مذكرات مسموعة، وحينــها سيكون ما يقوله ابلغ من كل الاستنتاجات.

تدميرهم، لينتـــهي الأمر بـــه محتجزاً ينتظر الموت في داره غريباً ليس حوله اصدقاء، ولا ذكرى طيبة في ذهن الآخرين من رفاق الطريق او من ابناء الشعب العراقي[١].

---

١ ــ ولد البكر في ١٩١٤ وتوفي في ١٩٨٢ . بدأ حياتـــه معلماً ثم دخل الكلية العسكرية في ١٩٣٨ بوساطة مولـــود مخلص دون ان يستوفي شروط القبول فيها. فلم يكن حاصلاً على البكالوريا، وتنقل خلال عمله في انحاء مختلفـــة مـــن العراق، وبعد تخرجه من الكلية العسكرية لم يعين قائداً لوحدة عسكرية، بل عمل ضابط إعاشة وادارة وتموين، وفي هذا السياق قال عنـــه عبد الكريم فرحان "لم يكن البكر ضابطاً لامعاً، فهو من درجة عســـكرية ادنى، لكنـــه اعتُقِـــل ورفعتـــه صلتـــه بحزب البعث وعلي السعدي"[8] ويقول فرحان في كتابـــه حصاد ثورة : مع حكم البكـــر "إنفتـــح الباب على مصراعيه لتعيين الاقارب والاصهار وابناء العشيرة والبلدة والاصدقاء" واضاف "لم اشاهده ينفعل او يغضب، لكنـــه لا ينسى وعندما تحين الفرصة ينتقم بقسوة" ووصفه بالرجل الشجاع الذي يهمه بلوغ هدفه بصرف النظر عـــن الوسيلة"[9]. ويقول عنـــه حسن العلوي انـــه "نصف عسكري ونصف حزبي" ووصفه بعدم الجاذبية قائلاً "لا أظن ان عبد الكريم قاسم ومهما حاول ان يستحضر اسماء خصومه الذين سيخلفونـــه كان سيضع اسم البكر واحداً منـــــهم" وقال عنـــه هاني الفكيكي: "البكر شخصية موهوبة القدرة على توظيف مظهره البسيط وقدراتـــه الفكرية والسياســـية المحدودة، وكثيرون هم اولئك الذين خُدِعوا بـــه ووسموه بالسذاجة، لكنـــه يستبطن مكراً لا حدود له، وقدرة علـــى خداع الخصم والغدر بـــه"[10] ويقول عنـــه معاونوه انـــه محدود الكفاءة، كتوماً ويتركز كل نشاطه السياسي علـــى ترتيب الوضع العسكري السري بـــهدف الانقلاب مرةً ولمكافحتـــه حيناً آخر، او لتمرير مؤامرة. و لم يؤثـــر عنـــه المشاركة السياسية العلنية إلا نادراً. فتمكن من وضع نفسه خارج الانقسامات الحزبيةالعلنية، وفعل ذلك عـــام ١٩٦٣ حينما إحتدم الصراع بين جناحي علي وحازم. ومن اجل إرضاء طموحاتـــه السياسية غيّر من تحالفاتـــــه وحنـــث بوعوده، وإنسجم مع عفلق المسيحي، رغم ما عُرف عنـــه من تعصب ديني، فقد روى حسن الذهب : انـــه كـــان جالساً بمكتبـــه بمعيتـــه واحمد عبد الستار الجواري وطارق عزيز وشنتاف في عـــام ١٩٧٢ واراد مجاملـــة "الذهـــب" اليساري الانتماء فخاطبـــه : لماذا لا تضعون ايديكم بأيدينا ونتعاون ونتخلص من (التلكيفي ابن التلكيفـــي)ويقصـــد ميشيل عفلق، و لم يكن يعرف ان طارق عزيز مسيحياً ومن تلكيف.

كان البكر من الذين يسهرون الليل ويعقدون الاجتماعات مساءً. وجاء إلى الوزارة عام ١٩٦٣ محدود الكفاءة لكنـــه اراد البناء. في حين طبعت سلوكه بعد ١٩٦٨ محلية تكريتية صرفة ومفروضة بسبب نمو عُقَدِه ومجيء كتلة تكريتية معـــه تعمل ضد الحزبيين، وتحاول إضعافهم، فحاصرت عماش والسلوم وعبد الخالق السامرائي ومرتضى الحديثي وغـــيرهم. و لم يكن البكر مقداماً ليقف بوجه تلك الكتلة القوية بل تجنبـــهم بتأكيد شراكتـــه لهم. واعتقد انـــه كان لئيمـــاً ولا يحب العنف المباشر ويحاول قضاء حاجتـــه بالالتفاف والمناورة وخنق الخصوم او قتلهم داخل السجون.

مع صدام حسين

الدولة ضد القانون

سؤال : قلت ان صدام حسين لم يكن عام ١٩٦٣ ملفتاً للنظر، ولم تتخيلوا إنّ في ذهنه مخططاً من أي نوع كان، فكيف اذن تحول من عنصر تنفيذ إلى شخص يتحكم بكل مقدرات البلاد ؟

طالب الشبيب : اذا اردت، فأن اولى الخطوات او المصادفات التي افاد منها صدام حسين، كانت بسبب تسليم القيادة القومية الملف العراقي إلى حمود الشوفي وصلاح جديد، وكلاهما معارض للتوجهات التي سعينا إليها، فلم يرغبا التصديق اننا ونحن مبعدون إلى بيروت نملك مفاتيح التغيير السياسي في العراق الكامنة في مسؤولي الوحدات العسكرية الفعالة من الضباط البعثيين قبل تصفيتهم وإحالتهم على التقاعد او إرسالهم إلى السجون والوحدات البعيدة غير الفعالة. وبدلاً من التعاون معنا نظرا إليّ شزراً، عند لقائي بهما وببقية اعضاء القيادة السورية. فأعطيا الفرصة للبكر وصدام وغيرهما للاستمرار والتحالف مع عفلق.

في حين وجدتُ في شخص الرئيس الاسد، رغبة جادة للاستماع وتفهم القضايا، لكنه لم يقحم نفسه طرفاً في أمورنا، لأنشغاله بشؤون سوريا ومستقبل نظامها السياسي. وفي الحقيقة لم اعرف حينذاك ما كان يدور بذهنه وما يكتنزه من قدرات كبيرة كشفت عن نفسها خلال ٣٥ عاماً الماضية في إدارته لصراعات اكثر خطورة، والخروج منها بما يعود بالفائدة على سوريا والأمة العربية. ولو كنا ادركنا ذلك حينها، لأقتربنا منه وتعاونا على إنقاذ الوضع في العراق. ولا أكتمك فقد وجدت فيما بعد ان حافظ الاسد يتمتع بقدرة فائقة على إدارة الامور وتفهمها.

واعود لأقول، لم أكن مصدقاً إنّ واحداً من الكادر المتوسط المغمور مثل صدام حسين سيكون بديلاً للسلطة العراقية التقليدية، بل كنا عندما نراه او نخاطبه نتصور اننا نتحدث مع احد انصار البكر او مع البكر نفسه بالواسطة.

ولكن بعد وصولهما سوية (البكر – صدام) إلى السلطة عام ١٩٦٨ ، ادركت يقيناً انه سيستلم السلطة ويطيح بحليفي البكر وجناحي السلطة، وزير الدفاع حردان التكريتي ووزير

الداخلية صالح مهدي عماش، وبعدها سيصبح احمد حسن البكر فريسة سهلة يمكن تأجيل إفتراسها إلى وقت آخر مناسب.

توقعت هذا الامر تماماً واخبرت رفاقي والقريبين مني وكل من يهمه الامر من قياديي الصف الاول في حزب البعث بهذا التقدير. وكنت واحداً من قلة يهمسون : ان صدام حسين سيرث السلطة من البكر[1].

وفي عام ١٩٦٩ همس بأذني مسؤول المخابرات الامريكية CIA في الشرق الاوسط (.....) وكنا في دعوة غداء في الامم المتحدة في الركن الشرقي، وكنت ممثل العراق الدائم في الهيئة

---

١ ــ في البدء إكتسب صدام حسين قوته من علاقات خدمية مع احمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح، إنطلاقاً من عصبية (تكريتية – عوجوية صرفة)، وبسبب استعداده للتنفيذ[11]. ومنذ ١٩٦٣ اصبح رحل البكر، يدحل عليه في مجلس الوزراء ويختلي به بصورة أثارت استغراب موظفي المجلس[12]، إذ ليس هناك ما يسوغ قيام علاقة بين رئيس وزراء العراق وشاب بلا مؤهلات او مركز حزبي او حكومي. وما إن اشتد الخلاف بين السعدي ومناوئيه اقترح صدام على بعض الضباط تخليصهم من السعدي باغتياله "وتنتهي المشكلة !!". ومنذ ذلك الحين اكتشف صدام اهمية احمد حسن البكر فظل رفيقه وظِله حتى بعد سقوط تجربة البعث ١٩٦٣، ولاحظ ذلك "البعثيون العقائديون"[13] فحذروا منه لكن البكر حافظ عليه متميزاً. وفي عام ١٩٦٨ نجح صدام حسين في جعل شخصيته مدمجة بالبكر، وحصل لنفسه على مقر خاص وميزانية خاصة غير خاضعة للمساءلة، وهو امر لم يتمتع به احد في الدولة العراقية قبله. وبصبر وكتمان لجم رغبته في الانقلاب ولم يقحم نفسه في عداوة مع البكر رغم تعدد المناسبات، فأنتظر متربصاً ليوم مجدٍ آخر، يصبح فيه عمره مناسباً ومقبولاً. وعندما حصلت صراعات واحتكاكات غير معلنة بين اجنحته واجنحة البكر (بعد عام ١٩٦٨) ابلغ صدام حسين التنظيم الحزبي بأن كل شيء لا يصبح قانونياً بعد الآن، الا بموافقة القيادة القطرية، ما عدا ما يقرره الاب القائد احمد حسن البكر !! ومع مرور سنوات الاخلاص الوهمي بنى صدام اجهزة ضخمة هدفها الظاهر حماية دولة البكر، لكنها قامت تدريجياً وبهدوء بتقليم اظافره، اذ تمّ شراء او قتل كل الطاقم التكريتي المحيط به، فهرب صلاح عمر وقتل حردان ورشيد مصلح وطاهر يحيى وعدنان شريف وحماد شهاب والعميد حميد التكريتي. وقتل ازواج بنات البكر وابنه محمد، وشراء طارق حمد العبد الله، ونصب كمائن اخلاقية وجنسية مصورة بأفلام فيديو ناطقة لعدد آخر من المقربين، وخلق لهيثم البكر مشاكل اتعسته. ودار آخر لقاء بين شبيب والبكر حول شكوك الاخير وخوفه على السلطة، وخرج باستنتاج بأن البكر اراد القوة وطلب شخصاً يقظاً يؤدب فيه الخصوم في السلطة والشارع، ويجيد اخراج التمثيليات الحزبية (حسب النظام الداخلي) فكان صدام حسين الذي تصوره طامحاً بمكانة الرجل الثاني فأعطاها له، رغم معارضة رفاقه، وكان حردان اشجع المعارضين فصفاه قبل غيره. وقد وجد صدام دائماً رجالاً مستعدين للتعاون ليتحولوا بعد فترة إلى ضحاياه، فقد جيء له مرتضى الحديثي الاموال وادخلها في حسابات خاصة وأخرى موظفة في كسب الانصار والوكلاء وتقوية المؤسسة السرية، وعندما سمع مظهر المطلك (زوج بنت البكر) بالامر سعى لفضحه، فَرَدّ صدام بأغراقه مع سيارته في نهر دجلة[14].
ومن جانبه احتاج صدام إلى دعم البكر، ليخترق جهاز السلطة المتعلم والعريق نسبياً والذي لم يكن يعطي لمثل صدام غير منصب كاتب او موظف بسيط. وتغلغل صدام، وكان صعوده السهل الذي كفله البكر، قد ادى فيما بعد إلى انفراده بالسلطة ليبدأ مستقبلاً سياسياً مجللاً بمطالب مستحيلة ومحاطاً بأصدقاء قساة وضحايا ودماء.

الدولية، قائلاً : "ان صدام حسين رجل وغد، انـــه وغد thug " فقلت له انـــه الرجل الـــذي سيكون حاكماً للعراق، وستتعاملون معه وتخذلون الجميع[1].

مع الامير طلال بن عبد العزيز

وفي عام ١٩٨٤، خلال الحرب العراقية الايرانية، كنت مع صلاح عمر العلي بواشـــنطن في دار الامير طلال. قلنا للامير: هناك طريقة واحدة لوضع نـــهاية لمشاكل المنطقة هـــي إســـقاط صدام حسين.

أخبرنا الامير: "ليس بأمكانٍ إبلاغ هذا الرأي إلى حكومة المملكة العربية السـعودية، ولا إلى اية جهة عربية اخرى" ، مؤكداً انـــه يخشى مقابلتنا او إدارة مثل هذا الحديث معنا.

وادركنا بوضوح انـــه يخشى ذلك لئلا ينكشف الامر يوماً، وحينـــها سيتجه صدام حسين بتـــهوره المعهود للانتقام، خصوصاً وانـــه نجح في بناء دولة قوية تقيم حلفاً مع اهم دول العالم بسبب حاجتـــهم إليها في المواجهة الايرانية، ويمتلك منظمات ومحطات أمنية فعالة منتشـــرة في جميع انحاء العالم. ولن أكون مدعياً اذا قلت ان حكومة المملكة العربية السعودية كانت تعـــرف جيداً اهداف صدام حسين وتكوينـــه الشخصي، وتدرك إمتلاكه للقوة المســـتعدة للضـــرب والفتك واكثر من ذلك !! لكنـــها تتجنبـــه، وتعطي للزمن فرصة لعله يتغير او يستقر، وبـــدلاً من مواجهتـــه اهداه الملك خالد بن عبد العزيز خمسين من الجمال الحمراء.

ترتيبات صدام حسين السالفة سبباً كافياً لكي يخشى السعوديون ان يبحثوا معنـــا شـــؤون داخلية عراقية، فضلاً عن كوننا لا نمثل جهة رسمية بل معارضة، وهم (السعوديون) لم يكونـــوا مؤيدين او معارضين للحكومة العراقية، ويرغبون بالتعامل معها كما يتعاملون مع اية حكومـــة عربية اخرى، وقد ترجم الامير طلال موقفهم النـــهائي والصريح عندما كـــرر : "ياطـــالب وياصلاح، انا لا استطيع حتى نقل كلامكم إلى حكومة المملكة ولا إلى اية جهة عربية اخرى".

اقسم امامي على الاخلاص للعراق والامة والحزب

سؤال : هل تعاملت مع صدام حسين مباشرةً ؟

طالب شبيب : نعم، واهم لقاء كان في دمشق بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال عبـــد الكـــريم

---

١ ـــ ومن جانب آخر فقد اعلن رئيس قسم الشرق في البيت الابيض في عهد ريغان (وبعد عدة ســـنوات) لجريـــدة نيويورك تايمز بعد اجتياح الكويت بأربعة ايام قائلاً : "لم يكن الامر اننا كنا نريد ان يكسب العراق الحرب، إننا لم نكن نريد أن يخسر العراق. اننا حقاً لم نكن سذجاً. كنا نعرف ان صدام وغد، لكنـــه وغدنا"[15].

قاسم، وكان حينـــها نصيراً غير حائز على عضوية الحزب العاملة. فكُلِفت شـــخصياً بـــترديد قسم العضوية له، مكافأة على استعداده للتنفيذ، وفعلت ذلك بحضور فاضل الشاهر (عضو شعبة هارب) واعتقد فيصل حبيب الخيزران. وتكمن اهمية هذا في ان العضو الحزبي يظل يتذكر طوال حياتـــه اليوم والشخص الذي ردد له القسم الحزبي وينظر اليهما بأحترام وتقدير خاص.

وحين سافرنا انا وحازم جواد إلى بيروت بعد ١٨ تشرين الثاني، جاءنا صـــــدام التكريـــتي حاملاً رسالة من البكر ومكلفاً بتوفير بيوت سرية لنا في بغداد، وطلب الينا العودة لتدبير إعـــادة السلطة من عبد السلام عارف.

ثم جاء إلى القاهرة، وكنا مبعدين إليها انا وحازم جواد، واتصل بي بواسطة المقدم علي عريم الذي كان هو والعقيد حسن النقيب والرائد صلاح الطبقجلي يشغلون عضوية القيادة العسكرية العربية الموحدة وهي وظيفة شكلية، تمّ إبعاد هؤلاء الضباط البعثيين إليها.

قال عريم : إنّ صدام يطلب منك بناء على رغبة من البكر، دراسة تحليلية عـــن تجربـــة ١٤ رمضان ١٩٦٣، النجاح والفشل والاخطاء المرتكبة. فكتبت حوالي ٢٠٠ صفحة، ارسلتـــــها بيد علي عريم وسلمها بالضبط في يوم ١٩٦٤/٩/٤، وكان ذلك تاريخاً مشؤوماً، اذ اعتقلـــت السلطات العراقية فيه عدداً كبيراً من البعثيين المدنيين والعسكريين بينـــهم احمد حسن البكـــر وعبد الكريم مصطفى نصرت، وحصلت اعترافات كثيرة تحت التعذيب وإنـــهار عبد الكـــريم الشيخلي وآخرون بينما صمد الغالبية منـــهم، وضبطت الدراسة التي كتبتـــها.

وخلال وجودي، موظفاً في الخارجية، كنت اتصل بصدام حسين عندما يطلبني او تتطلـــب الوظيفة، فيستقبلني برحابة. وكثيراً ما دعانا للقائه انا ومدحت ابراهيم جمعة ويسألنا الـــرأي في ترتيباتـــه الحزبية وتركيبة قيادتـــه القطرية. وكنا نقدم النصح بلطف وبالشكل الذي نعتقـــده صحيحاً. فقد اقترحت عليه ذات مرة ان تجرى انتخابات شعبية عامة للتخلص مـــن مشـــاعر العزلة. وقلت : ان حزب البعث تمكن في ظروف صعبة، في عهد قاسم، من الفوز في انتخابـات حرة ببعض الجمعيات والنقابات المهنية والعلمية والاجتماعية، وأرى انـــه مع شيء من الترتيب وبجهود معينة، وتوظيف امكانيات السلطة والدولة في بذل المكاسب الشعبية، وعندها سيكون ممكناً تحقيق الفوز باكثرية المراكز الانتخابية. وذلك سيكون تحدياً لتنظيـــم حـــزب البعـــث، وسيكشف اولئك المستفيدون الذين لا يبذلون جهداً يتناسب مع اهمية المراكز الممنوحة لهم.

شيء آخر قدمه لي صدام حسين شخصياً. وحصل عندما كتبت له رسالة اطلب فيها نقلـــي إلى وظيفة مندوب العراق الدائم في الامم المتحدة. وكان وزير الخارجية حينذاك عبد الكـــريم الشيخلي يعارض بشدة مثل هذا القرار. وفوجئت فوراً بوصول برقية إلى الســـفارة العراقيـــة

بتركيا، وكنت سفيراً هناك، تعلمني بصدور قرار (مرسوم)، بتعييني مندوباً دائماً، وكان صـــدام حسين حينذاك نائباً لرئيس الجمهورية.

على خطى البكر

إختار صدام حسين سبيلاً يماثل من حيث الجوهر اسلوب البكر، يعقد الصفقات ويحـــث بـــها بالسهولة نفسها. لكنـــه تجاوز معلمه إلى شكل آخر أشد قسوة، فلم يكـــن مســتعداً للخسارة او التنازل عن أي شيء مهما كان صغيراً[1]. وهو لا يقبل الوساطة عندما يتعلق الامـر

---

١ ـــ لم يكن صدام حسين تلميذاً خائباً للبكر، بل تعلم الدرس وواصل نفس المنـــهج. فتحالف في عام ١٩٦٩ مـــع جلال الطالباني ثم خذله في ١٩٧٠ ووقع إتفاقاً مع الملا مصطفى البارزاني ثم مع الحزب الشيوعي. لكنـــه خطط بنفس الوقت لتصفيتـــهم بلا رحمة، واقحم الرئيس هواري بومدين كشاهد على إتفاق وقعه مع شاه ايران مطهراً فيه كثـــيراً من التذلل والانبطاح وقد وصف عضو القيادة الفلسطينية خالد الحسن مشهد لقاء الشاه ـ صدام إلى قيادة قطر العـراق (باقر ياسين، أحمد العزاوي، محمد عبد الطائي، رشاد الشيخ راضي، وحسن الذهب) واخبرهم عـــن شـــدة إندهـــاش الرئيس الجزائري من تخاذل صدام حسين. لكن صدام، وعلى خطى البكر، يعطي الوعود والتنازلات السخية، ويضمـــر نكثها في اول فرصة سانحة. وفعلاً مزق إتفاقية الجزائر بعد نجاح الشعب الايراني بالثورة على الشاه. لكن صدام نفســـه وبعد ثماني سنوات حرب ضد النظام الجديد، عاد ليعترف علناً بتلك الاتفاقية المشؤومة، وهدفه كسب حياد الحكومـــة الايرانية وسكوتـــها على محاولتـــه إبتلاع الكويت.

دفع رفاقه إلى العمل لصالح الميثاق القومي للوحدة بين سوريا والعراق عام ١٩٧٨، لكنـــه خطط بالوقت نفسه لقتلـهم واستبدال الطاقم المحيط بـــه. وفعلاً قتل عشرين من اعضاء قيادتـــه القطرية ووزرائه وقادتـــه العســـكريين والمـدراء والسفراء، وازاح البكر وسقاه السم جرعات صغيرة لكنـــها قاتلة رغم قسم الاخلاص لبعضهما عند مرقد الإمام أبـــو حنيفة النعمان! كما نكث اتفاقية مجلس التعاون العربي المشترك عام ١٩٨٩ الذي انتـــهى ومات بغـــزوة الكويـــت، وخديعتـــه لحليفه حسني مبارك عام ١٩٩٠. ودعا العاملين المصريين إلى العراق مفسراً دعوتـــــه بأنـــــها خطـــوة وحدوية، ثم انتـــهى الامر بأطلاق النار عليهم وإعادتـــهم بتوابيت مثلجة إلى مصر. وارسل مجموعة من علماء الديـــن الاسلامي للتوسط بينـــه وبين الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني واوعز بنفسه لأجهزة الامن بلَغْم احـــد اجـــهزة التسجيل الخاصة التي سلمها مدير الامن "ناظم كزار" إلى احدهم لتسجيل الحوار، فأنفجر ذلك الجَهاز بـــهم وقتلـــهم جميعاً، وانقذ رفيق الملا (ساقي الشاي) الملا مصطفى عندما كان بالصدفة يقدم له الشاي، فتمزقت اشلائه وخرج المـــلا من الحادث حياً موفوراً، وهو ما نقله لنا الاستاذ مسعود البرزاني في "راجان"[16].

وتحالف مع الشيوعيين ثم قتل رجالهم واتخذ قرار تصفيتـــهم نـــهائياً. وذهب عام ١٩٧٢ إلى سوريا ومصـــر طالبـــاً الوحدة، وكان في الوقت نفسه قد اعطى تعهداً لفريق دولي بأنـــه سيحول دون لقاء عراقي مصري سوري جاد. وقتـل راجي التكريتي بنفس الاسلوب الذي أُستُدرِجَ فيه السيد مدلول المحنا في بداية السبعينات وقتله في بغداد، فقد اخـــبره حبير نصب الافحاخ السفير نوري الويس انـــه ينقل اليه عهد شرف من صدام حسين بأن لا يؤذيه او يسيء اليه احـد، اذا هو عاد للعراق، لكنـــه قتل راجي واصحابـــه شر قتلة، ورمى بجثتـــه لكلاب مدربة على اكل لحوم بشرية. ويـرى بعضهم ان الويس قد حذَّر راجي قبل اخذه بسيارتـــه الديبلوماسية. ويقول مشعان الجبوري[17] ان حسين كامل رغم معرفتـــه بأساليب الخداع وشراكتـــه بـــها، لكنـــه لا قى نفس المصير هو واخوه وابوه وقتل معهم احمد عبد الغفـــور التكريتي وثائر عبد القادر المجيد وهو زوج احدى بنات البكر، ويضيف : ان قاتل ثائر هو النظام وليس حسين كـــامل، لكنـــهم بعد قتله قالوا انـــه شهيد وكانوا قبل ذلك قد عرضوه في تلفزيون بغداد حليقاً.

←

بالامس، او بأي شأن يعتقد انـــه يسيء اليه، ولا ادري كيف عمل على تعييني مندوباً دائمـــاً في الامم المتحدة وهو يحمل حقداً خاصاً ضدي، بسبب عدم مراسلتي له شخصياً، كما يفعل بقيـــة السفراء العراقيين في الخارج، فقد تعاملت مع الدولة العراقية، وكانت إتصــــالاتي وتقــاريري والكتب الرسمية تذهب مباشرة إلى وزارة الخارجية حسب الاصول.

وفي مطلع ١٩٩٣ وعلى خطى مدرسة البكر ايضاً، وبعد ان تأكدت سلطات بغداد ان الصحفي سعد البزاز لن يعـــود إلى بغداد برغم رسائل التطمين والتـــهديد والترغيب، بما فيها الرسائل التي حملت توقيع صدام حسين نفسه والتي حملها السفير نوري الويس واوصلها بواسطة كاتب فلسطيني (صديق مشترك لهما)، وكانت آخرها تحمـــــل مضموناً : ان الرئيس العراقي قد خوّل نوري الويس ان يضمن حياة الصحفي "الهارب من الجحيم" امام منقفي الاردن بصورة علنيـة، ويرافقه بسيارتـــه من عمان إلى مكتب رئاسة تحرير جريدة الجمهورية مردداً اغلظ "الأيمان" (نحو: بشرفي وستر اختـــي وزوجتي!!). ولم يكن للبزاز وهو ابن لتلك المؤسسة إلا ان يتعامل مع الرسالة بريبة وإحتقار، وقال لحاملــها: "لســت مدلول المحنا، وليبحث عن ضحية سواي". وكانت احدى الرسائل التي وصلتـــه تحمل توقيع عدي صدام حسين وتعــد بمنحه وزارة الاعلام بدلاً من حامد حمادي الذي قاد الحملة ضد سعد البزاز الذي قال عن نفسه أنـــه "هـــارب مـــن الجحيم".

ويقول سعد البزاز : بعد ستة اشهر من آخر رسالة وصلتني زار الدكتور راحي عباس التكريتي، وهو من اقارب نـــوري الويس، عمّان لإلقاء محاضرة في التراث في مؤسسة شومان، وبعد إنتـــهاء فترة الضيافة الرسمية، تنقل الدكتور راجي من مجلس لآخر ورحبت بـــه شخصيات عراقية ثقافية وسياسية دون ان تنقطع صلتـــه اليومية مع السفير الذي استدعاه في احد الايام على العشاء في منـــزله، وابلغه انـــه مرشح لشغل منصب وزير في التشكيلة الجديدة التي ستعلن ببغداد بعـــد ايام، وعليه التوجه إلى هناك بسيارة السفير الديبلوماسية، وما كادت السيارة تعبر نقطة "طريبيل" الحدودية حتى تسلمت اجهزة الامن راحي التكريتي من سيارة قريبـــه السفير ليواجه مصيره.

مع ميشيل عفلق

سؤال: وماذا عن ميشيل عفلق ؟

طالب شبيب : هو واحد من أهم القادة المؤسسين لحزب البعث، كان في البداية نشيطاً ومواكباً واستطاع أن يساهم في صنع الموجة السياسية المعاصرة للنهضة والبعث العربي، لكنه بدأ يخبو سياسياً ثم يموت فكرياً منذ أن اقدم على حل الحزب في القطر العربي السوري، فلم يستطع بعد ذلك التاريخ كتابة بيان أو مقالة أو موضوع واحد متميز أو ذا أهمية.

فقد كتبنا نيابة عنه وثائق المؤتمر القومي الثالث وبيانه الختامي الذي نشرته جريدة "الصحافة" البيروتية الناطقة بلسان حزب البعث. وكنا قد تكلفنا أنا والمرحوم خالد اليشرطي عضو القيادة القومية ومسؤول التنظيم الفلسطيني وعبد الوهاب شميطلي عضو القيادة القومية وعضو قيادة منظمة لبنان، وكتب كل واحد منّا مسودة خاصة به، ثم اجتمعنا نحن الثلاثة وصنفنا أفكارها ورتبناها بلغة وصياغة سليمة، ووافق عليها دون إضافة كلمة واحدة، ونشرت ووزعت على شكل تصريح منه.

ولا بد من الإشارة إلى أن حاجتنا لعفلق مثقفاً ومفكراً كانت أكبر من حاجتنا إليه كرجل تنظيم، وذلك بسبب حل الحزب في سوريا وحرمان منظمات الحزب القومية من مثقفي البعث السوريين الذين كانوا في مستوى فكري وثقافي أعلى من رفاقهم في الأقطار العربية الأخرى وبشكل خاص من العراقيين، الذين أثّرَت على قراءاتهم شدة الرقابة ومنع الصحف والمنتديات الثقافية. وقد كانت تلك سياسة مستمرة منذ العهد الملكي حتى الوقت الحاضر. كان العراقي يحصل على فرصته عندما يسافر إلى سوريا أو لبنان فيطلع على الصحافة وعالم الفكر المتحرك ويقتني الكتب الممنوعة في بلاده[1].

---

١ ـ اعترف عبد الناصر خلال محادثات الوحدة عام ١٩٦٣ بأن حل الأحزاب كان أحد أسباب نكسة الوحدة، لكنه قال "إن البعثيين هم المسؤولون عن حل حزبهم" . وقال لعفلق والبيطار وكانا حاضرين " اللي حصل إن الحزب انحل وانتم اللي اقترحتوا حل الحزب"، ورغم سكوتهما وعدم تعليقهما، فإنهما لم يعترفا بأنهما كانا وراء تلك الفكرة، ولم يعترف أكرم الحوراني بها أيضاً.

وفي نفس الجلسة قال عبد الناصر " لو كان حزب البعث مش موجود، أنا كان لازم أقول ضروري حزب البعث يكون موجود، لأن عدم وجود البعث كاتجاه قومي بيصعف الوحدة". وعندما كان عبد الناصر يتحدث عن رفض وضع مصر بين المطرقة السورية والسندان العراقي، استدرك قائلاً " وأرجو من إخواننا العراقيين أن لا يعتبروا هذا الكلام لهم، أنـا ←

و لم نكن وحدنا الذين لاحظنا انطفاء ميشيل عفلق، وعدم وجود شيء هام عنده، بل لاحظ ذلك بوضوح جميع المقربين منـــه ومن القيادة القومية لحزب البعث.

لكنـــه استعاض عن الفكرة الذكية الصائبة وعن روح المبادرة في قراءة المستقبل، بتشـــجيع واستثمار ولاء الشباب الحزبي الحيوي المندفع له، واستعان بـــهم لتحقيق أهدافـــه السياســـية، والتخلص أو التخلي عن كل شحص يكتشف ضعفه[1].

كما عجز عفلق منذ ذلك الحين عن القيام بأعمال تنظيمية جادة، بل لم يكن مستعداً للقيـام بأي عمل لا يتلاءم مع بطئه ومزاجه الخاص. فأخذت أنا مسؤولية التنظيم القومي بكامله.

وكانت قيادات الأقطار كالعراق وفلسطين ولبنان تخطط وتفكر بنفسها على ضوء واقعـــها الملموس وذلك ينطبق على العراق أكثر من غيره.

وأشرف على إعلام الحزب وجريدتـــه كل من جبران مجدلاني وشميطلـــي ويشـــرطي، و لم

مستعد أن أعمل معهم الوحدة دلوقتي" . لكن الوفد العراقي أصرَّ على إفهام عبد الناصر بأن البعث في ســـورية أكـــثر إصراراً على الوحدة وأن العراقيين تعلموا من أساتذتـــهم السوريين دروساً في الوحدة....

وفي العراق لم يتمكن البعثيون أو الشيوعيون التعمق بالفكر، بل أخذوا الفكرة جاهزة وناضلوا من أجل تطبيقها، فكان الشيوعيون من أقطار عربية مجاورة أكثر ثقافة من نظرائهم العراقيين. والبعثيون السوريون أكثر ثقافـــة مـــن رفاقـــهم العراقيين. فقد وأدت قسوة النضال السري والمظاهرات والإضرابات وبقية الصراعـــات العمليـــة المشـــاريع الفكريـــة والعقائدية للأحزاب قبل اكتمالها. وأسقط الصراع الحزبي الذاتي والصراع ضد السلطة أعداداً هائلة من مثقفي الأحزاب الواعدين، كما قضى الكثيرون في السجون وأخذت منـــهم البراءات عنوة، فأصيبوا بالضعف، ولا يصلح الإبداع مـــع مشاعر الضعف. وبسبب شدة الصراع سادت بين المناضلين مقولات فاسدة مثل : "لسنا بحاجة لفلسفة بل إلى العمـــل المباشرة!!"، كما أدت الحياة الحزبية السرية المستديمة إلى تنفس هواء فاسد، وأسوأ من ذلك إن بعض الأحزاب فضلـــت السرية على العلنية حتى مع وجودها في السلطة أو مع وجود سلطة تسمح نسبياً بالعلنية.

١ ـــ للخروج من التجزئة والضعف إلى الوحدة والقوة بواسطة استثمار حيوية واندفاع الشباب يشكل الجانب الأهـــم من النظرية العفلقية التي لم تبذل أي جهد لدراسة مرحلة ما بعد قيام الوحدة وامتلاك القوة فقد تصور ميشيل عفلق أن الثائر الحيوي بإمكانـــه أن ينجز كل شيء بغض النظر عن أهمية العلم والمعرفة، فالاندفاع يعوض العلم، وبأيدي ثـــائر يقود ميليشيا يمكن فعل أي شيء . وكان صدام حسين معجباً بالفكرة السالفة، فذهب إلى مراكز الثقافة والمعرفة العلمية العراقية ككلية الطب والهندسة والفلسفة زائراً من موقع السلطة والمسؤولية، وألقى محاضرات وخطباً سحر فيها مـــن الأكاديميين ورفع من شأن الإدارة السياسية " المقتدرة"، فالسياسي الحيوي بإمكانـــه إدارة رئاسة الجمهورية أو معـــهد علمي أو نقابة وغيرها لا فرق.

وعلى خطى عفلق قامر صدام حسين ودخل الكويت بمجرد شعوره أنـــه قادر على احتلالها !! فعل ذلك بعكس قاسـم الذي ما أن لاحظ حجم ردود الفعل ضده حتى تراجع واستبدل فكرة العمل العسكري بشعار الالتحاق السلمي، لكن صدام حسين الثائر العفلقي قرر تجاوز كل شيء بـــهستيريا " وطنية " كرر فيها هتلر وموسوليني ونظـــر إلى المســـألة وكأنـــها إرادة أو غاية التاريخ، وليس أمامنا جميعاً سوى الاندفاع دون تردد أو تفكير، وهكذا تمامـــاً أراد ميشـــيل عفلق: قلة من الشباب وشدة في الحماس والعصبية الهستيرية وتتحقق القدرة على الاقتحام والفعل، أما لماذا الاقتحـــام ولماذا السلطة وبأي شكل فيأتي فيما بعد !!

نستطع بعد شراء جريدة "الصحافة" تغيير اسمها بما يتلاءم مع طروحاتنا ومصطلحاتنا، لأن القانون اللبناني لا يسمح بذلك، فأبقينا اسمها وكتبنا تحته ملاحظة صغيرة هي " جريدة حزب البعث العربي الاشتراكي". وللتاريخ أقول أن الجمهورية العربية المتحدة كانت تمنحنا مبلغ آلاف الجنيهات شهرياً لاستمرار صدور الجريدة وشراء المطابع، لكن المساعدات قطعت بعد استقالة نائب الرئيس أكرم الحوراني والوزراء البيطار وقنوت و حمدون .

وما زلت حتى هذه اللحظة لا أدري لماذا استقال الحوراني والوزراء الآخرون، في حين بنى كل واحد منهم، فيما بعد، مجده وتفاخر استناداً إلى عمله إلى جانب عبد الناصر. وبعد سنوات التقيت في باريس بأكرم الحوراني، وعندما ذكّرته بتوقيعه وثيقة الانفصال، تحدث بفخر عن عمله ومنصبه نائباً لجمال عبد الناصر وأسماه " عدو الاستعمار ورائد القومية والوطنية العربية..." وأعتقد أن ميشيل عفلق أحّج بصورة غير مباشرة الأحواء ضد ناصر دون أن يتورط هو نفسه بموقف مباشر ضد الوحدة القائمة. فقد كان ميشيل باستمرار غير مباشر ولا يملك الشجاعة والقوة للمواجهة عندما تشتد الأمور ويتطلب الأمر موقفاً حازماً ، وهو يخاف كثيراً على حياته، ورغم حيطته وحذره وقع أكثر من مرة بما لم يكن يرغب به حتى انتهى الأمر به بين يدي صدام حسين الذي تحفظ عليه وسلب منه حلمه في الهيمنة على البعث، كما اضطر أن يعيش في وسط عراقي لا يقدره ولا يحبه أبداً بسبب موقف الشعب العراقي ذاته من مضيفه[1].

---

١ ــ قال لي سعد النزاز[18] " أتيح لي أن التقيته في نيسان ١٩٨٩ بعد أكثر من عشر سنوات على آخر مرة جلست فيها إليه، ويكفيني المقارنة بين الكلمات التي تحدث فيها في المرتين لأستنتج ملامح حالته الجديدة، ففي ١٩٧٩ قال أن تجربة الثورة في العراق ستفاجئ العالم والعرب كما تحمل مفاجأة لنا أيضا. وكان يتحدث عن أحلام وطموحات يوم لم تكن الحروب قد وقعت بعد. أما في المرة الثانية أي بعد أقل من سنة على الحرب الإيرانية فقد كان الزمن قد أضعفه، وظهر صوته خافتاً وباتت كلماته متقطعة، إلا أنه قال أمامي "إن على جيلنا الجديد أن ينهض على الفور بمسؤولية عجز عنها الجيل السابق وهي المباشرة بحوار ثلاثي الرؤوس بين القوميين والإسلاميين والماركسيين، لأن هذا الحوار هو المنفذ الوحيد لتجاوز الخلافات وتكتيل القدرات في مشروع النهضة". وكانت السلطة بعيدة تماماً عن تلك الدعوات، وكانت مجموعات كثيرة من العسكريين والمدنيين قد سيقت إلى معاقل الموت بدعوى التآمر رغم مشاركتهم لصدام حسين في الحرب الإيرانية. وأدركت يومها أن الحكم الذي يعجز عن استيعاب الموالين ويعاملهم بالشك والريبة هو عاجز عن إدارة حوار مع قوى واتجاهات أخرى، وأن كلمات عفلق كانت نوعاً من تبرئة الضمير وكأنه شعر بدنو موته. و لم يكن لدى عفلق في أيامه الأخيرة أي دور سياسي في بغداد، وكان وجوده فيها ضرورة معنوية للسلطة في صراعها ضد جناح الحزب الآخر في سوريا . ولذلك أمضى معظم وقته في منتجع بفرنسا ويتردد على بغداد إشارة إلى رغبته في أن ينوء بنفسه عن المشهد الذي يجعله ضئيلاً أمام الحاكم الذي صادر شرعية الحزب برضى عفلق نفسه يوم كان يقول "إن صدام حسين هو هدية البعث للعراق وهدية العراق للعرب!!" وإذا به يكتشف أن دوره شكلي وشاحب ويستخدم لصالح فرض سلطة الرجل الواحد الذي اعتقد يوماً أنه معقد آماله... انتهى كلام النزاز" . وهكذا انتقل عفلق إلى مكان سيكون فيه شاهد زور على أكبر وأخطر الجرائم المرتكبة ضد الشعب العراقي المظلوم الذي تأسس حزب البعث أولاً تحت شعار نصرته.

كان افضل ما لدى ميشيل عفلق هو إعطاؤه الزمن الفرصة الكافية ليدور دورته فتنضج القضايا التي لم تجد طريقها الفوري للوضوح أو التحقق ، ولم يستفد تلميذه صدام حسين من تلك الحصلة الحميدة، بل ظهر فاقداً للصبر ومجازفاً بشؤون قومية عظيمة من أجل لاشيء تقريباً.

وكانت غزوة الكويت مثالاً قاسياً على تصرفه. فلم يكن إلحاقها بالعراق لو تحقق يعني أكثر من التحاق جزء عربي من مكان " مجلس التعاون الخليجي" إلى مكان آخر، وليس في ذلك أي إنجاز تاريخي أو جوهري يستحق المقامرة بكل شيء وبصورة أضرت بالأمة العربية ضرراً لا حدود له.

في حين وَجَدتُ في شخص حافظ الأسد قائداً بعثياً يمارس القيادة ويعطي الزمن أهميته في إنضاج الأمور ويدير السياسة بأستاذية تدرك أن ما للأمة العربية هو أمر لا يحق لأي شخص حتى لو كان حاكماً المقامرة به[1].

أشخاص آخرون

تأثر بميشيل عفلق عدد من البعثيين بصورة مباشرة. ورغم اختلافه مع فؤاد الركابي بشدة لكن الأخير أدرك مثل عفلق أهمية السلطة ومعنى تسخيرها لخدمة الأهداف "العقائدية" والإيديولوجية، ولذلك اتجه في كل أعماله نحو السيطرة عليها مهما كان الثمن وحتى قبل

---

١ ــ نظر البعثيون إلى وحدة الأمة العربية على أنها لا تعبر فقط عن مصالح عملية ومنفعية، بل باعتبارها "حقيقة" تعلن عن نفسها كحق طبيعي وحتمي يشترطه أولاً وأخيراً الميل الذاتي الكامن في أعماق أبنائها، الذين يعيشون على أرضها، نحو الاتحاد. وإن كل الفوارق بين أجزاء الوطن إنما هي فوارق عرضية وستضمحل إذا ما استيقظ الوعي العربي الذي يربط روحياً بين أبنائه. إذ لا معنى للفرد بدون ذلك الربط الذي يخلق الأمة الحية ذات الرسالة الخالدة، والاستمرارية المتجددة. ولذلك وضع المنظمون البعثيون الأوائل أمامهم مهمة اختيار أشخاص أشداء أخلاقياً يتميزون بالجرأة والصدق والالتزام ليصبح الحزب بهم أداة فعالة لإيقاظ الأمة وتحويلها من الواقع المفكك إلى مخلوق حي متنوع ومتناغم وعظيم الشأن.
كما قرروا الاستفادة من الإسلام وتوظيف قدرته التحريضية لمصلحة توحيد الوطن العربي الكبير. وهتفوا للإسلام الذي نشأ وترعرع بين العرب وأعطى لإنسانية الإنسان قيماً أعلته ودفعته إلى الأمام.
وأدرك المنظمون الأوائل أن تحقيق أهدافهم ليس ممكناً بدون توفر الحرية الخاصة فورد في دستور البعث "... حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية الاعتقاد وحرية الفن أشياء مقدسة لا يمكن لأي سلطة أن تحد منها" .... لكن تلك النظرة غالباً ما تعذرت وتعثرت عملياً بسبب التآمر عليها وتحريفها قبل وبعد إقرارها، وكانت أول محاولة للإساءة إليها بدأت مع ميشيل عفلق في كتابه " في سبيل البعث " الذي يقول فيه " تكون الدولة مسؤولة عن حرية الكلام والنشر والاجتماع.... ضمن حدود مصلحة القومية العليا" وهو قول يخفي ديكتاتورية شديدة، لكنها مبطنة، يقرر فيها هيمنة الدولة أو الجماعة على الحريات الفردية الضرورية والأساسية وإخضاعها لحاجات سياسية ومادية عامة.. وكأننا بميشيل عفلق ينقل نصاً هيجلياً عن (الدولة ــ الفكرة) المتجسدة على الأرض والتي تذوب فيها كل الجزئيات والألوان ، ليطبقها على الواقع العربي، رغم أنها ظلت مجرد فكرة غير قابلة للتطبيق حتى في أوروبا حيث تفلسف هيجل مودجاً للشمولية الكونية.

التفكير بخطة أو برنامج عمل للحكم، وكانت تلك هي نفسها طريقة عفلق في الاعتماد على الحيوية والاندفاع والقوة الاقتحامية بغض النظر عن العلم والمعرفة.

وكان فؤاد الركابي يفعل ذلك دون أن تكون له مطامح شخصية، وقد لاحظت عصاميته وعدم تغير أحواله عندما كان وزيراً ثم عندما صار مختفياً في وكر حزبي. وبصورة تختلف عن تلميذ عفلق الآخر " سعدون حمادي " الذي أخذ عنه التردد والخوف. وأتذكر أنني زرت حمادي قبل محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم في مكتبه بجريدة الجمهورية وكان رئيساً لتحريرها، وبعد حديث قصير حول آفاق تطوير العمل الحزبي وأهمية استغلال جميع الطاقات المستعدة للتعاون مع البعث، وضرورة عدم ترك الساحة للشيوعيين وحدهم، لاحظته ظل صامتاً متجهم الوجه ثم خرج من غرفته وتركني دون توديعي. وبعد أيام سمعنا نبأ هربه إلى سورية، فكان صورة سيئة للتصرف الحزبي. ورغم كونه (خلال هروبه) عضواً في القيادة القطرية فقد تمكن حمادي من التخلص من العقاب بسبب الخلافات الحزبية الداخلية. وأعترف أني ارتكبت خطأً عندما جادلت علي السعدي في أمر تعيينه وزيراً للإصلاح الزراعي بعد ثورة ١٤ رمضان، فقد كان علي يكرهه ووصفه بالجبان الذي لا يعتمد عليه.

وكان ردي: بأن مهمة الشجعان قد انتهت بعد نجاح الثورة، ونحتاج الآن إلى الفنيين والمتخصصين. ولم يكن لدينا حينذاك كفاءات كثيرة، وعلينا الجمع وليس التفريط. وكنا أنا والسعدي محقين في آن واحد، وللأسف كان سعدون حمادي خيبة أمل كبيرة لكل من اعتمد عليه واتكل على كفاءته.

أما حازم جواد فكان يعني الرجل التنظيمي الأول بالنسبة للبعث في العراق، ويقترن اسمه بذهني بإدارته لأمانة سر الحزب، فبعد اعتقال محسن الشيخ راضي، تركز الاعتماد تنظيمياً عليه وأصبح نائباً أو مساعداً لعلي صالح السعدي وعضواً في المكتب السياسي والعسكري، وقد عرفته وعرفت قدراته وعملت معه في نفس الميدان، فكنت بنفس الوقت عضواً في المكتب السياسي والعسكري ومشرفاً على الاتصال الخارجي بالإضافة إلى القيام بأعمال تحريرية في جريدة الاشتراكي السرية الناطقة باسم قيادة قطر العراق للبعث.

وفي السنوات الثلاث من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ تمكن حازم جواد من البروز تنظيمياً وقام بأكثر أعمال أمانة السر التي يرأسها السعدي، وكان وفياً ومكملاً وليس خصماً أو منافساً له. وقد أصبح أميناً للسر بعد ثورة رمضان بسبب تقلد السعدي لمناصب حكومية خطيرة.

وأسوأ ما حصل لحازم جواد وعطّله عن إنجاز مهماته بصورة محكمة هو إثقاله بمهمات حزبية وحكومية خطيرة كوزارة شؤون رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية وأمانة سر الحزب

وعضوية مجلس الثورة في آن واحد. ولا بد أن أذكر بأن حازم كما السعدي والركابي تمتعــــوا بشجاعة مطلقة يمكن تلمسها في أكثر من موقعة وتجربة.

ولا أرغب في الحديث عن نفسي سوى انطلاقاً مما وصفني بـــه هاني الفكيكي في كتابـــه "أوكار الهزيمة" بالانتـــهازي !

وحسب ما أفهم إن الانتـــهازي هو غنّام الفرص للانتفاع الشخصي على حساب حقـــوق الآخرين. وعندما أعود إلى تاريخي منذ سني الشباب الأولى، أجد أنني قد أنفقت حياتي أحمـــل موقفاً وأتحمل من أجله التبعات، فشاركت بجميع المسؤوليات وقمت بجميع الواجبات. وســواء كان الأمر في ١٤ رمضان أو حركة حسن السريع، فقد كنت في قلب الخطر ، ربطت نفســي وعائلتي بمصير ما اقتنعت بـــه، فبقينا في خط المواجهة وفي الصف الأول، وإخـــواني جميعـــهم مناضلون دخلوا السجون ولعبوا أدواراً هامة وعرّضوا أنفسهم للأخطار.

و لم أستفد أو أنتفع من السلطة والمناصب، فقد عملت وزيراً للخارجية وســفيراً للجامعـــة العربية لبلادي أحد عشر عاماً ولكن لم أملك سكناً و لم أستطع إكمال بناء دار اعتيادية لنفسي في بغداد لولا تولي صديقي وأخي حازم جواد أمر إكمالها ودفع المبالغ الناقصة، و لم أستطع إيفاء ديونـــه إلا بعد سنوات.

وقد وقفت أحياناً مواقف كنت أعرف مسبقاً أنـــها ستعود عليّ بالضرر، وذلك من أجـل أن لا أبدو مزدوج الموقف وبمعيارين. وعندما واجهني علي السعدي بما كنت قد اقترحتـــه قبـل الثورة بأن لا يتولى أمين السر منصباً حكومياً مهماً، وافقتـــه وتم سحب أمانة السر من حـــازم جواد وسُلِمَتْ إلى حمدي عبد المجيد وذلك أعطى الجناح الآخر سلاحاً ضدنا وأزعـــج حـــازم جواد، ولكني لم أستطع التصرف إلا كرجل ملتزم بالعهد.

ومن جانب آخر ورغم أني أنحدر من عائلة ملاك الأراضي، فإن أرضنا لم تكن تدر مبــــالغ كافية بسبب إهمالها والانشغال بالشأن السياسي العام. وكـــانت كلفـــة زيـــارات الفلاحـــين ومراجعتـــهم لنا في بغداد أكثر من واردات الأرض نفسها، فاضطررت بعد عودتي من لندن في ١٩٥٨ إلى القيام بعمل إضافي كمترجم في " الشرق الأوسط للأنباء" بوساطة فؤاد الركابي.

وإذا كان ما قمت بـــه في خدمة ما اعتقدت أنـــه يمثل مصلحة العراق وإرادة الأمة العربية، وإذا كان تحمل الأعباء والمتاعب يعتبر انتـــهازية فأنا اقبل بـــهذه الصفـــــة. ولعـــل الوقـــائع الموضوعية والزمن يعطيان لكل حقه.

والشيء الوحيد الذي حصل بيننا هو أن هاني الفكيكي جاءنا ليعبر عن موقفه قائلاً: إن علي

السعدي لا يصلح للسلطة، فأعطونا مزيداً من الوقت لتحاشي الاصطدام وامتـــلاك الوســائل لمعالجة الأمر.

وشيء آخر تميزنا بـــه، فقد التزمنا أنا وحازم، رغم أن عفلق وجديد قاما بفصلنا بواســطة الإذاعة دون إجراء تحقيق نظامي، بعدم الانتقال إلى تنظيم آخر أو تأسيس حزب جديد، فبقينــا مخلصين للبعث و لم نــزل و لم ننظر للبعث على أنــه أوكار للهزيمة وأثبتت الحياة صحة التيــار المعتدل فيه وما زال الشارع العربي والمثقف العربي يتأثر بأطروحاتــه في الوحدة والكرامـــة.في حين قام علي وهاني وغيرهما بتأسيس حزب العمال الثوري بعد تركهم الحزب بأيام رغم أننـــا جميعاً كنا محاطين بمثقفين وليس بعمال.

وأعتقد أن سبب فصلنا هو أن ميشيل عفلق أراد استثمار سقوط حكم البعث في العراق عام ١٩٦٣ من أجل إحكام سيطرتــه على الحزب تحت شعار مراجعة تجربة العراق. فتمكن مـــن فصل علي ورفاقه وأنا وحازم، مما أتاح الفرصة له للهيمنة مجدداً واسترداد ما كان قد فقده مـــن مواقع تنظيمية وفكرية في المؤتمر القومي السادس[١].

كان عفلق غامضاً ودائم الارتباك، وأعتقد أن ذلك يعود إلى سعيه لتأسيس حركة متينـــة، تكون سلاحاً حاسماً في تحقيق آمال الأمة العربية في الوحدة والقوة، ولكن بشرط أن يبقى هـــو دون غيره على رأسها، مما اضطره إلى تبديل اجراءاتــه السياسية والتنظيمية بما يخـــدم موقعــه ومصلحتـــه.

والدرس الثاني: هو عدم تفهمه لطبيعة الدعم الذي حصل عليه من أمريكـــا وأوروبـــا في صراعه ضد إيران، فاعتقد خاطئاً أنـــه ماكر وتحدث عن الاقتدار. وعندما دخـــل الكويـــت واصطدم بالغرب، أراد استعادة نفس أساليب المناورة والخداع السياسي، ولكن هذه المرة تحول إلى أضحوكة ، ولا أدري هل لديه حظ في إدراك الفرق بين الحالتين.

هؤلاء وغيرهم كثيرون جعلوا الصراع داخل السلطة فجّاً ومملاً، وأظهروا أنفسهم محتكريـــن بائسين لها، رغم احترامنا لهم ولتاريخهم كأشخاص، لكنـــهم أداروا صراعاً عبثياً بائساً.

وأهم هؤلاء الرجال: عبد السلام وعبد الرحمن عارف وطاهر التكريتي وعبد الكريم فرحـــان

---

١ ـــ بعد سقوط حكم البعث، حصل في العراق فراغ سياسي استمر منذ نـــهاية عام ١٩٦٣ حـــتى عـــام ١٩٦٨، وكانت تلك أشبـــه بمرحلة انتقالية أو تمهيدية لقيام سلطة ١٧ ـــ ٣٠ تموز ١٩٦٨، فتداول السلطة فيها، بين حكـــام ومعارضة "شبـــه حكومية"، حوالي ثلاثين شخصاً وتناوبوا على مراكز السلطة أو السجن أكثر من مرة خلال خمـــس سنوات.

وصبحي عبد الحميد وأديب الجادر وخير الدين حسيب وناجي طالب وسعيد صليبي ومحسن حسين الحبيب وعارف عبد الرزاق وعبد الرحمن الداود ورشيد محسن وعبد العزيز العقيلي وعبد الغني الراوي ومحمد مجيد ورشيد مصلح التكريتي وبديع شريف العاني وعبد الكريم هاني وإبراهيم الشلال وعبد الرحيم الأرحيم وعبد الرحمن البزاز ورجب عبد المجيد وعبد الهادي الراوي وأحمد الحبوبي وشكري صالح زكي وشامل السامرائي وأحمد حسن البكر وأنور ثامر وعبد اللطيف الدراجي وسعدون غيدان وهادي خماس وصعب الحردان وشفيق الدراجي ونافع أحمد وبشير الطالب وعبد الستار عبد اللطيف وعزت مصطفى، وغيرهم.

ملحق رقم (١)

وعود البكر

خان البكر جميع زملائه الذين أقسم معهم على عدم الخيانة، مستخدماً مع كل منهم طريقة خاصة في القسم تتناسب مع مستوى وثقافة وميول الحليف (الضحية) مما يدلل على مكره ودهائه. فأقسم مع حردان التكريتي (وزير الدفاع) في مرقد الحمزة ثم انتقل معه إلى مرقد العباس بن علي بن ابي طالب في كربلاء واقسم معه على عدم الخيانة، لكنه في نفس الوقت تركه لصدام حسين يتآمر عليه ثم يغتاله في الكويت مستخدماً وسائل الدولة وموظفيها الكبار كوزير الخارجية عبد الكريم الشيخلي. واقسم مع صالح مهدي عماش وغدر به. لكن عماش انقذ نفسه بأن اظهر الكثير من التذلل والصبر والتعفف عن مراكز الدولة، بل ورشح نفسه سفيراً في عواصم بعيدة عن مركز السلطة. وبالغ في الايحاء عن تردي صحته وإنتهاء مهمته في الحياة.

وسنأخذ نماذج اخرى من حوادث حنث فيها البكر بوعوده مع بعض التفاصيل.

اولاً : قطع البكر عهداً للضباط البعثيين عام ١٩٦٣ بأنه سيقف معهم في المحافظة على سلطة الحزب اذا ما وقفوا ضد علي صالح السعدي وجماعته، لكنه كان في الوقت نفسه يحسب موازين القوة ليحسم امره مع الاقوى. فخانهم بمجرد شعوره باحتمالات الفشل، وسلم كل شيء إلى عبد السلام عارف ووافق على منصب شكلي مؤقت، ريثما يتمكن عارف من احكام قبضته على الدولة وتصفية الحرس القومي وبذلك يكون قد خان ايضاً وعده للحزب الذي اقسم على الاخلاص له عند نيل عضويته.

ثانياً : في عام ١٩٦٣ وتحديداً في بداية شهر نيسان كان الوفد العراقي إلى مفاوضات الوحدة يرافقه اكراد مثل جلال الطالباني وفؤاد عارف. وهؤلاء طالبوا عبد الناصر بالحصول على وعود من الحكومة العراقية باستمرار السلام وتحقيق المطالب الكردية البسيطة حينذاك. ومن اجل تجنب ما يثيره الاكراد اقسم لهم البكر على مصحف بعدم وجود اية نوايا للقتال، وعندما اندلعت الحرب دون مبرر كاف، أخذ فؤاد عارف الاوراق الخاصة بوزارته واعماله، وسلمها للبكر بمكتبه برئاسة مجلس الوزراء قائلاً له : تقسمون على القرآن ولا تلتزمون به. ولذلك استمر فؤاد عارف يصف البكر في مجالسه الخاصة "حقوداً وليس وفياً". ويُذكر ان فؤاد عارف هو الذي انتزع المسدس من يدي عبد السلام عارف عندما حاول الاخير إغتيال الزعيم في

غرفتـــه، وقد عاتبـــه عارف على ذلك يوم ٩ شباط ١٩٦٣ عندمـــا تم تعيينـــــه وزيـــراً في الحكومة الجديدة، كما وقّع برقية تأييد الحركة الكردية لحركة ١٤ رمضان مع صالح اليوسفي.

ثالثاً : مع الحرب الشيوعي قبيل ١٧ تموز ١٩٦٨ وخلال تحضير عدد كبير مـــــن القـــوى للانقضاض على سلطة عبد الرحمن عارف الضعيفة والمفككة الـــتي كـــانت تعصـــف بـــــها الخلافات، إتصل احمد حسن البكر بمكرم الطالباني، وطلب منـــه إبلاغ قيادة الحزب الشـــيوعي بأن حزب البعث "كتلة البكر" قد أعدّ الترتيبات للقفز إلى السلطة ولا يفصـــل بينـــــه وبـــين السلطة سوى ترتيبات شكلية، والمسألة اصبحت مسألة وقت ليس إلا، لذلك فهو والمتعـــاونون معه يرغبون بإعلام قيادة الحزب الشيوعي بأهمية التعاون بينـــهما في قيادة الســـلطة القادمـــة. وحينذاك سأله مكرم اسئلة كثيرة من قبيل مَنْ معكم ؟ وماذا تنوون فعله ؟ فكانت ردود البكـــر غامضة و لم يعط مُحَدِثَه أي تصور عن كيفية التعاون المطلوب، لكنـــه كرر عليه : نريد سلاماً وتعاوناً مع الشيوعيين ولا نريد تكرار تجربة ١٩٦٣.

عرض مكرم الطالباني الامر على حزبـــه الذي كان يشتبك حينـــها في مفاوضات هامة مع حزب البعث (اليسار) والحركة الاشتراكية العربية والاكراد لإعلان جبـــهة وطنية تكون مقدمة لاستيلاء الإئتلاف الوطني على السلطة. وحصل داخل الحزب الشيوعي نتيجة لذلك اجتماعات ونقاشات كثيرة، مال خلالها الشيوعيون إلى الحلف مع البعث اليســـار والحركـــة والاكـــراد، لكنـــهم رأوا ايضاً : اذا كانت جماعة البكر قريبة من الانقلاب على السلطة فعلاً، فلا بأس من الانتظار قليلاً ورؤية النتيجة.

وبذلك استطاع البكر كسب حياد الحزب الشيوعي وتلكـــؤه في حســـم امـــره داخـــل المفاوضات الجارية لإعلان الجبـــهة، بل ادى ذلك التباطؤ إلى تأخير اعلان الجبـــهة التي انتظرها الشارع السياسي العراقي بصبر نافد لمدة اسابيع كانت كافية كي تُبْرَم الصفقة بـــين النـــايف والبكر في اجواء مطمئنة تغيب فيها المنافسة مؤقتاً.

وحصل فعلاً إنقلاب ١٧ تموز غير المفاجئ، وكان الشيوعيون حتى تلك اللحظة مرتبكـــين حول كيفية التعامل مع الاحداث وتقويم الموقف، خصوصاً بسبب إتصال البكر بمكرم ووعـــده له. وفي اليوم التالي للانقلاب ذهب عزيز محمد السكرتير الاول للحزب إلى بيت عضو المكتـــب السياسي باقر ابراهيم الموسوي وبعد مناقشة إتفقا على عدم قطع الـــرأي، والاكتفـــاء بتقـــديم مطالب وانتظار النتائج. ثم حضر المرحوم مهدي عبد الكريم عضو اللجنة المركزية الذي وافـــق على ما إتفقا عليه، وإلتحق بـــهم بـــهاء الدين نوري الذي رفض بشدة وحذر من مغبة عرض المطالب الاصلاحية ومن خطر إعطاء النظام الفرصة قائلاً : ان جماعة البكـــر "فاشســـت" ولا يستحسن ان تُترك لهم الفرصة للتريث والتنفس، ويجب علينا رفع شعار إسقاط السلطة فـــوراً. واخيراً إستقر الموقف على عرض المطالب وإلتزام الهدوء والحذر.

وذهب مكرم الطالباني إلى البكر مكلفاً من قيادة الحزب ، وقال له : سيادة الرئيس كنا معارضة وإتفقنا على التعاون بعد استيلائكم على السلطة. فرد البكر متنكراً لوعده : "كنت اريد ان ادخل إلى القصر الجمهوري وعلى يميني بعثي وعلى يساري شيوعي، لكنكم لم تكونوا موجودين". ثم استدرك وتحدث مطولاً حول عدم قدرته تنفيذ ما وعد به متعكزاً على وجود تناقضات داخل السلطة، خاصة وان عبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود يشاركانه السلطة وهما عدوان للشيوعية[20].

رابعاً مع نعمة كاظم الرماحي : ونعمة (ابو جعفر) من قياديي البعث في النجف الاشرف، ومن منبت عمالي، إمتلك على طول الخط شعبية واسعة بين العمال، ميّزته عن اقرانه البعثيين في عدم تحوله بعد الانتماء إلى الحزب إلى "افندي"، وإنما ظل على سجيته الشعبية المتواضعة، مباشراً وليس فظاً، لكنه كان متحمساً ومبدئياً. وبعد سقوط سلطة حزب البعث في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ بفترة، ذهب مع وفد حزبي من منطقة النجف ومحيطها لمقابلة احمد حسن البكر في داره بعد ان إتفقوا فيما بينهم على مخالفة البكر وتحميله مسؤولية فقدان الحزب لسلطته. وخلال ذلك اللقاء الذي ضم صدقي ابو طبيخ ومحمد الجصاني ومهدي الشوكتي وعبد الحسين الرفيعي ونعمة كاظم وغيرهم، استطاع البكر ان يغمز نعمة ويتقرب اليه ويعِدُه خيراً !! ويذكره بقرابته له (يدعي البكر انه رماحي ايضاً، واتصل مرة بشيخ الرماحيين في النجف "نجم عبود خلف" خلف لتأكيد تلك القرابة، وله في هذا المجال قصة ليس هنا مجال ذكرها)، وأثّر ذلك بنعمة كاظم الذي ترك رفاق طريقه ليلتحق بخط البكر (اليمين)، بل انه زاره مرات كثيرة وتفرغ لإدارة عمل تنظيمات حزب البكر في الفرات الاوسط، ومنح ٢٠٠ دينار اشترى بها سيارة لتسيير الشؤون الحزبية والتنقل بين المدن والأرياف. وبعد مرور فترة طويلة تعطلت السيارة وحاول اصلاحها او إرجاعها للحزب، فلم يجد من يهمه الامر، لأن الظروف السياسية لم تكن مؤاتية، فتركها في مرآب للسكراب.

وتدور الايام ويصل حزب البكر ونعمة للسلطة، ويحصل الاخير على موقع حزبي محلي متميز، لكن احباب السلطة كثيرون ويتنافسون على كل شيء، وتكثر مؤامراتهم التي عانى منها نعمة، فيلجأ إلى صديقه احمد حسن البكر بمعية وفد كبير ضم وجهاء وتجار مدينة النجف سافر بهم إلى بغداد واستقبلهم البكر. وبسبب حاجة نعمة إلى الظهور بمظهر الصديق الذي ترتفع التكاليف بينه وبين رئيس الجمهورية اخذ يناديه "ابو هيثم" ويضع يده على كتفه عند التصوير ويمازحه، وكان الرجل بحاجة لذلك لينقل النجفيون ما يشاهدونه من ود ورباط بين "ابو جعفر" و "ابو هيثم" إلى أهالي المدينة.

وعندما أزَفّ وقت خروج الوفد أشار البكر إلى نعمة بالبقاء قليلاً، ففرح لهذه البادرة، وعندما خلا لهما المكان، سأله البكر: اين السيارة الحزبية التي سلمها لك الحزب، فقد كلفتني

القيادة ان اسألك عنها ؟ فبهت نعمة من هول المفاجأة، لكنه شرح للبكر ما آلت اليه، وأضاف انه ليس بحاجة إلى ثمنها وانه كان دائماً ميسوراً و لم يكن بحاجة إلى مساعدة من احد (وكان صادقا)، ثم إقترح ان يعيد للحزب قيمتها من حيبه الخاص. فرد البكر : ان ثمن السيارة السابق يعادل الآن بالنسبة الينا مليوني دينار، فقد كنا خارج السلطة والآن بيدنا العراق كله.

ويبدو ان البكر انزعج من تصرفات نعمة معه امام الوفد النحفي، فضلاً عن اخبار وتقارير وصلت ضده من مكتب العلاقات العامة لانه تورط وإختلف مع رجالهم في النحف إضافة إلى فقدان البكر حاجته لنعمة. و لم يمض وقت طويل حتى وصل إلى منطقة الفرات الأوسط، وفد حزبي من القيادة القطرية برئاسة صلاح عمر العلي للتحقيق في الخلافات الحزبية المحلية في أكثر من قضية وكان من بعض نتائجه فقدان نعمة كاظم لموقعه الحزبي وتجميده.

خامساً : مع جماعة بيروت التي تضم ناصر الحاني ولطفي العبيدي وعبد الرزاق النايف وابراهيم الداوود. وهذه الجماعة اتصلت بواسطة الحاني والعبيدي وآخرين بعبد العزيز العقيلي ورجب عبد المجيد وعبد الستار عبد اللطيف واحمد حسن البكر، كل على حدة. وبصورة غير مباشرة بمنذر الونداوي وحركة القوميين العرب[21]. وكانت تفضل الاتفاق مع العقيلي، لكنها وحدت، بعد رفض الونداوي وحركة القوميين العرب، السهولة والشروط الميسرة لدى احمد حسن البكر. وكان لدى الجماعة مشروع انقلاب جاهز، وتحتاج "تمثيليتهم" إلى متعاون له سابقة سياسية، يعطي الانقلاب مبرراً وغطاء سياسياً. وكان البكر سخياً وموافقاً على كل الطلبات، لانه سينكث، ويسترد كل شيء بعد حين !! وفعلاً وبعد ايام من الانقلاب نفذ خطته وانقلب على حلفائه الجدد، النايف (رئيس وزراء) وناصر الحاني (وزير خارجية) وعبد الرحمن الداوود (رئيس اركان الجيش). ونقل الي احد قادة السلطة (حينذاك) ان البكر همس في إذنه في ٢٥ تموز ١٩٦٨ قائلاً : اعطونا "مهلة" وستشهدون نهاية النايف والداوود.

وقتل الحاني وهرب الداوود واغتيل النايف وظل العبيدي خارج الوطن حتى الموت. وذكر لنا هلال بلاسم الياسين (شيخ ربيعة) وهو عديل عبد الرزاق النايف، في دمشق بدار سهيل السهيل وبحضوري (علي كريم سعيد) ومظفر النواب والشيخ طالب السهيل وباقر ياسين، ان احمد حسن البكر ارسل اليه رسولاً معتمداً إلى القاهرة يعرض عليه قتل عبد الرزاق النايف بأية وسيلة يجدها مناسبة، ويفضل ترتيب الامر لشخص ثالث يدس له السم، مقابل تلبية جميع طلباته. ويدعي هلال الياسين انه ابلغ رسول البكر رفضه، قائلاً : اننا عرب وترفض طبيعتنا هذا النوع من الغدر. وادعى ايضاً انه كان حينذاك يمول النايف ويساعده.

والغريب ان هلالاً عاد للعراق بعد أقل من عام واحد، فوراً إثر غزوة الكويت، وذلك يلقي ظلالاً وغموضاً عليه وعلى اساليب السلطة وعلى مقتل عبد الرزاق النايف.

مراجع:

[1] حسن مصطفى النقيب – لقاء في كردستان العراق ١٩٨٢.

[2] د. جليل العطية، نقطة ضوء، جريدة الوفاق، ٥ حزيران ١٩٩٧.

[3] د. جليل العطية، فندق السعادة ... واكد دلك الكاتب مير بصري في كتابه : اعلام السياسة في العراق.

[4] احمد الحبوبي، ليلة الهرير، مخطوط.

[5] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[6] ميشيل عفلق، جريدة الاخبار،بيروت، ١٧ شباط ١٩٦٣، ونشرها بطاطو في كتابه (العراق) جزء ٣ صفحة ٣٤.

[7] حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، مرجع سابق، صفحة ١٧١.

[8] عبد الكريم فرحان، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.

[9] عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مرجع سابق، صفحة ٢٦٣.

[10] هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مرجع سابق، صفحة ٣٤٤.

[11] د. تحسين معلة، مقابلة، دمشق، ١٩٩٦.

[12] اسعد الفريح، مدير مكتب رئيس الوزراء حينذاك، حديث مع احد كوادر حزب البعث في معتقل قصر النهاية بعد إنقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨.

[13] صفاء الفلكي، مقابلة.

[14] صفاء الفلكي، مقابلة.

[15] حسن العلوي، اسوار الطين، مرجع سابق، ص ٢٠٠-٢٠١.

[16] مسعود البرزاني، لقاءات في ١٩٨٢ خلال "الثورة العراقية" بحضور اللواء الركن حسن مصطفى النقيب، وشناوة طاهر حسنين (ابو رياض).

[17] مشعان الجبوري، حديث لتلفزيون **MBC** الشرق الاوسط.

[18] سعد البزاز، مقابلة، لايدن هولندا، ١٩٩٧.

[19] راجع حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٩٩٠.

[20] باقر ابراهيم الموسوي، مقابلة، دمشق، ١٩٩٤.

[21] محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مرجع سابق. ومقابلة مع بعثي رفض ذكر اسمه.

أوراق ورسائل شخصية

رسالة إلى جورج بوش

فخامة الرئيس جورج بوش رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هجمة الشتاء القارص في الحدود العراقية ستكون شديدة بالنسبة إلى العراقيين لا سيما الأطفال وحديثي الولادة والمرضى، كما كان الصيف قاسياً أيضاً عليهم. وقد نتج عن النقص الحاد في التجهيزات الطبية والغذائية والطاقة الكهربائية في المستشفيات والعيادات الطبية وشحة مياه الشرب النظيفة وفاة الآلاف من الأطفال العراقيين تحت الخامسة. وقد أكدت ذلك دراسة أجراها فريق بحث طبي من جامعة هارفارد في باريس عام ١٩٩١ . ومنذ ذلك الوقت أشارت جميع التقارير والتقديرات التي وضعها نفس الفريق وفرق أخرى كأطباء بلا حدود ومنظمات إنسانية ووسائل إعلام دولية، إلى هذه المأساة المروعة. وإن هذه التقارير على قوتها لا تمثل سوى القليل من أبعاد المأساة لأن سبل الحصول على معلومات من قبل وسائل الإعلام والمنظمات الإنسانية والأجهزة التابعة للأمم المتحدة تخضع لقيود شديدة جداً تمارسها السلطة العراقية في بغداد وفي بقية المدن العراقية الأخرى.

إن مئات الآلاف من الناس الذين هربوا من جحيم صدام حسين بعد قمع الانتفاضة الشعبية ولجأوا إلى الأهوار ومناطق نائية هناك دون أن يعلم العالم عنهم أي شيء. ومن نافلة القول أن نذكر أن حصص الغذاء كانت توزع من قبل النظام على أسس انتقائية وعشوائية تماماً، وهناك العديد من الانتفاضات غير المنظمة التي انطلقت في أجزاء من بغداد بسبب مشاكل غذائية وصحية، وقد تم إخمادها من قبل قوات الأمن. ولا يمكن بأي حال من الأحوال عقد الآمال على تلك الانتفاضات في إسقاط النظام. إن الوحشية والقسوة التي استخدمت في إخماد الانتفاضة الشعبية في العديد من مدن العراق حيث فقد النظام سيطرته، تشير إلى طبيعة النظام وازدرائه وامتهانه للحياة الإنسانية.

ولعل المجموعة الدولية قد أصبحت على درجة كبيرة من الوعي بالنسبة لهذه المأساة المتفاقمة،

فالقرارات التي أصدرها وتبناها مجلس الأمن (٧٠٦ ، ٧١٢) في عام ١٩٩١ ، حول السماح للعراق ببيع كميات محدودة من النفط أخذت بعين الاعتبار الموقف المتردي السائد في العراق، وقد أبرز مجلس الأمن في تلك القرارات قلقه على الموقف الصحي والغذائي للعراقيين، والخطورة الناجمة عن تفاقم مثل هذا الموقف، وقد نصت هذه القرارات على استخدام مبيعات النفط لتمويل شراء مواد غذائية وطبية للشعب العراقي وتقديم مساعدة إنسانية مناسبة. وجاء رفض النظام العراقي لهذه القرارات على أساس أنها تنتهك سيادته الوطنية، في حين تشير الحقائق إلى أن النظام قد برهن مراراً وتكراراً على أنه لا يكترث إطلاقاً بحياة وصحة الشعب العراقي، وهمه الوحيد أن يحافظ على سلطته الديكتاتورية الجائرة.

إن هذا النظام يعطي ويمنع الناس الغذاء والدواء ويستخدمه كثواب أو عقاب بهدف أخضع لديكتاتوريته. إن هذه السلطة وزبانيتها تحاول أن تستثمر قلق المجتمع الدولي لا سيما في العالم العربي والإسلامي للتأثير في العقوبات التي تفرضها الأمم المتحدة.

إن فشل العقوبات الدولية في التخفيف من معاناة الشعب العراقي قد سمح لصدام حسين أن ينجح في تحقيق هدفه المذكور، وقد ساعده على ذلك إخفاق القرارات الدولية (٧٠٦ ــ ٧١٢) في تحقيق النتائج المرجوة لأنها لا تملك آلية تنفيذية فعالة بل ظل أمر تنفيذها مرهوناً بإرادة النظام العراقي.

لقد صرح قادة التحالف مرات عديدة أن جهودهم متوجهة ضد نظام صدام حسين وليس ضد الشعب العراقي. كما طلبوا من الشعب العراقي أن ينتفض ضد صدام، وقد قام الشعب بذلك واستلم زمام الأمور في العديد من المحافظات العراقية، لكن قوات صدام حسين قامت بإخماد الثورة (الانتفاضة) مستخدمة الدروع والمدفعية على نحو وحشي وعلى مرأى ومسمع من العالم الذي لم يحرك ساكناً، مما نتج عنه هذه المعاناة. إنها مأساة ومفارقة أخلاقية ساخرة تمثلت في موت أطفال العراق في حين صدام حسين ونظامه باقيان.

في ضوء هذا الموقف الذي لا يحتمل، على مجلس الأمن أن يتخذ إجراءات عاجلة وفعالة في التخفيف من وقع هذه المأساة الإنسانية ولذلك نقترح على الحكومات العضوة في مجلس الأمن عقد اجتماع عاجل لدراسة التدابير والإجراءات التالية:

١ ــ الإدانة القوية لسياسة عدم امتثال الحكومة العراقية لقرارات مجلس الأمن (٧٠٦، ٧١٢) ولإعاقته الجهودات التي تبذلها منظمات إنسانية متعددة للتخفيف من معاناة الشعب العراقي.

٢ ــ أن ينشئ المجلس لجنة خاصة ذات صلاحيات لتتولى أعمال التخفيف من معاناة

الشعب العراقي.

٣ ـــ إنشاء صندوق دولي خاص لدعم هذا المجهود، على أن يبقى تحت إشراف وإدارة اللجنة الخاصة المنبثقة عن مجلس الأمن.

٤ ـــ الطلب من الدول الأعضاء المالكة لأرصدة العراق المجمدة أن تفرج عنها بنسبة تصل إلى ٢ بليون دولار لتمويل جهود الإغاثة.

٥ ـــ الطلب من الدول الأعضاء أن تساهم وتسلم اللجنة الخاصة أموالاً بقدر يتناسب مع قدراتها على الإقراض والمساعدة. وتتحمل الحكومة العراقية مسؤولية تسديد هذه القروض مستقبلاً بطريقة مماثلة لتلك التي شرعت لتعويض ضحايا العدوان العراقي ضد الكويت.

٦ ـــ الطلب من الدول التي فيها منصات لتحميل النفط العراقي والتي تقف فيها بواخر حاملة للنفط العراقي ببيعه بواسطة اللجنة الخاصة وتحويل الأموال إلى الصندوق الدولي الخاص.

٧ ـــ الطلب من الدول المجاورة للعراق تسهيل عمليات شحن الغذاء والدواء والضروريات الأخرى بكل الوسائل الممكنة إلى داخل العراق.

٨ ـــ تتولى اللجنة الخاصة تنسيق العمل مع الوكالات المختصة التابعة للأمم المتحدة ومع كافة المنظمات الإنسانية والخيرية باتجاه دعم جهود الإغاثة.

٩ ـــ يطالب مجلس الأمن الحكومة العراقية بالتخلي عن التدخل أو إعاقة جهود لجنة الإغاثة الخاصة وتسهيل عملها بالسماح باستخدام الغذاء والدواء وتوزيعهما تحت إشراف الأمم المتحدة.

١٠ ـــ يتولى مجلس الأمن تقديم الحماية والأمن لفرق ومراكز توزيع المساعدة التي تعتبرها اللجنة الخاصة ضرورية لتنفيذ هذا الأمر.

إن هذه المقترحات التي قدمت نوقشت من قبل فصائل المعارضة العراقية وحكومات معينة أخرى ولاقت تأييداً عاماً وستقدم إلى رئيس مجلس الأمن وأعضائه.

نلتمس من حكومة الولايات المتحدة والحكومات الأعضاء في مجلس الأمن والأمم المتحدة أن تبادر إلى اتخاذ إجراءات عاجلة وفعالة للتخفيف من هذه المأساة الإنسانية التي يعيشها الشعب العراقي.

إن مجلس الأمن وقوات التحالف التي شاركت في تحرير الكويت تتحمل مسؤولية خاصة تجاه دعم المجهودات الإنسانية الضرورية جداً للشعب العراقي.

إن الحماس والجهد الذي قدمه مجلس الأمن للبحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية

وتدميرها ومنع استخدامها، كان يجب أن يوزايه مجهودات وحماس أكبر للحيلولة دون استمرار معاناة الشعب.

وإذا كنا نؤمن بحقيقة النظام العالمي الجديد وبأهدافه فإن هذا الإيمان يجب أن يتعزز بالعمل باتجاه أن تكون حقوق الإنسان وكرامته واحترامه مكفولة وواحدة لا تتجزأ.

طالب شبيب

واشنطن ــ ١٩ تشرين الثاني ١٩٩١

رسالة إلى عبد الله بشارة

معالي الشيخ عبد الله بشارة المحترم

أمين عام مجلس التعاون الخليجي

أخي الكريم

تحياتي لكم وللأسرة الكريمة وتحيات بهاء وأسرته حيث أنني معهم هذه الأيام وألخص لكم بعض الجهود والأمور التي تمت خلال الأيام القليلة الماضية:

١ ــ زرت واشنطن في الفترة من ١٧ ــ ٢٣ الجاري لتقديم المذكرة المرفقة إلى الرئيس الأمريكي كما قدمت المرفق إلى رئيس مجلس الأمن الدولي لأن المجلس سيبحث في الثاني من كانون أول (ديسمبر) قضية الحظر الاقتصادي على العراق ــ وأكون شاكراً ــ لملاحظاتكم حول مقترحاتنا المتضمنة في الرسالة إلى الرئيس بوش حول عمليات إغاثة الشعب العراقي وذلك لخبرتكم العميقة والطويلة بأعمال مجلس الأمن ولما تقترحونه بهذا الشأن.

التقيت أثناء الزيارة بمسؤولين من كل الجهات الأمريكية التي لها شأن بقضية العراق ووجدت للمرة الأولى بعد انتهاء الحرب أن الجو يتجه إلى تحرك سريع ينهي حالة الجمود ويعالج استمرار صدام في السلطة بشكل جدي وإنني متفائل بجدية المسعى والعزم. وقد قام الأخ بهاء في ٢٥ الجاري بزيارة مكملة لاستكمال البحث والأمور التنفيذية والإجرائية.

قابلت سمو الأمير بندر لفترة طويلة وكان في غاية التفاؤل والعزم وأخبرني بمقابلته نفس اليوم لكل من بيكر والرئيس بوش وغادر إلى المملكة في نفس الليلة لمتابعة الموضوع ذاته.

اعتقادي أن قرار العمل الجاد قد تم اتخاذه وما هو مطروح للمناقشة على أعلى المستويات هو البحث في أنجع البدائل للعمل، ولا شك أنك مطلع على الأمور ومتابع لها، ولا بد أنك لاحظت أن الصحف الغربية صعدت الحملة على صدام والصحافة العربية مليئة بالتوقعات.

٢ ــ بحثنا مع وزارتي الخارجية الأمريكية والبريطانية مشاركة وفد شعبي عراقي يتواجد في مؤتمر داكار للدول الإسلامية وأكدوا الفائدة الكبيرة من حضور وفد موحد يجابه دعايات ونشاط الوفد الحكومي العراقي.

الأمر نفسه تم بحثه مع سمو الأمير بندر الذي إضافة إلى دعمه للمشروع أبدى الاستعداد الكبير لتذليل العقبات أمام تواجده وتسهيل مهمته.

وإلى جانبنا نعمل مع المجموعات العراقية المتواجدة هنا ولندن ودمشق والسعودية وطهران وغيرها، ووجدنا توافقاً في الرأي وربما للمرة الأولى استعداداً للعمل المنسق والموحد بما في ذلك الأكراد. والصعوبة هي في الحصول على سمات الدخول إلى السنغال ولعل بإمكانكم العون، إضافة إلى جهود المملكة والأمير بندر.

أعتقد أنكم ستكونون متواجدين في المؤتمر ولا شك في دعمكم وإرشادكم للوفد ليتحسن أداء مهمته وسيكون في رئاسة الوفد اللواء حسن النقيب والسيد محمد باقر الحكيم أو أخوه عبد العزيز، عن الأكراد محسن دزة ئي أو شخص بمقامه إضافة إلى الأطراف العراقية الأخرى.

رجائي وأملي بذل جهودكم الخيرة في دعم المسعى مع الاخوة أعضاء المؤتمر من دول الخليج وخصوصاً دولة الكويت لما سيكون لذلك من أهمية معنوية تؤثر في الآخرين.

ولك منا جميعاً ولأسرتكم تمنياتنا بالصحة والخير وتعبيرنا عن المحبة.

أخوكم

طالب الشبيب

سان فرانسيسكو ـ ١٩٩١/١١/٢٩

رسالة إلى عبد الله الأحمر

الأستاذ الرفيق عبد الله الأحمر

الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي ــ القيادة القومية ــ دمشق

١٩٩٢/١/١٢

الأخ الكريم أبا حهاد،

لم تتح لي فرصة توديعكم عند مغادرتي دمشق ولكنني أبقى شاكراً ووفياً لما لقيتــه دائماً من الرعاية وحسن الاستقبال.

بعد عودتي أجريت اتصالات واسعة في الأوساط الغربية، رسمية، سياسية وإعلامية، فوجدت قناعات ومؤشرات أرى من واجبي إطلاعكم عليها وهي ليست أكيدة بالضرورة ولكنني مقتنـع بصحة ما أعلمكم بــه إلا إذا لسوء التقدير أثبت العكس .

إن قضية العراق أصبحت، كما تستحق، أسبقية دولية من حيث سياسة الولايات المتحـــدة ومعها التحالف الغربي في ترتيب الوضع السياسي الجيوغرافي لوطننا وفقاً لمعطيات جديـــدة لا زالت غير واضحة أو معروفة بالكامل. لذا فإن ما أكتبــه هو ملاحظات ومقترحات للنظر وفقاً لما تربطنا من أواصر.

١ ــ لقد مرت فترة كان الهدف فيها منذ مؤتمر بيروت هو تحديد وتحجيـــم دور ســـوريا وذلك عن طريق جر التيار الإسلامي ممثلاً بإيران والقيادة الكردية عبر هذا الطريق.

٢ ــ إن محل انعقاد المؤتمر هو قضية مركزية لا أحتاج لشرح أهميتـــها وإن قضية التمويـــل هي أرخص وأدنى أطروحة لحركة كفاح سياسي.

إن فكرة عقد المؤتمر في المنطقة الكردية أمر مبالغ في التفاؤل وفي قناعتي غير قابل للتحقيـــق عملياً، وإن مثل هذا الأمر حتى لو قُبِلَ من طرف الأكراد سيساهم في تمزيق الحركـــة الكرديـــة وهو ليس بصالحنا، كما أنـــه سيترك الأمر لصدام وأجهزتـــه بإنـــهاء المؤتمـــر قبـــل ابتدائـــه بعمليات لا يزال قادر عليها من شأنـــها أن تؤجل المؤتمر أو تدخله في تعقيدات جديدة مما قـــد يتبع بعض أفراد المعارضة إلى طرح فكرة اللجوء إلى المقر الذي لا ملاذ عنـــه وأعـــني بذلـــك السعودية.

٣ ــ إن اعتبار مؤتمر بيروت الأول فاشلاً هو أطروحة أعداء الخط العـــروبي لأنـــهم لم

يكونوا أصلاً لا مع الشعب العراقي ولا قضيته وعروبته، بل كانوا مع صدام ولأن سوريا التي ارتبط بها خط معارضة صدام طوال عشرين عاماً كانت معقل التحضير والتأمين والحماية نجحت في ذلك كل النجاح.

٤ ـ أما أطروحة مصر فهي كاذبة أصلاً، لأن مصر ليست راغبة واقعياً وحتى ولو وافقت فبامكانها أن تتراجع في آخر لحظة وربما بضغط من السعودية لكي تكون بالنتيجة المكان الوحيد المؤهل. وفي هذه الحال يكون أمراً لا يمكن رفضه لأننا لم نعد البدائل والاحتمالات مسبقاً.

٥ ـ إنني أعتقد أن مكان المؤتمر المثالي هو لبنان وبالإمكان كما سبق أن تثبت قضية تأمين الحماية والإدامة والتنظيم. كل ما نحن بحاجة إليه وبدون خجل هو التواضع في العهد بالمسؤوليات، ولا زلت أتذكر ملاحظتكم القيمة في أول مقابلة معكم بعد المؤتمر بأن المهمة هي توحيد التيار القومي وإنعاشه وأعتقد أننا قمنا بما هو متاح لنا من إمكانيات بما يجب حيث سيطرت مبادرات التيار القومي في الأشهر الماضية على ساحة المعارضة العراقية ولكن يعوزنا الكثير من توافر الثقة والتنسيق في تقديرنا للعناصر التي قبلنا أن تكون محسوبة على التيار القومي وتقدير ثباتها وأهميتها وقدرتها على المواجهة عند الحاجة.

٦ ـ إن الاعتراض حول لبنان سيطرح ولكن ذلك يجب أن يكون متوقعاً من قبلنا وأن نتهيأ مسبقاً بمكان أو مكانين على الأقل كبدائل عملية مدروسة آخذين بالاعتبار قضية الأمن والتعامل مع الكلفة المالية ويجب أن تكون القضية المالية آخر اهتماماتنا لأن معارضة لا تستطيع جمع المال لعقد مؤتمر لن تتمكن من مواجهة نظام يملك كل الأموال. أعتقد أن بإمكاننا التعامل مع هذا الموضوع عن طريق التبرعات من العراقيين والعرب في أوروبا وأمريكا.

٧ ـ عروجاً على الذي اعتبرناه لحد الآن ضمن التيار القومي، اعتقد ضرورة إعادة البحث والتمحيص لنكون على أرض صلبة عند انعقاد المؤتمر. وإذا كنتم تقدرون له أهمية مصيرية يجب أن يسبق ذلك عقد لقاءات مشتركة يتفق فيها مسبقاً على المواقف الرئيسية الواجب اتخاذها وفي كل الأحوال يجب أن نحرص على أن لا يبدو وكأنه خصوصية سورية أو جناح للبعث أو من يحسب عليه.

٨ ـ أعتقد أننا حققنا كتيار قومي جهداً حسناً وأعتقد أننا أصبحنا بديلاً مقبولاً لنظام صدام على الصعيد الداخلي والعربي والدولي، المهم أن يكون موقف الدولة والحزب والمنظمات الحليفة متسماً بالموضوعية.

٩ ـ إن الدول الغربية وبما فيها أولاً أمريكا يهمها (حالياً) إزاحة صدام ويعولون كثيراً على الصورة التي تبرز أمام المجتمع الدولي وأنتم في الأمر أعرف. ولذلك فإن التواضع في إبراز الاتجاه

الإسلامي في المؤتمر سيكون له تأثير إيجابي في الساحة الدولية والأهم من ذلك التأثير داخل العراق من ناحية تطمين البعثيين والعسكريين، كما أن من أهم أهداف المؤتمر إبراز صيغة قيادية مقبولة داخل عراقنا وكذلك إقليمياً وعربياً ودولياً.

١٠ ـ إنني إذ أوجه هذه الرسالة إليكم مدركاً معرفتكم واطلاعكم وتقديركم للأمور وأهميتها، إلا أنني واثق بأن هذا الموضوع يستحق القرار المباشر والسريع ولذا أرجو أن يتخذ قراراً سريعاً بعقد المؤتمر في بيروت وإعلان ذلك لنتمكن من العمل في أوساط العراقيين في المهجر على تأمين الدعم المالي، وكذلك تهيئة الإعلام العالمي على أن نكون في نفس الوقت قد هيأنا البديل المعد والمدروس غير مصر والسعودية وذلك منعاً للمناورة وأن نكون مستعدين لكل طارئ.

مع التحية والاحترام.

أخوكم

طالب الشبيب

رسالة إلى كمال خرازي ممثل إيران الدائم في الأمم المتحدة

الأستاذ كمال خرازي ـــ الممثل الدائم للجمهورية الإسلامية الإيرانية في الأمم المتحدة

٢ / ١٢ / ١٩٩١

فخامتكم... لي الشرف أن اقدم لكم الرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن والمؤرخة في ١٩٩١/١١/٢٨ والرسالة المقدمة للرئيس بوش في ١٩٩١/١١/١٩ .

وقد بينا فيها الموقف المأساوي الذي يواجهه الشعب العراقي المسلم والمعاناة التي يرزح تحتها والتي هي بأمس الحاجة إلى علاج فوري.

نحن على ثقة أن فخامتكم وحكومة جمهورية إيران الإسلامية وشعبها سيستجيبون بالدعم والتأييد كما كانوا كذلك دائماً وسيقدمون كل مجهود ممكن في هذا السبيل.

طالب شبيب

رسالة إلى قاسم حوّل

الأستاذ قاسم حول

ملحمة الحسين بكربلاء تعكس في معانيها الإنسانية كل عوامل وملامح التراجيديا التاريخية. وهي لذلك ارتفعت عن المحلية لتعكس تراجيديا عالمية مميزة. تراجيديا كونية أثبتت قدرتها على التأثير المتواصل أكثر من التراجيديات التي سبقتها كاليونانية والرومانية. فمأساة الإمام الحسين بحكم الرواية والشهادة والتاريخ، ظلت حية ومحفزة لكل مسلم وعربي وعراقي على وجه الخصوص باعتبار وقوعها على أرض العراق. فلا زال دمها حاراً ومأساتها ماثلة، ونعيشها في ذاتنا الإسلامية والقومية على أنها جرح لم يندمل رغم مرور القرون.

ولهذا كان لا بد أن تحتل مكاناً مرموقاً في أعمالنا الفنية، فهي ملحمة تاريخية وجزء من التاريخ العربي، فمنذ أن سقط الإمام الحسين ــ أمير الشهداء ــ في طف كربلاء، لم تكف الأقلام والأفكار والمشاعر من تحسس تلك الذكرى وذلك المشهد ومن إقامة مجالس العزاء والتأبين. وإن محاولة تقديمها في عمل سينمائي باسترجاع ملحمة سيدنا الحسين في هذا الظرف هي أكثر ضرورة. فهو وقت يفرض على المخلصين استقراء الكينونة العربية والإسلامية لفهم عمقها وأسرارها. ولكي نستطيع بواسطتها أن نستعيد ذكرى أروع ثورة ضد الظلم، والحق ضد الباطل، والرجولة ضد الجبن. لذلك أرى أنها محاولة جريئة، يتمنى لها كل مخلص التوفيق ويدعو أن لا تصيبها سهام التشكيك والخبث بأذى.

رسالة جوابية من آل غور[1]

مجلس الشيوخ الأمريكي ـــ واشنطن دي. سي ٢٠٥١٠

في ١٩٩١/٥/١٠

عزيزي السيد شبيب،

شكراً لاتصالك بمكتبنا، ويسرنا الاستماع إليك، تقلقني كثيراً أخبار المأساة الـــتي يعيشـــها العراق والاستجابة المتأخرة للرئيس بوش، وخلال الأزمة التي شهدها الخليج "الفارسي" حـــث الرئيس (بوش) الشعب العراقي على الانتفاضة وإسقاط صدام حســـين، والآن وبعـــد قمـــع الانتفاضة التي قام بـــها الشيعة والأكراد، فإن على الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة مواجهـــة مسؤوليتـــها الإنسانية الضرورية، وعلينا أن نتعامل بسرعة وعلى نطاق واسع مع الأفواج الهائلة من اللاجئين الذين يعبرون الحدود الدولية إلى تركيا وإيران. وإني أساند بقوة تحذير الرئيس بوش الموجه إلى صدام حسين إذا ما قام بعمليات هجومية شمال خط عرض ٣٦ ، وأساند بقوة أيضـــاً إنشاء معسكرات لإيواء اللاجئين في شمال العراق. وأتمنى لو أننا نسرع كثيراً بـــهذا الاتجاه.

إن حالة اليأس التي يعيشها اللاجئون لا يمكن أن توصف وأن جهودنا يجب أن توازي ذلـــك كثافة وقوة، فهناك حاجة ماسة جداً لتحقيق ذلك إضافة إلى الإسراع في تقديم المســـاعدة إلى الأكراد على طول الحدود مع تركيا ومع إيران. وعندما يحين الوقت لانسحاب قوات التحـــالف من القسم المحتل من جنوب العراق، فإن مصير اللاجئين سيكون موضع تساؤل بســـبب عـــدم تأكدنا ما إذا كانت الحماية التي ستقدمها القوات الدولية ستكون كافية أو أنـــها تمتلك السلطة أو التخويل لتقديمها.

أعتقد أن على الأمم المتحدة أن توضح وتعزز سلطتـــها في هذا الجزء مـــن العـــراق. وفي النـــهاية علينا أن لا ننسى أن العراقيين سواء منـــهم اللاجئين أو الذين ما زالـــوا يعيشـــون في المدن الكبيرة سيواجهون خطراً جديداً ويتمثل في الطقس الحار ونقص التجهيزات الصحية ومياه الشرب، الأمر الذي سيتسبب في انتشار بعض الأوبئة.

وكانت الولايات المتحدة قد تمكنت خلال تحريرها الكويت أن تقود هذه المحاولـــة قيـــادة عسكرية مرموقة. والآن عليها أن تستخدم تأثيرها في اتجاه التوصل إلى نتائج إيجابيـــة بنـــاءة. فإضافة إلى الهدف المتمثل في التخفيف من معاناة الناس، فإن المطلوب من سياستنا على المـــدى البعيد أن تؤيد الجهود المبذولة باتجاه قيام حكومة في بغداد تحترم متطلبات وحاجات الشـــعب

---

١ ـــ لم يكن قد أصبح نائباً للرئيس حينـــها.

العراقي.

ولمعلوماتك أرفق لك نسخة من البيان حول هذا الموضوع والذي وجهتـــه مؤخراً إلى مجلس الشيوخ.

المخلص ألبرت غور

من الكونغرس الأمريكي ــ واشنطن دي. سي ٢٠٥١٠

نحو طريق للعراق[1]

يعجّ الجسم العراقي الجريح بالآلام والأمراض نتيجة جهالة وطغيان حاكمه وضياع وتعثر بدائله ومعارضيه.

ونحن عراقيون وعرب، والقلة معنا من الأصدقاء العارفين، يتعذبون وسط هذا الضياع والتضييع الكبير لبلد وشعب كانا أملاً للعرب والمسلمين، كلّلتهم أمجاد عظيمة وأهلتهم كفاءات كبيرة وأحاطت بهم تطلعات مشعة لم يبق منها، إن بقى، إلا رعشات نور شمعة.

هذه الشمعة المستهلكة تقريباً والمتبقي فيها بعض ضوء ليست إلا الصوت الخافت الأليم لصرخة الشعب المخنوقة خارجاً وداخلاً بأن لا بد لنا من الصوت القوي المسموع والرأي السديد المعقول وطريق العمل الذي يجمعنا يداً على يد لنكسر هذا الطوق الصديد المؤلم الذي أمسك برقبة الوطن وخناق المواطن. ولعله كذلك حمل آلامنا ووعينا لكل من له معنا صلة قربى في الدم أو الإيمان أو القلب.

لا نستطيع، كعراقيين، أن نعتذر عن ذنوبنا أو عيوبنا أمام أنفسنا أو الآخرين، لأننا منحنا الفرصة ولا نزال نملك مجملها ولكن لنقل أن هنالك خمول كبير ووهم بالعجز مصحوبين بتعب وطني شامل أصاب كل شريحة منا، شعباً وأمة، عقيدة ودين.

ولعل هذه الظاهرة من الإعياء الشامل، نصيب محتوم لما يكن أن تدفعه أمم وشعوب عالم سعى مستكشفاً لآفاقه ليرتطم بالبوابة الحديدية الثقيلة للنظام العالمي الجديد.

---

١ ـــ ورد مشروع المقال المنشور أعلاه ضمن رسالة خاصة بي، وهذا نصها

عزيزي،

هذه مقدمة مقال آمل نشرها في جريدة "الحياة"، وستكون طويلة نسبياً، وأعتقد أن عليّ أمانة أن أكتب بوضوح وصراحة لتبيان الطريق الذي أعتقده بإيمان ودونما رياء، لقد بلغت من العمر والتجربة ما يجعلني عاجزاً عن الكذب أو الخيانة، لذلك أرجو نصيحتك كأخ وصديق. هل أستمر في الكتابة وإكمال المقال أو أن أسكت لأن في أمر الكتابة ألم ومعاناة وليس الأمر سهلاً.

آسف للإزعاج، آملاً في النصيحة.

ولك المحبة

طالب شبيب

دمشق ١٩٩٤

إنني أعتقد واثقاً دونما حاجة أن أقدم شروحاً أو مسببات بأن المسألة العراقية وليست الفلسطينية، هي حجر الأساس في كل ما يتم بقاءه أو انهياره فيما يسمى بخارطة الشرق الأوسط. ويستطيع من يشاء أن يتطلع ليعلم بأن السلم الإسرائيلي ـ الفلسطيني، والإسرائيلي ـ السوري، وكذلك الأردني واللبناني لا يمكنه أن يتأكد أن يدوم، ما دام العراق، تلك القوة الكبيرة في الشرق الأوسط، لم تُقرر مصيراً حراً واعياً بعد، وبإمكانه أن يفجر كل شيء.

وبسبب ذلك فإن الأمر العراقي ليس حكراً على أبنائه وجيرانه ولا حتى الدول المؤثرة فيه، ولكنه أمر واسع وكبير يعم أمة العرب بكاملها وكافة من لهم تعاط حضاري في الفكر أو الثقافة أو في الجوار أو المصالح معه.

ليس في نظري، أي أمل للنظام القائم في التطبيع أو التعاطي مع النظام العالمي القائم. ومهما طال بقاء النظام وطال عمره فإنه آيل إلى الموت. هذه حقيقة يعرفها، رغم الخوف، بعض الأذكياء من أركان النظام وبعض المعارضة، كما تحاول تجاهلها للأسف بعض أطراف المعارضة لمعرفة منها بأنها ليست البديل الممكن حالياً.

في مقال لمطبوعة "الملف العراقي" والذي جاء فيه: "أن المعارضة العراقية تفتقد القدرة على المبادرة عراقياً وعربياً ودولياً وستبقى تلهث وراء الأحداث أسيرة تبعيتها للإرادة الإقليمية أو الدولية، حيث أصبحت كورقة بيد تلك الأطراف الإقليمية أو الدولية".

الحركة القومية الكردية تعيش مأساة الاختناق بأحضان الغرب الذي شل إرادتها من خلال احتوائها بالحماية الجوية دون توفير مسببات العيش والنمو والمقاومة. تجد تركيا (التي تنطلق من قواعدها طائرات التحالف لحماية أكراد العراق) أن من حقها ضرب الأكراد بحجة القضاء على عناصر حزب العمال الكردستاني التركي، كما لجأت إيران لذات الأسلوب في شن الهجمات العسكرية داخل كردستان العراق، وتحت وطأة الضائقة المالية استطاعت تجنيد العديد من الأكراد العراقيين بإسم الإسلام وغيره من الشعارات لتكرس التدخل الإيراني، بما يزهق نمو الحركة القومية الكردية من سياسة اقتتال الأخوة.

وضع كردستان العراق الحالي لم يعد يهدد صدام حسين وأية محاولة أمريكية لاستخدام أكراد العراق للسيطرة مباشرة على بغداد ستعرض أمريكا لمواجهة مع تركيا وإيران، إضافة إلى مخاوف حرب أهلية بين العرب والأكراد.

إذ لم يكن بمقدور الأكراد لجم صدام حسين ومنعه من المغامرة خارج حدود العراق، فالأمر ينطبق كذلك وبحدة على التيار الإسلامي الشيعي، فأمريكا تخشى اتساع النفوذ الشيعي الإيراني بقدر خوفها من صدام حسين".

أعتقد أن ذلك بمحمله صحيح. فحرب الخليج بنتائجها العسكرية السريعة المذهلة لم تترك للنظام فترة للتفكير وقلما يفكر، ولا للمعارضة المهزوزة المنهكة ولا حتى للمنتصرين من الحلفاء لترتيب المستقبل. فكانت الانتفاضة المحكومة بكل عامل فيها وحولها بالاستشهاد، والموت الكردي في تلوج الجبل ثم مناطق آمنة في الشمال ومنع الطيران في بعض الجنوب والوسط الخ.....

ومؤتمر بيروت للمعارضة العراقية عقد وسط هذه الأجواء وكان ثمة أمل في لقاء إقليمي يحتضن الجراح الراقية وتكون فيه القلوب السورية ـــ السعودية والإيرانية حانية وكلها مجرحة على الآلام العراقية، ولكن ذلك لم يحدث، والذنب كان فينا و لم يكن في غيرنا.

لقد تصورت المعارضة العراقية بأن الهم هو التقاط الغنائم ووراثة النظام. وبدأ كل يشحذ سهامه بحثاً عن داعم وإثبات لوجود وطعن كل المنافسين.

وفي ذلك خسرنا وحدة الأيدي وفقدان المصداقية وما تبعها من تعب الأصدقاء وفقدان الثقة بيننا وبينهم ونكولنا عن التوجه إلى شعبنا في الداخل لأن التصور المحدود والاستقراء النفعي التجاري قادنا إلى الاعتماد الكلي على الخارج وعلى المنافسة في كسب الدعم منه.

لذلك لم يطرح الخطاب الوطني العراقي السليم حتى الآن وهو الأمر الأساسي المطلوب.

المطلوب ليس خطاب معارضة بل المطلوب هو خطاب الوطن.

خطاب الوطنية هو أن النظام أهان السيادة ليبقى وضحى بمقومات وحدة الوطن ووجوده ليبقى، وهدر ثرواته وآمال شعبه وأهان كرامته.

إن صدام كان وربما لا يزال يمتلك ترسانة متنوعة من الأسلحة الكيماوية منها أسلحة الخردل وغاز التابون ومادة الثاليوم وهو السم المفضل لديه في اغتيال خصومه وكل من يشك في ولائه في داخل العراق وخارجه ولدى أجهزة مخابراته خبرة واسعة في استخدامها الفعلي وكذلك في استخدام أنواع الجراثيم التي يصعب تشخيصها.

أما الأخطار التي يتعرض لها الشعب في العراق من جراء تخزين هذه السموم وخصوصاً المواد الجرثومية التي قد يعم جميع المناطق المجاورة للعراق أيضاً، فلا يمكن المبالغة في جسامتها. وهنالك معلومات تشير ألى أن بعض المواد الكيماوية قد تسربت فعلاً إلى المياه وجميع من يعرفوا العراق يدركون سوء الصيانة والتخزين قبل الحرب، أما بعدها فالأمر أدهى وأخطر. ونعتقد أن صدام سيستمر في أسلوبه، ولذلك ستبقى الأخطار قائمة.

من هنا كانت المطالبة بخلق منطقة آمنة في وسط وجنوب العراق مسعىً خائباً لأنه لن

يتحقق إلا بقوات أرضية. كلنا سمعنا عن وعود قيل أنها قطعت من قبل أمريكا بهذا الشأن. وفي اعتقادي أن أمريكا لم تعطِ هذا الوعد لأحد ولا يمكن أن تعطيه.

إن إنشاء منطقة آمنة في الجنوب، خلافاً للنظير الشمالي يتطلب مشاركة قوات أرضية لإزاحة قوات صدام المتغلغلة والمنتشرة في تلك المناطق. والنظام لا بد له من القتال لأن البديل هو سقوطه المحتم.

أما عن التصور بأن أمر ما قد يدفع الولايات المتحدة لشن هجوم عسكري على النظام، فأستطيع القول باطمئنان بأن الجنرال شوارتزكوف هو أول وآخر قائد أمريكي يطأ أرض العراق غازياً. وكذلك أستطيع القول معتمداً على المعطيات والأقوال بأن الولايات المتحدة ترغب في تغيير النظام القائم بنظام تستطيع تأييده وعلينا إيجاد البديل العراقي المقبول شعبيا وإقليمياً ودولياً ونضع جانباً الجدل حول نوايا الآخرين.

إن الاعتراف الأمريكي البريطاني بالمعارضة العراقية وشرعية سعيها لإزالة النظام أمر في غاية الأهمية والخطورة وعلينا الحفاظ عليه واستحسان استخدامه عوناً لنا في المعركة ومصدراً لشحذ ثقة الشعب بهزيمة الديكتاتورية.

الحصار الاقتصادي

ليس من قضية تؤرق عراقيي الغربة بألم وإلحاح أكثر من مسألة تأييد إدامة الحصار الاقتصادي أو العمل لرفعه. وبالرغم من أن الأمر خارج عن إرادتنا وقرارنا، إلا أنه باق يختبر وجداننا ويؤثر في حياة ومصير شعبنا.

ما يعانيه الشعب من حرمان وحياة كفيفة وما يداهمه من أمراض لا حول له على دوائها تهيب بنا إلى العمل لرفع الحصار.

وكثر ما سمعت وقرأت من آراء احترم أصحابها تقول بأن الشعب هو الضحية الأولى، وشلة النظام لم يمسها السوء. وتقول أيضاً بأن الشعب المنهك بالبحث عن رغيفه ودوائه وردائه طوال يومه وليله لن يجد للسياسة والتفكير بالعمل على مقاومة النظام وقتاً، كما أن حقده سيذهب على الحصار الاقتصادي والقائمين عليه بدلاً من مسببيه. وتذهب بعض الآراء لأبعد من ذلك بالقول أن الحصار نابع عن حقد على الشعب العراقي ومحاولة لئيمة لتعذيبه والإمعان في إذلاله لا لتخليصه ولذلك يجب العمل لرفع الحصار.

وكما أسلفت عن احترامي لأصحاب تلك الآراء فإنني أرى أيضاً في الأطروحة جوانب صحيحة رغم أنني لن أذهب إلى نفس الاستنتاج.

لا جدل أبداً حول ما يعانيه الشعب وضرورة بذل كل مسعى وجهد لرفع الضيم والألم.

ولكنني لا أستطيع ولا أطيق أن أستمع لأصوات النظام الكريهة بدعاتها ومهرجاناتها رافعة قميص عثمان الجديد. النظام أولاً وآخراً هو المسؤول عن فرض الحصار وإدامته، هذا النظام الذي أهدر مئات ألوف الأرواح في حروبه الجائرة وحملات القمع والتشريد والقتل الوحشية قبل الحصار وبعده، سيجر مآس أخرى لو دام له البقاء، وما يحتاجه الشعب ليس مسكناً وإنما دواء عاجلاً وشافياً.

لقد انصب كل جهد النظام السياسي منذ وقف إطلاق النار في حرب الخليج لحد اليوم على رفع الحصار كما أن دعاواه وجهود مؤيديه تنصب جميعاً في هذا المسعى.

إننا نعلم جميعاً أن القضية الإنسانية لا مكان لها في حسابات النظام أو في تفكيره. والدليل الأكيد على ذلك هو رفضه للبيع المشروط والمحدد لكمية من النفط تصرف لشراء الدواء والغذاء وتوزع بإشراف عادل من قبل الأمم المتحدة.

وهذا الرفض لا ينبع من رفض للتدخل في الشأن الداخلي أو المساس بالسيادة. على العكس لم يبق تدخلاً إلا وأذعن له النظام وتسامح فيه كما لم يبق للسيادة معنى حيث امتثل النظام للتفتيش المستمر والمراقبة الدائمة، كما أنه مستعد لتنازلات أكثر وأكبر وفي كل شأن مقابل رفع الحصار.

رفض النظام بيع النفط المحدود نابع من أنه سيحرم من الهيمنة على البيع والتوزيع والسيطرة وبالتالي حرمانه من سلاح هام من أسلحة التحكم بحياة الشعب.

هل سيفسر رفع الحصار الاقتصادي من قبل شعبنا والعالم أجمع سوى بدء عودة الأمور إلى مجاريها بين النظام وبقية العالم؟

وهل ستصرف عوائد بيع النفط على إغاثة الشعب بشكل عادل أم أنها ستستخدم أداة للترغيب والترهيب في كبح المقاومة؟

وماذا بشأن ما سيصرف ويبذخ على قوى القمع والأجهزة المنتفعة وفي شراء التأييد وكسب الولاء في الداخل والخارج، وماذا كذلك بشأن أجهزة الإرهاب والتجسس والدعاية في الخارج والتي بدأت تشكو ضيق ذات اليد وسوء الحال.

إننا لا نعلم بالضبط ما تبقى من الأموال المسروقة في حوزة صدام، ولكننا نستطيع أن نقول بأنها آخذة في النضوب. إن أجهزة الأمن والحماية لن توفر حاجاتها بدنانير مفقودة القيمة وإنما تتطلب زخ عملة صعبة كل يوم والحال ذاته لسفاراته ومندوبيه وأجهزته في الخارج.

لاشك أن الشعب سيتحمل مزيداً من المعاناة في حالة استمرار الحصار الاقتصادي ولكن

صدام سيستعيد المال الذي هو عصب الحياة لنظامه وسيسترجع القبول الدولي والتعامل معه فيما لو رفع الحصار.

لا أدري ما هو الرأي في قدرة الشعب على مقاومة النظام إن كان شبعاً أو جائعاً، ولم أستخلص ترجيحاً لأيهما من تأريخ الثورات الفرنسية والروسية والصينية وغيرها، لكنني أدري أن صوت المعارضة لن يُسْمعَ لدى دول وأوساط طَبَّعَتْ علاقاتها مع النظام وكانت المعارضة جسراً لهذا التطبيع.

أيوب السوري مقابل نتنياهو

في سياق اهتمام شبيب في الشؤون العربية، وبشكل خاص الصراع العربي الاسرائيلي. خلال الإنتخابات الإسرائيلية الأخيرة ، اكدّ على أهمية أن لا يتصرف العرب تحت ضغط ذاكرة مجزرة قانا ومعاناة أبناء الجنوب اللبناني مع حزب العمل ويساعدوا الليكود على إسقاط شمعون بيريز لصالح نتنياهو، وكان واثقاً أن الأخير سيبدد الجهود التي بذلت حتى الآن في إستعادة الأراضي العربية السليبة الضفة، الجولان، الجنوب اللبناني، وكلها أراض عربية عزيزة. وعندما سألته عن سبب ثقته بآرائه خصوصاً وإن المصريين وقعوا مع الليكود إتفاق استعادة سيناء. أجاب فوراً إن اكثر قادة اسرائيل من حزبي العمل والليكود سابقاً كانوا سياسيين، يقبلون الرأي ويستغلون الفرص، لكن نتينياهو ليس سياسياً بل ايديولوجيست أعمى لايرى غير الصورة التي رسمتها له ايديولوجيا تستفيد من عقد ومعاناة اليهود عبر التاريخ. وبعد فوز نتينياهو بأشهر حمل شبيب فكرته تلك الى بلاد الشام وعرضها على الاستاذ عبد الحليم خدام قائلاً: عليكم بصبر أيوب ا فردّ خدام فوراً : إن أيوب منا نحن السوريين.

وربما يكون كلام خدام قد صدر عن وجهة نظر الرئيس السوري الذي عرف بقوته وصبره.

مصائر مجموعة من المساهمين في ٨ شباط ١٩٦٣

ـــ اللواء الركن ابراهيم فيصل الأنصاري، قائد فرقة ومعاون رئيس أركان ومساهم في قيادة دبابة في ٨ شباط. نفي خارج العراق ثم عاد مستغلاً عفواً خاصاً بحقه. قتله النظام بعد أن نسب الجريمة إلى أسباب جنسية، ويذكر أن الأنصاري هو خال رئيس الأركان السابق نزار الخزرجي وقريب لعبد الكريم مصطفى نصرت.

ـــ أحمد حسن البكر، رئيس وزراء ورئيس جمهورية وعضو القيادتين، قتله صدام حسين بعد عزله من مناصبه بسقيه السم تدريجياً مع الشاي (راجع اعترافات حسين كامل).

ـــ أحمد العزاوي (أبو سلام) قتل في ١٩٧٥ بعد عدة محاولات فاشلة لاغتياله من قبل أجهزة الأمن العراقية، أهمها كانت عام ١٩٧٤ عندما فجرت سيارته. كان عضواً في قيادة فرع بغداد والقيادة العامة للحرس القومي عام ١٩٦٣، ثم عضو القيادتين القومية والقطرية ومسؤولاً للمكتب العسكري لحزب البعث، لعب دوراً كبيراً في التحضير وتنفيذ معركة ٨ شباط ١٩٦٣ في بغداد.

ـــ باسل الكبيسي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وكان ناشطاً ضد نظام قاسم وأحد أبرز قادة حركة القوميين العرب عربياً وعراقياً، اضطر لمغادرة العراق بسبب الملاحقة، فاغتاله الموساد في أوروبا، ولا يشك أحد بأن الثائر الكبيسي لو بقي داخل العراق لقتلته قيادة (البكر ـــ صدام).

ـــ بدن فاضل، مساهم في ٨ شباط، رئيس اتحاد نقابات العمال في العراق قتل مع وجبة عدنان حسين.

ـــ بهجت شاكر (تكريتي) تكلف مؤقتاً بإعادة بناء تنظيم حزب البعث في العراق بعد محاولة اغتيال قاسم في رأس القرية. طرد ركلاً من وكالة الأنباء العراقية واعتقل وفصل من الحزب وقضى بقية عمره خائفاً ومتخفياً يبحث بدأب عن ملاذ آمن وعن حياد لا يثير أحداً.

ـــ اللواء بشير الطالب قتله نظام صدام حسين مع إبنه، وكان آمراً للحرس الجمهوري في عهد عارف، وساهم في ٨ شباط بعد إعلانها.

ـــ تركي سعيد عبد الباقي الحديثي قيادي في الحزب الحاكم قتل في سجن أبو غريب حوالي عام ١٩٨٢ أخوه مرتضى الحديثي وزير خارجية.

ـــ جاسم هجول، قتل بحادث سيارة مدبر سنة ١٩٧٠ .

ـــ جاسم مخلص التكريتي، ساهم بحركة ٨ شباط بعد إعلانـــها، وهو شـــخصية تكريتيـــة مهمة قتل في التسعينات بعد اتـــهامه بتدبير مؤامرة ضد الحكم. وقد كان أخوه مولود مخلـــص وراء تـــهيئة الفرص المؤاتية لشباب تكريت من أجل التوطيف ودخول الكلية العسكرية حـــتى بدون شهادات ثانوية.

ـــ جعفر محمد رضا الذهب، أعدم في قضية عدنان حسين، مدير مصرف ومحافظ.

ـــ جعفر العيد، عضو قيادة قطرية احتياط وسفير في موريتانيا قتل مسموماً بالثاليوم مباشرة بعد إعلان الحرب العراقية ـــ الإيرانية. اشتـــهر بدماثة أخلاقه.

ـــ جبار كردي وعدد من أشقائه قتلتـــهم حكومة البكر ـــ صدام بعد تكليفهم باغتيـــال عدد كبير من مناضلي الحركة الوطنية. وكان جبار صديقاً شخصياً مقرباً للرئيس صدام حسين.

ـــ العميد جابر حسن حداد، ساهم في ٨ شباط بعد إخراجه من المعتقل وكان مـــن أبـــرز الناشطين ضد حكومة قاسم، محافظ كربلاء، قتل في ١٩٧٠ بتـــهمة الاشتراك بمؤامرة رجعيـــة ونفذ فيه الإعدام مع ٤٠ شخصية سياسية وعسكرية وأعدمت السلطات معه الشيخ راهـــي آل سكر زعيم آل فتلة، وجاء قتله تذكيراً للعراقيين بأن ما لم يستطعه الإنكليز ضد أبناء الفـــرات الأوسط فعله صدام حسين وانتقم لهم من الحاج عبد الواحد بإبنـــه ، كما انتقم من شعلان أبو الجون بقتل ابنـــه.

ـــ المقدم داود الجنابي، أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قام بالسيطرة على اللـــواء الثامن وتحضيره للعقيد عبد الغني الراوي، وزحف بأحد أفواجه على بغداد، أصبح آمراً للكليـــة العسكرية ثم قائداً للفرقة العاشرة المدرعة وقائداً لقوات بغداد. طرد من الجيش بعد أن وجـــهت له تـــهمة أخلاقية (جنسية) إثر خلاف نشب بينـــه وبين حسين كامل.

ـــ حامد الدليمي (ضابط) ساهم في ٨ شباط، سجنتـــه حكومة ١٧ تموز في سجن أبـــو غريب واشعل المحققون النار تحتـــه وبعد أن أصبح الجزء الأسفل من جسده مشـــوياً قطعـــت عنـــه الماء وترك ليموت، كان عضواً في المكتب العسكري بعد عام ١٩٦٣ ثم أصبح ســـفيراً في نيجيريا، استدعي واعتقل في المطار بعد أن اعتدى عليه أمام المسافرين. ويذكر أنـــه أصبح لفترة قصيرة معاون مدير الاستخبارات وشارك في مهرجانات القتل.

ـــ اللواء الركن حامد الورد، أعدم في نيسان ١٩٨٩ .

ـــ حبيب جاسم، عضو قيادة فرع بابل، قتل في السبعينات بتـــهمة التآمر.

ـــ حسن محمد رضا الذهب، عضو قيادة قطرية وقومية، قضى سنوات في سجن النظـــام ثم مات نفياً ومتأثراً بأمراض سببـــها التعذيب الذي لاقاه خلال فترة الاعتقال.

ـــ الفريق الركن حردان عبد الغفار التكريتي عضو مجلس ثورة وقائداً للقوى الجوية ومساهم في حركة ٨ شباط، قتل اغتيالاً في الكويت وبعد إبعاده بأيام سَفَّر النظام زوجتـــه مـــع أولاده فماتت في الطائرة بصورة غامضة وكانت حاملاً.

ـــ حسين سيد جبر، أول رئيس للجمعيات الفلاحية في حكومة البعث عام ١٩٦٨ مـــات قتلاً.

ـــ الفريق الركن حماد شهاب التكريتي رئيس أركان ووزير دفاع وعضو مجلس ثورة قتل في مؤامرة بوليسية مدبرة.

ـــ العميد حميد التكريتي كان ضمن ضباط الصدمة الأولى واتجـــهت دبابتـــــه إلى إذاعـــة الصالحية، عمل سكرتيراً لأحمد حسن البكر قتل عام ١٩٧٩ قبل إبعاد البكر وتمهيداً لســـيطرة صدام على السلطة، عثرت عليه زوجتـــه متكئاً على طاولة الطعـــام وقـــد اخـــترقت ثلاثـــة رصاصات جسده وجاءت من النافذة المفتوحة.

ـــ د. حقي اسماعيل الراوي ضابط طبيب قتل عام ١٩٩٥ بتـــــــهمة المســـاهمة بمؤامـــرة أمريكية.

ـــ حمدان الراوي وأختـــه فوزية الراوي.

ـــ خالد عبد الله سرية ساهم في إنشاء جهاز حنين عـــام ١٩٦٨ وفي قتـــل الآلاف مـــن المواطنين خلال اكثر من ربع قرن، يقبع الآن في السجن مؤقتاً، ريثما يقرر نظام صدام حســـين التخلي عنـــه فيوضع في تابوت ممتاز.

ـــ فليح حسن جاسم التمري عضو قيادة قطرية ووزير صناعة، طرد من مناصبـــه بســـبب عدم موافقتـــه على عضوية المحكمة الخاصة للمصادقة على مقتل ثوار انتفاضة صفر الـــتي قـــام بـــها زوار العتبات المقدسة خلال مسيرتـــهم السنوية من مدينة النجف إلى كربلاء.

ـــ فؤاد الركابي، أول أمين قطري لحزب البعث في العراق وأول وزير بعثي في العـــراق، ثم أصبح أمين عام حركة الوحدويين الاشتراكيين، وخطط وأمر بتنفيذ خطة اغتيال قاسم بـــرأس القرية، وشكلت تلك المحاولة أول خطوة لصدام حسين للوصول الى قمة السلطة. اعتقل بعـــد اتـــهامه بالتجسس ثم قتل بطعنة سكين غادرة من أحد عناصر المخابرات المندسين بين السجناء مدعيا أنـــه فعل ذلك لأسباب أخلاقية (جنسية) و لم يتقدم أحد لإسعافه فمات بتأثير الطعنـــة

والنـــزيف. ادعت السلطة أنـــها أعدمت المجرم، لكنـــه شوهد يعمل موظفاً محلياً في الســـفارة العراقية بصوفيا.

ـــ العقيد الركن فاضل مصطفى، قومي ساهم في ٨ شباط بعد إعلانـــها وأصبح ملحقـــاً عسكرياً وعضواً في القيادة العسكرية السورية الأردنية العراقية في السويداء، وقبلها كان ضابطـاً لركن الحرس الجمهوري قتل في عام ١٩٧٠ بتـــهمة الاشتراك في مؤامرة.

ـــ راجي عباس التكريتي، وزير وقائد سياسي معروف، قتل بطريقة بشعة بتـــهمة الضلـوع في مؤامرة أمريكية لإسقاط حكومة صدام حسين. ويعتقد البعض أن السفير العراقـــي في الأردن أعطاه مخدراً ونقله إلى بغداد بسيارتـــه، وكان آخر منصب لـــه مديـــراً لمستشـــفى الرشـــيد العسكري.

ـــ رشيد مصلح التكريتي، حاكم عسكري وزير داخلية، قتل من قبل حكومـــة البكـــر ـــ صدام بتـــهمة العمالة للـــ CIA وعلق بمشنقة في السجن المركزي بعد أن أخذ منـــه اعـــتراف بأن الذي جنده هو شخص يهودي ويعمل عميلاً مزدوجاً ، وذكر لهم اسماً ربما ليس له وجـود كي يتخلص من التعذيب. أعدم فوراً بعد وساطة نخبة من وجهاء مدينـــة تكريـــت لإطـــلاق سراحه.

ـــ العميد رياض القدو ، منفذ أساسي لحركة ٨ شباط من عائلة بغدادية بسيطة تعمـــل في تجارة المصارين والجلود، دخل الكلية العسكرية ضمن وجبة شباب البعث عام ١٩٥٩ لتعزيـــز عدد البعثيين داخل القوات المسلحة، وأصبح قائد فرقة، قتل في سجن أبو غريب بطريقة بشـــعة عام ١٩٨٢ مع مرتضى الحديثي وثمانية عشرة آخرين من قادة الدولة والجيش، تزوجت أختـــه (منال) من محمد محجوب الذي قتل أيضاً.

ـــ د. رياض الحاج حسين، وزير صحة وقائد بعثي، قتل بعد زيارتـــه لمستشفى بتكريـــت وسؤاله أطبائها سبب عدم الاهتمام وحاسبـــهم. بالإضافة إلى الأثر السيئ الذي تركه التقريـــر الذي رفعه ضده د. صادق علوش إلى مكتب صدام حسين، فأحيل على التقاعد في نفس الوقت الذي كان فيه تلفزيون بغداد يعرض وقائع زيارتـــه لمستشفى تكريت، وأعدم بعدهـــا بفـــترة قصيرة.

ـــ زكي الخالي ـــ بعثي ـــ قتل بعد عام ١٩٦٨ .

ـــ خاشع الحديثي ، أعدم بعد ١٩٦٨ .

ـــ قاسم السماوي، وكيل وزير خارجية وسفير، أعدم.

ـــ اللواء الركن صلاح القاضي، قتل لأنـــه أمر قوات الفيلق الثالث بالانسحاب من قـــاطع الـــ ؟؟ بعد أ، علم أن المدينة آيلة للسقوط.

ـــ العميد الركن صالح عبد المجيد السامرائي، متآمر ضد نظام قاسم وتعاون مـــع مخـــابرات دول عربية مجاورة للعراق وكان ملحقاً عسكرياً قتله نظام البكر ـــ صدام.

ـــ طاهر محمد أمين الربيعي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانـــها، نقيب الصيادلة في العـــراق، قتل بالمؤامرة المزعومة لعدنان حسين.

ـــ العميد طارق حمد العبد الله ، مدير مكتب البكر ووزير الصناعة الخفيفة وأمين سر مجلس قيادة الثورة، قتل لينتـــهي معه سر عزل وتسميم أحمد حسن البكر، وأشاعت السلطة موتـــــه بالسكتة القلبية وكان صدام يستخدمه بعد أن سجَّل له فيلماً أخلاقياً ساقطاً.

ـــ طاهر يحيى التكريتي، رئيس وزراء ورئيس أركان جيش وأول مدير شرطة عام بعد ثورة ١٤ تموز، مساهم أساسي في حركة ٨ شباط اعتقل وعذب ومات بعد اطلاق سراحه بأيام بعد ١٩٦٨.

ـــ طاهر حسين علي الربيعي قتل في السجن بعد اتـــهامه بالمشاركة مع عدنان حسين.

ـــ صلاح أسود قتل بتـــهمة المساهمة مع عدنان حسين.

ـــ اللواء الركن صلاح عبود التكريتي، قتل بحادث سيارة مدبر.

ـــ اللواء الركن سعدون غيدان، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانـــها، وزير داخلية وعضـــــو مجلس ثورة، عمل كل ما بوسعه لتجنب القتل، ثم مات في ظروف غامضة.

ـــ سعد عبد الجليل الدلي، قتل في حادث سيارة مدبر مع عائلتـــه على طريـــق بغـــداد ـــ الكويت في طريقه للناصرية.

ـــ سعدون البيرماني، شارك في محاولة اغتيال الزعيم، قتل مع عائلتـــه بحادث سيارة مدبر وكان معارضاً لنظام صدام حسين.

ـــ شكري الحديثي، سفير استدعي مع أخيه السفير صبري الحديثي إلى اجتماع الســـفراء في بغداد إثر مؤامرة عدنان حسين ومحمد عايش فقتل صبري في السجن بين يديه، ثم خرج مـــــن السجن كائناً ذليلاً كئيباً في عام ١٩٨٣، فعينـــه طارق حمد العبد الله مديراً عامـــاً في التنميـــة الصناعية. أشرف على تعذيبـــه وتعذيب بقية الـــ ٣٦ مسؤولاً الذين اعتقلـــوا معـــه مديـــر المخابرات الحالي دحام الآلوسي، ثم طرد من وظيفتـــه مرة أخرى بعد أن شمله قانون الترشـــيق،

فأراحوا شخصه المعذب وأعطوه فرصة للجلوس بداره بعد تعيينه شكلياً في مكتب المنظمات الشعبية برئاسة الجمهورية بدرجة مستشار في ديوان الرئاسة مع بقية المبعدين أمثال محمد حمدان وفارس عبد الكريم وهي وظيفة ينفى إليها المعاقبون وهو الآن حليس داره يشك بكل ما يحيط به.

ــ شفيق الكمالي، مساهم، وزير وعضو قيادة قطرية وقومية، يحمل ماجستير فلسفة قتل مع إبنه بعد أن استولى عدي على زوج إبنه في ليلة الدخلة.

ــ عامر الدجيلي، بعثي، شارك في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله النظام عام ١٩٧٠.

ــ اللواء عبد مطلك الجبوري، كان سجين مع شيخ الجبور ابراهيم العطا الله في أبو غريب ويقال أنه قتل فيما بعد.

ــ عبد الوهاب البكاء، بعثي ساهم في ٨ شباط، مات في عام ١٩٦٨ بسبب آثار التعذيب الذي مارسته سلطة عبد السلام عارف ضد البعثيين. وكان من أبرز القادة البعثيين المنظمين.

ــ د. عبد الكريم هاني، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، وزير، قتله النظام ١٩٩٣ بزعم مساهمته في مؤامرة .

ــ عبد الرحمن البزاز، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس وزراء، قومي إسلامي معروف، سجن وعذب حتى شارف على الموت فأطلق سراحه ليموت بعد أيام.

ــ عدنان حسين الحمداني، ساهم في شباط ٦٣ في السيطرة على الطريق المؤدي لمعسكر الرشيد، نائب رئيس وزراء وعضو قيادة قطرية ووزير للتخطيط، أعدم بتهمة مشاركته في مؤامرة مزعومة.

ــ العميد الركن عدنان شريف التكريتي، من أوائل الضباط المنفذين في ٨ شباط ١٩٦٣، قائد قوات الحرس الجمهوري وملحق عسكري، قتل بإسقاط طائرته مع ١٤ ضابط بعد أربعة أيام من الحرب ضد إيران قرب خانقين، وقد ضربها صاروخ من قبل قوات الحرس الجمهوري، وتعرف عائلة حماد شهاب ملابسات قتله ويقال أن السبب هو الخلاف الذي حصل بينه وبين برزان إبراهيم التكريتي حول ابنة خاله (حماد شهاب التكريتي وزير لدفاع).

ــ الفريق الركن عدنان خير الله طلفاح، مساهم منفذ في ٨ شباط ضمن رتل الدبابات المتجهة إلى معسكر الرشيد، وزير دفاع، قتل بإسقاط طائرته الهليكوبتر بعد انتشار دعاية حول ترشيحه من قبل دولة كبرى لقيادة انقلاب ضد صدام حسين.

ـ د. عزت مصطفى، وزير وعضو قيادة ونقيب للأطباء وممول للحزب، طرد من جميع مناصبه وأصبح عندما يتحدث يهمس خوفاً من آذان كالحيطان. طرد بسبب رفضه عضوية محكمة شكلية للمصادقة على قتل رجال انتفاضة صفر للزوار بين النجف وكربلاء بمناسبة أربعينية الإمام الحسين بن علي (ع).

ـ العميد الركن عبد الواحد الحاج معيدي، أعدم في آب ١٩٧٩ .

ـ اللواء الركن عبد العزيز العقيلي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قائد فرقة ووزير دفاع، قتل بالتعذيب حتى الموت وكان موقفه صلباً وهو من الضباط الأحرار، اشتهر بحملته العسكرية ضد الأكراد عام ١٩٦٤ وسميت باسمه.

ـ عبد الله فاضل السامرائي، وزير أوقاف وعضو قيادة، قتل في منتصف التسعينات اغتيالاً في أحد شوارع بغداد.

ـ عبد العزيز ابراهيم الحديثي(قائد الفيلق الخامس) طرد من الجيش ثم أعيد ليسقط بطائرته الهليكوبتر مع عدد كبير من ضباطه في شباط ١٩٨٨.

ـ عبد الكريم فرحان، منفذ ومخطط ضد نظام قاسم في ٨ شباط وقبلها، وزير، هرب إلى خارج العراق وهو يقضي منفاه منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ـ علي هادي وتوت، أحيل للتقاعد وقتل عدد كبير من أقربائه، وأحيل أخوه العقيد جعفر على التقاعد بعد خمسة أيام من الحرب الإيرانية بتهمة الميول الطائفية، ثم قتلته المخابرات خلال انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ وقتل معه عدنان سالم الزيادي وحيدر جواد وتوت وجرح العميد توفيق الياسري وذلك خلال التحضير لإعادة تحرير مدينة الحلة من أيدي القوات الحكومية.

ـ العميد الركن المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، قائد معركة وزارة الدفاع في ٨ شباط ١٩٦٣ وعضو مجلس الثورة والمكتب العسكري، قتل بتمثيلية بائسة وعرض قاتله على التلفاز ليدعي أنه قتله لأسباب أخلاقية.

ـ عبد الرزاق النايف، ساهم بعد إعلان ٨ شباط، رئيس وزراء بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ اغتيل غدراً بلندن من قبل المخابرات العراقية بمساهمة أحد أفراد عائلة الخربيط .

ـ عبد الكريم الشيخلي، مساهم نشيط ضد نظام قاسم ومنفذ لعملية رأس القرية، وزير خارجية، قتل اغتيالاً في بغداد، من قبل نظام صدام حسين أمام زوجته.

ـ غازي أيوب، بعثي مساهم في ٨ شباط مدير معمل اسمنت السدة، ومعاون وزير التنمية الصناعية قتل مع مجموعة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

ـــ عبد السلام عارف، رئيس جمهورية، شارك في ٨ شباك بعد إعلانــها بعشرة دقــائق ، قتل في عملية مدبرة بإسقاط طائرتــه في جنوب العراق.

ـــ عبد الواحد زكي، ضابط قتل بعد ٣٠/١٧ تموز ١٩٦٨ وكان قبلها مديراً لشركة كوكا كولا.

ـــ عبد القادر حسين الحياني، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانــها (بعثي) أعدمه نظام صـدام حسين مع مجموعة من رفاقه بتـــهمة المعارضة في عام ١٩٧٣ .

ـــ علي عجام، مساهم في ٨ شباط، قتله نظام صدام حسين.

ـــ عبد الله السلوم السامرائي، ساهم في ٨ شباط ، عضو قيادة قطرية ووزير ثقافة وإعـلام، مات في ١٩٩٨/٥/٢٠ بعد معاناة من مرض القلب أصيب بـــه داخل قبو سجن المخـــابرات (الأمن الخاص)، راجع د. جليل العطية، جريدة الوفاق (عمود أسبوعي، نقطة ضـــوء) تحـت عنوان(الشاهد).

ـــ عبد الخالق السامرائي، ساهم في ٨ شباط، عضو القيادة القطرية والقومية ونائب لرئيس الجبـــهة العربية المساندة للثورة الفلسطينية. حكم بالإعدام مع ناظم كزاز وجماعتـــه وتدخـل البكر فأجّل إعدامه، فقتله صدام حسين بعد سنوات على أيدي أقربائه ورفاقه.

ـــ علي الدرويش من شيوخ شمر ينتمي للتيار القومي لعب دوراً ضـــد حكومـــة قاسـم خصوصاً فيما يتعلق بتسهيلات المرور التي كان يوفرها في الذهاب والعودة عبر الحدود السورية، قتله نظام صدام ـــ البكر في عام ١٩٧٠ .

ـــ العميد عزيز السامرائي، ساهم في ٨ شباط برتبة ملازم شرطة، قال وفيق الســـامرائي في عام ١٩٩٧ أن السلطة قتلتـــه.

ـــ علي عبد السلام، تاجر وشيخ وسياسي، ارتبط بصداقة خاصة مع عبد السلام عـــارف وساهم في ٨ شباط بعد إعلانـــها، ومتـــهم من قبل الكثيرين بصلاتـــه المشبوهة، شـــارك في الكواليس بصنع أحداث كثيرة بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٨ ومنحه عبد السلام رتبة رائد، قتـل اغتيالاً في عهد البكر ـــ صدام، وكان هو وعجيل الياور يجندون الفلاحين والرعاة مـــن أبنـــاء عشيرتيهما لقتال الأكراد في شمال العراق.

ـــ غانم عبد الجليل سعودي، وزير وعضو قيادة قطرية ومساهم أساسي في ٨ شباط، قتـــل مع عدنان حسين ومحمد عايش ومجموعتـــهما.

ـــ د. غالب عبد الحميد، بعثي اختصاصه زراعة، اشتراك ضد قاسم قتل من قبل حكومـــة البكر ـــ صدام بحادث سيارة مدبر عام ١٩٦٨ .

ـــ الرائد نشأة عسكر، قتل مع العميد جابر حسن حداد ١٩٧٠ بما سمي بمؤامرة رجعية.

ـــ العقيد الركن نـــزار النقشبندي، أعدم في جـــهات الحرب مع إيران بتـــهمة التخاذل.

ـــ الفريق الركن نـــزار الخزرجي، مساهم أساسي في ٨ شباط، رئيس أركان الجيـش، الآن منفي إلى الأردن.

ـــ ناصر الحاني، وزير خارجية بعد انقلاب ١٧ تموز ١٩٦٨ وتم خطفه من داره وهو علـــى رأس وزارتـــه وقتل بتقطيعه فعثر عليه في كيس تحت واحد من جسور بغداد.

ـــ ناظم كزاز، مديراً للأمن العام،قتله نظام البكر ـــ صدام عام ١٩٧٣ بتـــــهمة القيـــام بمؤامرة.

ـــ العقيد نافع الكبيسي، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانـــها أعدم في عام ١٩٧٩ .

ـــ نوري حمادي حسين، مساهم في ٨ شباط، عضو هيئة التحقيق الخاصة عام ١٩٦٣ قتل من قبل حكومة صدام حسين بحادث سير مدبر.

ـــ العميد مدحت حاج سري قتل عام ١٩٧٠ وهو أخو رفعت الحاج سري، حاول اغتيال قاسم ثم هرب إلى سوريا، عفا قاسم عنـــه وأرسل إليه أخوه اللواء فائق الحاج سري فعـــاد إلى العراق ليعدم بعد سنوات في عهد البكر ـــ صدام بتـــهمة التجسس لأمريكـــا وأجـــبر علـــى الظهور على الشاشة الصغيرة والاعتراف بعمله جاسوساً لصالح المخابرات الأمريكية.

ـــ محمد عبد الطائي، مساهم في ٨ شباط ١٩٦٣، بعثي عضو قيادة قطريـــة، قتـــل عـــام ١٩٩٣ بعد محاكمة شكلية وسلمت جثتـــه وعليها آثار التعذيب الوحشي، وكان موقفه أمـــام الحاكم صلباً إذ قال للحاكم الذي حكم بتجريمه وإعدامه: لست أنا مجرماً ولا أنت بل أن المجرم هو صدام حسين الذي تسبب بكل ما يحصل للعراق.

ـــ د. منيف الرزاز أحد قادة البعث وواحد من إثنين وضعا برنامج حكومة البكر في شـــباط ١٩٦٣ حكم عليه بالإعدام إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش بتـــهمة تحول مكتبـــــه إلى مكان للمناقشات والشكوى من ممارسات السلطة. كان هناك شخص بعثي أردني مطلع علـــى أجواء العراق اسمه د. عبد الكريم الكرازنة وكان هذا قد قرر إنـــهاء إقامتـــه في العراق وذهـــب لمقابلة الملك حسين وعرض له أمر د. منيف فسافر الملك إلى بغداد وتوسط عند صدام حســـين فأوقف أمر تنفيذ الإعدام بـــه وتمَّ نقله إلى داره ليظل محتجزاً فيها وأدى الضغط والتوتـــر إلى حصول نـــزيف دماغي عنده ولم تصل سيارة الإسعاف لنقله إلى المستشـــفى إلا بعـــد ســـبع ساعات من إبلاغ المسؤولين بحالتـــه الصحية وذلك أدى إلى موتـــه ونقل جثمانـــه إلى الأردن

وكانت أول باقة ورد تصل إلى أهل المتوفي الدكتور منيف الرزاز هي من الرئيس السوري حافظ الأسد نقلها سفير سوريا بعمان. (رواية د. فواز صياغ).

ـــ محمد أيوب ـــ بعثي ـــ ساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، أعدم من قبل حكومة صدام حسين عام ١٩٩٣ مع مجموعة الشهيد محمد عبد الطائي.

ـــ مدلول ناجي المحنا، قائد الحرس القومي في النحف، منح رتبة ملازم، مدير عام مصرف الرهون في العراق ثم محافظ وسفير، مرشح قيادة قطرية، قتل غدراً أو خديعة.

ـــ معتصم سعيد البدري، بعثي مساهم في ٨ شباط، قتل بداره نهاية عام ١٩٦٩ وحينها قالت السلطة أن قاتله "حرامي" ،كان معتصم من البعثيين المتنورين وتربطه برفاقه وبناشطي الحركة الوطنية علاقة طيبة بغض النظر عن اختلاف الرأي السياسي. وكان قريباً جداً من علي صالح السعدي وعضواً في يسار البعث.

ـــ اللواء الركن وليد محمود سيرت أحد المنفذين الأساسيين لحركة ٨ شباط، قائد فيلق وسفير، أعدم في تموز ١٩٧٩ بتهمة الاشتراك بمؤامرة وقتل معه أكثر من أربعين ضابطاً كلهم من فيلقه، وكانت له سمعة طيبة أخلاقية وفنية بين ضباط الجيش العراقي.

ـــ محيي عبد الحسين الشمري، قتل بعد اتهامه بمؤامرة مزعومة في ١٩٧٩ وكان عضواً في القطرية ومجلس الثورة، أحضره صدام حسين أمام عبد الحليم خدام كشاهد على تعاونه مع الملحق العسكري السوري، وعندما سأله خدام أن يصف الملحق السوري وصفه بأوصاف معاكسة للحقيقة، فنهره صدام وطلب إبعاده وكان جاثياً.

ـــ مجدي جهاد صالح، بعثي، عضو قيادة قطرية، كان أول سياسي عراقي يكتشف مقتولاًبالثاليوم.

ـــ الضابط محمد فرج، قتله نظام صدام ـــ البكر بعد ١٧ تموز ١٩٦٨ وكان من كتلة عبد الهادي الراوي القومية الإسلامية.

ـــ محسن الشعلان، رئيسا للجمعيات الفلاحية بعد سيد حسين سيد جبر، قتله نظام البكر ـــ صدام.

ـــ محمد فاضل، عضو قطرية ومدير مكتب العلاقات العامة (المخابرات الخاصة) أعدم مع ناظم كزاز.

ـــ مرتضى الحديثي، وزير خارجية بعد الشيخلي وهو ثالث وزير خارجية بعثي يقتل

عضو قطرية) مساهم في ٨ شباط قتل في السجن مسموماً وسلمت جثته لزوجته وكان وزنها ٣٠ كيلو غرام. تفاوض مع شركات النفط، أُبلغ بعدم ترشيحه لقيادة الحرب الحاكم واعتقل عام ١٩٧٩ وسلمت جثته عام ١٩٨١ .

ـ مأمون كشمولة، رجل دين من الموصل اشتهر بخطاباته وتأجيجه العلني ضد نظام قاسم، اعدم عام ١٩٧٠ من قبل حكومة البكر ـ صدام في قصر النهاية بعد التعذيب.

ـ ممتاز قصيرة ، مساهم في ٨ شباط بعد إعلانها، قتله نظام عبد السلام عارف أمام مبنى كلية الطب في الموصل وكان طالباً فيها.

ـ العميد محمد حسن وتوت، بعثي قائد فرقة، قتله نظام صدام حسين اثر انتفاضة آذار/ شعبان ١٩٩١ بعد هدم داره بالشفلات.

ـ محمد محجوب، عضو قطرية، وزير، مساهم في ٨ شباط وكان عضواً في المؤتمر القطري للحزب عام ١٩٦٣، قتله صدام حسين فوراً بعد انقلابه على البكر مع عدنان حسين ومحمد عايش وغانم عبد الجليل.

ـ مدحت محمد جميل، مساهم في ١٤ رمضان على جبهة الكاظمية، قتل متهماً بالجنون من قبل حكومة البكر ـ صدام بعد سجنه وتعذيبه في قصر النهاية بتهمة ارتباطه بتنظيم اليسار، فأصيب برأسه ومات عام ١٩٧٦ .

ـ محمد رضا الجيلاوي، بعثي، اعتقل في قصر النهاية ومورس التعذيب ضده أربعة سنوات متواصلة، وأطلق سراحه ناسياً اسمه يدور في الشوارع، وذلك بسبب اتهامه لصدام حسين وجهاً لوجه بأنه هرب من السجن المركزي باتفاق مدبّر مع مدير الأمن العام رشيد محسن.

ـ العقيد محمد حسين المهداوي، مساهم ومنفذ أساسي في ٨ شباط، اعتقل في عهد البكر ـ صدام من سنة ٧٠ حتى ١٩٧٣ بمعتقل انفرادي مدمر وأسيء له وعذب ومات بعد إطلاق سراحه.

ـ محسن محمد رضا الذهب، ناشط بعثي ضد نظام قاسم، قتل بعد اتهامه بالمساهمة في مؤامرة عدنان حسين ومحمد عايش ومحمد محجوب.

ـ محمد عايش، عضو قيادة قطرية ووزير ومساهم في ٨ شباط ورئيس اتحاد نقابات العمال، قال عنه أحد المدراء العامين أنه قاد وزارة الصناعة بعقلية عامل، أعدم بعد اتهامه بمؤامرة مزعومة وكان البكر يكرهه، ولكنه أظهر شجاعة في حواره مع صدام قبل

إعدامه، وسلمت جثتــه بلا لسان بعد قتله في غرفة التعذيب أمام زوجتــه التي كانت شجاعة أيضاً.

ـــ العميد الركن محمد علي سعيد، ساهم في ٨ شباط وكان من الضباط الأحرار وأصبـــح بعد ١٩٦٨ سكرتيراً للمكتب العسكري، أعدم في نيسان ١٩٧٩ مع مجموعة كبيرة من الضباط البعثيين السامرائيين في سجن أبو غريب.

ـــ العميد الركن محمد رشدي الجنابي، ساهم في ٨ شباط بعد إعلانــها، أعدم في شـــباط ١٩٧٠.

ـــ محمد صبري الحديثي، وكيل وزارة الخارجية، أعدم من قبل نظام صدام حسين إثر محاولة عدنان حسين ومحمد عايش.

ـــ هاني الفكيكي، عضو قيادة قطرية ومجلس قيادة ثورة وأحد قـــادة ٨ شـــباط تخطيطـــاً وتنفيذاً، قضى حياتـــه حتى الموت منفياً.

ـــ وهاب كريم، عضو قيادة قطرية ومجلس ثورة، مساهم في ٨ شباط قتل بحادث مدبر بعـد أن كلف هو بقتل أشخاص كثيرين على رأسهم أول وزير خارجية بعد ١٩٦٨ الدكتور نـاصر الحاني.

ـــ وليد محمد صالح الجنابي مساهم في ٨ شباط، وكانت تربطه صلة طيبة بالبكر، اشـــترك بتعذيب عبد الرحمن البزاز واشتـــهر بقسوتـــه في التحقيق، أعدم مع جماعة عدنان حسين.

ـــ وليد إبراهيم الأعظمي بعثي، قتل في ١٩٧٩ وكان حينـــها مديراً عاماً لمعمل شـــهرزاد للبيرة.

فهرس الأسماء

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

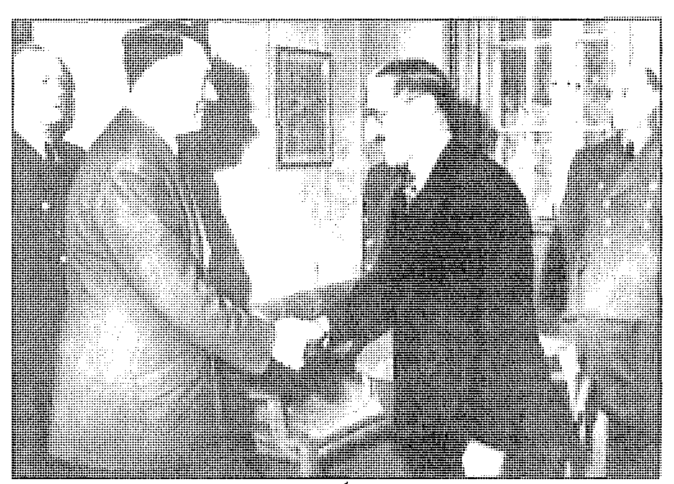
حرف الواو

حرف الياء

ملحق الصور

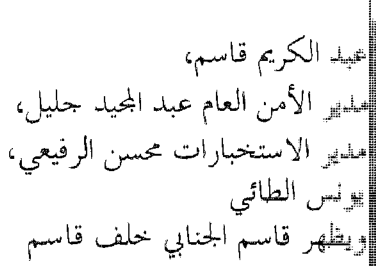


الملك المغدور فيصل الثاني



رشيد عالي الكيلاني مع هتلر





عبد الكريم قاسم،
مدير الأمن العام عبد المجيد جليل،
مدير الاستخبارات محسن الرفيعي،
يونس الطائي
ويظهر قاسم الجنابي خلف قاسم



أحمد بن بلا، عبد الكريم قاسم، قاسم الجنابي ويونس الطائي



أديب الجادر بستقبل الزعيم في حفل نقابة المهندسين



من اليمين الأستاذ محمد حديد
والأستاذ هديب الحاج حمود



كامل الجادرجي
وهديب الحاج حمود



المهداوي وزوجته في براغ مع رسميين تشيك وطلبة عراقيين



منطقة الصالحية، قرب الإذاعة، بغداد يوم ٨ شباط ١٩٦٣

من اليمين حازم جواد، طالب شبيب، أحمد حسن البكر، عبد السلام عارف وطاهر يحيى

طالب شبيب يتوسط عبد الكريم نصرت وخالد مكي الهاشمي
ويظهر طارق عزيز نائب رئيس الوزراء الحالي خلف الهاشمي إلى اليسار



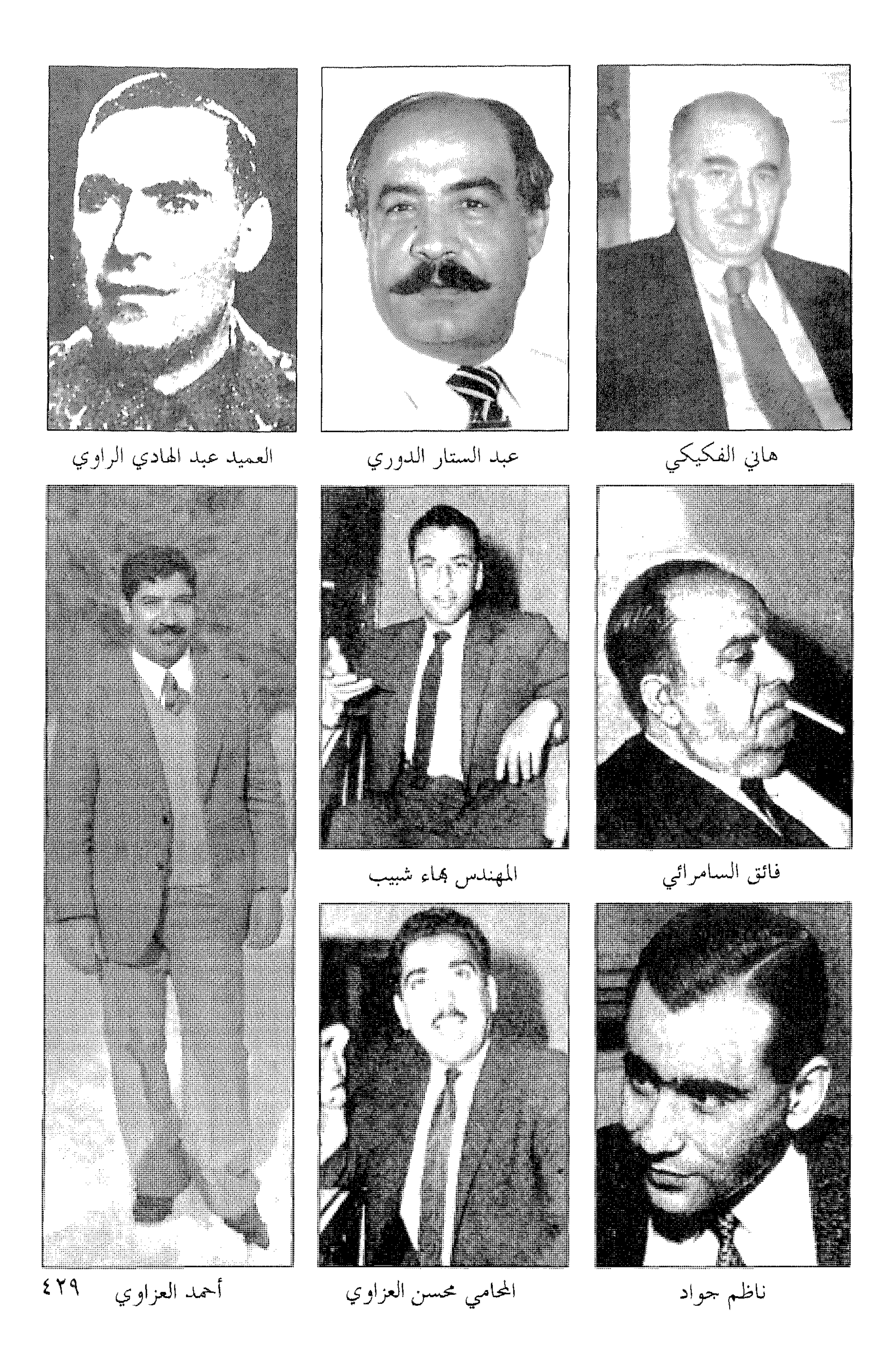
طالب شبيب يدلي بحديث
ويظهر في الصورة عمّاش وحردان وحازم جواد



المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الخارجية طالب شبيب
مباشرة بعد نجاح حركة ٨ شباط ١٩٦٣



ميشيل عفلق،
حازم جواد وطالب شبيب



العميد عبد الهادي الراوي

عبد الستار الدوري

هاني الفكيكي

المهندس بهاء شبيب

فائق السامرائي

أحمد العزاوي

المحامي محسن العزاوي

ناظم جواد



شكر صالح زكي

هديب الحاج حمود

العقيد الركن حامد سالم الزيادي

فؤاد عارف

محمد رشاد الشيخ راضي

هاشم الياسري

هناء العمري زوجة علي السعدي

عبد الإله النصراوي

أحمد الحبوبي



فؤاد الركابي

الملازم كامل حسين النعمة

الملازم طارق صادق

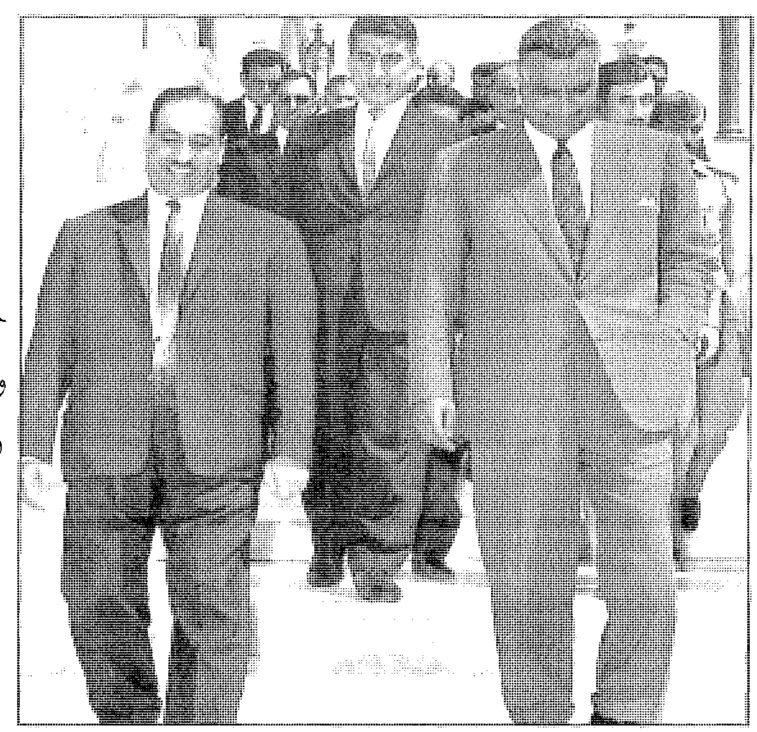
مهدي العبيدي

باقر إبراهيم الموسوي

المقدم إبراهيم التكريتي

عبد الرزاق شبيب

طالب شبيب وعبد الرزاق الصافي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي



جمال عبد الناصر وعبد السلام عارف
وخلفهم فؤاد الركابي
ويظهر حازم جواد وطالب شبيب



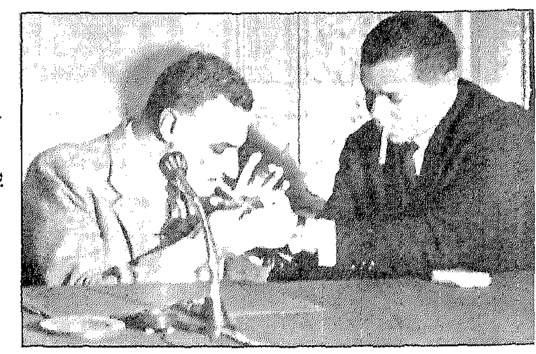
عبد الناصر، السعدي، شبيب، البزاز، نهاد القاسم وآخرون



المشير عبد الحكيم عامر، علي صالح السعدي، عبد الرحمن البزاز، نهاد القاسم، ويقف شبيب خلف السعدي

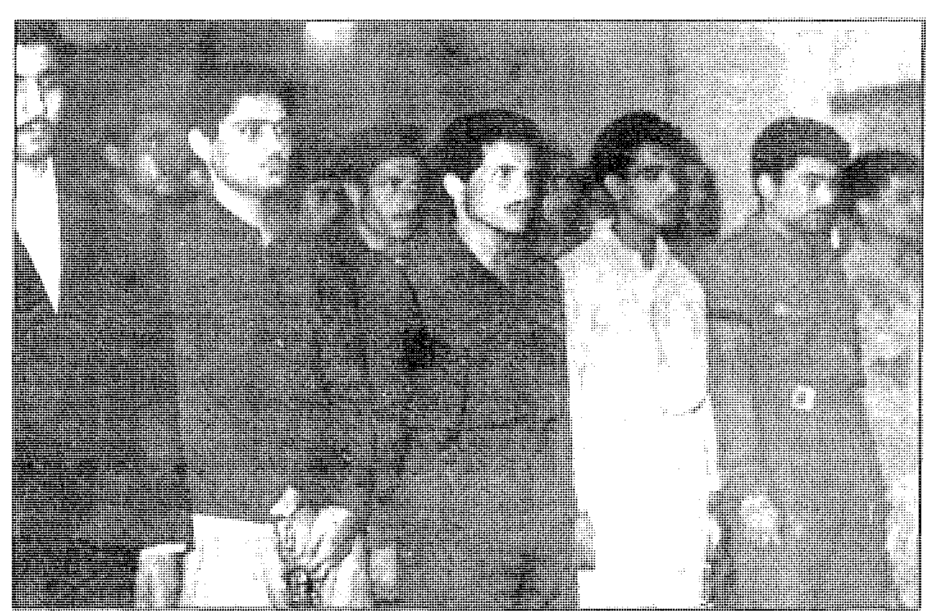


في مفاوضات الوحدة: شبيب، السعدي، عماش مع أعضاء الوفد السوري

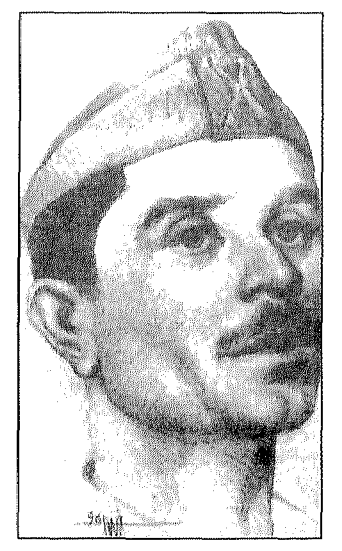


علي صالح السعدي
يشعل سيكارة عبد الناصر

ن اليمين: السعدي، البكر، بومدين، ويظهر خلفهم طاهر يحيى وصالح مهدي عماش وآخرون



ضباط وجنود معسكر سعد: أعدموا في ٨ شباط بتهمة التمرد
(أعدم منهم ٢٤ عسكرياً ومدنياً واحداً)



حسن السريع



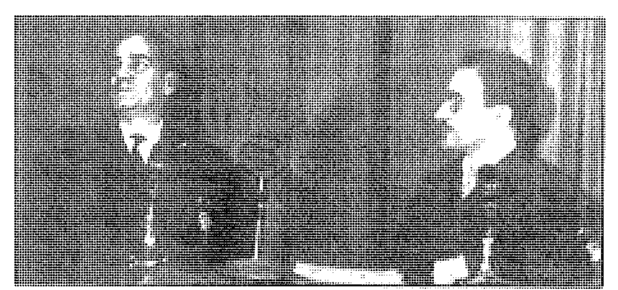
سلام عادل وجمال الحيدري
ومحمد صالح العبلي



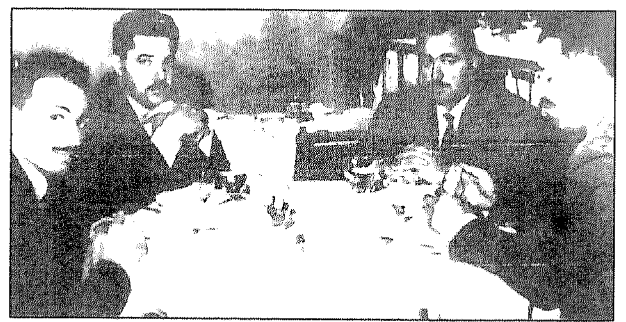
جنود حسن السريع في المحكمة التي تشكلت هيئتها من شاكر مدحت السعود وحسن مصطفى النقيب



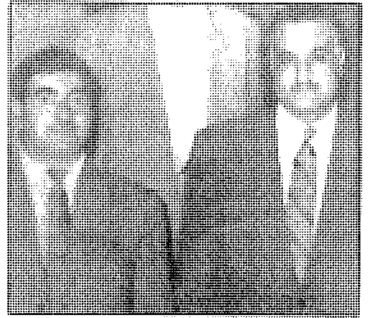
عبد القادر إسماعيل البستاني يحيط به شفيق الكمالي
وضياء حسن في جلسة استجواب على التلفزيون



حسن عبود يعترف على التلفزيون مع قاسم نعمان السعدي



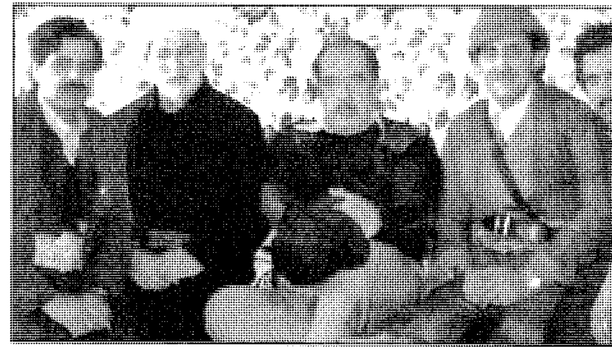
من اليمين: علي صالح السعدي، أبو طالب الهاشمي، محسن الشيخ راضي،
هاني الفكيكي بعد ترحيلهم إلى إسبانيا



جمال عبد الناصر والملا مصطفى البارزاني



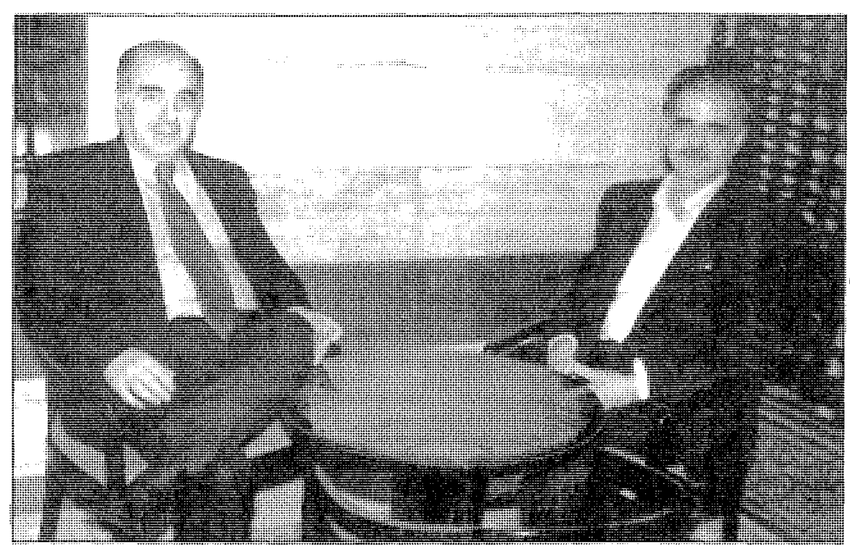
الأستاذ جلال الطالباني مع المؤلف



اللواء حسن النقيب في شمال العراق

من اليمين : بهاء شبيب، رجاء غيدان،
عبد الستار الدوري،
عارف عبد الرزاق وطالب شبيب
في كردستان العراق



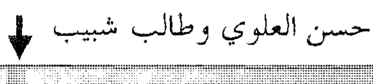


الأستاذ هاني الفكيكي
والدكتور علي كريم



محمد رشاد الشيخ راضي
والشهيد محمد عبد الطائي (أبو يوسف)

حسن العلوي وطالب شبيب



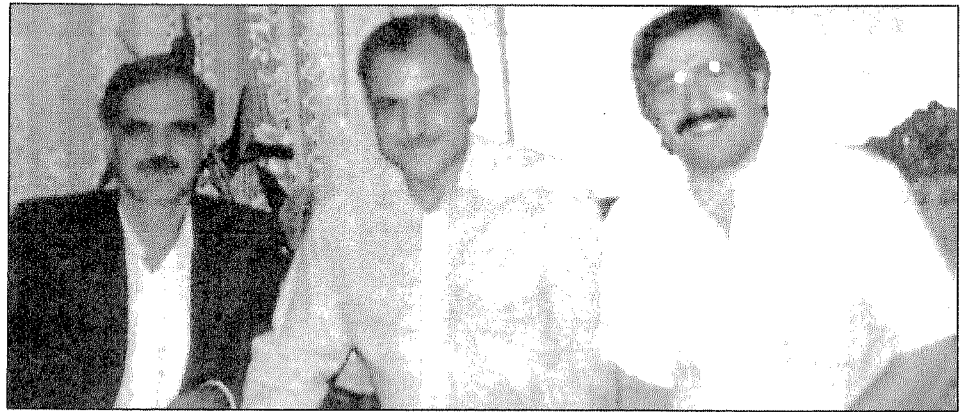




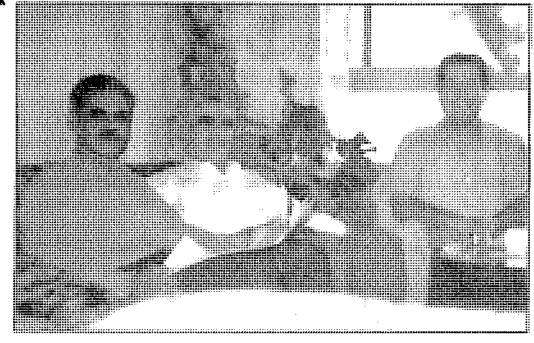
صفاء الفلكي،
علي كريم سعيد
وطالب شبيب



من اليمين:
أحمد الموسوي،
حامد أيوب العاني
طالب شبيب
وعلي كريم سعيد



الدكتور محمود شمسه، محمد عبد الطائي،
والدكتور علي كريم سعيد



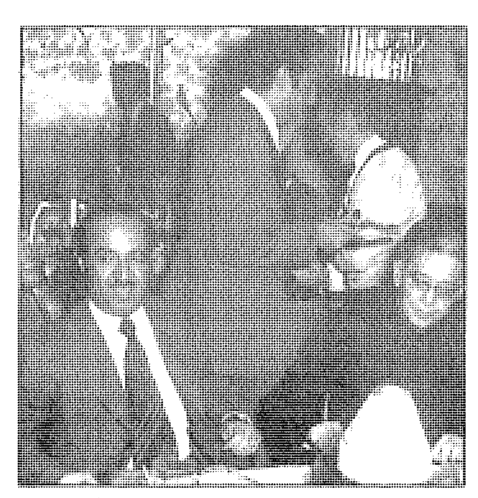
تحسين معله، محمد علي غني،
وعلي كريم سعيد

ثلاثة وزراء خارجية عراقيون:
شبيب، الشيخلي وعبد الباقي





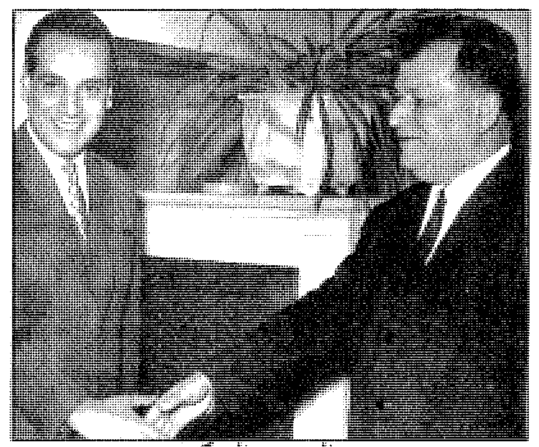
طالب شبيب يترأس الوفد العراقي في الأمم المتحدة



وزير خارجية الكويت صباح الأحمد
إلى اليسار ويظهر خلفه
وزير الخارجية الأسبق طالب شبيب



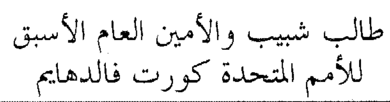
طالب شبيب مع العاهل الأردني



مع الرئيس التركي
يقدم أوراق اعتماده كسفير للعراق

طالب شبيب مع محمود رياض



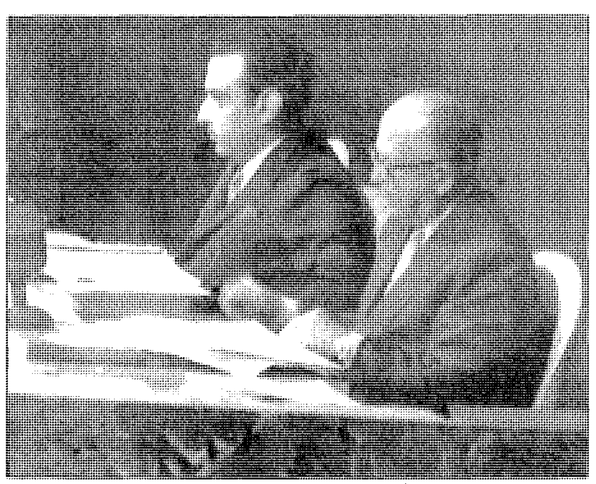


طالب شبيب والأمين العام الأسبق
للأمم المتحدة كورت فالدهايم

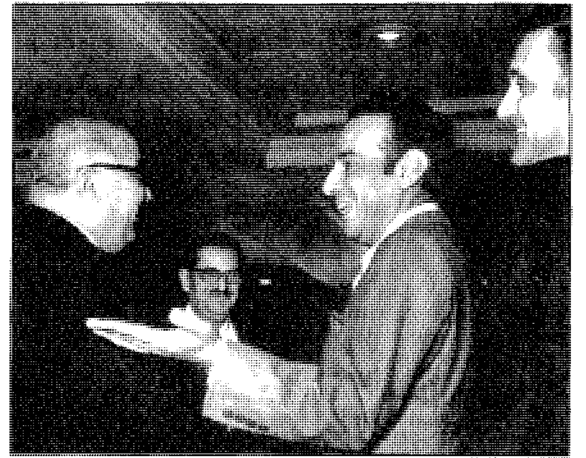




عبد الكريم الشيخلي وطالب شبيب



على منصة الأمم المتحدة
عندما كان رئيساً لمجلس الأمن الدولي



من اليمين: الباجچي، طالب شبيب،
عبد الرحمن البزاز، ومحمد حسن الزيات



صدام حسين وطه ياسين رمضان
ورئيس الجمهورية الأسبق عبد الرحمن عارف

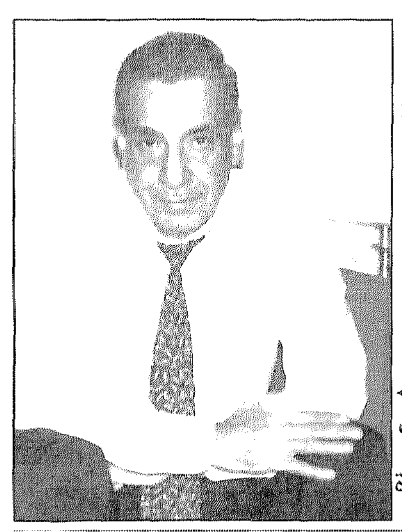




علاء الدين حسين الرجل الذي
نصبه صدام حسين زعيماً
على الكويت خلال فترة الغزو



طالب شبيب خلال فترة الدراسة
في لندن في منتصف الخمسينيات



طالب شبيب
في سنواته الأخيرة

طالب شبيب مع عائلة
أخيه الأستاذ بهاء شبيب

مازن طالب شبيب وعائلته



عراق ٨ شباط ١٩٦٣
من حوار المفاهيم إلى حوار الدم

هذا الكتاب، نوع من كشف التجربة المرة، ودعوة حيادية لصدق الرواية التاريخية، بعد أن أوصل تزوير الوقائع العراق برمته إلى طريق مسدود، وبرهنت المقدمات المزيفة أن ما يخفيه الساكتون في صدورهم سرعان ما يندفع إلى الخارج عشوائياً عند أول فرصة للانفلات فيدور دولاب النار وتتجدد الأهوال وتنتعش السجون والمنافي وتتوسع المقابر، ويمكن الآن، ولو متأخراً، استعادة صورة ذلك العدد الهائل من الشباب الواعد يتسابق في صراع عبثي لدخول السجون بحثاً عن حرية مفقودة، ولكنهم جميعاً حملوا فكراً يختزل الحرية التي يطالبون بها إلى حرية الدولة التي زعمت عند استلامهم لسلطتها تمثيل الشعب بكامله غصباً عنه! حرية العقل الجمعي المقيد لحساسية العقل الفردي الحر المتنافس.

تعمدنا الإقلال من التحليل في المتن والهوامش، لنترك للقارئ أن يحلل ويركب بعيداً عن ميولنا وعواطفنا.

المؤلف

تصميم الغلاف : طالب الداوود